٦٧٦

تفسير
جوامع الجامع

لمؤلف مجمع البيان

للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من أعلام القرن السادس الهجري

الجزء الأول

تحقيق

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

٩٧٦

تفسير جوامع الجامع

للمفسر الكبير والمحقق النحرير

الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي
من أعلام القرن السادس الهجري

الجزء الأول

تحقيق

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

شابك ٥ ـ ١٥٨ ـ ٤٧٠ ـ ٩٦٤
ISBN 964 - 470 - 158 - 5

تفسير جوامع الجامع

(ج ١)

■ المؤلّف: المفسّر الكبير الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي قدس سره □
■ الموضوع: التفسير □
■ تحقيق و طبع: مؤسّسة النشر الإسلامي □
■ عدد الصفحات: ٧٣٦ □
■ الطبعة: الثانية □
■ المطبوع: ١٠٠٠ نسخة □
■ التاريخ: ١٤٢٣ هـ. ق □
■ السعر: ٢٣٥٠ توماناً □

مؤسّسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير من بعثه بالرسالة محمّد صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد، لا شكّ أنّ للقرآن دور بارز وفعّال في حياة المسلمين، إذ به اندكّت قلاع الضلال وهُدّمت بِيَع المضلِّين، وبه اهتدت الإنسانية إلى سبيلها الذي رسمته السماء، ودعا إليه الأنبياء، فكان من الطبيعي أن تبرز اهتمامات المسلمين له، وتميل توجّهاتهم إليه، وأن يبالغوا في اهتمامهم به بحيث يقلّ مثيله في الديانات الأُخر، وينقطع نظيره في الكتب السماوية الأُول.

ومن أبرز اهتمامات المسلمين للقرآن هو خوض علمائهم الأعلام في ميدان التفسير؛ لما لمسوا في كلماته من أسرار خفيّة، وحقائق ثمينة تستحقّ أن تستجلىٰ وتكشف للآخرين، فطفق بعضٌ يبحث في معاني سوره وآياته، واعتكف آخرون يستجلي حقائقه من كلماته، وانطلق ثالث يستخرج مفاهيمه وموضوعاته، ثم عرضها على الناس بأوضح تعبير وأجلىٰ بيان، بالتدريس تارة وبالتصنيف أُخرىٰ، فخلّفوا خزانة ضخمة ضمّت بين مطاويها ثروة علمية فخمة، أغنت المكتبة الإسلامية عن حاجتها الى غيرها.

ومن هؤلاء الأعلام أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي المفسّر الذائع الصيت، صاحب المؤلّفات الفائقة، والمصنّفات الرائقة كما حكاه عنه الفاضل النوري، ومن جملتها هذا الكتاب ـ الماثل بين يديك عزيزنا القارئ ـ الذي لا يقلّ

شهرةً عن تفسيره الكبير «مجمع البيان» والصغير «الكاف الشاف» والذي جعله وسطاً جامعاً بينهما، وأضاف إليه كلّ ذي فائدة وجدها في كتاب الكشّاف للعلّامة الزمخشري بعد اطّلاعه عليه، فخرج كتاباً جامعاً بين فوائد هذه الكتب على وجه الاختصار كما صرّح هو به في مقدّمته.

ونظراً لأهمية هذا الكتاب وما امتاز به، وعدم وجود طبعة محقّقة وموثّقة منه، أقدمت مؤسستنا ـ كعادتها ـ على إخراجه بحلّةٍ جديدةٍ، وطبعه بطبعةٍ أنيقة، حاوية على موارد تفيد طلّاب العلم وتنفع الباحثين، ويمكن أن تكون موضع استفادة للمؤسسات والمراكز المعنيّة بهذا الفنّ.

ونحن إذ نفخر أن نقدّم هذا الكتاب بهذه الحلّة القشيبة بأجزائها يهمّنا أن نؤكّد أننا بصدد الاهتمام بأُمّهات كتب التراث الإسلامي، والعمل على إخراجها ونشرها تباعاً، بلا كللٍ أو ملل، خدمةً للعلم والدين.

وبالوقت الذي تقدّم مؤسستنا هذا السفر القرآني الشريف الى هذه الأُمة تودّ أن تقدّم شكرها وتقديرها لجميع الأُخوة الأعزاء الذين بذلوا قصارى جهدهم في إنجاز هذا المشروع القيّم، فجزاهم الله تعالى خير جزاء المحسنين، كما تدعو شبابنا الى الاهتمام به والتمسّك بجوانبه في ظروفٍ اشتدّت الحاجة الى العودة الى الينابيع الصافية: القرآن الكريم، والسُنّة الشريفة الصحيحة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وخلفائه الأئمّة المعصومين عليهم السلام وصحبه المنتجبين ومن تابعهم على ذلك بإحسان، من أجل إعلاء كلمة الحقّ دوماً ودحض كلمة المبطلين.

مؤسّسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

مقدّمة التحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

«كتابُ الله عَزَّ وَجَلّ عَلى أربَعَةِ أَشيَاء:

على العِبَارةِ والإشَارَةِ واللَطَائِف والحَقَائِق، فَالعِبَارةُ للعَوام، والإشَارَةُ للخَواصِ، واللَطَائِف للأولِيَاء، والحَقَائِق للأنبيَاء».

الحسين بن علي عليه السلام

الحمد لله الّذي أنزل على عبده القرآن، وجعله كتاباً ساطعاً فيه تبياناً لكلّ شيء، والصلاة والسلام على النبي الأُمّي المكتوب اسمه في التوراة والانجيل أبي القاسم محمّد صلى الله عليه وآله، وعلى آله الميامين الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً.

وبعد، فقد مرّت على الإنسانية حينٌ من الدهر وهي تتخبّط في الضلال وفوضى الأخلاق وتنازع الأهواء، ثم أراد الله سبحانه لهذه الإنسانية التائهة أن ترقى بروح منه، وتسعد بوحي من لدنه، فبعث رسولاً صادقاً أميناً من عنده، لا ينطق عن الهوىٰ بل عن وحيٍ يوحىٰ، فكانت البداية من غارٍ بعيدٍ عن مكّة، حيث لم يكن يسمع فيه غير جلال الصمت وهيبة التأمّل، ومن خلال هذا الصمت انصدع نداء «إقرأ»، ومن ثنايا هذا التأمّل ارتفع النور وانتشر، ومن بطن هذا الغار كان إيذان فجر القرآن الحكيم.

فالقرآن كتاب الله لجميع البشرية، والفرقان الذي يفرق بين الحقّ والباطل، والخالد عبر العصور والأزمان، إذ أنّ فيه نورٌ لا يخمد، ومواهب لا تنكد، وعطايا

لا تنفد، فكما أنّه الكتاب الرابط بين الخالق وخلقه، فكان مبشّراً للمؤمنين ومنذراً للكافرين، كذلك هو المبيّن لأحكام الله وشرائعه، فكان ذا بطون عديدة وتأويلات مختلفة، ثم حثّ الناس على اقتفاء أثر هذه البطون واستجلاء حقائقها وبيانها للناس، فقال عزّ مِن قائل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (١)، وقالَ عزّ اسمه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفاً كَثِيراً ﴾ (٢).

ثم جاءت السنّة النبوية الشريفة لتقرّر هذا الحثّ وتدعو له، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «القرآن مأدبة الله فتعلّموا مأدبته ما استطعتم، إنّ هذا القرآن هو حبل الله، وهو النور المبين، والشفاء النافع» (٣).

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: «إن أردتم عيش السعداء، وموت الشهداء، والنجاة يوم الحسرة، والظلّ يوم الحرور، والهدىٰ يوم الضلالة، فادرسوا القرآن، فإنّه كلام الرحمٰن، وحرز من الشيطان، ورجحان في الميزان» (٤).

إهتمام المسلمين بالقرآن :

ولهذا اهتمّ المسلمون بالقرآن اهتماماً بالغاً منذ صدوره من المشرّع الحكيم الىٰ رسوله الكريم، واستمرّ بعد وفاته قرناً بعد قرن وحتّىٰ عصرنا الحاضر، بحيث لم يشهد تاريخ الديانات والشرائع لها مثيلاً ولا نظيراً، ذلك أنّه ما حظي كتاب في تاريخ البشرية بمثل ما حظي به القرآن العظيم عنايةً ورعايةً من حيث: جمعه وحفظه، وكتابة آياته، وإعراب كلماته وضبط قراءاته، وشرح مفرداته، وتفسير آياته، وبيان بديعه، وإظهار إعجازه، واستخراج موضوعاته، وترجمة آياته وكلماته، وبيان أحكامه، وتفصيل محكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه،... الى غير ذلك.

---

(١) محمد: ٢٤. (٢) النساء: ٨٢.

(٣) جامع الأخبار للسبزواري: ص ١١٤، مستدرك الحاكم: ج ١ ص ٥٥٥.

(٤) أمالي الطوسي: ج ١ ص ٥، جامع الأخبار للسبزواري: ص ١١٥.

ومن أهمّ ما حظي به القرآن الكريم هو تفسير آياته، فقد استقطب هذا الفنّ قسطاً وافراً من اهتمام علماء المسلمين؛ نظراً لدوره الكبير في مساعدته على فهم معاني القرآن الدقيقة ومفاهيمه العميقة وبسطها للناس وبالتالي تطبيقها على مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، ولهذا اندفع كلّ من أُوتي حظّاً من الثقافة والفكر القرآني من المسلمين إلى خوض هذا الميدان الشريف بهمةٍ وإلاخلاص، مشمّرين عن ساعد الجدّ لاستجلاء حقائقه واستخراج جواهره، بالتدريس تارةً وبالتأليف أُخرىٰ، فطلعوا على الناس بمكتبة قرآنية عامرة لا تقدّر بثمن.

اهتمام الإمامية بالتفسير:

ولم يكن اهتمام الإمامية يقلّ عن اهتمام جمهور المسلمين في القرآن وتفسيره، فقد خاض علماؤهم وفضلاؤهم في هذا الميدان بجدٍّ وإقدام ومنذ صدور الإسلام، فقاموا بتأليف كتب التفسير، وما زالوا حتّى عصرنا الحاضر، بل كثيرٌ منهم لم يكتفِ بتأليف تفسيرٍ واحدٍ حتّى ضمّ إليه آخر[١]، فطلعوا على الجمهور بمكتبةٍ قرآنيةٍ زاخرةٍ أثارت دهشة الباحثين، واستجلبت ثناء المتتبّعين، ذلك لأنّهم قد أخذوا علوم القرآن وتبيين معانيه عن أئمتهم عليهم السلام وكتبوا على هداهم.

والمتتبع لهذه المؤلّفات يجد أنّ اهتمام الإمامية بتفسير القرآن مضىٰ على شكلين:

الأوّل: التفسير بالأثر والرواية، وكأنّهم كانوا يجتنبون عن تفسير القرآن تفسيراً تحليلياً احترازاً من وصمة التفسير بالرأي التي جاءت بعض الأخبار في لعنه[٢]، ومن نماذجه: (١) تفسير علي بن ابراهيم القمّي (٢) تفسير محمّد بن مسعود العياشي (٣) تفسير البرهان (٤) تفسير نور الثقلين (٥) تفسير كنز الدقائق.

الثاني: التفسير العلمي التحليلي، منضماً إليه ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة

---

(١) ذكر أسماء بعض هؤلاء الأعلام الشيخ آقا بزرك الطهراني في الذريعة: ج ٤ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ فراجع.

(٢) أُنظر ميزان الحكمة: ج ٨ ص ٩٥ ـ ٩٦.

الأطهار عليهم السلام، ولعلّ الباعث الى ظهور هذا الشكل من التفسير هو الإحساس بالحاجة إليه؛ نظراً للتطوّر الفكري الحاصل، وحاجة الناس الى معانٍ ومفاهيم جديدة تتناسب ومتطلّبات الوضع الثقافي الجديد، كلّ ذلك بسبب احتكاكهم بالأُمم الأُخرىٰ من جهة، وبروز ضرورات اجتماعية وفكرية جديدة الذي كان لها الأثر الفاعل في تنمية الذوق العام من جهة أُخرىٰ.

ولعلّ أوّل من خاض هذا المضمار السيّد الشريف الرضي، فألّف كتابه «حقائق التأويل» في عشرين جزءاً، ثم أخوه الشريف علم الهدى في أماليه وسمّاه بـ «الغرر والدرر» في جزئين، ثم من بعدهما الشيخ الطوسي فألّف «التبيان»[1]، ثم صار من بعد ذلك منهجاً متّبعاً وشائعاً في كتب التفسير.

إضافة الى ذلك، فإنّ هذا التطوّر الفكري والثقافي الحاصل عند المسلمين كان له الأثر الذي دعا علماء الإمامية الى إضافة مناهج جديدة الى تفاسيرهم، فأدخلوا فيها: القراءات، والإعراب، وشرح المفردات، وأسباب النزول، وتفصيل القصص، وبيان الأحكام، وردّ مطاعن المبطلين، والاستدلال للمذهب، وغير ذلك.

وفيما يلي نذكر بعض أعلام المفسّرين من الإمامية، ممّن ذاع في الأمصار صيته وشاع عند المسلمين اسمه، على سبيل المثال لا الحصر، وإلّا فسنحتاج الى مجلّدات ضخمة:

١ ـ سعيد بن جبير التابعي الشهيد للتشيّع، قتله الحجّاج الثقفي عام ٩٥ هـ، وقصّتهُ معروفة، ذكر تفسيره ابن النديم في «الفهرست» والشيخ آقا بزرك في «الذريعة».

٢ ـ عطية بن سعيد (أو سعد) العوفي الجدلي الكوفي، عدّه البرقي والشيخ من أصحاب الباقر عليه السلام، له تفسير في خمسة أجزاء، ينقل عنه أبان بن تغلب وزياد بن المنذر كما ذكره النجاشي في ترجمتهما، توفّي عام ١١١ هـ.

---

(١) وقد قامت مؤسستنا بتحقيقه وطبعه في حلّة قشيبة، خرج بعض أجزائه الى النور.

٣ ـ السدّي الكبير اسماعيل بن عبد الرحمن القرشي التابعي الكوفي، من أصحاب السجّاد والباقر والصادق عليهم السلام، ذكره الشيخ في رجاله قائلاً: المفسّر الكوفي. وقال السيوطي في الإتقان: إنّ تفسير إسماعيل السدّي من أمثل التفاسير توفّي عام ١٢٧ هـ.

٤ ـ جابر بن يزيد الجُعفي، لقي الباقر والصادق عليهما السلام، ذكره الشيخ في «الفهرست»: أنّ له كتاب التفسير. توفّي عام ١٢٨ هـ.

٥ ـ زيد بن أسلم العدوي، عدّه البرقي والشيخ في رجاله أيضاً من أصحاب السجّاد والصادق عليهما السلام، وذكر ابن النديم: أنّ له كتاب التفسير. توفّي عام ١١٩ هـ، وقيل: ١٢٤ هـ.

٦ ـ أبان بن تغلب بن رباح البكري الجُريري، لقي السجّاد والباقر والصادق عليهم السلام وروى عنهم، وكانت له عندهم منزلة وقدر، ذكر النجاشي: أنّ له كُتباً، منها تفسير «غريب القرآن». توفّي عام ١٤١ هـ.

٧ ـ محمّد بن السائب الكلبي، من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام، وهو والد أبي المنذر هشام الكلبي النسّابة المعروف، ترجمه ابن النديم وذكر تفسيره وقال: هو تفسير كبير. توفّي عام ١٤٦ هـ.

٨ ـ أبو حمزة الثمالي ثابت بن أبي صفيّة، لقي السجّاد والباقر والصادق والكاظم عليهم السلام وروى عنهم، وكان من خيار أصحابنا وثقاتهم، ذكر النجاشي: أنّ له كتاب تفسير القرآن. توفّي عام ١٥٠ هـ.

٩ ـ زياد بن المنذر؛ أبو الجارود الهمداني، من أصحاب الباقر عليه السلام، وروى عن الصادق عليه السلام، ذكر الشيخ في «الفهرست»: أنّ له كتاب تفسير عن الباقر عليه السلام. توفّي بعد عام ١٥٠ هـ.

١٠ ـ الحسن بن واقد، عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام، ذكر ابن النديم في «الفهرست»: أنّ له كتاب التفسير.

١١ ـ أبو جنادة الحصين بن المخارق السلولي، عدّه الشيخ من أصحاب

الصادق والكاظم عليهما السلام، ذكر النجاشي: أنّ له كتاب التفسير والقراءات وقال: هو كتاب كبير.

١٢ ـ وهيب بن حفص؛ أبو علي الجريري، روى عن الصادق والكاظم عليهما السلام، وكان ثقةً، ذكر النجاشي: أنّ له كُتباً، منها كتاب تفسير القرآن.

١٣ ـ عبد الرزّاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني، ترجمه الذهبي وأطرىٰ عليه ووثّقه وقال: ونقموا عليه التشيّع. عدّه الشيخ من أصحاب الصادق عليه السلام، له مصنّفات، منها كتاب التفسير، ذكره الشيخ آقا بزرك في «الذريعة» وقال: إنّ تفسيره هذا من أقدم تفاسيرنا الموجودة في العالم، ويعدّ من مفاخر الشيعة وآثارها الخالدة الباقية حتّى اليوم، فإنّ سائر التفاسير المؤلّفة لأصحابنا قبل هذا التفسير؛ كتفسير سعيد بن جبير، وتفسير السدّي، وتفسير محمّد بن السائب الكلبي، وتفسير أبي بصير، وتفسير أبي الجارود، وتفسير جابر بن يزيد الجعفي، وتفسير أبي حمزة الثمالي، وغيرها من تفاسير الأصحاب السابقة عليه كلّها ممّا لم نطّلع على وجود عينها في عصرنا هذا.

١٤ ـ الحسن بن محبوب الكوفي، روى عن الرضا عليه السلام، وكان جليل القدر، ذكر ابن النديم: أنّ له كتاب التفسير. توفّي عام ٢٢٤ هـ.

١٥ ـ الحسن بن علي بن فضّال الكوفي، عدّه الشيخ والبرقي من أصحاب الرضا عليه السلام خصيصاً به، وكان جليل القدر، ذكر ابن النديم: أنّ له كتاب التفسير. توفّي عام ٢٢٤ هـ.

١٦ ـ الحسن بن سعيد الأهوازي، عدّه الشيخ من أصحاب الرضا عليه السلام، شارك أخاه الحسين في الكتب الثلاثين المصنّفة، منها كتاب تفسير القرآن، ذكره النجاشي في رجاله.

١٧ ـ محمّد بن خالد البرقي الكوفي، عدّه الشيخ من أصحاب الرضا والجواد عليهما السلام، ذكر النجاشي: أنّ له كتباً منها كتاب التفسير.

١٨ ـ عبد العزيز بن يحيىٰ بن أحمد الجلودي البصري، شيخ البصرة، ذكره

النجاشي من أصحاب الباقر عليه السلام وقال: وله كتب منها كتاب التفسير، وكتاب القراءات، وكتاب ما نزل فيه من القرآن. قيل: توفّي عام ٢٣٢ هـ.

١٩ ـ محمّد بن العباس بن عيسىٰ، عدّه الشيخ في رجاله في من لم يروِ عن الأئمّة عليهم السلام، وذكره النجاشي وقال: له كتب، منها كتاب التفسير.

٢٠ ـ علي بن الحسن بن فضّال، كان فقيه أصحابنا بالكوفة وثقتهم ووجههم، وكان كثير العلم، عدّه الشيخ من أصحاب الهادي والعسكري عليهما السلام، ذكر النجاشي في رجاله والشيخ في «الفهرست»: أنّ له كتباً كثيرةً، منها كتاب التفسير. توفّي عام ٢٢٤ هـ.

٢١ ـ أحمد بن محمد بن خالد البرقي، صاحب «المحاسن» وهو مشتمل على عدّة كتب، منها كتاب التفسير والتأويل، عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الجواد والهادي عليهما السلام، وذكر في «الفهرست»: أنّه صنّف كتباً، منها كتاب التفسير. توفّي عام ٢٧٤ هـ، وقيل: ٢٨٠ هـ.

٢٢ ـ محمّد بن أُوْرَمة القمّي، عدّه الشيخ في من لم يروِ عن الأئمّة عليهم السلام، ذكره النجاشي في رجاله وقال: له كتب، منها كتاب تفسير القرآن.

٢٣ ـ علي بن ابراهيم بن هاشم القمّي، أُستاذ الكليني، عاصر الإمام العسكري عليه السلام، وكان ثقةً ثبتاً معتمداً، ذكر الشيخ في «الفهرست» والنجاشي في رجاله: أنّ له كتباً، منها كتاب التفسير. وكان قد بقي حيّاً الى عام ٣٠٧ هـ.

٢٤ ـ علي بن الحسين بن بابويه القمّي، فقيه، جليل، ثقة، ذكره الشيخ في باب مَن لم يروِ عن الأئمّة، وذكره في «الفهرست» والنجاشي في رجاله: أنّ له كتباً كثيرةً، منها كتاب التفسير. توفّي عام ٣٢٩ هـ.

٢٥ ـ محمّد بن مسعود السمرقندي العياشي، من مشايخ الكشّي، ثقة وعين من عيون هذه الطائفة، قال الشيخ في «الفهرست»: إنّ له كتباً كثيرةً تزيد على مائتي مصنّف، منها كتاب التفسير.

٢٦ ـ محمّد بن ابراهيم الكاتب النعماني، من تلامذة الكليني، شيخ من

أصحابنا، عظيم القدر، ذكره الحرّ العاملي في «أمل الآمل» وقال: من مؤلّفاته تفسير القرآن، رأيتُ قطعةً منه.

٢٧ ـ محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد شيخ القمّيين وفقيههم ووجههم، ذكر النجاشي: أنّ له كتباً، منها كتاب تفسير القرآن.

٢٨ ـ محمّد بن أحمد بن ابراهيم الصابوني، من قدماء أصحابنا وفقهائهم، كان زيدياً ثم عاد إلينا، عدّه الشيخ من أصحاب الهادي عليه‌السلام، ذكر النجاشي كتبهُ وعدَّ منها تفسير معاني القرآن.

٢٩ ـ أبو منصور الصرّام، من جلّة المتكلّمين من أهل نيسابور، وكان رئيساً مقدّماً، له كتب كثيرة، منها كتاب تفسير القرآن، ذكره الشيخ في «الفهرست» وقال: وهو تفسير كبير حسن.

٣٠ ـ محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي، نزيل الري، من وجوه الطائفة وفقهائها، كان جليل القدر، ناقداً للأخبار، ذكر الشيخ في «الفهرست»: أنّ له كتباً كثيرةً نحوٌ من ثلاثمائة مصنَّفاً، وعدَّ منها كتاب التفسير، وقد ذكر النجاشي فهرس كتبه. توفّي عام ٣٨١ هـ.

٣١ ـ الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان، وفضله أشهر من أن يُوصف في الفقه والكلام والرواية، صنّف كتباً عديدة، منها في علوم القرآن، ذكرها تلميذه النجاشي في رجاله. توفّي عام ٤١٣ هـ.

٣٢ ـ الشريف الرضي محمّد بن الحسين بن موسىٰ، نقيب العلويّين ببغداد، له كُتب عدّها النجاشي في رجاله، وله معاني القرآن ذكرها ابن شهر آشوب في «معالم العلماء» وقال: يتعذّر وجود مثله. توفّي عام ٤٠٦ هـ.

٣٣ ـ السيد المرتضى علم الهدى علي بن الحسين بن موسى، حاز من العلوم ما لم يحز أحدٌ في زمانه، عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا، وهو من المكثرين في التأليف حول القرآن وتفسيره، ذكرها النجاشي في رجاله. توفّي عام ٤٣٦ هـ.

٣٤ ـ الشيخ الطوسي محمّد بن الحسن شيخ الطائفة، جليل القدر، عظيم

المنزلة، أشهر من أن يُعرف، له «التبيان» في تفسير القرآن. توفّي عام ٤٦٠ هـ.

٣٥ ـ اسماعيل بن علي بن الحسين السمّان، المعاصر للسيد المرتضىٰ، مفسِّر، ثقة، له «البستان في تفسير القرآن» في عشر مجلّدات، ذكره الشيخ منتجب الدين في «الفهرست».

٣٦ ـ محمّد بن علي الفتّال النيسابوري، ثقة، ذكره الشيخ منتجب الدين بصاحب التفسير.

٣٧ ـ محمّد بن الحسن الفتّال النيسابوري، ذكره ابن شهر آشوب في «معالم العلماء»، صاحب «روضة الواعظين» و«التنوير في معاني التفسير».

٣٨ ـ الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي ـ مؤلّف هذا الكتاب ـ من أكابر علماء الإمامية ومفسّريهم، وفضله أشهر من أن يُوصف. توفّي عام ٥٤٨ هـ.

٣٩ ـ فضل الله بن علي الراوندي الحسني، علّامة زمانه، جمع مع علوّ النسب كمال الفضل والحسب، له كتاب تفسير، ذكره الشيخ منتجب الدين في «الفهرست» وقال: شاهدته وقرأتُ بعضه عليه. وفي «تذكرة المتبحّرين»: من مؤلّفاته «الكافي في التفسير» ذكره العلّامة في إجازته لبني زهرة.

٤٠ ـ أبو الفتوح الحسين بن علي بن محمّد الخزاعي الرازي، عالم، واعظ، مفسِّر، له تصانيف، منها تفسيره المسمّىٰ بـ«روض الجنان في تفسير القرآن» في عشرين مجلّداً، ذكره الشيخ منتجب الدين في «الفهرست»، وابن شهر آشوب في «معالم العلماء».

٤١ ـ قطب الدين سعيد بن هبة الراوندي، فقيه، عين، ثقة، له تصانيف عديدة، منها «خلاصة التفاسير» في عشر مجلّدات، وتفسير القرآن في مجلّدين، و«فقه القرآن في بيان آيات الأحكام» أيضاً في مجلّدين. توفّي عام ٥٧٣ هـ.

٤٢ ـ محمّد بن هارون المعروف والده بالكال، فاضل، جليل، فقيه، له كتب منها: «مختصر التبيان في تفسير القرآن» و «متشابه القرآن» و «اللحن الخفي واللحن الجلي»، ذكره الحرّ العاملي في «أمل الآمل». توفّي عام ٥٩٧ هـ.

٤٣ ـ محمّد بن منصور بن إدريس العجلي الحلّي، فاضل، فقيه، شيخ الفقهاء في الحلّة، صاحب «السرائر» وغيرها، له «مختصر التبيان» ذكره الخوانساري في «روضات الجنّات»، والقمّي في «الكنىٰ والألقاب». توفّي عام ٥٩٨ هـ.

٤٤ ـ محمّد بن أبي الخير الحمداني، عالم، مفسِّر، واعظ، له كتب، منها: «مفتاح التفسير» و«دلائل القرآن» وغيرهما، ذكره الشيخ منتجب الدين في «الفهرست».

٤٥ ـ علي بن موسى بن طاووس الحسني الحلّي، عالم، فاضل، زاهد، فقيه، وهو أشهر من أن يُذكر، له مصنّفات كثيرة، منها «سعد السعود» في تفسير آيات الذكر، ذكره الحرّ العاملي في «أمل الآمل» . توفّي عام ٦٦٤ هـ.

٤٦ ـ أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الحلّي، من مشايخ العلّامة وابن داود، فاضل، مجتهد، ورع، له مصنّفات، منها «شواهد القرآن» مجلّدان، ذكره ابن داود في رجاله. توفّي عام ٦٧٣ هـ.

٤٧ ـ العلّامة الحلّي الحسن بن يوسف مطهر، وهو أظهر من أن يُعرَّف، صاحب المصنّفات الكثيرة والمختلفة، وله في مجال التفسير مؤلّفات عديدة، منها «نهج الإيمان في تفسير القرآن» وهو ملخّص الكشّاف والتبيان وغيرهما، و«القول الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» كما ذكره هو ﷺ في خلاصته. توفّي عام ٧٢٦ هـ.

٤٨ ـ عبد الرزّاق أحمد الكاشي، فاضل، عارف، حكيم، معاصر للعلّامة، له مصنّفات عديدة، منها «السراج الوهّاج في تفسير القرآن» و«تأويلات القرآن»، ذكره الشيخ آقا بزرك في «الذريعة». توفّي عام ٧٣٠ هـ، وقيل: ٧٣٥ هـ.

٤٩ ـ محمّد بن محمّد الرازي البويهي، تلميذ العلّامة، وأُستاذ الشهيد الأوّل، فاضل، عالم، مفسِّر، له تفسيران: «تحفة الأشراف» وهو تفسير كبير، و«بحر الأصداف». توفّي عام ٧٦٦ هـ.

٥٠ ـ حيدر بن علي بن حيدر الحسيني الآملي، صاحب تفسير «المحيط

الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم»، ذكره الشيخ آقا بزرك في «الذريعة» وقال: رأيته في الخزانة الغروية، ثم ذكر: أنّ له ثلاث تفاسير أُخر: «التأويلات» و«جامع الأسرار» و«منتخب التأويل».

٥١ ـ أبو الفضل بن يوسف الديلمي الجيلاني، فاضل، عالم، مفسّر، له تصانيف، منها تفسير القرآن في مجلّدين ضخمين، ذكره الشيخ آقا بزرك في «الذريعة».

٥٢ ـ الفاضل المقداد بن عبد الله السيوري الحلّي، تلميذ الشهيد الأوّل، عالم، فقيه، محقّق، مفسِّر، له مصنّفات عديدة، منها تفسير «مغمضات القرآن»، ذكره الشيخ آقا بزرك في «الذريعة». توفّي عام ٨٢٦ هـ.

٥٣ ـ الحسن بن محمّد بن الحسين الاسترآبادي، تلميذ الفاضل المقداد، فاضل، عالم، له كتب، منها «معارج السؤول ومدارج المأمول» في تفسير آيات الأحكام، ذكره الشيخ آقا بزرك في «الضياء اللامع».

٥٤ ـ الشيخ عفيف الدين طيفور بن سراج الدين جُنيد، واعظ، مفسِّر، له تفسير اقتصر على الأحاديث المرويّة عن الأئمّة عليهم السلام، قد فرغ منه عام ٨٧٦ هـ، ذكره الشيخ آقا بزرك في «الذريعة».

٥٥ ـ المولىٰ حسين بن علي الواعظ الكاشفي، صاحب «جواهر التفسير لتحفة الأمير» ويقال له: «العروس» أيضاً، و«المواهب العليّة». توفّي عام ٩١٠ هـ.

٥٦ ـ المولىٰ حسين بن الخواجة شرف الدين الأردبيلي المعروف بالالهي، فاضل، عالم، متبحّر، له تفسير كبير لتمام القرآن الكريم في مجلّدين، يسمّىٰ بـ «تفسير الالهي»، وقد يسمّىٰ بـ «تفسير الأردبيلي»، ذكره الأفندي في «رياض العلماء»، والشيخ آقا بزرك في «الذريعة». توفّي عام ٩٥٠ هـ.

٥٧ ـ علم النجفي ابن سيف بن منصور الحلّي، فاضل، عالم، صاحب «كنز الفوائد» وهو المنتخب من كتاب «تأويل الآيات الباهرة»، ذكره الشيخ آقا بزرك في «إحياء الداثر».

٥٨ ـ أبو المحاسن الحسين بن الحسن الجرجاني، محدّث، مفسِّر، من مشاهير

الإمامية في القرن العاشر، صاحب «جلاء الأذهان في تفسير القرآن»، ذكره الأفندي في «رياض العلماء» وقال: هو كبير حسن الفوائد.

٥٩ ـ المقدس الأردبيلي أحمد بن محمّد النجفي، عالم، فاضل، فقيه، ثقة، جليل القدر، له مؤلّفات جيّدة، منها «زبدة البيان في شرح آيات أحكام القرآن»، ذكره الحرّ العاملي في «أمل الآمل» والسيد التفريشي في رجاله. توفّي عام ٩٩٣هـ.

٦٠ ـ غياث الدين الزواري، المعاصر للمحقّق الكركي، فاضل، مفسّر، ينسب إليه تفسير «گازر» المعروف. ذكره الشيخ آقا بزرك في كتبه.

٦١ ـ الأمير أبو الفتح بن محمّد الحسيني الجرجاني، فاضل، شاعر، مفسّر، صاحب «تفسير شاهي» وهو تفسير لآيات الأحكام في مجلّدٍ ضخمٍ، ذكره الشيخ آقا بزرك في «الذريعة». توفّي عام ٩٧٦ هـ.

٦٢ ـ محمد بن علي بن ابراهيم الاسترآبادي، عالم، فاضل، ثقة، محقّق في الرجال والرواية والتفسير، ذكره السيّد التفريشي في رجاله وقال: له كتب جيّدة، منها كتاب شرح آيات الأحكام. توفّي عام ١٠٣٦ هـ.

٦٣ ـ بهاء الدين محمّد بن الحسين العاملي، عالم، ثقة، جليل القدر، عديم النظير في زمانه في الفقه والحديث والمعاني والبيان، صاحب المصنّفات، منها «العروة الوثقىٰ في تفسير القرآن» و «عين الحياة» وغيرهما، ذكره الأفندي في «رياض العلماء». توفّي عام ١٠٣٠ هـ، وقيل: ١٠٣٥ هـ.

٦٤ ـ الشيخ جواد بن سعيد بن جواد الكاظمي، تلميذ الشيخ البهائي، فاضل، عالم، جليل القدر، له كتب، منها «مسالك الأفهام في شرح آيات الأحكام»، ذكره الأفندي في «رياض العلماء».

٦٥ ـ صدر المتألّهين محمّد بن ابراهيم الشيرازي، وهو أشهر من أن يوصف، صاحب المصنّفات، منها التفاسير العديدة، ذكره الأفندي في «رياض العلماء». توفّي عام ١٠٥٠ هـ.

٦٦ ـ المولىٰ محمّد رضا بن عبد الحسين النصيري الطوسي، محدّث، مفسِّر مشهور، صاحب «تفسير الأئمّة لهداية الأُمة» في ثلاثين مجلّداً، و«كشف الآيات» وغيرهما، ذكره الشيخ آقا بزرك في «الذريعة».

٦٧ ـ المولىٰ عبد الوحيد بن نعمة الله الواعظ الاستراباذي، تلميذ الشيخ البهائي، فاضل، عالم، فقيه، مفسِّر، صاحب المؤلّفات الكثيرة، منها كتاب «أسرار القرآن في تفسير الفرقان»، ذكره صاحب «رياض العلماء».

٦٨ ـ الشيخ فخر الدين بن محمّد بن علي بن طريح الرماحي النجفي المعروف بالطريحي، فاضل، عالم، جليل، صاحب المصنّفات العديدة، منها «كشف غوامض القرآن» و«غريب القرآن»، ذكرها صاحب «رياض العلماء». توفّي عام ١٠٨٥هـ.

٦٩ ـ المولىٰ تاج الدين الحسن بن محمّد الإصفهاني، والد الفاضل الهندي صاحب «كشف اللثام»، فاضل، عالم، له «البحر الموّاج في تفسير القرآن»، ذكره صاحب الروضات، والشيخ آقا بزرك في «الذريعة». توفّي عام ١٠٨٥ هـ.

٧٠ ـ المولىٰ محمّد بن مرتضى المشهور بالفيض الكاشاني، محدّث، فاضل، فقيه، صاحب الكتب العديدة، منها التفاسير الثلاثة المشهورة: «الصافي» و«المصفّىٰ» و«الأصفىٰ»، ذكرها الحرّ العاملي في «أمل الآمل» والأفندي في «رياض العلماء». توفّي عام ١٠٩١ هـ.

٧١ ـ الشيخ عبد علي الحويزي، أُستاذ المحدّث الجزائري، عالم، محدّث، له كتب، منها تفسير القرآن على هدىٰ روايات أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام، وهو من المجامع الكبيرة للتفسير بالأثر، ذكره الشيخ الحرّ العاملي في «أمل الآمل».

٧٢ ـ السيد هاشم بن سليمان الحسيني البحراني، فاضل، عالم، عارف بالتفسير والعربية والرجال، صاحب المؤلّفات الغزيرة والمصنّفات الكثيرة، منها «البرهان في تفسير القرآن» مشتمل على أخبار أهل البيت عليهم‌السلام، و«كتاب الهادي ومصباح النادي في تفسير القرآن» وهو كبير أيضاً، ذكره الحرّ العاملي في «أمل

الآمل»، والأفندي في «رياض العلماء». توفّي عام ١١٠٧ هـ أو ١١٠٩ هـ.

٧٣ ـ السيد نعمة الله بن عبد الله الحسيني الموسوي الجزائري، فقيه، محدّث، أديب، له كتب عديدة، منها «العقود والمرجان في تفسير القرآن» في ثلاث مجلّدات، وله أيضاً تفسير للقرآن كتبه على هامش القرآن يقرب من سبعين ألف بيت، ذكره الأفندي في «رياض العلماء»، والشيخ آقا بزرك في «الذريعة». توفّي عام ١١١٢ هـ.

٧٤ ـ محمد اسماعيل بن محمّد باقر الإصفهاني الخاتون آبادي، فاضل، مفسِّر، كان مدرّساً في الجامع العباسي بإصفهان، له كتاب تفسير كبير من أربعة عشر مجلّداً، ذكره الشيخ آقا بزرك في «الذريعة» عن «تذكرة القبور» للجزّي. توفّي عام ١١١٦ هـ.

٧٥ ـ محمّد بن محمّد رضا بن اسماعيل المشهدي، فاضل، عالم، فقيه، مفسِّر، صاحب «كنز الدقائق» في تفسير القرآن، ذكره الخوانساري في «روضات الجنّات» وقال: كتاب كبير في التفسير بأحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام. توفّي عام ١١٢٥ هـ.

٧٦ ـ علي بن الحسين العاملي، فاضل، نحوي، مفسِّر، له كتب، منها «الوجيز في تفسير القرآن العزيز»، وهو تفسير مزجيٌّ نافعٌ كافٍ في معرفة ما يتوقّف عليه فهم المعنى من وجوه الإعراب واختلاف القراءات، ذكره الشيخ آقا بزرك في «الذريعة».

٧٧ ـ أحمد بن الحسن بن علي الحرّ العاملي، أخو الشيخ الحرّ العاملي المعروف، فاضل، عارف بالتواريخ، له كتاب تفسير القرآن، ذكره أخوه في «أمل الآمل».

٧٨ ـ المولىٰ أبو الحسن بن الشيخ محمّد طاهر الفتوني النباطي العاملي، من أجداد صاحب «الجواهر» من طرف أُمّه، فاضل، عالم، مفسّر، له «مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار في تفسير القرآن» وقد يقال: «مشكاة الأنوار»، ذكره الشيخ آقا

بزرك في «الذريعة» وقال: هو تفسير جليل.

٧٩ ـ عبد الله الأفندي ابن عيسى التبريزي، جليل القدر، رفيع المنزلة عند السلطان العثماني آنذاك، وكان يخاطبه الملك تعظيماً وتكريماً له بالأفندي، فاشتهر به من بعدُ، صاحب «رياض العلماء» و«الأمان من النيران في تفسير القرآن»، ذكره الخوانساري في «روضات الجنّات»، والشيخ آقا بزرك في «الذريعة».

٨٠ ـ المولىٰ محمّد بن علي النجّار التستري، من تلاميذ المحدّث الجزائري، عالم، محدّث، مفسّر، خطيب، صاحب التفسير الكبير المسمّىٰ بـ «تفسير ابن النجّار» أو بـ «مجمع التفاسير»، ذكره الشيخ آقا بزرك في «الذريعة». توفّي عام ١١٤٠ هـ.

٨١ ـ الشيخ عبد النبي الطسوجي، تلميذ المقدس الجيلاني المشهدي، من مشايخ صاحب «الحدائق»، عالم، فاضل، مفسّر، له تفسير كبير ويحوي على نكات بديعة، ذكره الشيخ آقا بزرك في «الذريعة». توّفي عام ١١٦٠ هـ.

٨٢ ـ السيّد عبد الله بن محمّد رضا الحسيني الكاظمي، الشهير بشبّر، من أعيان فضلاء المتأخّرين ومحدّثيهم، فقيه، متتبّع، صاحب المؤلّفات الكثيرة في التفسير والحديث والفقه والأُصول وغيرها، له تفاسير ثلاثة للقرآن المجيد: كبير ووسيط وصغير، ذكره الخوانساري في «روضات الجنّات». توفّي عام ١٢٤٢ هـ.

٨٣ ـ المولىٰ محمّد جعفر الاسترآبادي المعروف بشريعتمدار، فاضل، عالم، مفسّر، له كتب، منها تفسيره المسمّىٰ بـ «تفسير محمّد جعفر الاسترآبادي»، ذكره الخوانساري في «روضات الجنّات»، والشيخ آقا بزرك في «الذريعة» وقال: والظاهر أنّه غير تفسيره الموسوم بـ «مظاهر الأسرار». توفّي عام ١٢٦٣ هـ.

٨٤ ـ السيّد محمّد مهدي بن محمّد جعفر الموسوي التنكابني، فاضل، محدّث، مفسّر، له كتب، منها «خلاصة التفاسير»، ذكره الشيخ آقا بزرك في «الذريعة».

٨٥ ـ الشيخ صالح بن محمّد البرقاني القزويني، عالم، فاضل، مفسّر، متبحّر، صاحب التفاسير: الكبير المسمّىٰ بـ «بحر العرفان» في سبعة عشر مجلّداً، والوسيط

في تسعة مجلّدات، والصغير في مجلّد واحد، ذكرها الشيخ آقا بزرك في «الذريعة». توفّي عام ١٢٧٥ هـ.

٨٦ ـ السيّد حسين بن رضا الحسيني البروجردي، فاضل، عالم بالرجال، صاحب «نخبة المقال» المشهور، له كتاب تفسير، ذكره الشيخ آقا بزرك في «الذريعة» وقال: خرج منه مجلّد كبير. توفّي عام ١٢٧٧ هـ.

٨٧ ـ الشيخ محمّد حسين بن باقر البروجردي، فاضل، عابد، صاحب «النصّ الجلي»، له تفسير كبير، وآخر يسمّىٰ بـ«أسرار التنزيل» اختاره من تفسيره، ذكره الشيخ آقا بزرك في «الذريعة». توفّي في نيف وثلثمائة بعد الألف.

٨٨ ـ العلّامة السيّد نور الدين العراقي، له «القرآن والعقل» في ثلاثة أجزاء. توفّي عام ١٣٤١ هـ.

٨٩ ـ العلّامة الشيخ محمّد جواد البلاغي، له «آلاء الرحمن في تفسير القرآن». توفّي عام ١٣٥٢ هـ.

٩٠ ـ السيّد علي بن الحسين الحائري، من تلاميذ المجدّد الشيرازي، له «مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر» في اثني عشر مجلّداً. توفّي عام ١٣٥٣ هـ.

٩١ ـ العلّامة السيّد محمّد مولانا، له «التفسير الوجيز». توفّي عام ١٣٦٣ هـ.

٩٢ ـ العلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائي، المفسِّر الكبير، له «الميزان في تفسير القرآن» في عشرين مجلّداً. توفّي عام ١٤٠٢ هـ.

٩٣ ـ العلّامة الشيخ محمّد جواد مغنية، الكاتب الكبير، له «الكاشف في تفسير القرآن» وغيره. توفّي عام ١٤٠٠ هـ.

٩٤ ـ المحقّق الكبير السيّد آية الله أبو القاسم الخوئي، له «البيان في تفسير القرآن» خرج منه جزء واحد. توفّي عام ١٤١٣ هـ. وغيرهم الكثير.

ترجمة المؤلّف:

هو أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي السبزواري الرضوي أو

المشهدي، أمين الدين أو أمين الاسلام.

والطبرسي نسبة الى طبرستان، فعن رياض العلماء: هي بلاد مازندران بعينها، وقد يعمّ بلاد جيلان لاشتراكهم في حمل الطبر (١).

قال ياقوت الحموي: الطبر ـ بالتحريك ـ هو الذي يشقق به الأحطاب وما شاكله بلغة الفرس، وأُستان: الموضع أو الناحية، كأنّه يقول: ناحية الطبر (٢). ثم ذكر سبب تسميتها بذلك فقال: سببه أنّ أكثر أهل تلك الجبال كثيرو الحروب، وأكثر أسلحتهم بل كلّها الأطبار، حتّى أنّك قل: إن ترى صعلوكاً أو غنيّاً إلّا وبيده الطبر صغيرهم وكبيرهم، فكأنّها لكثرتها فيهم سمّيت بذلك، ومعنى طبرستان من غير تعريب: موضع الأطباء (٣).

والرضوي والمشهدي نسبة الى مشهد الرضا عليه السلام؛ لأنّه قدس سره قد سكن فيها، ثم انتقل الى سبزوار سنة ٥٢٣ هـ، ومن ثم توفّي فيها ليلة النحر سنة ٥٤٨ هـ، وحُمِلَ نعشه الى المشهد المقدّس الرضوي، ودُفِن هناك في المقبرة بجانب الحرم الرضوي الشريف.

إطراء العلماء عليه :

كان قدس سره من جملة العلماء الأعلام الذين يشار إليهم بالبنان من العامّة والخاصّة:

فعن نقد الرجال للميرزا مصطفى التفريشي: أبو علي الطبرسي ثقة، فاضل، ديِّن، من أجلّاء هذه الطائفة (٤).

وعن فهرست الشيخ منتجب الدين بعد وصفه بالإمام: ثقة، فاضل، ديِّن، عين (٥).

وفي الوجيزة للمجلسي: ثقة جليل (٦).

---

(١) رياض العلماء: ج ٤ ص ٣٥٧.
(٢) معجم البلدان: ج ٣ ص ٥٠١.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نقد الرجال: ص ٢٦٦.
(٥) الفهرست: ص ١٤٤ رقم ٣٣٦.
(٦) الوجيزة: ص ٢٦٦.

وفي مستدرك الوسائل للمحدّث النوري: فخر العلماء الأعلام وأمين الملّة والإسلام، المفسِّر الفقيه الجليل الكامل النبيل[١].

وعن صاحب رياض العلماء أنّه قال بعد مدحه بعبارات الثناء: كان ﷺ وولده رضيّ الدين أبو نصر الحسن بن الفضل صاحب كتاب «مكارم الأخلاق»، وسبطه أبو الفضل علي بن الحسن صاحب «مشكاة الأنوار»، وسائر سلسلته وأقربائه من أكابر العلماء[٢].

وفي الروضات: الفاضل العالم المفسِّر الفقيه المحدِّث الجليل الثقة الكامل النبيل[٣].

وعن صاحب المقابس عند ذكر ألقاب العلماء: ومنها أمين الإسلام الشيخ الأجلّ الأوحد والأكمل الأسعد قدوة المفسِّرين وعمدة الفضلاء المتبحّرين، أمين الدين أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الطوسي السبزواري الرضوي، قدّس الله نفسه الزكية، وأفاض على تربته المراحم السرمدية[٤].

وعن لؤلؤة البحرين: وكان هذا الشيخ عالماً فاضلاً ثقةً جليل القدر في أصحابنا[٥].

وفي مجالس المؤمنين ما ترجمته: عمدة المفسِّرين أمين الدين ثقة الاسلام أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، كان من نحارير علماء التفسير[٦].

وفي كتاب «النقض» لعبد الجليل الرازي أنّه قال في معرض ذكره المفسِّرين من علماء الشيعة: عالم وأمين ومعتمد[٧].

وعن تاريخ بيهق لأبي الحسن علي بن زيد: الإمام الطبرسي، كان فريد عصره.... الخ، وقال: ولقد أنشأ في مرحلة شبابه الكثير من الأشعار، وقد أورد في

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٤٨٦.

(٢) رياض العلماء: ج ٤ ص ٣٤١.

(٣) روضات الجنّات: ج ٥ ص ٣٥٧.

(٤) مقابس الأنوار: ص ١٠.

(٥) لؤلؤة البحرين: ص ٣٤٦.

(٦) مجالس المؤمنين: ج ١ ص ٤٩٠.

(٧) النقض: ص ٣٠٤.

كتاب «الوشاح» بعضاً منها. ثم قال: وكان يُشار إليه في علوم الحساب والجبر والمقابلة[١].

وفي الأعلام للزركلي: أمين الدين أبو علي، مفسّر، محقّق، لغوي، من أجلّاء الإمامية[٢].

ثم إنّ هذا الرجل الذي خاض في ميدان التفسير وأحسن، وطلع على المسلمين بمجموعته التفسيرية الفاخرة التي شهد لها العامّة والخاصّة، وغاص في بحار هذا القرآن ـ الذي يتضمّن على الأُصول والمباني الفقهية للشريعة، ويشتمل على القوانين الأساسية للإسلام، ويحتوي على آياتٍ فيها العامّ والخاصّ والمطلق والمقيّد والمجمل والمبيّن والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ـ لابدّ أن يكون متضلّعاً بالعلوم الشرعية الأصلية منها والفرعية، ومتمكّناً في الفصل بين العامّ والخاصّ وبين المطلق والمقيّد وبين المجمل والمتشابه...، ومتبحّراً في ردّ الفروع الى الأُصول أو استنباط الفروع من الأُصول كما يظهر من بعض سطوره عند تفسيره آيات الأحكام، وهذا ما لا يخفىٰ على من اطّلع على مصنّفاته.

وصف قلمه الشريف:

اتّصف قلمه الشريف بمواصفات قلّما اتّصفت به أقلام المصنّفين المتقدّمين منهم والمتأخّرين، ممّا كان لها الدور الكبير في بروزه على معاصريه، وانطلاقه في عداد الممدوحين من الفريقين، فقد اتصف قلمه بالإنصاف والانحياد في ذكر الآراء أو ردّ الأقوال، وعدم التفريق بين أصحابها، سواء كان مخالفاً أو موافقاً، طالما كان صائباً ولا يخالف الحقّ والحقيقة، فتراه يأخذه بعين الاعتبار وليس له أيّ دافعٍ أو مصلحةٍ في تقديم أو تأخير أيٍّ من الأقوال.

فالزمخشري عالم يذهب في الأُصول الى المعتزلة ومبتنياتها، وفي الفروع الى الحنفية واستحساناتها، تراه ﷺ يذكره مع التبجيل والتعظيم لقلمه وكلامه، قال

---

(١) تاريخ بيهق: ص ٢٤٢. (٢) الأعلام: ج ٥ ص ١٤٨.

في مقدّمته لهذا الكتاب ـ جوامع الجامع ـ: وممّا حداني إليه وحثّني وبعثني عليه أن خطر ببالي وهجس بضميري، بل أُلقي في روعي محبّة الاستمداد من كلام جار الله العلّامة ولطائفه، فإنّ لألفاظه لذّة الجدّ ورونق الحداثة ... الخ.

مشايخه:

لا يخفىٰ على كلّ متتبّع لأحوال أيّ عالمٍ أو عَلَمٍ من أعلام أصحابنا بعد ملاحظة آثاره القيّمة وكتبه وأبحاثه العلمية يجعله يحدس أنّ هذا العَلَم كان قد ترعرع في أحضان أساتذة عظام، ممّا يدفعه قلمه إلى ذكر هؤلاء العظام، فمن أساتذة المترجَم له ومشايخه ممّن يروي عنهم:

١ ـ الشيخ الأجلّ الفقيه الثقة أبو علي الحسن بن محمّد بن الحسن الطوسي، ابن شيخ الطائفة، المعروف بالمفيد الثاني.

٢ ـ الشيخ أبو الوفاء عبد الجبّار بن عبد الله بن علي المقري الرازي، الملقّب بالمفيد الرازي.

٣ ـ الشيخ الأجلّ الثقة الحسن بن الحسين بن الحسن بن بابويه القمّي الرازي، جدّ الشيخ منتجب الدين.

٤ ـ الشيخ الفقيه الثقة موفّق الدين الحسن بن الفتح الواعظ البكرآبادي الجرجاني.

٥ ـ السيد أبو طالب محمّد بن حسين الحسيني الجرجاني.

٦ ـ الشيخ أبو الفتح عبد الله بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، روى عنه صحيفة الرضا عليه‌السلام المعروفة.

٧ ـ الشيخ الفاضل المحدّث أبو الحسن عبيد الله محمّد بن حسين البيهقي.

٨ ـ الشيخ جعفر بن محمّد الدوريستي، أحد تلاميذ الشيخ المفيد.

تلامذته:

ثم إنّ من تتبّع أحوال هذا العَلَم ومشايخه لابدّ أن يتعرّض الى من استقىٰ من

علمه، وتتلمذ عليه، وارتفع في دنيا العلم والدين، حتّى أصبح من نحارير الأصحاب وعلمائهم، فمن تلامذته:

١ ـ ولده الشيخ رضيّ الدين أبو نصر الحسن بن الفضل بن الحسن الطبرسي، صاحب «مكارم الأخلاق».

٢ ـ الشيخ رشيد الدين أبو جعفر محمّد بن علي بن شهر آشوب السروي، صاحب «مناقب آل أبي طالب».

٣ ـ الشيخ منتجب الدين أبو الحسن علي بن عبيد الله بن حسن بن حسين بن بابويه القمّي، صاحب «فهرست الرجال».

٤ ـ السيد ضياء الدين فضلَ الله بن علي بن عبيد الله الحسني الراوندي الكاشاني، صاحب «قصص الأنبياء».

٥ ـ الشيخ الفقيه والمفسِّر المحدّث قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي، المعروف بقطب الدين الراوندي، صاحب «الخرائج والجرائح».

٦ ـ السيّد الفاضل الأديب العالم شرف شاه بن محمّد الحسيني الأفطسي النيشابوري.

٧ ـ الشيخ الثقة أبو محمّد عبد الله بن جعفر بن محمّد الدوريستي.

٨ ـ الشيخ الجليل الثقة الفقيه أبو الفضل شاذان بن جبريل بن اسماعيل القمّي.

مصنّفاته :

لقد خلّف الشيخ المصنِّف تيّرُّ ثروةً علميةً تنبو على براعته في العلم والأدب والفنّ والنحو، وتفوّقه على أقرانه من أهل النظر والتحقيق، حتّى عُدّت آثاره الخالدة درّةً ناصعةً في جبين التاريخ، كما حكى عنه الفاضل النوري[1] بأنّ له

(١) مستدرك الوسائل: ج ٣ ص ٤٨٧.

مؤلّفات فائقة رائقة.

هذا بالأضافة الى ما امتازت به ـ أي مصنّفاته ـ من صفة التنوّع، إذ أنّه تَيِّنُ لم يغفل عن الكتابة والتحقيق في حقل العقائد والنحو والأدب والأخلاق والدعاء والسيرة والفلسفة طول مدّة حياته. فمن مصنّفاته:

١ ـ الآداب الدينية للخزانة المعينية، وهو كتابٌ فخمٌ في الأخلاق والآداب.

٢ ـ أسرار الإمامة، نسبه إليه بعض الأعلام، واستظهر صاحب الروضات أنّه لولده الحسن بن الفضل.

٣ ـ إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ، في فضائل أئمّة أهل البيت عليهم السلام وأحوالهم وآثارهم.

٤ ـ تاج المواليد.

٥ ـ جوامع الجامع، وهو الكتاب الماثل بين يديك.

٦ ـ الجواهر في النحو.

٧ ـ رسالة حقائق الأُمور في الأخبار.

٨ ـ شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، كما ذكره هو بنفسه في مجمع البيان ذيل آية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾[١].

٩ ـ عدّة السفر وعمدة الحضر.

١٠ ـ العمدة في أُصول الدين والفرائض والنوافل.

١١ ـ غنية العابد ومنية الزاهد.

١٢ ـ الفائق.

١٣ ـ كنوز النجاح في الأدعية المأثورة.

١٤ ـ الكاف الشاف من كتاب الكشّاف، وهو تفسير مختصر.

١٥ ـ مجمع البيان لعلوم القرآن، في عشر مجلّدات.

---

(١) الآية: ٦٧ من سورة المائدة.

١٦ ـ مشكاة الأنوار في الأخبار. قال صاحب الروضات: الظاهر أنّه غير «مشكاة الأنوار في غرر الأخبار» التي هي لسبطه الشيخ أبي الفضل علي بن الحسن بن الفضل، وهو كتاب ظريف يشتمل على أخبار غريبة.

١٧ ـ معارج السؤال.

١٨ ـ نثر اللآلي، وهي رسالة مختصرة مجموعة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام مرتّبة على حروف المعجم.

١٩ ـ النور المبين.

٢٠ ـ الوافي في تفسير القرآن على ما نُسب إليه.

٢١ ـ رواية صحيفة الرضا عليه السلام.

جوامع الجوامع:

هذا الكتاب ـ الذي بين يديك ـ هو من أشهر مؤلّفات الشيخ الطبرسي قدس سره بعد كتاب «مجمع البيان»، وقد سمّىٰ العلّامة المجلسي في مقدّمة بحار الأنوار[1] هذا الكتاب بـ «جامع الجوامع»، وهكذا ذكره الأفندي في رياض العلماء[2] عند تعرّضه لترجمة الطبرسي، لكن النسخ المعتمدة ذكرت أنّ اسمه «جوامع الجامع».

ثم إنّه قد وقع الخلاف بين أصحاب التراجم في أنّ هذا الكتاب هل هو «الكاف الشاف» أم غيره؟ أو هل هو «الوسيط» أم غيره؟

فقد ذكر ابن شهر آشوب في «معالم العلماء»[3] بأنّ تفسير مجمع البيان والكلام الشاف من كتاب الكشّاف فقط، وأمّا «جوامع الجامع» و«الوسيط» و«الوجيز» فلم يتعرّض لذكرها، ويمكن أن يقال: إنّه ذكر «الكلام الشاف» بدل «الكاف الشاف».

(١) بحار الأنوار: ج ١ ص ٦ الطبعة الحجرية.

(٢) رياض العلماء: ج ٢ باب الفاء، الفضل بن الحسن الطبعة الحجرية.

(٣) معالم العلماء: ص ١٢٣ رقم ٨٩٣.

وقال الشيخ منتجب الدين في «الفهرست»: له تصانيف، منها: مجمع البيان في تفسير القرآن عشر مجلّدات، الوسيط في التفسير أربع مجلّدات، الوجيز مجلّدة[١]. ولم يذكر «جوامع الجامع» ولا «الكاف الشاف».

وأمّا القاضي نور الله في «مجالس المؤمنين»[٢] فلم يتطرّق لذكر التفسير الكبير ولا الجوامع، لكنّه أشار الى تفسير ثالث مختصر ولم يذكر اسمه.

وقال السيّد مصطفى التفريشي في «نقد الرجال»: إنّ كتاب «مجمع البيان في تفسير القرآن» عشر مجلّدات، و«الوسيط في التفسير» أربع مجلّدات، و«الوجيز» مجلّدة[٣].

وقال الأفندي في «رياض العلماء»: ولعلّ المراد بالوسيط في التفسير هو تفسير «جامع الجوامع» المشهور، وبالوجيز «الكاف الشاف»، ويحتمل المغايرة، وقد يتوهّم أنّ «الكاف الشاف عن الكشّاف» هو بعينه كتاب «جامع الجوامع» حيث قال في أوّله: إنّه ملخّص من الكشّاف، ولكن الحقّ أنّه غيره[٤].

وينبغي الإشارة الى أنّ الشيخ المصنّف تَبِّئُ لم يذكر في طيّات كتابه «جوامع الجامع» أنّ هذا الكتاب هو تلخيص من الكشّاف، وإنّما ذكر في بداية مقدّمته عبارةً حول «الكاف الشاف»، ومضمونها: أنّ تفسير «الكاف الشاف» خلاصة من تفسير الكشّاف، وليس تفسير «جوامع الجامع».

وحول تفسير «جوامع الجامع» قال: «وممّا حداني إليه وحثّني وبعثني عليه أن خطر ببالي وهجس بضميري، بل أُلقي في روعي محبّة الاستمداد من كلام جار الله العلّامة ولطائفه، فإنّ لألفاظه لذّة الجدّة ورونق الحداثة، مقتصراً فيه على إيراد المعنى البحت، والإشارة الى مواضع النكت بالعبارات الموجزة والايماءات المعجزة ممّا يناسب الحقّ والحقيقة ويطابق الطريقة المستقيمة ...» فلا يستفاد بأيّ

(١) الفهرست: ص ١٤٤ رقم ٣٣٦.
(٢) مجالس المؤمنين: ج ١ ص ٤٩٠.
(٣) نقد الرجال للتفريشي: ص ٢٦٦.
(٤) رياض العلماء: ج ٤ ص ٣٤٢ الطبعة الحديثة.

وجهٍ من هذه العبارة بأنّ تفسير «جوامع الجامع» هو تلخيص لتفسير الكشاف.

وقال صاحب ريحانة الأدب: إنّ تفسير «الكـاف الشـاف» قـد أُلِّـف بـعد التفسيرين: «مجمع البيان» و«جوامـع الجـامع» وذلك بـطلبٍ مـن ولده الشـيخ حسن بن فضل وقد انتخبه منهما، أو بالعكس، أي أنّ تفسير «جوامع الجامع» قد أُلِّف بعد التفسيرين: «مجمع البيان» و«الكاف الشاف» وقد انتخبه منهما كما هو الظاهر، بل صريح كلام كتاب الذريعة(١).

والتحقيق في هذا نقول: إنّ الظاهر من كـلام الطـبرسي نـفسه ـمـن بـعض القرائن ـ أنـّه لم يؤلّف أكثر من ثلاثة تفاسير: «مجمع البيان»، و«الكاف الشاف» أو «الوجيز»، و«جوامع الجامع» أو «الوسيط».

وممّا لا شكّ فيه أنـّه ﷺ لم يشرع بتأليف أيّ تفسيرٍ قبل «مـجمع البـيان»، حيث قال في مقدّمته: وقد كنت في عهد ريعان الشباب حداثة السنّ وريان العيش ونضارة الغصن كثير النزاع، قلق التشوّق، شديد التشـوّف الى جـمع كـتابٍ فـي التفسير... إلى أن قال: وهلمّ جرّاً الى الآن وقد ذرف سنّي على الستين... الى أن قال: فحداني على تصميم هذه العزيمة ما رأيت من عناية مولانا الأمـير السـيّد الأجلّ... أبي منصور محمّد بن يحيىٰ بن هبة الله الحسيني... بهذا العـلم وصـدق رغبته في معرفة هذا العلم(٢).

فيُفهم ممن كلامه ﷺ أنـّه قبل سنّ الستين لم يكتب أيَّ تفسيرٍ، وفي هذه السنّ بدأ بتأليف «مجمع البيان».

وأمّا التفسير الثاني له فهو «الكاف الشاف»، وهو خلاصة لتفسير الزمخشري الموسوم بـ «الكشّاف»، وكان تأليفه بعد «مجمع البيان» وقبل «جوامع الجامع»، وهذا ما يفهم من كلامه في مقدّمة «جوامع الجامع» حيث قال: فإنّي لمّا فرغت من كتابي الكبير في التفسير الموسوم بـ«مجمع البيان لعلوم القرآن» ثم عثرت من بعدُ

(١) ريحانة الأدب: ج ٤ ص ٢٠.

(٢) مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ١٠.

بالكتاب «الكشّاف لحقائق التنزيل» لجار الله العلّامة، واستصلحت من بدائع معانيه وروائع ألفاظه ومبانيه ما لا يلقىٰ مثله في كتاب مجتمع الأطراف، ورأيت أن أسِمَه وأُسمِّيه بـ«الكاف الشاف»، فخرج الكتابان الى الوجود.

وأمّا التفسير الثالث له فهو هذا الكتاب «جوامع الجامع» وكان بطلبٍ من ولده، حيث اختاره من التفسيرين المتقدّمين، فقد قال في مقدّمته: اقترح عليَّ من حلَّ منّي محلّ السواد من البصر والفؤاد ولدي أبو نصر الحسن ـ أحسن الله نصره وأرشد أمري وأمره ـ أن أُجرّد من الكتابين كتاباً ثالثاً يكون مجمع بينهما ومحجر عينهما، يأخذ بأطرافها ويتّصف بأوصافهما، ويزيد بأبكار طرائف وبواكير لطائف عليهما. لكنّه استعفاه أوّل الأمر؛ لأنّ عمره جاوز السبعين وقد أخذه من الكِبَرِ عتيّاً، لكن أمام إلحاح الابن أجاب مطلبه ونفّذه بقوله: فلم أجد بُدّاً من صرف وجه الهمّة إليه، والإقبال بكلّ العزيمة عليه، وهممت أن أضع يدي فيه، ثمّ استخرت الله تعالى وتقدّس في الابتداء منه بمجموع مجمع جامع للكلم الجوامع، أُسمِّيه كتاب «جوامع الجامع»، ولا شكّ أنّه اسمٌ وفق للمسمّىٰ ولَفظٌ طبق للمعنىٰ.

ثم إنّه عاد وسمّاه بالوسيط في قوله: وأرجو أن يكون بتوفيق الله وعونه وفيض فضله ومنّه كتاباً وسيطاً خفيف الحجم كثير الغنم، لا يصعب حمله ويسهل حفظه ويكثر معناه وإن قلّ لفظه.

وعلى ضوء ما تقدّم يمكن أن يقال: إنّه ﷺ لم يؤلّف أكثر من هذه التفاسير الثلاثة المذكورة، وقد صرّح بكبر الأول وباختصار الثاني وأوسطية الثالث، وإنّه بسبب كبر سنّه وعجزه وضعفه بقوله في مقدّمة هذا الكتاب: فاستعفيته مرّة بعد أُخرىٰ؛ لما كنت أجده في نفسي من ضعف المنّة ووهن القوّة، فلقد ذرفت على السبعين سنيّاً، وبلغت من الكِبَرِ عتيّاً، وصرت كالحنية حنيّاً، واشتعل الرأس شيباً، وقاربت شمس العمر مغيباً، فأبى إلّا المراجعة فيه... الخ، فإنّه ﷺ بسبب كبره وشدّة ضعفه لم يستطع تأليف أي تفسير آخر لكي يضع له أي اسمٍ آخر.

ومن هنا يمكن الجزم أنّ التفسير الكبير هو «مجمع البيان»، والتفسير

المختصر هو «الكاف الشاف»، والتفسير الوسيط هو «جوامع الجامع» ولا غيرها.

سبب تأليفه:

ثم إنّه قدس سره قد ذكر سبب تأليف هذا الكتاب والباعث على تصنيفه من جراء إصرار ولده وإلحاحه عليه فيه، لكنّه مضافاً إليه كان هناك مشجّعاً آخر إليه، حيث يقول في مقدّمته: وممّا حداني إليه وحثّني وبعثني عليه أن خطر ببالي وهجس بضميري، بل أُلقي في روعي محبّة الاستمداد من كلام جار الله العلّامة ولطائفه... الخ.

مزايا هذا الكتاب:

لقد امتاز هذا التفسير بعدّة مزايا كان لها الأثر في انتخابه ككتاب درسي يستفاد منه في الحوزات الدينية الشيعية بل وغير الشيعية، ويمكن اختصارها بعدّة نقاط:

١ ـ أنّه تفسير وجيز، جمع فيه الشمولية من غير إطناب مملّ والاختصار من غير اقتصار مخلّ.

٢ ـ أنّه وسيط، خفيف الحجم كثير الغنم، لا يصعب حمله ويسهل حفظه، كما ذكره هو نفسه قدس سره في ثنايا مقدّمته.

٣ ـ أنّه جمع الى التفسيرِ اللغةَ والإعرابَ والنحوَ وبيانَ النظم وسببَ النزول والقراءة.

٤ ـ أنّه جمع فيه آراء الصحابة والتابعين بالإضافة الى مرويّات أهل البيت عليهم السلام.

٥ ـ أنّه بيّن فيه مواضع الخلاف مع ما ذهب اليه العامّة من جهة، ومع ما ذهب إليه الزمخشري من حيث اعتزاله من جهة أُخرىٰ.

وأمّا من ناحية امتيازه عن الكشّاف فيمكن تلخيصها ما يلي:

١ ـ الاختصار في كلامه، وحذف الموارد الزائدة والمواضع غير الضرورية فيه، إذ كثير من الموارد قد أطنب فيه صاحب الكشّاف وأطال، فسعى الشيخ المصنّف الى اختصار هذا الإطناب خدمةً للموضوع الذي يرىٰ فيه موضع فائدة للقرّاء.

٢ ـ في موارد اختلاف آراء الإمامية مع المعتزلة في تفسير الآية، فإنّه قدس سره يعدل عن رأي صاحب الكشّاف ويثبت ما يعتقده الحقّ.

٣ ـ إيراده بعض الروايات من طرق الخاصّة والتي لا توافق مذهب صاحب الكشّاف، بل كثير منها مخالف له.

منهج هذا الكتاب :

ولا يخفى أنّ هذا التفسير لم يرتّب على منهج «مجمع البيان». في تبويبه وترتيبه، وإنّما وضع على منهج الكشّاف في تسلسله الموضوعي،إذ تذكر في بداية المقال الآيات التى تتعلّق بالموضوع المدرج، ثمّ يؤتى بها مجزّأة ويتخلّلها الشرح لمعاني المفردات أو لمعنى الآية مجملة، ثمّ يذكر الأوجه الأدبية لتلك المعاني من الصرف والإعراب واللغة والاشتقاق والبلاغة والبيان....، وأحياناً الفقه والكلام، ثم ينقل الأقوال من دون تقسيم أو تنظيم، وهكذا حتّى يأتي على آخر الآيات.

منهجيّة التحقيق :

لا يخفىٰ على ذوي الخبرة في ميدان تحقيق الكتب والآثار القديمة بما يواجهه المحقّق من مصاعب شتّىٰ في مسيرة عمله التحقيقي، من الحصول على النسخ المعتمدة تارةً، ومطابقة هذه النسخ ومقابلتها مع بعضها من أجل تثبيت موارد الاختلاف والمواضع المضطربة أو المشوّهة أو الممزّقة في بعضها تارةً أُخرىٰ، فالحصول على نسخة مشتملة على كافّة الشرائط التي تجعل منها «معتمدة» والتي يمكن أن تُجرى عليها باقي مراحل العمل التحقيقي ليس بالأمر

السهل، وخصوصاً في الكتب التفسيرية التي تعتمد في بنى أساسها على اللغة والإعراب والصرف والنحو والأدب والشعر، ممّا يضع المحقّق في دوامة اللغة واشتقاقاتها ومترادفاتها، سيّما وأنّ الكتاب درسيّ؛ لأنّه سوف يغطّي مقداراً واسعاً من القرّاء المثقّفين، طلبةً كانوا أم أساتذة، ممّا يعطي مساحة كبيرة من المتابعة والتمحيص، وقوّة أكبر من الدقّة والانتباه لابتغاء المطلوب الذي جهدت اللجنة المكلّفة بكلّ ما وهبها الله سبحانه من قوّة على تحقيقه.

فقد حاولت هذه اللجنة أن لا تدّخر جهداً ممكناً إلّا وظّفته لخدمة هذا الكتاب الشريف، ولا سعياً مقدوراً إلّا يسّرته لإتمام هذا المشروع المبارك الذي عزمت هذه المؤسسة على إخراجه الى النور خدمةً للعلم وطَلَبته، فبادرت هذه اللجنة بتشكيل برنامج للعمل وعلى النحو الملخّص التالي:

١ ـ إحضار النسخ الخطّية منها والمطبوعة المتوفّرة باختلافاتها، ورصد تلك الاختلافات باجراء عملية مقابلة دقيقة، ثمّ تثبيت الضروري منها والمفيد على نسخة ملفّقة ومصحّحة، كانت هي الأساس الذي جرت عليها مراحل العمل المتلاحقة. ولا يفوتنا ذكر ما استفدناه في هذه المرحلة من النسخة التي قام بتصحيحها الأُستاذ أبو القاسم الگرجي.

٢ ـ قيام المجموعة باستخراج الموارد التالية:

(أ) الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المستشهد بها في المتن.

(ب) الأقوال الواردة، سواء المصرّح فيها اسم القائل أو ذُكِرَت بعنوان القيل، ونسب هذه الأقوال الى قائليها حسب تسلسل السلّم التاريخي، ابتداءً بالصحابة والتابعين ومروراً بالذين كتبوا في مصنّفاتهم التفسيرية، فأدرجوا فيها أقوالهم تارةً ومختارهم أُخرىٰ، وانتهاءً بالذين خاضوا هذا المضمار من اللغويّين وما أدرجوا في كتبهم من آراء ومختارات.

(ج) الأشعار والأرجاز المستشهدة بها في المتن، ونسبها الى قائلها إن عثرنا على مصدرٍ يؤيّد ذلك، مع الإشارة الى ذلك المصدر أو المصادر المعتمدة، وبيان

معناها ملخّصاً.

(د) أسامي الأعلام المشهورين المذكورين في المتن، وترجمة حياتهم ترجمة مختصرة، وقد أشرنا في الأثناء الى مصادر الترجمة.

(هـ) أسامي الأمكنة والبقاع المندرجة في ثنايا المتن، والعمل على ترجمتها باختصار غير مخلّ مع الإشارة الى المصادر التي اعتمدت في ترجمتها.

(و) الكلمات المبهمة والغامضة التي تحتاج الى توضيح، والسعي الى بيان معناها مع الإشارة الى المصادر.

٣ ـ إجراء تقويم للمتن وفق الحركات الإعرابية اللازمة، سواء للنصوص القرآنية أو الأحاديث الشريفة أو للشرح المتخلّل، وتقطيع المقاطع اللازمة والضرورية من أجل بيان التسلسل الموضوعي المدرج في الكلام.

٤ ـ كتابة النصّ القرآني طبقاً لرسم المصحف الشريف المطبوع في هذه المؤسسة، وهو على قراءة عاصم برواية حفص.

٥ ـ إجراء تنضيد حروف الكتاب ـ وفق الحروف الكمپيوترية ـ وحركاتها الإعرابية، وخاصّة نصوص القرآن الكريم، مع الالتزام برسم المصحف الشريف كما هو؛ حفاظاً على نهج القرآن وقداسة رسمه عبر الأجيال.

٦ ـ قيام مجموعتين من ضمن اللجنة المكلّفة بعهدة المقابلة بين المطبوع والأصل المعتمد وعلى مرحلتين:

الأُولىٰ: مقابلة المتن المشروح، وهو تارةً متابعة كلماته وحروفه، وأُخرى حركاته الإعرابية، ابتغاء أكبر قدر ممكن من الدقّة والضبط الصحيح.

الثانية: مقابلة النصوص القرآنية الواردة في متن الكتاب بكامل رسمها وحركاتها وسكناتها مع نسخة المصحف الشريف.

٧ ـ القيام بمهمّة النظرة الأخيرة على الكتاب، وذلك على نحوين:

(أ) ويشمل: متابعة المنصوص والمشروح من زاوية نظر أوسع، والإمعان في سياقها وتراكيبها الجملية، ومتابعة الأُمور الفنية المتعلّقة بالطبع والطبعة؛ حرصاً

على إخراجه بحلّةٍ قشيبةٍ باهرة.

(ب) الإشراف على وضع اللمسات الأخيرة، وتدوين الملاحظات الهامّة.

ولا يفوتنا ذكر ما استفدناه من خبرة وتجربة الأُستاذ المحقّق الألمعي الشيخ محمّد مهدي نجف دامت توفيقاته، وما أبدىٰ من توجيهات في جميع مراحل العمل في هذا السفر القرآني، جزاه الله خيراً.

وصف المخطوطات:

وقد اعتمدنا في تحقيقنا في هذه الطبعة على النسخ التالية:

١ ـ النسخة المحفوظة في خزانة المكتبة الوطنية «ملّي» بطهران تحت رقم ٦٢٤٨٢ مجهولة الناسخ والتاريخ؛ لتآكل بعض أوراقها وفقدان أجزائها، لكن في خاتمة الجلد الأول منها ذكر الناسخ تاريخ فراغه من نسخه، وصورته: «تم الجلد الأوّل من الجوامع بعون الله وحسن توفيقه يوم الاثنين رابع عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وستين وسبعمائة»، إذاً قد كُتبت هذه النسخة في القرن الثامن الهجري، وبالتحديد في النصف الثاني منه، أي أنّ تاريخ كتابة هذه النسخة متأخّر عن تاريخ تأليف الكتاب بحوالي ٢٢١ سنة. وعدد صفحاتها ٦٣٢ صفحة، ومن القطع الرحلي، وخطّها رديء، وتحوي على حواشٍ قد كُتبت بخطٍّ غير خطّ الناسخ.

٢ ـ النسخة المحفوظة في خزانة مكتبة كلّية الإلهيّات والعلوم الدينية تحت رقم ٥٦، وهي واحدة من مجموعة ما وقفه المرحوم آية الله العظمى السيّد المرعشي النجفي ﷺ لهذه المكتبة، وكاتب هذه النسخة هو محمّد سميع الخاوري، وفرغ منها يوم عيد الغدير من سنة ١١١١ هـ، وعدد صفحاتها ٣٧٤ صفحة، في كلّ صفحة ٢٣ سطراً، ومن القطع الرحلي.

٣ ـ النسخة المحفوظة أيضاً في خزانة مكتبة كلّية الإلهيّات والعلوم الدينية تحت رقم ٨١، وهي واحدة من مجموعة ما وقفته عائلة آل آقا، وكاتب النسخة هو محمّد حسن بن درويش علي أبردمي المشهدي، وقد فرغ منها في العاشر من

جمادى الثانية من سنة ١١١٩ هـ في المدرسة السميعية بخراسان، وعدد صفحاتها ٥٠٥ صفحة، في كلّ صفحة ٢١ سطراً.

٤ ـ النسخة المطبوعة على الحجر والتي قام بتحريرها محمّد حسين الگلپايگاني بطلبٍ من الحاج محمّد حسين الكاشاني، وقد أشرف على تصحيحها جمعٌ من علماء قم، وذلك في طهران سنة ١٣٢١ هـ. والنسخة من القطع الرحلي.

٥ ـ نسخة كتبت بخطّ الحاج طاهر خوشنويس، وبنفقة المرحوم الحاج آقا بالاكلاهي، وقد قام بتصحيحها وتحقيقها العالم الشهيد السيّد محمّد علي القاضي الطباطبائي بمساعدة بعض الفضلاء في شهر رجب سنة ١٣٧٩ هـ، وتمَّ الفراغ منها في شعبان سنة ١٣٨٣ هـ، وقد طُبعت في مطبعة مصباحي بطريقة الأُفست. ويذكر أنّ المحقّق قد كتب مقدّمةً مفيدةً في ٢١ صفحة في خصوص القرآن وتفسيره، وحول كتاب «جوامع الجامع» والطبعات المتقدّمة له، وترجمة حول المؤلّف ومصنّفاته. بلغ عدد صفحات هذه النسخة ٥٥٨ صفحة، وفي كلّ صفحة ٣٢ ـ ٣٤ سطراً.

اللّهمّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَعْتَصِمُ بَحَبْلِهِ، وَيَأْوِي مِنَ المـتَشَابِهَاتِ إلى حِـرْزِ مَـعْقلِهِ، وَيَهتَدِي بِضَوْءِ صَبَاحِهِ، وَيَسْتَصْبِحُ بِمِصْبَاحِهِ، وَلَا يَلْتَمِسُ الهُدَىٰ فِي غَيْرِهِ، بِـحَقِّ مُحَمدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينْ.

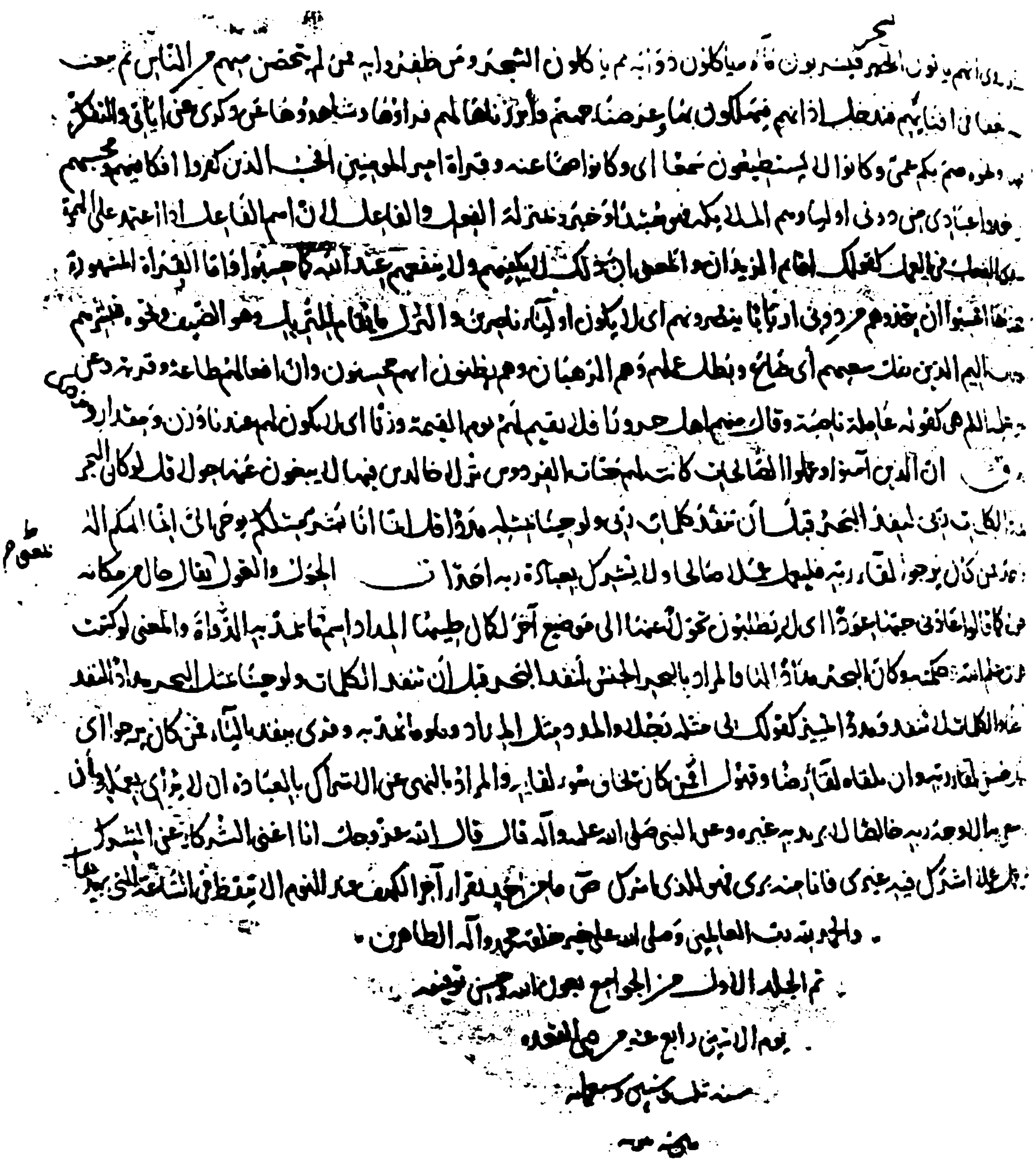

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين

تم المجلد الأول من الجوامع بعون الله وحسن توفيقه

يوم الاثنين رابع عشر من ذي القعدة

نموذج من الصفحة الأخيرة للمجلّد الأوّل

من النسخة المحفوظة في خزانة المكتبة الوطنية «ملّي» بطهران تحت رقم ٦٢٤٨٢

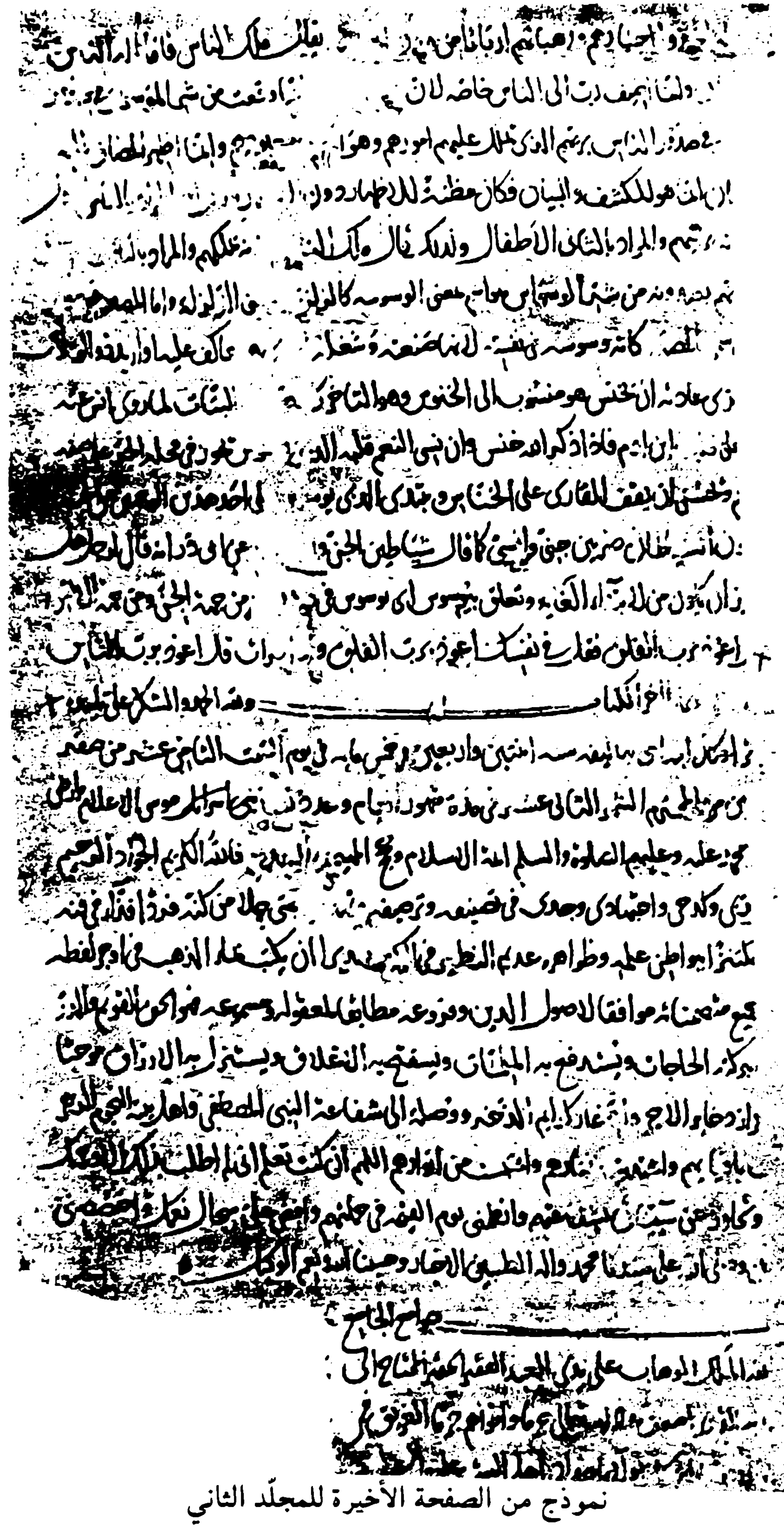

نموذج من الصفحة الأخيرة للمجلّد الثاني

من النسخة المحفوظة في خزانة المكتبة الوطنية «ملّي» بطهران تحت رقم ٦٢٤٨٢

نموذج من الصفحة الأخيرة للمجلّد الأوّل

من النسخة المحفوظة في خزانة مكتبة كلّية الالهيّات والعلوم الدُينية تحت رقم ٥٦

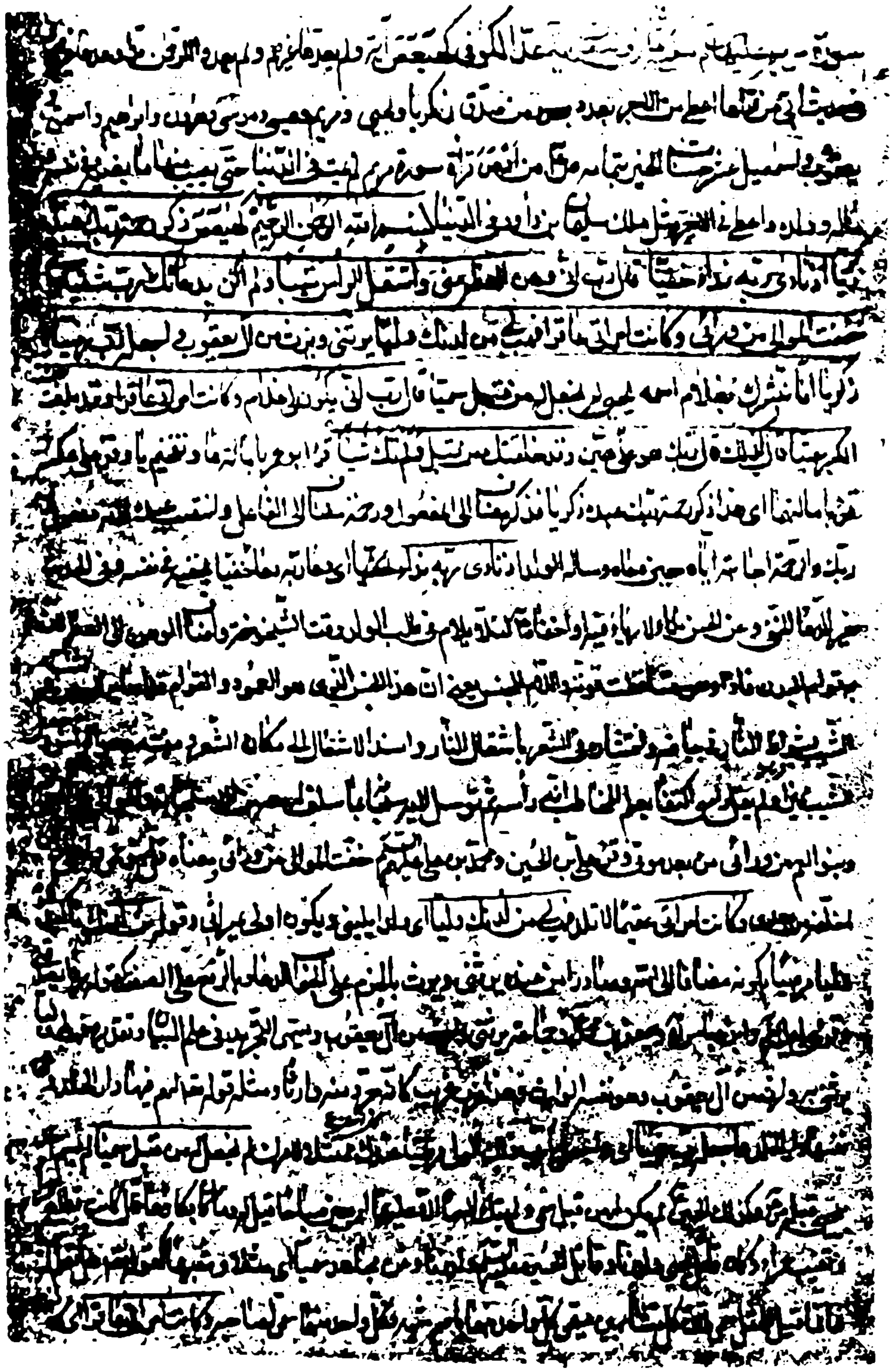

نموذج من الصفحة الأولى للمجلّد الثاني

من النسخة المحفوظة في خزانة مكتبة كلّية الالهيّات والعلوم الدينية تحت رقم ٨١

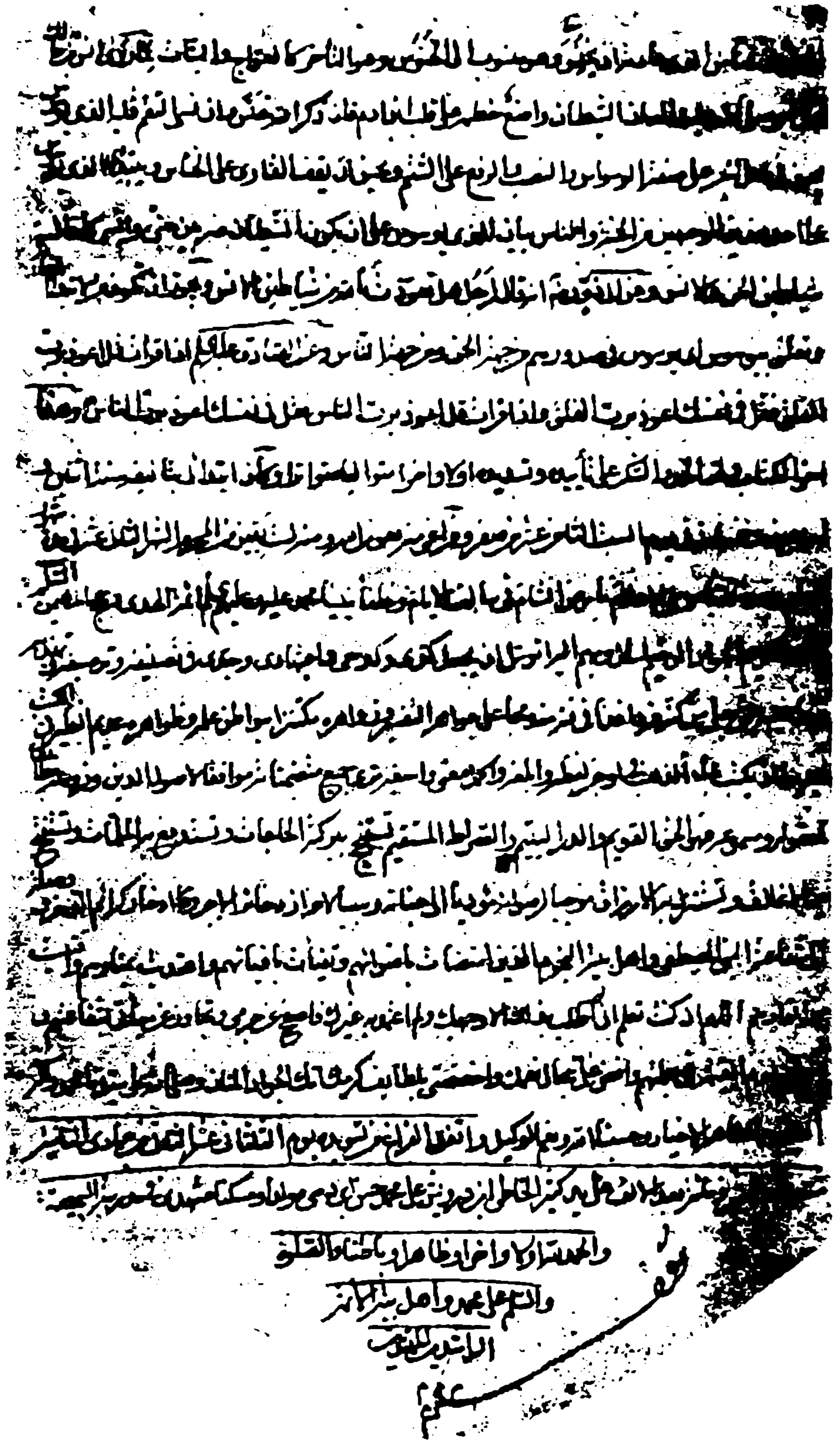

نموذج من الصفحة الأخيرة للمجلّد الثاني

من النسخة المحفوظة في خزانة مكتبة كلّية الالهيّات والعلوم الدينية تحت رقم ٨١

هذا
تفسير جوامع الجامع
للشيخ الجليل أمين الإسلام
الطبرسي طاب رمسه صاحب
مجمع البيان

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي اكرمنا بكتابه الكريم ومنّ علينا بالسبع المثاني والقرآن العظيم وما ضمّنه من الآيات والذكر الحكيم فهو النور الساطع
برهانه والفرقان الصادع تبيانه والمعجز الباقي على مرّ الدهور والحجة الثابتة بجليل العصور يهدي الى صالح القول والعمل ويجنّب من
الميل والزلل لا تمجّه الاسماع ولا تملّه الطباع معدن كل علم ومنبع كل حكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين نزل به الروح الامين
على خاتم النبيين ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين ثم الصلوة والسلم على الرسول الامين والنبي المكين محمد خير البشر وسيد النذر
اكرم النذر والمنتخب من اشرف المناصب والمنتجب من اعلى المناسب الذي سما بنموّ انتسابه الى عدنان ومضر وعلوّ قدره على كعب ولؤي
وبعترته ... خير النصحة ... فاسرته خير الاسر وشجرته اكرم الشجر وعترته افضل العتر صلى الله عليه وعلى اهل
بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا **اما بعد** فاني لما فرغت من كتابي الكبير في التفسير الموسوم بمجمع البيان
لعلوم القرآن ثم عثرت من بعد بالكتاب الكشاف لحقائق التنزيل لجار الله العلامة واستخلصت بلباب معانيه وروائع الفاظه ومبانيه
ما لا يلفى مثله في كتاب مجتمع الاطراف ورأيت ان اسميه ... الكافي الشافي فخرج الكتاب الى الوجود وقد ملك ازمة القلوب اذ حوى
من فنون العلم غاية المطلوب ... وبعد في استجماع جواهر الالفاظ وزواهر المعاني مداها فسابق الى الا
مثال وسرى في الاقطار مسير الجبال ... على من حلّ منه محل السواد من البصر والفؤاد ولدي ابو نصر الحسن احسن الله نصره
وارشد امره وامره ان اجرد من الكتابين كتابا ثالثا يكون مجمع بينهما ومحيط عليهما ياخذ باطرافهما ويتصف باوصافهما ويزيد بابكار
الطرائف وبواكر اللطائف عليهما فيحصل ما بين الثلاثة خيرها فان الكتب الكبار قد يشق على الشادي حملها ويثقل على الناقل نقلها
فاكثر ابناء الزمان يقصر همهم عن احتمال اعباء العلم المتعبة والاخوان في حيازة الكتب الطويلة فاستعفيته منه للضعف بعد الخوض لما
كنت اجده في نفسي من ضعف المنة ووهن القوة فلقد ذرفت على السبعين سنين وبلغت من الكبر عتيا وصرت كالحنية حنيا واشتعل
الرأس شيبا وقاربت مقر العمر معنيا فابى الا المراجعة فيه والعود والاستشفاع بمن لم استجز له الرد فلم اجد بدا من صرف عنان الهمة
اليه تالا لابناء الجيل العزيمة عليه وها انا اصنع بتوفيق الله تعالى في الابتداء منه بمجموع جامع للكلم الجوامع اسميته كتاب جوامع

نموذج من الصفحة الأولى للمجلّد الأوّل

من النسخة المطبوعة على الحجر والتي قام بتحريرها محمّد حسين الگلپايگاني

ولذلك قال برب الناس لانه يربيهم والمراد بالثاني الاطفال ولذلك قال ملك الناس لانه يملكهم والمراد بالثالث البالغون المكلفون

ولذلك قال اله الناس لانهم يعبدونه من شر الوسواس هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال

والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه او اريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت

الخفي والخناس الذي عادته ان يخنس وهو منسوب الى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روى انس عن النبي صلى الله عليه وآله

ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس وان نسي التقم قلبه الذي يوسوس يجوز في محله الجر على الصفة والرفع والنصب

على الشتم ويحسن ان يقف القاري على الخناس ويبتدئ الذي يوسوس على احد هذين الوجهين من الجنة والناس بيان للذي يوسوس

على ان الشيطان ضربان جني وانسي كما قال شياطين الجن والانس وعن ابي ذر انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس

ويجوز ان يكون من لابتداء الغاية ويتعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الانس وعن الصادق عليه السلام

اذا قرأت قل اعوذ برب الفلق فقل في نفسك اعوذ برب الفلق واذا قرأت قل اعوذ برب الناس فقل في نفسك اعوذ برب الناس **آخر الكتاب**

ولله الحمد والشكر على ما ايد ووفق بكرمه اولا واخرا متواليا متواترا وكان ابتدائي بالمبيضة [illegible] ووقع تمام تبييض

التسويد [illegible] وفرغت منه بعون الله ومنه لست بقين من المحرم الشهر الثاني عشر من [illegible] العام [illegible]

الاعلام [illegible] الف الاعوام من خلفائه نبينا محمد عليه وعلى عترته الائمة الاسلام [illegible] المهيمن السلام فها انا [illegible]

الرحيم [illegible] في تصنيفه [illegible] تهذيبه [illegible]

هذا [illegible] على جواهر التفسير وزواهره [illegible] علمه [illegible] النظر في الكتب جميعا ان يكتب بماء الذهب

في وجيز لفظ وابلغه واكمل معنى واسبغه [illegible] جميع [illegible] الاصول [illegible] المعقولة [illegible]

فهو الحق القويم والدر اليتيم والصراط المستقيم [illegible] الحاجات [illegible]

[illegible] الارزاق موجبا الرضوان مؤديا الى الجنان [illegible] الاجر [illegible] وصلى الله على النبي

المصطفى واهل بيته النجوم الزهراء [illegible]

اللهم ان كنت تعلم [illegible] فاصفح

عن جرمي وتجاوز عن [illegible] يوم القيمة

[illegible]

[illegible] الكريم [illegible]

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الطيبين الاخيار

وعلى [illegible]

[illegible] الحاج [illegible] الحاج محمد حسين [illegible] كاشاني [illegible]

[illegible]

[illegible]

نموذج من الصفحة الأخيرة للمجلّد الثاني

من النسخة المطبوعة على الحجر والتي قام بتحريرها محمّد حسين الگلپايگاني

﴿ سورة فاتحة الكتاب مكية سبع آيات ﴾

بلاخلاف الا ان اهل مكة والكوفة عدوا ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ① آية من الفاتحة وغيرهم عدوا انعمت عليهم آية وذكر عن ابن عباس انه قال من ترك بسم الله الرحمن الرحيم فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله تعالى وعن الصادق عليه السلام انه سئل عن قوله تعالى سبعا من المثاني فقال عليه السلام هي سورة الحمد وهي سبع آيات منها بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ايما مسلم قرأ فاتحة الكتاب اعطي من الاجر كانما قرأ ثلثي القرآن واعطي من الاجر كانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وعن جابر بن عبد الله عنه انه قال هي شفاء من كل داء الا السام والسام الموت بسم الله الرحمن الرحيم اصل الاسم سمو لان جمعه اسماء وتصغيره سمي الله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بقطع الهمزة كما يقال يا اله ومعناه انه الذي يحق له العبادة وانما حقت له العبادة لقدرته على اصول النعم فهذا الاسم مختص بالمعبود بالحق لا يطلق على غيره وهو اسم غير صفة لانك تصفه فتقول الا له الواحد ولا تصف به فلا تقول شيء اله والرحمن فعلان من رحم كغضبان والرحيم فعيل منه كعليم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل الرحمن بجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين خاصة، وروي عن الصادق انه قال الرحمن اسم خاص بصفة عامة والرحيم اسم عام بصفة خاصة وتعلقت الباء في بسم الله بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ فيختص اسم الله بالابتداء به كما يقال للمعرس بالیمن والبركة بمعنی اعرست وانما قدر المحذوف متاخرا لانهم يبتدئون بالاهم عندهم ويدل على ذلك قوله بسم الله مجريها ومرسيها .

﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ② الحمد والمدح اخوان وهو الثناء على الجميل من نعمة وغيرها واما الشكر فعلى النعمة خاصة والحمد باللسان وحده والشكر يكون بالقلب باللسان وبالجوارح ومنه قوله عليه السلام الحمد راس الشكر والمعنى في كونه راس الشكر ان الذكر باللسان اجلى واوضح وادل على مكان النعمة واشيع للثناء على موليها من الاعتقاد وعمل الجوارح ونقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفران وانما عدل بالحمد عن النصب الذي هو الاصل في كلامهم على انه من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة كقولهم شكرا وعجبا ونحو ذلك الى الرفع على الابتداء لله للدلالة على ثبات المعنى واستقراره دون تجدده وحدوثه في نحو قولك احمد الله حمدا ومعناه الثناء الحسن الجميل والمدح الكامل الجزيل للمعبود المنعم بجلائل النعم المنشئ للخلائق والام والرب السيد المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن يقال ربه يربه فهو رب ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وتقيد في غيره فيقال رب الدار ورب الضيعة والعالم اسم لاولي العلم من الملائكة والثقلين وقيل هو اسم لما يعلم به الصانع من الجواهر والاجسام والاعراض وجمع بالواو والنون وان كان اسما غير صفة لدلالته على معنى العلم وليشمل كل جنس مما سمي به ﴿الرحمن الرحيم﴾ ③ مر معناهما ﴿مالك يوم الدين﴾ ④ من قرأ ملك فلان الملك يعم والملك يخص ولقوله سبحانه ملك الناس ومن قرأ مالك بالالف فهو اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع اجرى الظرف مجرى المفعول به والمعنى على الظرفية والمراد مالك الامر كله في يوم الدين وهو يوم الجزاء من قولهم كما تدين تدان وهذه الاوصاف التي هي كونه سبحانه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته وكونه منعما بالنعم المتوافرة الباطنة والظاهرة وكونه مالكا للامر كله في الدار الآخرة بعد الدلالة على اختصاص الحمد به في قوله الحمد لله فيها دلالة باهرة على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ ⑤ ايا ضمير منفصل للمنصوب والكاف والهاء والياء اللاحقة به في اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب اذ هي حروف عند المحققين وليست باسماء مضمرة كما قال بعضهم وتقديم المفعول انما هو لقصد الاختصاص والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة والعبادة

نموذج من الصفحة الأولى للمجلّد الأوّل

من النسخة المكتوبة بخطّ الحاج طاهر خوشنويس

المفسرين من الشيعة عموماً وفي حق تفسير هذا الامام خصوصاً ليس الا على نزعة التعصب البغيض وما كتبه الا على العصبية العمياء
وعلى العناد والبغضاء، وهو يحسب ان من المسلمين من لم يكن سنياً متعصباً فهو من الهالكين وفي عقائده من الضالين ولو كان في
اتباعه على عقائده تابعاً للدليل والبرهان وعلى ضوء القطع واليقين وقال في حق المصنف : « واذا كان لنا بعض المآخذ عليه
فهو تشيعه لمذهبه انتصاره له وحمله لكتاب الله على ما يتفق وعقيدته الخ » .

فنقول : اذا كان لنا بعض المآخذ على هذا الاستاذ فهو تعصبه لمذهب تسننه وانتصاره له وحمله لكتاب الله على ما يتفق وعقيدته الخ
فانت ايها القارئ العزيز جد خبير بان ما الف على نزعة التعصب والعناد لا ينبغي لفت النظر اليه والاعتداد ولا يعبأ بكلماته وآرائه
والاعتناء بشأنه وكلماته ولا يليق بالاهتمام برده ودحض شبهاته فان من الف كتاباً ورصف مقالاً ولم يكن باحثاً حراً مجانباً عن
الاعتساف في بحوثه وتحليلاته ومثقفاً منصفاً في نقوده وردوده وانتقاداته واعمته العصبية الشوهاء عن طريق العدل والانصاف
ولم يجتنب عن التخيلات والشطحات فهو بالاعراض عن التعرض لكلماته لحقيق وبالصفح عن نقل شبهاته ودحضها اولى فان (عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ
الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)

ونسأل الله تعالى ان يرزق الامة الاسلامية قاطبة الضبط والوحدة ونبذ العداء والخصومة حتى يكونوا يداً واحدة على من
سواهم ان شاء الله تعالى .

وقد وفقنا الله تعالى لاتمام تصحيح هذا التفسير القيم وتحقيقه في شهر ذي القعدة الحرام سنة (١٣٨٢) هـ ق في تبريز قاعدة
آذربيجان = ايران .

وانا العبد : محمد علي بن محمد باقر بن محمد علي بن محمد محسن بن عبد الجبار بن العالم الرباني
آية الله العظمى السيد ميرزا محمد مهدي القاضي الطباطبائي التبريزي
قدس الله ارواحهم واعلى في الجنان مقامهم

بسمه تعالى

الحمد لله الذي من علينا بتوفيقه وكرمه حتى صرفنا اجل عنايتنا مدة من الزمن لدى سماحة استاذنا العلامة الحجة آية الله السيد محمد علي القاضي
الطباطبائي ادام الله ظله ومتعنا بطول حياته وبقائه وحضرنا مجلسه الشريف بذلنا جهودنا في عرض هذا التفسير ومقابلته مع النسخ
المخطوطة وكان اهتمامه وبذل جهوده ادام الله بركاته في تصحيح هذا التفسير واتقانه وحسن ابرازه الى الملأ العلمي
والعالم الاسلامي بحيث يخولنا ان نقول ان تحمله المشقات الكادحة في هذا السبيل لا ينقص من
تأليف اصل الكتاب وتنسيقه وترصيفه فلله دره وعليه اجره ولا حول ولا قوة
الا بالله وعليه توكلنا واليه انبنا واليه المصير .
(١٤ ربيع الثاني = ١٣٨٣ هـ ق .)
العبد علي اكبر فيضي - [illegible]

(بخط اقل العباد طاهر خوشنويس ابن المرحوم الحاج عبد الرحمن في شهر شعبان المعظم ١٣٨٣)

نموذج من الصفحة الأخيرة للمجلّد الثاني
من النسخة المكتوبة بخطّ الحاج طاهر خوشنويس

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله الَّذي أكرمنا بكتابه الكريم، ومنَّ علينا بالسبع المثاني (١) والقرآن العظيم، وما ضمَّنه من الآيات والذكر الحكيم، فهو النور الساطع برهانه، والفرقان الصادع (٢) تبيانه، والمعجز الباقي علىٰ مرّ الدهور، والحجَّة الثابتة سجيس (٣) العصور، يهدي إلى صالح القول والعمل، ويثبت من الميل والزلل، لا تمجُّه (٤) الأسماع، ولا تملّه الطباع، معدن كلّ علم ومنبع كلّ حكم، وشفاءٌ لما في الصدور، وهدىً ورحمةً للمؤمنين، نزل به الروح الأمين علىٰ خاتم النبيّين ليكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين.

ثمَّ الصلاة والسلام على الرسول الأمين والنبيّ المكين، محمَّد خير البشر، وسيّد البُشُر (٥)، وأكرم النُّذُر، المنتجب من أشرف المناصب، المنتخب من أعلى

---

(١) وهي من أسماء سورة الفاتحة، سمِّيت بالسبع لأنّها سبع آيات بالاتفاق بين قرّاء الكوفة والبصرة ومكة والمدينة والشام وفقهائها، وبالمثاني لأنّها تثنّىٰ بقراءتها في كل صلاة فرض ونفل، ففي تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩ ح ٣ باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعاً مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ قال: «هي سورة الحمد وهي سبع آيات ... وإنّما سمّيت المثاني لأنّها تثنّىٰ في الركعتين».

(٢) الصادع: الفارق بين الحقّ والباطل، أو المظهر. (القاموس المحيط: مادة صدع).

(٣) سجيس: أي أبداً. (القاموس المحيط: مادة سجس).

(٤) تمجّه: أي ترميه وتقذفه وتستكرهه. (القاموس المحيط والصحاح: مادة مجج).

(٥) البُشُر ـ بضمتين ـ: جمع البشير. (لسان العرب: مادة بشر).

المناسب، الّذي سما بسموّ انتسابه اسم عَدْنَانَ[١] وَمُضَرَ[٢]، وبعلوّ قدره علا كَعْبُ كَعْبٍ وكَبُرَ[٣]، وبنضرة جاهه وَجْهُ ٱلنضْرِ نَضَرَ[٤]، وبرفعة أَمره استمرَّ أَمر مُرَّةَ وأَمِرَ، فأُسرته خير الأُسَرِ، وشجرته أكرم الشجر، وعترته أَفضل العِتَرِ، صلّى الله عليه وعلى أَهل بيته الّذين أَذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً.

أَمّا بَعدُ، فإِنّي لمّا فرغت من كتابي الكبير في التفسير الموسوم بـ«مجمع البيان لعلوم القرآن»، ثمَّ عثرت من بعد بالكتاب الكشّاف لحقائق التنزيل لجارالله[٥]

---

(١) هو أحد من تقف عندهم أنساب العرب، والمؤرّخون متّفقون علىٰ أنه من أبناء إسماعيل بن إبراهيم، والىٰ عدنان ينتسب معظم أهل الحجاز. ولد له معد، وولد لمعد نزار، ومن نزار ربيعة ومضر، وكثرت بطون هذين، فكان من ربيعة: بنو أسد وعبد القيس وعنزة وبكر وتغلب ووائل والأراقم والدؤل وغيرهم كثيرين، وتشعّبت قبائل مضر شعبتين عظيمتين: قيس عيلان بن مضر، وإلياس بن مضر. فمن قيس عيلان: غطفان وسُليم، ومن غطفان: بغيض وعبس وذبيان وما يتفرع منهم، ومن سُليم: بُهثة وهوازن. وأمّا إلياس فمن بنيه: تميم وهذيل وأسد وبطون كنانة، ومن كنانة: قريش، وانقسمت قريش فكان منها: جمح وسهم وعديّ ومخزوم وتيم وزهرة وعبدالدار وأسد بن عبدالعزىٰ وعبد مناف، وكان من عبد مناف: عبد شمس ونوفل والمطلب وهاشم، ومن هاشم: رسول الله صلى الله عليه وآله والعباسيّون، ومن عبد شمس: بنو اُمية. وانتشرت بطون عدنان في أنحاء الحجاز وتهامة ونجد والعراق ثم اليمن. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا انتسب فبلغ عدنان يمسك، ويقول: كذب النسّابون، فلا يتجاوزه. (طرق الأصحاب: ص ١٤، وتاريخ الطبري: ج ٢ ص ١٩١، وجمهرة الأنساب: ص ٨ وبعدها).

(٢) مضر بن نزار بن معد بن عدنان، من سلسلة النسب النبوي، من أهل الحجاز، قيل: إنّه أوّل من سنّ الحداء للإبل في العرب، وكان من أحسن الناس صوتاً، أمّا بنوه فهم أهل الكثرة والغلبة في الحجاز، من دون سائر بني عدنان، كانت الرياسة لهم بمكة والحرم. (سبائك الذهب: ص ١٨، وتاريخ الطبري: ج ٢ ص ١٨٩، والكامل لابن الأثير: ج ٢ ص ١٠، ومعجم قبائل العرب: ص ١١٠٧).

(٣) كبر ـ بضم الباء ـ: ضد صغر، وبفتحها: زاد. (القاموس المحيط: مادة كبر).

(٤) نضر: حَسُنَ ونَعُمَ. (القاموس المحيط: مادة نضر).

(٥) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمّد بن عمر الخوارزمي الحنفي المعتزلي، وجار الله لقبٌ لقّب به؛ لأنّه سافر إلى مكة وجاور بها زماناً حتّىٰ عُرف بهذا اللقب واشتهر به، وصار كأنه علم عليه، ولد في رجب سنة ٤٦٧ هـ بزمخشر، وهي قرية من قرىٰ خوارزم، وقدم ←

العلاَّمة، واستخلصت[١] من بدائعِ معانيه وروائع أَلفاظه ومبانيه مالا يلفىٰ مثله في كتاب مجتمع الأَطراف، ورأَيت أَن أَسِمَهُ وأُسمّيه بالكاف الشاف، فخرج الكتابان إِلى الوجود، وقد ملكا أَزِمَّة القلوب، إِذ أَحرزا من فنون العلم غاية المطلوب، وجادت جدواهما، وتراءَت ناراهما، وبعُد في استجماع جواهر الأَلفاظ وزواهر المعاني مداهما، فسارا[٢] في الأَمصار مسير الأَمثال، وسريا في الأَقطار مسرى الخَيال، اقترح عليَّ من حَلَّ مِنِّي مَحلَّ ٱلسواد من البصر والسويداء من الفؤاد، ولدي أَبو نصر الحسن ـ أَحسن الله نصره وأَرشد أَمري وأَمره ـ أَن أُجرّد من الكتابين كتاباً ثالثاً يكون مجمع بينهما ومَحْجِر[٣] عينهما، يأْخذ بأَطرافهما ويتّصف بأَوصافهما، ويزيد بأَبكار الطرائفَ وبواكير[٤] اللطائفَ عليهما، فيتحقَّق ماقيل: إِنَّ الثالث خَيْرٌ، فإِنَّ الكتب الكبار قد يشقُّ على الشادي[٥] حملها ويثقل على الناقل نقلها، فأَكثر أَبناءِ الزمان تقصر هممهم عن احتمال أَعباءِ[٦] العلوم الثقيلة والإِجراء في حَلَباته[٧] المديدة الطويلة، فاستعفيته من ذلك مرَّة بعد أُخرى لما كنت أَجده في نفسي من ضعف المُنَّة[٨] ووهن القوَّة، فلقد ذرَّفت[٩] على السبعين سنيّاً، وبلغت من الكِبَر عتيّاً، وصرت كالحنيَّة حنيّاً[١٠]، واشتعل الرأْس

← بغداد ولقي الكبار وأخذ عنهم، كانت وفاته ليلة عرفة سنة ٥٣٨ هـ بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة. (وفيات الأعيان: ج ٤ ص ٢٥٤، وشذرات الذهب: ج ٤ ص ١٢١، وطبقات المفسّرين للسيوطي: ص ٤١).

(١) في نسخة: استصلحت. (٢) في نسخة: فصارا.

(٣) المحجر من العين: مادار بها وتحرّك. (القاموس المحيط: مادة حجر).

(٤) الباكورة: أوّل مايدرك من الفاكهة أو أوّل كلّ شيء. (القاموس المحيط: مادة بكر).

(٥) الشادي: الآخذ بطرفٍ من الأدب أو العلم. (القاموس المحيط: مادة شدى).

(٦) الأعباء: الأثقال والأحمال. (القاموس المحيط: مادة عبأ).

(٧) الحلبة: الدفعة من الخيل في الرهان، وخيل تجتمع للسباق. (لسان العرب: مادة حلب).

(٨) المنّة: القوة. (لسان العرب: مادة منن).

(٩) ذرّف ـ بالتشديد ـ: زاد. (القاموس المحيط: مادة ذرف).

(١٠) حناه: عطفه، والحنيّة: القوس. (القاموس المحيط: مادة حنى).

شيباً، وقاربت شمس العمر مغيباً، فأبى إلّا المراجعة فيه، والعود والاستشفاع بمن لم أستجز[١] له الردّ فلم أجد بُدّاً من صرف وجه الهمّة إليه والإقبال بكلّ العزيمة عليه، وهممت أن أضع يدي فيه، ثمّ استخرت الله تعالىٰ وتقدّس في الابتداء منه بمجموع مجمع جامع للكلم الجوامع، أُسمّيه كتاب «جوامع الجامع»، ولاشكّ أنّه اسم وَفق للمسمّى ولفظ طِبق للمعنىٰ، وأرجو أن يكون بتوفيق الله وعونه وفيض فضله ومنّه كتاباً وسيطاً خفيف الحجم، كثير الغُنم، لا يصعُب حمله، ويسهل حفظه، ويكثر معناه وإن قلّ لفظه، يروع[٢] موضوعه، ويروق مسموعه، ينظم وسائط القلائد، ويحوي بسائط الفوائد، ويستضيءُ العلماءُ بغرره ودرره، ويفتقر الفضلاءُ إلى فِقَره، فيكتب[٣] علىٰ وجه الدهر، ويعلّق في كعبة المجد والفخر.

وممّا حداني إليه وحثّني وبعثني عليه، أن خطر ببالي وهجس بضميري، بل أُلقي في روعي[٤] محبّة الاستمداد من كلام جار الله العلّامة ولطائفه، فإنّ لألفاظه لذّة الجدّة ورونق الحداثة، مقتصراً فيه علىٰ إيراد المعنى البحت، والإشارة إلىٰ مواضع النكت، بالعبارات الموجزة والإيماءات المعجزة، ممّا يناسب الحقّ والحقيقة ويطابق الطريقة المستقيمة.

وإذا ورد في أثناءِ الآيات شيءٌ قد تقدّم الكلام في نظيره، أُعوّل في أكثره على المذكور قبلُ، إيثاراً للإيجاز والاختصار.

وأنا أسألُ الله الكريمَ المنّانَ مستشفِعاً إليه بمحمّد المصطفى وآله مصابيح الإيمان ومفاتيح الجِنانِ، عليه وعليهم الصلاة والسلامُ ما اختلف الضياءُ والظلامُ، أن يجعل وكدي[٥] وكدّي في تأليفه مع تخاذل الأعضاءِ وتواكل الأجزاءِ موجِباً لغفرانِه، وَمُؤَدّياً إلىٰ رضوانه، ويَمُنَّ بالتسهيل والتيسير، فإنّ تيسيرَ العسيرِ عليه جلّت قدرتُه يَسيرٌ، وهو على مايشاءُ قديرٌ، نِعْمَ المولىٰ ونِعْمَ النصير.

۞ ۞ ۞

---

(١) في نسخة: استحسن.
(٢) يروع: يُعجِب. (لسان العرب: مادة روع).
(٣) في نسخة: فليكتب.
(٤) الروع: القلب. (القاموس المحيط: مادة روع).
(٥) الوكد بالضم: الفعل، وبالفتح: المراد والهمّ والقصد. (القاموس المحيط: مادة وكد).

سورة الفاتحة

مكيّة سبع آيات بلا خِلافٍ، إلّا أنَّ أَهـل مكّـة والكـوفة عـدُّوا ﴿بِسْـمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ آية من الفاتحة، وغيرهم عدُّوا ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية.

ورُوِيَ عن ابن عبّاس [١] أَنـّه قال: مَنْ ترك ﴿بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فقد ترك مِائةً وأَربع عشرة آيةً مِن كتاب الله تعالى [٢].

وعن الصادق عليه السلام أَنـّه سُئِلَ عن قـوله تـعالى: ﴿سَـبْعاً مِّـنَ ٱلْـمَثَانِى﴾ [٣]، فقال عليه السلام: «هي سورة الحمد، وهي سبع آياتٍ منها بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ» [٤].

---

(١) هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن مناف الهاشمي المكي، ابن عمّ النبي صلى الله عليه وآله، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، وسمع النبي صلى الله عليه وآله وروىٰ عن جماعة من الصحابة، روىٰ عنه: سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، وجماعة من التـابعين، وروي أنـّـه دعـا له الرسول صلى الله عليه وآله: «اللّهمّ علّمه التأويل وفقّهه في الدين». توفّي بالطائف سنة ثمان وستين، وقيل: تسع وستين. (طبقات المفسّرين للداودي: ج ١ ص ٢٣٢، وتاريخ بغداد: ج ١ ص ١٧٣، وطبقات القرّاء: ج ١ ص ٤٢٦، وتذكرة الحفّاظ للـذهبي: ج ١ ص ٤٠، وتـاريخ التـراث العربي: مج ١ ج ١ ص ٦٣).

(٢) رواه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ١.

(٣) الحجر: ٨٧.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩ ح ٣، وعنه تفسير البرهان: ج ١ ص ٤٢ ح ١٤.

وعن أُبيّ بن كعب (١) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أيّما مُسلم قرأ فاتحة الكتاب أُعطي من الأجرِ كأنّما قرأ ثلثي القرآن، وأُعطي من الأجر كأنّما تصدّق على كُلّ مؤمن ومؤمنة» (٢).

وعن جابر بن عبدالله (٣) عنه عليه السلام قال: «هي شفاءٌ من كلّ داءٍ إلّا السام، والسام الموت» (٤).

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (١) (٥)

أَصل الاسم: سمو؛ لأنّ جمعه أَسماءٌ وتصغيره سُمَيٌّ ﴿ٱللَّهُ﴾ أَصله: إِلٰه، فحذفت الهمزة وعُوِّضَ عنها حرف التعريف، ولذلك قيل في النداء: «يا أَللّه» بقطع الهمزة، كما يقال: «يا إِله». ومعناه: أَنّه الّذي يحقُّ له العبادة، وإِنّما حقّت له العبادة لقدرته على أُصول النعم، فهذا الاسم مختصٌّ بالمعبود بالحقّ لا يطلق على غيره، وهو اسم غير صفة لأَنّك تصفه فتقول: «إِله واحد» ولا تصف به، فلا تقول: شَيءٌ

---

(١) هو أُبي بن كعب بن قيس، يكنّىٰ أبا الطفيل، وأبا المنذر، كتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله، شهد العقبة الثانية، وبالغ النبي صلى الله عليه وآله فيها، وشهد بدراً، وكان أحد فقهاء الصحابة، مات علىٰ أرجح الأقوال في خلافة عمر بن الخطاب سنة تسع عشرة، وقيل: اثنتين وعشرين. (الاستيعاب: ج ١ ص ٦٥).

(٢) أورده في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ١٧.

(٣) هو جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن كعب الأنصاري السلمي؛ أبو عبدالله، ويقال: أبو عبدالرحمن، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، روى الكثير عن النبي صلى الله عليه وآله، ورویٰ عن أبي بكر وعمر ومعاذ وغيرهم. قال ابن سعد: شهد العقبة مع السبعين وكان أصغرهم، وشهد الحديبية فهو من أهل بيعة الرضوان، توفّي سنة ثمان وسبعين، وقيل: سبع وسبعين، وقيل: إنّه عاش أربعاً وتسعين سنة. (تاريخ الاسلام: ج ٥ ص ٣٧٧، وطبقات ابن سعد: ج ٣ ص ٥٧٤، والثقات لابن حبّان: ص ٥٢، والمعارف لابن قتيبة: ص ١٦٢ و ٣٠٧ و ٥٥٧، وتذكرة الحفّاظ للذهبي: ج ١ ص ٤٣).

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠ ح ٩، وعنه تفسير البرهان: ج ١ ص ٤٢ ح ٢٠، وتفسير الصافي: ج ١ ص ٥٦.

(٥) قال الشيخ الطوسي: عندنا آية من الحمد ومن كلّ سورة. التبيان: ج ١ ص ٢٤.

إِلٰهٌ، و ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ فعلان من رَحِمَ كغضبان، و ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ فعيل منه كعليم، وفي ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ من المبالغة ماليس في ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾، ولذلك قيل: الرحمن بجميع الخلق، والرحيم بالمؤمنين خاصّة[١].

ورووا عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «الرحمن اسم خاصّ بصفة عامّة، والرحيم اسم عامّ بصفة خاصّة»[٢].

وتعلّقت الباءُ في ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ بمحذوفٍ تقديره: بسم اللهِ أَقرأُ، ليختصّ اسم اللهِ بالابتداءِ به[٣]، كما يقال للمُعْرِس: «باليمن والبركة» بمعنى: أعرستَ، وإِنَّما قدِّر المحذوف متأخِّراً لأنّهم يبتدئون بالأهم عندهم، ويدلّ على ذلك قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٰىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾[٤].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (٢)

﴿ٱلْحَمْدُ﴾ والمدح أخوان، وهو الثناءُ على الجميل من نعمةٍ وغيرها، وأَمَّا الشكر فعلى النعمة خاصّة، والحمد باللسان وحده، والشُكر يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح، ومنه قوله عليه السلام: «الحمد رأس الشكر»[٥]، والمعنى في كونه رأس الشكر: أنّ الذكر باللسان أجلىٰ وأوضح وأدلّ على مكان النعمة وأشيع للثناءِ على مُوليها من الاعتقاد وعمل الجوارح، ونقيض الحمد الذمّ، ونقيض الشُكر الكُفران.

---

(١) وهو المروي عن الصادق عليه السلام، رواه عنه الصدوق باسناده في كتاب التوحيد: ص ٢٣٠ ح ٣، وأخرجه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٨٤ وعزاه الى العرزمي.

(٢) أورده في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٢١.

(٣) في نسخة: بالابتدائية.

(٤) هود: ٤١.

(٥) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير: ج ١ ص ١٥٢، وفي الدر المنثور: ج ١ ص ٣٠ وعزاه لعبد الرزاق في المصنّف والحكيم الترمذي في نوادر الاصول والخطابي في الغريب والبيهقي في الأدب والديلمي في مسند الفردوس والثعلبي في تفسيره والزبيدي في اتحاف المتقين: ج ٩ ص ٤٩.

وإنّما عَدل بالحمدِ عن النصب الّذي هو الأَصل في كلامهم علىٰ أنّه مِنَ المصادر الّتي تنصب بأَفعال مُضْمَرَةٍ، كقولهم: شكراً وعجباً ... ونحو ذلك إلى الرفع على الابتداءِ للدّلالة علىٰ ثَبات المعنىٰ واستقراره، دون تجدُّده وحُدُوثه في نحو قولك: أَحمد الله حمداً. ومعناه: الثناءُ الْحَسَن الجميل والمدح[١] الكامل الجزيل للمعبود المنعم بجلائل النعم، المنشيءِ للخلائق والأُمم[٢].

والربّ: السيِّد المالك، ومنه قول صفوان لأَبي سفيان[٣]: لأَنْ يَرُبَّني رجل من قريش أَحبّ إليَّ من أَن يَرُبّني رجل من هوازن[٤]. يقال: ربّه يرُبُّه فهو ربٌّ، ولم يُطْلِقُوا الربَّ إلّا في اللهِ وحدَه، ويُقَيّدُ في غيره فيقال: ربّ الدار، وربّ الضَيْعَةِ. والعالَم: اسم لأُولي العلم من الملائكة والثقلين، وقيل: هو اسم لما يُعْلَمُ به الصانع من الجواهر والأَجسام والأَعراض، وجُمِعَ بالواو والنون وإن كان اسماً غير صفةٍ لدلالته علىٰ معنى العلم، وليشمل كلّ جنسٍ ممّا سمِّي به[٥].

---

(١) في نسخة: الحمد. (٢) في بعض النسخ: النعم.

(٣) هو صخر بن حرب بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف، من سادات قريش في الجاهلية، وهو والد معاوية رأس الدولة الأموية، ولد سنة ٥٧ ق هـ، كان من المؤلّفة، وكان قبل ذلك رأس المشركين في حرب الاسلام عند ظهوره، حيث قاد قريشاً وكنانة يوم أُحد ويوم الخندق لقتال رسول الله ﷺ، وقيل: أسلم يوم فتح مكة سنة ٨ هـ، وروى ابن حجر قال: لمّا رأى أبو سفيان الناس يطؤون عقب رسول الله ﷺ حسده، فقال في نفسه: لو عاودت الجمع لهذا الرجل، فضرب رسول الله ﷺ في صدره ثم قال: إذاً يُخزيك الله. ثم قال: ومن طريق أبي إسحاق السبيعي نحوه وزاد: ما أيقنتُ أنّك رسول الله حتّى الساعة. مات سنة ٣١ هـ بالمدينة، وقيل: بالشام. (الأغاني: ج ٦ ص ٨٩، والإصابة لابن حجر: ج ٢ ص ١٧٨ ت ٤٠٤٦، وتاريخ ابن عساكر: ج ٦ ص ٣٨٨، والبدء والتاريخ: ج ٥ ص ١٠٧، والأعلام للزركلي: ج ٣ ص ٢٠١).

(٤) حكاه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ١٠.

(٥) ذكره الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ١٠ ـ ١١، والهمداني في الفريد: ج ١ ص ١٦٥.

﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (٣)

مرّ معناهما(١).

﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ (٤)

من قرأ: «مَلِك»(٢) فلأنَّ المُلك يعمّ والمِلكَ يَخُصُّ، ولقوله سبحانه: ﴿مَـٰلِكِ ٱلنَّاسِ﴾(٣)، ومن قرأ: ﴿مَـٰلِكِ﴾ بالألف فهو إضافة اسم الفاعل إلى الظرفِ على طريق الاتّساع، أُجْرِيَ الظرف مجرى المفعول به والمعنىٰ على الظرفيّة، والمراد: مالك الأمر كُلِّه في يوم الدين، وهو يوم الجزاءِ من قولهم: كما تَدِينُ تُدانُ. وهذه الأَوصاف الّتي هي كونُه سبحانه ربّاً مالكاً للعالمين لا يخرج منهم شيءٌ من ملكوته ورُبوبيّته، وكونُه مُنْعِماً بالنعَمِ المتوافرةِ(٤) الباطنة والظاهرة، وكونُه مالكاً للأَمر كلّه في الدار الآخرةِ بعدَ الدلالةِ على اختصاص الحمدِ به في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فيها دَلالةٌ باهِرَةٌ على أَنَّ مَن كانت هذه صفاته لم يكن أَحدٌ أَحقَّ منه بالحمد والثناءِ.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥)

«إيّا» ضمير منفصل للمنصوب، والكاف والهاءُ والياءُ اللاحقة به في «إِيّاك وإيّاه وإِيّاي» لبيان(٥) الخطاب والغيبة والتكلُّم، ولا محلّ لها مِنَ الإعراب؛ إذ هي حروف عند المحقِّقين وليست بأَسماءٍ مضمرة كما قال بعضهم(٦). وتقديم المفعول

---

(١) مرَّ في ص ٥٣، فراجع.

(٢) قرأه ابن عباس وابن عمر وأبو الدرداء ومجاهد وابن وثاب والأعرج وأبو جعفر وشيبة وابن جريج والجحدري وابن محيصن وابن جندب وأبو عبيد وزيد ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٠٤، والتيسير في القراءات للداني: ص ١٨، والإملاء للعكبري: ج ١ ص ٣، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ٢٠.

(٣) الناس: ٢.

(٤) في نسخة زيادة: المتواترة.

(٥) في نسخة: بلسان.

(٦) قاله الأخفش في معاني القرآن: ج ١ ص ١٦٣، وعنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ←

إِنّما هو لقصد الاختصاص، والمعنىٰ: نخصُّك بالعبادة ونخصّك بطلب المعونة.

والعبادة ضربٌ من الشُكر وغاية فيه وكيفيّته، وهي أَقصىٰ غاية الخضوع والتذلُّل، ولذلك لا تحسُنُ إِلّا للهِ سبحانه الّذي هو مولىٰ أعظم النِّعَم، فهو حقيق بغاية الشُكر. وإِنَّما عدلَ فيه عن لفظ الغيبة إِلى لفظ الخطاب علىٰ عادة العرب في تفنّنهم في محاوراتهم، ويسمّىٰ هذا التفاتاً، وقد يكون من الغيبة إِلى الخطاب، ومن الخطاب إِلى الغيبة، ومن الغيبة إِلى التكلُّم كقوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ (١)، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ﴾ (٢).

وأَمّا الفائدة المختصّة به في هذا الموضع فهو أَنَّ المعبود الحقيق بالحمد والثناءِ لَمّا أُجرِيَ عليه صفاتُه العُلى تَعَلَّقَ العلم بمعلومٍ عظيم ٱلشأنِ حقيق بالعبادة والاستعانة به في المهمّات، فخُوطِب ذلك المعلوم المتميّز بتلك الصفات، وقيل: إِيّاك ـ يامن هذه صفاته ـ نخصّ بالعبادة والاستعانة، ولا نعبد غيرك ولا نستعينه، ليكون الخطاب أَدلّ علىٰ أَنَّ العبادة له لذلك المتميّز (٣) الّذي لا تحقّ العبادة إِلّا له (٤).

وقرنت الاستعانة بالعبادة ليُجْمَعَ بين ما يتقرّب به العباد إِلىٰ ربّهم وبين ما يطلبونه ويحتاجونَ إِليه من جهته، وقُدِّمَت العبادة عَلى الاستعانة لأَنّ تقديم الْوَسيلة يكون قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإِجابة إِليها، وأُطْلِقتِ الاستعانة ليتناول كُلَّ مستعانٍ فيه. والأَحسن أَن تراد الاستعانة به وبتوفيقه على أَداءِ العبادة، فيكون قوله: ﴿ٱهْدِنَا﴾ بياناً للمطلوب من المعونة، كأَنّه قيل: كيف أُعينُكُم؟ فقالوا:

← ص ١٣، وبه قال الهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ١ ص ١٦٧.

(١) يونس: ٢٢.
(٢) فاطر: ٩.
(٣) في بعض النسخ: التميّز.
(٤) قاله الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ١٤.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦)

أَصل «هدى» أَن يتعدَّى باللّام أو بـ«إِلىٰ»، كقوله تعالى: ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[١]، و ﴿إِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٢]، فَعُومِلَ معاملة «اختار» في قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾[٣]. و«السِّراط» بالسين الجادَّة، من سَرَطَ الشيءَ إِذا ابتلعه؛ لأَنَّه يَسْرُطُ المارَّة إِذا سَلَكوه كما سُمِّي لَقَماً[٤] لأنَّه يلتقم السابلة، وبالصاد من قلب السين صاداً لأَجل الطاءِ، وهي اللغة الفصحىٰ[٥][٦]، و ﴿ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ هو الدين الحقّ الّذي لا يقبل الله من العباد غيره، وإِنّما سُمِّيَ الدين صراطاً لأَنَّه يُؤَدِّي بمن يسلكه إِلى الجنّة كما أَنَّ الصراط يُؤَدِّي بمن يسلكه إِلىٰ مقصده، وعلى هذا فمعنى قوله: ﴿ٱهْدِنَا﴾ زدنا هُدىً بمنح الأَلطافِ، كقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾[٧]، ورووا عَنْ أَميرالمؤمنين عليه السلام: أَنَّ معناه: ثبِّتنا[٨].

ورُوِيَ في بعض الأَخبار: أَنَّ الصادق عليه السلام قرأَ: «اهدنا صراط المستقيم» بإِضافة «صراط» الى «المستقيم»[٩].

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ (٧)

هو بدل من ﴿ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، وهو في حُكْم تكرير العامل، فكأَنَّه قال:

---

(١) الاسراء: ٩. (٢) الشورىٰ: ٥٢.
(٣) الأعراف: ١٥٥. (٤) في نسخة: لقيماً.
(٥) في نسخة: لغة الفصحاء.
(٦) راجع تفصيله في الكشّاف: ج ١ ص ١٥، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ١٧٢.
(٧) محمد: ١٧.
(٨) رواه عنه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ١٥.
(٩) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤ ح ٢٦، وعنه البرهان: ج ١ ص ٥٢ ح ٣٥.

اِهْدِنا صراطَ الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، وفائدة البدل التوكيد، والإشعار بأَنّ الطريق المستقيم بيانه وتفسيره: صراط مَنْ خَصَّهُمُ اللهُ تعالىٰ بعصمته، وأَمدّهم[١] بخواصّ نعمته، واحتجَّ بهم علىٰ بريّته، وفضّلهم علىٰ كثيرٍ مِنْ خليقته، فيكون ذلك شهادة لصراطهم بالاستقامة على آكد الوجوه، كما تقول: هل أَدلّك علىٰ أَكرم الناس فلانٍ؟ فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم من قولك: هل أدلّك علىٰ فلان الأكرم؟ لأَنّك بيّنت كرمه مجملاً أَوّلاً ومفصّلاً ثانياً، وأَوقعتَ فلاناً تفسيراً للأَكرم، فجعلته عَلَماً في الْكَرَمِ، فكأَنّك قلت: مَنْ أَرادَ رجلاً جامعاً للكرم فعليه بفلانٍ، فهو المعيّن لذلك غير مدافع فيه، وأَطلق الإنعام ليشمل كلَّ إنعام.

ورُوِيَ عن أَهل البيت عليهم السلام: «صِراطَ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» وعن عمر بن الخطّاب وعمرو بن الزبير[٢][٣]، والصحيح هو المشهور.

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بدل من ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ علىٰ معنى: أَنّ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِمْ هم الَّذين سَلِمُوا مِنْ غضب اللهِ والضلال، أَو صفة علىٰ معنىٰ: أَنّهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة العصمة وبين السلامة مِن غضب الله والضلالة. ويجوز أن يكون ﴿غَيْرِ﴾ هاهنا صفةً وإن كان «غير» لا يقع صفة للمعرفة وَلا يتعرّف بالإضافة إلى المعرفة؛ لأَنَّ ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لا توقيت فيه، فهو كقوله:

ولقد أَمُرُّ على اللئيم يَسبُّني فمضيت ثمة قلتُ لا يعنيني[٤]

---

(١) في نسخة: أيّدهم.

(٢) في نسخة: وابن الزبير.

(٣) أُنظر تفسير القمي: ج ١ ص ٢٩، والتبيان: ج ١ ص ٤٣، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ٦٠.

(٤) البيت منسوب لرجلٍ من بني سلول، وقيل: هو شمر بن عمرو الحنفي، ومعناه لا يحتاج إلى بيان. راجع مغني اللبيب: ص ١٠٢ و ٤٢٩ و ٦٤٥، والكشاف: ج ١ ص ١٦، ومعاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ٣٢٣، والأصمعيات: ص ١٢٦، وخزانة الأدب للبغدادي: ج ١ ص ١٧٣.

ولأَنَّ ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ و ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ خلاف المنعم عَلَيْهِمْ، فليس في ﴿غَيْرِ﴾ إذاً الإبهام الَّذي يأبىٰ له أَن يتعرّف، وقيل: إنّ المغضوب عليهم هم اليهود، لقوله تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ (١) والضالّين هم النصارى، لقوله تعالى: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾ (٢) (٣). ومعنىٰ غضِب اللهِ إرادة الانتقام منهم وإنزال العقاب (٤) بِهِمْ، وأَن يفعل بهم مايفعله الملك إذا غضِب علىٰ من تحت يده، ومحلّ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ الأُولى نصبٌ على المفعوليّة، ومحلّ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ الثانية رفعٌ على الفاعليّة (٥). وأَصل الضلال الهلاك، ومنه قوله: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ (٦) أي: أَهلكها (٧)، والضلال في الدين هو الذهاب عن الحقِّ.

✡ ✡ ✡

(١) المائدة: ٦٠. (٢) المائدة: ٧٧.

(٣) قاله ابن عباس. راجع تفسيره: ص ٢، وفي التبيان: ج ١ ص ٤٥ قال: وروي ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله. (٤) في نسخة: العذاب.

(٥) انظر الكشّاف للزمخشري: ج١ ص١٧، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ١٧٨.

(٦) محمد: ٨. (٧) في نسخة: أهلكتهم.

سورة البقرة

مدنيّة[1] [2]، وهي مائتان وستّ وثمانون آية كوفيّ، وسبع بصريّ ﴿الٓمٓ﴾ و ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾[3] كوفيّ، ﴿إِلَّا خَآئِفِينَ﴾[4] و ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفاً﴾[5] و ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[6] بصريّ.

عن أُبيّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ البَقَرَة فصلوات الله عليه ورحمته،

---

(١) في نسخة زيادة: إلّا آية وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللهِ﴾ الآية: ٢٨١ فانّها نزلت بمنىً في حجّة الوداع.

(٢) قال الشيخ الطوسي في تبيانه: ج ١ ص ٤٧: وهي مائتان وست وثمانون آيةً في الكوفي وسبع بصري وخمس مدني، وروي أنّ قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللهِ﴾ نزلت في حجة الوداع. ونحوه الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٦٣.

وقال ابن كثير في تفسيره: ج ١ ص ٣٤: والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف، وهي من أوائل مانزل بها، لكن قوله تعالى فيه: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللهِ﴾ الآية يقال: إنّها آخر مانزل من القرآن، ويحتمل أن تكون منها وكذلك آيات الربا من آخر ما نزل، وكان خالد بن معدان يسمّي البقرة فسطاط القرآن. قال بعض العلماء: وهي مشتملة على ألف خبر وألف أمر وألف نهي، وقال العادّون: آياتها مائتان وثمانون وسبع آيات وكلماتها ستة آلاف كلمة ومائتان وإحدى وعشرون كلمة وحروفها خمسة وعشرون ألفاً وخمسمائة حرف.

(٣) آية: ٢١٩. (٤) آية: ١١٤.

(٥) آية: ٢٣٥. (٦) آية: ٢٥٥

وأُعطي من الأَجر كالمُرابِط في سبيل اللهِ سنةً لا تسكن روعته»، وقال لي: «يا أُبَيّ، مُرِ المسلمين أَن يتعلّموا سورة البقرة فإِنّ تعلُّمها بَرَكةٌ، وتركها حسرةٌ، ولا يستطيعها البَطَلَةُ»، قلت: يا رسول‌اللهِ من البَطَلَة؟ قال: «السَّحَرَةُ»[١].

وعن الصادق عليه‌السلام: «مَنْ قَرَأَ البَقَرَةَ وَآل عِمْرانَ جاءَ يومَ القيامة يظلّان[٢] على رأْسه مثل الغَمامتين أَو مثل الغيايتين»[٣][٤].

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓمٓ﴾ (١)

أُخْتُلِفَ في هذه الفواتح المفتتح بها السور، فورد عن أَئمّتنا عليهم‌السلام: أَنّها من المتشابهات الّتي استأْثر اللهُ بعلمها، ولا يعلم تأْويلها غيره[٥].

وعن الشعبيّ[٦] قال: للهِ تعالىٰ في كلّ كتاب سرٌّ، وسرّه في القرآنِ حروف التهجّي في أَوائل السور[٧].

وقال الأَكثرون في ذلك وجوهاً: **منها**: أَنّها أَسماءٌ للسور، تُعْرَفُ كلّ سورة بما افتتحت به. **ومنها**: أَنّها أقسامٌ أَقسم الله تعالىٰ بها لكونها مباني كتبه، ومعاني أَسمائه وصفاته، وأُصول كلام الأُمم كلّها. **ومنها**: أَنّها مأْخوذة من صفات الله

---

(١) أورده في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٣٢، وتفسير الكشّاف: ج ١ ص ٣٣٤.

(٢) في نسخة: يظلّانه.

(٣) في بعض النسخ: الغيابتين، وفي أُخرىٰ: الغبابتين. وما أثبتناه لما في الصحاح من أنّ الغياية (بيائين) كلّ شيء أظلّ الانسان فوق رأسه، مثل: السحابة والغبرة والظلمة ونحو ذلك. (الصحاح: مادة غيي).

(٤) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٣٠.

(٥) معاني الأخبار للصدوق: ص ٢٤، رسائل المرتضىٰ: ج ٣ ص ٣٠١.

(٦) هو أبو عمرو، عامر بن شراحيل الكوفي الشعبي، كان فقيهاً ومن كبار التابعين، روىٰ عن مائة وخمسين من أصحاب رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله، ولكن لا يخفىٰ أنّه عند علماء الشيعة مذموم مطعون، وقد روى عنه أشياء ردية. مات بالكوفة سنة ١٠٤ هـ. (الكنى والألقاب للقمي: ج ٢ ص ٣٦١، ووفيات الأعيان لابن خلكان: ج ٢ ص ٢٢٧).

(٧) حكاه عنه القرطبي في تفسيره: ج ١ ص ١٥٤.

عزّوجلّ، كقول ابن عبّاس في ﴿كٓهيعٓصٓ﴾: إنّ الكاف من كافٍ، والهاءَ من هادٍ، والياءَ من حكيمٍ، والعين من عليمٍ، والصاد من صادقٍ، و ﴿الٓمٓ﴾ معناه: أَنا الله أَعلم[١]. ومنها: أَنَّ كلّ حرفٍ منها يدلّ على مدّة قَوْمٍ وآجال آخرين، إلى غير ذلك من الوجوه[٢].

علىٰ أَنَّ هذه الفواتح وغيرها من الأَلفاظ الّتي يتَهَجَّىٰ بها عند المحقّقين أَسماءٌ مسمّياتها حروف الهجاءِ[٣] الّتي رُكِّبَتْ منها الكلم، وحكمها أَن تكون موقوفةً كأَسماءِ الأَعداد، تقول: أَلف، لام، ميم، كما تقول: واحد، اثنان، ثلاثة، فإذا وَلِيَتْها العواملُ أُعْرِبَتْ، فقيل: هذه الفٌ، وكتبتُ لاماً، ونظرت إلى ميمٍ. قال الشاعرُ:

إِذَا اجتمعوا على أَلفٍ وياءٍ ... وواوٍ هاجَ بينهم جدالُ[٤]

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٢)

إن جُعِلَت ﴿الٓمٓ﴾ اسماً للسورة، ففيه وجوهٌ: **أحدها**: أَن يكون ﴿الٓمٓ﴾ مبتدَأً، و ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأً ثانياً، و ﴿ٱلْكِتَـٰبُ﴾ خبره، والجملة خبر المبتدأ الأَوّل، فيكون المعنىٰ: إنَّ ذلك هو الكتاب الكامل الّذي يستأْهل أَن يسمّىٰ كتاباً، كأَنّ ماسواه من الكتب ناقصٌ بالإضافة إليه، كَما تقول: هو الرجل، أي: الكامل في الرجوليّة. **والثاني**: أَن يكون الكتاب صفةً، فيكون المعنىٰ: هو ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ﴾

---

(١) تفسير ابن عباس: ص ٣ و ٢٥٣، وعنه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٤٤.

(٢) انظر تفصيل الأقوال ومن ذهب إليها في التبيان: ج ١ ص ٤٧ ـ ٤٩، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٤٤، وتفسير ابن كثير: ج ١ ص ٣٤.

(٣) في نسخة زيادة: المبسوطة.

(٤) البيت ليزيد بن الحكم كما نسبه إليه الزجاج وابن الأنباري والقالي، وروى الحريري في درّة الغواص عن الأصمعي قال: أنشدني عيسىٰ بن عمر بيتاً هجا به النحويّين، وذكر البيت. انظر معاني القرآن واعرابه: ج ١ ص ٦١، وخزانة الأدب: ج ١ ص ١١٠ ـ ١١٢، والمقتضب: ج ١ ص ٢٣٦ وفيه: «قتال» بدل «جدال».

الموعود. **والثالث**: أَن يكون التقدير: «هذه آلـمٓ» فتكون جملةً، و ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ﴾ جملةً أُخرىٰ. وإن جُعِلَتْ ﴿الٓمٓ﴾ بمنزلة الصوتِ كان ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأً و ﴿ٱلْكِتَـٰبُ﴾ خبره، أَي: ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل، أَو الكتاب صفة والخبر ما بعده، أَو قُدِّرَ مبتدأٌ محذوف، أَي: هو ـ يعني المؤلّف من هذه الحروفِ ـ ذلك الكتاب.

والريْبُ: مصدر رابه يريبه إِذا حصل فيه الريبة، وحقيقة الرِيْبَةِ: قلقُ النفس واضطرابها، وفي الحديث: «دع ما يريبك إِلىٰ مالا يريبك»(١) والمعنىٰ أَنّه من وضوح دلالته بحيث لا ينبغي أَن يرتاب فيه؛ إِذ لا مجال للريبة فيه. والمشهور الوقف علىٰ ﴿فِيهِ﴾، وبعض القُرّاءِ يقف على ﴿لَارَيْبَ﴾، ولابدّ لمن يقف عليه أَن ينوي خبراً، ونظيره قوله: لا ضَيْرَ، والتقدير: «لا رَيْبَ فيه، فيهِ هُدىً»، و الهُدىٰ: مصدر على فُعَل كالسُرى، وهو الدلالة الْموصِلَةُ إِلَى الْبغْيَةِ، وقد وضع المصدر الّذي هو ﴿هُدًى﴾ موضع الوصف الذي هو «هادٍ»، والمتقي في الشريعة هو الذي يقي نَفْسَه تعاطيَ ما يَسْتَحِقُّ به العقابَ من فعلٍ أَو تركٍ، وسمّاهم عند مشارفتهم لاكتساءِ لباس التقوىٰ مُتَّقين، كقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «مَنْ قَتَلَ قَتيلاً فَلَهُ سَلَبُه»(٢) وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾(٣) أَي: صائراً إِلى الفجور والكفر، فكأَنّه قال: هُدىً للصائِرينَ إِلى التُقىٰ، ولم يقل: «هُدىً لِلضالِّينَ» لأَنَّ الضالّين فريقان: فريقٌ عُلِمَ بقاؤهم على الضلالَة وفريقٌ عُلِمَ مصيرهم إِلى الهدى، فلا يكون هُدىً

(١) مسند أحمد: ج ٣ ص ١٥٣، ومستدرك الحاكم: ج ٢ ص ١٣.

(٢) المصنّف لابن أبي شيبة: ج ١٢ ص ٣٦٩ و ٣٧٢، و ج ١٤ ص ٥٢٤، طبقات ابن سعد: ج ٣ ص ٣٦٤، نصب الراية للزيلعي: ج ٣ ص ٤٢٨ و٤٢٩ و٤٣٠ و٤٣٤، بداية النهاية: ج ٤ ص ٣٤٨.

(٣) نوح: ٢٧.

لجميعهم، وأَيضاً: فقد صدّرت السورة الّتي هي أُولى الزهراوين[١] وسَنام القرآن وأَوّل المثاني بذكر المرتضين من عباد الله وهم المتّقون.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾

الموصول: إمّا أَن يكون مجروراً بأَنّه صفة للمتّقين أَو منصوباً أَو مرفوعاً على المدح علىٰ تقديرٍ: أَعني الّذين يؤمنون، أَو هم الّذين يؤمنون. وإمّا أَن يكون منقطعاً عمّا قبله مرفوعاً على الابتداءِ وخبره ﴿أُوْلَـٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾، والإِيمان إفعال من الأَمن يُقالُ: أَمِنْتُ شَيْئاً وَآمَنْتُ غَيْري، ثم يُقالُ: آمنه إذا صدّقه، وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة، وعُدّي بالباءِ فقيل: آمن به؛ لأَنّه ضُمّن معنى: أَقرَّ واعْتَرفَ، ويجوز أَن يكون علىٰ قياس فعلته فأَفعل، فيكون «آمن» بمعنىٰ صار ذا أَمنٍ في نفسه بإظهار التصديق.

وحقيقة الإِيمان في الشرع هو المعرفة بالله وصفاته وبرسله وبجميع ماجاءَت به رُسُلُه، وكل عارفٍ بشيءٍ فهو مصدّق به.

ولمّا ذكر سبحانه الإِيمان علّقه بالغيب ليعلم أَنّه التصديق لله تعالى فيما أَخبر به رسوله ممّا غاب عن العباد علمه: من ذكر القيامة والجنّة والنار وغير ذلك، ويجوز أَن يكون ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في موضع الحال، ولا يكون صلة لـ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، أَي: يؤمنون غائبين عن مَرْأى الناس، وحقيقته متلبّسين[٢] بالغيب، كقوله: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾[٣] فيكون الغيب بمعنى: الغيبة والخفاءِ، وعلى المعنى الأَوّل يكون الغيب بمعنى: الغائب، من قولك: غاب الشيءُ غَيْباً، فيكون مصدراً سُمِّيَ به.

---

(١) الزهراوان: سورتاالبقرة وآل‌عمران كما في الحديث. انظر مستدرك الحاكم: ج ١ ص ٥٦٠.
(٢) في بعض النسخ: ملتبسين.
(٣) الأنبياء: ٤٩.

ثمَّ عطف ـ سبحانه ـ على الإيمان بذكر الصلاة الّتي هي رأس العبادات البدنيّة، فقال: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: يحافظون عليها ويتشمّرون لأَدائها، من قولهم: قام بالأَمر، أو[١] يُؤَدّونها، فَعَبَّرَ عن الأَداءِ بالإِقامة، أَو يعدّلون أركانها، من قولهم: أَقام العود إِذا قوّمه.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٣)

ثمَّ عطف على ذلك بالعبادة الماليَّة الَّتي هي الإِنفاق، فقال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ﴾ أَسند الرزق إِلىٰ نفسه للإِعلام بأَنّهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ الحلال الطلق الَّذي يستأْهل أَن يسمّىٰ رزقاً من الله، و «مِنْ» للتبعيض، فكأَنّه يقول: و يخصّون بعض المال الحلال بالتصدُّق به. وجائزٌ أَن يراد به الزَكاة المفروضة لاقترانه بالصلاة، وأَن تُرادَ هي وغيرها من الصدقات والنفقات في وجوه البرّ لمجيئه مطلقاً، وعن الصادق عليه السلام: «وممّا علّمناهم يبثّون»[٢].

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٤)

يحتمل أَن يراد بهولاءِ مؤمنو أَهل الكتاب كعبدالله بن سلام[٣] وغيره، فيكون

---

(١) في نسخة: أي.

(٢) كذا ذكره المصنّف هنا وفي مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٣٩ بلفظ «يبثّون»، لكن في تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٦ ح ١، والبحار: ج ٢١ ص ٢١، والبرهان: ج ١ ص ٥٣، والصافي: ج ١ ص ٥٨ و ٥٩ بلفظ «ينبئون».

(٣) هو عبدالله بن سلام بن الحارث الاسرائيلي أبو يوسف، حليف بني عوف بن الخزرج، أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وآله المدينة، قيل: كان اسمه الحصين فسمّاه النبي صلى الله عليه وآله عبدالله وشهد له بالجنة. روىٰ عن النبي صلى الله عليه وآله، وعنه ابناه، شهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية، مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين. (الاستيعاب: ج ٣ ص ٩٢١).

المعطوفُ غير المعطوف عليه، ويحتمل أَن يراد وصف الأَوّلين، فيكون المعنىٰ: أَنّهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه. وقوله: ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ تعريض بأَهل الكتاب، وأَنّهم يثبتون أَمر الآخرة علىٰ خلاف حقيقته، ولا يصدر قولهم عن إيقان، و «الآخرة» تأنيث الآخر وهي صفة الدار، بدليل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ (١) وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا. والإيقان واليقين: هو العلم الحاصل بعد استدلالٍ ونظرٍ، ولذلك لا يطلق «الموقن» على الله تعالى لاستواءِ الأَشياء في الجلاءِ عنده.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (٥)

الجملة في محلّ (٢) الرفع إن كان ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ مبتدأً وإلّا فلا محلّ لها، وفي اسم الإشارة الّذي هو ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إيذانٌ بأَنّ ما يرد عقيبه، فالمذكورون قبله أَهلٌ له من أَجل الخصال الّتي عُدِّدت لَهُم، ومعنى الاستعلاء في قوله: ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ مثلٌ لتمكّنهم من الهدى واستقرارهم عليه، شُبِّهَت حالهم بحال من اعتلىٰ شيئاً وركبه، ومعنىٰ ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾: مُنِحوهُ وأُعطوهُ من عنده، وهو اللطف والتوفيق على أَعمال البرّ.

ونُكِّرَ ﴿هُدًى﴾ ليفيد ضرباً مبهماً لا يُبلَغُ كنهه، كأَنّه قيل: علىٰ أَيِّ هُدىً، وفي تكرير ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ تنبيه على أَنّهم تميّزوا بكلِّ واحدةٍ من الأَثَرَتَيْنِ اللّتين هما الهدىٰ والفلاح عن غيرهم.

و ﴿هُمُ﴾ سمّاه البصريّون فصْلاً، والكوفيّون عِماداً، وفائدته الدلالة علىٰ أَنّ المذكور بعده خَبَر لا صفةٌ وتوكيد، وإيجاب أَنّ فائدة الخبر ثابتة للمخبر عنه دون

---

(١) القصص: ٨٣.

(٢) في نسخة: موضع.

غيره، ويجوز أن يكون ﴿هُمُ﴾ مبتدأً و ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ خبره، والجملة خبر ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾. و «المُفلحُ»: الفائز بالبغْيَة، كأنّه الّذي انفتحت له وجوه الظفر. و «المفلج» بالجيم مثله[١].

وقوله: ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أُدغمت بغُنَّةٍ وغير غُنَّةٍ، والغُنَّة: صوت خفيّ يخرج من الخيشوم، والنون الساكنة والتنوين لهما ثلاثة أحوال مع الحروف في جميع القرآن: الإظهار وذلك مع حروف الحلق، والإدغام و[٢] ذلك مع الميم، نحو ﴿هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ و ﴿عَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾[٣] لايجوز إلّا الإدغام هنا لاشتراك النون والميم في الغُنَّةِ، والإخفاءُ وذلك مع سائر الحروف، نحو ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾[٤]، و ﴿بِمَن فِيهَا﴾[٥]. وهذا عند جميع القُرّاءِ إلّا أَبا عمرو[٦] وحمزة[٧] والكسائيّ[٨] فإنّهم يدغمونهما في اللام والراءِ نحو: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ و ﴿مِّن

(١) انظر لسان العرب: مادة فلج.
(٢) في نسخة زيادة: يجوز.
(٣) هود: ٤٨.
(٤) الانعام: ٣٨.
(٥) العنكبوت: ٣٢.
(٦) أبو عمرو، هو زبان بن العلاء البصري، أحد القرّاء السبعة، سمع أنس بن مالك، وعنه أحمد الليثي وأحمد اللؤلؤي، عالم بالعربية والشعر، توفّي عام ١٥٤ هـ. (فهرست ابن النديم: ص ٤٨، وطبقات الشعراء: ج ١ ص ٢٨٨، وتاريخ التراث العربي: مج ١ ج ١ ص ١٥٣).
(٧) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن الزبان التميمي، أحد القرّاء السبعة، ولد بالكوفة سنة ٨٠هـ، أخذ القراءة عرضاً عن الأعمش وحمران بن أعين وغيرهما، كان عالماً بالقراءات، بصيراً بالفرائض، إليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم، توفّي سنة ١٥٦ هـ. (المعارف لابن قتيبة: ص ٢٦٣، وفهرست ابن النديم: ص ٢٩، وغاية النهاية للجزري: ج ١ ص ٢٦١ ـ ٢٦٣، وأعيان الشيعة: ج ٦ ص ٢٣٨).
(٨) هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبدالله بن بهمن بن فيروز الأسدي بالولاء الكوفي المعروف بالكسائي، أحد القرّاء السبعة، كان إماماً في النحو واللغة والقراءات، قرأ على يد حمزة، كان يؤدّب الأمين بن هارون الرشيد ويعلّمه الأدب، توفّي بالري وكان قد خرج اليها بصحبة هارون الرشيد وذلك سنة ١٨٩ هـ. (وفيات الأعيان: ج ٢ ص ٤٥٧، والكنى والألقاب: ج ٣ ص ١١٢).

رَّبِّهِمْ﴾، ويُدغمهما حمزة والكسائيّ في الياءِ نحو: ﴿مَن يَقُولُ﴾[١]، ويُـدْغمهما حمزة في الواو، نحو: ﴿ظُلُمَـٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَـرْقٌ﴾[٢] فـاللام والراءُ والواو واليـاءُ عندهم بمنزلة الميم، ويقال لها: حروف يرملون، لأنّها أيضاً تدغم في النون نحو: ﴿مِنِّى﴾[٣] و ﴿مِّنَّا﴾[٤][٥].

﴿إِنَّ ٱلَّـذِينَ كَـفَرُواْ سَـوَآءٌ عَـلَيْهِمْ ءَأَنـذَرْتَهُمْ أَمْ لَـمْ تُـنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦)

لمّا قدّم سبحانه ذكر الأَتقياءِ عقّبه بذكر الأَشقياءِ وهم الكفّار الّذين لا ينفعهم اللطف، و﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ وجود الكتاب وعدمه، وإِنذار الرسولِ وترك إِنذاره، و ﴿سَوَآءٌ﴾ اسم بمعنى الاستواءِ، وُصِفَ به كما يوصفُ بالمصادر، وهو خبر ﴿إِنَّ﴾، و ﴿أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ في موضع الرفع بالفاعلية، كأنّه[٦] قيل: مُسْتَوٍ عليهم إنذارك وعدمه، كما تقول: إنّ زيداً مختصم أَخوه[٧] وابن عمّه، أَو يكون ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ في موضع الابتداءِ و ﴿سَوَآءٌ﴾ خبراً مقدّماً بمعنىٰ سواءٌ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ إنذارك وعدمه، والجملة خبر لـ﴿إِنَّ﴾، كذا ذكره جارالله العلّامة[٨] لله درّه، وما أَوردناه في مجمع البيان[٩] فهو من كلام أَبي عليٍّ الفارسيِّ رحمه الله[١٠][١١]. والإِنذارُ: التخويف من عقاب الله. وقولُه: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ جملةٌ

---

(١) البقرة: ٢٠٠. (٢) البقرة: ١٩.

(٣) القصص: ٣٤. (٤) الأنبياء: ١٠١.

(٥) راجع تفصيل ذلك في كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٢٨ ـ ١٢٩، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٤٥. (٦) في نسخة: كما. (٧) في نسخة: أبوه.

(٨) في الكشّاف: ج ١ ص ٤٧. (٩) مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٤٢.

(١٠) وأبو علي هو الحسن بن أحمد بن عبدالغفّار الفسوي النحوي، فارس ميدان العلم والأدب، وإمام وقته في علم النحو، أقام بحلب وصنّف كتباً لم يسبق الىٰ مثلها، ولد بمدينة «فسا» سنة ٢٨٨ هـ، وتوفّي ببغداد سنة ٣٧٧ هـ. (الكنىٰ والألقاب: ج ٣ ص ٤).

(١١) في الحجة في علل القراءات: ج ١ ص ٢٠١.

مُؤَكِّدة للجملة قبلها، أَو خبر لـ ﴿إِنَّ﴾ والجملة قبلها اعتراض.

قيل: نزلت هذه الآية والَّتي بعدها في أَبي جهل وأَضرابه[١]، وعلى هذا فيكون التعريف في ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ للعهد، وقيل: هي في جميع من صَمَّمَ على كفره على العموم، فيكون التعريف للجنس[٢].

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٧)

الختم والكتم أَخوان، والغِشاوَةُ فِعالةٌ من غشّاه: إِذا غطّاه، وهذا البناء لما يشتمل على الشيءِ كالعمامة. والختم على القلوب والأَسماع وتغشيةُ الأَبصار من باب المجاز، وهو نوعان: استعارةٌ وتمثيلٌ، ويحتمل هنا كلا النوعين: أَمّا الاستعارة، فأَن[٣] يجعل قُلوبُهم لأَنَّ الحقَّ لا ينفذ فيها لإِعراضِهم عنه واستكبارهم عَنْ قبوله، وَأَسماعُهم لأَنّها تنبو عن استماعه[٤] كأَنَّهما[٥] مختوم عليهما، وأَبصارُهم كأَنّما[٦] غطِّي عليها وحيل بينها وبين الإِدراك. وأَمَّا التمثيل، فأَن تُمَثَّلَ حيث لم يستنفعوا بها في الأَغراض الدينيَّة الّتي خُلِقوا من أَجلِها بأَشياءَ ضُرِبَ حجابٌ بينها وبين الانتفاع بها بالختم والتغْطِيَة.

وَأَمّا إِسناد الختم إِلى اللهِ، فَلِلتّنبيهِ علىٰ أَنَّ هذه الصفة في فرط تمكُّنِها كالشيءِ الخلقيِّ غير العرضيِّ، كما يُقال: فلان مجبول علىٰ كذا ومفطور عليه، يريدون أَنّه مبالِغٌ في الثبات عليه. ووجه آخر: وهو أَنّهم لمّا علم الله سبحانه أَنّه لا طريق لهم

(١) راجع التبيان: ج ١ ص ٣٧٧. وأبو جهل هو عمرو بن هشام بن مغيرة المخزومي، كان من أشدّ الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وآله، و قُتل كافراً يوم بدر.

(٢) قاله الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٤٧.

(٣) في بعض النسخ: فبأن.

(٤) في نسخة: سماعه.

(٥) في نسخة: كأنّها.

(٦) في بعض النسخ: كأنّها.

إلىٰ أَنْ يؤْمنوا طوعاً واختياراً فلم يبقَ إلّا القَسر والإلجاء، ولم يَقْسِرْهُمْ لئَلّا ينتقض الغرض في التكليف، عبَّر عن ترك الإلجاءِ والقسر بالختم؛ إِشعاراً بأَنَّهم قد بلغوا الغاية القصوىٰ في لجاجهم واستشرائهم في الغيِّ والضلال.

ووُحِّدَ السمع لأَنَّه مصدر في الأَصل والمصادر لا تجمع، ولأَنَّهم قالوا: كلوا في بعض بطنكم (١) تعفوا، يفعلون ذلك إذا أُمِنَ اللّبس، وإذا لم يُؤمَنْ (٢) لم يفعلوا، لا تقول: ثوبهم وغلامهم وأَنت تريد الجمع. والْبَصَرُ: نور العين وهو ما يبصر به الرائي، كما أَنَّ البصيرة نور القلب وهو مابه يستبصر ويتأَمَّل. والعَذاب مثل النكال بناءً ومعنىً، لأَنَّك تقول: أَعذب عن الشيءِ إذا أَمسك عنه، كما تقول: نكل عنه، ثمَّ اتّسع فيه فَسُمِّيَ كلُّ أَلَمٍ فادحٍ عذاباً وإن لم يكن نَكالاً، أَي: عقاباً يرتدع به الجاني. والْعَظيم: نقيض الحقير، كما أَنَّ الكبير نقيض الصغير، فالعظيم فوق الكبير، كما أَنَّ الحقير دون الصغير. ويُستَعمَلان في الجُثَثِ والأَحداثِ جميعاً، تقول: رجل عظيم وكبير جُثَّته أَو خَطَرُه.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَاهُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٨)

افتتح سبحانه بذكر الَّذين آمنوا بالله سرّاً وعلانيةً، ثمَّ ثَنّىٰ بالَّذين كفروا قلوباً وأَلْسِنَةً، ثم ثَلَّثَ بالمنافقين الَّذين أَبطنوا خلاف ما أَظهروا، وهم أَخبث (٣) الكفّار وأَمقتهم عنده، ووصف حال الَّذين كَفَروا في آيتين، وحال الَّذين نافقوا في ثلاث عشرةَ آيةً، وقصّتهم معطوفة علىٰ قصّتهم كما تعطف الجملة على الجملة.

وأصل «ناس» أُناس فحذفت همزته تخفيفاً، وحذفها مع لام التعريف

---

(١) في نسخة: بطن بعضكم. (٢) في نسخة: يؤمنوا.
(٣) في نسخة زيادة: من.

كاللازم، لا يكاد يقال: الأُناس، ويشهد لأَصله إنسان وإنس، وسُمُّوا بذلك لظهورهم وأَنَّهم يُؤْنَسون أَي: يُبْصَرونَ كما سُمِّيَ الجنُّ جنّاً لاجتنانهم، و «مَن» في ﴿مَن يَقُولُ﴾ موصوفة، كأَنَّه يقول: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ ناسٌ يقولون كذا، كقوله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ (١)، هذا إن جُعِلَت اللّام للجنس، وإن جعلتها للعهد فموصولة، كقوله: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ﴾ (٢). وفي تكرير الباءِ أَنَّهم ادَّعوا كلّ واحدٍ من الإيمانين على صفة الصحَّة، وفي قوله: ﴿وَمَاهُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ من التوكيد والمبالغة ماليس في قولك: وما آمنوا؛ لأَنَّ فيه إخراج ذواتهم وأَنفسهم من أَن يكون (٣) طائفة من طوائف المؤمنين، فقد انطوىٰ تحته نَفيُ ما ادَّعوه لأَنفسهم مِن الإيمان على القطع.

﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّـذِينَ ءَامَـنُواْ وَمَـا يَـخْدَعُونَ إِلَّآ أَنـفُسَهُمْ وَمَـا يَشْعُرُونَ﴾ (٩)

المعنىٰ: أَنَّ هؤلاء المنافقين صنعوا صُنع الخادِعين حيث تظاهروا بالإيمان وهم كافرون، وصَنَع اللهُ معهم صنع الخادع حيث أَمر بإجراء أَحكام المسلمين عَلَيهم وهم عنده أَهل الدرْك الأَسفل من النار، وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أَمر اللهِ فيهم، فإنَّ حقيقة الخَدْع أَن يوهِم الرجل صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه. ويجوز أَن يريد: ﴿يُخَـٰدِعُونَ﴾ رسول الله ﷺ لأَنَّ طاعته طاعة اللهِ ومعصيته معصية الله، كما يقال: قال الملك كذا، وإنَّما القائل وزيره أَو (٤) خاصّته الَّذين قولُهم قوله ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لأَنَّ ضررها يلحقهم ولا

---

(١) الأحزاب: ٢٣. (٢) التوبة: ٦١.

(٣) كذا في جميع النسخ لكن الظاهر أنّ الصحيح: يكونوا.

(٤) في نسخة زيادة: بعض.

يعدوهم إلى غيرهم، ومن قرأ: «يخادِعونَ»[١] أتىٰ به علىٰ لفظ يفاعلون للمبالغة.

والنَفْسُ: ذات الشَيءِ وحقيقته، ثمَّ قيل للقلب: نفس؛ لأَنَّ النَفس به نفسٌ[٢]، قالوا: المرءُ بأَصغريه، أَي بقلبه ولسانه. وقيل أَيضاً للروح: نفس، وللدم: نفس؛ لأَنَّ قوامها بالدم، وللماء: نفس لفرط حاجتها إليه، ونُفِسَ الرجل أَي: عين، وحقيقته: أُصيبت نفسهُ، كما قيل: صُدِرَ الرَّجل وفُئِدَ، وقالوا: فلان يُؤامر نفسه، إِذا تردَّد في الأَمر واتَّجه له رأيان لا يدري علىٰ أَيِّهما يُعَوِّلُ، كأَنَّهُم أَرادوا داعيَ النفس، والمراد بالأَنفس هاهنا ذواتهم، ويجوز أَن يُراد قلوبُهم ودواعيهم وآراؤُهم. والشعور: علم الإِنسان بالشيءِ علم حسٍّ، ومشاعر الإِنسان: حواسُّه.

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ (١٠)

استعير الْمَرَضُ لأَعراض القلب، كسوء الاعتقاد والغِلِّ والحسد وغير ذلك ممّا هو فسادٌ وآفة شبيهةٌ بالمرض، كما استعيرت الصحَّة والسلامة في نقائض ذلك، والمراد به هاهنا ما ﴿فِى قُلُوبِهِم﴾ من الكفر أَو من الغِلِّ والحَنَقِ على رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ بما ينزل على رسوله من الوحي، فيكفرون به ويزدادون كفراً إِلىٰ كفرهم، فكأَنَّه سبحانه زادهم ما ازدادوه، وأَسند الفعل إلى المسبِّب[٣] كما أَسنده إلى السورة في قوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ

(١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو والأعرج وابن جندب وشيبة ومجاهد وشبل وابن محيصن والزيدي. راجع التبيان: ج ١ ص ٦٨، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٣٩، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٠٩، والاملاء للعكبري: ج ١ ص ١٠، والحجة في القراءات لأبي زرعة: ص ٨٧، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ٥٧.

(٢) في نسخة: لأنّ قوام النفس به.

(٣) في بعض النسخ: السبب.

رِجْسِهِمْ﴾ [١] لكونها سبباً، أَو أَراد: كلّما زاد رسوله نصرةً وتمكّناً في البلاد والعباد ازدادوا غِلّاً وحسداً، و [٢] ازدادت قلوبهم ضعفاً وجبناً وخَوَراً [٣]. وأَلِمَ فهو أَليمٌ كَوَجِعَ فهو وجيع، ووصف العذاب به كقوله:

تحيَّةُ بينهم ضربٌ وَجيع [٤]

وهذا على طريقة قولهم: «جدَّ جِدُّه». والأَلم في الحقيقة للمؤلم كما أَنَّ الجِدّ للجادّ، و ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ أَي: بكذبهم، وفي هذا إِشارة إِلىٰ قبح الكذب وأَنَّ لحوق الْعَذابِ الأَليمِ من أَجل كذبهم، وقُرِئَ: «يُكَذِّبُونَ» [٥] من كذّبه الّذي هو نقيض صدَّقه، أَو من كذَّب الّذي هو مبالغة في كذب، أَو بمعنى الكثرة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَاتُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (١١)

هذا معطوف علىٰ ﴿يَكْذِبُونَ﴾، ويجوز أَن يكون معطوفاً علىٰ ﴿يَقُولُ ءَامَنَّا﴾ لأَنَّك لو قلت: ومن الناس من إِذا قيل لهم: لا تفسدوا، صحَّ الكلام، والْفَسادُ: خروج الشيءِ عن حال استقامته وكونه منتفعاً به، ونقيضه الصلاح، وكان فساد

(١) التوبة: ١٢٥.
(٢) في نسخة: أو.
(٣) الخور ـ بالتحريك ـ: الضعف. (القاموس المحيط والصحاح: مادة خور).
(٤) وصدره: وخيل قد دلفت لها بخيل. والبيت منسوب لعمرو بن معد يكرب ضمن قصيدة بعث بها الى دريد بن الصمّة عندما التمس منه زواج أُخته ريحانة فأجابه ومَطَلَه. انظر الكشّاف: ج ٢ ص ٦٠، وخزانة الأدب: ج ٩ ص ٢٥٧، والمقتضب: ج ٢ ص ٤١٣، والخصائص: ج ١ ص ٣٦٨.
(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، والأعرج وشيبة وأبي جعفر ومجاهد وشبل وأبو رجاء وأبو حاتم. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٤١ والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٢٢٧ ـ ٢٢٩، والحجة في القراءات لأبي زرعة: ص ٨٨، والتيسير في القراءات: ص ٧٢، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ٦٠.

المنافقين بميلهم إلى الكفّار، وإفشاء أَسرار المسلمين[١] إليهم وإغرائهم عليهم، ومعنىٰ ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾: أَنَّ صفة المصلحين تمحَّضت لَهم وخلصت من غير شائبةٍ قادحةٍ فيها[٢] من وجوه الفساد.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (١٢)

﴿أَلَآ﴾ مركَّبة من همزة الاستفهام وحرف النَّفي لإعطاء معنى التنبيه علىٰ تحقيق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النَّفي أَفاد تحقيقاً، كقوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ﴾[٣]، ردَّ الله سبحانه دعواهم أَنَّهم المصلحون أَبلغَ رَدٍّ بما في كلتا الكلمتين: «أَلا» و «إِنَّ» من التأكيد، وبتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله: ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣)

اَلسفهُ: خِفَّة الحلمِ وسخافة العقل، والمعنىٰ: إذا نُصِحوا أَو بُصِّروا طريق الرشد بأَن قيل لهم: صَدِّقوا رسولَ الله كما صَدَّقَهُ الناسُ، واللام في ﴿ٱلنَّاسُ﴾ للعهد، أي: كما آمن أَصحاب رسولِ اللهِ وهم ناس معهودون، أَو عبدُ الله بن سلام وأَضرابُه، أَي: كما آمن أَصحابُكم وإِخوانُكم، أَو للجنس، أَي: كما آمن الكاملون في الإنسانيّة، أَو جعل المُؤمنون كأَنّهم الناس على الحقيقة، ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحقِّ والباطل، والاستفهام في ﴿أَنُؤْمِنُ﴾ للإِنكار، واللام في ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ مشار بها إلى الناس.

وفُصِّلَت هذه الآية بـ ﴿لَّا يَعْلَمُونَ﴾ والّتي قبلها بـ ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾ لأَنَّ أَمر

---

(١) في نسخة: المؤمنين.
(٢) في بعض النسخ زيادة: بوجهٍ.
(٣) القيامة: ٤٠.

الديانة والوقوف علىٰ أَنَّ المُـؤمنين على الحقِّ وهم على الباطل يحتاج إِلىٰ نظر واستدلال حتّىٰ يعلم، وأَمّا النفاق وما فيه من الفساد فأَمر دُنْيويٌّ، فهو كالمحسوس المشاهَدِ، ولأَنّـه قد ذكر السفَه فكان ذكر العلم معه أَحسن.

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُـمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ (١٤)

هذا بيان ماكانوا يعملونه مع المؤمنين، أَي: إِذا لَقوهم أَوْهَموهم أَنـَّهم مَعَهم، وإِذا فارقوهم إِلى رُؤَسائهم من الكفّار أَو اليهود الَّذين أَمروهم بالتكذيب قالوا: إِنّا علىٰ دينكم وصدَّقوهم ما في قلوبهم. وخَلَـوْتُ بفلان وخَلَوْتُ إِليه بمعنى انفردت معه، و ﴿إِنَّا مَعَـكُـمْ﴾ أَي: إِنَّا مصاحبوكم وموافقوكم علىٰ دينكم، وقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ توكيد لقولهم: ﴿إِنَّا مَعَكُـمْ﴾، لأَنَّ المعنىٰ في ﴿إِنَّـا مَـعَكُـمْ﴾ الثَبات على اليهوديَّـة، وقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ ردٌّ للإِسلام ودفع له، لأَنَّ المستهزئَ بالشيءِ ـ وهو المستخفُّ به ـ منكرٌ له ودافعٌ، ويجوز أَن يكون بدلاً منه أَو استئنافاً.

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُـدُّهُـمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٥)

معنى استهزاء الله تعالى بهم إِنزال الْهَوان والحَـقارة بـهم، أَو إِجـراء أَحكـام المسلمين عليهم عاجِلاً وقد أَعدَّ لهم أَليم العقاب آجِلاً، وسُمِّيَ جزاء الاسـتهزاء باسمه، كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّـئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[1]. وفـي اسـتئناف قـوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ﴾ من غير حرف عطفٍ أَنَّ اللهَ تعالىٰ هو الَّذي يتولّى الاستهزاءَ ﴿بِهِمْ﴾ انـتقاماً للـمؤمنين ولا يُـحوجُ المـؤمنين إِلىٰ أَن يـعارضوهم بـذلك، وقـوله:

(١) الشورىٰ: ٤٠.

﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ من مدّ الجيش وأَمدَّه إِذا زاده، والمعنىٰ: أَنَّه يمنعهم أَلطافه الَّتي يمنحها المؤمنين ويخذلهم بسبب كفرهم، فتبقىٰ قلوبهم يتزايد الرين والظُلمة فيها كما يتزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين. وأُسْنِد ذلك التزايدُ إِلى اللهِ سبحانه لأَنَّه مسبَّب عن فعله بهم بسبب كفرهم. وعن الحسن [١] قال: في ضلالتهم يتمادون [٢] والطُغيان: الغلوّ في الكفر ومجاوزة الحدِّ في العتوِّ، وفي إِضافة الطغيان إِليهم مايدلّ علىٰ أَنّ الطغيان والتمادي في الضّلال ممّا اقترفته نفوسهم، والْعَمَهُ مثل العمىٰ إِلّا أَنَّ العَمَهَ في الرَّأْي خاصّة، وهو التحيّر والتردّد، لا يدري أَين يتوجَّه.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ (١٦)

معنى اشتراء ﴿ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ اختيارها عليه واستبدالها به علىٰ سبيل الاستعارة؛ لأَنَّ الاشتراء فيه إِعطاء بدل وأَخذ آخَرَ، والضلالَةُ: الجور عن القصدِ، وفي المثل: «ضَلَّ دُرَيْصٌ نَفَقَه» [٣]، فاستعير للذهاب عن الصوابِ في الدين، والربْحُ: الفضل علىٰ رأْسِ المالِ، وأُسنِد الخسران إِلى التجارة مجازاً، والمعنىٰ: أَنَّ المطلوب في التجارة سلامة رأْس المال والربح، وهؤلاء قد أَضاعوا

(١) هو الحسن بن أبي الحسن بن يسار؛ أبو سعيد البصري، مولىٰ الأنصار، كان فصيحاً زاهداً، وكان حافظاً واعظاً بارعاً في وعظه، وكان راوياً عن كثير من الصحابة، ولد لسنتين بقينا من خلافة عمر، ونشأ بوادي القرىٰ، وتوفّي سنة ١١٠ هـ وهو ابن ثمان وثمانين. (تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ٢ ص ٢٦٣ ـ ٢٧٠، وميزان الاعتدال للذهبي: ج ١ ص ٢٥٤، وحلية الأولياء لأبي نعيم: ج ٢ ص ١٣١، وأمالي السيد المرتضىٰ: ج ١ ص ١٠٦).

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٦٨.

(٣) الدرص: ولد الفارة واليربوع والهرة وأشباهها، ونفقه: جحره، والمثل يضرب لمن يعني بأمره ويعدّ حجّة لخصمه فينسىٰ عند الحاجة. راجع مجمع الأمثال للميداني: ج ١ ص ٤٣٢، والقاموس المحيط: مادة (درص).

الطلِبَتَـيْنِ[١] معاً؛ لأَنَّ رأس المال كان هو الهدىٰ فلم يبق لهم، ولم يُصيبوا الربح لأَنَّ الضالَّ خاسرٌ.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ (١٧)

ثُمَّ زادَ سبحانه في الكشفِ عن حالهم بضرب المَثَل، فقال: ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أَي: حالهم كحال ﴿ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَاراً﴾، وضع «الَّذي» موضع «الَّذين»، كقوله سبحانه: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾[٢]، أَو قصد جنس المستوقدين، أَو أَراد الجمع الَّذي استوقد ناراً، علىٰ أَنَّ المنافقين لم تشبَّه ذواتهم بذات المستوقد، بل شُبِّهَتْ قصَّتهم بقصَّة المستوقد، فلا يلزم تشبيه الجماعة بالواحد، واسْتَوْقَدَ: طلب الوقود، والوقود: سطوع النار وارتفاع لهبها، والإِضاءة: فرط الإِنارة، وهي متعدِّيَةٌ في الآية، ويحتمل أَن تكون غير متعدِّيةٍ مسنَدَةً إِلىٰ ﴿مَاحَوْلَهُۥ﴾ والتأنيث للحمل على المعنىٰ؛ لأَنَّ ماحول المستوقد أَشياءُ وأَماكنُ.

وجوابُ «لَمّا»: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾، ويجوز أَن يكون محذوفاً؛ لطول الكلام وأَمن الالتباس، كأَنَّه قيل: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ خمدت فبقوا متحيِّرين متحسِّرين علىٰ فوت الضوءِ، وعلىٰ هذا فيكون ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ كلاماً مستأْنَفاً، كأَنَّهم لمّا شُبِّهَتْ حالُهم بحال المستوقد اعترض سائلٌ فَقالَ: ما بالُهُم قد أُشبهت حالهم حال هذا المستوقد؟ فقيل له: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾، ويجوز أَن يكون قوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ بدلاً من جملة التمثيل علىٰ سبيل البيان.

---

(١) الطَلِبة ـ بكسر اللام ـ: ماطلبته. (القاموس المحيط: مادة طلب).

(٢) التوبة: ٦٩.

والفرق بين أَذهبه وذهب به: أَنَّ معنىٰ «أَذهبه»: أَزاله وجعله ذاهباً، و «ذهب به»: استصحبه ومضىٰ به معه، قال: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾[1]، فالمعنىٰ: أَخذ الله نورهم وأَمسكه، وما يمسك الله فلا مرسل له، فهو أَبلغ من الإذهاب، و «تَـرَكَ» بـمعنىٰ طَرَحَ وَخَلّىٰ، قالوا: تَرَكَه تركَ الظبي ظِلَّه، فإذا ضُمِّنَ معنى «صَـيَّر» تَـعَـدَّى إِلىٰ مفعولين وجرىٰ مجرىٰ أَفعال القلوب، نحو قول عنترة[2]:

فَتَـرَكْتُـهُ جَـزَرَ السِّبَاعِ يَـنُشْـنَهُ ... يَقْضِمْنَ حسنَ بَنانِه وَالمِعْصَمِ[3]

والمراد بالإِضاءة انتفاع المنافقين بـالكلمة المـجراة عـلى أَلسـنتهم، وَوراءَ استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق الَّذي ترمي بـهم إِلى ظـلمة سَـخَطِ الله والعقاب الدّائم، ويجوز أَن يكون قد شُبِّهَ اطّلاع الله علىٰ أَسرارهـم بـذَهاب الله بنورهم. ووجه آخر: وهو أَنَّهم لمّا وُصِفوا باشتراء الضلالة بالهُدىٰ عُقِّبَ ذلك بهذا التمثيل؛ ليمثّل هداهم الّذي باعوه بالنار المُضيئَةِ ماحولَ المستوقد، والضلالَة الَّتي اشتروها بذَهاب الله بنورهم.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَايَرْجِعُونَ﴾ (١٨)

كانت حواسُّهم صحيحةً لكنَّهم لمّا أَبَوْا أَن يُصيخوا[4] مسامِعَهم إِلى الحقِّ، وأَن

---

(١) يوسف: ١٥.

(٢) هو عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي، أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأُولىٰ، من أهل نجد، أُمه حبشية اسمها: زبيدة، سرىٰ إليه السواد منها، وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزّهم نفساً، يوصف بالحلم علىٰ شدّة بطشه، وفي شعره رقّة وعذوبة، اجتمع في شبابه بامرئ القيس الشاعر، وشهد حرب داحس والغبراء وعاش طويلاً، قُتل نحو سنة ٢٢ قبل الهجرة. (الشعر والشعراء لابن قتيبة: ص ١٣٠، والأغاني: ج ٨ ص ٢٤٠، وخزانة الأدب: ج ١ ص ٦٢، وشرح الشواهد: ص ١٦٤، وآداب اللغة: ج ١ ص ١١٧).

(٣) راجع ديوانه: ص ٦٤، وخزانة الأدب: ج ٩ ص ١٦٥. أي: فتركته قتيلاً تنهشه السباع والوحوش وتقتضم أصابعه وزنديه.

(٤) أصاخ له: استمع. (القاموس المحيط: مادة صاخ).

يُنْطِقوا ألسنتَهم بالحقِّ، وأَن ينظروا ويَتَبَصَّروا بعيونهم، جُعِلوا كأَنَّهم انتقضت بِنىٰ مشَاعرِهم الَّتي هي أَصل الإحساس والإِدراك كقوله:

صُمٌّ إِذا سَمِعوا خَيْراً ذُكِرْتُ بِه ... وَإِن ذُكِرْتُ بِسوءٍ عِنْدَهم أَذِنوا(١)

و﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ معناه: لا يعودون إِلى الهدىٰ بعد أَن باعوه، أَو عن الضلالة بعد أَن اشتروها، أَو بقوا متحيِّرين لا يدرون أَيتقدَّمون أَم يتأَخَّرون، فكيف يرجعون إِلى حيث ابتدأُوا منه؟

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَـٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (١٩)

الصيِّبُ: المطر الَّذي يصوب، أَي: ينزل ويقع، ويقال لِلسحابِ: صَيِّبٌ أيضاً(٢). هذا تمثيل آخر لحال المنافقين، ليكون كشفاً لها بعد كشفٍ، والمعنىٰ: أَو كمثل ذوي صَيِّبٍ، أَي: كمثل قومٍ أَخذهم المطر علىٰ هذه الصفة فلقوا منها مالقوا.

قالوا: شُبِّهَ دين الإِسلام بالمطر؛ لأَنَّ القلوب تحيا به كما تحيا الأَرض بالمطر، وشُبِّهَ ما يتعلَّق به من شبهات الكفّار بالظلمات، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق، وما يُصيبهم من أَهل الإِسلام بالصواعق. وقيل: شُبِّهَ القرآن بالمطر، وما فيه من الابتلاء والزجر بالظُلمات والرعد، وما فيه من البيان بالبرق، وما فيه من الوعيد آجلاً والدعاء إِلى الجهاد عاجلاً بالصواعق(٣). وجاءَت هذه الأَشياء

(١) البيت لقعنب بن أُم صاحب الغطفاني كما في شرح دِرّة الغوّاص: ص ١٣٠، وراجع لباب الآداب: ص ٤٠٣ مادة «اذن». وأذنوا: أي استمعوا، ومعناه لا يحتاج الى بيان.

(٢) انظر لسان العرب: مادة (صوب).

(٣) قاله ابن عباس. راجع تفسيره: ص ٥، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ٨٢، واختاره الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٧٩.

منكّرة؛ لأنَّ المراد أَنواع منها، كأَنَّه قيل: في الصيِّب ظلمات داجية[١]، ورعد قاصف، وبرق خاطف.

والضَّمير في ﴿يَجْعَلُونَ﴾ يرجع إِلىٰ أَصحاب الصيِّبِ المضاف، مع كونه محذوفاً وقيام الصيِّبِ مقامَه، و ﴿يَجْعَلُونَ﴾ استئناف لا محلَّ له، و ﴿مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ يتعلَّق بـ ﴿يَجْعَلُونَ﴾ أَي: من أَجل الصواعق يَجْعَلونَ أَصابِعَهُمْ في آذانهم، وصَعِقَتْهُ الصاعقةُ: أَهلكته، فَصَعِقَ أَي مات: إِمّا بشدَّة الصوتِ أَو بالإِحراق، و ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ مفعول له، ومعنى إِحاطة الله بالكافرين: أَنَّهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاطُ به المحيطَ به حقيقة، وهذه الجملة اعتراض.

﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٠)

الخَطْفُ: الأَخذُ بِسُرْعةٍ، لمّا ذكر الرعد والبرق علىٰ مايُؤْذِنُ بالشدَّة والهول، فكأَنَّ قائلاً قال: كيف حالهم مع مثل ذلك البرق؟ فقيل: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾، فهذه جملة مستأنفة أَيضاً لا محلَّ لها، و ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾ استئنافٌ ثالثٌ، كأَنَّه جوابٌ لمن يقول: كيف يصنعون في حالتي خفوق[٢] البرق وخفوته[٣]؟ وهذا تمثيل لشدَّة الأَمر على المنافقين بشدَّته على أَصحاب الصيِّبِ وما هم فيه من غاية التحيُّر والجهل بما يأْتون به ويذرون، إذا خَفَقَ الْبَرق مع خوفهم أَنْ يَخْطَفَ أَبْصارَهُمْ انتهزوا تلك الْخَفْقَة فرصةً[٤]، فَخَطَوْا خُطُواتٍ يسيرةً،

---

(١) داجية: مظلمة، ومنه دجا الليل اذا أظلم. (القاموس المحيط: مادة دجا).

(٢) خفقت الراية: اضطربت. (الصحاح: مادة خفق).

(٣) خفت الريح: أي سكن. (الصحاح: مادة خفت).

(٤) في نسخة: فرصاً.

فإذا خَفِيَ بَقوا واقفين متحيِّرينَ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لزاد في قصيف الرعد فأَصَمَّهم، و[١] في بريقِ الْبَرقِ فأَعماهم، و ﴿أَضَآءَ﴾ إمّا متعدٍّ والمفعول محذوفٌ، بمعنىٰ: كلَّما نَوَّرَ لهم مسلكاً أَخذوه، وإمّا غير متعدٍّ بمعنىٰ: كلّما لَمَعَ لهم مَشَوْا في مطرح نوره، ومعنىٰ ﴿قَامُواْ﴾ وقفوا وثبتوا في مكانهم، والمعنىٰ: وَلو شاءَ اللهُ أَنْ يَذْهَبَ بسَمعِهِم وأَبصارِهم لَذَهَبَ بهما، وقد كثر هذا الحذف في «شاء» و «أَراد»، ولم يبرزوا المفعول إلّا في النادر، كقوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لَّاتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾[٢] والشيءُ مايصحُّ[٣] أَن يعلم ويخبر عنه.

﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١)

ولمّا عدَّد سبحانه فِرَقَ المكلَّفين من المؤمنين والكفّار والمنافقين، أَقبل عليهم بالخطاب، وهو من الالتفات الّذي تقدَّم ذكره، وهو فنٌّ من الكلام فيه هزٌّ وتحريك من السامع، وتنبيه واستدعاءٌ لإصغائه إلى الحديث، و﴿يَـٰٓا﴾ حرف وضع في أَصله لنداء البعيد، و«أَي» و«الهمزة» لنداء القريب، و«أَيُّ» وُصلة إِلىٰ نداء مافيه الأَلف واللّام، كما أَنَّ «ذو» و«الّذي» وُصلتان إلى الوصف بأَسماء الأَجناس ووصف المعارف بالجمل، وهو اسم مبهم يحتاج إلىٰ ما يوضحه، فلابدَّ أَن يردفَه اسم جنسٍ أَو مايجري مجراه يتَّصف به حتّى يتَّضح[٤] المقصود بالنداء، والّذي عمل فيه حرف النداء «أَيُّ» والاسم التابع له صفتُه، وقد كثر في كتاب الله النداء علىٰ هذه الطريقة، لاستقلاله بأَوجه من التأْكيد في التدرُّج من الإِبهام إلى التوضيح، وكلمة التنبيه المقحمة بين «أَيّ» وصفته لتعاضد حرف النداء بتأكيد

(١) في بعض النسخ: أو.
(٢) الأنبياء: ١٧.
(٣) في بعض النسخ: يصلح.
(٤) في بعض النسخ: يصحّ.

معناه، وتكون عوضاً مِمّا يستحقُّه من الإضافة، وكلّ مانادىٰ الله لأَجله عباده من الأَوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك أُمورٌ عظامٌ ومعانٍ جليلةٌ عليهم أَن يَتَيَقَّظوا لها، فاقتضت الحال أَن يُنادَوْا بالآكد الأَبلغ.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ صفة لـ﴿رَبَّكُمُ﴾ جرت عليه علىٰ سبيل المدح والثناء، أَي: ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ على الحقيقة. وَالخلقُ: إِيجاد الشيءِ علىٰ تقديرٍ واستواءٍ، و «لَعَلَّ» للترجّي أَو الإِشفاق، وقد جاء في مواضع من القرآن علىٰ سبيل الإِطماع، ولكن لأَنَّه إِطماع من كريم رحيم إِذا أَطمع فعل مايُطْمِع فيه لا مَحالَة، جرىٰ إِطماعُه مجرىٰ وعده المحتوم وفاؤه به، و «لعلَّ» في الآية ليس ممّا ذكرته في شيءٍ بل هو واقع موقع المجاز؛ لأَنّه سبحانه خلق عباده ليكلِّفهم، وأَزاح عللهم في التكليف من الإِقدار والتمكين، وأَراد منهم الخير والتقوىٰ، فهم في صورة المرجوِّ منهم أَن يتَّقوا، لترجّح أَمرهم وهم مختارون بين الطاعة والمعصية، كما ترجَّحت حال المرتجىٰ بين أَن يفعل وأَن لا يفعل، ومصداقه قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1]، وإِنَّما يبلو ويختبر من يخفى عليه العواقب، ولكن شُبِّهَ بالاختبار بناء أَمرهم على الاختيار.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشاً وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢)

قَدَّمَ سبحانه من موجِبات عبادته خَلْقهم أَحياءً قادرين أَوّلاً، ثمَّ خلقَ الأَرض الَّتي هي مُسْتَقَرُّهم الَّذي لابدَّ لهم منه ومُفْتَرَشُهم، ثمَّ خلقَ السماء الَّتي هي كالقُبَّة

(١) الملك: ٢.

المضروبة علىٰ هذا المستقرّ، ثمّ ما سوّاه سبحانه من شبه عقد النكاح بينهما بإنزال الماء من المُظِلَّةِ منهما على المُقِلَّةِ [١]، والإخراج به من بطنها أشباهَ النسل من ألوان الثمار ﴿رِزْقاً﴾ لبني آدم، ليقابلوا هذه النعمة العظيمة بواجب الشكر، ويتفكّروا في خلق أنفسهم وخلق مافوقهم وما تحتهم، فيعلموا أنّه لابدَّ لها من خالق ليس كمثلها، حتّىٰ لا يجعلوا المخلوقاتِ ﴿أَنداداً﴾ له وهم يعلمون أنّها لاتَقدِرُ علىٰ بعض ماهو عليه قادِرٌ. ومعنىٰ جعل الأرض فراشاً وبساطاً ومهاداً للناس: أنّهم يتقلّبون عليها كما يُتَقَلَّب على الفراش والبساط والمهاد. والبِناءُ مصدر سُمِّيَ به المبنيّ، وأَبنية العرب أَخبيتهم [٢]، ومنه «بنىٰ على امرأته».

و «من» في ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ للتبعيض، كأنّه قالَ: أَنزلنا مِنَ السماء بعض الماء، فأَخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم؛ لأَنّه لم يُنزِل من السماءِ الماءَ كلَّه ولا أَخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كلّه في الثمرات. ويجوز أَن يكون «من» للبيان، كما تقول: أنفقت من الدراهم أَلفاً. وإِذا كان «من» للتبعيض كان قوله: ﴿رِزْقاً﴾ منصوباً بأَنّه مفعول له، وإِذا كان للبيان كان ﴿رِزْقاً﴾ مفعولاً به لـ «أخرج».

والندُّ: المثل، ولا يقال: الندُّ إلّا للمثل المخالف المناوئ أَي: هو الّذي حقَّكم [٣] بهذه الدلائل النيّرةِ الشاهدة بالوحدانيّة، فَلا تَـتَّخِذوا له شركاء ﴿وَأَنتُمْ﴾ أَهل المعرفة والتمييز، أَو أَنتم تَعْلَمونَ مابينه وبينها من التفاوتِ، أَو أَنتم تَعْلَمون أَنّه لا يماثل.

---

(١) أراد بالمقلّة: الأرض الحاملة للمخلوقات عليها، وبالمظلّة: السماء الّتي تغطّيها كالقُبّة.

(٢) الأخبية جمع خباء، وهو من الأبنية مايعمل من وبر أو صوف أو شعر. (القاموس المحيط: مادة خبا).

(٣) في نسخة: خصّكم.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (٢٣)

لمّا احتجَّ سبحانه على الناس للتوحيد وعلَّم الطريقَ إلىٰ تصحيحه، عطف علىٰ ذلك الحجّة علىٰ نبوّة نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله فقال: إن ارتبتم فيما نَزَّلْنا، أتى بلفظ التنزيل؛ لأنَّ المراد النُزول علىٰ سبيل التدريج نجوماً سورةً بَعْدَ سورةٍ وآياتٍ بعد آيات علىٰ حسب النوازل والحوادث ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ ورسولنا محمّدٍ صلى الله عليه وآله، فهاتوا أَنتم سورةً من أصغر السُوَر.

والسورَةُ إن كانت وَاوها أصلاً: فإمّا أَن سُمِّيَت بسور المدينة لأَنّها طائفة من القرآن محدودَةٌ، أَو لأَنّها محتويةٌ علىٰ فنونٍ من العلم كاحتواءِ سور المدينة علىٰ مافيها، وإمّا أَن سُمِّيَتْ بالسورة الَّتي هي الرُتبة؛ لأَنَّ السُوَرَ بمنزلة المنازل والمراتب، و(١) لرِفعة شأنها في الدين. وإن كانت واوها منقلبةً عن همزةٍ، فلأَنَّها قِطعةٌ من القرآن، كالسؤْرة(٢) الَّتي هي البقيّة مِن الشيءِ ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ متعلِّقٌ بـ «سورَةٍ» صفة لها، أَي ﴿بِسُورَةٍ﴾ كائِنةٍ ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾، والضمير لما نزّلنا أَو لعبدنا، ويجوز أَن يتعلَّق بقوله: ﴿فَأْتُواْ﴾ والضمير للعبد، والمعنىٰ: فَأتوا بِسورَةٍ ممّا هو علىٰ صفته في البيان الغريب وحسن النظم، أَو هاتوا ممَّن هو علىٰ حاله من كونه بشراً عربيّاً أَو أُمّيّاً لم يأْخذ من العلماء ولم يقرأ الكتب، وردُّ الضمير إلى المنزَّل أَوجَه، لقوله: ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾(٣) وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾(٤)، ولأَنَّ الحديث في المنزَّل لا في المنزَّل عليه، فمن حقِّه أَن لا يردَّ الضمير إلىٰ غيره؛ لأَنَّ المعنىٰ: وإِن ارتبتم في أَنَّ القرآن منزَّل مِنْ عندالله فهاتوا أَنتم نَبْذاً ممّا يماثله ويجانسه، وإن

---

(١) في نسخة: أو.

(٢) في بعض النسخ: السؤر.

(٣) يونس: ٣٨.

(٤) الاسراء: ٨٨.

كان الضمير مردوداً إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فالمعنىٰ: وإن ارتبتم في أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله منزَّل عليه فهاتوا قرآناً من مثله، و «الشُهداءُ» جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة، والمعنىٰ: ادعوا كلَّ من يشهدكم واستظهروا به من الجنِّ والإنس إلّا الله تعالى فإنَّه القادر علىٰ أن يأتي بمثله دون كلّ شاهدٍ.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ (٢٤)

لمّا أرشدهم سبحانه إلى الوجه الَّذي مِنه يَعرفون صحَّة نبوَّة النبيِّ صلى الله عليه وآله قال لهم: فإذا لم تعارضوه بسورة مثله، ولم يتيسَّر لكم ذلك، وبان لكم أنَّه معجز، فآمنوا واتَّقوا النارَ المعَدَّة لمن كذَّب، وفيه دليلان على إثبات نبوَّته صلى الله عليه وآله: صحَّةُ كون القرآن معجزاً، والإخبار بأنَّهم لن يفعلوا أبداً، وهو غيب لا يعلمه إلّا الله. والوَقودُ: مايوقد به النار وهو الحطب، والمعنىٰ في قوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ أنَّها نارٌ مُمتازَةٌ عَنِ النيران الأُخر، بأنَّها لا تتَّقد إلّا بالناسِ والحجارة، وقرن الناس بالحجارة؛ لأنَّهم قرنوا بها أنفسَهم في الدُّنيا، حيث نحتوها أصناماً، وجعلوها لله أنداداً، وعبدوها مِن دونه، قال سبحانه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [1]، ومعنىٰ ﴿أُعِدَّتْ﴾: هُيِّئت وجُعِلَتْ عُدَّةً لعذابهم.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَـٰبِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ (٢٥)

ثمَّ ذكر سبحانه الترغيب بعد الترهيب، وشفَّع الإنذار بالبِشارةِ، فبشَّر عباده الَّذين جمعوا بين الإيمان وصالح الأَعمال بعد أن أَنذر الكفّار وأَوعدهم بالعذاب

(١) الأنبياء: ٩٨.

والنكال، والبِشارة: الإخبار بما يُظْهِرُ سرور المخبر به، والجنَّة: البستان من النخل والشجر، وأَصلها من الستر، فكأَنَّها لتكاثفها والتفاف أَغصان أَشجارها سُمِّيَتْ بِالجنَّة الَّتي هي المرَّة من مصدر جَنَّهُ إِذا سَتَرَه، ولولا أَنَّ الماءَ الجاريَ من أَعظم النِعم وأَكبر[١] اللذّاتِ لما جاء الله سبحانه بذكر الجنّات مشفوعاً بذكر الأَنهار الجارية من تحتها في قرنٍ واحدٍ، كالشيئَين لابدَّ لأَحدهما من صاحبه، وإِسناد الجري إِلى الأَنهار إِسنادٌ مجازيٌّ، كقولهم: بنو فلان يطأُهم الطريق.

وإِنَّما نُكِّرَتِ «الجنّات» لأَنَّ دار الثواب تشتمل علىٰ جنّات[٢] كثيرة مرتَّبة علىٰ حسب استحقاق كلِّ طبقةٍ من أَهلِها، وعُرِّفَتِ «الأَنهار» لإِرادة الجنس، كما تقول: لفلانٍ بستانٌ فيه الماءُ الجاري والعنبُ والفواكهُ، أَو يُرادُ الأَنهار المذكورة في قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ الآية[٣].

﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ﴾ إِمّا أَن يكون صفةً ثانيةً لـ﴿جَنَّـٰتٍ﴾، أَو خبرَ مبتدأ محذوف، أَو جملةً مستأْنفةً، والمعنىٰ: أَنَّهم كلَّما رُزِقوا من أَشجار الجنّات نوعاً مِن أَنواع الثمار ﴿رِّزْقاً قَالُواْ هَـٰذَا﴾ مثل ﴿ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ وشبهه، بدليل قوله: ﴿وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَـٰبِهاً﴾، وهذا كقولك: أَبو يوسف: أَبو حنيفة، تريد أَنَّه لاستحكام الشبه كَأَنَّ ذاته ذاته، والضمير في قوله: ﴿وَأُتُواْ بِهِ﴾ يرجع إِلى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعاً؛ لأَنَّ قوله: ﴿هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ انطوىٰ تحته ذكر مارُزِقوه في الدارين، ويجوز أَن يرجع الضمير في ﴿وَأُتُواْ بِهِ﴾ إِلى الرزق كما أَنَّ ﴿هَـٰذَا﴾ إِشارة إِليه، فيكون المعنىٰ: أَنَّ مايُرزَقونه من ثمرات الجنَّة يأْتيهم متجانساً في نفسه، كما يُحكىٰ عن الحسن: يُؤتى أَحدهم بالصحفة فيأْكل منها، ثمَّ

---

(١) في نسخة: أكرم. (٢) في نسخة: جنان.
(٣) محمد: ١٥.

يُؤتى بالأُخرىٰ، فيقول: هذا الّذي أُتينا به من قبل، فيقول الملَك: كُلْ فاللونُ واحدٌ والطَعم مختلف[١].

﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ طُهِّرْنَ ممّا يختصُّ بالنساء من المحيضِ، وما لايختصُّ بهنَّ من الأقْذار والأَدناس، ويدخل تحت ذلك الطُهرُ من دنس الطِباعِ وسائِرِ العيوب. والخُلدُ: الثباتُ الدائمِ والبقاء اللازم الّذي لا ينقطع.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيراً وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ (٢٦)

لمّا ضرب الله تعالى المثلين للمنافقين قبل هذه الآية، قالوا: الله أَعلىٰ وأَجلُّ من أَن يضرب هذه الأَمثال، فنزلت[٢] الآية لبيان أَنَّ ما استنكروه من أَن يكون المحقَّرات من الأَشياءِ مضروباً بها المثل ليس بموضع للاستنكار، لأَنَّ في التمثيل كشف المعنىٰ ورفع الحجاب عن المطلوب، فإِن كان المتمثَّل له عظيماً كان المتمثَّل به مثله، وإِن كان حقيراً كان المتمثَّل به كذلك، ووصف القديم سبحانه بالحياءِ في مثل قوله عليه‌السلام: «إِنَّ الله حَيِيٌّ كريم يستحيي إِذا رفع العبد إِليه يديه أَن يردَّهما صفراً حتّىٰ يضع فيهما خيراً»[٣] جارٍ مجرَى التمثيل؛ لأَنَّ الحياء تغيُّرٌ وانكسارٌ يعتري

(١) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ١٠٩.

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي: ص ٢٧ في أحوال نزول هذه الآية.

(٣) أخرجه في جامع الأُصول: ج ٥ ص ١١ ح ٢١١٩ عن سلمان الفارسي، ورواه أيضاً في كنز العمال: ج ٢ ص ٨٧ ح ٣٢٦٦ و ٣٢٦٧ و ٣٢٦٨ عن علي عليه‌السلام وابن عمر، وفي المستدرك للحاكم: ج ١ ص ٤٩٧ عن أنس، وفي الترغيب والترهيب للمنذري: ج ٢ ص ٤٨٠ ـ ٤٨١ وقال: ورواه أبو داود والترمذي وحسّنه واللفظ له وابن ماجة وابن حِبّان في صحيحه ←

الإنسان من لحوق[١] مايُعاب به ويُذَمُّ، واشتقاقه من الحياة، يقال: حَيِيَ الرجلُ، كما يقال: نَسِيَ وحُشِيَ وشَظِيَ الفرس: إذا اعتلَّت منه هذه الأَعضاء، وجعل الْحَيِيُّ لما يعتريه من الانكسار منتقص الحياة، فَمَثَّلَ تركه سبحانه تخييب العبد لكـرمه بترك من يترك ردَّ المحتاج إليه حياءً منه، وكذلك المعنىٰ في الآية: أَنَّ الله تعالىٰ لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أَن يتمثَّل بها لحقارتها.

و ﴿مَّا﴾ هذه إبهاميَّة وهي الَّتي إذا اقترنت بنكرةٍ زادته شياعاً، تقول: أَعطني شيئاً مّا، أَو هي صلة زيدت لِلتأْكيد نحو الَّتي في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾[٢]، والمعنىٰ: أَنَّ الله لا يستحيي ولا يترك أَن يتمثَّل للأَنداد بما لا شيءَ أَصغر منه وأَقلّ، وانتصب ﴿بَعُوضَةً﴾ بأَنَّها عطف بيانٍ أو مفعول لـ ﴿يَضْرِبَ﴾، و ﴿مَثَلًا﴾ حالٌ عن النكرة مقدَّمة عليه، أَو انتصبا مفعولين لـ ﴿يَضْرِبَ﴾، لأَنَّه أُجرِيَ مجرىٰ جعل.

﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ فيه معنيان: أَحدهما: فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الَّذي ضُرِبت فيه مثلاً وهو القلَّة والحقارة، والآخر: فَما زاد عليها في الحجم، و ﴿ٱلْحَقُّ﴾: الثابت الَّذي لا يَسوغُ إنكاره، يقال: حَقَّ الأَمرُ إذا ثبت ووجب، و ﴿مَاذَآ﴾ فيه وجهان: أَحدهما: أَن يكون «ذا» اسماً موصولاً بمعنى «الَّذي» فتكون كلمتين، والآخر: أَن يكون «ذا» مركَّبةً مع «ما» فتكون كلمةً واحدةً، والضمير في ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ للمثل أَو لـ ﴿أَن يَضْرِبَ﴾ و ﴿مَثَلًا﴾ نُصِبَ على التمييز.

وقوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِى بِهِ كَثِيراً﴾ جارٍ مجرى التفسير والبيان للجملتين المتقدّمتين، وأَنَّ فريق العالمين بأَنَّه الحقُّ وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة، وأَنَّ العلم بكونه حقّاً من باب الهدى، وأَنَّ الجهل

← والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(١) في بعض النسخ: تخوّف.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

بحسن مورده من باب الضلالة، وإسناد الإضلال إلى الله سبحانه إسناد الفعل إلى السبب؛ لأنّه لمّا ضرب المثل فَضَلَّ به قوم واهتدىٰ به قومٌ تسبَّب لضلالتهم[١] وهديهم، والفسق: الخروج عن طاعة الله.

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَـٰقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ (٢٧)

النَّقْضُ: الفسخ، وشاع[٢] استعمال النقض في إبطال العهد من جهة أنّهُمْ سمَّوا العهد بالحبل على الاستعارة، ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة: يا رسول‌الله إنَّ بينَنا وبين القوم حبالاً، ونحن قاطعوها، فنخشىٰ إن اللهُ أعـزَّك وأظهرك أن ترجع الىٰ قومك[٣]، و ﴿عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ هو ما رُكز في عقولهم من الحجَّة على التوحيد، أو ما أُخذ عليهم في التوراة من اتِّباع محمَّدﷺ، أَو ما أُخذ عليهم من الميثاق بأنّه إذا بُعِثَ إليهم رسولٌ مؤيَّد بالمعجزات صدَّقوه واتَّبعوه.

والضمير في ﴿مِيثَـٰقِهِ﴾ للعهد، ويجوز أن يكون الميثاق بمعنى: التوثقة، كما أنّ الميعاد والميلاد بمعنى: الوعد والولادة، ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله، أي: من بعد توثقته عليهم.

ومعنىٰ قطعهم ﴿مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾: قطعهم الأَرحام وموالاةَ المؤمنين، وقيل: قطعهم ما بين الأنبياء من الاجتماع على الحقّ في إيمانهم ببعضٍ وكفرهم ببعض[٤]. والأَمر: طلب الفعل ممَّن هو دونك، وبه سُمِّيَ الأمر الّذي هو واحد الأُمور؛ لأنَّ الداعي الّذي يدعو إليه شُبِّهَ بأمر يأمر به ﴿هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ لأنّهم

(١) في بعض النسخ: بسبب إضلالهم. (٢) في بعض النسخ: ساغ.
(٣) رواه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ١١٩.
(٤) رواه الضحاك وعطاء عن ابن عباس كما في تفسير السمرقندي: ج ١ ص ١٠٥.

استبدلوا النقض بالوفاءِ والقطع بالوصل والفساد بالصلاح.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتاً فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٨)

معنى الهمزة الَّتي في ﴿كَيْفَ﴾ مثلُه في قولك: أَتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان، وهو الإنكار والتعجُّب، والواو في قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتاً﴾ للحال، أَي وقصَّتكم هذه وحالكم أنَّكم كنتم أمواتاً: نُطَفاً في أَصلاب آبائكم ﴿فَأَحْيَـٰكُمْ﴾ فجعلكم أَحياءً ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بعد هذه الحياة ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بعد الموت، وهذا الإِحياء الثاني يجوز أَن يراد به الإِحياءُ في القبر، وبقوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الحشر والنشور، ويجوز أَن يراد بالإِحياءِ النشورُ وبالرجوع المصيرُ إِلى الحساب والجزاء، وَعَطَفَ الأَوَّل بالفاء؛ لأَنَّ الإِحياءَ الأَوَّل يعقِّب الموت بغير تراخٍ، وعَطَفَ الآخرَيْن «بـ» ثمَّ؛ لأَنَّ الموت قد تراخىٰ عن الإِحياء، والإِحياء الثاني متراخٍ عن الموت، إِن أُريد به النُشور أَوِ الإِحياءُ في القبر، والرجوع إِلى الجزاء أَيضاً متراخٍ عن النشور.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٩)

﴿لَكُم﴾ أَي: لأَجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم بأَن تتمتَّعوا منه بفنون المطاعم والمناكح والمراكب والمناظر البهيجة، وفي دينكم بأَن تنظروا فيه وما يتضمَّنه من عجائِب الصنع الدالّة على الصانع القادر الحكيم، وفي هذا دلالة علىٰ أَنَّ أَصل الأشياء الإِباحة إِلىٰ أَن يمنع الشرعُ بالنهي، وجائزٌ لكلّ أَحدٍ أَن يتناولها ويستنفع بها، و ﴿جَمِيعاً﴾ نصب على الحال من قوله: ﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾،

والاستواءُ: الاعتدال والاستقامة، يقال: استوى العود، ثُمَّ قيل: استوى إليه كالسهم المرسَل إذا قصد قصداً مستوياً من غير أَن يلويَ إلىٰ شيءٍ، ومنه استعير قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أَي: قصد إليها بإرادته ومشيّته بعد خلق ما في الأَرض من غير أَن يريد فيما بين ذلك خلق شيءٍ آخر، والمراد بالسماءِ جهات العلو، كأَنّه قال: ثمَّ استوى إلى فوق، والضمير في ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ ضميرٌ مبهمٌ، و ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ تفسيره، كقولهم: ربَّه رجلاً، وقيل: الضمير راجع إلى السماء[1]، والسماءُ في معنى الجنس[2]، ومعنىٰ ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾: عَدَّلَ خَلقهنَّ وأَتمَّه وقوَّمه ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ فلذلك خلق السماوات والأَرض خَلْقاً مُحكماً مُتقناً مِن غير تفاوتٍ علىٰ حسب ما اقتضته الحكمة.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٠)

لمّا ذكَرَ سبحانه إنعامه علينا بخلق السماءِ والأَرض ومافيهما، ذَكَرَ نعمته علينا بخلق أَبينا آدم عليه السلام، و﴿إِذْ﴾ نُصِبَ بإِضمار «اذكر»، ويجوز أَن ينتصب بـ ﴿قَالُوٓا۟﴾، و ﴿جَاعِلٌ﴾ من جعل الّذي له مفعولان، والمعنىٰ مُصيِّرٌ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، والخليفة: من يَخْلُفُ غيره، والمعنىٰ: خليفة منكم؛ لأَنَّ الملائكة كانوا سُكّان الأَرض فخلفهم آدم فيها وذُرِّيَّته، واستغنى بذكر آدم عن ذكر بنيه كما يستغنىٰ بذكر أَبي القبيلة في قولك: ربيعة ومُضَر[3]، أَو يُريد من يخلفكم، أَو خلقاً

---

(١) قاله الهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ١ ص ٢٦٢.

(٢) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ١٠٧، والأخفش في معاني القرآن: ج ١ ص ٢١٧ وعنه في التبيان: ج ١ ص ١٢٦.

(٣) في نسخة زيادة: وهاشم.

يخلفكم فوحّد لذلك، ويجوز أَن يريد خليفة منّي؛ لأنَّ آدم كان خليفة اللهِ في أَرضه، وهو الصحيح؛ لقوله: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [١].

﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ إِنّما عرفوا ذلك حتّىٰ تعجّبوا منه من جهة اللوح، أَو عرفوه بإِخبار الله تعالىٰ ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ الواو للحال، كما تقول: أَتُحسِن إِلىٰ فلانٍ وأَنا أَحقُّ منه بالإِحسان، والتسبيح: تبعيد الله من السوء، و ﴿بِحَمْدِكَ﴾ في موضع الحالِ، أَي: نسبِّحُ حامدين لك ومتلبّسين بحمدك ﴿قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ﴾ من المصالح في ذلك ماهو خفيٌّ عليكم ولا تعلمونه، ولم يبيِّن لهم تلك المصالح؛ لأَنَّ العباد يكفيهم أَن يعلموا أَنَّ أَفعال اللهِ تعالىٰ كلَّها حسنةٌ وإن خفي عليهم وجه الحكمة، علىٰ أَنـّه قد بيَّن لهم بعض ذلك في قوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾ الآية.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ (٣١)

أَي: أَسماءَ المسمَّياتِ كلِّها، فحُذف المضاف إِليه لكونه معلوماً مدلولاً عليه بذكر الأَسماءِ؛ لأَنَّ الاسم لابدَّ له من مسمىً، وعوِّض منه اللام كقوله: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [٢]، وليس التقدير: وعلَّم آدم مسمَّيات الأَسماء، فيكونَ حذفاً للمضافِ؛ لأَنَّ التعليم يتعلَّق بالأَسماء لا بالمسمَّيات، لقوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾، ومعنىٰ تعليمه أَسماءَ المسمَّياتِ أَنـّه أَراه الأَجناس الَّتي خلقها، وعلَّمه أَنَّ هذا اسمه فرس وهذا اسمه كذا، وعلَّمه أَحوالها وما يتعلَّق بها من المنافع الدينيَّة والدنيويَّة ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أَي: عرض المسمَّيات ﴿عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ وإِنّما ذكَّر لأَنَّ في المسمَّيات العقلاءَ فغلَّبهم ﴿فَقَالَ﴾ للملائكة: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾

---

(١) صٓ: ٢٦. (٢) مريم: ٤.

استنبأَهم وقد علم عجزهم عن الإنباءِ علىٰ سبيل التبكيتِ ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أَي: في زعمكم أنّي أَستخلف في الأَرض مَن يُفسِدُ فيها إرادةً للردِّ عليهم، وليبيِّن أَنَّ في من يستخلفه من الفوائد العلميَّة الَّتي هي أُصول الفوائد كلِّها ما يستأْهلون لأَجله أَن يُستَخلَفوا، فبيَّن لهم بذلك بعض ما أَجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَالَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

﴿قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (٣٢)

قالت الملائكة: ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك عن أَن يعلم الغيب أَحد سواك، أَو تعظيماً لك عن أَن يُعترَضَ عليك في حكمك ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ وليس هذا في ما علَّمتنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بجميع المعلومات، وهو صيغة مبالغة للعالم ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ المحكم لأَفعاله.

﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (٣٣)

﴿أَنۢبِئْهُم﴾ أَي: أَخبر الملائكة ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ علَّقَ الإِنباءَ بالأَسماءِ لا بالمسمَّيات، فلَمْ يقل: أَنبِئْهم بهم؛ لما قلناه من أَنَّ التعليم يتعلَّق بالأَسماءِ ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم﴾ آدم أَخبر الملائكة ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ أَي: باسمِ كلِّ شيءٍ ومنافعه ومضارِّه وخواصِّه ﴿قَالَ﴾ سبحانه للملائكة: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أَي: أَعلم ماغاب فيهما عنكم فلم تشاهدوه كما أَعلم ماحَضَركم

---

(١) البقرة: ٣٠.

فشاهدتُموه ﴿وَأَعْلَمُ مَاتُبْدُونَ وَمَاكُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أَي: ما تُعلِنونه وما تُضمِرونه، وفي هذا أَنَّ تعليمه سبحانه الأَسماءَ كلَّها بما فيها من المعاني وفتق لسانه بـذلك معجزةٌ أَقامها الله تعالىٰ للملائكة دالَّة علىٰ نبوَّته وجلالة قدره وتفضيله عليهم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (٣٤)

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ استثناءٌ متَّصلٌ عند من ذهب إِلى أَنَّ إِبليس من الجنِّ، وكان[١] بين أَظْهُرِ الأُلوف من الملائكة مغموراً بهم، ثمّ استُثنِي منهم استثناءَ واحدٍ مـنهم، ويجوز أَن يكون منقطعاً ﴿أَبَىٰ﴾ أَي: امتنع ممّا أُمر به ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ عنه ﴿وَكَانَ مِنَ﴾ جنس كافري الجنِّ وشياطينهم، ولاشكَّ أَنَّ الاستثناءَ متَّصلٌ عند من ذهب إِلى أَنـَّه من الملائكة.

وفي الآية دلالة علىٰ فضل آدم علىٰ جـميع المـلائكة؛ لِأَنـَّـه قـدَّمه عـلى الملائكة إِذ أَمَرَهم بالسجود له، وَلا يجوز تقديم المفضول على الفـاضل، وَلو لم يكن سجود الملائكة له علىٰ وجه التعظيم لشأنِـه و[٢] تـقديمه عـليهم لم يكـن لامتناع إِبليس عن السجود له، وقوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾[٣] وقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[٤] وجهٌ، ولكان يجب على اللهِ تعالىٰ أَن يُعلِمَه أَنـَّه لم يأْمره بالسجود له على وجه تعظيمه وتفضيله عليه، ولما جاز أَن يَفْعَلَ ذلك إِذا كان ذلك سبب معصية إِبليس، فعلمنا أَنـَّه لم يكن ذلك إِلّا علىٰ وجه التفضيل له عليهم.

﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ

---

(١) في نسخة زيادة: واحداً.
(٢) في نسخة زيادة: في.
(٣) الاسراء: ٦٢.
(٤) الأعراف: ١٢.

شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (٣٥)

﴿أَنتَ﴾ تأكيد للضّمير المستكنّ في ﴿ٱسْكُنْ﴾ ليصحّ العطف عليه، و ﴿رَغَداً﴾ وصف للمصدر، أي: أكلاً رَغداً واسعاً رافِهاً، و ﴿حَيْثُ﴾ للمكان المبهم، أي: أيّ مكان من الجنّة ﴿شِئْتُمَا﴾ والمعنى: اتّخذ أنت وامرأتك الجنّة مَسكناً ومأوىً ﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾ أي: من الجنّة كثيراً واسِعاً ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ مِن بِقاع الجنّة ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ أي: لا تأكلا مِنها، والمعنى: لا تقرباها بالأكل، وهو نهي تنزيه عندنا لا نهي تحريم، وكانا بالتناول منها تاركَيْن نَفلاً وفضلاً[1] ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: الباخسين الثواب لأنْفُسِكُما بترك هذا المندوب إليه.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٣٦)

﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ أي: حمَلَهما على الزلّةِ ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ يعني: إبليس، نَسَبَ الزلّةَ إلى الشيطان لمّا وقعت بدعائه ووسوسته ﴿عَنْهَا﴾ عن الجنّة ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من المنزلة والنعمة والدعة، وأضاف الإخراج إلى الشيطان،لأنّه كان السببَ فيه، وإنّما أخرج الله آدم من الجنّة،لأنّ المصلحة اقتضت بعد تناوله الشجرةَ إهباطَه إلى الأرض وابتلاءه بالتكليف وسلبه ثيابَ الجنّة، كما تقتضي الحكمة الإفقار بعدَ

---

(١) قال في التبيان: ج ١ ص ١٥٩ مالفظه: وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ صيغته صيغة النهي، والمراد به الندب عندنا؛ لأنّه دلّ الدليل علىٰ أنّ النهي لا يكون نهياً إلّا بكراهته للمنهي عنه، والله تعالى لا يكره إلّا القبيح.

وفي تفسير الميزان قال: فهما انّما ظلما أنفسهما في ترك الجنّة، على أنّ جزاء المخالفة للنهي المولوي التكليفي يتبدّل بالتوبة إذا قُبلت ولم يتبدّل موردهما، فانّهما تابا وقبلت توبتهما ولم يرجعا الى ما كانا فيه من الجنّة، ولولا أنّ التكليف إرشادي ليس له إلّا التبعة التكوينية دون التشريعية؛ لاستلزام قبول التوبة رجوعهما الى ما كانا فيه من مقام القرب. انظر تفسير الميزان: ج ١ ص ١٣١.

الإغناء والإماتةَ بعد الإحياء، ومن قرأَ: «فأَزالهُما»(١) فالمعنىٰ: فأَزالهما ممّا كانا فيه من النعيم والكرامة أَو من الجنَّة ﴿وقُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾ خطاب لآدم وحوّاء، والمراد: هما وذرِّيَّتهما؛ لأَنَّهما لمّا كانا أَصل الإِنس جُعِلا كأَنَّهما الإِنسُ كلُّهم، ويدلُّ عليه قوله في موضعٍ آخَرَ: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً﴾(٢)، ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ والمعنىٰ فيه: ماعليه الناس من التعادي والمخالفة وتضليل بعضهم لبعض، والهبوطُ: النزول إلى الأَرض، والمستقرُّ: موضع الاستقرار أو الاستقرار(٣)، ﴿وَمَتَـٰعٌ﴾ أَي: تـمتُّعٌ بالعيش ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلىٰ يوم القيامة، وقيل: إِلى الموت(٤). قال السرّاج(٥): لو قيل: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ﴾ لظُنَّ أَنَّ ذلك غير منقطع، فقيل: ﴿إِلَـىٰ حِينٍ﴾ أَي: إِلىٰ حين انقطاعه(٦).

---

(١) وهي قراءة حمزة والأعمش والحسن والأعرج وطلحة وأبي رجاء. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٥٣، والكشف عن وجوه القراءات للـقيسي: ج ١ ص ٢٣٦، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣١٢، والحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ١٠، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ١٦١.

(٢) طه: ١٢٣.

(٣) في نسخة ليس فيها: «أو الاستقرار».

(٤) قاله ابن عباس والسدي. راجع تفسير ابن عباس: ص٧، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٠٨.

(٥) محمد بن السريّ بن سهل البغدادي المعروف بابن السرّاج؛ أبو بكر، أديب، نحوي، لغوي، صحب المبرّد وقرأ عليه كتاب سيبويه في النحو، ثم اشتغل بالموسيقىٰ، ثم رجع الىٰ كتاب سيبويه ونظر في دقائقه وعول علىٰ مسائل الأخفش والكوفيّين، وخالف أُصول البصريّين في مسائل كثيرة، وأخذ عنه عبد الرحمن الزجاجي وأبو سعيد السيرافي وأبو علي الفارسي وعلي بن عيسىٰ الرمّاني وتوفي كهلاً، من تصانيفه: شرح كتاب سيبويه في النحو، احتجاج القرّاء في القراءة، جمل الأُصول، الاشتقاق، الشعر والشعراء. (سير النبلاء: ج ٩ ص ٢٦٦، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ٥ ص ٣١٩ ـ ٣٢٠، ووفيات الأعيان لابن خلّكان: ج ١ ص ٦٣٦ ـ ٦٣٧، ومعجم الأدباء: ج ١٨ ص ١٩٧ ـ ٢٠١، والكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٨ ص ٦ و ٦٢).

(٦) حكاه عنه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١ ص ١٦٥.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (٣٧)

معنى تلقّي الكلمات استقبالها بالأَخذ والقبول والعمل بها، أَي: أَخَذَها ﴿مِن رَّبِّهِۦ﴾ علىٰ سبيل الطاعة، ورغب إِلى الله بها، أو سأَله بحقّها ﴿فَتَابَ﴾ الله ﴿عَلَيۡهِۚ﴾.

ومن قَرَأَ: «فَتَلَقّىٰ آدَمَ» بالنَصب «كَلماتٌ» بالرَّفع[١]، فالمعنىٰ: أَنَّ الكلمات استقبلت آدَمَ عليه السلام بأَن بَلَغَتْه، والكلمات هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[٢]، وقيل: هي قولُه: «لا إله إِلّا أَنت ظَلَمْتُ نَفْسي فَاغْفِرْ لي إِنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلّا أَنْتَ»[٣]، وفي رواية أَهل البيت عليهم السلام: أَنَّ الكلمات هي أَسماءُ أَصحاب الكساء عليهم السلام[٤].

واكتفىٰ بذكر توبة آدم عن ذكر توبة حوّاءَ لأَنّها كانت تبعاً له، و ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾: الكثير القبول للتوبة، وهو في صفة العباد: الكثير التوبة.

﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ (٣٨)

كَرَّر سبحانه ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ﴾ للتأْكيد ولما تبعه من قوله: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى﴾ أَي: فَإِن يأْتكم منّي هدىً برسول أَبعثه إِليكم وكتاب أُنزله عليكم ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ بأَن يقتديَ برسولي ويُؤْمنَ به وبكتابه ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ من العقاب

---

(١) قرأه ابن عباس ومجاهد وابن كثير. راجع التبيان: ج ١ ص ١٦٦، والسبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٥٣، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣١٢، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ١٦٥.

(٢) الأعراف: ٢٣.

(٣) نسبه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ١٢٨ ـ ١٢٩ الى ابن مسعود، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٠٩ الى مجاهد.

(٤) راجع الخصال للصدوق: ج ١ ص ٢٧٠ ح ٨، ومعاني الأخبار أيضاً: ص ١٢٥ ح ١.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ علىٰ فوت الثواب، وجواب الشرط الأَوَّل الشرط الثاني مع جوابه، كقولك: إن جِئْتَني فإن قدرتُ أَحسنتُ إِليك.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ (٣٩)

﴿وَٱلَّذِينَ﴾ جحدوا رسلنا ﴿وَكَذَّبُواْ﴾ بدلائلنا[١] فـ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ الملازمون للنار ﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ أَي: دائمون مؤَبَّدون.

﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ (٤٠)

لمّا عمَّ سبحانه جميع خلقه بالخطاب، وذكر لهم الحجج علىٰ توحيده، وعَدَّدَ عليهم صنوف نعمائِه خصَّ بني إسْرائيل عقيب ذلك بذكر ما أَسداه إِليهم من النعم، فقال: ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وإسْرائيل هو يعقوب لقب له، ومعناه في لسانهم: صفوة الله، وقيل: عبدالله[٢] ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أَي: لا تُخِلُّوا بشكرها واستعظموها، وأَراد بالنعمة ما أَنعم به علىٰ آبائهم من كثرة الأَنبياءِ فيهم، وإِنجائهم من فرعون، وغير ذلك ممّا عدَّده سبحانه عليهم ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ﴾ أَي: بما عاهدتموني عليه من الإيمان بي والطاعة لي ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أَي: بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب، وقيل: أَوْفوا بِعَهْدي في محمَّد صلى الله عليه وآله أَنَّ من آمن به كان له أَجران، ومن كفر به تكاملت أَوزاره، أُوفِ بِعَهدِكُمْ أُدخلكم الجنّة[٣]. ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ أَي: فلا تنقضوا عهدي، وهو من قولك: زيداً رهبته، و ﴿وَإِيَّـٰىَ﴾

---

(١) في بعض النسخ: بدلالاتنا.

(٢) وهو قول ابن عباس علىٰ مافي تفسير الماوردي: ج ١ ص ١١٠.

(٣) قاله ابن عباس. راجع تفسيره: ص ٨، وحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ١ ص ١٨٣.

منصوبٌ بفعل مضمرٍ يفسِّره «ارهبونِ».

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَناً قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَاتَّقُونِ﴾ (٤١)

أي: وصدِّقوا بما أَنزلته علىٰ محمَّد صلى الله عليه وآله من القرآن ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراةِ ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ أي: أَوَّل من كفر به، أَو أَوَّل فريق كافر به، أو ولا يكن كلُّ واحدٍ منكم أَوَّل كافرٍ به، كما يقال: كسانا الأَمير حُلَّةً، أَي: كسا كلَّ واحدٍ منّا حُلَّةً، وهذا تعريضٌ بأَنَّه كان يجب أَن يكون اليهود أَوَّل من يُؤْمن به؛ لمعرفتهم به وبصفته، ولأَنَّهم كانوا يُبَشِّرون الناسَ بزمانه، ويستفتحون على الَّذين كفروا، وكانوا يقولون: إنّا نَتَّبِعُه أَوَّل الناسِ كلِّهم، فلمّا بُعِثَ كان أَمرهم على العكس، كقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ﴾ [1]، وقيل: الضمير في ﴿بِهِ﴾ لما معكم؛ لأَنَّهم إِذا كفروا بما يُصَدِّقُه فقد كفروا به [2] ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَناً قَلِيلًا﴾ الاشتراء استعارةٌ للاستبدال، كما في قوله: ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ [3] أَي: لا تستبدلوا بِآياتي ثمناً قليلاً، وإلّا فالثمن هو المشتَرىٰ به، والثمن القليل: الرياسة الَّتي كانت لهم في قومهم خافوا فوتها باتِّباعه فاستبدلوها بآيات الله.

﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِالْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤٢)

الباءُ في قوله: ﴿بِالْبَـٰطِلِ﴾ يجوز أَنْ يكون مثل مافي قولك: لبست الشيءَ بالشيءِ: خلطته به، فيكون المعنىٰ: ولا تكتبوا في التوراةِ ماليس منها فيختلط ﴿ٱلْحَقَّ بِالْبَـٰطِلِ﴾، ويجوز أَن تكون باءَ الاستعانة كما في قولك: كتبت بالقلم،

---

(١) البقرة: ٨٩.

(٢) وهو قول الزجاج. راجع التبيان: ج ١ ص ١٨٧.

(٣) البقرة: ١٦.

فيكون المعنىٰ: ولا تجعلوا الحقَّ ملتبساً مشتبهاً بباطلكم الَّذي تكتبونه، ﴿وَتَكْتُمُواْ﴾ جزم معطوف علىٰ ﴿تَلْبِسُواْ﴾ بمعنىٰ: ولا تكتموا، أَو منصوبٌ بإِضمار «أَن» أَي: ولا تجمعوا بين لبس الحقِّ بالباطل وكتمان الحقِّ، كقولك: لا تأْكل السمك وتشربَ اللبن ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّه حقٌّ وتجحدون ما تعلمون.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ (٤٣)

أَي: وأَدُّوا الصلاة بأَركانها، وأَعطوا مافرَضَ الله عليكم من الزَّكاة ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ من المسلمين، لأَنَّ اليهود لا ركوع لهم في صلاتهم، وقيل: إِنَّ المراد به صلاة الجماعة[١].

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٤٤)

الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم، و «الْبِرُّ»: سَعَة الخير، ومنه الْبَرُّ لِسَعَتِه، ويتناول كلَّ خيرٍ، ومنه قولهم: صَدَّقتُ وَبَرَرْتُ، وكانوا يأْمرون أَقاربهم في السرِّ باتِّباع محمَّد صلى الله عليه وآله ولا يتَّبعونه ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ تتركونها من البرِّ ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ تبكيتٌ مثل قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢]، يعني: تتلون التوراةَ وفيها صفة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ توبيخ عظيم بمعنىٰ: أَفلا تفطُنونَ بقُبح ما تُقْدِمونَ عليه، فيصدّكم استقباحه عن ارتكابه فكأَنَّكم قد سُلِبَتْ عقولكم.

﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ(٤٥) ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ (٤٦)

﴿وَٱسْتَعِينُواْ﴾ في حوائجكم إِلى اللهِ ﴿بِـ﴾ الجمع بين ﴿ٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾،

---

(١) قاله ابن عباس. راجع تفسيره: ص ٨. (٢) البقرة: ٢٢.

وَأَن تُصَلُّوا صابرين علىٰ تكاليف الصلاة وما يجب فيها من إخلاص القلب ودفع الوساوس، أو واستعينوا على البلايا بالصبر عليها والالتجاءِ إلى الصلاة، وقيل: الصبر: الصوم[١]، ومنه قيل لشهر رَمَضانَ: شهر الصبر[٢]، ﴿وَإِنَّهَا﴾ الضمير للصلاة أو للاستعانة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: شاقّةٌ ثقيلةٌ ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ لأنّهم الّذين يتوقّعون ماادُّخِرَ للصابرين علىٰ مشاقّها فتهون عليهم، والخشوع: التطأمُنُ والإخبات والخضوع واللين والانقياد ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ أي: يتوقّعون لقاءَ ثوابه ونيل ماعنده، وفي مصحف عبدالله[٣] «يَعْلَمونَ»[٤]، ولذلك فُسِّر ﴿يَظُنُّونَ﴾ بـ«يَتَيَقَّنونَ»، وَكانَ النبيُّ عليه السلام يقول: «يابِلالُ رَوِّحْنا»[٥]، وقال عليه السلام: «وَجُعِلتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة»[٦].

(١) قاله مجاهد كما حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ١ ص٦٨.

(٢) انظر تفسير الماوردي: ج ١ ص ١١٥، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٦٨، والكشّاف للزمخشري: ج ١ ص ١٣٤.

(٣) هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي؛ أبو عبدالرحمن، من أكابر الصحابة وهو من أهل مكة، ومن المقرّبين من رسولالله صلى الله عليه وآله، ومن السابقين الى الاسلام، وأوّل من جهر بقراءة القرآن الكريم بمكة، وكان خادم رسولالله الأمين ، يدخل عليه كلّ وقت، وكان له مصحف يعرف باسمه، ويقال: إنّه نظر إليه عمر يوماً وقال: وعاء مليء علماً، ولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله بيت مال الكوفة، ثم قدم المدينة في خلافة عثمان، فتوفّي فيها عن نحو ستين عاماً، وكان قصيراً جدّاً، يكاد الجلوس يوارونه، وكان يحبّ الإكثار من التطيّب، فإذا خرج من بيته عرف جيران الطريق أنّه مرّ، من طيب رائحته. (الإصابة: ت ٤٩٥٥، وغاية النهاية: ج ١ ص ٤٥٨، والبدء والتاريخ: ج ٥ ص ٩٧، وصفة الصفوة: ج ١ ص ١٥٤، وحلية الأولياء: ج ١ ص ١٢٤).

(٤) حكاه عنه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ١٣٤.

(٥) رواه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ١٣٤ مرفوعاً.

(٦) فتح الباري لابن حجر: ج ١١ ص ٣٤٥، المعجم الصغير للطبراني: ج ١ ص ٢٦٢، مسند أبي حنيفة: ص ٥٤، جامع مسانيد الامام أبي حنيفة: ج ١ ص ٤٠٦، البداية والنهاية لابن كثير: ج ٦ ص ٣٠، تفسير القرطبي: ج ١٠ ص ١٦٧.

﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ (٤٧) وَٱتَّقُوا۟ يَوْماً لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٤٨)

﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ﴾ في مَوْضِعِ نَصْبٍ عطف علىٰ ﴿نِعْمَتِىَ﴾ أي: اذكروا نعمتي وتفضيلي إيّاكم ﴿عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ عَلىٰ الجَمِّ الغَفيرِ من النّاس، كقوله: ﴿بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ [(١)]، يُقالُ: رَأَيتُ عالَماً من الناس يراد به الكَثرة، أَو تفضيلي إِيّاكم في أَشياءَ مخصوصةٍ كإِنزال المنِّ والسلوىٰ، والآيات الكثيرة كفلق البحر وتغريق فرعون، وكثرة الرُسُلِ فيكم [(٢)] ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْماً﴾ يريد يوم القيامة ﴿لَّا تَجْزِى﴾ أي: لا تقضي ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ حقّاً وجب عليها لله أو لغيره، كقوله: ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [(٣)] وهذه الجملة منصوبة الموضِع صفة لـ﴿يَوْماً﴾ والعائد منها إلى الموصوف محذوف تقديره: لا تجزي فيه، حُذِفَ الجارُّ ثمَّ حُذِفَ الضمير، ومعنى التنكير أَنَّ نفساً من الأَنفس لا تجزي عن نفسٍ منها شيئاً من الأَشياء ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ﴾ هذا مختصٌّ باليهود، فإِنّهم [(٤)] قالوا: «آباؤنا يشفعون لنا» فأُويِسُوا؛ لأَنَّ الأُمَّة مجتمعةٌ علىٰ أَنَّ لنبيِّنا صلوات الله عليه وآله شفاعةً مقبولةً وإن اختلفوا في كيفيَّتها، وإِجماعُها حجَّةٌ ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أَي: فديةٌ؛ لأَنّها معادلة للمَفْدِيِّ ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يعني: مادلَّت عليه النفس المنكَّرة مِن النُفوس الكثيرة، والتذكير بمعنى العباد والأَناسيِّ كما قالوا: ثلاثة أَنفس.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ

---

(١) الأنبياء: ٧١.
(٢) في نسخة: منكم.
(٣) لقمان: ٣٣.
(٤) في بعض النسخ: لأنّهم.

أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (٤٩)

أصل ﴿ءَالِ﴾ أهل، ولذلك صُغِّرَ بأُهَيْلٍ، فأُبدلت هاؤُه ألفاً، وخُصَّ استعماله بأُولي الخطَر والشّأن كالملوك وأَشباههم[1]، و﴿فِرْعَوْنَ﴾ عَلَمٌ لمن ملك العمالقة، مثل قيصر لملك الرُّوم، وكِسرى لملِك الفرس ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ من سامه خَسفاً إذا أَولاه ظلماً، وأَصله من سام السلعة إذا طلبها، كأنّه بمعنىٰ يبغونكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ ويريدونكم عليه، و «السُّوء» مصدر السيِّيء، وسوء الفعل قبحه، و﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بيان لـ ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾، ولذلك ترك العاطف، وإِنَّما فعلوا بهم ذلك لأَنَّ الْكَهَنَةَ أَنذروا فرعون بأَنّه يولد مولود يكون علىٰ يده هلاكه كما أُنذر نُمرودُ، فلم يُغنِ عنهما تحفُّظُهما وكان ماشاءَالله أَن يكون، والبلاء: المحنة إِن أُشير بذلكم إِلىٰ صنيع فرعون، والنعمة إِن أُشير به إِلى الإِنجاء.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (٥٠)

﴿فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ فصلنا بين بعضه وبعض حتّىٰ صارت فيه مسالك لكم، يقال: فرق بين الشيئين وفرَّق ـ بالتشديد ـ بين الأَشياءِ، والمعنىٰ في ﴿بِكُمُ﴾ أَنّهم كانوا يسلُكونه ويتفرَّق الماء عند سلوكهم، فكأَنّما فرق بهم، ويجوز أَن يراد بسببكم وبسبب إِنجائِكم، ويجوز أَن يكون في موضع الحال بمعنىٰ: فرقناه متلبِّساً بكم.

ورُوِيَ: أَنَّ بني إِسرائيل قالوا لموسىٰ: أَين أَصحابنا لا نراهم؟ فقال: سيروا فإِنَّهم علىٰ طريقٍ مثلِ طريقِكم، قالوا: لا نرضىٰ حتّىٰ نراهم، فقال: اللّهُمَّ أَعِنِّي علىٰ أَخلاقِهم السَّيِّئَةِ، فأَوحى الله إِليه: أَن قل بعصاك هكذا، فصارت فيها كِواءٌ فتراءَوْا

---

(١) راجع تفصيله في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٢٨٨.

وسمع بعضهم كلام بعضٍ [١] ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إلىٰ ذلك وتشاهدونهم لا تشكّون فيه.

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِن بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ (٥١)

أَي: وعدنا موسىٰ أن نُنَزِّلَ عليه التوراةَ، وضربنا له ميقاتاً ذا القِعدة وعشر ذي الحِجَّة، وقيل: أَربعين ليلة؛ لأَنَّ الشهور عددها بالليالي [٢]، ومن قَرَأَ ﴿وَٰعَدْنَا﴾ فلأَنَّ الله تعالى وعده الوحي، ووعد هو المجيءَ للميقات إلى الطور ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِن بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد مُضيِّه إلى الطور ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ باتّخاذكم العجل إلهاً.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٢) وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٥٣)

﴿مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أَي: من بعد ارتكابكم الأَمر العظيم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النعمة في العفو عنكم ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ﴾ أعطينا ﴿مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ أَي: الجامع بين كونه كتاباً منزلاً وفُرقاناً فارقاً بين الحقِّ والباطل يعني التوراةَ، كقولك: رأَيت الغيث والليث، أَي: الرجل الجامع بين الجود والجُرْأَةِ، ونحوه قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا﴾ [٣] أَي: الكتاب الجامع بين كونه فُرقاناً وضياءً وذكراً، ويجوز أَن يريد بـ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراةَ ﴿وَ﴾ بـ ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾: البرهانَ الفارقَ بين الكفر والإيمان من العصا واليد وغيرهما من

(١) رواه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ١٣٩، وابن الأثير في الكامل: ج ١ ص ١٨٧.
(٢) وهو قول الأخفش، ونسبه الطبري الى بعض نحويّي البصرة. راجع معاني القرآن: ج ١ ص ٢٦٤، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٣١٩.
(٣) الأنبياء: ٤٨.

الآيات، أَو الشرعَ الفارقَ بين الحلال والحرام، أَو انفراقَ البحر، أَو النصرَ الَّذي فرَّق بينه وبين عدوِّه، كقوله: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾[1] يريد يوم بدر.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (٥٤)

﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ لعَبَدَة العجل من قومه بعد رجوعه إِليهم: ﴿يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ﴾ أضررتم ﴿أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ معبوداً، والبارئ: الَّذي بَرَأَ[2] الخلق بريئاً من التفاوت ومتميِّزاً بعضهم من بعض بالصوَر والأَشكال المختلفة ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ﴾ خالقكم ومُنشئكم ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أَي: ليقتل بعضكم بعضاً، أَمَرَ مَن لم يعبد العجل أَن يقتل مَن عَبَدَه.

رُوِيَ: أَنَّ الرجل كان يبصر ولده وقريبه فلم يمكنهم إِمضاء أَمر الله سبحانه، فأَرسل الله عليهم ضَبابةً[3] لا يَتراءَوْنَ تحتَها، وأُمِروا أَن يحتبوا[4] بأَفنية بيوتهم، وأَخذ الَّذين لم يعبدوا العجل سيوفَهم فقتلوهم إِلى المساءِ حتَّىٰ دعا موسىٰ وهارون، وقالا: ياربِّ هلكت بنو إِسرائيل، البقيَّةَ البقيَّةَ، فكشفت الضبابة ونزلت التوبة، فسقطت الشفار من أيديهم وكانت القتلىٰ سبعين أَلفاً[5].

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إِشارةٌ إِلى التوبة مع القتل ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ من إِيثار الحياة

---

(١) الأنفال: ٤١.
(٢) في نسخة: خَلَقَ.
(٣) الضبابة: السحابة، الغيمة. (لسان العرب: مادة ضبب).
٤) احتبىٰ بالثوب: اشتمل أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها. (القاموس المحيط: مادة حبا).
(٥) رواها عن ابن عباس الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٢٢ ـ ١٢٣، وعن أبي صالح السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ١٢٠.

الفانية، وكرَّر ذكر بارئكم تعظيماً لما أَتوا به مع كونه خالقاً لهم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ تقديره: ففعلتم ما أُمِرتم به فتاب عليكم ﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ القابل للتوبة عن عباده، الرحيم بهم.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (٥٥)

قيل: إنَّ القائِلين هذا القول هم السبعون الَّذين صعِقوا[١]، أَي: لن نصدِّقك في قولك ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ﴾ عياناً، وهي مصدر من قولك: جَهَرَ بالقراءة، كأَنَّ الَّذي يرى بالعين جاهِرٌ بالرُّؤْية والَّذي يرىٰ بالقلب مُخافِتٌ بها، وانتصابها على المصدر؛ لأَنَّها نوعٌ مِن الرُّؤْية فنُصِبَتْ بفعلها كما تُنْصَبُ القُرْفُصاءُ[٢] بفعل الجلوس، أَو على الحال بمعنىٰ ذوي جهرة، و﴿ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾ نارٌ وقعت من السماء فأَحرقتهم، وقيل: صيحة جاءَت من السماءِ[٣]، والظاهر أَنَّه أَصابهم ما ينظرون إليه فخرُّوا صعقين ميِّتين.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٥٦)

ثُمَّ أَحييناكم ﴿مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ لِاستكمال آجالِكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمة الله بعدما كفرتموها إِذ رأَيتم بأْس الله في رميكم بالصاعقة، أَو لعلَّكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن

---

(١) قاله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٢٣، والبغوي أيضاً في تفسيره: ج ١ ص ٧٤.

(٢) القرفصاء: أن يجلس الرجل على أليتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبي بيديه يضعهما على ساقيه كما يحتبي بالثوب. (الصحاح: مادة حبا).

(٣) نسب هذا القول الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٢٩ الى الربيع.

طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٥٧)

وجعلنا ﴿ٱلْغَمَامَ﴾ يُظِلُّكم، وكان ذلك في التيه سخَّر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلُّهم من الشمس، وينزل بالليل عمود من نارٍ يسيرون في ضوئه ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ كان ينزل عليهم الترنجبين مثل الثلج، ويبعث الله الجَنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ علىٰ إرادة القول ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ يعني: فظلموا بأَن كفروا هذه النعمة وما ظلمونا، فاختصر لدلالة وما ظلمونا عليه.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٨)

﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدَّس، وقيل: أَريحا من قرى الشام[١]، أُمِروا بدخولها بعدَ التيه، و﴿ٱلْبَابَ﴾ باب القرية، وقيل: هو باب القبَّة الَّتي كانوا يُصلُّون إِليها[٢]، وهم لم يدخلوا بيت المقدَّس في حياة موسى، أُمِروا بالسجود عند الانتهاءِ إِلى الباب شكراً لله وتواضُعاً، وقيل: السجود أَن ينحنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع[٣]، وقيل: طُؤْطِئَ لهم الباب ليخفضوا رؤُوسهم فلم يخفضوها[٤] ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ هي فِعْلَةٌ من الحطِّ كالجِلسة والركبة، وهي خبر مبتدأ محذوف، أَي: مسأَلتنا حِطَّة، والأَصل النصب بمعنىٰ: حُطَّ عنَّا ذنوبَنا حِطَّةً، فَرُفِعَ ليعطي معنى الثبات، كقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[٥].

---

(١) قاله ابن زيد. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٢٥.
(٢) قاله عكرمة عن ابن عباس كما في تفسير ابن كثير: ج ١ ص ٩٤.
(٣) قاله ابن عباس في تفسيره: ص ٩، وعنه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠.
(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ج ١ ص ١٧٣ باسناده عن مجاهد وعكرمة.
(٥) يوسف: ١٨ و ٨٣.

ورُوِيَ عن الباقرعليه السلام أنَّه قال: «نحن بابُ حِطَّتِكم»(١).

﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: ومن كان محسناً منكم كانت تلك الكلمة سبباً في زيادة ثوابه، ومن كان مُسيئاً يغفر له ويصفح عن ذنوبه.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ (٥٩)

أَي: فخالف الَّذين عَصَوْا ووضعوا مكان ﴿حِطَّةٌ﴾، ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ أَي: ليس معناه معنىٰ ما أُمِروا به، ولم يمتثلوا أَمر الله، وقيل: إِنَّهم قالوا مكان «حِطَّة»: «حنطة»(٢)، وقيل: قالوا: حطّاً سمقاثاً(٣)، أي: حنطة حمراء استهزاءً منهم بما قيل لهم(٤)، وفي تكرير ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ زيادة في تقبيح أَمرهم، وإِيذان بأَنَّ إِنزال العذاب عليهم لظلمهم، و «الرِّجز» العذاب، ورُوِيَ: أَنَّه مات منهم في ساعةٍ واحدة أَربعة وعشرون أَلفاً من كبرائِهم(٥).

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٦٠)

عطشوا في التيه فاستسقىٰ موسىٰ لهم ودعا لهم بالسُقيا ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ واللام إِمّا للعهد والإشارة إِلىٰ حجر معلوم، فقد رُوِيَ: أَنَّه حجر حمله

(١) العياشي: ج ١ ص ٤٥ ح ٤٧، وعنه البحار: ج ٧ ص ٤٦.
(٢) قاله عكرمة عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد. راجع تفسير الطبري: ج ١ ص ٣٤٣ ـ ٣٤٥.
(٣) في نسخة: سمقاتاً.
(٤) قاله ابن عباس وابن مسعود. راجع تفسير ابن عباس: ص ٩، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٣٤٤ ح ١٠٣٠.
(٥) حكاها الشيخ في التبيان: ج ١ ص ٢٦٨ عن ابن زيد.

معه من الطور، وكان حجراً مربّعاً له أَربعة أَوجُه كانت تنبع من كلِّ وجهٍ ثلاث أَعين، لكلِّ سبطٍ عين تسيل في جدول إِلى السبطِ الَّذي هي له(١)، وإِمّا للجنس، أَي: اضرب الشيء الَّذي يقال له: الحجر، فقد رُوِيَ عن الحسن: أَنّه لم يأْمره أَن يضرب حجراً بعينه، قال: وهذا أَظهر في الحجَّة وأَبين في القدرة(٢)، ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ أَي: ضرب فانفجرت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾ لكلِّ سبط عين ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ يريد كلّ سبطٍ ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ عينهم الَّتي يشربون منها ﴿كُلُواْ﴾ علىٰ إِرادة القول ﴿وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللهِ﴾ ممّا رزقكم الله من الطعام والشراب وهو المنُّ والسلوىٰ وماء العيون، وقيل: الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يُؤكَل منه ويُشرَب(٣)، ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ﴾ العِثِيُّ: أَشدُّ الفساد، أَي: لا تتمادوا في الفساد ﴿مُفْسِدِينَ﴾ أَي: في حال إِفسادكم.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ ٱلْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللهِ ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَالِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ (٦١)

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ نسب قول أَسلافهم إِليهم ﴿يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ أَرادوا بالواحد مالا يختلف ولا يتبدَّل، ولو كان علىٰ مائِدَة الرجل أَلوان عدة

(١) حكاه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٧٧ عن ابن عباس وعطاء.

(٢) ذكره عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ١٤٤.

(٣) حكاه في الكشّاف: ج ١ ص ١٤٤.

يداوم عليها كلَّ يوم لا يبدلها جاز أَن يقال: لا يأْكل فلان إلّا طعاماً واحداً، ويراد بالوحدة: نفي التبدُّل والاختلاف ﴿فَادْعُ لَنَا﴾ أَي: لأَجلنا ﴿رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ أَي: يُظهِر لنا ويوجِد لنا ﴿مِمَّا تُنبِتُ ٱلْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا﴾ البقل: ماأنبتته الأَرض من الخُضْر، والفوم: الحنطة، ومنه فوِّموا لنا أَي: اختبزوا، وقيل: هو الثُّوم[١]. قيل: إِنَّهم كانوا قوماً فلّاحةً فنزعوا إِلىٰ أَصلِهم، ولم يريدوا إِلّا ما أَلفوه وضَرُوا به[٢] من الأَشياءِ المتفاوتة، كالبقول والحبوب ونحو ذلك[٣].

﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ أَي: هو أَقرب منزلةً وأَدون مقداراً، والدنوُّ والقرب يعبَّر بهما عن قلَّة المقدار، فيقال: هو أَدنَى[٤] المحلِّ وقريب المنزلة، كما يعبَّر بالبُعد عن عكس ذلك، فيقال: بعيد المحلِّ وبعيد الهِمَّة، يريدون الرفعة والعُلُوَّ ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْراً﴾ أَي: انحدروا إِليه من التيه، ويمكن أَن يريد الاسم العَلَم، وصرفه مع اجتماع السببين: العَلَم والتأْنيث لسكون وَسَطِه، وإِن أُريد به البلد فما فيه إِلّا سَبَب واحد ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ أَي: جعلت الذِّلّة محيطةً بهم مشتملةً عليهم، فهم فيها كما أَنَّ من ضُرِبَت عليه القُبَّة يكون فيها، أَو أُلصِقت بهم حتّىٰ لَزِمتهم ضربةَ لازب، كما يُضْرَب الطين على الحائِط فيلزمه، فاليهود صاغرون أَذِلّاءُ أَهل مسكنة: إِمّا على الحقيقة، وإِمّا لتفاقرهم خيفةَ أَن تضاعف عليهم الجزية ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أَي: صاروا أَحِقّاءَ بغضبه من قولهم: باءَ فلان بفلان إِذا كان حقيقاً بأَن يقتل به لمساواته له ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِشارة إِلىٰ ماتقدَّم من ضرب الذلَّة والمسكنة

---

(١) نسبه الشيخ في تبيانه: ج ١ ص ٢٧٥، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٢٩ الى الربيع بن أنس والكسائي.

(٢) ضروا به: تعوّدوه. (الصحاح: مادة ضرا).

(٣) قاله الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ١٤٥ وقال: وبدلّ عليه قراءة ابن مسعود: «وثومها».

(٤) في بعض النسخ: داني.

وكونهم أهل غضبه ﴿بِأَنَّهُمْ كانوا يَكفُرُونَ﴾ أي: بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياءَ قتلوا زكريّا ويحيىٰ وشعيا وغيرهم ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ معناه: أنّهم قتلوهم بغير الحقّ عندهم؛ لأنّهم لم يَقْتُلُوا ولا أفْسَدُوا في الأرض فيُقْتَلوا ﴿ذَٰلِكَ﴾ تكرار للإشارة ﴿بِمَا عَصَواْ﴾ بسبب مَعْصِيَتِهِم واعتدائهم حدود الله في كلّ شيءٍ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بألسنتهم وهم المنافقون ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ تهوّدوا، يقال: هاد وتهوّد إذا دخل في اليهوديّة، وهو هائد والجمع هُوَّد ﴿وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾ جمع نصران، يقال: رجل نصران، وامرأة نصرانة، والنصرانيُّ الياءُ فيه للمبالغة كالّتي في أحمريّ؛ لأنّهم نَصَرُوا المسيح ﴿وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾ من صَبَأَ إذا خرج من الدين، وهم قوم عدلوا عن دين اليهوديّة والنصرانيّة، وعَبَدُوا الملائكة أو[1] النجوم ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ من هؤلاء الكفَرَة إيماناً خالصاً ﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ الّذي يستوجبونه بإيمانهم وأعمالهم، ومحلُّ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ رفع بالابتداءِ، وخبره: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾؛ لتضمُّن ﴿مَنْ﴾ معنى الشرط، والجملة خبر ﴿إِنَّ﴾، أو نصب بدل من اسم ﴿إِنَّ﴾ والمعطوف عليه، وخبر ﴿إِنَّ﴾: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَافِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِك فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ (٦٤)

(١) في نسخة: و.

﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ﴾ بالعمل على ما في التوراة ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ حتَّىٰ قبلتم وأعطيتم الميثاق، وذلك أَنَّ موسى عليه السلام جاءَهم بالأَلواح، فَرَأَوْا ما فيها من التكاليف الشاقَّة فَأَبَوْا قبولها، فأُمر جبرئيل فقلع الطُور من أَصله ورفعه فوقهم، وقال لهم موسىٰ: إِن قبلتم وإِلاّ أُلقي عليكم، حتَّىٰ قبلوا وسجدوا لله تعالىٰ ملاحظين إِلى الجبل، فمن ثَمَّ يسجد اليهود علىٰ أَحد شقَّي وجوههم ﴿خُذُواْ﴾ علىٰ إِرادة القول، أَي: قلنا: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم﴾ من الكتاب ﴿بِقُوَّةٍ﴾ أَي: بجدٍّ ويقين وعزيمة ﴿وَٱذْكُرُواْ مَافِيهِ﴾ وادرُسوه ولا تنسَوْه ولا تغفُلوا عنه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ رجاءً منكم أَن تكونوا متَّقين ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾ ثمَّ أَعرضتم عن الميثاق والوفاءِ به ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ وتوفيقه للتوبة ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ لخسرتم.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ (٦٥) فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٦٦)

﴿ٱلسَّبْتِ﴾ مصدر سبتت[١] اليهود إِذا عظَّمت يوم السبت، المعنىٰ: ﴿وَلَقَدْ﴾ عرفتم ﴿ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ﴾ أَي: جاوزوا ماحُدَّ لهم في السبت من تعظيمه واشتغلوا بالصيد، وذلك أَنَّ الله ابتلاهم فما كان يبقىٰ حوتٌ في البحر إِلاّ ظهر يومَ السبت، فإِذا مضىٰ تفرَّقت، فحفروا حياضاً عند البحر وشرعوا إِليها الجداول، فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الأَحد، فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤُهم، ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ أَي: كونوا جامعين بين القرديَّة

---

(١) في نسخة: سبت.

والخسوءِ ﴿فَجَعَلْنَـٰهَا﴾ يعني: المسخة ﴿نَكَـٰلًا﴾ عبرة تُنَكِّلُ من اعتبرها، أي: تمنعه ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ لما قبلها ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ وما بعدها من الأُمم والقرون، لأَنَّ مسختهم ذكرت في كتب الأَوَّلين فاعتبروا بها، واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين، أَو أُريد بما بين يديها ما بحضرتها من الأُمم ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الَّذين نهوهم عن الاعتداءِ من صالحي قومهم، أَو لكلِّ متَّقٍ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ (٦٧) قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَاهِيَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ (٦٨)

كان في بني إِسرائيل شيخ مُوسر قتله قرابة له ليرثوه، فطرحوه علىٰ طريق سبط من أَسباط بني إِسرائيل، ثمَّ جاءُوا يطلبون بدمه، فأَمرهم الله أَن يذبحوا ﴿بَقَرَةً﴾ ويضربوه ببعضها لِيَحيىٰ فَيُخْبِرَهم بقاتله ﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ أَتجعلنا أَهل هُزُؤٍ أَو مَهزوءاً بنا أَو الهُزُؤَ نفسه ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ أَي: من المستهزئين، ليدلَّ علىٰ أَنَّ الاستهزاءَ لا يصدر إِلّا عن الجاهل، وقُرِئَ: «هُزُؤاً»[١] و: «هُزْءاً»[٢] مثل كُفُؤاً وكُفْؤاً، وبِالضمَّتين والواو فيهما ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ أَي: سَل لنا رَبَّك، وكذا هو في قِراءَةِ عبدالله[٣] ﴿مَاهِيَ﴾ سؤال عن حالها

---

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر والكسائي وشعبة. راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٥٧، والتبيان: ج ١ ص ٢٩٣، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ص ٢٤٧، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ٢٥٠.

(٢) قرأه حمزة وإسماعيل والمفضّل وعبدالوارث. انظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٥٧، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣١٥، والبحر المحيط: ج ١ ص ٢٥٠.

(٣) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ١٤٨.

وصفتها، وذلك أنّهم تعجّبوا من بقرة ميّتة يُضْرَبُ ببعضها ميّتٌ فَيَحيَىٰ، فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن ﴿قَالَ﴾ موسىٰ ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ﴾ لامُسِنَّة ولافَتيَّة، فَرَضَتِ الْبَقَرَةُ فُروضاً أَي: أَسَنَّتْ ﴿عَوَانُ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أَي: نَصَفٌ وسط بين الصغيرة والكبيرة، وجاز دخول ﴿بَيْنَ﴾ على ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ لأنّه في معنىٰ شيئَين حيث وقع مشاراً به إلىٰ ماذُكِرَ من الفارض والبكر، وجاز أَن يشار به إلى مُؤَنَّثَيْنِ لأَنّه في تأويل ماذُكِر وما تقدّم ﴿فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ أي: ماتُؤْمَرونه بمعنىٰ تُؤْمَرون به، ويجوز أَن يكون بمعنىٰ أَمركم أَي: مأْموركم؛ تسميةً للمفعول بالمصدر كضرب الأَمير.

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَالَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ (٦٩) قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَاهِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّاذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَاتَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّاشِيَةَ فِيهَا قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَاكَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ (٧١)

﴿فَاقِعٌ﴾ توكيد لـ ﴿صَفْرَآءُ﴾[١]، ولم يقع خبراً عن «اللون»، و﴿لَّوْنُهَا﴾ فاعله؛ لأَنَّ اللون من سبب الصفراء ومتلبِّس بها، فلا فرق بين أَنْ يقول: صفراءُ فاقعٌ لونُها وصفراءُ فاقعةٌ، وعن وَهْبٍ: إذا نظرت إليها خُيِّلَ إليك أَنَّ شعاع الشمس يخرج من جلدها[٢]. والسرور: لذّةٌ في القلب عند حصول نفع أَو توقُّعه، وقولهم: ﴿مَاهِىَ﴾ مرّةً ثانيةً تكرير للسؤال عن حالها وصفتها ليزدادوا بياناً لِوَصْفِها.

ورُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أَنّه قال: «لَوِ اعْتَرَضوا أَدنى بقرة فذبحوها لَكَفَتْهم،

---

(١) في نسخة زيادة: كما يقال: أسود هالك.

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ١٤٨.

ولكن شدَّدوا فشدَّدَ الله عليهم، والاستقصاء شُؤْم»[١].

﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ أي: إنَّ البقر الموصوف بالتعوين والصُفرة كثير فاشتبه علينا أَيـّها نذبح ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى البقرة المراد ذَبحها، أو إلىٰ ماخُفي علينا من أَمر القاتل.

وفي الحديث: «لو لم يَسْتَثْنُوا لَما بُيِّنَتْ لهم آخِرَ الأَبَدِ»[٢] أَي: لو لم يقولوا: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

﴿لَّا ذَلُولٌ﴾ لم تذلَّل للكِراب[٣] وإِثارة الأَرض ﴿وَلَا﴾ هي من النواضح، فـ ﴿تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ و ﴿لَا﴾ الأُولىٰ للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الأُولى؛ لأَنّ المعنىٰ: لا ذلول تثير[٤] وتسقي، علىٰ أَنَّ الفعلين صفتان لـ«ذلول»، كأَنّه قيل: لا ذلول مثيرةٌ وساقيةٌ ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ سَلَّمَهَا الله تعالىٰ من العيوب، أَو مُعفاة من العمل سَلَّمَها أَهلها منه، أَو مُخَلَّصَةُ اللون من سُلِّمَ له كذا إِذا خُلِّصَ له ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ لم يَشُبْ صفرتَها شيءٌ من الأَلوان، فهي صفراء كُلُّها حتّىٰ قَرنُها وظِلفُها، وهي في الأَصل مصدر وَشاه وَشياً وشِيَةً: إِذا خَلَطَ بلونه لوناً آخر، ومنه ثورٌ موشيُّ القوائِم ﴿قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بحقيقة وصف البقرة الجامعة لهذه الأَوصاف كلِّها ﴿فَذَبَحُوهَا﴾، وقوله: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ استبطاءٌ لهم واستثقالٌ لاستقصائِهم، أَي: ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم، وقيل: وما كادوا

---

(١) رواه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ١٥١، ونحوه السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٢) رواه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٩٠، وعنه السيوطي في الدر المنثور: ج ١ ص ١٩٠، ونحوه السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ١٢٩، والقرطبي أيضاً في تفسيره: ج ١ ص ٤٥٢.

(٣) الكراب: حرث الأرض للزرع. (القاموس المحيط: مادة كرب).

(٤) في نسخة زيادة: الأرض.

يذبحونها لغَلاءِ ثمنها[١]، وقيل: لخوف الفضيحة في ظهور القاتل[٢].

فأمَّا اختلاف العلماء في أَنَّ تكليفهم كان واحداً وهو ذَبح البقرة المخصوصة باللون والصفات أَو كان متغايراً وكلَّما راجعوا تغيَّرت مصلحتهم إِلى تكليف آخر فمذكور في كتاب مجمع البيان[٣]، فمن أَراد ذلك فَلْيَقِفْ عليه هناك. والنسخ قبل الفعل جائز، وقبل وقت الفعل غير جائز؛ لأَنّه يُؤدِّي إِلى البداءِ.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٧٣)

خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم ﴿فَادَّارَءْتُمْ﴾ أَي: اختلفتم ﴿فِيهَا﴾ واختصمتم في أَمرها؛ لأَنَّ المتخاصمين يَدْرَأُ بعضهم بعضاً أَي: يدفعه، أَو تدافعتم بأَن طرح بعضكم قتلها علىٰ بعض فدفع المطروحُ عليه الطارحَ، أَو دفع بعضكم بعضاً عن البراءَة واتَّهمه ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ أَي: مظهر ﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ـه من أَمر القتل[٤] ولا يتركه مكتوماً، وهذه جملة اعتراضيَّة بين المعطوف والمعطوف عليه وهما «ادَّارَأْتُمْ» و «قُلْنا»، والضمير في ﴿ٱضْرِبُوهُ﴾ إِمّا أَن يرجع إِلى النفس على تأْويل الشخص، أَو إِلى القتيل لما دلَّ عليه قوله: ﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾، ﴿بِبَعْضِهَا﴾ ببعض البقرة، والتقدير: فضربوه فحَيِيَ ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فَحُذِفَ لأَنَّ ما أُبقِيَ يَدلُّ علىٰ ما أُلقِيَ، رُوِيَ: أَنّهم لمّا ضربوه قام بإِذن الله وأَوداجه تشخَب دماً، وقال: قتلني فلانٌ، فقُتِلَ وَلم يُورَّثْ قاتل بعد ذلك[٥] ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِ﴾ دلائله

---

(١) قائل ذلك ابن عباس. راجع تفسيره: ص ١١، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٤١.

(٢) نسبه الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٤٢ الى وهب.

(٣) في ج ١ ـ ٢ ص ١٣٦ فراجع.

(٤) في نسخة: القتيل.

(٥) رواها الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ١٥٣.

علىٰ أنّه قادر علىٰ كلِّ شيءٍ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: تعملون[١] علىٰ قضية عقولكم في أنَّ من قدر علىٰ إحياءِ نفسٍ واحدةٍ قدر علىٰ إحياءِ النفوس كلِّها؛ لعدم الاختصاص حتىٰ لا تنكروا البعث.

وإنّما قُدِّمت قصَّة الأمر بذَبح البقرة علىٰ ذكر القتل[٢] مع تقدُّمه؛ لأنَّ الغرض ذكر قصَّتين كلّ واحدةٍ منهما تختصُّ بنوع من التقريع، فلو عُمِلَ علىٰ عكسه لكانت قصَّةً واحدةً وذهب الغرض في ذلك.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللهِ وَمَا ٱللهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٧٤)

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ المعنىٰ في ﴿ثُمَّ﴾ استبعاد القَسوة من بعد ما ذُكِرَ ممّا يوجب لين القلوب ورقَّتها من إحياءِ القتيل وغير ذلك من الآيات ﴿فَهِيَ﴾ في قسوتها مثل الْحِجارَةِ ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ منها، والمعنىٰ: أنَّ من عرفها شبَّهها بالحجارة أَو قال: هي أَقْسَى من الحجارة، أَو من عرف حالها شبَّهها بالحجارة أَو بجوهر أَقْسَىٰ منها ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ﴾ بيان لفضل قَسوة قلوبهم على الحجارة، والتفجُّرُ: التفتُّحُ بالسعَة والكثرة، والمعنىٰ: أَنَّ من الحجارة ما فيه خُروقٌ واسعةٌ يتدفَّق منها الماء الكثير ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ أَي: يَتَشَقَّقُ، أُدغِمَ التاء في الشين، أَي: ينشقُّ طولاً أَو عرضاً فينبع منه الماء ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ أَي: يتردَّىٰ من أَعلى الجبل، والخشية مجاز عن انقيادها لأَمر الله، وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل[٣] ما أُمِرَتْ به ﴿وَمَا ٱللهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أَيُّها المكذِّبون،

---

(١) في نسخة: تعلمون. (٢) في نسخة: القتيل.

(٣) في نسخة: تعقل، وفي أُخرىٰ: تقبل.

ومن قرأ بالياء[١] فالمراد: عمّا يعمل هؤلاء أيّها المسلمون.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥)

الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين، أي: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ﴾ لأجل دعوتكم فيستجيبوا ﴿لَكُمْ﴾ كما قال: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾[٢]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: طائفة من أسلاف اليهود ﴿يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ في التوراة ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ كما حرّفوا صفةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وآية الرجم ﴿مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أي: فهموه وضبطوه ولم يبق لهم شبهة في صحّته ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنّهم كاذبون، يعني: إن حرّف هؤلاء فلهم سابقة في ذلك.

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٧)

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني: اليهود ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ بأنّكم على الحقّ، وبأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله هو النبيُّ المبشَّر به في التوراة ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: صاروا في الموضع الّذي ليس فيه غيرهم ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: قال بعضهم لبعض ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بما بيّن لكم في التوراة من صفة محمّد صلى الله عليه وآله ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ ليحتجّوا عليكم بما أنزل ربُّكم في كتابه، جعلوا محاجّتَهم به وقولَهم: هو في كتابكم هكذا محاجّةً عندالله، كما يقال: هو عندالله

(١) وهي قراءة ابن كثير وابن محيصن. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٦٠، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٢٤٨، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٨٧، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ٢٦٧.

(٢) العنكبوت: ٢٦.

هكذا، أَو هو في كتاب الله هكذا بمعنى واحد، أَو يكون المراد ليكون لهم الحجَّة عليكم عند الله في إيمانهم بمحمّد صلّى الله عليه وآله إذ كنتم مخبِرين بصحَّة أَمره من كتابكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أَنَّ ذلك حجَّة عليكم ﴿أَوَلَا﴾ يَعْلَمُ هؤلاء اليهود ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ من الكفر ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من الإِيمان.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٧٨)

﴿أُمِّيُّونَ﴾ لا يحسنون الكتابة فيطالعوا التوراة وَيَتَحقَّقُوا مافيها ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أَي: التوراة ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ إِلّا ماهم عليه من أَمانيِّهم: أَنَّ الله يعفو عنهم ولايؤاخذهم بخطاياهم وأَنَّ آباءَهم الأَنبياءَ يشفعون لهم، وقيل: إِلّا أَكاذيب مختلقة[1] من علمائهم فيقبلونها على التقليد[2]، كما قال أَحدهم: هذا شيءٌ رويتَهُ أَم تَمَنَّيْتَه، أَي: اختلقته، وقيل: إِلّا مايَقْرَؤُون[3]، من قول الشّاعر:

تَمَنَّى كتابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلَه[4]

وهذا من الاستثناءِ المنقطع كقوله: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾[5]، ﴿وَإِنْ هُمْ﴾ أَي: وماهم ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أَي: يشكُّون وهم متمكِّنون من العلم بالحقِّ.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ

---

(١) في بعض النسخ: مختلفة.

(٢) نسبه الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٥٠ وابن كثير أيضاً في تفسيره: ج ١ ص ١١١ الى ابن عباس ومجاهد.

(٣) قاله الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٤٩، وأورده في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ١٤٥ ونسبه الى الكسائي والفراء.

(٤) البيت غير منسوب لأحد، وعجزه: وآخره لاقىٰ حمام المقادر. انظر العين للفراهيدي: ج ٨ ص ٣٩٠، ولسان العرب: مادة «مني»، والكشّاف: ج ١ ص ١٥٧.

(٥) النساء: ١٥٧.

لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٩)

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ المحرَّف ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تأكيد، كما تقول: رَآهُ بعينه وسَمِعَه بأُذنه، والويل: كلمة التحسُّر والتفجُّع وهو في الآية العذاب ﴿لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا﴾ أَي: ليأخذوا به ماكانوا يأْخذونه من عوامّهم من الأَموال، وصفه بالقلّة لأَنَّ متاع الدُنيا قليلٌ، وقوله: ﴿مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ أَي: من الرُشىٰ.

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَالَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٠)

وقالت اليهود: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ أَي: لن تصيبنا النار ﴿إِلَّآ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾ أَي: قلائل أَربعين يوماً عدد أَيام عبادة العجل، وعن مجاهد: قالوا: مدَّة الدنيا سبعة آلاف سنة وإِنَّما نُعَذبُ مكان كلِّ أَلف سنة يوماً[١]، ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾ متعلِّق بمحذوف تقديره: إِن اتَّخذتم عنده عهداً فلن يخلف الله عـهده، و ﴿أَمْ﴾ إِمّـا أَن تكون معادلةً لهمزة الاستفهام بمعنىٰ: أَيُّ الأَمرين كائنٌ على سبيل التـقرير؛ لأَنَّ العلم واقع بكون أَحدهما، وإِمّا أَن تكون منقطعةً بمعنىٰ: بل أَتقولُون.

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٨١) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (٨٢)

﴿بَلَىٰ﴾ إِثبات لما بعد حرف النَّفي وهو قوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ أَي: بـلىٰ تمسُّكم النار علىٰ سبيل الخلود بدلالة قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، والسيِّئَةُ هـنا:

---

(١) حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

الشرك، عن ابن عبّاس ومجاهد وقَتادة[١] وغيرهم[٢] وهو الصحيح؛ لأَنَّ ماعَدَا الشرك لا يُسْتَحَقُّ به الخلود في النار عندنا[٣] ﴿وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ أي: أَحدقت به من كلِّ جانب كقوله:﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِالْكَـٰفِرِينَ﴾[٤]، أَو أَهلكته كقوله: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾[٥] و ﴿أُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾[٦]، والمراد: سُدَّت عليه طريق النجاة، وقيل: المراد بذلك الإِصرار على الذنب[٧]. وفي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية وعد لأَهل التصديق والطاعة بالثواب[٨] الدائم كما أَوعَدَ قبله أَهل الجحود والإِصرار على الكبائر الموبقة بالعقاب الدائم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَاتَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ (٨٣)

﴿لَاتَعْبُدُونَ﴾ إِخبار في معنى النهي، كما يقال: تذهب إِلىٰ فلانٍ تقول له كذا وكذا، يراد به الأَمر، وهو أَبلغ من صريح الأَمر والنهي؛ لأَنَّه كأَنَّه قد سورع إِلى امتثاله فأُخبر عنه، ويؤَيّده قراءَة عبدالله وأُبَيٍّ: «لاتَعْبُدُوا»[٩]، ولابدَّ من إِرادة

---

(١) هو قتادة بن دعامة بن وائل السروسي البصري التابعي، ولد أعمىٰ، سمع أنس بن مالك وغيره من التابعين، وروىٰ عنه جماعة من التابعين، توفّي سنة ١١٧ هـ، وقيل: ١١٨هـ وهو ابن ست وخمسين، وقيل: ابن خمس وخمسين. (تهذيب الأسماء واللغات: ج ٢ ص ١٥٧).

(٢) ذكره البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٨٩ وزاد: عطاء والضحّاك والربيع وأبا العالية.

(٣) انظر التفسير المنسوب الى الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ح ١٤٧، والتبيان: ج ١ ص ٣٢٥، وتفسير الميزان: ج ١ ص ٢١٦.

(٤) التوبة: ٤٩. (٥) يوسف: ٦٦. (٦) الكهف: ٤٢.

(٧) قاله عكرمة والربيع بن خيثم على ماحكاه عنهما البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٨٩، وأورده المصنّف في مجمع البيان: ج ١ ص ١٤٨ ونسبه الىٰ عكرمة ومقاتل.

(٨) في نسخة: بالصواب.

(٩) حكاه عنهما الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ١٥٩، وأبو حيان في بحره: ج ١ ص ٢٨٢.

القول، ويدلُّ عليه قوله: ﴿وَقُولُواْ﴾، وتقدير قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾: وتحسنون بالوالدين إحساناً أو أحسِنوا، وقيل: إنَّ قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ جواب القسم؛ لأنَّ أَخذ الميثاق في معنى القسم، كأنّه قيل: وإذ أقسمنا عليهم لا تعبدون[١]، وقيل: معناه أَن لا تعبدوا فلمّا حُذِفَ «أَن» رُفِع[٢]، كقوله:

أَلا أَيُّهذَا الزاجري أَحْضُرُ الوَغَى[٣]

﴿وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أَي: وبذي القُرْبىٰ أَن تصلوا قَرابته، وبَالْيَتامىٰ أَن تعطِفوا عليهم بالشفقَة والرأفة، وبالمساكين أَن تؤتوهم حقوقهم ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ أَي: قولاً هو حسنٌ في نفسه لإفراط حسنه، وقُرِئَ: «حسناً»[٤] و«حُسنَى»[٥] على المصدر كبُشرى، وعن الباقر عليه السلام: «قولوا للناس ما تحبُّون أَن يقال لكم»[٦] ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أَي: أَدّوها بحدودها وأركانها ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أَعطوها أَهلها ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ هذا على طريق الالتفات، أَي: تولَّيتم عن الميثاق وتركتموه ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ وهم الَّذين أَسلموا منهم ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ عادتكم الإعراض عن المواثيق.

---

(١) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ١٦٢، والزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ١٥٩.

(٢) راجع معاني القرآن وإعرابه للزجّاج: ج ١ ص ١٦٢، والبغوي في تفسيره: ج ١ ص ٩٠.

(٣) البيت لطرفة بن العبد، وعجزه: وأن اشهد اللذّات هل أنت مخلّدي؟ راجع ديوانه: ص ٣١، وخزانة الأدب: ج ١ ص ١١٩ و ٤٦٣، وج ٨ ص ٥٠٧ و ٥٧٩.

(٤) بفتح الحاء والسين وهي قراءة حمزة والكسائي ويعقوب والمفضّل وخلف والأعمش. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٦٢، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٢٥٠، والتيسير في القراءات للداني: ص ٧٤، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣١٦، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٩٠، والبحر المحيط: ج ١ ص ٢٨٤.

(٥) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ونافع والحسن وأُبيّ وطلحة بن مصرف. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٦٢، والبحر المحيط: ج ١ ص ٢٨٥.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ١٦٥ ح ١٠.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَاتَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّـن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (٨٤)

﴿لَاتَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾ أي: لا يفعل ذلك بعضكم ببعض، جُعِلَ غيرُ الرجل نفسَه إذا اتَّصل به أصلاً أو ديناً، وقيل: المعنىٰ فيه أنّه إذا قـتل غيرَه فكأنّما قتل نفسه لأنّه يُقتَصُّ منه[1] ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ بالميثاق واعترفتم علىٰ أنفسكم بلزومه ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ عليها، وقيل: أَنتم تشهدون اليوم يـا مـعاشر اليهود على إقرار أَسلافكم بهذا الميثاق[2].

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُـفَـٰدُوهُمْ وَهُـوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِـبَعْضٍ فَـمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْـيَا وَيَـوْمَ ٱلْقِـيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَاٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٨٥)

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ استبعادٌ لما أُسندَ إِليهم من القتل والإِجلاءِ والعُدوان بعد أَخذ الميثاق منهم وإِقرارهم وشهادتهم، يعني: ثُمَّ أَنتم بعد ذلك هؤلاءِ المشاهدون، يعني: أَنّكم قوم آخَرون غير أُولئك المقرِّين تنزيلاً لتغيُّر الصفة منزلةَ تغيُّر الذات، كما تقول: رجعت بغير الوجه الّذي خرجت به، وقوله: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ بيان لقوله: ﴿ثُمَّ أَنـتُمْ هَـٰـؤُلَآءِ﴾، وقـيل: ﴿هَـٰـؤُلَآءِ﴾ مـوصول بـمعنىٰ «الّـذين»[3]. وقُـرِئَ:

(١) ذكره الرازي في تفسيره: ج ٣ ص ١٧١.

(٢) حكاه الزمخشري في تفسيره: ج ١ ص ١٦٠، والبغوي أيضاً في تفسيره: ج ١ ص ٩٠.

(٣) قاله الزمخشري في تفسيره: ج ١ ص ١٦٠، والرازي أيضاً في تفسيره: ج ١ ص ١٧٢.

﴿تَظَـٰهَرُونَ﴾ بحذف التاءِ(١) و«تظّاهرون» بإدغامها(٢)، والأَصل تتظاهرون، أَي: تتعاونون عليهم ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ﴾ وقرِئَ: «أَسْرٰى»(٣) ﴿تُفَـٰدُوهُمْ﴾ أَي: وأَنتم مع قتلكم من تقتلون منهم إذا وجدتموه(٤) أَسيراً في أَيدي غيركم فديتموهم، وقتلكم وإِخراجكم إِيّاهم من ديارهم حرامٌ عليكم كما أَنَّ تركهم أُسارىٰ في أَيدي غيركم حرام عليكم، فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائِهم من عدوِّهم؟! وقُرِئَ: ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ لأَنَّ الفعل بين اثنين، و﴿هُوَ﴾ ضمير الشأْن و ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ خبره، ويجوز أَن يكون مُبهماً تفسيره ﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾، ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أَي: بالفداءِ ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ أَي: بالقتال والإِجلاء، وذلك أَنَّ قُرَيْظَةَ كانوا حُلَفاءَ الأَوس، والنضير كانوا حُلَفاءَ الخزرج، فكان كلٌّ فريق منهم يقاتل مع حُلَفائِه، فإِذا غَلَبُوا خرَّبوا ديارهم وأَخرجوهم، وإِذا أُسِرَ رجل من الفريقين فَدَوْهُ. والخزي: قتل بني قُرَيْظَةَ وإِجلاءُ بني النضير، وقيل: الجزية(٥) ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ الّذي أَعدَّه الله لأَعدائِه، وقُرِئَ: «تُرَدُّون»(٦) و«يَعْمَلُونَ» بالتاء والياء(٧).

---

(١) قرأه الكوفيون. راجع التذكرة في القراءات السبعة لابن غلبون: ج ٢ ص ٣١٧، والسبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٦٣، والبحر المحيط: ج ١ ص ٢٩١.

(٢) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر. راجع التبيان: ج ١ ص ٣٣٤، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٦٣، والبحر المحيط: ج ١ ص ٢٩١.

(٣) قرأه حمزة والحسن وابن وثاب وطلحة وابن أبي اسحاق وعيسى والأعمش والنخعي. انظر الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ١٠٩، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣١٧، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ٢٩١.

(٤) في نسخة: وجدتموهم.

(٥) حكاه الرازي في تفسيره: ج ٣ ص ١٧٤ عن الحسن.

(٦) وهي قراءة عبدالرحمن السلمي كما نسبه اليه ابن خالويه في شواذ القرآن: ص ١٥، وزاد في البحر المحيط: ج ١ ص ٢٩٤: ابن هرمز.

(٧) قرأه الحرميان وأبو بكر والمفضّل ويعقوب وخلف. راجع التذكرة في القراءات لابن ←

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٨٦)

أي: رضوا بـ ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ عوضاً من نعيم الآخرة ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ﴾ عذاب الدُنيا بنقصان الجزية وكذلك عذاب الآخرة ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: لا ينصرهم أَحد بالدفع عنهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (٨٧)

﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ التوراة، آتاه إِيّاها جملةً واحدةً ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أي: أَتْبَعْنا، من القفا، وقفّاه به: أَتبعه إِيّاه، أَيْ: أَرسلنا علىٰ إِثره كثيراً من الرُسل، كقوله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [١]، و ﴿عِيسَى﴾ بالسريانيَّة: أَيشوع، و ﴿مَرْيَمَ﴾ بمعنى الخادم ﴿ٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ المعجزات الواضحات كإِحياءِ الموتىٰ وإِبراءِ الأَكمه والإِخبار بالمغيبات ﴿وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ بالروح المُقدَّسة، كما يقال: حاتِم الجود، لأَنَّه لم تضمَّه الأَصلاب والأَرحام الطوامث، وقيل: بجَبرَئيل [٢]، وقيل: باسم اللهِ الأَعظم الَّذي كان يُحيي الموتى بذكره [٣].

→ غلبون: ج ٢ ص ٣١٧، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣، والبحر المحيط: ج ١ ص ٢٩٤.

(١) المؤمنون: ٤٤.

(٢) وهوقول ابن عباس والحسن وقتادة والربيع والسدي والضحّاك. راجع تفسير ابن عباس: ص ١٣، وتفسير الحسن البصري: ج ١ ص ١٠٧، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ١٥٦، والتبيان: ج ١ ص ٣٤٠ وقال: وهو أقوى الأقوال.

(٣) قاله الضحاك عن ابن عباس كما حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ١ ص ٣٤٠، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٥٦.

والمعنىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾ يابني إسرائِيل أَنْبِياءَكُم ماآتيناهم ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ﴾ منهم بالحقِّ ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإِيمان به، فَوُسِّطَ بين الفاءِ وماتَعَلَّقَتْ به همزة التوبيخ والتعجيب من شأْنهم، ويجوز أَن يريد: ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم مافعلتم، ثمَّ وَبَّخَهُم علىٰ ذلك، ودخول الفاءِ لعطفه على المقدَّر، ولم يقل: وفريقاً قتلتم لأَنَّه أُريدَ الحالُ الماضيةُ؛ لأَنَّ الأَمر فظيعٌ فأُريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب.

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨)

﴿قُلُوبُنَا غُلْفُۢ﴾ جمع أَغلف، أَي: هي خُلِقَتْ مُغَشّاةً بأَغطية لا يصل إِليها ماجاءَ به محمَّدﷺ ولا تَفْقَهُه[١]، مستعار من الأَغلف الَّذي لَمْ يُخْتَنْ، كقولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾[٢]، ثُمَّ ردَّ الله عليهم بقوله: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أَي: ليس ذلك كما زعموا: أَنَّ قلوبهم خُلِقَتْ كذلك؛ لأَنَّها خُلِقَتْ على الفطرة، لكنَّ الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم وأَبعدهم من رحمته ﴿فَقَلِيلًا مَّايُؤْمِنُونَ﴾ فإِيماناً قليلاً يؤمنون، و﴿مَّا﴾ مزيدة، وهو إِيمانهم ببعض الكتاب، ويجوز أَن يكون القلَّة بمعنى العدم.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (٨٩)

﴿كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ هو القرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من الكتب المنزلة: التوراة والإِنجيل وغيرهما، لا يخالفها، وجواب ﴿لَمَّا﴾ محذوف وهو نحو كذَّبوا

---

(١) في نسخة: تفهمه.

(٢) فصِّلت: ٥.

به وما أَشبهه[١]، وقيل: إنَّ قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ في موضع جواب ﴿لَمَّا﴾ الأوّل وكُرِّرَ «لمّا» لطول الكلام[٢]، وقيل: إنَّ جواب الثاني أغنىٰ عن جواب الأوّل[٣] ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يستنصرون على المشركين إذا قاتلوهم، يقولون: اللّٰهمَّ انصُرنا بالنَّبيِّ المبعوث في آخِرِ الزمان الّذي نجد نعتَه في التوراة، وكانوا يقولون: قد أَظلَّ زمان نبيٍّ يخرج بتصديق ماقلنا فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرَمَ[٤] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ من الحقِّ ﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ بغياً وحسداً وحرصاً على الرياسة ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ أَي: غضبه وعذابه ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ أَي: عليهم وُضِعَ الظاهر موضعَ الضَّمير[٥].

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٩١)

«ما» نكرة منصوبة مفسِّرة لفاعل «بِئْسَ»، أَي: بِئْس شيئاً ﴿ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ

---

(١) وهو قول الأخفش في معاني القرآن: ج ١ ص ٣١٩، والزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ١٧١، والزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ١٦٤.

(٢) حكاه الرازي في تفسيره: ج ٣ ص ١٨٠ ونسبه الى المبّرد.

(٣) قاله الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٥٩، وعنه الرازي في تفسيره: ج ٣ ص ١٨٠.

(٤) اختلفوا في إرم عاد، فقال بعضهم: هو اسم قبيلة، وقال آخر: هو اسم مدينة، ثم اختلفوا فيها، فمنهم من قال: هي أرض كانت فاندرست، ومنهم من قال: هي الاسكندرية وإليه ذهب الزمخشري، ومنهم من قال: هي دمشق، وروىٰ آخرون: هي مدينة باليمن بين حضرموت وصنعاء بناها شدّاد بن عاد. (معجم البلدان: ج ١ ص ٢١٢).

(٥) في نسخة: المضمر.

أَنفُسَهُمْ﴾ والمخصوص بالذمّ ﴿أَن يَكْفُرُواْ﴾ واشتروا بمعنىٰ باعوا ﴿بَـغْياً﴾ أَي: حسداً وطلباً لما ليس لهم، وهو مفعول له ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ أَي: علىٰ أن يُنَزِّل الله من فضله الَّذي هو الوحي والنبُوَّة ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ويقتضي حكمته إرساله ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ فصاروا أَحِقّاءَ لغضبٍ متوالٍ؛ لأَنَّهم كفروا بنبيِّ الحقِّ وبَغَوْا عليه، وقيل: بكفرهم بمحمَّد صلى الله عليه وآله بعد عيسى عليه السلام [١]، وقوله: ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مطلق في كلِّ كتاب أَنزله الله، وقوله: ﴿بِمَآ أُنزِلَ عَـلَيْنَا﴾ مـقيَّد بالتوراة ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ﴾ أَي: قالوا ذلك والحال أَنَّهم يكفرون بـما وراءَ التوراة ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ﴾ منها غير مخالف له، وفـيه ردٌّ لمـقالتهم؛ لأَنَّهم إذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ اعتراض [٢] عليهم بقتلهم الأَنبياءَ مع ادِّعائهم الإيمان بالتوراة، والتوراة لا تُرَخِّصُ في قتل الأَنبياء.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِن بَـعْدِهِ وَأَنـتُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ (٩٢)

يعني: ﴿جَآءَكُم مُّوسَىٰ﴾ بالمعجزات الدالَّة علىٰ صدقه ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهاً معبوداً مِنْ بَعْدِ مجيئِه، أَو من بعد موسىٰ لمّا مضى إلىٰ مـيقات ربِّـه ﴿وَأَنـتُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ وأَنتم واضعون العبادة في غير موضعها، فتكون الجملة حالاً أَو تكون اعتراضاً بمعنىٰ: وأَنتم قوم عادتكم الظُلم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِـقُوَّةٍ

(١) نسبه السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ١٣٧ الىٰ مقاتل.
(٢) في بعض النسخ: اعترض.

وَٱسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٩٣)

كرَّر سبحانه ذكر ﴿ٱلطُّورَ﴾ ورَفْعه فوقهم، لِمَا في الثانية من الزيادة غير المذكورة في الأُولىٰ مع مافيه من التوكيد ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ لِمَا أُمِرتم به في التوراة ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرَك ﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ أيْ: تَغلْغَلَ في بواطنهم وتَداخَلَها حبُّ العجل والحرص علىٰ عبادته كما يتداخل الثوبَ الصبغُ، وقوله: ﴿فِى قُلُوبِهِمُ﴾ بيان لمكان الإشراب، كقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً﴾[1]، ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ أَي: بسبب كفرهم ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَـٰنُكُمْ﴾ بالتوراة؛ لأَنَّه ليس في التوراة عبادة العجل، وإِضافة الأَمر إِلىٰ إِيمانهم تهكُّمٌ، كما قال قوم شعيب: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾[2]، وكذلك إِضافة الإِيمان إِليهم، وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ تشكيك في إِيمانِهم، وقدح في صحَّة دعواهم له.

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ (٩٤)

﴿خَالِصَةً﴾ نصب على الحال من ﴿ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ والمراد الجنَّة، أَي: خالصة لكم خاصَّة بكم ليس لأَحدٍ سواكم فيها حقٌّ كما تزعمون في قولكم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُوداً﴾[3]، و﴿ٱلنَّاسِ﴾ للجنس، وقيل: للعهد وهم المسلمون[4] ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ لِأَنَّ من أَيقن أَنَّه من أَهل الجنَّة اشتاق إِليها وتمنّىٰ سرعة

(١) النساء: ١٠. (٢) هود: ٨٧.

(٣) البقرة: ١١١.

(٤) حكاه الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٦١ عن ابن عباس، وانظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٣٤٢.

الوصول إلىٰ نعيمها، كما رُوِيَ: أَنَّ علياًعليه‌السلام كان يطوف بين الصفَّيْنِ بِصِفِّينَ في غِلالة، فقال له ابنه الحسن عليه‌السلام: ماهذا بزيِّ المحارِبينَ، فقال: يا بُنَيَّ لا يبالي أبوكَ عَلَى الْموتِ سقط أَم عليه سقط الموت[١].

ويُروىٰ: أَنَّ حبيب بن مظاهِر[٢] ضَحِكَ يومَ الطفِّ، فقيل له في ذلك، فقال: وأَيُّ موضع أَحقُّ بالسُّرور من هذا الموضِع؟! واللهِ ماهو إلّا أَن يُقبِلَ علينا هؤلاء القوم[٣] بسُيوفهم فنعانِق الحورَ العين[٤].

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللهُ عَلِيمٌ بِالظَّـٰلِمِينَ﴾(٩٥)

هذا من المعجزات لأَنّه إِخبار بالغيب، وكان كما أُخْبِرَ به، وفي الحديث: «لو تَمَنَّوُا الموتَ لغَصَّ كلُّ إِنسان منهم بريقه فمات مكانَه، وما بقي علىٰ وجه الأَرض يهوديٌّ»[٥]. ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أَي: بما أَسلفوا من موجبات النار من تحريف كتاب الله والكفر بمحمّدصلى‌الله‌عليه‌وآله وغير ذلك من أَنواع الكفر، والتمنّي: قول الإِنسان بلسانه: ليت لي كذا ﴿وَٱللهُ عَلِيمٌ بِالظَّـٰلِمِينَ﴾ تهديد لهم.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ

---

(١) رواها في الكشّاف: ج ١ ص ١٦٦، وأوردها في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ١٦٤.

(٢) أبو القاسم حبيب بن مظهر أو مظاهر بن رئاب ابن الاشتر الأسدي الكندي ثم الفقعسي. وكان ذا جمال وكمال، وفي وقعة كربلاء كان عمره ٧٥ سنة، وكان يحفظ القرآن كلّه، ويختمه في كلّ ليلة من بعد صلاة العشاء الىٰ طلوع الفجر، قال أهل السير: إنّ حبيباً نزل الكوفة وصحب علياًعليه‌السلام في حروبه كلّها، وكان من خاصته وحَمَلَة علومه، استشهد مع الحسين عليه‌السلام في كربلاء سنة ٦١ هـ. (أعيان الشيعة: ج ٤ ص ٥٥٤).

(٣) في نسخة: الطغام.

(٤) رجال الكشي: ص ٧٩، سفينة البحار: ج ١ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٥) رواه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٩٥ عن ابن عباس عنه صلى‌الله‌عليه‌وآله، ونقله في الكشّاف: ج ١ ص ١٦٧ مرفوعاً.

﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٦)

هو من وَجَدْتُ بمعنىٰ عَلِمْتُ في قولهم: وجدتُ زيداً ذَا الحِفاظِ، ومفعولاهُ «هُمْ» و﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ﴾، ونكَّرَ ﴿حَيَوٰةٍ﴾ لأَنَّه أراد علىٰ حياةٍ مخصوصةٍ متطاولةٍ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ محمول على المعنىٰ؛ لأَنَّ معنىٰ ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ﴾ أَحرص من الناس، وجاز ذلك وإِن دخل الَّذين أَشركوا تحت الناس لأَنَّهم أُفْرِدوا بالذكر من جهة أَنَّ حرصهم أَشدُّ، ويجوز أَن يراد: وأَحرص مِن الَّذين أَشركوا، فَحُذِفَ لدلالة ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ﴾ عليه، وفيه توبيخ شديد لأَنَّ حرص المشركين على الحياة غير مستبعد لأَنَّها جنَّتهم ولم يؤْمِنوا بعاقبة، فإِذا زادوا عليهم في الحرص وهم مُقِرُّون بالجزاءِ كانوا أَحِقَّاءَ بأَعظم التوبيخ، وقيل: أَراد بالَّذين أَشركوا المجوسَ لأَنَّهم كانوا يقولون لملوكهم: عِشْ أَلْفَ نَيْروز[1]، وقيل: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ كلامٌ مُبْتَدَأٌ، أَي: ومنهم ناسٌ يودُّ أحدهم، علىٰ حذف الموصوف، كقوله: ﴿وَمَامِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[2] [3]، والضمير في ﴿وَمَا هُوَ﴾ لأَحدهم، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ فاعل لـ «مزحزحه»، أَي: وما أَحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره، وقيل: الضمير لما دلَّ عليه يُعَمَّرُ من مَصْدرِه و ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ بدلٌ منه[4]، ويجوز أَن يكون ﴿هُوَ﴾ مبهماً و ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ مُبيِّنَه، والزحْزَحَة: التنحية والتبعيد، وقوله: ﴿لَوْ يُعَمَّرُ﴾ في معنى التمنِّي، وكان القياس: لو أُعَمَّرُ إِلّا أَنَّه أُجريَ علىٰ لفظ الغيبة لقوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ كقولك: حلف بالله ليفعلَنَّ، فقوله: ﴿لَوْ يُعَمَّرُ﴾

---

(١) حكاه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ١٦٨ عن ابن عباس، والبغوي في تفسيره: ج ١ ص ٩٦ عن أبي العالية والربيع.

(٢) الصافات: ١٦٤.

(٣) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ١٦٨، والبغوي في تفسيره: ج ١ ص ٩٦.

(٤) أُنظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

حكاية لِوَدادتهم.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَن كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ (٩٨)

رُوِيَ: أنَّ عبدالله بن صوريا ـ وهو من أحبار فدك ـ سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عمَّن يهبِط عليه بالوحي، فقال: جَبْرَئيل، فقال: ذاك عدوُّنا ولو كان غيره لآمنَّا بك، فنزلت[1] جواباً لقوله وردّاً عليه ﴿قُلْ﴾ يامحمَّد: ﴿مَن﴾ عادىَ جِبْرئيلَ من أهل الكتاب ﴿فَإِنَّهُ﴾ نزَّلَ القرآن، أضمر مالم يَسْبِقْ ذكره، وفيه فَخَامَةٌ لِشأْنه، إذ جعله لفرط شهرته كأنَّه يدلُّ على نفسه ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ أي: حَفَّظَهُ إيّاك وفَهَّمَكَهُ بإذن الله، أي: بتيسيره وتسهيله، والمعنىٰ: أنَّه لا وجه لمعاداته حيث نزَّل كتاباً ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب فيكون مصدِّقاً لكتابهم، فلو أَنصفوا لأَحبُّوه وشكَروا له صنيعَه في إنزاله مايصحِّح الكتاب المنزَل عليهم ﴿وَهُدًى وبُشْرَىٰ﴾ أي: وهادياً ومبشِّراً ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنعيم الدائم، وإنّما أعاد ذكر جَبْرَئيل وميكائيل بعد ذكر الملائكة لفضلهما، فأفردهما بالذكر كأنَّهما من جنس آخَر، وهو ممّا ذُكِرَ: أنَّ التغاير في الوصف يُنزَّل منزلةَ التغاير في الذّات.

الصادق عليه السلام كان يَقْرأُ جبريل وميكال بغير همزةٍ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أراد عدوٌّ لهم، وضع الظاهر موضع الضمير ليدلّ

---

(١) راجع أسباب النزول للواحدي: ص ٣٣، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٩٦، والكشّاف: ج ١ ص ١٦٩، قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشّاف: ص ٩ مالفظه: ذكره الثعلبي والواحدي والبغوي فقالوا: روى ابن عباس أنّ حبراً ....، ولم أقف له على سند ولعلّه من تفسير الكلبي عن أبي صالح.

علىٰ أنّه سبحانه إنّما عاداهم لكفرهم، وأنّ عداوة المَلائكة كفر.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ (٩٩) أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠٠)

﴿ءَايَـٰتٍ﴾ أي: معجزات ظاهرات واضحات ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا﴾ المتمرِّدون من الكَفَرَةِ، وعن الحسن: إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع علىٰ أعظم ذلك النوع من كفرٍ وغيره[1]، واللام في ﴿ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ للجنس، والأَولى أن يكون إشارة إلىٰ أهل الكتاب ﴿أَوَكُلَّمَا﴾ الواو للعطف علىٰ محذوف، معناه: ﴿أَ﴾ كفروا بالآيات البيّنات ﴿وَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟﴾ واليهود موصوفون بنقض العهد[2] قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾[3]، والنبذ: الرمي بالشيءِ ورفضه، وقال: ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ لأَنَّ مِنهم من لم ينقض ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالتوراة وليسوا من الدين في شيءٍ، فلا يبالون بنقض الميثاق ولا يعدُّونه ذنباً.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠١)

﴿كِتَـٰبَ ٱللَّهِ﴾ يعني: التوراة؛ لأَنّهم بكفرهم برسولِ اللهِ المصدِّق لَها كافرون بها نابذون لها، أَو يريد القرآن نبذوه بعد أَن لزِمَهم أَن يَتَلَقَّوْهُ بالقبول، كأَنّهم لا يعلمون أَنّه كتاب الله، يعني: أَنّهم يعلمون ذلك ولكنّهم يكابرون ويعاندون، ونبذوه ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ مثلٌ لِتَركِهم وإعراضهم عنه.

---

(١) حكاه عنه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ١٧١.

(٢) في بعض النسخ: العهود. (٣) الأنفال: ٥٦.

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَاتَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَـا كَـفَرَ سُـلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَايُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَاهُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَايَضُرُّهُمْ وَلَايَنفَعُهُمْ وَلَـقَدْ عَـلِمُواْ لَـمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَالَهُ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ وَلَبِئْسَ مَاشَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَـوْ كَـانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٠٢)

المعنىٰ: أَنَّ هذا الفريق المذكور من اليهود نبذوا كتاب الله ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَـاتَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ أَي: واتَّبعوا كتب السحر الّتي كانت تقرأُها الشياطين علىٰ عهد ملك سليمانَ وفي زمانه، وكانوا يقولون: هذا علم سليمان، وبه يُسَخِّر الجِـنَّ والإِنس والريح ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾ هذا تكذيب للشياطين ودفع لما بَهَتُوه به من العمل بالسحر وسمّاه كفراً ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ﴾ هم الّذين ﴿كَفَرُواْ﴾ باستعمال السحر وتدوينه في كتب يَقْرؤونها ويعلِّمونها ﴿ٱلنَّاسَ﴾ يقصدون بذلك إغواءَهم ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ (١)، قيل: هو عطف علىٰ ﴿مَاتَتْلُواْ﴾ أَي: وَاتَّبعوا ما أُنزل على الملكين (٢)، ﴿بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ (٣) عطف بيان للـملَكَين عـلمان لهـما، والَّذي أُنزِلَ عليهما علم السحر ابتلاءً من الله للناس، مَن تَعَلَّمَهُ منهم وعَمِلَ به كان

(١) في نسخة زيادة: عطف على السحر، أي يعلّمونهم ما أُنزل على الملكين و.

(٢) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ١٨٣.

(٣) بابل بكسر الباء: اسم ناحية الكوفة والحِلّة، وقيل: بابل العراق، وقيل: أول من سكنها نوح عليه السلام، وهو أوّل من عمّرها، وكان قد نزلها بعقب الطوفان، فسار هو ومَن خرج معه من السفينة إليها لطلب الدفء فأقاموا بها وتناسلوا فيها وكثروا من بعد نوح عليه السلام. (معجم البلدان: ج ١ ص ٤٤٧).

كافراً، ومن تَجَنَّبَهُ أَو تَعَلَّمَهُ لأَنْ لا يَعْمَلَ به ولكن لِيَتَوَقّاه كان مُؤْمناً، كَما ابْتُلِيَ قومُ طالوت بالنهرِ ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّىٓ﴾ [١] ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ أَي: وما يعلِّم الملَكان أَحداً ﴿حَتَّىٰ﴾ يُنَبِّهاه و ﴿يَقُولَآ﴾ له ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أَي: ابتلاءٌ واختبارٌ من الله ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ أَي: فلا تتعلَّم معتقداً أَنَّـه حقٌّ فتكفر ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ الضمير لما دلَّ عليه من أَحد، أَي: فيتعلَّم الناس من الملكين ﴿مَايُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ أَي: علم السحر الَّذي يكون سبباً في التفريق بين الزوجين من حيلةٍ وتمويهٍ كالنفْث في العُقَد ونحو ذلك ممّا يُحدِث الله عنده الفِرْكَ [٢] والنشوزَ والخلافَ ابتلاءً منه ﴿وَمَاهُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لأَنَّـه ربَّما يُحدِث الله عنده فعلاً من أَفعاله وربَّما لم يُحدِث ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَايَضُرُّهُمْ وَلَايَنفَعُهُمْ﴾ لأَنَّـهم يقصدون به الشرَّ ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾ أَي: عَلِمَ هؤُلاءِ اليهود ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ أَي: استبدل ﴿مَاتَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ علىٰ كتاب الله ﴿مَالَهُ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ أَي: نصيب ﴿وَلَبِئْسَ مَاشَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ أَي: باعوها ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ أَي: يعملون بعلمهم، جعلهم حين لم يعملوا كأَنَّـهم لم يعلموا.

﴿وَلَوْ أَنَّـهُمْ ءَامَـنُواْ وَٱتَّـقَوْاْ لَـمَثُوبَةٌ مِّـنْ عِـندِ ٱللَّهِ خَـيْرٌ لَّـوْ كَـانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٠٣)

يريد ﴿وَلَوْ أَنَّـهُمْ ءَامَنُواْ﴾ برسول‌الله ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ الله فتركوا ماهم عليه من نبذ كتاب الله واتِّباع كتب الشياطين ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِـندِ ٱللَّهِ خَـيْرٌ﴾ أَي: ﴿لَّـوْ كَـانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ ثواب الله خير ممّا هم فيه، وقد عَلِمُوا ولكنَّه سبحانه جَهَّلَهُمْ لتركهم

---

(١) البقرة: ٢٤٩.

(٢) الفرك ـ بالكسر والفتح ـ البغضة عامّة، أو خاصّ ببغضة الزوجين. (القاموس المحيط: مادة فرك).

العمل بالعلم.

وجواب ﴿لَوْ﴾ قوله: ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللهِ خَيْرٌ﴾، وإنّما أُوثِرَتِ الجملة الإسميّة على الفعليّة لما في ذلك من الدلالة علىٰ ثبات المثوبة واستقرارها، والمعنىٰ: لَشَيءٌ من الثواب خير لهم، وقيل: إنَّ جواب ﴿لَوْ﴾ محذوف يدلُّ الكلام عليه أي: لَأُثِيبُوا[١].

﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٠٤)

كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وآله إذا أَلقى إليهم شيئاً منَ العلم: ﴿رَٰعِنَا﴾ يا رسول الله، أَي: راقبنا وانتظرنا حتّى نَفْهَمَهُ ونَحْفَظَهُ، وكانت لليهود كلمة يتسابُّون بها وهي «راعينا»، فلمّا سمعوا بقول المسلمين: ﴿رَٰعِنَا﴾ افترصوه[٢] وخاطبوا الرسول به وهم يعنون تلك اللفظة عندهم، فَنُهِيَ المؤمنون عنها وأُمِرُوا بما هو في معناها وهو ﴿ٱنظُرْنَا﴾ من نَظَرَهُ: إذا انتظره ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ وأَحسِنوا سَماع ما يُكلِّمكم به النبي صلى الله عليه وآله بآذان[٣] واعية حتّىٰ لا تحتاجوا إلى الاستعادة[٤] وطلب المراعاة، أو واسمعوا سماع قبولٍ وطاعةٍ ولايكن مثلَ سَماع اليهود حيث قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾[٥]، ﴿وَلِلْكَـٰفِرِينَ﴾ أَي: ولليهود الّذين سبُّوا رسول الله ﴿عَذَابٌ﴾ مؤلم.

﴿مَايَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ

(١) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ١٨٧، والزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ١٧٤.
(٢) افترص فلاناً ظلماً: اقتطعه، أي: تمكن بالوقيعة في عرضه. (أقرب الموارد).
(٣) في بعض النسخ: بأذن.
(٤) في نسخة: الاستعانة.
(٥) البقرة: ٩٣، النساء: ٤٦.

عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (١٠٥)

﴿مِنْ﴾ الأُولىٰ للبيان؛ لأَنَّ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ جنس تحته نوعان: ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ والمشركون، والثانية مزيدة للاستغراق، والثالثة لابتداء الغاية. والخير: الوحي، وكذلك الرحمة كقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾[1] والمعنىٰ: أَنَّ اليهود والمشركين يَرَوْنَ أَنفسَهم أَحقَّ بالوحي فَيَحسدونكم، وما يحبُّون ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم﴾ شيءٌ من الوحي ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ﴾ بالنبوّة ﴿مَن يَشَآءُ﴾ ولا يشاء إلّا ماتقتضيه الحكمة ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ إيذان بأَنَّ إيتاءَ النبوَّة من الفضل العظيم، كقوله: ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً﴾[2].

﴿مَانَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَالَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (١٠٧)

نسخ الآية: إزالتها بإبدال أُخرى مكانها، وإنساخها: الأَمر بنسخها، ونَسْؤُها: تأْخيرها وإذهابها لا إلىٰ بدلٍ، وإنساؤُها: أَن يذهب بحفظها عن القلوب، والمعنىٰ: أَنَّ كلَّ ﴿ءَايَةٍ﴾ نَذْهَبُ بِها علىٰ ماتُوجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة من إزالة لفظها وحكمها معاً، أَو من إزالة أَحدِهما إلى بدل، أَولا إلى بدل ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ للعباد، أَي: بآيةٍ العمل بها أحوز للثواب ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ في ذلك الثواب ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلىٰ مثله في ذلك و ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فهو يملك تدبيركم ويُجريه علىٰ حَسَب

---

(١) الزخرف: ٣٢. (٢) الاسراء: ٨٧.

مصالحكم، وهو أَعلم بما يتعبَّدكم[١] به من ناسخ ومنسوخ ﴿وَمَا لَكُم﴾ سوىٰ ﴿ٱللهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يقوم بأُموركم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ أَي: ناصرٍ ينصركم.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِالْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ (١٠٨)

لَمّا بيَّنَ سبحانه أَنّه مدبِّر أُمورِهم أَراد أَن يوصيَهم بالثقة به فيما هو أَصلح لهم ممّا يتعبَّدهم به، وأَن لا يقترحوا علىٰ رسولهم ما اقترحته آباءُ اليهود علىٰ موسىٰ من الأشياء الّتي كانت عقباها وبالاً عليهم، كقولهم: ﴿أَرِنَا ٱللهَ جَهْرَةً﴾[٢] وغير ذلك ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِالْإِيمَـٰنِ﴾ بأَن ترك الثقة بالآيات وشكَّ فيها واقترح غيرَها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أَي: ذهب عن قصد الطريق واستقامته.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَاعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ ٱللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٠٩)

معناه: تمنّىٰ ﴿كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ كحيِّ بن أَخطب وكعب بن الأَشرف وأَمثالهما ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ علىٰ معنىٰ: أَن يردُّوكم يامعشر المؤمنين، أَي: يُرجِعوكم ﴿مِّن بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً﴾ منهم لكم بما أَعدَّ الله لكم من الثواب والفضل، وانتصب ﴿حَسَداً﴾ بأَنّه مفعول له، وتعلّق قوله: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ﴾ بـ ﴿وَدَّ﴾ أَي: وَدُّوا ذلك وتمنَّوه من قِبَلِ أَنفسهم وشهواتهم لا من قِبَل الميل مع الحقِّ، لأَنّهم ودُّوا ذلك ﴿مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾ أَنّكم على ﴿ٱلْحَقُّ﴾ فكيف يكون تمنِّيهم من قِبَلِ الحقِّ؟! ويجوز أَن يتعلّق بـ ﴿حَسَداً﴾ أَي: حسداً من أَصل نفوسهم فيكون

(١) في نسخة: يتعبّد.
(٢) النساء: ١٥٣.

علىٰ طريق التوكيد ﴿فَاعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ﴾ أي: فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عمّا يكون منهم من الجهل والعَداوة ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ الّذي هو قتل بني قُرَيْظَةَ وإجلاءُ بني النضير وإِذلالُ مَن سِواهم من اليهود بضرب الجزية عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو يقدر على الانتقام منهم.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٠)

لَمَّا أَمر سبحانه المسلمين بالصفح عنهم عقَّبه بالأَمر بالصلاة والزكاة ليستعينوا بهما علىٰ ماشقَّ عليهم من شدَّة عَداوة اليهود لهم كما قال: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [١]. ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ ... مِّنْ خَيْرٍ﴾ من صلاةٍ أو صدقةٍ أو غيرهما من الطاعات تَجدُوا ثوابه ﴿عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ عالمٌ لا يَضيعُ عنده عمل عامل.

﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَـٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (١١١) بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١١٢)

الضمير في ﴿قَالُواْ﴾ لأَهلِ الكتاب، والمعنىٰ: وقالت اليهود: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُوداً﴾ وقالت النصارى: لن يدخل الجنّة إلّا من كان ﴿نَصَـٰرَىٰ﴾ فَلَفَّ بين القولين؛ ثقةً بأَنَّ السامع يَرُدُّ إلىٰ كلِّ فريقٍ قولَه، وأَمناً من الالتباس لِما عُلِمَ من الخلاف بين الفريقين، ونحوه قوله: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ [٢]. والهود جمع الهائد، ووُحِّد اسم «كان» حملاً على لفظ «من» في قوله: ﴿مَن كَانَ هُوداً﴾

(١) البقرة: ٤٥. (٢) البقرة: ١٣٥.

وجُمِعَ خبره حملاً علىٰ معناه ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ إشارة إلى أُمْنِيَّتِهِمْ أَن لا يُنَزَّلَ على المؤمنين خير من ربِّهم، وأُمنيَّتِهِمْ أَنْ يردُّوهم كفّاراً[١]، و[٢] أُمْنِيَّتِهِمْ أَن لا يدخل الجنَّة غيرُهم، أَي: تلك الأَمانيُّ الكاذبة أَمانيُّهم ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ أَي: حجَّتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في قولكم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾، وفي هذا دليل علىٰ أَنَّ كلَّ قولٍ لا دليل عليه فهو باطل، وهات بمعنى أَحْضِرْ ﴿بَلَىٰ﴾ إثبات لما نَفَوْهُ من دخول غيرهم الجنَّة ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أَي: من أَخلص نفسه لله لا يشرك به غيرَه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عمله ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾ الَّذي يستوجبه، ويجوز أَن يكون ﴿مَنْ أَسْلَمَ﴾ مبتدأً ويكون ﴿مَنْ﴾ متضمِّناً معنى الشرط وجوابه ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾، ويجوز أَن يكون فاعلاً لفعلٍ محذوف، أَي: ﴿بَلَىٰ﴾ يدخلها ﴿مَنْ أَسْلَمَ﴾ ويكون ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾ معطوفاً علىٰ يدخلها ﴿مَنْ أَسْلَمَ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١١٣)

﴿عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ مبالغة عظيمة، أَي: ليسوا علىٰ شَيءٍ يصحُّ ويُعْتَدُّ به، كقولهم: أَقلُّ من لا شيءٍ ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ الواو للحال والكتاب للجنس، أَي: قالوا ذلك وحالهم أَنَّهم من أَهل العلم والتلاوة للكتب ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أَي: مثل ذلك الَّذي سمعت به وعلى ذلك المنهاج ﴿قَالَ﴾ الجَهَلَةُ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ لا علمَ عندهم ولا كتابَ؛ كَعَبَدَةِ الأَوثان والدهريَّة ونحوهم قالوا لأَهل كلِّ دين: لَيْسوا عَلى شَيءٍ، وهذا توبيخ لهم حيث نظموا نفوسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ﴾ بَيْنَ

---

(١) في بعض النسخ زيادة: حسداً. (٢) في نسخة: أو.

اليهود والنصارى ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيُريهم من يدخل الجنَّة ومن يدخل النار عِياناً.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١٤)

﴿أَن يُذْكَرَ﴾ في موضع النصب بأنَّه المفعول الثاني لـ ﴿مَّنَعَ﴾، تقول: مَنَعْتُهُ كذا، ومثله ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾ [(١)]، ويجوز أن يكون منصوباً بأنَّه مفعول له بمعنى: منعها كَراهةَ أن يُذكَرَ، وهو حكم عامٌّ في جـنس ﴿مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ وأنَّ مانعها من ذكر الله في غاية الظُّلم.

ورُوِيَ عن الصادق عليه السلام: «أنَّ المراد بذلك قريش حين منعوا رسول الله دخول مكَّة والمسجد الحرام» [(٢)]، وبه قال بعض المفسِّرين [(٣)].

وقال بعضهم: إنَّهم الرُوم، غَزَوْا بيت المَقْدِس وسَعَوا في خرابه إلىٰ أن أظهر الله المسلمين عليهم في أيّام عُمَرَ [(٤)] فصاروا لا يدخلونها ﴿إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ يَـتَهيَّبُونَ المؤْمنين أن يبطِشوا بهم.

وعلى القول الأوَّل فقد رُوِيَ: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر أن يُنادىٰ: ألّا لا يَحِجَّنَّ بعد هذا العام مشرك، ولا يطوفنَّ بالبيت عريان [(٥)]، فالمعنىٰ: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ المانعون ﴿مَا كَانَ لَهُمْ﴾ في حكمِ الله ﴿أَن﴾ يَدْخُلُوا مسـاجد الله ﴿إِلَّا خَآئِفِينَ﴾، لأنَّ الله

---

(١) الاسراء: ٩٤. (٢) أوردها في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ١٨٩.

(٣) كابن زيد والبلخي والجبائي والرمّاني. أُنظر التبيان: ج ١ ص ٤١٦.

(٤) وهو قول الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٧٤، وحكاه الشيخ في التبيان: ج ١ ص ٤١٦ عن ابن عباس ومجاهد.

(٥) رواها الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ١٨٠.

تعالى قد حكم وكتب في اللوح أنّه يُعزّ الدين، وينصر عليهم المؤمنين ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ أي: قتل وسبي أو ذلّة بضرب الجزية عليهم، وقيل: بفتح مدائنهم قسطنطينية وروميّة عند قيام المهديّ عليه السلام [(١)] ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في نار جهنّم.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١١٥)

﴿وَلِلَّهِ﴾ بلاد ﴿ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ والأرض كلّها هو مالكها ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟﴾ أي: ففي أيّ مكانٍ فعلتم التولية، يعني: تولية وجوهكم شطر القبلة، بدليل قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ الآية [(٢)]، ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أي: جهته الّتي أَمَرَ بها ورَضِيَها، والمعنى: أنّكم إذا مُنِعْتُمْ أن تُصلّوا في المسجد الحرام فقد جُعِلَت لكم الأرض مسجداً في أيّ بقعة شئتم من بِقاعها، وافعلوا التولية فيها، فإنّ التولية لا تختصّ بمسجد دون مسجد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾ الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بمصالحهم، وقيل: إنّها نزلت في صلاة التطوّع على الراحلة للمسافر أينما توجّهتْ [(٣)]، وهو المرويّ عنهم عليهم السلام [(٤)].

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ (١١٦) بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ

---

(١) أورده المصنّف في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ١٩٠ عن السدي، وراجع تفسير السمرقندي: ج ١ ص ١٥١، والماوردي: ج ١ ص ١٧٥.

(٢) البقرة: ١٤٤.

(٣) وهو قول عمر وابنه عبدالله. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ١٧٥، وأسباب النزول للواحدي: ص ٣٨ ـ ٣٩.

(٤) أورده المصنّف في مجمع البيان: ج ١ ص ١٩١.

لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (١١٧)

ثمَّ ردَّ الله على اليهود والنصارىٰ قولهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللهُ وَلَداً﴾ وهم الَّذين قالوا: «الْمَسيحُ ابْنُ اللهِ» و «عُزيرٌ ابنُ الله»، وعلىٰ من قال: «الملائكة بناتُ اللهِ»، ﴿سُبْحَـٰنَهُ﴾ تنزيهٌ له عن ذلك وتبعيدٌ ﴿بَلْ لَّهُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهو خالقه ومالكه، ومن جملته الملائِكة وعُزَيْرٌ والْمَسيحُ ﴿كُلٌّ لَّهُ قَـٰنِتُونَ﴾ مطيعون منقادون لا يمتنع شيءٌ منهم عن تقديره وتكوينه ومشيَّته، ومن كان بهذه الصفة لم يجانس له تعالى، ومن حقِّ الولد أَن يكون من جنس الوالد، والتنوين في ﴿كُلٌّ﴾ عوضٌ من المضاف إِليه، أَي: كلٌّ من في السماوات والأَرض، وجاء بلفظة «ما» دون «من» كقوله[1]: سبحان ما سخَّركُنَّ لنا.

ويقال: بدع الشيءَ فهو بديع، و ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ من إضافة الصفة المشبّهة إلىٰ فاعلها، أي: بديعٌ سَماواتُهُ وأَرضُه، وقيل: هو بمعنى الْمُبدِعِ[2]. وقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ أَي: احْدُثْ فَيَحْدُثُ، وهو من «كان» التامَّة، وهذا تمثيل ولا قول هناك، والمعنىٰ: أَنَّ ماقضاه من الأُمور وأَراد كونَه يتكوَّن ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقُّف، كما أَنَّ المأْمور المطيع إِذا أُمِرَ لا يتوقَّف،[3] أَكّد بهذا استبعاد الولادة؛ لأَنَّ من كانت هذه صفتَه في كمال القدرة فحاله مباينة لحال الأَجسام في توالدها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (١١٨)

---

(١) في نسخة: كقولهم.

(٢) قاله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٧٨.

(٣) في نسخة زيادة: فقد.

أي: ﴿وَقَالَ﴾ الجاهلون من المشركين، وقيل: من أَهل الكتاب[١]،نفىٰ عنهم العلم لأَنَّهم لم يعملوا به ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ أَي: هلّا يكلِّمنا[٢] كما يكلِّم الملائكة وكلَّم موسى؛ استكباراً منهم وعتوّاً ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ هذا جحود منهم لأَنْ يكون ما آتاهم من آيات الله آياتٍ ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ حيث اقترحوا الآيات علىٰ موسىٰ عليه السلام ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أَي: قلوب هؤلاءِ ومن قبلَهم في العَمىٰ كقوله سبحانه: ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾[٣]، ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ﴾ ينصفون فـ﴿يُوقِنُونَ﴾ أَنَّها آياتٌ يجب الاعتراف بها والاكتفاءُ بوجودها عن غيرها.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَاتُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ(١١٩) وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾(١٢٠)

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ لأَن تُبَشِّرَ وتُنذِرَ لا لِتُجبِرَ عَلى الإيمان، وهذه تسلية له عليه السلام لِئَلّا يضيق صدره بإِصرارهم على الكفر، ولا نسأَلُكَ ﴿عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ مالهم لم يؤْمنوا بعد أَن بلَّغت واجتهدت في الدعوة، وأَمّا قراءَة نافع: «وَلا تَسْأَلْ»[٤] فهو على النهي، وقيل: إِنَّ معناه تفخيم الشأْن[٥] كما يقول القائِل: لا تَسأَلْ عن حال فلانٍ، أَي: قد صار إِلىٰ أَكثر ممّا تريده، أَو أَنت لا تستطيع استماع

---

(١) وهو قول ابن عباس ومجاهد. انظر تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٨٠.

(٢) في نسخة زيادة: الله. (٣) الذاريات: ٥٣.

(٤) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٦٩، إعراب القرآن للنحاس: ج ١ ص ٢٠٩، والتيسير في القراءات للداني: ص ٧٦، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٢٦٢، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ٣٦٨.

(٥) قاله الأخفش كما حكاه عنه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ١ ص ٤٣٨.

خبره، وكان اليهود قالوا: لن نَرضىٰ عنك وإن طلبتَ رضانا جهدَك[١] حتّى تتّبع ملّتنا، فحكى الله كلامهم، ولذلك قال: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ جواباً لهم عن قولهم، يعني: أَنَّ هدى الله الّذي هو الإسلام هو الهدى الحقُّ والّذي يصحُّ أَن يسمّى هُدىً ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ﴾ أَقوالهم الّتي هي أَهواءٌ وبِدَعٌ ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أَي: من الدين المعلوم صحَّته بالدلائل والبراهين.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ (١٢١)

يعني: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ آمنوا من جملة أَهل الكتاب ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ لا يحرِّفونه ولا يغيِّرون مافيه من نعت رسول الله صلّى الله عليه وآله.

الصادق عليه السلام قال: «إِنَّ حقَّ تِلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنَّة والنار، يسأَل في الأُولى ويستعيذ في الأُخرىٰ»[٢].

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ﴾ بكتابهم دون المحرِّفين ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ من المحرِّفين ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ حيث اشتَرَوا الضلالة بالهدى.

﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ (١٢٢) وَٱتَّقُواْ يَوْماً لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (١٢٣)

قد تقدَّم مثل الآيتين[٣]، ولمّا بَعُدَ مابين الكلامين حَسُنَ الإِعادة والتكرير إبلاغاً في التنبيه والاحتجاج، وتأْكيداً للتذكير.

---

(١) في نسخة: بجهدك.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٥٧ ح ٨٤، وعنه البرهان: ج ١ ص ١٤٧ ح ٣.

(٣) في ص ٦٠، فراجع.

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (١٢٤)

العامل في «إذْ» مضمرٌ نحو «اذكر»، ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: اخْتَبَرَ إبْراهيم ﴿رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ﴾ بأوامرَ ونواهٍ، واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أَحد الأَمرين: مايُريدُهُ الله وما يشتهيه العبد، كأَنَّه يمتحنه مايكون منه حتّىٰ يـجازيَه علىٰ حسب ذلك ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أَي: فقام بِهنَّ حقَّ القيام وأَدّاهُنَّ حقَ التأْدية من غير تفريطٍ وتقصير، أَوْ يكون تقديره: وإذ اِبْتلىٰ إِبراهيمَ رَبُّه بكلماتٍ كان كَيْتَ وكَيْتَ، ويجوز أَن يكون العامل في «إِذْ» قوله: ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ﴾، ويكون على القول الأوَّل قد استؤنف الكلام، كأَنّه قيل: فماذا قال له ربُّه حين أَتَمَّ الكلمات؟ فقيل: ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، وعلىٰ الثاني هي جملة معطوفة علىٰ ماقبلها، أَو يكون بياناً وتفسيراً لقوله: ﴿ٱبْتَلَىٰٓ﴾.

ويراد بالكلمات ماذَكَرَهُ من الإمامة. وقيل في «الكلمات»: هي خمسٌ في الرأْس: الفرق وقصُّ الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق، وخمسٌ في البدن: الختان والاستحداد[١] والاستنجاء وتقليم الأَظفار ونتف الإبط[٢]. وقيل: هي ثلاثون خَصلَةً من شرائع الإسلام: عشرٌ في «البراءَة»: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾[٣] وعشرٌ في «الأحزاب»: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾[٤] وعشرٌ في «المؤمنون»[٥] و «سَأل سائل» إلى قوله: «وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ

---

(١) الاستحداد: الاحتلاق بالحديد. (القاموس المحيط: مادة حدد).

(٢) نسبه الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٨٣ الى ابن عباس وقتادة، وفي تفسير البغوي: ج ١ ص ١١١: هو قول ابن طاووس عن ابن عباس.

(٣) الآية: ١١٢. (٤) الآية: ٣٥.

(٥) المؤمنون: ٩.

يُحَافِظُونَ»[١] [٢]. وقيل: هي مناسك الحجِّ[٣]، وقيل: هي الكلمات الّتي تـلقّاها آدم من ربِّه فتاب عليه وهي أَسماءُ محمَّد وأَهل بيته عليه وعليهم السلام، عـن الصّادق عليه السلام[٤].

والإِمام اسم من يُؤْتَمُّ به، جعله سبحانه إِماماً يأْتمُّون به فـي ديـنهم ويـقوم بتدبيرهم وسياسة أُمورهم، وقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ عطف على الكاف، كأَنَّه قال: وجاعل بعض ذُرِّيَّتي؟ كما يقال لك: سأُكرمك، فتقول: وزَيـداً؟ ﴿قَـالَ لَا يَـنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أَي: من كان ظالماً من ذُرِّيَّتك لاينالُه استخلافي وعهدي إِليه بالإِمامة، وإِنَّما ينال من لا يفعل ظلماً، وهذا يدلُّ علىٰ وجوب العصمة للإِمام؛ لأَنَّ من ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إِمّا لنفسه وإِمّا لغيره.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّـرَا بَـيْتِىَ لِـلطَّـآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (١٢٥)

﴿ٱلْبَيْتَ﴾ اسم غالب للكعبة كالنجم للثُريّا ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مرجِعاً يثاب إِليه كلَّ عام ﴿وَأَمْناً﴾ مـوضِع أَمـنٍ كـقوله: ﴿حَـرَماً ءَامِـناً وَيُـتَخَطَّفُ ٱلنَّـاسُ مِـنْ حَوْلِهِمْ﴾[٥]، ولأَنَّ الجانيَ يأْوي إِليه فلا يُتَعَرَّضُ له حتّىٰ يخرجَ ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ علىٰ إِرادة القول، أَي: وقلنا لهم: اتَّخِذُوا مـنه مـوضع صـلاة تُـصلُّون فـيه، و ﴿مَّقَامِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الموضع الّذي كان فيه الحجر حين وضع إِبراهيم عليه السلام عليه قدمَيْهِ، أُمِرْنا

---

(١) المعارج: ٣٤.
(٢) قاله ابن عباس على ماحكاه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ١١١.
(٣) وهو قول الربيع وقتادة. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ١١٢.
(٤) رواه الصدوق عنه عليه السلام في الخصال: ص ٣٠٥ ح ٨٤.
(٥) العنكبوت: ٦٧.

بالصلاة عنده بعد الطواف، وقُرِئَ: «وَاتَّخَذُوا» بلفظ الماضي [١] عطفاً على ﴿جَعَلْنَا﴾ أَي: واتَّخَذَ الناس ﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ موضع صلاة.

وَمَنْ قَرَأَ: ﴿وَاتَّخِذُواْ﴾ على الأمر وقف على قوله: ﴿وَأَمْناً﴾، ومن قرأ: «وَاتَّخَذُوا» على الخبر لم يقفْ؛ لأَنَّ قوله: «وَاتَّخَذُوا» عطف على ﴿جَعَلْنَا﴾ [٢].

﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أمرناهما بـ ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ أَوْ أَي طَهِّرَا بيتي، فتكون ﴿أَن﴾ المفسِّرة الَّتي تكون عبارةً عن القول، أَي طهراه من الأَوثان والخبائث كلّها، وأَضاف «البيت» إِلىٰ نفسه تفضيلاً له على سائِر البِقاع ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ أَي: للدائرين حوله ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ أَي: المجاورين له والمقيمين بحضرته ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ أَي: المصلِّين عنده؛ لأَنَّ الرُكوع والسُجود من هيئات المصلِّي.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا بَلَداً ءَامِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١٢٦)

أَي: ﴿اجْعَلْ هَـٰذَا﴾ البلد وهو مكَّة ﴿بَلَداً ءَامِناً﴾ ذا أَمنٍ، كقوله: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [٣] أَي: ذات رِضىً، وبلدٌ أَهلٌ أَي: ذو أَهْلٍ، أَو آمِناً يُؤْمَنُ فيه كقولهم: ليلٌ نائِمٌ، أَيْ: يُنام فيه ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ﴾ يعني: وارزق المؤمنين منهم خاصَّةً، لأَنَّ قوله:

---

(١) قرأه نافع وابن عامر وشريح والذماري. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٦٩، والتبيان: ج ١ ص ٤٥٢، والكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسي: ج ١ ص ٢٦٤، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ٣٨٤.

(٢) راجع تفصيل ذلك في كتاب الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ١٧١، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٢٢.

(٣) الحاقة: ٢١.

﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم﴾ بدل من ﴿أَهْلَهُ﴾، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ عطف علىٰ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ كما أَنَّ قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ عطف على الكاف في ﴿جَاعِلُكَ﴾.

وإِنَّما خصَّ إِبراهيمُ عليه السلام المؤمنينَ بالدُعاءِ حتّىٰ قال سبحانه: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾، لأَنَّ الله كان أعلمه أَنَّه يكون في ذُرِّيَّته ظالمون بقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فعرَّفه سبحانه الفرق بين الرزق والإِمامة، لأَنّ الاستخلاف استرعاءٌ يختصُّ بمن لا يَقَعُ منه الظُلم بخلاف الرزق فإِنَّه قد يكون استدراجاً للمرزوق وإِلزاماً للحجَّة.

والمعنىٰ: ﴿قَالَ﴾ وأَرزق مَنْ كفَرَ ﴿فَأُمَتِّعُهُ﴾، ويجوز أَن يكون ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ مبتدأً متضمِّناً معنى الشرط و ﴿فَأُمَتِّعُهُ﴾ جواباً للشرط، أَي: وَمَن كَفَرَ فَأَنَا أُمَتِعُهُ، وقُرِئَ: «فَأُمْتِعُهُ»[1]، ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ أَي: أَدْفَعُهُ ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ دفعَ المضطَرِّ الّذي لا يَملِكُ الامتناعَ ممَّا اضطُرَّ إِليه.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (١٢٨)

﴿يَرْفَعُ﴾ حكاية حال ماضية، و ﴿ٱلْقَوَاعِدَ﴾: جمع القاعدة وهي الأَساس لما فوقه، وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة، ورفع القواعد: البناءُ عليها لأَنَّها إِذا بُنِيَ عليها ارتفعت، ويجوز أَن يكون المراد بها سافات[2] البناء لأَنَّ كلَّ ساف قاعدة

---

(١) وهي قراءة ابن عباس وابن عامر والمطوعي وشبل وابن محيصن والذماري وشريح. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٢٢، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٧٠، والتيسير في القراءات للداني: ص ٧٦، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ٣٨٤.

(٢) جمع ساف: وهو كل عرَق (أي الصف من الحجر في الحائط) من الحائط. (القاموس المحيط: مادة سوف).

لما يُبنىٰ عليه ويوضع فوقَه، ورُوِيَ: أَنَّ إبراهيمعليه السلام كان يَبني وإسماعيل يُناوِلُه الحجارة[١] ﴿رَبَّنَا﴾ أي يقولان: ربَّنا، وهذا الفعل في محلِّ النصب على الحال ﴿تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ فيه دلالة علىٰ أنّهما بَنَيا الكعبة مسجداً لا مسكناً، لأنّهما التمسا القبول الّذي معناه الإثابة، والثواب إنّما يُطْلَبُ على الطاعات ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائِنا ﴿ٱلعَلِيمُ﴾ بنيّاتنا، وإنّما لم يقل: قواعد البيت بل أُبْهِمَتِ ﴿ٱلقَوَاعِدَ﴾ ثُمَّ بُيِّنَتْ بعد الإبهام لما في الإيضاح بعد الإبهام من تفخيم شأنِ المبيَّن ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ أَي: مخلصَيْن لك أَوجُهَنا من قوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾[٢] أو مُستسلمَيْن لك خاضعَيْن منقادَيْن، ومعناه: زِدنا إخلاصاً أَو خضوعاً وإذعاناً لك ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ أي: واجعل من ذرِّيَّتنا ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾، و ﴿مِن﴾ للتبعيض أو للتبيين كقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾[٣]، ورُوِيَ عن الصادقعليه السلام: أنّه أَراد بالأُمَّة بني هاشم خاصّةً[٤]، ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أَي: وعرِّفنا وبصِّرنا متعبَّداتِنا في الحجِّ لنقضيَ عباداتِنا علىٰ حدِّ ماتوقفنا عليه، وقد قُرِئَ بسكون الراءِ[٥] من ﴿أَرِنَا﴾ قياساً على[٦] فَخْذٍ في «فَخِذ»، وهي قراءَة مسترذلة، إلّا أَن يُقْرَأَ بإشمام الكسرة[٧] ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ قالا هذه الكلمة انقطاعاً إلى الله لِيُقْتَدىٰ بهما، أَو استتابا

---

(١) حكاه الشيخ في التبيان: ج ١ ص ٤٦٢ عن ابن عباس.

(٢) البقرة: ١١٢. (٣) النور: ٥٥.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٦١ ح ١٠١، وعنه البرهان: ج ١ ص ١٥٦ ح ١٢.

(٥) قرأه ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن محيصن وأبو شعيب ومجاهد والسوسي وأبو حاتم وقتادة والسدي وعمر بن عبدالعزيز ورويس وروح. راجع الحجة في علل القراءات للفارسي: ج ٢ ص ١٧٣، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٧٠، وإعراب القرآن للنحاس: ج ١ ص ٢١٣، والحجة في القراءات لأبي زرعة: ص ١١٤، والحجة لابن خالويه: ص ٧٨.

(٦) في بعض النسخ زيادة: تخفيف.

(٧) أنظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٣٧٤.

لذرِّيَّتهما ﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾ القابل للتوبة ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بعبادك.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (١٢٩)

﴿وَٱبْعَثْ﴾ في الأُمَّة المسلمة ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ من أَنفسهم وهو نبيُّنا محمَّد صلى الله عليه وآله، قال عليه السلام: «أَنا دَعْوَةُ أَبي إِبراهيم، وبُشرى عيسىٰ، ورُؤْيا أُمِّي»(١). ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ﴾ يقرأ عليهم ويبلِّغهم ما يوحىٰ إِليه ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ وهو القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ وهي الشريعة وبيان الأَحكام ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ويطهِّرهم من الشرك والأَدناس ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القويُّ في كمال قدرتك ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ المُحكم لبدائع صُنعك.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِى ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ (١٣٠)

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الَّتي هي الحقُّ والحقيقة، وهو إِنكار واستبعاد لأَن يكون في العقلاءِ من يرغب عنه، و ﴿مَن سَفِهَ﴾ في محلِّ الرفع على البدل من الضمير المُسْتَكِنِّ في ﴿يرْغَبُ﴾، ومعنىٰ ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ امْتَهَنَها واستخفَّ بها، وأَصل السفه: الخفَّة، وقيل: إِنَّ ﴿نَفْسَهُ﴾ منصوبة على التمييز(٢) نحو غُبِنَ رَأْيَه، وقيل: معناه سفه في نفسه، فحُذِفَ الْجار(٣) كقولهم: زيد ظَنِّي مقيمٌ، أَي: في ظَنِّي، والأَوَّل أَوجه ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ﴾ بيان لخطأ رأْيِ مَنْ رَغِبَ عن ملَّته، أَي: اجتبيناه

(١) منسد أحمد بن حنبل: ج ٤ ص ١٢٧ و ج ٥ ص ٢٦٢.
٢) قاله الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٧٩، وعنه الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٣٧٦.
(٣) قاله الأخفش في معاني القرآن: ج ١ص ٣٣٨، واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج١ ص ٢١١.

بالرسالة ﴿وَإِنَّهُ فِى ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ الفائزين، ومن جمع الكرامة عند الله في الدارَيْن لم يكن أحد أولىٰ بأن يُرْغَب في طريقته منه.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (١٣٢)

﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف لـ ﴿ٱصْطَفَيْنَـٰهُ﴾ أَي: اخترناه في ذلك الوقت، ومعنىٰ ﴿قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾: أَخْطَر بباله النظَر في الدلائل المفضية به إلى التوحيد والإسلام ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ أَي: فنظر وعرف، وقيل: إنَّ معنىٰ ﴿أَسْلِمْ﴾ أَذْعِنْ وأَطِع[1]. وقُرِئَ: «وأَوْصَى» بالألف[2] والضمير في ﴿بِهَآ﴾ لقوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ علىٰ تأويل الكلمة والجملة، ومثله الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾[3] فإنَّه يَرجِعُ إلىٰ قوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾[4] ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ عطف على ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ داخل في حكمه، يعني: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ﴾ يعقوب بنيه أيضاً ﴿ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ معناه: أَعطاكم الدين الَّذي هو صفوة الأَديان وهو دين الإسلام، ووفَّقكم للأَخذ به ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أَي: فلا يكن موتكم إلّا علىٰ حال كونكم ثابتين على الإسلام، فالنهي على الحقيقة

(١) قاله عطاء والكلبي. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ١١٨، واختاره ابن كثير في تفسيره: ج ١ ص ١٧٦.

(٢) وهي قراءة نافع وابن عامر وأبي جعفر والذماري وشريح. راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٧١، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ١٥٩، والتيسير في القراءات للداني: ص ٧٧، والحجة لأبي زرعة: ص ١١٥، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ٣٩٨، وهي في مصاحف أهل الحجاز والشام كما في الكشّاف: ج ١ ص ١٩١.

(٣) الزخرف: ٢٨.

(٤) الزخرف: ٢٦ و ٢٧.

عن كونهم مُخالفي الإسلام إذا ماتوا، والنكتة في إدخال حرف النهي على الموت أنَّ فيه إظهاراً لكون الموت على خلاف الإسلام موتاً لا خير فيه.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَاتَعْبُدُونَ مِن بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهاً وَٰحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٣)

﴿أَمْ﴾ هي المنقطعة، أي: بل أ ﴿كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾، ومعنى الهمزة فيها الإنكار، أي: ما كنتم حاضرين يعقوب، والشهيد: الحاضر ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: حين احتضر، والخطاب للمؤمنين، يعني: ماشهدتم ذلك وإنّما حصل لكم العلم به من طريق الوحي، وقيل: الخطاب لليهود[1] لأنّهم كانوا يقولون مامات نبيٌّ إلّا على اليهوديَّة، فتكون ﴿أَمْ﴾ علىٰ هذا متّصلةً على أن يقدَّر قبلها مَحْذوف، كأنّه قيل: أتدَّعون على الأنبياءِ اليهوديَّةَ أم كنتم شهداءَ إذ حضر يعقوب الموت[2]، يعني: أنَّ أوائلكم كانوا شاهدين له إذ أراد بنيه علىٰ ملَّة الإسلام وقد علمتم ذلك، فما لكم تدَّعون على الأنبياءِ ماهم منه بَراء؟ ﴿مَاتَعْبُدُونَ مِن بَعْدِى﴾ أي: أيَّ شيءٍ تعبدون من بعدي؟ أي: من بعد وفاتي، فحُذِف المضاف، و ﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ﴾ عطف بيان لـ ﴿ءَابَآئِكَ﴾، وجُعل إسماعيل وهو عمُّه من جملة آبائه؛لأنَّ العمَّ أبٌ والخالة أُمٌّ لانخراطهما في سلك واحد وهو الأُخوَّة لا تفاوت بينهما ﴿إِلَـٰهاً وَٰحِداً﴾ بدل من ﴿إِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ﴾، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ حال من فاعل ﴿نَعْبُدُ﴾ أو من مفعوله لرجوع الضمير إليه في ﴿لَهُ﴾، ويجوز أن

(١) قاله الربيع كما في التبيان: ج ١ ص ٤٧٥.

(٢) اختاره الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ١٩٣، وذكره الهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ١ ص ٣٧٨.

يكون جملةً معطوفةً على ﴿نَعْبُدُ﴾ أو جملةً اعتراضيَّةً، أي: ومن حالنا أنّا له مسلمون[١].

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (١٣٤)

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الأُمّة المذكورة الّتي هي إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحِّدون، والمعنى أنَّ أحداً لا ينفعه كسب غيره متقدِّماً كان أو متأخِّراً، وذلك أنّهم افتخروا بأوائلهم ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ لا تُؤاخذون بسيِّئاتهم كما لا تنفعكم حَسَناتهم.

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (١٣٥)

الضمير في ﴿قَالُواْ﴾ يرجع إلى اليهود والنصارىٰ، أي: قالت اليهود: ﴿كُونُواْ هُوداً﴾ وقالت النصارىٰ: كُونُوا ﴿نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ تُصيبوا طريق الهدىٰ والحقِّ ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ بل نكون أهل ملّة إبراهيم كقول عديٍّ بن حاتِم[٢]: إنّي من دين، أي: من أهل دين[٣]، وقيل: بل نتّبع ملّة إبراهيم[٤] و ﴿حَنِيفاً﴾ حال من

(١) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ١٩٤، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٣٨٠.

(٢) عديّ بن حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي؛ أبو وهب وأبو طريف، أمير، صحابيّ، من الأجواد العقلاء، كان رئيس طي في الجاهلية والاسلام، كان إسلامه سنة ٩ هـ وشهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة وشهد الجمل وصفّين والنهروان مع أميرالمؤمنين عليه السلام، وقد فقئت عينه يوم صفّين. روىٰ عنه المحدّثون ٦٦ حديثاً، عاش أكثر من مائة سنة، توفّي بالكوفة سنة ٦٨ هـ. (الإصابة: ج ٢ ص ٤٦٨ ت ٥٤٧٥، وخزانة الأدب للبغدادي: ج ١ ص ١٣٩، والروض الأنف: ج ٢ ص ٣٤٣، وإمتاع الاسماع: ج ١ ص ٥٠٩، ورغبة الآمل: ج ٦ ص ١٣٥).

(٣) حكاه عنه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ١٩٤.

(٤) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٢١٣.

المضاف إليه كقولك رأيتُ وجهَ هندٍ قائِمةً، والحنيف المائل عن كلّ دين إلىٰ دين الحقّ ﴿وَمَاكَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض بأَهل الكتاب وغيرهم؛ لأَنَّ كلًّا منهم يدَّعي اتِّباع ملَّة إبراهيم وهو على الشرك.

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِاللهِ وَمَآأُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٦)

﴿قُولُوٓا۟﴾ خطاب للمسلمين، أَمرهم الله سبحانه بإظهار ما تديَّنوا به على الشرح، فَبدأَ بالإيمان ﴿بِاللهِ﴾ لأَنَّه أَوَّل الواجبات، وثَنَّىٰ بالإيمان بالقرآن والكُتُب المنزلة على الأَنبياءِ المذكورين ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ حَفَدةُ يعقوب وذراريُّ أَبنائِه الإِثْنَيْ عشَرَ، جمع السبط: وهو الحافد، وكان الحسن والحسين عليهما السلام سبطَيْ رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿لَانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ لا نُؤْمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلتِ اليهود والنصارى، و﴿أَحَدٍ﴾ في معنى الجماعة ولذلك صحَّ دخول ﴿بَيْنَ﴾ عليه.

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآءَامَنتُم بِهِ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٣٧) صِبْغَةَ ٱللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَٰبِدُونَ﴾ (١٣٨)

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟﴾ أَي: إن آمن هؤلاءِ الكفّار ﴿بِمِثْلِ مَآءَامَنتُم بِهِ﴾ أَي: مثل إيمانكم بالله وكتبه ورسله، والباءُ مزيدةٌ، و﴿مَا﴾ مصدريَّة ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ أَي: فقد سلكوا طريق الهداية ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عمّا تقولون لهم ولم يُنصِفوا، أَو تولّوا عن الدخول في مثل إيمانكم ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ أَي: مُناواةٍ ومعاندةٍ لا غير، وليسوا من طلب الحقِّ في شيءٍ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللهُ﴾ هذا ضَمان من الله لإظهار

نَبيِّه ﷺ عليهم وكفايته من يُشاقُّه من اليهود والنصارى، وفيه دلالة على صحَّة نُبوَّته؛ لأنَّه سبحانه قد أنجز وعده فوافق المخبَر الخبر، ومعنى السين: أنَّ ذلك كائن لا مَحالةَ وإن تأخَّر إلىٰ حين ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وعيدٌ لهم، أو وعدٌ لرسول‌الله، أي: يَسمعُ ما يَنطِقون به ويَعلَمُ ما يُضمِرونَ فيعاقبهم على ذلك، أو يَسمَعُ ما تَدعو به ويَعلَمُ نيَّتك وإرادتك من إظهار الدين وهو مستَجيب لك ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكِّد ينتصب عن قوله: ﴿ءَامَنَّا بِاللهِ﴾ كما انتصب ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾[١] عمّا تقدَّمه، وهي فِعْلَةٌ من «صَبَغَ» كالجِلْسَةِ من «جَلَسَ»، وهي الحالة الَّتي يقع عليها الصبغ، والمعنىٰ: تطهير الله؛ لأنَّ الإيمان يطهِّر النفوس، والأصل فيه: أنَّ النصارىٰ كانوا يَغمِسون أولادهم في ماءٍ أصفر يسمُّونه المعموديَّة[٢] ويقولون: هو تطهير لهم، فأُمِر المسلمون أن يقولوا: آمنّا وصَبَّغَنا الله بالإيمان ﴿صِبْغَةً﴾ لا مثلَ صِبغتكم، وطَهَّرَنا به تطهيراً لا مثلَ تطهيركم، ولا صِبغة أَحسن من صِبغة الله ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَـٰبِدُونَ﴾ عطف على ﴿ءَامَنَّا بِاللهِ﴾.

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ (١٣٩)

أَمر نَبيَّه أَن يقول لليهود وغيرهم: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾ أَي: أَتُجادلوننا في أَمر الله واصطفائِه النبيَّ من العرب دونكم ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ نشترك جميعاً في أَنّا عبيده وهو ربُّنا وربُّكم، وهو يصيب بكرامته من يشاء من عباده إذا كان أَهلاً للكَرامة ﴿وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾ يعني: أَنَّ العمل هو أَساس الأَمر، وكما أَنَّ لكم أَعمالاً يعتبرها الله في إعطاءِ الكَرامة ومنعها فإنَّ لنا أعمالاً معتبرةً في ذلك

(١) الروم: ٦.
(٢) في بعض النسخ: المعهودية.

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ موحِّدون نُخْلِصه بالإيمان والإيقان فلا تستبعدوا أَن نُؤَهَّلَ للكَرامة[١] بالنبوَّة، وهذا ردٌّ لقولهم: نحن أَحقُّ بالنبوَّة لأَنَّا أَهل الكتاب والعرب عَبَدَةُ الأَوثان.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٤١)

من قرأَ: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ بالتاء فإِنَّ ﴿أَمْ﴾ يمكنُ أَن تكون متَّصلةً معادِلةً للهمزة في ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ بمعنىٰ: أَيَّ الأَمرين تأْتون: المحاجَّةَ في حكم[٢] الله أَم ادِّعاءَ اليهوديَّة والنصرانيَّة على الأَنبياء؟ والمراد بالاستفهام الإنكار، ويمكن أَن تكون منقطعةً بمعنىٰ: بل أتقولون، والهمزة للإِنكار، ومن قَرأَ بالياء[٣] فلا تكون «أَمْ» إِلّا منقطعةً.

﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ يعني: أَنَّ الله شَهِدَ لهم بملَّة الإِسلام في قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً﴾ الآية[٤]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ أَي: كتم شهادة الله الَّتي عنده أَنَّه شَهِدَ بِها وهي شهادته لإِبراهيم بالحنيفية، ويحتمل معنيين: أَحدهما: أَنَّه لا أَحد أَظلم من أَهل الكتاب لِكِتْمانهم هذه

(١) في نسخة: لكرامته. (٢) في نسخة: حكمة.
(٣) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم برواية أبي بكر وأبي جعفر ويعقوب. راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٧١، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٢٦٦، والتيسير في القراءات للداني: ص ٧٧، والحجة في القراءات لأبي زرعة ص ١١٥، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ٤١٤.
(٤) آل عمران: ٦٧.

الشهادة مع علمهم بها، والآخر: لا أحد أظلم منّا لو كتمنا هذه الشهادة فنحن لا نكتمها، و«مِن» في قوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ مثلها في قولك: هذه شهادة منّي لفلان إذا شهدتَ له، ومثله ﴿بَرَآءَةٌ مِنَ ٱللَّهِ﴾ (١).

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١٤٢)

﴿سَيَقُولُ﴾ أي: سوف يقول الجُهّال الخِفافُ الأَحلام وهم اليهود؛ لكَراهتهم التوجُّه إلى الكعبة ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ ماصرفهم عَنْ بيت المقدس الّذي كان قبلتَهم يَتَوَجَّهُونَ إليها في صلاتهم، وقيل: هم المنافقون قالوا ذلك لحرصهم على الاستهزاءِ بالإسلام (٢)، وقيل: هم المشركون قالوا: رَغِبَ عَنْ قبلة (٣) آبائه ثمَّ رجع إليها، وَلَيَرْجِعَنَّ إلىٰ دينهم (٤) ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ أي: بلاد المشرق والمغرب ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ من أَهلها ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهو ما توجبه الحكمة والصلاح من توجيههم تارةً إلىٰ بيت المقدس وأُخرىٰ إلى الكعبة.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٤٣)

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك الجعل العجيب والإنعام بالهداية ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً

---

(١) التوبة: ١.

(٢) قائل ذلك السدي. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ١٩٧.

(٣) في بعض النسخ: ملّة.

(٤) حكاه الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٢١٨، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٩٧.

وَسَطاً﴾ أي: خياراً، وهو وصف بالاسم الَّذي هو وسط الشيءِ، ولذلك استوىٰ فيه الواحد والجمع والمذكَّر والمؤنَّث، وإنَّما قيل للخيار: وسط، لأنَّ الأطراف يتسارع إليها الفساد والأوساط محفوظة(١) مكنوفة، أو عدولاً لأنَّ الوسط عدل بين الأطراف ليس إلىٰ بعضها أقرب من بعض ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ رُوِيَ: أنَّ الأُمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياءِ، فيطالب الله الأنبياءَ بالبيِّنة علىٰ أنَّهم قد بلَّغوا وهو أعلم، فيُؤْتَى بأُمَّة محمَّد صلى الله عليه وآله فيشهدون لهم، وهو صلوات الله عليه وآله يزكِّيهم(٢).

ويُرْوىٰ عن عليٍّ عليه السلام أنَّه قال: «إنَّ الله إيّانا عَنىٰ، فرسول الله شاهدٌ علينا، ونحن شهداءُ الله على خلقه وحجَّته في أرضه»(٣).

وقيل: لِتكونوا شهداءَ على الناس في الدُنيا، أي: حُجَّةً عليهم فَتُبَيِّنوا لهم الحقَّ والدين(٤)، ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ مؤدِّياً للشرع وأحكام الدين إليكم، والشاهدُ مبيِّنٌ، ويقال للشاهد: بَيِّنَة، ولمّا كان الشهيد كالرقيبَ جيءَ بـ«علىٰ» الَّتي هي كلمة الاستعلاء، كما في قوله تعالى: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾(٥)، ﴿ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ ليست بصفة للقبلة، وإنَّما هي المفعول الثاني لِـ «جَعَلَ»، يريد: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ﴾ الجهة الَّتي كنت عليها وهي الكعبة؛ لأنَّه عليه السلام كان يصلِّي بمكَّة إلى الكعبة، ثمَّ أُمِرَ بالصلاة إلىٰ صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألُّفاً لليهود، ثمَّ حُوِّلَ إلى الكعبة، فيقول: وما جعلنا قبلتك الجهة الَّتي كنت تستقبلها بمكَّة أَوَّلاً ثمَّ رددناك إليها ثانياً ﴿إِلَّا﴾ امتحاناً للناس وابتلاءً ﴿لِنَعْلَمَ﴾

(١) في نسخة: محوطة.

(٢) رواه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ١٩٩.

(٣) شواهد التنزيل: ج ١ ص ٩٢، وأورده المصنّف في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٢٢٤.

(٤) قاله الزّجاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٢٢٠، وعنه الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٩٩.

(٥) المائدة: ١١٧.

الثابت على الإسلام ﴿مِمَّن﴾ هو على حرف[١] منه فينكص ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ ويرتدّ، وقيل: يريد بالّتي كنت عليها بيت المقدس، أي: جعلناها جهتك الّتي كنت تستقبلها لِنَمتحنَ الناس، وننظر من يتّبعُك منهم ومن لا يتّبعُك[٢]، وعن ابن عبّاس قال: كانت قبلته بمكّة بيت المقدّس إلّا أنّه كان يجعل الكعبة بينه وبينه[٣]، وقوله: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ معناه: لِنَعْلَمَه علماً يتعلّق به الجزاء، وهو أن يَعْلَمَه موجوداً حاصلاً ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ هي «إِن» المخفّفة الّتي تلزمها اللام الفارقة ﴿لَكَبِيرَةً﴾ لثقيلةً شاقّةً ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ إلّا على الّذين صدقوا في اتّباع الرسول، الّذين لطف الله بهم وكانوا أهلاً للطفه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ أي: ثَباتكم على الإيمان، بل شكر صنيعَكم وأعدَّ لكم الثواب الجزيل، وقيل: معناه: من كان صلّى إلى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة[٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ لا يُضيع أُجورَهم ولا يترك مصالحَهم.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١٤٤)

﴿قَدْ نَرَىٰ﴾ ربّما نَرَى، ومعناه كَثرة الرؤْية كقول الشاعر:

قَدْ أَتْرُكُ الْقِرْنَ مُصْفَرّاً أَنامِلُه[٥]

---

(١) في نسخة: طرف.

(٢) قاله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٢٠٠، والبغوي أيضاً في تفسيره: ج ١ ص ١٢٣.

(٣) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٢٠٠.

(٤) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٢٢١.

(٥) قائل البيت: عبيد بن الأبرص الأسدي وعجزه: كأنّ أثوابه مُجّت بفرصاد. وفيه يظهر ←

﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ تردُّد وجهك ﴿فِى﴾ جهة ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ وكان رسول الله ﷺ ينتظر الوحي من السماءِ في تحويله إلى الكعبة لأنَّها قبلة أَبيه إبراهيم، ومفخرةُ العرب ومطافهم، فيكون أَدْعىٰ لهم إلى الإيمان، ولمخالفة اليهود[١] ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ فَلَنُعْطِيَنَّكَ ولَنُمَكِّنَنَّكَ من استقبالها، من قولهم: ولَّيته كذا، أَي: جعلته والياً عليه، أَو فَلَنَجْعلَنَّكَ تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أَي: نحوه، قيل: كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله ﷺ في مسجد بني سَلَمَةَ وقد صلَّى بأَصحابه ركعتين من صلاة الظُهر فَتَحَوَّلَ في الصلاة وحُوِّل الرجال مكان النساء والنساءُ مكان الرجال، فَسُمِّيَ المسجد مسجد القبلتين[٢]، و﴿شَطْرَ﴾ نصب على الظرف، أَي: اجعل تولية الوجه تِلقاءَ ﴿ٱلْمَسْجِدِ﴾ أَي: في جهته وسمته ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ أَينما كنتم من الأَرض ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ وهو خطاب لجميع أَهل الآفاق ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ

← مقام التمدّح بشجاعته والافتخار بها، يقول: كلّ من يدّعي القِرْن لي أي: المثل في شجاعتي أرديه قتيلاً مصفرّة أصابعه، وهي كناية على الموت، يقال: إذا مات الميّت اصفرّت أنامله، ودميت ملابسه بصبغة الدم التي شبّهها بحمرة الفِرْصاد وهو التوت. والبيت هذا قد تداوله الشعراء، فبعضهم أخذ بعضه، وبعضهم أخذه بتمامه بلفظه، وبعضهم أخذ معناه.

قال أبو المثلّم الهذلي يرثي صخراً الهذلي:

ويترك القِرن مصفرّاً أنامله ... كأنّ في ريطتَيْهِ نضح إرقان

وقال زهير بن مسعود الضبيّ:

هل أترك القرن مصفرّاً أنامله ... قد بلّ أثوابه من جوفه العلق

أُنظر ديوان عبيد بن الأحوص: ص ٤٧ ـ ٤٩، والأغاني لأبي فرج الاصفهاني: ج ١٩ ص ٨٩، ومغني اللبيب: ص ٢٣١، وخزانة الأدب للبغدادي: ج ١١ ص ٢٥٣ ـ ٢٦٠.

(١) ذكره الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٢٠٢، وفصّله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٢٠٢ وعزاه الى ابن عباس ومجاهد وابن زيد.

(٢) قاله مجاهد علىٰ ماحكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ١٢٥.

أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يعني: علماء اليهود والنصارىٰ ﴿لَيَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ التحويل إلى الكعبة هو ﴿ٱلْحَقُّ﴾ لأنَّه كان في بِشارة أَنبيائهم برسول‌الله أَنَّه يصلِّي إلى القبلتين.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (١٤٥)

اللام في ﴿لَئِنْ أَتَيْتَ﴾ هو الموطِّئة للقسم، و﴿مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ جواب للقسم المحذوف وقد سدَّ مسدَّ جواب الشرط، يعني: إن أَتيتهم ﴿بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ بكلِّ بُرهانٍ قاطع علىٰ أَنَّ التوجُّه إلى الكعبة هو الحقُّ ﴿مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾،لأَنَّ تركهم اتِّباعك ليس عن شُبهةٍ تُزيلها الحجَّة، إنَّما هو عن عنادٍ ومكابرة؛ لعلمهم بما في كتبهم من نعتك وكونك على الحقِّ ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ حسمٌ لأَطماعهم، إذ قالوا: لو ثبت علىٰ قبلتنا لَكُنَّا نرجو أَن يكون صاحبَنَا الَّذي نَنْتَظِرُهُ، وطمعوا في رجوعه إلىٰ قبلتهم ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ يعني: أَنَّهم مع اتِّفاقهم علىٰ مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يُرْجَى اتِّفاقهم، وذلك أَنَّ اليهود تستقبل بيت المقدس، والنصارى مطلِع الشمس، وقوله:﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ بعد بيان حاله المعلومة عنده في قوله: ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ كلام وارد علىٰ سبيل الفرض والتقدير، بمعنى: ولئِن اتَّبعتهم مثلاً من بعد وضوح الأَمر ﴿إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ لمن المرتكبين الظُّلم الفاحش، وفي ذلك زيادة تحذيرٍ وتهجينٍ لِحالِ مَن يترك الدليل بعدَ تبيُّنه.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

آلْمُمْتَرِينَ﴾ (١٤٧)

﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ الضمير لرسول الله ﷺ، أي: يعرفون رسول الله معرفة جليَّةً ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناءُ غيرهم، وجاز الإضمار وإن لم يَجر له ذكر؛ لأنَّ الكلام يدلُّ عليه، ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإيذان بأنَّه لشهرته معلوم بغير إعلام، وقيل: الضمير للعلم[1] أو للقرآن[2] أو لتحويل القبلة[3]. ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ﴾ خصَّ الفريق منهم استثناءً لمن آمن منهم كعبدالله بن سلام وكعب الأحبار ﴿اَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ مبتدأ وخبر، وفيه وجهان: أَن يكون اللام للعهد والإشارة إلى الحقِّ الَّذي عليه رسول الله، وأَن يكون للجنس علىٰ معنىٰ: الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لا مِنْ غيرِه، ويجوز أَن يكون ﴿اَلْحَقُّ﴾ خبر مبتدأ محذوف، فيكون ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ في محلِّ النصب على الحال، أَو يكون خبراً بعد خبر ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ اَلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكِّين في كتمانهم الحقَّ مع علمهم، أَو في أَنَّه من ربِّك.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ اَلْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَاتَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اَللهُ جَمِيعاً إِنَّ اَللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٤٨)

﴿وِلِكُلٍّ﴾ أَي: لكلِّ أَهلِ ملَّة ﴿وِجْهَةٌ﴾ أَي: قبلة ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وجهه، فحُذِفَ أَحد المفعولين، وقيل: ﴿هُوَ﴾ الله تعالى[4] أَي: الله موليها إِياه، وقُرِئَ: «هو

---

(١) قاله الرازي في تفسيره: ج ٤ ص ١٣٠.

(٢) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج١ ص ٢٤١، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ١ ص ٣٨٩.

(٣) قاله ابن عباس وقتادة والربيع وابن زيد. راجع التبيان: ج ٢ ص ٢١، وتفسير الرازي: ج ٤ ص ١٢٩.

(٤) قاله الأخفش في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٤٣، وعنه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ١٢٦، واختاره السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ١٦٦.

مُوَلَّاها»⁽¹⁾ أَي: هو مُوَلَّىٰ تلك الجهة قد وُلِّيها، والمعنىٰ: لكلٍّ أُمَّة قبلة يتوجَّه إِليها منكم ومن غيركم ﴿فَاسْتَبِقُواْ﴾ أَنتم ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ واسبقوا إِليها غيركم في أَمر القبلة وغيرها، ويجوز أَن يكون المعنىٰ: ولكلٍّ منكم يا أُمَّة محمَّد جهة يصلِّي إِليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية، فاستبقوا الفاضلاتِ من الجهاتِ وهي الجهاتُ المسامتةُ للكعبة وإِن اختلفت ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ﴾ من الجهات المختلفة ﴿يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعاً﴾ يجمعكم ويجعل صلواتكم كأَنَّها إِلىٰ جهة واحدة، وكأَنَّكم تصلُّون حاضري المسجد الحرام، وقيل: أَينما كنتم من البلاد فيُدرككم الموت يأتِ بكم الله إِلى المحشر يوم القيامة، أَي: يحشركم جميعاً⁽²⁾.

ورُوِيَ عنهم عليهم السلام: أَنَّ المراد به أَصحاب المهديِّ في آخِرِ الزمان⁽³⁾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥٠)

---

(١) وهي قراءة ابن عباس وابن عامر وأبي رجاء وعاصم برواية أبي بكر والذماري وشريح والمروي عن الباقر عليه السلام. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٧١، والتبيان: ج ٢ ص ٢٣، والتيسير في القراءات للداني: ص ٧٧، والحجة في القراءات لأبي زرعة: ص ١١٧، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٢٦٧، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ٤٣٧، والفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٣٩١، وحسنّه الزجّاج في معاني القرآن واعرابه: ج ١ ص ٢٢٥.

(٢) قاله البغوي في تفسيره: ج ١ ص ١٢٦، والسمرقندي أيضاً في تفسيره: ج ١ ص ١٦٦.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٦٤ ـ ٦٧ ح ١١٧ و ١١٨، وأوردها المصنّف في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٢٣١.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ أَي: ومن أيٍّ بلد خرجت فاستقبل بوجهك نحوَ ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ إذا صلَّيت ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أَي: إنَّ هذا المأْمور به ﴿لَلْحَقُّ﴾ الثابت الَّذي لا يزولُ بنسخ ﴿مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد، وهذا التكرير لتأْكيد أَمر القبلة، لأَنَّ النسخ من مظانِّ الشبهة، ولأَنَّه نيط بكلٍّ واحدٍ مالم يُنَطْ بالآخَر فاختلفت فوائدها ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ استثناءٌ من «الناس»، ومعناه: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾ حجَّةٌ لأَحد من اليهود إلّا للمعاندين منهم القائلين: إنَّ محمَّداً ماترك قبلتَنا إلى الكعبة إلّا ميلاً إلىٰ دين قومه وحُبّاً لبلده، ولو كان على الحقِّ لَلَزِمَ قبلةَ الأَنبياءِ، وأَمّا الحجَّة الَّتي كانت للمنصفين منهم لو لم يحوِّلِ القبلة فهي أَنَّهم كانوا يقولون: ماله لا يحوّل إلىٰ قبلة أَبيه إبراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة ؟! وإنَّما أُطلقَ اسم الحجَّة عليه لأَنَّهم كانوا يسوقونه سياق الحُجَّة. ويجوز أَن يكون المعنىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾ للعرب ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ في ترككم التوجُّه إلى الكعبة الَّتي هي قبلة إبراهيم وإسماعيل أَبي العرب ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ وهم أَهل مكَّةَ حين يقولون: بدا له فرجع إلى قبلة آبائِه، ويُوشك أَن يرجع إلىٰ دينهم ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم ﴿وَٱخْشَوْنِى﴾ وَلا تُخالفوا أَمري ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى﴾ متعلَّق اللّام محذوفٌ، أَيْ: ولإِتمامي النعمة عليكم وإرادتي اهتداءَكم أَمرتكم بذلك، أَو هو معطوف[١] علىٰ علَّة مقدَّرة، كأَنَّه قيل: وَاخْشَوْني لأُوفِّقكم ولأُتِمَّ نعمتي عليكم، وقيل: هو معطوف على ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾[٢] وفي الحديث: «تمامُ النِّعمةِ دخولُ الجنَّةِ»[٣].

---

(١) في نسخة: عطف.

(٢) قاله الأخفش في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٤٤، والبغوي في تفسيره: ج ١ ص ١٢٨.

(٣) ذكره الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٢٠٦، والزبيدي في الاتحاف: ج ٩ ص ٨٥.

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ (١٥١) فَاذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (١٥٢)

الكاف: إمّا أن يتعلّق بما قبله، أي: ﴿وَلأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ في الآخرة بالثواب كما أتممتُها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول، وإمّا أن يتعلّق بما بعده، أي: كما ذكرتكم بإرسال الرسول ﴿فَاذْكُرُونِى﴾ بالطّاعة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالثوابِ، ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى﴾ ما أنعمت به عليكم ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ـي ولا تجحدوا نعمائي، ويعني بالرسول: محمّداً صلى الله عليه وآله ﴿مِّنكُمْ﴾ أي: من نَسَبِكم، مَنَّ سبحانه عليهم بكونه عليه السلام من العرب لما حصل لهم بذلك من الشرف.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ (١٥٣) وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ (١٥٤)

خاطب سبحانه المؤمنين وأمرَهم بأن يستعينوا ﴿بِالصَّبْرِ﴾ وهو حبس النفس على المكروه وحبسها عن المحبوب ﴿وَ﴾ بـ﴿ٱلصَّلَوٰةِ﴾ لما فيها من الذكر والخُشوع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ بالمعونة والنُصرة ﴿أَمْوَٰتٌ﴾ أي: ﴿لَا تَقُولُواْ﴾: هُمْ ﴿أَمْوَٰتٌ بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَآءٌ﴾ عندالله ﴿وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ كيف حالهم في حياتهم، قال الحسن: إنَّ الشهداءَ أحياءٌ عند الله تُعْرَض أرزاقهم علىٰ أرواحهم فيصل إليهم الروح والفَرَح، كما تعرض النار علىٰ أرواح آل فرعون غُدْوَةً وعشيّاً فيصلُ إليهم الألَمُ والوجعُ[١]. قالوا: ويجوز أن يجمعَ اللهُ من أجزاءِ الشهيد جُملةً

(١) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ١٣٠.

فَيُحييها ويُوصِل إليها النعيم وإن كانت في حجم الذرَّةِ[١]، وقيل: نزلت في شهداءِ بدر وكانوا أَربعة عشر[٢].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ (١٥٥) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ (١٥٧)

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ ولنُصيبنَّكم إصابةً تُشْبِهُ فعلَ المختبِر لأَحوالكم، هل تصبِرون وتُسلِّمون لحكم اللهِ أَم لا ﴿بِشَيْءٍ﴾ أَي: بقليلٍ من كلّ هذهِ البلايا أَو[٣] بطرفٍ منه ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ﴾ المسترجعين عند البلاء؛ لأَنَّ الاسترجاعَ تسليم وإذعان.

قال أَميرالمؤمنين عليه السلام: «إنَّ قولَنا: «إنّا للهِ» إقرارٌ علىٰ أَنفسنا بالمِلكِ، وقولَنا: «إنّا إلَيْهِ راجِعُون» إقرار علىٰ أَنفسِنا بالهُلكِ»[٤].

وإنَّما قَلَّلَ في قوله: ﴿بِشَيْءٍ﴾ لِيُؤذِنَ أَنَّ كلَّ بلاءٍ أَصاب الإنسان وإن جَلَّ ففوقَه مايَقِلُّ هذا بالإضافة إليه، وقوله: ﴿وَنَقْصٍ﴾ عطف علىٰ «شَيْءٍ» أَو علىٰ ﴿ٱلْخَوْفِ﴾ بمعنىٰ: وشيءٍ من نقص الأموال ﴿وَبَشِّرِ﴾ خطابٌ لرسول الله صلى الله عليه وآله أَو لكلِّ من تتأَتّىٰ منه البِشارة، وَ الصلاة من اللهِ: العطف والرأْفة، جمع بينها وبين الرحمة كقوله: ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾[٥] و ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٦]، والمعنىٰ: عليهم رأْفةٌ بعدَ رأْفةٍ، ورحمةٌ بعدَ رحمةٍ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ لطريق الصواب[٧] حيثُ

---

(١) انظر الكشّاف: ج ١ ص ٢٠٦.
(٢) قاله الكلبي. راجع تفسير السمرقندي: ج ١ ص ١٦٩.
(٣) في نسخة: أي.
(٤) أورده المصنّف في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٢٣٨.
(٥) الحديد: ٢٧. (٦) التوبة: ١١٧. (٧) في نسخة: الثواب.

استرجعوا وسلّموا لأمرِ اللهِ.

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ ٱللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٥٨)

﴿ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ علمان للجبلين، والشعائرُ: جمع شَعيرة وهي العلامة، أي: هما من أَعلام مناسكِه ومتعبَّداتِه، والحجُّ: القصد، والاعتمارُ: الزيارة، وهما في الشرع: قصد البيت وزيارته لِلنُسُكَيْنِ المعروفين، وهما في المعاني كالنجم والبيت في الأَعيان، و ﴿يَطَّوَّفَ﴾ أَصله: «يتطوَّف» فَأُدْغِمَ، وعن أبي جعفرٍ الباقر عليه السلام: «أَن يَطوفَ بهما»[١]، وإِنَّما قال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ والسعيُ بينهما واجبٌ؛ لأَنَّه كان على الصفا إِسافٌ وعلى المروة نائلة، وهما صَنَمانِ، يُروىٰ: أَنَّهما كانا رجلاً وامرأَةً زَنَيا في الكعبة فَمُسِخا حجرينِ فَوُضِعا عليهما لِيُعْتَبَرَ بهما، فلمّا طالت الْمُدَّةُ عُبِدا، وكان أَهلُ الجاهليَّةِ إِذا سَعَوْا مَسَحُوهما، فلمّا جاءَ الإِسلام كَرِهَ المسلمونَ الطوافَ بينهما لأَجل فعل الجاهليّة فَرُفِعَ عنهم الجناح[٢]، ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً﴾ أَي: من تَبَرَّعَ بالسعي بين الصفا والمروة بعدما أَدَّى الواجب ﴿فَإِنَّ ٱللهَ شَاكِرٌ﴾ مُجازٍ علىٰ ذلك ﴿عَلِيمٌ﴾ بقدر الجزاء فلا يَبْخَسُ أَحداً حقَّه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَابَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (١٦٠)

---

(١) أُنظر تفسير العياشي: ج ١ ص ٦٩ ح ١٣١.
(٢) رواها الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٢٠٨.

يعني: أَحبارَ اليهود، أي: ﴿يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا﴾هُ في التوراة من الآيات الشاهدة علىٰ صحَّة نُبُوَّة محمَّدﷺ: والهادية إلىٰ نعته وصفته والأَمرِ باتّباعه والإيمان به ﴿مِن بَعْدِ مَابَيَّنَّـٰهُ﴾ ولَخَّصْناه ﴿لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي: في التوراةِ، لم نَدَعْ فيه موضِعَ إشكال ولا اشتباه علىٰ أَحد منهم فَكَتَمُوا ذلك المبيَّنَ الْمُلَخَّصَ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ من الملائكةِ والمؤمنين ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ أَي: نَدِموا علىٰ مافعلوا ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ نيّاتِهم فيما يستقبل من الأَوقات وتداركوا مافُرِّطَ منهم ﴿وَبَيَّنُواْ﴾ ماقد بَيَّنَهُ الله في كتابهم، أَوْ بَيَّنُوا لِلناسِ ماأَحدَثُوهُ من توبتهم ليُعْرَفوا بضدِّ ماعُرِفوابه ويقتديَ غيرُهُم بهم ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أَقْبَلُ توبتهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (١٦٢)

أي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ ماتُوا من هؤُلاءِ الكاتمين ولم يتوبوا ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ ذكر سبحانه لَعْنَتَهم أَحياءً ثمَّ ذكر لَعْنَتَهم أَمواتاً، ومعنىٰ قوله: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ والمرادُ به: من يُعْتَدُّ بلعنه وهم المؤمنون، وقيل: إِنَّ يوم القيامة يلعَن بعضُهُم بعضاً[1]، ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾ في اللعنة، وقيل: في النار إلّا أَنَّها أُضْمِرتْ لِتَفخيمِ شأْنها وتَهويلِ أَمرها[2]، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ لا يُمْهَلونَ ـ من الإنظار ـ أَو لا ينتظرونَ أَو لا يَنْظُرُ الله إِليهم نظر رَحمةٍ، واللعنُ من اللهِ: الإبعادُ من الرحمة وإيجابُ العقاب، ومن الناس: هو الدعاءُ عليهم بذلكَ.

---

(١) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٢١٠.

(٢) قاله أبو العالية. راجع التبيان: ج ٢ ص ٥١.

﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١٦٤)

﴿إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ فردٌ في الإلهيّة لا شريكَ له فيها فلا يصحُّ أن يُسمَّىٰ غيرهُ إلهاً، وَ ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تقريرٌ لِلْوحدانيَّةِ بنفي غيرهِ وإثباتِه، وهو بدلٌ من موضِع ﴿لَّآ إِلَـٰهَ﴾ وهو الرفع؛ لأنَّ ﴿لَّآ﴾ مع مابعدَه مبتدأٌ، وكذلك[1] في قولك: «لا إِلٰهَ إلّا اللهُ»: «اللهُ» بدلٌ من موضِع «لاإِلٰهَ» والخبر محذوف، والتقدير: الله في الوجود ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ المولىٰ بجميع[2] النعَم: أُصولِها وفروعِها، ولا شَيءَ سواه بهذهِ الصّفةِ، فإنَّ كلَّ ماسِواه: إمّا نعمةٌ وإمّا مُنْعَمٌ عليه.

ورُوِيَ: أنَّ المشركين كان لهم حولَ الكعبة ثلاثمِائةٍ وستّونَ صنماً، فلمّا سمِعُوا هذه الآيةَ قالوا: إن كنتَ صادقاً فأْت بآيةٍ نَعرِفُ بها صدقَك، فنزل[3]: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وإنشائهما علىٰ سبيلِ الاختراع والإبداع ﴿وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: اعتقابهما، كلُّ واحد يَعْقُبُ الآخَرَ وَيَخْلُفُهُ، أوْ اختلافهما في الجنس والْهَيْئَة والصفة ﴿وَٱلْفُلْكِ﴾ أي: السفُنِ ﴿ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ أَي: بالَّذي ينفعهم فتكون «ما» موصولة، أو بنفعهم فتكون «ما» مصدريَّة ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: مِن نحوِ السماءِ أَو من السحاب ﴿مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالإنبات وإِنْماءِ النبات، أَو أَهلَ الأَرضِ بإِخراج الأَقوات ﴿وَبَثَّ فِيهَا

(١) في بعض النسخ: هكذا. (٢) في نسخة: لجميع.
(٣) راجع اسباب النزول للواحدي: ص ٤٧، وتفسير البغوي: ج ١ ص ١٣٥.

مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ عطف على ﴿أَنزَلَ﴾ أَي: وما أَنزل في الأَرض من ماءٍ وبثَّ فيها من كلِّ دابَّة، ويجوز أَن يكون عطفاً على ﴿فَأَحْيَا﴾ أَي: فأَحيا بالمطر الأَرضَ وبثَّ فيها من كلِّ دابَّةٍ؛ لأَنَّهم يَنْمُونَ ويعيشون بالحيا(١) والخِصب ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ﴾ في مهابِّها قَبولاً ودَبوراً وشِمالاً وجَنوباً، وفي أَحوالها باردةً وحارَّةً وليِّنةً وعاصفة ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾ لِلرياح تقلّبه في سكائِكِ الجوّ ﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بمشيَّة اللهِ تُمْطِرُ حيث شاءَ ﴿لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أَي: ينظُرون بعيون عقولهم ويعتبرون بها؛ لأَنَّها دلائلُ علىٰ عظيم القدرة وعجيب الحكمة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ ٱللهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ (١٦٥)

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ «من» للتبعيض، أَي: وبعض الناس ﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دونِ ٱللهِ أَندَاداً﴾ أَمثالاً من الأَصنام الَّتي يعبُدونها، وقيل: من الرؤساء بدلالة قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾(٢)، وقال الباقر عليه السلام: «هم أَئِمَّةُ الظَّلَمَةِ وأَشياعُهم»(٣)، ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ يُعَظِّمونَهُمْ ويخضَعونَ لهم ويحبّون عبادَتهم والانقياد لهم ﴿كَحُبِّ ٱللهِ﴾ أَي: كما يُحَبُّ الله، علىٰ أَنَّه مصدرٌ من الفعل المبنيِّ للمفعول، وَاستُغْنِيَ عن ذكر من يحبُّه لأَنَّه معلوم، وقيل: كحبّهم الله، أَي: يُسَوُّون بينه وبينَهم في محبَّتِهِم(٤) ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ﴾ لأَنَّهم لا يعدِلون عنه إِلىٰ غيره

(١) الحيا: المطر. (القاموس المحيط: مادة حيا).

(٢) قاله السدي. راجع التبيان: ج ٢ ص ٦٢.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٧٢ ح ١٤٢، وعنه البرهان: ج ١ ص ١٧٢ ح ٣، واثبات الهداة: ج ١ ص ٢٦٢.

(٤) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٢٣٧، وعنه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ١٣٦.

بخلاف المشركين فإنَّهم يعدِلون من صنمٍ إلىٰ غيره ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ باتّخاذِ الأَنداد، أَي: ولو يعلم هؤُلاءِ الَّذين أَشركوا ﴿أَنَّ﴾ القدرةَ كلَّها ﴿لِلَّهِ﴾ علىٰ كلّ شيءٍ دون أَندادهم، ويعلمونَ شدَّة عقابه للظّالمين إذا عاينُوا العذابَ يومَ القيامةِ لكان منهم مالايدخل تحتَ الوصف من النّدمِ وَالتحسُّرِ فَحُذِفَ الجوابُ، وقُرِئَ: «ولو تَرَىٰ» بالتاء[1] على خطاب الرسولِ عليه السلام أو كلِّ مخاطَبٍ، أَي: ولو ترىٰ ذلك لَرَأَيْتَ أَمراً عظيماً وخَطْباً جَسيماً، وقُرِئَ: «إِذ يُرَوْنَ» على البناءِ للمفعول[2]، و﴿إِذْ﴾ في المستقبل كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾[3].

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (١٦٧)

﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ بدل من ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ أَي: تَبَرَّأَ المتبوعون وهم الرؤَساء من الأَتباع ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ الواو للحال، أَي: تَبَرَّأُوا في حال رؤْيتهم العذاب ﴿وَتَقَطَّعَتْ﴾ عطفٌ على ﴿تَبَرَّأَ﴾، و﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾ الوُصُلات الَّتي كانت بينهم يتواصلون عليها والأَرحام الَّتي كانوا يتعاطَفون بها، والمعنىٰ: زالَ عنهم كلُّ سبب يمكن أَن يُتَوَصَّلَ به من مَوَدَّةٍ أَو عهد أَو قَرابة فلا ينتفعون بشيءٍ من ذلك ﴿وَقَالَ﴾

---

(١) قرأه نافع وابن عامر ويعقوب والذماري وشريح وأبو جعفر النهرواني والحسن وقتادة وشيبة والفضل بن شاذان. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ١٣٧، والتبيان: ج ٢ ص ٦١، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٧٣، ومعاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ١٥٣، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ٤٧١.

(٢) وهي قراءة ابن عامر والذماري وشريح. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٧٣، والتبيان: ج ٢ ص ٦١، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ٤٧١.

(٣) الأعراف: ٤٤.

الأتباع: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ أي: عودةً إلىٰ دار الدُنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ﴾ فيها من الرؤساءِ ﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ في الآخرة، و﴿لَوْ﴾ في معنى التمنّي، ولذلك أُجيب بالفاء الّذي يُجابُ به التمنّي، كأنّه قيل: ليت لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ منهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإراءة الفظيعة ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ﴾ أي :نَدامات، والمعنىٰ: أَنَّ أعمالهم تَنقَلِبُ حَسَراتٍ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فلا يرون إلّا حَسَراتٍ مكان أعمالهم ﴿وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ أي: يخلدون فيها، وفي ﴿هُم﴾ دَلالة علىٰ قوّة أمرهم أُسند إليهم لا على الاختصاص.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٦٩)

هذا خطابٌ لجميع بني آدم ﴿حَلَـٰلًا﴾ مفعول ﴿كُلُواْ﴾ أو حالٌ مِنْ ما ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾، ﴿طَيِّبًا﴾ طاهراً من كلِّ شبهة ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ فتدخلوا في حرام أو شبهة، و«مِنْ» للتبعيض؛ لأَنَّ كلَّ مافي الأَرضِ غيرُ مأكولٍ، والخُطْوَةُ: مابين قدمَي الخاطي، والخَطْوَةُ: المَرَّةُ من الخطو كالغُرفة والغَرفة، و«اتّبعَ خطواتِه» و«وطِئَ على عقِبِه» في معنىٰ: «اقتدى به» و«استَنَّ بِسُنَّتِه» ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ أي: ظاهر العداوة ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بيان لوجوب الكفّ عن اتّباعه وظهور عَداوته، أَي: لا يأْمركم بخير قطُّ، إنّما يأمركم ﴿بِالسُّوٓءِ﴾ بالْقَبيح ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ مايتجاوز الحدّ في القبح، وقيل: السوء ما لاحدَّ فيه، والفحشاء مايجب فيه الحدّ[1]، ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وهو أَن تقولوا: هذا حلال وهذا حرام بغير علم، ويدخل فيه

(١) قاله ابن عباس علىٰ ماحكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ١٣٨.

كلُّ مايُضافُ إلى اللهِ سبحانه ممّا لايجوز عليه وجميع الاعتقادات الباطلة والمذاهب الفاسدة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١٧٠)

الضمير في ﴿لَهُمُ﴾ للناس، وعَدلَ بالخطاب عنهم علىٰ طريقة الالتفات لبيان ضلالتهم فإنّه لا ضالَّ أَضَلُّ من المقلِّدِ، كأنّه يقول للعقلاء: انظُروا إلىٰ هؤلاء الْحَمْقَىٰ ماذا يَقولونَ، والقائل لهم هو النبيُّ عليه السلام والمسلمونَ، والمقول لهم: المشركون أو قومٌ من اليهود، وَ ﴿أَلْفَيْنَا﴾ وجدنا ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ الواو للحال، والهمزة بمعنى الردِّ والتعجيب، معناه: أيَتَّبِعون آباءَهم ولو كانوا ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ من الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ للصواب.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٧١)

لابدّ هنا من حذف المضاف، والتقدير: ﴿وَمَثَلُ﴾ داعي ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ أو مثل الّذين كفروا كبهائم[١] الّذي ينعق، والمعنىٰ: ومثل داعيهم إلى الإيمان في أنّهم لا يسمعون من الدُعاء إلّا جرَس النغمة والصوت من غير تفهُّمٍ واستبصارٍ كمثل الناعقِ بِالبَهائم الّتي لا تسمع ﴿إِلَّا دُعَآءً﴾ الناعقِ ونداءَه، ولا تفْقَهُ شيئاً آخَر ولا تَعي كما يَفْهَمُ العقلاء ويعون، ونَعَقَ الراعي بالغنم: إذا صَوَّتَ بها، وأمّا نَغَقَ الغرابُ فبالغين ﴿صُمٌّ﴾ أي: هم صمٌّ، رُفِعَ على الذمِّ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن

(١) في نسخة: كمثل بهائم.

كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (۱۷۲)

أي: ﴿كُلُواْ مِن﴾ مُستَلَذّاتِ ﴿مَارَزَقْنَـٰكُمْ﴾ لأنَّ مارزَقَهُ الله تعالى لا يكون إلّا حلالاً ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ الّذي رزقكم إيّاها ﴿إِن﴾ صحّ أنـّكم تخصُّونه بـالعبادة وتُقِرُّون أنـّه المنعم على الحقيقة.

وفي الحديث: «يقول الله تعالى: إنِّي والجنَّ والإنسَ في نبأ عـظيم، أخـلُقُ ويُعْبَدُ غيري، وأرزُقُ ويُشكَرُ غيري»[(١)].

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (۱۷۳)

﴿ٱلْمَيْتَةَ﴾ مايموت من الحَيَوان، ﴿وَ﴾ خُصَّ ﴿لَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ لأنـّه المعظم والمقصود وإلّا فجملته مُحرَّمة ﴿وَمَآأُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: رُفِعَ بِهِ الصوتُ للصنَم، وكذلك قول أهل الجاهليّة: باسم اللاتِ والعُزّىٰ ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلىٰ أكـل هـذه الأشياء لضرورة مَجاعة أو إكراه ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على مُضطَرٍّ آخر بالاستيثار عـليه ﴿وَلَا عَادٍ﴾ سدَّ الجوعة، وعنهم عليهم السلام: «غيرَ باغٍ علىٰ إمام المسلمين، ولا عـادٍ بالمعصية طريقة المُحِقّينَ»[(٢)] ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أي: لا حرج عليه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآأَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ مَايَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (۱۷٤) أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَـلَى ٱلنَّـارِ (۱۷٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَـزَّلَ

---

(١) رواه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٢١٤.

(٢) التبيان: ج ٢ ص ٧٦، وأورده المصنّف في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٢٥٧ ونسبه إلى أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام، وعنه البرهان: ج ١ ص ١٧٥ ح ٩.

ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ (١٧٦)

أُعيد ذكر اليهود الَّذين تَقَدَّمَ ذكرُهم ﴿فِى بُطُونِهِمْ﴾ أي: ملء بُطونهم، يقال: أَكَلَ فلانٌ في بطنه، وأكل في بعض بطنه ﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ لأَنَّه إذا أَكلَ مايؤدّي إلى النار فكَأنَّه أكل النارَ، ومنه قولهم: أكل فلانٌ الدَّمَ إذا أكل الدية الَّتي هي بدل منه ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ﴾ تعريضٌ بحرمانهم حالَ أهل الجنّة في إكرامِ اللهِ إيّـاهم بكـلامِه وتزكيتهم بالثناء عليهم، وقيل: نفي الكلام عـبارة عـن غـضبه عـليهم[١] ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ تعجُّبٌ من حالهم في جرأَتهم على النار والتباسِهم بموجِباتِ النارِ، وقيل: معناه أَيُّ شيءٍ صَبَّرَهم عَلَى النار[٢]، يقال: «أَصْبَرَه» و «صَبَّرَه» بمعنىً ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِـ﴾ سبب ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ تعالى ﴿نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أي: نَزَّلَ مانَزَّلَ من الكتب ﴿بِٱلْحَقِّ﴾، ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى﴾ كتب اللهِ فقالوا في بعضها: حقٌّ، وفي بعضها: باطلٌ، وهم أَهل الكتابِ ﴿لَفِى شِقَاقٍ﴾ أَي: في خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحقِّ، و﴿ٱلْكِتَـٰبِ﴾ للجنس، أَو يكون المعنىٰ: كـفرُهم ذلكَ بسـبب أَنَّ اللهَ نـزَّلَ القرآنَ بالحقِّ وإِنَّ الَّذين اختلفوا فيه فقالوا: سحرٌ أَو شعرٌ أَو أَسـاطير[٣] ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ عن الاجتماع عَلَى الصواب.

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُواْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَـٰٓئِكَ

(١) نسبه الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ٨٩ الى الحسن وواصل وأبي علي.
(٢) وهو قول الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ١٠٣، وعنه في التبيان: ج ٢ ص ٩١.
(٣) في نسخة زيادة: الأولين.

﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (١٧٧)

الخطاب لأَهل الكتاب؛ لأَنَّ اليهودَ كانت تصلّي قِبَلَ المغرب إِلىٰ بيت المقدس والنصارى قِبَلَ المشرقِ، وذلك أَنَّهم أَكْثَرُوا الخوضَ في أَمر القبلة حين حُوِّل رسول الله ﷺ إلى الكعبة، وزَعَمَ كلٌّ واحد من الفريقَين: أَنَّ الْبِرَّ التوجُّهُ إِلىٰ قبلتهِ، فَرُدَّ عليهم وقيل لهم: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ فيما أَنتم عليه لأَنَّه منسوخٌ، وقيل: كَثُرَ خوضُ المسلمين وأَهل الكتاب في أَمر القبلة فقيل: ليس كلَّ البرِّ أَمْرُ القبلةِ ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ الَّذي يجب صرفُ الهمّةِ إليه برُّ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ وقام بهذه الأَعمال[١]، والبرُّ: اسمٌ لكلّ فعل مرضيٍّ، وقُرِئَ: ﴿ٱلْبِرَّ﴾ بالنَّصبِ على أَنَّه خبرٌ مقدَّمٌ ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ علىٰ تأْويل حذف المضاف، أَي: برُّ من آمن، أَو يكون البرُّ بمعنىٰ: ذي البرّ، أَو يكون البرُّ بمعنىٰ: البارّ كما قال:

فَإِنَّما هِيَ إِقْبالٌ وَإِدبارٌ[٢]

وقال المبرّدُ[٣]: لَوْ كُنْتُ ممَّن يَقْرَأُ القرآنَ لقرأْتُ: ولكنَّ البَرَّ بفتح الباءِ[٤].

---

(١) قاله قتادة ومقاتل بن حيّان. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ١٤٢.

(٢) البيت للخنساء ترثي أخاها صخراً وصدره: ترتعُ مارَتَعَت حتىٰ إذا ادَّكرتْ. راجع ديوانها ص ٤٨، والكامل للمبرّد: ج ١ ص ٣٧٤، وج ٣ ص ١٣٥٦ و ١٤١٢، والمقتضب: ج ٣ ص ٢٣٠، وج ٤ ص ٣٠٥.

(٣) هو محمّد بن يزيد المعروف بـ «المبرّد»، إمام نحاة البصرة في عصره، وإليه انتهىٰ علم العربية بعد طبقة الجرمي والمازني، ولد بالبصرة سنة ٢١٠ هـ، وطلب العلم صغيراً، وتلقّىٰ علىٰ أعلام البصرة النحو واللغة والتصريف، ظل بالبصرة حتىٰ سنة ٢٤٦ هـ ففي هذه السنة ورد «سرّ من رأىٰ» بطلبٍ من المتوكّل، فحضر مجلسه ونال عطاياه، ولمّا قتل المتوكّل سنة ٢٤٧ هـ. رحل الى بغداد وتوفّي فيها سنة ٢٨٥ هـ. (سير النبلاء للذهبي: ج ٩ ص ١٣٦، وطبقات النحاة للسيرافي: ص ٢٠٤، ومختصر طبقات النحاة للزبيدي: ص ٦٠٧ ـ ٦٠٩، وفهرست المؤلّفين: ج ١٢ ص ١١٤، وتاريخ بغداد: ج ٣ ص ٣٨٠ ـ ٣٨٧، ومروج الذهب: ج ٨ ص ١٩٠).

(٤) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٢١٨.

و ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ جنس الكتب أو القرآن ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ مع حبّ المال والشحّ به كما قال ابن مسعود[١]: أن تُؤْتِيَه وَأَنْتَ صحيحٌ شَحيحٌ تأْمُلُ الْعَيْشَ وَتَخْشَى الْفَقْر، ولا تمهلَ حتّى إذا بَلَغَتِ الحُلْقومَ قلتَ: لفلان كذا ولفلان كذا[٢]، وقيلَ: علىٰ حبّ اللهِ[٣]، وقيلَ: على حبّ الإيتاء[٤]، أي: يعطيه وهو طيّبُ النفسِ بإعطائه، وَالْمِسْكينُ: الدائمُ السكون إلَى الناسِ لأَنّه لا شيءَ له كالمِسكير: الدائم السكر ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ المسافر المنقطع به، جُعِلَ ابناً للسبيلِ لملازمته له، كما يقالُ لِلّصِّ القاطع: ابن الطريق، وقيل: هو الضيف لأنّ السبيل يرعَفُ به[٥] ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾ الطالبينَ لِلصدقة، وقيل: المستطعِمينَ[٦].

وفي الحديث: «لِلسائِل حَقٌّ وإن جاءَ عَلى فَرَسٍ»[٧].

﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ وفي معاونة المكاتَبين حتّىٰ يَفُكُّوا رقابَهم، وقيل: في ابتياع الرقابِ وإعتاقِها[٨]، وعن الشعبيّ قال: إنَّ في المال حقّاً سوى الزكاة وتَلا هذه الآية[٩] لأَنّه ذُكِرَ إيتاءُ المال في هذه الوجوهِ ثمَّ قيل: ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾، ﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾ عطفٌ على ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾، ﴿وَ﴾أخرَجَ ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ منصوباً على

---

(١) في نسخة زيادة: ﷺ رواية عن رسول‌الله حين سُئل عنه أيّ الصدقة أفضل؟ فقال ﷺ.

(٢) مستدرك الحاكم: ج ٢ ص ٢٧٢، والكشّاف: ج ١ ص ٢١٨، وفي تفسير البغوي: ج ١ ص ١٤٣ بسنده عن أبي هريرة عنه ﷺ.

(٣ و ٤) حكاه الشيخ في التبيان: ج ١ ص ٩٦.

(٥) قاله ابن عباس. راجع تفسيره: ص ٢٤، وعنه في تفسير ابن كثير: ج ١ ص ١٩٧، ونسبه الجصّاص في أحكام القرآن: ج ١ ص ١٣٢، والشيخ في التبيان: ج ١ ص ٩٦ الى قتادة.

(٦) قاله الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٢١٩، والطبري في تفسيره: ج ٢ ص ١٠٢.

(٧) نقله الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٢١٩ مرفوعاً عن النبي ﷺ، وأخرجه أحمد وأبو داود وابن أبي حاتم عن الحسين بن علي عليهما السلام عنه ﷺ كما في الدر المنثور: ج ١ ص ٤١٥.

(٨) نسبه الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٢٢٧ الى الشافعي.

(٩) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٢٢٠، وابن كثير في تفسيره: ج ١ ص ١٩٨.

الاختصاص والمدح إظهاراً لفضل الصبرِ في الشدائدِ ومواطن القتال على سائرِ الأعمالِ، و ﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾ الفقر والشّدة ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرض والزّمانة ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ أَي: وقت القتال وجهادِ الكفّار ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ أي: كانوا صادقينَ جادّين في الدينِ ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ﴾ الّذين اتّقوا النارَ بفعل هذه الخصال.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧٩)

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ أَي: فُرِضَ وأُوجِبَ ﴿ٱلْقِصَاصُ﴾ المساواة في القتلىٰ، وهو أن يُفعل بالقاتل مثل ما فعله بالمقتول ﴿ٱلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾.

وعن الصادق عليه السلام قال: «لا يُقْتَلُ حُرٌّ بعبدٍ ولكن يُضْرَبُ ضرباً شديداً ويُغَرَّمُ دِيةَ العبدِ، ولا يُقْتَلُ الرجلُ بالمرأةِ إلّا إذا أُدِّيَ إلى أَهلهِ نصفُ ديته».(١)

﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ معناه: فمن عفي له من جهة أَخيه شَيءٌ من العفو كما يقال: سيرَ بزيدٍ بعضُ السير، وَلا يَصِحُّ أَن يكونَ ﴿شَىْءٌ﴾ في معنى المفعول به؛ لأَنَّ ﴿عُفِىَ﴾ لا يتعدّى إلى مفعول به إلّا بواسطةٍ، و «أَخوه» هو وليُّ المقتولِ، وذُكِرَ بلفظ الأُخوّة لِيُعَطِّفَ أَحدُهما علىٰ صاحبه بذكر ماهو ثابتٌ بينهما من أُخوّةِ الإسلامِ، ويقالُ: عَفَوْتُ له ذنبه وعَفَوْتُ لِفلانٍ عمّا جنى فيُعَدّىٰ إلى

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٧٥ ح ١٥٨، وعنه البرهان: ج ١ ص ١٧٦ ح ٦.

المُذْنِبِ بِاللام، ويُعَدَّى إلى الجاني وإلى الذنبِ بـ«عَنْ» فيقال: عَفَوْتُ عن فلانٍ وعن ذنبه، وإنَّما قيل: شيءٌ من العفو للإشعارِ بأنَّه إذا عُفِيَ له طرفٌ من العفو وبعضٌ منه بأن يُعْفَىٰ عن بعض الدم أو عَفَىٰ عنه بعضُ الوَرَثةِ تمَّ العفوُ وسقط القصاصُ ولم يجب إلّا الدية ﴿فَاتِّبَاعُۢ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: فليكن اتّباعٌ أو فالأمر اتّباعٌ، وهذه توصيةٌ لِلعافي والمعفوِّ عنه جميعاً، أي: فَلْيَتَّبِعِ الوليُّ القاتلَ بِالمعروفِ بأن لا يعنُفَ به ولا يُطالبَه إلّا مطالبة جميلة ولْيُؤَدِّ إليه القاتلُ بدلَ الدَّم أداءً ﴿بِإِحْسَـٰنٍ﴾ بأن لا يَمْطُلَه ولا يَبْخَسَه ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم المذكور من: القصاص أو العفو أو الدية ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ لأنَّ أهلَ التوراةِ كُتِبَ عليهم القصاصُ أو العفوُ وحُرِّمَ عليهم أخذُ الديةِ، وعلى أهل الإنجيل العفوُ أو الديةُ وحُرِّمَ القصاصُ ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بأن قَتَلَ بعدَ قبولِ الديةِ أو العفوِ أو تجاوزَ ما شُرِعَ له من قتل غير القاتل ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: نوعٌ من العذاب شديدُ الألَمِ في الآخرةِ ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ فيه فَصاحةٌ عجيبة، وذلك أنَّ القصاصَ قتلٌ وتَفويتٌ للحياةِ وقد جُعِلَ ظرفاً ومكاناً للحياةِ، وفي تعريف القصاص وتنكير الحياةِ معنى: أنَّ لكم في هذا الجنس من الحكم الَّذي هو القصاص حياةً عظيمةً، وذلك أنَّهم كانوا يَقْتُلونَ بالواحدِ الجماعةَ ويقتلونَ بالمقتولِ غيرَ قاتِلهِ فَتَقَعُ الفتنة، فكانت في القصاص حياةٌ أيُّ حياةٍ أو نوع من الحياة، وهي الحياةُ الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل فَيَسْلَمُ صاحبُه من القتل وسَلِمَ هو من القَوَدِ، فكأنَّ القصاصَ سببُ حياةِ نفسَيْنِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ القتلَ خوفاً من القصاصِ، أو لَعَلَّكُمْ تعملون عملَ أهل التقْوَىٰ.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (١٨٠)

﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ فاعلُ ﴿كُتِبَ﴾ وذُكِّرَ للفاصل، ولأنَّها بمعنىٰ: أَن يوصِيَ ولذلك ذُكِّرَ الراجعُ في قوله: ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَاسَمِعَهُ﴾، ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ إذا دنا منه وظَهرتْ أَماراتُه ﴿إِن تَرَكَ خَيْراً﴾ أَي: مالاً ﴿لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ أَي: لوالديه وأَقربائِه ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أَي: بالشيءِ الَّذي يعرف العقلاءُ أَنَّه لا جورَ فيه ولا حيفَ ﴿حَقّاً﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ، أَي: حقَّ ذلك حقّاً ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ علىٰ من آثرَ التقوىٰ.

قالوا: إِنَّ هذه الآية منسوخةٌ[1] بقولهعليه السلام: «لا وصيَّةَ لوارثٍ»[2]، ولم يُجَوِّزْ أَصحابُنا نسخَ القرآنِ بخبرِ الواحد[3]، وقالوا: إِنَّ الوصيَّةَ لذي القرابة مِنْ أَوكدِ السُنن، وَرَوَوْا عن الباقرعليه السلام: أَنَّه سُئِلَ هل تجوز الوصيَّة للوارث؟ فقال: «نَعَمْ» وَتَلا هذه الآية[4].

﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَاسَمِعَهُ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٨٢)

﴿فَمَن بَدَّلَهُ﴾ أَي: فمَنْ غَيَّرَ الإِيصاءَ عَن وجهه من الأَوصياء أَو الشهود ﴿بَعْدَ مَاسَمِعَهُ﴾ وتحقَّقه ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ أَي: فما إِثم الإِيصاءِ المغيَّر أَو إِثم التبديل إِلّا علىٰ مُبَدِّليه دونَ غيرِهم من الموصِي والموصىٰ له لأَنَّهما بَريّانِ من الجَنَفِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وعيدٌ لِلْمُبَدِّل ﴿فَمَنْ خَافَ﴾ أَي: فمن توقَّع

(١) انظر الناسخ والمنسوخ للقاضي أبي بكر ابن العربي: ج ٢ ص ١٧ ـ ١٨.
(٢) المصنّف لعبدالرزاق: ج ٤ ص ١٤٨ ـ ١٤٩ ح ٧٢٧٧، سنن الترمذي: ج ٤ ص ٤٣٣ ح ٢١٢٠ و ٢١٢١، سنن البيهقي: ج ٦ ص ٢٤٤ و ٢٦٤ و ٣٦٣.
(٣) أنظر التبيان: ج ٢ ص ١٠٧ ـ ١٠٨.
(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٧٦ ح ١٦٤، وعنه البرهان: ج ١ ص ١٧٧ ح ٥.

وعلم، وقد شاع في كلامهم «أَخاف أَن يقع» يريدون التوقُّعَ والظنَّ الغالبَ الجاريَ مجرَى العلمِ ﴿مِن مُّوصٍ جَنَفاً﴾ أَي: ميلاً عن الحقِّ بالخطاءِ في الوصيَّة ﴿أَوْ إِثْماً﴾ أَو تَعَمُّداً لِلْجَنَفِ ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ أَي: بين الورثة والموصَىٰ لهم ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ لأَنَّ تبديلَه تبديلُ باطلٍ إِلىٰ حقٍّ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّاماً مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٨٤)

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ أَي: فُرِضَ عليكم ﴿ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأَنبياء وأُممِهم من لَدُنْ عهد آدمعليه السلام إِلىٰ عهدكم، ورُوِيَ عن أميرالمؤمنينعليه السلام أَنّه قال: «أَوَّلُهم آدم»[١]، يعني: أَنَّ الصوم عبادةٌ قديمةٌ ماأَخْلَىٰ الله تعالى أُمّةً من إِيجابها عليهم، لم يوجِبْها عليكم وحدَكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بالمحافظَة عليها وتعظيمِها، أَو لعلَّكم تتَّقون المعاصيَ؛ لأَنَّ الصائم أردع لنفسه عن مواقَعَة السوء ﴿أَيَّاماً مَّعْدُودَٰتٍ﴾ موقّتاتٍ بعدد معلوم، أَو قلائلَ كقوله: ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾[٢] وأَصله: أَنَّ المال القليل يقدَّر بالعدد والكثير يُحْثَىٰ حَثْياً، والمعنىٰ يقتضي أَن يكون ﴿أَيَّاماً﴾ منصوباً بـ﴿ٱلصِّيَامُ﴾ كَما تقول: نويت الخروجَ يوم الجمعةِ، إِلّا أَنَّ الصيغة تأباه للفصل بينه وبينَ ﴿أَيَّامٍ﴾ بقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ﴾، فينبغي أَن يكون انتصابُه بفعل مضمر نحو: «صوموا أَيّاماً» لدَلالةِ قوله تعالى:

---

(١) حكاه عنهعليه السلام الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٢٢٥.

(٢) يوسف: ٢٠.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ عليه ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أو راكبَ سفر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ أي: فعليه عِدَّةٌ ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

وفيه دَلالة علىٰ أَنَّ المسافر والمريضَ مكتوبٌ عليهما الإِفطار وأَن يَصوما أَيّاماً أُخَرَ، وفي الحديث: «الصائمُ في السفرِ كَالمُفْطِرِ في الحَضَرِ»[١].

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ وعلى المطيقين لِلصيامِ الَّذين لا عذرَ لهم إِن أَفطروا ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ نصف صاعٍ، وعن الباقرعليه السلام: «طعام مساكين»[٢]، وكان ذلك في بَدْءِ الإِسلام فُرِضَ عليهم الصومُ ولم يَتعوَّدوا فاشتدَّ عليهم فَرُخِّصَ لهم في الإِفطار والفدية ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً﴾ فزاد على[٣] مقدار الفدية ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ فالتطَوُّعُ أَخَيرُ له، وقُرِئَ: «وَمَنْ يطَّوَّعْ»[٤] بمعنى: يَتَطَوَّعْ ﴿وَأَن تَصُومُواْ﴾ أَيُّها المطيقون ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الفدية وتطوّع الخير، ثمَّ نُسِخَ ذلك بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[٥].

ورَوَىٰ أَصحابُنا عن أَبي عبدالله عليه السلام: أَنَّ معناه: وعَلَى الَّذين كانوا يطيقون الصوم ثمَّ أَصابَهم كِبَرٌ أَو عِطاشٌ أَو شبهُ ذلك فديةٌ لِكلِّ يومٍ مدٌّ من الطعامِ[٦]،

---

(١) سنن ابن ماجة: ج ١ ص ٥٣٢ ح ١٦٦٦، سنن البيهقي: ج ٤ ص ٢٤٤، الترغيب والترهيب للمنذري: ج ٢ ص ١٣٤.

(٢) حكاه عنه عليه السلام المصنّف في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٢٧٢، وقد نسب هذه القراءة ابن غلبون في التذكرة: ج ٢ ص ٣٢٩ الى نافع وابن ذكوان.

(٣) في نسخة: في.

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي وعيسى بن عمر ويحيىٰ بن وثّاب والأعمش. راجع التيسير في القراءات للداني: ص ٧٧، والحجة في القراءات لابن خالويه: ص ٩٠، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٢٦٩، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٣٨.

(٥) انظر الناسخ والمنسوخ لقتادة: ص ٤٠، والناسخ والمنسوخ للزهري: ص ١٦، والناسخ والمنسوخ لابن البارزي: ص ٢٥، والناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لابن حزم: ص ٢٦.

(٦) الكافي: ج ٤ ص ١١٦ ح ٥.

وعلىٰ هذا فلا نسخ.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٨٥)

الرمضان مصدر رَمِضَ: إذا احْتَرَقَ، من الرمضاءِ، فأُضيفَ إليه الشهرُ وجعل عَلَماً، ومنعُ الصرفِ للتعريفِ والألفِ والنون، وهو مبتدأٌ خبره ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أَو بدل من ﴿ٱلصِّيَامُ﴾ في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ أَو خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أَي: هذه الأَيّامُ المعدوداتُ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾، ومعنىٰ ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ ابتُدِئَ فيه إنزالُه وكان ذلك في ليلة القدر، وقيل: أُنزل جملةً إلى السماء الدنيا ثمَّ نُزِّلَ إلى الأَرضِ نُجُوماً[١]، وقيل: أُنْزِلَ في شأْنِهِ القرآنُ وهو قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[٢]، ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ﴾ نصب على الحال، أَي: أُنْزِلَ وهو هادٍ للناس إلى الحقّ، وهو آياتٌ واضحاتٌ ممّا يَهدي إلى الحقِّ ويُفرِّقُ بينَ الحقِّ والباطل، ذَكَرَ أَوَّلاً أَنَّه هدىً ثمَّ ذَكَرَ أَنَّه بيِّناتٌ من جملة ماهدى اللهُ به وفرَّقَ به بينَ الحقِّ والباطل من الكتب السماوية.

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ أَي: فمن كان حاضراً مقيماً غيرَ مسافرٍ في الشهر فليصم فيه ولايُفْطِرْ، والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾، ولا يكون مفعولاً به؛ لأَنَّ المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر

---

(١) حكاه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٢ ص ١٢١ عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن، ثم قال: وهو المروي عن أبي عبدالله عليه السلام.

(٢) قاله مجاهد. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٢٤٠.

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ حدّ المرض الّذي يوجب الإفطار[١]: مايُخافُ بالصوم الزيادةُ المفرطة فيه، وحدُّ السفر الّذي يوجب الإفطار: ثمانية فراسخ ﴿يُرِيدُ ٱللهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ أَي: يريد أَن يُيَسِّرَ عليكم ولا يعسِّرَ وقد نفىٰ عنكم الحرجَ في الدين وأَمَرَكم بالحنيفية السمحة الّتي لا إِصْرَ فيها، ومن جملة ذلك: ما أَمَرَكم بالإفطار في السفر والمرض ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ الفعل المعلَّل محذوف ويدلُّ عليه ماسَبَقَ، والتقديرُ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ شَرَعَ ذلكَ لكم، ويجوز أَن يكون ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟﴾ معطوفاً علىٰ علّة مقدَّرة، كأَنّه قيل: يريد اللهُ لِيُسَهِّلَ عليكم ولتكملوا العدَّةَ. والمراد بالتكبير عندنا: التكبير عقيبَ أَربعِ صلواتٍ المغربِ والعِشاءِ ليلةِ الفطر والغداةِ وصلاةِ العيد.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦)

﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ تمثيل لِحالِه في سرعة إجابته لِمَنْ دعاه بحال مَن قَرُبَ مكانُه، ونحوه قوله تعالىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[٢]، ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ إذا دَعَوْتُهم للإيمان والطاعة كما أَنّي أُجيبهم إذا دَعَوْني لِحوائِجهم ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾ رُوِيَ عن الصادقعليه‌السلام: أَنَّ معناه: وليتحقَّقوا أَنّي قادر علىٰ إعطائِهم ماسأَلوه[٣]، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أَي: لَعَلَّهم يُصيبونَ الحقَّ ويهتدون إِليه.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ

(١) في نسخة زيادة: في الدين. (٢) ق: ١٦.
(٣) أوردها الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ١٣١.

فَالْـئَـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَاكَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَـتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ تِلْكَ حُـدُودُ ٱللَّهِ فَـلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١٨٧)

﴿ٱلرَّفَثُ﴾ أصله: القول الفاحش، فكُنيَ به عن الجِماع، وعُـدِّي بـ﴿إِلَـىٰ﴾ لتضمُّنِه معنى الإفضاء ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ استئناف كالبيان لسبب الإحلال، وهو أنَّه إذا كانت بينكم وبينهنَّ المخالَطَةُ والمعانَقَةُ قلَّ صبرُكم عـنهنَّ فلذلك رُخِّصَ لكم في مباشرتهنَّ، والاختيان: مـن الخـيانة كـالاكـتساب مـن الكسب، أي: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ﴾ تَنْتَقِصونَ أنفسكم حظَّها من الخـير ﴿فَـتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ فرَخَّصَ لكم وَأزال التشديد عنكم.

قال الصادق عليه السلام: «كان الأكل محرَّماً في شهر رمضان بالليل بعد النوم، وكان النكاحُ حراماً بالليل والنهار، وكان رجلٌ من أَصحاب رسـول‌الله صلى الله عليه وآله يـقالُ له: مطعم بن جبير نام قبل أن يُفطِرَ وَحَضَرَ حفر الخندقِ فأُغمِيَ عليه، وكان قومٌ من الشبّانِ يَنْكِحُونَ بالليل سرّاً في شهر رمضان، فنزلت الآية، فأُحِلَّ النكاحُ بـالليلِ والأَكلُ بعدَ النوم، فذلك قوله: ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾»(١).

﴿وَٱبْتَغُواْ مَاكَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ من الولد بالمباشرة، أَي: لا تُباشِرُوا لقضاءِ الشهوةِ وحدَها ولكن لابتغاءِ ماوَضَعَ اللهُ النكاحَ له من التناسل، وقيل: وابتغوا ماكتب الله لكمْ من الإباحة بعد الحظر(٢). ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ﴾ وهو أَوَّلُ مايَبْدُو من الفجر المعترِض في الأُفق كالخيط الممدود ﴿مِـنَ ٱلْـخَيْطِ

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ٦٦، وعنه البرهان: ج ١ ص ١٨٦ ح ٧.
(٢) قاله قتادة وابن زيد. راجع الكشّاف: ج ١ ص ٢٣١، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٥٠.

﴿ٱلْأَسْوَدِ﴾ وهو ما يَمْتَدُّ معه مِن ظلمة الليل شُبِّها بخَيْطَيْنِ، وقوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ بيان للخيط الأبيض واكتفى به عن بيان الخيط الأسود ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ﴾ أي: معتكِفون في المساجد، والاعتكاف: أَن يَحْبِسَ نفسَه في المسجد للعبادة ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام الَّتي ذُكِرَتْ ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أَي: حُرُماتُ اللهِ ومَناهيه ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ فلا تأتُوها.

وفي الحديث: «إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمىً، وإِنَّ حمى اللهِ محارِمُه، فمَنْ رَتَعَ حولَ الْحِمَى يوشِكُ أَن يَقَعَ فيه»[1] والرتع حولَ الْحِمَىٰ والقرب منه واحد.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك البيان ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾ حُجَجَه ودلائلَه ﴿لِلنَّاسِ﴾ علىٰ ما أَمَرَهُمْ به ونهاهم عنه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ معاصيَه ومناهيَه.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٨٨)

أَي: لا يأْكلْ بعضُكم مالَ بعضٍ ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بالوجه الَّذي لا يَحِلُّ ولم يُشَرِّعْهُ اللهُ. ﴿وَتُدْلُوا۟﴾ أي: ولا تُدْلُوا ﴿بِهَآ﴾ أَي: ولاتُلْقوا أَمرها والحكومَةَ فيها ﴿إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟﴾ بالتَّحاكُمِ ﴿فَرِيقاً﴾ طائفةً ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ بشهادة الزور أَو باليمين الكاذبة أَو بالصلح مع العلم بأَنَّ المقضيَّ له ظالم، وقيل: وتدلوا وتلقوا بعضَها إلى حُكّام السوءِ على وجه الرشوة[2]. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّكم على الباطل، وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أَقبح.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج ٤ ص ٢٧١، سنن البيهقي: ج ٥ ص ٢٦٤ و ٣٣٤، مشكل الآثار للطحاوي: ج ١ ص ٣٢٣، إتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج ٦ ص ٣٢ و ٤٧٢.

(٢) قاله الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٢٣٣، واختاره ابن عطية على ماحكاه عنه أبو حيان في بحره: ج ٢ ص ٥٦ وقال: وهو حسن.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٨٩)

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ﴾ أحوال ﴿ٱلْأَهِلَّةِ﴾ في زيادتها ونقصانها، ووجه الحكمة في ذلك ﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ أي: معالم يُوقِّتُ بها الناسُ مزارعَهم ومتاجرَهم ومحالَّ ديونِهم وصومَهم وفطرَهم وعِدَدَ نسائِهم وغير ذلك، ومعالمُ لِلْحَجِّ يُعْرَفُ بها وقتُه ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ كانوا إذا أَحرموا لَمْ يَدْخُلُوا بيوتَهم من أَبوابِها ونقَبوا في ظهور بيوتهم نَقْباً منه يَدْخُلون ويَخْرُجونَ، فقيل لهم: ليس البرّ بتحرّجكم من دخولِ الباب ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ بِرُّ ﴿مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ ماحَرَّمَ اللهُ ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ وقيل: معناه باشروا الأُمور من وجوهها الَّتي يجب أَن يباشَرَ عليها أَيَّ الأُمور كان[1].

﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (١٩٠)

قيل: إِنَّها أَوَّلُ آية نزلت في القتال بالمدينة[2]، والمقاتلة ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هو الجهاد لإِعزاز دين اللهِ وإِعلاءِ كلمته ﴿ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾ يناجِزونكم القتال دون المُحاجِزين، وعلىٰ هذا فيكون منسوخاً بقوله: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾[3] [4].

(١) قاله الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٢٣٥.

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٢٥١ ونسبه الى الربيع وابن زيد.

(٣) التوبة: ٣٦.

(٤) أُنظر الناسخ والمنسوخ للزهري: ص ١٧، والناسخ والمنسوخ لابن البارزي: ص ٢٦، والناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم للقاضي أبي بكر ابن العربي: ج ٢ ص ٥٧ ـ ٥٨.

ويجوز أَن يريد الَّذينَ يناصِبُونكم القتالَ دونَ الصبيان والنساءِ، أَو يُريدُ الكفرةَ كلَّهم لأَنَّهم جميعاً يقصدون مقاتَلَةَ أَهلِ الإِسلام فهم في حكم المقاتِلةِ فلا يكون حكم الآية منسوخاً ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ بقتال من نُهيتُم عن قتالِه أَو بِالْمُثْلَةِ أَو بالمفاجأَة من غير دعوةٍ.

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ (١٩١) فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٩٢)

﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أَي: أَخرجوهم من مكَّةَ كما أَخرجوكم منها، وقد فعل ذلك رسولالله صلى الله عليه وآله يومَ الفتح بِمَنْ لم يُسْلِمْ منهم ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أَي: المحنةُ والبلاءُ الَّذي يَنزِلُ بالإنسان يتعذَّبُ به أَشدُّ عليه من القتل، جُعِلَ الإِخراجُ من الوطنِ من المِحَنِ الَّتي يُتَمَنّىٰ عندها الموتُ، وقيل: الفتنة عذابُ الآخرةِ كما قال: ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾ (١) (٢)، وقيل: الشركُ أَعظم من القتل في الحرم، وذلك أَنَّهم كانوا يستعظِمون القتلَ في الحرمِ ويعيبون المسلمينَ به (٣)، وقُرِئَ: «وَلا تَقْتُلُوهُمْ ... حَتَّى يَقْتُلوكُمْ فيهِ ...فإنْ قَتَلُوكُمْ» (٤)، جُعِلَ وقوعُ القتلِ في بعضهم كوقوعه فيهم،

---

(١) الذاريات: ١٤.

(٢) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٢٣٦، وأبو حيان في البحر المحيط: ج ٢ ص ٦٦.

(٣) قاله الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٢٣٦.

(٤) قرأه حمزة والكسائي والأعمش. راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٧٩، والتبيان: ج ٢ ص ١٤٥، والتيسير في القراءات للداني: ص ٨٠، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٢٨٥، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٦٧، و تفسير البغوي: ج ١ ص ١٦٢.

قال: فإن تَقْتُلونا نَقْتُلْكم، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾ من الشرك والقتل كقوله: ﴿إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّاقَدْ سَلَفَ﴾ (١).

﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَـإِنِ ٱنـتَهَوْاْ فَـلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (١٩٣)

﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ خالصاً ليسَ للشيطان فيه نصيبٌ ﴿فَإِنِ انتَهَوْاْ﴾ عن الشرك ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: فـلا تَعْتَدُوا على المُنْتهينَ؛ لأَنَّ مقاتلة المُنْتَهينَ عدوانٌ وظلم، فَوُضِعَ قوله: ﴿إِلَّا عَـلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ موضعَ «على المنتهين».

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِالشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْـتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَاٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (١٩٤)

قاتَلَهم المشركون عامَ الْحُدَيْبية في الشهر الحرام وهو ذوالقِعدة، فقيل لهم عند خروجهم لقضاء العمرة وكراهتِهم القتالَ وذلك في ذي القِعدة ﴿ٱلشَّـهْرُ ٱلْـحَرَامُ بِالشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: هذا الشهرُ بذلك الشهرِ وهتكُه بهتكِهِ، يعني: تَهتِكونَ حرمتَه عليهم كما هتكوا حرمَته عليكم ﴿وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ﴾ أي: كلُّ حرمة يجري فيها القصاصُ، فمن هتك حرمةً اقْتُصَّ منه بأَن يُهْتَكَ له حرمةٌ، فحين هـتكوا حـرمَةَ شهرِكم فَافْعَلوا بهم مثلَ ذلك ولا تُبالوا، ثمَّ أَكَّدَ ذلك بقوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ إِلى آخِرِه، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في حال كونكم منتصِرينَ، فمن اعـتدىٰ عـليكم فـلا تعتدوا، أَي: لا تُجاوزوا إِلى مالا يَحِلُّ لكم.

---

(١) الأنفال: ٣٨.

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥)

﴿وَأَنفِقُواْ﴾ من أموالكم في الجهاد وأبوابِ البرّ ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ أي: الهلاك، والباء مزيدة كما يقال للمنقاد: أَعطىٰ بيده، بزيادة الباءِ، والمعنىٰ: ولا تُقبِّضُوا التهلكةَ أيديَكم[١] أَي: لا تجعلوها آخذةً بأيديكم مالكةً لكم، وقيل: معناه ولا تُلقُوا أَنفُسَكُمْ إِلى التهلكةِ بأيديكم بأَن تَترُكوا الإنفاقَ في سبيلِ اللهِ فَيَغلِبَ عليكم العدوُّ كما يقال: فلان أَهْلَكَ نفسَه بيده[٢]، وقيل: هو نهيٌ عن الإسراف في النفَقَةِ[٣] ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾ أمرٌ بالاقتصاد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: المقتصِدينَ.

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (١٩٦)

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ﴾ أَي: ايتوا بالحجّ والعمرة تامَّيْنِ كاملَيْنِ بشرائِطِهما وأَركانِهما ومناسكِهما ﴿لِلَّهِ﴾ أَي: لوجه اللهِ خالصاً وأَقيموهما إِلىٰ آخِرِ مافيهما،

---

(١) في نسخة: بأيديكم.

(٢) قاله ابن عباس ومقاتل. راجع تفسير السمرقندي: ج ١ ص ١٩٠.

(٣) قاله الجبائي كما حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ١٥٢، والمصنّف في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٢٨٩.

وظاهر الأَمر يَقْتَضِي الوجوبَ فدلَّ الأَمر بإتمامهما علىٰ أَنَّ العمرة واجبة مثل الحجِّ[١] ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ أَي: منعكم خوفٌ أَو عدوٌّ أَو مرضٌ عن المضيِّ إِليه وأَنتم محرِمون بحجٍّ أَو عمرةٍ فَامْتَنَعْتُمْ لِذلك ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ أَي: ما تَيَسَّرَ من الهديِ، يقال: يَسُرَ الأَمْرُ وَ اسْتَيْسَرَ، وصَعُبَ و اسْتَصْعَبَ ضدُّه، و﴿الْهَدْيِ﴾: مايُهْدىٰ إِلى الحرم جمعُ هَدْيةٍ، أَي: فعليكم إِذا أَرَدْتُمُ التحلُّلَ من الإِحرام ماتَيَسَّرَ من الهدي من بعيرٍ أَو بقرةٍ أَو شاةٍ، أَو فاهدوا ماتَيَسَّرَ ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾ الخطابُ لِلْمُحْصَرينَ، أَي: لا تُحِلُّوا ﴿حَتَّىٰ﴾ تعلموا أَنَّ ﴿الْهَدْيُ﴾ الَّذي بعثتموه قد بلغ ﴿مَحِلَّهُ﴾ أَي: مكانه الَّذي يجب نَحْرُه فيه أَو ذَبْحُه، ومَحِلُّهُ مِنىً يومَ النحر إِن كان الإِحرامُ بالحجِّ، ومكَّةُ إِن كان الإِحرامُ بالعمرةِ، هذا إِذا كان مُحصَراً بالمرضِ، فأَمّا إِن كان مُحصَراً بالعدوِّ وهو المصدودُ فمحلُّه الموضعُ الَّذي يُصَدّ فيه، لأَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَحَرَ هديَه بالْحُدَيْبِيَة[٢].

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ يحتاج فيه إِلى الحلقِ للمداواة، أَو تأَذّى بهوامِّ رأسه فَحَلَقَ لذلك العذر ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ أَي: فعليه فدية، أَي: بدل وجزاء يقوم مقامَه ﴿مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ ورُوِيَ عن أَئِمَّتناعليهم السلام: «أَنَّ الصيامَ ثلاثةُ أَيّامٍ، والصدَقَةَ على ستّةِ مساكينَ ـ ورُوِيَ: عَشَرةَ[٣] ـ والنسكَ شاةٌ، وهو مُخَيَّرٌ فيها[٤]، ورَوَوْا ذلك أَيضاً عن

---

(١) وبه قال الحسن وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وعطاء وسعيد بن جبير وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء والشافعي. راجع التبيان: ج ٢ ص ١٥٥.

(٢) أنظر المحلّى لابن حزم: ج ٧ ص ٢٠٦.

(٣) كما في تهذيب الأحكام للطوسي: ج ٥ ص ٣٣٣ ح ٦١، والاستبصار: ج ٢ ص ١٩٥ ح ٢.

(٤) الكافي: ج ٤ ص ٣٥٨ ح ٢، تهذيب الأحكام للطوسي: ج ٥ ص ٣٣٣ ح ٦٠، الاستبصار: ج ٢ ص ١٩٥ ح ١، التبيان: ج ٢ ص ١٥٨، وأورده المصنّف في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٢٩١. والنسك بالضمّ وبضمتين: الذبيحة. (القاموس المحيط: مادة نسك).

النبيّ صلى الله عليه وآله(١). والنُّسُكُ مصدرٌ، وقيل: هو جمعُ نَسيكةٍ أي: ذبيحةٍ(٢).

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ الإحصارَ يعني: فإذا لم تُحصَروا وكنتم في حال أَمنٍ وسَعَةٍ ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ وتَمَتُّعُه بالعمرة إلىٰ وقتِ الحجِّ هو أنّه إذا أَحَلَّ من عمرتهِ انتفع باستباحة ماكان محرَّماً عليه إلىٰ أن يُحرِمَ بالحج ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ هو هدي الْمُتْعَةِ، وهو واجبٌ بالإجماع علىٰ خلاف في أنّه نُسُكٌ أَو جبران: فعندنا(٣) وعند أبي حنيفةَ(٤) (٥) أنّه نُسُكٌ يأكُلُ منه، وعند

---

(١) رواه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٢٤١ عن كعب بن عجرة، والصدوق في الفقيه: ج ٢ ص ٣٥٨ ح ٢٦٩٧ مرسلاً.

(٢) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٢٦٨، والبغوي في تفسيره: ج ١ ص ١٧٠.

(٣) راجع الخلاف للشيخ الطوسي: ج ٢ ص ٤٤٦ ـ ٤٤٧.

(٤) هو النعمان بن ثابت بن زُوطَى، التيمي بالولاء الكوفي، ولد حوالي سنة ٨٠ هـ بالكوفة، وكان جدّه زوطىٰ قد جُلِبَ من فارس الى الكوفة عبداً واعتقه سيده وكان من قبيلة تيم الله، وقيل: إن جدّه زُوطَىٰ من أهل كابل، وقيل: من الأنبار. إمام الحنفية، الفقيه المجتهد، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنّة، كان يبيع الخزّ ويطلب العلم في صباه ثم انقطع للتدريس والافتاء، أخذ الفقه عن حمّاد بن أبي سليمان، ويروىٰ عنه انّه تولّى حلقة الدرس أثناء سفر شيخه حمّاد الى البصرة، وبعد عودة حمّاد من سفره أعلن خطأ عشرين إجابة من إجابات أبي حنيفة الستين على أسئلةٍ وجِّهت اليه. وسمع عطاء بن أبي رباح وأبا اسحاق السبيعي ومحارب بن دثار ونافعاً مولى ابن عمر. روى عنه عبدالله بن المبارك ووكيع وأبو يوسف والشيباني وزفر وغيرهم. حضر مجلس درس الصادق عليه السلام لمدة عامين حتى تواتر عنه قوله: لولا السنتان لهلك النعمان، وقوله: جعفر بن محمّد أفقه من رأيت، حتّى عدّه الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام، وله قياسات عجيبة ذكرها العلماء في كتبهم كالجصّاص والذهبي وغيرهما، ويقال: إنّه كان يميل في آرائه العقيدية الى المرجئة. (تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ١٠ ص ٤٤٩ ـ ٤٥١، ووفيات الأعيان: ج ٥ ص ٣٩ ـ ٤٧، وميزان الاعتدال: ج ٤ ص ٢٦٥، والاعلام للزركلي: ج ٨ ص ٣٦، وراجع رجال الطوسي: ص ٣٢٥ ت ٢٣، ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج ١٩ ص ١٦٣ ـ ١٦٥).

(٥) أنظر اللباب: ج ١ ص ٢١٧، وأحكام القرآن لابن العربي: ج ٣ ص ١٢٧٨، وبداية المجتهد: ج ١ ص ٣٦٧، والبحر الزخّار: ج ٣ ص ٣٩٤.

الشافعي [(١)] [(٢)] هو جبرانٌ جارٍ مَجرى الجِناياتِ ولايَأكُلُ منه ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهديَ ﴿فَـ﴾ عليه ﴿صِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ﴾ أي: في وقته، والأَفضل أن يَصومَ يوماً قبلَ الترويةِ والترويةَ وعرفة ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إِلىٰ أَهاليكم ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ توكيد فيه وزيادة توصية بصيامها وإتمامها ﴿ذَ ٰلِكَ﴾ إشارة إلى التمتُّعِ ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وحاضروا المسجد الحرام من كان بينهم وبينه اثنا عشر ميلاً فما دونَها من كلِّ جانبٍ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في المحافَظَةِ علىٰ أَوامره ونواهيه ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن خالَفَ أَمرَه وتعدّىٰ حدودَه.

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَاتَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (١٩٧)

أَي: وقت ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ﴾ كقولك: الْبَرْدُ شَهْرانِ، والأَشهر المعلومات: شوّال وذو القِعدة وعشر ذي الحِجَّة، وفائدة كونها أَشهر الحجِّ: أَنَّ الإحرام بالحجِّ أَو بالعمرة الَّتي يتمتَّع بها إلى الحجِّ لا يصحُّ إلّا فيها ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ أَي: أَحرم فيهنَّ بالحجِّ ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ أَي: فلا جماع ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾

---

(١) محمّد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المطلبي الشافعي الحجازي المكّي؛ أبو عبدالله، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنّة وإليه تنسب الشافعية، ولد بغزّة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ، وحمل الىٰ مكّة وهو ابن سنتين فنشأ بها وبمدينة الرسول صلّى الله عليه وآله، وقدم بغداد مرتين وحدّث بها، وخرج الىٰ مصر فنزلها إلىٰ حين وفاته، ودفن بها آخر يوم من رجب سنة ٢٠٤ هـ من تصانيفه: المسند في الحديث، إثبات النبوة والردّ على البراهمة، والمبسوط في الفقه. (سير النبلاء للذهبي: ج ٧ ص ١٦٦، وفيات الأعيان لابن خلّكان: ج ٣ ص ٣٠٥ ـ ٣١٠).

(٢) أُنظر الأم: ج ٢ ص ٢١٧، ومختصر المزني: ص ٧٤، والمغني لابن قدامة: ج ٣ ص ٥٨٣.

أي: ولا كذب، وقيل: لا خروج عن حدود الشريعة[١] ﴿وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ وهو قول: «لا واللهِ» و «بلى واللهِ» عندنا، وقالوا: إنّه المِراءُ والسباب ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ هذا حثٌّ علىٰ أَفعال الخير والبِرّ ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ واتّقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقيل عليهم ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ﴾ وخافوا عقابي ﴿يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ فإنَّ قضيّةَ اللبِّ تقوى اللهِ، ومن لم يتَّقِهِ من الألبّاءِ فكأنّه لا لُبَّ له.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَاذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ (١٩٨)

كانوا يتحرَّجُونَ عن التجارة في الحجِّ ويُسَمُّون من يخرج بالتجارةِ الداجَّ[٢] فرُفِعَ عنهم الجناحُ في ذلك ﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾ في أَن تبتغوا ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أَي: إعطاءً منه وتفضُّلاً وهو النفع والربحُ في التّجارةِ ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّن عَرَفَـٰتٍ﴾ أَي: دفعتم بكثرة، وهو من إفاضة الماء وهو صبُّه بكثرةٍ، وأَصله: أَفضتم أَنفسكم، وعرفاتٌ علم للموقفِ سُمِّيَ بجمعٍ كأَذرعات، وهي من الأَسماء المرتجلة ﴿فَاذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ فيه دَلالة علىٰ أَنَّ الوقوفَ بالمشعر الحرام فريضة؛ لأَنَّ ظاهرَ الأَمر على الوجوب[٣]، وإذا أَوْجَبَ اللهُ تعالى الذكر فيه فقد أَوجب الكون فيه، والمعنىٰ: فإذا أَفضتم من عرفات فكونوا بالمشعر الحرام واذكروا الله عنده ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ «ما» مصدريّةٌ أَو كافّةٌ، أَي: اذكروه

---

(١) قاله ابن عمر وابن عباس ومجاهد وعطاء واختاره الشيخ الطوسي. راجع التبيان: ج٢ ص١٦٤.

(٢) الداجّ: المكارون والأعوان والتجّار، ومنه الحديث: «هؤلاء الداجّ وليسوا بالحاجّ» راجع (القاموس المحيط: مادة داج).

(٣) في نسخة: يقتضي الايجاب.

ذكراً حسناً كما هداكم هدايةً حسنةً، أَو اذكروه كما علّمكم كيف تذكرونه ﴿وَإِن كُنتُم مِّنْ قَبْلِهِ﴾ من قبل الهدىٰ ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أَي: الجاهلين لا تعرفون كيف تذكُرونه وتعبُدونه، و﴿إِن﴾ هي المخفَّفة من الثقيلةِ.

ورُوِيَ عن جابرٍ: أَنَّ النبيَّ عَلَيْهِ‌السَلَامُ لمَّا صلَّى الفجرَ بِالْمُزْدَلِفَةِ بِغَلَسٍ ركب ناقته حتَّىٰ أَتَى المَشْعَرَ الحرام فدعا وكَبَّرَ وهَلَّلَ، ولم يَزَلْ واقفاً حتَّى أَسْفَرَ[١].

و ﴿ٱلْمَشْعَرِ﴾: المَعْلَم؛ لأَنَّه مَعْلَمٌ للعبادةِ، ووُصِفَ بالحرام لحرمتِه، وسُمِّيتِ المُزدَلِفَةُ جَمْعاً لأَنَّ آدمعليه‌السلام اجتمع فيها مع حوّاء، وازْدَلَفَ منها أَي: دنا منها، وقيل: لأَنَّه يُجْمَعُ فيها بين الصلاتَيْنِ[٢].

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَالَهُ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (٢٠١) أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (٢٠٢)

ثمَّ لتكن إِفاضتُكم ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ ولا تكن من المُزدَلِفَةِ، وذلك لِما كان عليه الحُمْسُ[٣] من الترفّع على الناس عن أن يساووهم في الموقف، وقولهم: نحن أهلُ الله وسكّانُ حَرَمِهِ فلا نخرج منه، فيقفون بجمعٍ وسائر الناس

(١) رواها الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٢٤٦، والبغوي في تفسيره: ج ١ ص ١٧٥.

(٢) قاله قتادة. راجع الكشّاف: ج ١ ص ٢٤٦.

(٣) الحمس بضم الحاء وسكون الميم: الأمكنة الصلبة، جمع أحمس وبه لقّب قريش. (القاموس المحيط: مادة حمس).

بعرفات، وقيل: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وهم الحُمْس[١]، أي: من المزدلفة إلىٰ مِنىً بعدَ الإفاضة من عَرَفات ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾ واطلبوا المغفرة من اللهِ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ﴾ فَإذا أَدَّيْتُمْ مناسككم، وَالمنسك: إمّا موضعُ النسُكِ، أَو مصدرٌ جُمِعَ لأَنَّه يشتمل على أفعالٍ، أَي: فإذا فرغتم من أَفعال الحجّ ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ فأَكْثِرُوا ذكرَ اللهِ وَبالِغوا فيه كما تَفْعَلُونه في ذكر آبائِكم ومفاخِرهم وأَيّامِهِم، وكانوا إذا قَضَوْا مناسكَهم وقَفوا بينَ المسجدِ بِمِنىً وبينَ الْجَبَلِ فَيَعُدُّون فضائلَ آبائِهِم ويذكرون أَيَّامَهم ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً﴾ في موضع جرّ عطفاً علىٰ ما أُضيفَ إليه «الذكرُ» في قوله: ﴿كَذِكْرِكُمْ﴾ كما تقول: كذكر قريشٍ آباءَهم أَو قومٍ أَشدَّ منهم ذكراً؛ أَو في موضع نصب عطفاً على ﴿ءَابَآءَكُمْ﴾ بمعنى: أَو أَشدَّ ذكراً من آبائِكم على أَنَّ ﴿ذِكْراً﴾ من فعلِ المذكور ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ فإنَّ الناسَ من بينِ مُقِلٍّ لا يطلب بذكر الله إلّا الدنيا ومكثِرٍ يَطْلُبُ خيرَ الدَارَيْن، فكونوا من المُكثِرينَ ﴿ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ اجعل إيتاءَنا أَي: إعطاءَنا في الدنيا خاصَّةً ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ يعني: من طلب خلاق أَي: نصيب؛ لأَنَّ همَّه مقصورٌ على الدُنيا ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ الداعونَ بالحَسَنَتَيْنِ ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ من جنس ما ﴿كَسَبُواْ﴾ من الأَعمال الحَسَنَةِ وهو الثواب الَّذي هو المنافع الحَسَنَةُ، أَو من أَجل ماكَسَبُوا، أَو لهم نصيب ممّا دَعَوْا به يعطيهم منه بحسب مصالحِهم في الدنيا واستحقاقِهم في الآخرةِ، وَسَمَّى الدعاءَ كَسْباً لأَنَّه من الأَعمال والأَعمالُ موصوفةٌ بالكسبِ، ويجوز أَن يكون ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ للفريقين جميعاً ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يحاسِبُ الخلائقَ علىٰ كثرةِ عددِهم وكثرةِ أَعمالِهم لا يَشْغَلُه حسابُ

---

(١) حكاه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٢٤٧.

أَحدٍ عن حسابِ غيرِه، ورُوِيَ: أَنَّه يُحاسِبُ الخلقَ في قدرِ حلبِ شاةٍ[١]، ورُوِيَ: في مقدار فَواق ناقةٍ[٢]، ورُوِيَ: في مقدارِ لَمْحَةٍ[٣].

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢٠٣)

الأَيَّامُ المعدوداتُ: أَيَّامُ التشريق، والأَيَّامُ المعلوماتُ: عشر ذي الحِجَّة، وذكر الله فيها التكبير في أعقاب الصلوات ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ أَي: مَنْ تَعَجَّلَ في النفر أَو استعجل النفر من مِنى ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾ بعد يوم النحرِ إِذا فَرَغَ من رمي الجِمارِ ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في التعجيل ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ حتَّى رمىٰ في اليومِ الثالث ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الصيْدَ، وقيل: لمن اتَّقَى الكَبائِرَ[٤] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ باجتناب معاصيه ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم علىٰ أعمالِكم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَافِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ(٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ (٢٠٥)

ثمَّ ذكر سبحانه حال المنافقين بعدَ ذكره أَحوال المؤمنين: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾ أَي: يروقك ويَعْظُمُ في قلبك ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الجارُّ يتعلَّقُ بالقولِ، أَي: يُعْجِبُكَ مايقولُه في معنَى الدنيا لأَنَّه يَطلُبُ به حظّاً من حظوظِ الدُنيا

(١ و٢ و٣) رواها الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٢٤٩، وأبو حيان في البحر المحيط: ج ٢ ص ١٠٦. والفواق ـ بضم الفاء وفتحها ـ: مابين الحلبتين من الوقت، أو مابين فتح يدك وقبضها على الضرع. (أنظر القاموس المحيط: مادة فوق).

(٤) قاله قتادة عن ابن مسعود. راجع تفسير القرطبي: ج ٣ ص ١٤.

﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ من مَحبَّتِكَ ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ وهو شديد الجِدال والمخاصمة، وإضافةُ ﴿أَلَدُّ﴾ إلى ﴿ٱلْخِصَامِ﴾ بمعنى «في» كقولهم: ثَبْتُ الغَدَر ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ أي: مَلَكَ الأَمرَ وصار والياً فَعَلَ بظلمِه وسوءِ سريرتِه ما يَفْعَلُه ولاةُ السوء من الفساد في الأَرض بإهلاك ﴿ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ وقيل: يُظْهِر الظلمَ حتّىٰ يمنع اللهُ بشؤم ظلمه القَطْرَ فيُهْلِك الحَرْثَ والنسل[1]، وقيل: معناه وإذا تولّى عنك وأَعرَضَ بعد إلانَةِ المنطق[2] ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾ العملَ بـ ﴿ٱلْفَسَادَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ (٢٠٦)

﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ من قولك: أَخَذْتُهُ بكذا إذا حَمَلْتَهُ عليه وأَلْزَمْتَه إيّاهُ، أَي: حَمَلَتْهُ العزَّة الّتي فيه على الإثم المنهيّ عنه وأَلْزَمَتْهُ ارتكابَه.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (٢٠٧)

﴿يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ أَي: يبيعُها لـ ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ أَي: يبذلُ نفسَه حتّىٰ يُقتَلَ، وقيل: نَزَلَتْ في أَميرالمؤمنين عليه السلام حين[3] بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وهَرَبَ النبيُّ إلى الغار[4]، وقيل: نزلت في كلّ مجاهدٍ في سبيل اللهِ[5]، ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ حيثُ كَلَّفَهم الجهادَ وعَرَضَهم لثواب الشُّهداء.

---

(١) قاله مجاهد. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ١٨٠.

(٢) قاله الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٢٥١.

(٣) في نسخة: حيث.

(٤) حكاه الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ١٨٣ عن أبي جعفر عليه السلام وعمر بن شبّة.

(٥) قاله الحسن. راجع تفسيره: ج ١ ص ١٤٨، و نسبه الطبري في تفسيره: ج ٢ ص ٣٣٣ الى قتادة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨) فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٠٩)

﴿ٱلسِّلْمِ﴾ بكسر السّين وفتحها، قال أبو عبيدة[1]: السِلم ـ بالكسر ـ والإِسلام واحد، والسَلم: الاستسلام، والمعنىٰ: ادخلوا في الإِسلام والطاعة[2]، وَروىٰ أَصحابنا: أَنّه الدخولُ في الولاية[3] ﴿كَآفَّةً﴾ أَي: جميعاً لا يُخرِجُ أَحدٌ منكم يدَه عن طاعته، وهو من الكفّ كأَنّهم كفّوا أَن يَخرُجَ منهم أَحدٌ باجتماعِهم ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ عن الدخول في السلم ﴿مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ﴾ الحجج علىٰ أَنَّ مادُعيتُم إِليه حقّ ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يُعجِزُهُ الانتقامُ منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ لا ينتقم إِلّا بحقٍّ.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ

(١) هو معمر بن المثنى التيمي، تيم قريش أو تيم بني مُرَّة علىٰ خلافٍ بينهم، وهو على القولين معاً مولى لتيم، وقد اختلفوا في مولده، ولعلّ الأقرب الى الصحة أنّه ولد في سنة ١١٠ هـ، والمراجع تضعه في عداد علماء أهل البصرة فلعلّه ولد فيها، وتوفي فيما بين سنتي ٢٠٩، و٢١٣ هـ وقد عمّر. ومن أخباره أنّه بلغه أنّ الأصمعي يعيب عليه كتاب المجاز، فقال: يتكلّم في كتاب الله تعالىٰ برأيه! فسأل عن مجلس الأصمعي في أيّ يومٍ هو، فركب حماره في ذلك اليوم، ومرّ بحلقته، فنزل عن حماره وسلّم عليه، وجلس عنده وحادثه ثم قال له: أبا سعيد، ما تقول في الخبز أيّ شيء هو؟ فقال: الذي تخبزه وتأكله، فقال أبو عبيدة: قد فسّرت كتاب الله تعالىٰ برأيك، فإنّ الله تعالىٰ قال: ﴿وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا﴾ فقال الأصمعي: هذا شيء بان لي، فقلته ولم أفسّره برأيي، فقال أبو عبيدة: والذي تعيب علينا كلّه شيء بانَ لنا فقلناه، ولم نفسّره برأينا، وقام وركب حماره وانصرف. (أخبار النحويين للسيرافي: ص ٦٧، ومختار أخبار النحويين: ص ١٥٠، ووفيات الأعيان لابن خلكان: ج ٤ ص ٣١٣ ـ ٣٣١، والأغاني: ج ٥ ص ١٠٧).

(٢) مجاز القرآن: ج ١ ص ٧١ ـ ٧٢.

(٣) أنظر الكافي: ج ١ ص ٤١٧ ح ٢٩، وتفسير القمي: ج ١ ص ٧١.

وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ (٢١٠)

إتيان الله: إتيان أمره وبأسه كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾[١] ﴿جَآءَهُم بَأْسُنَآ﴾[٢]، ويجوز أن يكون المأتيُّ به محذوفاً بمعنىٰ: ﴿أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ ببأسِه للدَلالة عليه بقوله: ﴿فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ يعني: غالبٌ وقهّار ﴿فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ جمع ظُلَّة وهي ماأَظَلَّكَ ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالرفع، وقد قُرِئَ بالجر[٣] عطفاً على ﴿ظُلَلٍ﴾ أو ﴿ٱلْغَمَامِ﴾، ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ وأُتِمَّ أَمرُ إهلاكهم وفُرِغَ منه، وقُرِئَ: ﴿تُرْجَعُ﴾ و«يَرْجعُ»[٤] بالتأنيث والتذكير فيهما.

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مَاجَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (٢١١)

﴿سَلْ﴾ أمر للرسول أو لكلِّ أحدٍ ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ أَي: دَلالةٍ مُعْجزَةٍ علىٰ أَيدي أَنبيائِهم، أَو آيةٍ في التوراة شاهدةٍ علىٰ صحَّة نُبوَّة محمَّد ﷺ: فمنهم مَنْ آمَنَ ومنهم من جَحَد، ومنهم من أَقَرَّ ومنهم من بَدَّلَ ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ آياتِ اللهِ الَّتي هي أَجلُّ نعمةٍ من الله لكونها أَسبابَ الهدىٰ والنجاةِ من النار، وتبديلُهم إيَّاها: أَنَّ اللهَ سبحانه أَظْهَرَها لتكون أَسبابَ نجاتِهم فجعلوها أَسبابَ ضلالتِهم، أَو حَرَّفوا آياتِ التوراةِ الدالَّة على نعت محمَّد ﷺ، و ﴿كَمْ﴾ يحتمل معنى الاستفهام والخبر معاً ﴿مِن بَعْدِ مَاجَآءَتْهُ﴾ معناه: من بعد ماتَمَكَّنَ من

---

(١) النحل: ٣٣. (٢) الأعراف: ٥.

(٣) قرأه أبو جعفر والحسن وأبو حيوة. راجع التبيان: ج ٢ ص ١٨٨، وتفسير البغوي: ج ١ ص ١٨٤، وإعراب القرآن للنحّاس: ج ١ ص ٢٥١، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ١٢٥.

(٤) قرأه نافع وخارجة. راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٨١، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ١٢٥.

معرفتها أَو من بعد ماعَرَفَها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ له.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢١٢)

الَّذي زَيَّنَ لهم ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ هو الشيطان حَسَّنَها في أَعينِهم بِوَساوسِه فلا يُريدون غيرَها، ويجوز أَن يُجعَلَ ماخَلَقَ الله فيها من الأَشياءِ المُشْتَهياتِ ومارَكَّبَه فيهم من الشهوةِ لها تزييناً؛ لأَنَّ التكليف لا يَتِمُّ إِلّا مَعَ الشهوةِ ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لزهدهم فيها أَو من المؤمنين الّذين لاحظَّ لهم منها ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ لأَنَّهم في علّيّينَ وهم في سجّينٍ، أَو حالهم عالية لحالهم لأَنَّهم في كَراهةٍ وهم في هَوان ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تقدير فيُوَسِّعُ اللهُ علىٰ من توجبالحكمةُالتوسعةَ عليه، أَو يُعطي أَهلَالجنَّة مالا يأْتي عليه الحسابُ.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٢١٣)

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ متَّفقين على الفطرة فاختلفوا[1] ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وحُذِفَ «فَاختلفوا» لِدَلالة قوله: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾

---

(١) أُنظر تفسير الميزان: ج ٢ ص ١١٢ ـ ١٢٧ ففيه تفصيل ممتع وبحث مرتع حول الانسان وشعوره وعلومه وكونه مدنياً واجتماعياً بالطبع ثم حدوث الاختلاف بين أفراده ودور الدين في رفعه، فراجع.

عليه، وفي قِراءة عبدالله: «كان النَاسُ أُمَّةً واحدةً فَاخْتَلَفوا فَبَعَثَ اللهُ»[(١)]، وقيل: إنَّ معناه: كان الناسُ أُمَّةً واحدةً كفَّاراً فبعث اللهُ النبيِّينَ فاختلفوا عليهم[(٢)]، والأوّل أوجَهُ ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يُريدُ به الجنس، أَو أَنزَلَ مع كلّ واحد منهم كتابَه ﴿لِيَحْكُمَ﴾ اللهُ أَوِ الكتابُ أَوِ النبيُّ المنزلُ عليه ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ في الحقِّ والدين الذي اخْتلفوا فيه بعدَ الاتِّفاقِ ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ﴾ الكتِابَ المنزلَ لإزالة الخلافِ، يعني: أَنـَّهم جعلوا نزولَ الكتابِ الَّذي أُنْزِلَ لإِزالةِ الاختلاف[(٣)] سبباً في شدَّةِ الاختلاف[(٤)] ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ حسداً وظلماً بينهم لحرصهم على الدُنيا ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: ﴿مِنَ﴾ للتَبيين، أَي: فهداهم للحقّ الَّذي اخْتَلَفَ فيه مَنِ اخْتَلَفَ.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (٢١٤)

﴿أَمْ﴾ منقطعةٌ معناها: بل أَحسبتم، والهمزةُ فيها للتقرير[(٥)] واستبعادِ الحِسبان. لمَّا ذَكَرَ ماكانت عليه الأُممُ من الاختلاف على النبيِّينَ بعد مَجيءِ البيِّناتِ تشجيعاً لرسول الله ﷺ والمؤمنين عَلَى الصبر مع الَّذين اختلفوا عليه من المشركين واليهود وعَداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾ «لمّا» للتوقُّع وهي في النفي نظير «قد» في الإثبات،

---

(١) حكاه عنه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٢٥٥.

(٢) قاله ابن عباس والحسن وعطاءواختاره الجبّائي. راجع التبيان: ج ٢ ص ١٩٤، وتفسير البغوي: ج ١ ص ١٨٦.

(٣) و (٤) في بعض النسخ: الخلاف.

(٥) في نسخة: للتقريع.

والمعنىٰ: أَنَّ إتيانَ ذلك متوقَّعٌ منتظَرٌ ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم﴾ أي: حالهم الَّتي هي مثل في الشدَّةِ ﴿مَّسَّتْهُمُ﴾ بيانٌ للمثل وهو استئناف، كأَنَّ قائلاً قال: كيفَ كان ذلك المثل؟ فقيل: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ من القتل والخروج عن الأَهل والمال ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ وأُزْعِجُوا إزعاجاً شديداً شَبيهاً بالزلْزَلَةِ بما أَصابَهم من الأَهوالِ ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ إلى الغاية الَّتي قال الرسولُ ومن ﴿مَعَهُ﴾ فيها: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ طَلَبُوا النصرة وتَمَنَّوْهُ واستطالوا زمانَ الشدَّةِ، وفيه دَليلٌ علىٰ تَناهي الأَمر في الشدَّة؛ لأَنَّ الرُسُلَ إذا لم يبقَ لهم صبرٌ حتَّىٰ ضَجُّوا كان البلاءُ في غايةِ الشدَّة ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ علىٰ إرادة القول، أَي: فقيلَ لهم ذلك إجابةً لهم إلىٰ طَلِبَتِهم من عاجل النصرِ، وقُرِئَ: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ بالنصب علىٰ إضمار «أَن» ومعنى الاستقبال؛ لأَنَّ «أَن» عَلَمٌ له، وبالرفع [١] علىٰ معنى الحال إلّا أَنَّها حالٌ ماضيةٌ محكيَّة.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ (٢١٥).

﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أَيَّ شيءٍ ينفقون؟ والسؤالُ عن الإنفاق يَتَضَمَّنُ السُؤالَ عن مصرفِ النَفقَةِ؛ لأَنَّ النفقَةَ لايُعْتَدُّ بها إلّا إذا وَقَعَ موقعَها، ولذلك جاءَ الجواب ببيان مَصارف النفقَةِ ﴿مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ أَي: مالٍ ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

---

(١) قرأه نافع ومجاهد وابن محيصن وشيبة والأعرج. أُنظر الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٢٣٢، والسبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٨١، والتبيان: ج ٢ ص ١٩٨، والتيسير في القراءات للداني: ص ٨٠، والحجة في القراءات لأبي زرعة: ص ١٣١، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ١٤٠.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢١٦)

﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ من الكَراهة بدليل قوله: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا﴾ ثمَّ إِنَّه يجوز أَن يكون بمعنى الكَراهة على وضعِ المصدرِ موضِعَ الوَصفِ كقولِ الخَنْساءِ[1]:

فَإِنَّما هيَ إِقْبالٌ وإِدْبارٌ[2]

كأَنَّه في نفسه كَراهة لفرطِ كَراهتهم له، ويجوز أَن يكون فُعْلاً بمعنى مفعولٍ كالخُبْزِ بمعنى المخبوز، أَي: وَهو مكروه لكم، وقد يكون الشيءُ مَكروهاً في طبعِ الإِنسان وإِن كان يُريدُه لأَنَّ الله تعالى أَمره بذلك ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا﴾ في الحال ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في العاقبة كما تكرهون القتال لما فيه من المخاطرة بالروح وهو خير لكم لأَنَّ فيه إِحدى الْحُسْنَيَيْنِ: إِمَّا الظفر والغنيمة وإِمَّا الشهادة والجنة ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما يصلحكم وما هو خير لكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ

---

(١) هي تُماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السُلمية، أشهر شواعر العرب على الاطلاق، عاشت أكثر عمرها في العصر الجاهلي وأدركت الاسلام فأسلمت، ووفدت على رسول الله ﷺ مع قومها بني سُليم، فكان رسول الله ﷺ يستنشدها وكانت تنشده، وانبعثت مع المسلمين لفتح بلاد فارس ومعها أولادها الأربعة، فقُتِلوا في وقعة القادسية جميعهم سنة ١٦ هـ، توفّيت سنة ٢٤ هـ. (الشعر والشعراء لابن قتيبة: ص ١٩٧، أعلام النساء: ج ١ ص ٣٠٥، خزانة الأدب للبغدادي: ج ١ ص ٤٣٣، جمهرة الأنساب: ص ٢٤٩).

(٢) تقدّم شرح البيت في ص ١٧٧، فراجع.

وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ (٢١٧)

بعث رسول‌الله صلى الله عليه وآله عبدالله بن جَحْشٍ علىٰ سَرِيَّةٍ في جُمادَي الآخرةِ قبلَ قتالِ بدرٍ بشهرَيْنِ لِيَتَرَصَّدَ عيراً لقرَيشٍ فيها عمرو بن عبدالله الْحَضْرَمِيُّ فقتلوه واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف، وكان ذلك أَوَّلَ يومٍ من رجب وهم يظنُّونَه من جُمادَي الآخرةِ، فقالت قريشٌ: قد استحلّ محمَّد صلى الله عليه وآله الشهر الحرام، فنزلتِ[1] الآية، أي: يَسْأَلُكَ الكفَّارُ أوِ المسلمون عن القتال في الشهرِ الحرام ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدل الاشتمال من الشهر الحرام ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي: إثم كبير، وجاز الابتداء بالنكرة لأَنَّه تَخَصَّصَ بقوله: ﴿فِيهِ﴾، ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مبتدأٌ و ﴿أَكْبَرُ﴾ خبرُهُ، والمعنىٰ: وكبائر قريش: من صدِّهم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وعن ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وكفرِهم باللهِ ﴿وَإِخْرَاجُ﴾ أَهلِ المسجد الحرامِ ﴿مِنْهُ﴾ وهم رسول‌الله صلى الله عليه وآله والمؤمنون ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ممّا فعلته السريّةُ من القتال في الشهر الحرام علىٰ سبيل الخطأ والبناء على الظن ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ الإخراج أو الشرك ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ عطف علىٰ ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾ إخبارٌ عن دوام عَداوة الكفّار للمسلمين، و﴿حَتَّىٰ﴾ معناه: التعليل، أي: ﴿يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾ كي ﴿يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾، و ﴿إِنِ ٱسْتَطَـٰعُواْ﴾ استبعاد لاستطاعتِهم ﴿وَمَن﴾ يرجع ﴿عَن دِينِهِۦ﴾ إلىٰ دينهم ﴿فَيَمُتْ﴾ على الردّة ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ

(١) راجع أسباب النزول للواحدي: ص ٦١، وتفسير القرطبي: ج ٣ ص ٤١، والكشّاف: ج ١ ص ٢٥٨.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ لما يفوتهم فيها من ثمرات الإسلام ﴿وَ﴾ فِي ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ لما يفوتهم من الثواب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢١٨)

نزلت في قصَّة عبدالله بن جَحْش وأَصحابه وقتلهم الحضرميَّ في رجبٍ بأَن ظَنَّ قومٌ أَنـَّهم إن سَلِمُوا من الإِثم فليس لهم أَجر فنزلت[١] ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ وهي النصرةُ والغنيمة في الدنيا والمثوبة في العُقبىٰ، وعن قَتادَةَ: هؤلاء خيار هذه الأُمَّة ثمَّ جعلهم الله أَهل رجاء كما تسمعون، وأَنـَّه من رجا طلب ومن خاف هرب[٢].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٢٠)

﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ من قَرأَ بالباء فلأَنـَّهُمْ استعملوا في الذنب إذا كان موبِقاً الكبير كقوله: ﴿كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾[٣] و ﴿كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾[٤]، وقالوا في غير الموبق: صغيرٌ وصغيرةٌ، ولم يقولوا: قليلٌ، ومقابل الكثير القليل، ومن قَرأَ بالثاء[٥] فللآية

(١) راجع أسباب النزول للواحدي: ص ٦٢ ـ ٦٤، والسنن الكبرىٰ للبيهقي: ج ٩ ص ١١.
(٢) حكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ٢ ص ٣٦٩.
(٣) الشورى: ٣٧. (٤) النساء: ٣١.
(٥) أي «إثـم كثير» قرأه ابن مسعـود وحمزة والكسائـي. راجع تفسيـر الماوردي: ج ١ ←

في المائدة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ الآيـة[١] وللخبر: «لعنَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله في الْخَمْرِ عَشَرَةً»[٢]، والخمر كلُّ شرابٍ مسكرٍ مُغطٍّ للعقل والتمييز، وكأَنَّها سُمِّيَتْ بالمصدر من خَمَرَهُ خمراً: إذا سَتَرَه للمبالغة، والميسِر مصدرٌ مِن يَسَرَ كالموعِد والمرجِع من فعلهما، واشتقاقه من اليُسْرِ، كأنَّه أخْذُ مالٍ بيُسرٍ من غيرِ كدٍّ أو من اليَسارِ لأَنَّه سَلْبُ يَسارِه.

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إِيَّاكُمْ وَهاتَيْنِ الْكَعْبَتَيْنِ[٣] المَشؤُومَتَيْنِ فإِنَّهما مِنْ مَيْسِرِ الْعَجَمِ»[٤].

وعن عليٍّ عليه السلام: «إِنَّ النَّرْدَ والشِّطْرَنْج مِنَ الْمَيْسِرِ»[٥] ﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾ أَي: وعقاب الإِثم في تعاطيهما ﴿أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطربُ فيهما والتوصُّلُ بهما إِلىٰ مصادَقَةِ الفِتيان ومعاشَرَتِهم والنيلِ من أَعْطِيَتِهم ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أَيَّ شيءٍ يُنْفِقُونَ؟ والسائلُ عمروُ بنُ الجموحِ ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ العفو نقيض الجُهد وهو أَن ينفقَ ما لا يبلغ إِنفاقُه منه الْجُهدَ واستفراغَ الوُسع، قال:

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَديمي مودَّتي[٦]

← ص ٢٧٦، و تفسير البغوي: ج ١ ص ١٩٣، والتبيان: ج ٢ ص ٢١٢، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٢٩١ و ٢٩٢، والحجة في القراءات لأبي زرعة: ص ١٣٢، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ١٥٧.

(١) آية: ٩١.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي: ج ٤ ص ٨٩ ـ ٩٠ وج ٥ ص ٧٢، وتفسير القرطبي: ج ٣ ص ٦٠.

(٣) في بعض النسخ: اللعبتين.

(٤) الكامل في الضعفاء لابن عدي: ج ١ ص ٢١٦، والكشّاف: ج ١ ص ٢٦٢، والكاف الشاف في تخريج أَحاديث الكشّاف: ص ٨.

(٥) الكافي: ج ٦ ص ٤٣٥ ح ٣.

(٦) البيت لأسماء بن خارجة الفزاري، وعجزه: ولا تنطقي في سورتي حين أغضب. راجع الكشاف: ج ١ ص ٢٦٢، ولسان العرب: مادة (عفا)، وتفسير القرطبي: ج ٣ ص ٦١.

وقُرِئَ بالنصبِ والرفعِ[١] ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ يَتعَلَّقُ بِـ ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ أَي: لَعَلَّكُم تتفكَّرون في الدارين وما يتعلّق بهما، فتأْخُذون بما هو أَصلح لكم كما بيّنت لكم أَنَّ العفوَ أَصلحُ من الجهد في النَفَقَةِ، أَو تتفكَّرونَ في الدارين فتؤْثِرونَ أَبقاهما وأَكثَرَهما منافعَ، أَو يَتعلَّق بِـ ﴿يُبَيِّنُ﴾ علىٰ معنىٰ: يُبيِّن لكم الآياتِ في أُمور الدارَيْنِ لعلَّكم تتفكَّرونَ.

ولمَّا نزل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْماً﴾ الآية[٢] اعتزلوا اليتامىٰ وتركوا مخالَطَتَهم والاهتمام بأُمورهم، فَشَقَّ ذلك عليهم، فقيل: ﴿إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ أَي: مداخلتُهم علىٰ وجهِ الإِصلاحِ لهم ولأَموالِهم خيرٌ من مجانَبَتِهم ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ وتُعاشِروهم ﴿فَـ﴾ـهم ﴿إِخْوَٰنُكُمْ﴾ في الدين ومِن حقِّ الأَخ أَن يُخالِطَ أَخاه ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ أَي: لا يخفىٰ على الله من داخَلَهم بإِصلاحٍ وإِفسادٍ فيجازيه علىٰ حسب مداخلته ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ لَحَمَلَكُمْ على العَنَتِ وهو المَشَقَّة، وضَيَّقَ عليكم في أَمر اليتامَى ومخالطتِهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالبٌ قادرٌ علىٰ مايَشاءُ ﴿حَكِيمٌ﴾ يفعل ما توجبه الحكمة.

﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٢١)

---

(١) قرأه أبو عمرو وابن كثير واليزيدي والحسن وقتادة والجحدري وابن أبي اسحاق. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٣٣، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٨٢، والتبيان: ج ٢ ص ٢١٢، والحجة في القراءات لأبي زرعة: ص ١٣٣، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ١٥٩.

(٢) النساء: ١٠.

أَي: لا تتزوَّجُوا النساءَ الكافراتِ ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾، ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ أَي: مملوكةٌ مؤمنة ﴿خَيْرٌ مِّن﴾ حُرّةٍ ﴿مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ أَي: ولو كان الحال أَنَّ المشركةَ تُعْجِبُكُمْ بجمالها أَو مالها وتُحِبُّونها فَإِنَّ الْمؤمنةَ خيرٌ منها ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ النساءَ المُسْلِماتِ ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن﴾ حرٍّ ﴿مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ جماله أَو ماله أَو حاله ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إشارة إِلى المشركين والمشركات ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ أَي: يدعون إِلى الكفر فحقُّهم أَن لا يُوالَوْا ولا يُصاهَروا ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾ أَي: إِلىٰ فعل مايوجب الجنَّة ﴿وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾ من الإِيمان والطاعة ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أَي: بأَمرِه وتوفيقه للعمل الَّذي يوصِلُ إِلى الجنَّة ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِ﴾ أَي: أَوامرَه ونَواهيَه ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أَي: يتَّعِظون.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢٢٢)

﴿ٱلْمَحِيضِ﴾ مصدر حاضَتْ تَحيضُ[١]، نحو: جاءَ مَجيئاً وبات مبيتاً ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ أَي: المحيض شيءٌ يُسْتَقْذَرُ ويُؤْذي من يَقْرَبُه؛ نَفْرةً منه له ﴿فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾ فاجتنبوا مجامَعَةَ النساءِ ﴿فِى﴾ وقت ﴿ٱلْمَحِيضِ﴾، ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ أَي: ينقطع الدم عنهنّ، وَمَن قَرَأَ: «حتَّى يَطَّهَّرْنَ»[٢] فإِنَّما هو يتطهّرن أَي: يغتسلن ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أَي: اغتسلن، وقيل: توضَّأْنَ أَو

(١) في نسخة: محيضاً.

(٢) قرأه عاصم برواية أبي بكر والمفضّل وحمزة والكسائي والجحدري وخلف والفضل وشعبة. راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٨٢، والتيسير في القراءات للداني: ص ٨٠، والحجة في القراءات لأبي زرعة: ص ١٣٤، والبحرالمحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ١٦٨.

غَسَلْنَ الفرج بعد انقطاع دم الحيض[١]. ﴿فَـأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: من الجهة الَّتي يحلّ أن يُؤْتَيْنَ منها، ولا تقربوهنّ من حيث لايحلّ بأَن يكنَّ مُحْرِماتٍ أَو معتكِفاتٍ أَو صائِماتٍ، ولو أَراد في الفرج لَقال: «في حيث». ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ من الذُنوب ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء.

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٢٣)

﴿نِسَآؤُكُمْ﴾ ذوات ﴿حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ منهنّ[٢] تَحْرُثُونَ الولد واللذّة ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ﴾ أَي: نساءَكم ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ من أَينَ شِئْتم وكيف شئتم، كما تأتون أَراضيَكم الَّتي تَحْرُثُونَها من أيِّ جهةٍ شئتم ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ مايجب تقديمه من الأَعمال الصالحة، وقيل: هو التَسمية عند الْوَطْءِ[٣]، وقيل: هو طلب الولد[٤] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ولا تَجْتَرِئوا على المناهي ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ﴾ أَي: ملاقو جزائِه فتَزَوَّدُوا مالا تَفْتَضِحونَ به.

﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٢٤)

العُرضَةُ: فُعْلَةٌ بمعنى مفعول كالغُرْفَةِ والقُبْضَةِ، وهي اسم ماتَعْرِضُه دونَ الشيءِ

---

(١) وهو قول مجاهد وطاووس وعكرمة. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٢٨٣، وتفسير الطبري: ج ٢ ص ٣٩٩، وتفسير القرطبي: ج ٣ ص ٨٨.

(٢) في بعض النسخ: فيهنّ.

(٣) قاله ابن عباس وعطاء. أُنظر تفسير الطبري: ج ٢ ص ٤١١، وتفسير الماوردي ج ١ ص ٢٨٥، وتفسير القرطبي: ج ٣ ص ٩٦.

(٤) قاله الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٢٦٦، والبغوي في تفسيره: ج ١ ص ١٤٧، والسمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٢٠٦.

من عَرَضَ العودَ على الإناءِ فَيَعْتَرِضُ دونَه ويَصيرُ حاجزاً ومانعاً منه، تقول: فُلانٌ عُرْضَةٌ دُونَ الْخَيْرِ، والْعُرْضَةُ ـ أيضاً ـ: المعرِض للأَمر، قال:

«فَلا تَجْعَلُونِي عُرْضَةً لِلَّوائِمِ»(١).

ومعنى الآية على الأُولى: أَنَّ الرجلَ كان يحلفُ علىٰ بعضِ الخيراتِ من صِلَةِ الرحِمِ أَو غيرِها ثمَّ يَقولُ: أَخاف أَن أَحْنَثَ في يميني فيتركُ البِرَّ إِرادةَ أَن يَبَرَّ في يمينِه، فقيل لهم: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ أَي: حاجزاً لما حلفتم عليه وهي المحلوف عليه، وسُمِّيَ المحلوف عليه يميناً لتلبّسِه باليمين كما جاء في الخبر: «إِذا حَلَفْتَ على يمين»(٢) أَي: علىٰ شيءٍ ممّا يُحْلَفُ عليه، وقوله: ﴿أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا﴾ عطف بيان ﴿لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ أَي: للأُمور المحلوف عليها الَّتي هي البِرُّ والتَقوىٰ والإِصلاحُ بينَ الناسِ، وتَعَلَّقَتِ اللامُ في قوله: ﴿لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ بالفعل، أَي: ولا تجعلوا اللهَ لأَيمانِكم برزخاً وحاجزاً، ويجوز أَن يَتَعَلَّق بـ ﴿عُرْضَةً﴾ لأَنَّ فيها معنى الاعتراض، أَي: لا تجعلوه شيئاً يعترض البرَّ، من اعْتَرَضَني كذا، ويجوز أَن يكون اللام للتعليلِ ويتعلَّقَ ﴿أَن تَبَرُّوا﴾ بالفعل أَو بالعرضة، أَي: ولا تجعلوا اللهَ لأَجل أَيمانكم به عُرْضَةً لأَن تَبَرُّوا. ومعنى الآيةِ على الأُخرىٰ: ولا تجعلوا اللهَ مَعْرِضاً لأَيمانكم فَتَبْتَذِلوهُ بكَثرة الحلفِ به، و ﴿أَن تَبَرُّوا﴾ علّةٌ للنهي، أَي: إِرادةَ أَن تَبَرُّوا وتَتَّقُوا، لأَنَّ الحلّافَ مجترئٌ على اللهِ فلا

(١) وصدره: دعُوني أَنح وَجْداً كَنَوح الحَمائِمِ. ولم نعثر علىٰ قائله فيما توفّرت لدينا من مصادر، وقيل هو لأبي تمام. ومعناه واضح. ذكره الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ٢٢٥، والزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٢٦٧، والقرطبي في تفسيره: ج ٣ ص ٩٨، وشرح شواهد الكشّاف: ص ٩٦.

(٢) وردت أحاديث عديدة تبتدأ بهذا اللفظ. انظر على سبيل المثال: صحيح البخاري: ج ٨ ص ١٥٩ و ١٨٤، و سنن النسائي: ج ٧ ص ١٢، وتاريخ بغداد للخطيب: ج ٨ ص ٤٦٠.

يكونُ بَرّاً مُتَّقِياً، ولا يَثِقُ به الناسُ فلا يدخلونه في إِصلاح ذات بينِهم.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٢٢٥)

«ٱللَّغْو»: الساقط الَّذي لايُعْتَدُّ به من كلامٍ وغيرِه، واللغو من اليمين: الساقط الَّذي لا يُعْتَدُّ به في الأَيمان، وهو مايَجْري علىٰ عادة اللسان من قولِ: «لا والله» و «بلى وَالله» من غير عقد علىٰ يمين يُقْتَطعُ بها مالٌ أَو يُظْلَمُ بها أَحدٌ، والمعنىٰ: لا يؤاخذكم بلغو اليمين الَّذي لاقصدَ[1] معه ولا يُلزِمُكُمْ بِهِ الكفّارةَ ﴿وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ من الأَيمان وهو ماعَزَمْتُمُوهُ كقوله سبحانه: ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ﴾[2] لأَنَّ كسبَ القلبِ هو القصد[3] والنيةُ، أَي: ما نَوَتْ قلوبُكم وقَصدَتْهُ من الأَيمانِ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ حيث لم يؤاخذْكم بلغو الأَيمان.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٢٧)

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ عُدِّيَ «آلَى» الَّذي هو بمعنى حلف بـ ﴿مِن﴾ لأَنَّ هذا الحلف قد ضُمِّنَ معنى البعد، فكأَنَّه قيل: يبعدون من نسائِهم مؤلين أَو[4] حالفين، ويجوز أَن يكون المراد لهم من نسائهم ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ كقولهم: لي منك كذا، والإيلاء من المرأَة أَن يقول الرجلُ: واللهِ لا أَقْرَبُكِ، ثمَّ أَقامَ على يمينه، والحكم في ذلك أَنَّ المرأَةَ إِذا اسْتَعْدَتْ عليه إلى الحاكمِ أَنْظَرَهُ الحاكمُ بعدَ الرفع إِليه أَربعةَ أَشهرٍ ويقولُ له بعد مُضيِّ الأَشهر الأَربعةِ إِذا لم يراجعْ زوجَته: فِئْ أَوْ طَلِّقْ

(١) في نسخة: عقد.
(٢) المائدة: ٨٩.
(٣) في بعض النسخ: العقد.
(٤) في نسخة: أي.

﴿فَإِن فَآءُو﴾ أَي: رَجَعُوا بأَن يُكَفِّرُوا عن اليمين ويُجامِعوا عند القدرة عليه، أَو يُراجِعوا بالقول عند العجز عن الجماع ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لايُتْبِعُه بعقوبة ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَـٰقَ﴾ وتَلفَّظوا به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يسْمَعُ قوله ويَعْلَمُ ضميرَه.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَاخَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَـٰحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِـٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٢٨)

﴿وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ﴾ يعني: المدخولَ بهنَّ من ذَواتِ الحيضِ غير الحوامل، لأَنَّ في الآية بيانَ عدَّتِهنَّ، واللَفظُ مطلقٌ في تناولِ الجنسِ، صالحٌ لكلِّه وبعضِه، فجاءَ في أَحدِ مايصلُحُ له كاللفظِ المشترك ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ خبرٌ في معنى الأَمر والمراد: ولْيَتَرَبَّصِ المطلّقات، وإِخراجُ الأَمر في صورة الخبر تأْكيد للأَمر وإِشعارٌ بأَنّه ممّا يجب أَن يتلقَّىٰ بالامتثال، فكأَنّهنّ امتثلن الأَمر بالتربُّص فهو يُخْبَرُ عنه موجوداً، ونحوه قولهم في الدعاء: رحمك اللهُ، ومعنىٰ ﴿يتَرَبَّصْنَ﴾: ينتظرن ﴿بأَنفُسِهِنَّ﴾ انقضاءَ ﴿ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ فلا يتزوَّجن، والمراد بالقروء: الأَطهار عندنا[1] وعند الشافعيّ[2]، وذهب أَبو حنيفةَ إِلىٰ أَنّها ثلاثُ حِيَض[3] وهي جمع قَرْءٍ أَو قُرْءٍ، وانتصب ﴿ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ علىٰ أَنّه مفعول به، أَي: ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ مضيَّ ﴿ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾، أَو على أَنّه ظرفٌ أَي: مدَّةَ ثلاثةِ قروءٍ ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ

(١) أُنظر التبيان: ج ٢ ص ٢٣٧ و ٢٣٩ وقال: روي عن عائشة قالت: الاقراء: الاطهار.

(٢) قال البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٢٠٣: وهو قول زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة، وهو قول الفقهاء السبعة والزهري، وبه قال ربيعة ومالك والشافعي.

(٣) أُنظر الحاوي الكبير للماوردي: ج ١٠ ص ٣٠٦، والمغني لابن قدامة: ج ٨ ص ٤٨٨.

﴿مَاخَلَقَ ٱللَّهُ فِى أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الولد أو من دم الحيض، وذلك إذا أرادتِ المرأةُ فراقَ زوجِها فكَتَمَتْ حملَها لئلّا ينتظِرَ بطلاقها أن تَضَع ولئلّا يُشفِقَ على الولدِ فيَترُكَ طلاقَها، أو كتَمَتْ حيضَها وقالت وهي حائض: قد طَهُرْتُ استعجالاً للطلاق ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ تعظيمٌ لفعلهنّ، وأنَّ من آمن باللهِ لايَجْتَرِئُ علىٰ مثلِه من العظائمِ ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: أزواجهنّ أولىٰ بمُراجَعَتِهِنَّ وهي ردُّهنَّ إلى الحالةِ الأُولىٰ في ذلك الأَجلِ الَّذي قُدِّرَ لهنّ في مدَّة العدَّة ﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ﴾ بالرجعة ﴿إِصْلَـٰحاً﴾ لما بينَهم وبينهنَّ ولم يُريدوا مُضارَّتَهُنَّ ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾ ويجب لهنّ من الحقّ على الرجال مثلُ الّذي يجب لهم عليهنَّ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالوجه الّذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يُكلِّفْنَهم ماليس لهنَّ ولا يكلِّفونَهُنَّ ماليس لهم ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ أي: زيادةٌ في الحقّ وفضيلةٌ بقيامهم عليهنَّ.

﴿ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَـٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ (٢٢٩)

﴿ٱلطَّلَـٰقُ﴾ بمعنى التطليق كالسلام والكلام بمعنى التسليم والتكليم، أي: التطليقُ الشرعيُّ تطليقةٌ بعدَ تطليقةٍ على التفريق دون الجمع والإرسال دفعةً واحدةً، ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكريرَ، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [1] أي: كَرَّةً بعدَ كَرَّةٍ ﴿فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَـٰنٍ﴾ هذا تخييرٌ

(١) الملك: ٤.

لهم بعد أن عَلَّمَهُمْ كيفَ يُطلِّقون بين أن يُمْسِكُوا النساءَ مع حسن العِشرةِ والقيامِ بحقوقِهِنَّ وبين أن يُسرِّحُوهنَّ سَراحاً جميلاً، وقيل: معناه: الطلاق الرجعي ﴿مَرَّتَانِ﴾؛ لأَنَّه لا رَجْعَةَ بعدَ الثلاثِ فإِمساك برجعةٍ أَو تسريح بأَن لا يُراجِعَها حتّىٰ تبينَ بالعدَّةِ[١]، وقيلَ: بأَن يُطَلِّقَها الثالثةَ[٢]، ورُوِيَ: أَنَّ سائلاً سَأَلَ رسولالله: أَينَ الثالثةُ؟ فقال عليه السلام: «أَو تَسريحٌ بإِحسانٍ»[٣]، ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ خطابٌ للأَزواج ﴿أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ الزوجان تركَ إِقامة ﴿حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ فيما يلزَمُهما من مَواجِبِ الزوجيةِ لما يَحدُثُ من نُشوزِ المَرأةِ وسوءِ خُلقِها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فَلا جُناحَ على الرجل فيما أَخَذَ وعلى المرأةِ ﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ أَي: فَدَتْ به نَفْسَها واخْتَلَعَتْ به من بذلِ ماأُوتيت من المهر أَو الزيادةِ على المهرِ إِن كانَ النُشوزُ والبغضُ منها وحدَها، وإِن كان منهما فدونَ المهر، وقرئَ: «أَن يُخافا» على البناءِ للمفعولِ وإِبدال «أَن لا يُقيما» من أَلف الضميرِ في «يُخافا»[٤]، وهو من بدل الاشتمال كقولك: خيفَ زيدٌ تركُه إِقامَةَ حدودِ الله، ونحوه: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[٥].

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ

---

(١) قاله عروة وقتادة علىٰ ماحكاه عنهما الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٢٩٣، واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٠٧.

(٢) وهو قول عطاء ومجاهد. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٢٩٤.

(٣) أوردها الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٢٩٤، والبيهقي في سننه: ج ٧ ص ٢٤٠.

(٤) قرأه حمزة وأبو جعفر ويعقوب والأعمش وأبو عبيد. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٨٣، والحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٢٤٨، والحجة في القراءات لأبي زرعة: ص ٣٥، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ١٩٨.

(٥) الأنبياء: ٣.

يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٢٣٠)

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الطلاقَ المذكورَ الموصوف[١] بالتكرار في قوله: ﴿ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَـٰنٍ﴾، أو فإن طلَّقها مرّةً ثالثةً بعدَ المرّتين ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ﴾ أي: من بعد ذلك التطليقِ ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُۥ﴾ حتَّى تتزَوَّجَ غيرَه، والنكاحُ يُسْنَدُ إلى المرأةِ كما يُسْنَدُ إلى الرجلِ كالتزويجِ ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الزوجُ الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ أَن يَرْجِعَ كلُّ واحدٍ منهما إلى صاحبه بالمُزاوجَةِ ﴿إِن ظَنَّآ﴾ إن كان في ظنِّهما أَنَّهما يقيمان حقوقَ الزوجيَّة، ولم يقل: إن عَلِما؛ لأَنَّ اليقينَ مغيبٌ عنهما لا يعلمه إلّا اللهُ، ومن فَسَّرَ الظنَّ هُنا بالعلم فقد وَهَمَ لفظاً ومعنًى؛ لأَنَّك لا تقول: علمت أَن يقوم زيدٌ، ولكن علِمْت[٢] أَنَّه يقوم، ولأَنَّ الإنسانَ لا يعلم مافي الغدِ وإنَّما يَظُنُّ ظَنّاً.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُواً وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٣١)

﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أَي: آخرَ عدَّتِهنَّ وقارَبْنَ انقضاءَها، والأَجلُ يقع على المدَّةِ كلِّها وعلى آخِرِها، يقال لعمر الإنسان: أَجلٌ، وللموت الَّذي ينتهي به: أَجلٌ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ أَي: راجعوهنَّ قبلَ انقضاءِ العدَّةِ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بما يجب لها من القيام بِواجِبِها من غيرِ طلبِ ضرارٍ بالْمُراجَعَةِ ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ﴾ أَوِ اتْرُكوهنَّ حتَّىٰ

---

(١) في نسخة: المعروف.

(٢) في بعض النسخ: ظننت.

تَنْقَضِيَ عدَّتُهنَّ فيكنَّ أملكَ بِأَنفُسِهِنَّ ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ لا لرَغبةٍ فيهنَّ بل لطلب الإضرار بهنَّ بِتَطويلِ العدَّةِ عليهِنَّ ﴿لِّتَعْتَدُوا﴾ أَي: لتظلموهنَّ ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بتعريضِها لعذابِ اللهِ ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ أَي: لاتَستَخفُّوا بأَوامِره ونواهيه ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ فيما أَباحَهُ لكم من الأَزواجِ والأَموال ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم﴾ من القرآن والعلوم الَّتي بيَّنَها لكم ﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾ أَي: بما أَنْزَلَ عليكم لِتَتَّعِظُوا، وذكرُ النعمةِ مقابلتُها بالشُكرِ.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢٣٢)

﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أَي: انقضت عدَّتُهنَّ ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أَي: لاتمنعوهنَّ ظلماً عن التزَوُّجِ، وهذا: إمّا أَن يكونَ خطاباً للأَزواج الَّذين يعضُلون نساءَهم بعد انقضاءِ العدَّةِ ظلماً لا يتركونهنَّ يتزوَّجن مَن شِئْنَ من الأزواج، وإمّا أَن يكون خطاباً للأَولياءِ في عضلهنَّ أَن يَرْجِعْنَ إِلىٰ أزواجهنَّ، والعضل: الحبس والتضييق ﴿إِذَا تَرَٰضَوْا۟﴾ إذا تراضى الخُطّابُ والنساءُ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بما[1] يَحْسُنُ في الدينِ والمروَّةِ من الشرائطِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الَّذي سبق من الأَمر والنهي ﴿يُوعَظُ بِهِۦ﴾، ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ أَي: خير لكم وأَفضل ﴿وَأَطْهَرُ﴾ من أَدناس الآثام ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ مافي ذلك من الزكاء والطهر، أَو يعلم ماتَسْتَصْلِحُونَ به من الأَحكام والشرائع ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ

---

(١) في نسخة: فيما.

ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَاتُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَاتُضَآرَّ وَٰلِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَامَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢٣٣)

﴿يُرْضِعْنَ﴾ مثل ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ في أَنَّه خبر في معنَى الأَمر المؤكَّد، أَي: وَلْتُرْضِعِ الأُمَّهاتُ ﴿أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ تامَّين أَربعةً وعشرينَ شهراً، وإِنَّما أُكِّدَ لرفع الإِبهام لأَنَّه يُتَسامَحُ فيه، يقول الرجل: أَقمت عند فلان حولين ولم يَستَكمِلْهما، وقوله: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ بيان لمن توجَّه إِليه الحكم، أَي: هذا الحكم لمن أَراد إِتمام الرضاعِ، أَي: ليس ذلك بوقتٍ لا ينقص منه بعد أَن لا يكون في الفطامِ ضررٌ، وقيل: إِنَّ اللامَ يَتَعَلَّقُ بـ ﴿يُرْضِعْنَ﴾ كما تقول: أَرضعتْ فلانةٌ لفلانٍ ولدَه، أَي: يُرْضِعْنَ حولين لمَن أَراد أَن يُتِمَّ الرضاعةَ من الآباءِ؛ لأَنَّ الأَب يجب عليه إِرضاع الولد دونَ الأُمّ، وعليه أَن يَتَّخِذَ له ظِئْراً إِلّا إِذا تَطَوَّعَتِ الأُمُّ بإِرضاعِه، وهي مندوبة إِلى الإِرضاع ولا تُجبر علىٰ ذلك، والأَمر للوالدات بالإِرضاع أَمرٌ على الندب[1]، وقيل: أَراد بالوالدات المطلَّقاتِ وإِيجابُ النفقةِ والكِسوَةِ لأَجل الرضاع[2] ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ﴾ أَي: وعلى الَّذي وُلِدَ له وهو الوالد ـ وله في محلِّ الرفع على الفاعليَّة ـ أَن يرزُقَهنَّ وَيَكْسُوَهُنَّ إذا أَرضَعْنَ ولدَه ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ تفسيره مايَتْبَعُه وهو أَن لا يكلَّفَ واحدٌ منهما ماليس في وسعِه

---

(١) حكاه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٢٧٩، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ١ ص ٤٧٠، فراجع.

(٢) قاله الربيع. راجع تفسير الطبري: ج ٢ ص ٥٠٦.

وَلا يَتضارَّا، وقُرِئَ: «لا تُضارُّ» بالرفع على الإخبار (١)، ويحتمل أَن يكون الأَصل «لاتضارِرُ» و«لاتضارَرُ» بكسر الراء وفتحها، و ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ بالفتح على النَـهي، والمعنىٰ: لا تضارَّ ﴿وَٰلِدَةُۢ﴾ زوجَها ﴿بِـ﴾ سببِ ﴿وَلَدِهَا﴾ بأَن تطلب منه ماليس بعدلٍ من النفقةِ والكسوةِ، وأَن تَشغَلَ قلبَه بالتفريطِ في شأنِ الولد ﴿وَلَا﴾ يُـضارَّ ﴿مَوْلُودٌ لَّهُۥ﴾ امرأَته ﴿بِـ﴾ سببِ ﴿وَٰلَدِهِۦ﴾ بأَن يمنعَها شيئاً ممَّا وجب عـليه، أَو يَأْخُذَه منها وهي تطلب إِرضاعَه، وكذلك إذا كان مبنيّاً للمفعول فهو نهي عـن أَن يَلْحَقَ بها الضرار من قِبَلِ الزوج، وأَن يَلحَقَ الضرارُ بالزوج من قِبَلِها بسبب الولد ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ عطف علىٰ قوله: ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾، وما بينهما تفسير للمعروف معترضٌ بين المعطوف والمعطوف عليه، والمعنىٰ: وعلىٰ وارث المولود له بعد موته مثل ماوَجَبَ عليه من الرزقِ والكِسوةِ بالمعروف ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ صادراً ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في ذلك زادا على الحولين أَو نقصا، وهذه تَوْسِعَةٌ بعد التحديد ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ﴾ خـطابٌ للآبـاءِ ﴿أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ﴾ الْمَراضِعَ ﴿أَوْلَـٰدَكُمْ﴾ فحذف أَحدُ المفعولين للاسـتغناء عـنه ﴿إِذَا سَلَّمْتُم﴾ إلى المراضع ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ ما أَردتم إِيتاءه، وقُرِئَ: «ماأَتَيْتُمْ» (٢) مِنْ أَتى إِليه إِحساناً إذا فَعَلَه، وقيل: إذا سَلَّمْتُمْ إلى الأُمِّ أُجرةَ المثل بمقدار ما أَرضَعَتْ (٣).

---

(١) قرأه ابن‌كثير وأبو عمرو والكسائي ومجاهد وأبان ويعقوب وابن محيصن واليزيدي وقتيبة. راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٨٣، والحجة في علل القراءات لأبي عـلي الفارسي: ج ٢ ص ٢٥١، والحجة في القراءات لأبي زرعة: ص ١٣٦، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٢١٤.

(٢) أي بقصر الألف قرأه ابن كثير ومجاهد. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٨٣، والحجة لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٢٥٢، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٢١٣، والتبيان: ج ٢ ص ٢٥٥،، والتيسير في القراءات للداني: ص ٨١، والحجة في القراءات لأبي زرعة: ص ١٣٧، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٢١٨.

(٣) قاله مجاهد والسدي وعطاء. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٣٠١، وتفسير الطبري: ←

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٣٤)

هو على تقديرِ حذف المضاف، تقديرُه: ﴿وَ﴾ أزواج ﴿ٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾: ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾، وقيل: معناه: وَالَّذين يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُم أَي: يُقْبَضُونَ ويموتون ويتركون أزواجاً يتربَّصن بعدهم كقولهم:السَمن مَنَوانِ بدرهم أَي: منوان منه[1]، ومعنىٰ ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾: يَعْتَدِدْنَ هذه المدَّةَ وهي أَربعةُ أَشْهرٍ وعشرةُ أَيَّامٍ، وقيل: عشراً ذهاباً إلى اللَيالي والأَيَّامُ داخلةٌ معها[2]، ولا يستعمل التذكير فيه على إرادة الأَيَّام، يقال: صُمْتُ عشراً ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ فإِذا انقضت عدَّتُهنَّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّها الأَولياءُ أَو الأَئمَّةُ ﴿فِيمَافَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ من التعريض للخُطَّاب ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالوجه الَّذي لا ينكره الشرعُ، وهذه الآية ناسخةٌ لِلآية المتأَخِّرَةِ عنها الواردة في عدَّة المُتَوَفَّىٰ عنها زوجُها وإِن كانت مقدَّمةً عليها في التلاوة.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٢٣٥)

← ج ٢ ص ٥٢٣.

(١) قاله الأخفش في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٧٢، وحكاه القرطبي في تفسيره: ج ٣ ص ١٧٤ ونسبه الى أبي علي الفارسي، وقال الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ١٥٠: فذلك جائز إذا ذكرت أسماء ثم ذكرت أسماء مضافة اليها فيها معنى الخبر أن تترك الأول ويكون الخبر عن المضاف إليه، فهذا من ذلك.

(٢) قاله سعيد بن المسيّب وأبو العالية. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٣٠٢.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيُّها الرجالُ ﴿فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ المعتدّات، والتعريض هو أَن يقولَ لها: إِنَّكِ لَجميلةٌ أَو صالحةٌ، أَو إِنّي أُحبُّ امرأةً صفتُها كَذا ويَذْكُرَ بعضَ صفاتها... ونحو ذلك من الكلام الَّذي يوهم أَنَّه يُريدُ نكاحَها حتَّى تَحْبِسَ نفسَها عليه إِن رغِبَتْ فيه، ولا يصرّح بالنكاح فلا يقول: إِنّي أُريد أَن أَنْكِحَكِ أَو أَتزوَّجَكِ ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أَي: سَتَرْتُمْ وأَضمرْتُمْ في قلوبكم فلم تذكروه بأَلسنتكم لا مُعرِّضينَ ولا مُصَرِّحينَ ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ لا مَحالةَ برغبتكم فيهنَّ خوفاً منكم أَن يَسْبِقَكُمْ غيرُكم إِليهنَّ فأَباحَ لكم ذلك، فاذكروهُنَّ ﴿وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ والسرُّ كنايةٌ عن الوطء؛ لأَنَّه ممَّا يُسَرُّ، ثمَّ عُبِّرَ به عن النكاح الَّذي هو العقد؛ لأَنَّه سببٌ فيه كما فُعِلَ بالنكاحِ ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفاً﴾ وهو أَن تُعَرِّضُوا ولا تُصَرِّحُوا، أَي: لا تُواعِدوهنَّ إِلّا بـالتعريضِ، أَو لا تُواعِدوهُنَّ إِلّا مُواعَدَةً معروفةً غيرَ مُنْكَرَةٍ ﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ من عَزَمَ الأَمرَ وعَزَمَ عليه، وهو مبالغة في النهي عن عقدِ النكاحِ في العدَّةِ؛ لأَنَّ العزم على الفعل مُتَقَدِّمٌ، فإِذا نَهَىٰ عنه كان عن الفعل أَنْهَى، ومعناه: ولا تعزموا عقد عقدة النكاح في العدَّةِ ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُ﴾ يعني: ما كُتِبَ وفُرِضَ من العدَّة ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَافِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من العزم علىٰ مالا يجوزُ ﴿فَٱحْذَرُوهُ﴾ ولا تعزموا عليه.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَالَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَـٰعاً بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٣٦)

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ لا تَبِعَةَ عليكم من إِيجاب مَهرٍ ﴿إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَالَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ مالم تُجامِعوهُنَّ، ويجوز أَن يكون ﴿مَا﴾ هاهنا شرطيّة بمعنى: إِن لم تَمَسُّوهُنَّ، ويجوز أَن يكون بمعنى المدَّةِ، أَي: مدَّةً لم تَمَسُّوهُنَّ فيها فيكون نصباً

على الظرفِ، وقُرِئَ: «تُماسُّوهُنَّ»[1] والمعنىٰ فيهما واحدٌ ﴿أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ إلّا أن تفرضوا لهنّ فريضةً أو حتّى تفرضوا لهنّ فريضةً، وفرض الفريضة: تسمية المهر، وذلك أنَّ المُطلَّقةَ غير المدخول بها إن سُمِّيَ لها مَهْرٌ فلها نصف المسمّىٰ، وإن لم يُسَمَّ لها مهرٌ فليسَ لها إلّا المُتْعَةُ ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أَي: أعطوهُنَّ من مالكم مايَتَمَتَّعْنَ به ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ أي: على الغنيّ الذي هو في سعةٍ لغناه علىٰ قدرِ حالِهِ، وعلى الفقير الَّذي هو في ضيقٍ علىٰ قدر حالِه، ومعنى ﴿قَدَرُهُ﴾: مقداره الَّذي يُطيقُه، و«القَدَرُ» و«القَدْرُ» لغتان ﴿مَتَـٰعاً﴾ تأكيدٌ لِـ ﴿مَتِّعُوهُنَّ﴾ أي: تمتيعاً ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالوجه الَّذي يَحْسُنُ في الشرعِ والمُرُوَّةِ ﴿حَقًّا﴾ صفةٌ لـ ﴿مَتَـٰعاً﴾ أي: واجباً عليهم، أو حقَّ ذلك حقّاً ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ على الَّذين يُحْسِنونَ إلى المطلَّقات بالتمتيع، وسمَّاهم قبلَ الفعل مُحْسِنينَ كما قال ﷺ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً فَلَهُ سَلَبُهُ»[2].

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَافَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَاتَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢٣٧)

هذا يدلُّ علىٰ أَنَّ «الجناح» في الآية المتقدّمة المراد به تَبِعَةُ الْمَهْرِ، لأَنَّ قوله: ﴿فَنِصْفُ مَافَرَضْتُمْ﴾ إثباتٌ للجناحِ المنفيِّ هناكَ، وتقديرهُ: فالواجبُ نصف

---

(١) قرأه حمزة والكسائي. راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٨٤، والحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٢٥٣، والحجة في القراءات لأبي زرعة: ص ١٣٧.
(٢) المصنّف لابن أبي شيبة: ج ١٢ ص ٣٦٩ و ٣٧٢، و ج ١٤ ص ٥٢٤، والمعجم الكبير للطبراني: ج ٧ ص ٢٩٦، وطبقات ابن سعد: ج ٣ ص ٣٦٤.

مافرضتم ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ يعني: المطلّقات، أي: يَتْرُكْنَ مايَجِبُ لهنَّ من نصفِ الْمَهْرِ فلا يَطْلُبْنَ الأَزواجَ بذلك ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ وهو الوليُّ الَّذي يلي عقدَ نكاحِهِنَّ، و﴿أَن﴾ هذه هي الناصبة للفعل، و﴿يَعْفُونَ﴾ فعلُ النسوةِ في محلّ النصب ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أَي: التفضُّلَ، معناه: ولا تَنْسَوْا أَن يَتَفضَّلَ بَعضُكم على بعضٍ ولا تَسْتَقْصُوا.

﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ (٢٣٨)

داوموا ﴿عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ في مواقيتها بأداءِ أَركانِها ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ بين الصلَوات، أَو الفضلى من قولهم للأَفضل: الأَوسط، وإِنَّما أُفْرِدَتْ وعُطِفَتْ على ﴿ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ لانفرادها بالفضل، وروِيَ عنهم عليهم السلام: أَنّها صلاة الظهر[١]، وقيل: هي صلاة العصر[٢]، ورُوِيَ[٣] ذلك ـ أيضاً ـ مرفوعاً، وقيل: صلاة

(١) حكاها الطوسي في التبيان: ج ٢ ص ٢٧٥ عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام.

(٢) قاله ابن عباس وابن مسعود وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وأبو أيوب وعائشة وأُم سلمة وحفصة وأُم حبيبة وابراهيم النخعي وقتادة والحسن، وهو المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام. راجع التبيان: ج ٢ ص ٢٧٥، وسنن البيهقي: ج ١ ص ٤٥٩، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ٣٠٧، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٢٢٠، وقال ابن حجر في فتح الباري: ج ٨ ص ١٦٩: كونهاالعصر هو المعتمد به، وبه قال ابن مسعود وأبي هريرة وهو الصحيح من مذهب أبي حنيفة وقول أحمد، والذي صار إليه معظم الشافعية لصحة الحديث به، قال الترمذي: هو قول أكثر علماء الصحابة، وقال الماوردي: هو قول جمهور التابعين، وقال ابن عبدالبرّ: هو قول أكثر أهل الأثر، وبه قال من المالكية ابن حبيب وابن العربي وابن عطية.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره: ج ٢ ص ٥٧٢ ح ٥٤٢٠، والسيوطي في الدر المنثور: ج ١ ص ٧٢٥ وعزاه الىٰ ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وصحّحه وابن جرير والطبراني والبيهقي عن سمرة.

الفجر[١] يدلُّ عليه قولُه: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾[٢]، ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ أَي: راعين في قيامكم.

الصادق عليه السلام قال: «القنوت: الدعاء في الصلاةِ في حال القيام»[٣].

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٣٩)

أَي: فإن كان بكم خوفٌ من عدوٍّ أَو غيره فصلّوا راجِلين، والرجال جمع راجل كالقيام جمع قائِم ﴿أَوْ رُكْبَاناً﴾ على ظهور دَوابّكم، عَنَى بذلك صلاةَ الخوفِ ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ من الخوف ﴿فَاذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم﴾ من صلاة الأَمن، أَو فاشكروا الله على الأَمن واذكروه بالعبادة كما أَحسن إِليكم بما عَلَّمَكُمْ كيف تُصَلّونَ في حال الأَمن والخوف.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعاً إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٤٠)

من قَرَأَ: «وصِيَّةٌ» بالرفع[٤] فالتقديرُ: ﴿وَ﴾ حكم ﴿ٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ أَو وصيّة الَّذين يُتَوَفَّوْنَ وصيّةٌ لأَزواجهم، أَو والَّذينَ يُتَوَفَّوْنَ أَهل وصيّة فَحُذِفَ المضافُ،

(١) قاله ابن عباس وأبو موسىٰ الأشعري وجابر بن عبدالله. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٣٠٩.
(٢) الاسراء: ٧٨.
(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٢٨ ح ٤٢٠، وعنه البرهان: ج ١ ص ٢٣١ ح ٨ و ١٠.
(٤) قرأه ابن مسعود ونافع وابن كثير وعاصم برواية أبي بكر والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف وقتادة والأعرج ومجاهد وشعبة. راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٨٤، والتيسير في القراءات للداني: ص ٨١، والحجة في القراءات لأبي زرعة: ص ١٣٨، وإعراب القرآن للنحّاس: ج ١ ص ٢٧٤، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٢٤٥.

ومن قرأ: ﴿وَصِيَّةً﴾ بالنصب فالتقدير: والّذين يُتَوَفَّوْنَ يوصون وصيّةً كقولك: إنّما أَنْتَ سَيْرَ البَريدِ بإضمارِ تَسيرُ ﴿مَّتَـٰعاً﴾ نُصِبَ بـ«الوصيّةِ» أو بـ«يـوصونَ» إذا أضْمَرْتَهُ، و ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ مصدرٌ مؤكّدٌ أو بدلٌ من ﴿مَّتَـٰعاً﴾ أو حالٌ من الأَزواج أي: غيرَ مُخْرَجاتٍ، والمعنىٰ: أنّ حقَّ الّذين يُتَوَفَّوْنَ عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يموتوا بأن تُمَتَّعَ أزواجُهم بعدَهم حولاً كاملاً، أي: يُنْفَقَ عليهنَّ من تَرِكَتِه ولا يُخْرَجْنَ من مَساكِنِهِنَّ، وكان ذلك قبل الإسلام ثُمَّ نُسِخَتِ المدَّةُ بقوله: ﴿أَرْبَـعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾ [١] [٢] ﴿فِى مَا فَعَلْنَ فِى أَنفُسِهِنَّ﴾ مِنَ التزيُّنِ والتعرُّضِ للأَزواج ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾ ليس بمنكرٍ شرعاً.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعُۢ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ (٢٤١) كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢٤٢)

قيل: المراد بالمتاع النفقةُ المذكورة في قوله تعالى: ﴿مَّتَـٰعاً إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ [٣]، وقيل: المرادُ بالمتاع المتعةُ [٤] فتكونُ مخصوصةً بـالآية المـتقدِّمةِ، فـإنَّ المـتعة لِلمطَّلَّقةِ الّتي لم يُدْخَلْ بها ولم يُفرَضْ لها مهرٌ، وأَمّا المدخولُ بها فلها مهرُ مثلِها إن لم يُسَمَّ لَها مهرٌ، وما سُمِّيَ لها إن فُرِضَ لها مهرٌ وإن لم يُدْخَلْ بها فنصفُ المهرِ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّـاسِ وَلَـٰكِـنَّ أَكْـثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٢٤٣)

---

(١) البقرة: ٢٣٤.
(٢) أُنظر الناسخ والمنسوخ لقتادة: ص ٣٩ ـ ٤٠.
(٣) قاله الجبّائي على ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ٢٨١.
(٤) حكاه الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ٢٨٠، والزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٢٨٦، وابن كثير في تفسيره: ج ١ ص ٢٨١ ـ ٢٨٢.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تقريرٌ لِمَن سَمِعَ بقصَّتِهم من أَهل الكتاب وتَـعْجيبٌ مـن شأنـهم، ويجوز أَن يُخاطَبَ به من لم يَرَ ولم يَسْمَعْ؛ لأَنَّ هذا يجري مجرى المثل في معنى التعجُّبِ، وهؤلاء قومٌ وقع فيهم الطاعونُ فـخرجـوا هـارِبينَ فأَمـاتَهُمُ اللهُ ﴿ثُـمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ لِيَعْتَبِرُوا ويعلموا أَنَّـه لا مَفَرَّ من حكمِ اللهِ، وقيل: هم قوم مِن بني إِسرائيل دعاهم مَلِكُهم إِلى الجهادِ فَهَرَبُوا حذراً من ﴿ٱلْمَوْتِ﴾ فأماتهم اللهُ ثُمَّ أَحياهم[١] ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ فيه دليلٌ على الأُلوف الكثيرة ﴿فَـقَالَ لَـهُمُ ٱللهُ مُـوتُواْ﴾ مـعناه: فأَماتهم اللهُ، وإِنَّما جيءَ به علىٰ هذه العبارة للدلالة علىٰ أَنَّـهم ماتوا ميتة إِنسانٍ واحدٍ بمشيّة الله تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ حيث يُبَصِّرُهُمْ مايعتبرون به، وساق سبحانه هذه القصَّةَ بعثاً على الجهاد بدَلالةِ قوله بعد.

﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٤٤)

أَي: ﴿سَمِيعٌ﴾ يَسْمَعُ مايقولُهُ المتخلِّفونَ والسابقونَ ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يُضْمِرونَه.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَـٰعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَٱللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٤٥)

إِقراض الله مَثَلٌ لتقديم العمل الَّذي يُطْلَبُ به ثوابُه، وهو تَلَطُّفٌ للـدعاءِ إِلىٰ فعله وتأكيدٌ للجزاء عليه، والقرض الحسن: إِمَّا المجاهدةُ نفسُها، وإِمَّا النَفَقَةُ فـي سبيل الله ﴿أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾ لا يَعْلَمُ كنهَها إِلّا اللهُ، وقيل: هو أَنَّ الواحدَ بسبعِمائَة[٢] ﴿وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ يُوَسِّعُ علىٰ عباده ويُقَتِّرُ، فلا تَبْخَلوا عليه بما وَسَّعَ عليكم لِئَلَّا يُبَدِّلَكُمُ الضيقَةَ بالسعَةِ.

---

(١) وهو قول الكلبي ومقاتل والضحّاك. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ٢٢٣، و أحكام القرآن للجصّاص: ج ١ ص ٤٥٠.

(٢) قاله ابن زيد. راجع تفسير الطبري: ج ٢ ص ٦٠٧، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ٣١٣.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِن بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّٰلِمِينَ﴾ (٢٤٦)

﴿ٱلْمَلَإِ﴾: الجماعةُ الأَشرافُ من الناسِ؛ لأَنَّ هيبتَهم تملأُ الصُدور ﴿مِن بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾ من بعد وفاته ﴿إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾ هو يوشع أو شمعون أَو إِشمُوئيلُ وهو الأَعرف ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكاً﴾ أَنهِض للقتال معنا أَميراً ننتهي إِلى أَمره ﴿نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ونَصْدُرْ في تدبير الحرب عن رأْيه ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ﴾ أَي: لعَلَّكم إِن فُرِضَ عليكم القتالُ مع ذلك الملِك أَلَّا تُقاتِلُوا وتَجْبُنوا، بمعنىٰ: أَتَوَقَّعُ جُبْنَكم عن القتال، فأَدْخَلَ ﴿هَلْ﴾ مُستفهماً عمَّا هو متوقَّعٌ عنده ومظنون، وأَراد بالاستفهام التقريرَ وأَن يُثْبِتَ أَنَّ الْمُتَوَقَّعَ كائنٌ، قالوا: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وأَيُّ داعٍ لنا إِلىٰ تركِ القتال، وأَيُّ غرضٍ لنا فيه ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ وذلك أَنَّ قوم جالوت كانوا يَسْكُنُونَ ساحلَ بحر الرومِ بينَ مصر وفِلِسطينَ فأَسَرُوا من أَبناء ملوكهم أَرْبَعمائَةٍ وأَربعين ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾ كان عددهم ثلاثَمائَةٍ وثلاثةَ عَشَرَ علىٰ عددِ أَهلِ بدرٍ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّٰلِمِينَ﴾ وعيدٌ لهم علىٰ ظلمهم في ترك الجهاد والقعود عن القتال.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ

ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٤٧)

﴿طَالُوتَ﴾ اسمٌ أعجميٌّ كجالوت وداود فيه سببان: التَعريفُ والعجمةُ ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ﴾ كيف يكون، ومن أين يكون، وهو إنكارٌ لتملّكِه عليهم، والمعنىٰ: كيف يَتَمَلَّكُ علينا والحال أنَّه لا يَسْتَحِقُّ التَملُّك لوجود مَن هو ﴿أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾، وأنّه فقيرٌ ولابدّ لِلمَلِكِ من مالٍ يتقوّىٰ به؟ وإنّما قالوا ذلك لأَنَّ النبُوَّةَ كانت في سبطِ لاوي بن يعقوبَ والمُلْكَ في سبط يَهودا، ولم يكن طالُوت من أحدِ السبطَيْنِ ﴿قالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ﴾ أي: اختاره ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وهو أعلمُ بِالمصالحِ منكم، ثمَّ ذَكَرَ سبحانه خَصْلَتيْنِ هما أعلى رتبةً في الفضل من النسب والمال وهما: العلمُ المبسوطُ والجَسامةُ، فقالَ: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً﴾ أي: سعةً وامتداداً ﴿فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ وكان أعلمَ بني إسرائيلَ في وقته وأتَمَّهم جسماً وأشجعَهم ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ أي: الملك له فهو يعطيه من يشاء ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ الفضل والعطاءِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يَصْطَفيه للرئاسةِ والمُلكِ.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢٤٨)

﴿ٱلتَّابُوتُ﴾ صُندوقُ التوراة، وكان موسىٰ عليه السلام إذا قاتل قوماً قدَّمه، وكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرّون، و «السكِينَةُ»: السكونُ والطمَأْنينةُ، وقيل: هي صورة كانت فيه من زَبَرْجَدٍ أَو ياقوتٍ لها جَناحانِ ورأْسٌ كرأسِ الهِرِّ وذَنَبٌ كَذَنَبه فَيَزِفُّ التابوتُ نحوَ العَدُوِّ وهم يَمْضونَ معه، فإذا اسْتَقَرَّ ثَبَتُوا وَسَكَنُوا ونزلَ

النَصر[١]، وعن عليّ عليه السلام: كانت فيه ريحٌ هفّافَةٌ من الجنَّة ولها وجهٌ كوجهِ الإنسان[٢] ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ﴾ هي: عصا موسى ورُضاضُ الألواح وشيءٌ من التوراةِ، وكان قد رَفَعَهُ اللهُ بعدَ موسىٰ فَنَزَلَتْ به الْملائكَةُ ﴿تَحْمِلُهُ﴾ وهم ينظرون إليه، كان ذلك آيةً لاصطفاءِ اللهِ طالوتَ، وَ ﴿ءَالُ مُوسَىٰ﴾ وَ ﴿ءَالُ هَـٰرُونَ﴾ الأَنبياء من بَني يعقوب بعدَهما؛ لأَنَّ عِمرانَ هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوبَ فكان أَولادُ يعقوب آلَهما، ويجوز أَن يُراد ممَّا تَرَكَه موسىٰ وهارون و «آل» مُقْحَمٌ.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ (٢٤٩)

﴿فَصَلَ﴾ عن موضعٍ كذا: إِذا انفصل عنه وجاوزَه، وأَصلهُ فَصَلَ نَفسَه ثمَّ كَثُرَ حذفُ المفعولِ حتَّىٰ صارَ في حكمِ اللازِم، ومعناه: انفصل عن البلدِ ﴿بِالْجُنُودِ﴾ وكانوا ثلاثين أَلفَ مُقاتِلٍ، وقيلَ: سبعينَ أَلفاً[٣] ﴿قَالَ﴾ طالوتُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾ أَي: مُختَبِرُكُمْ ﴿بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ﴾ من النهر بأَن كَرَعَ في مائِه ﴿فَلَيْسَ مِنِّى﴾ أي:

---

(١) قاله مجاهد. راجع تفسيره: ص ٢٤٢، وعنه القرطبي في تفسيره: ج ٣ ص ٢٤٩.
(٢) حكاه عنه عليه السلام الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ٢٩٢ روايةً، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٣١٥، والبغوي في تفسيره: ج ١ ص ٢٢٩.
(٣) قاله ابن عباس علىٰ ماحكاه عنه أبو حيان في البحر المحيط: ج ٢ ص ٢٦٤، ونسبه المصنّف في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٣٥٥ الى مقاتل.

ليس من جُمْلَتي وأَشياعي ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ أَي: لم يَذُقْهُ ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ يقال: طَعِمَ الشيء: إذا أَذاقه ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ﴾ استثناءٌ من قوله: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى﴾ ومعناه: الرُخْصَةُ في اغتراف الغُرْفَةِ باليد دونَ الكُرُوعِ، يَدُلُّ عليه قوله: ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ﴾ أي: فكَرَعُوا فيه ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وقُرِئَ: «غَرْفَةً» بفتح الغينِ[1] وضمِّها، فالفتح بمعنى المصدرِ والضمُّ بمعنى المغروفِ، وقيل: لم يبق مع طالوتَ إلَّا ثلاثمِائَة وثلاثة عَشَرَ رجلاً[2] ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ﴾ أَي: تَخطَّى النهْرَ طالوتُ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ يعني: القليلَ من أَصحابِه ورأَوْا كثرةَ عددِ جنودِ جالوتَ ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا﴾ قيل: إِنَّ الضمير في ﴿قَالُواْ﴾ للكثير الَّذين شَرِبُوا وانْخَزَلوا[3]، وَ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ هم القليل الَّذين ثَبَتُوا معه وتَيَقَّنُوا ﴿أَنَّهُم﴾ يَلْقَوْنَ اللهَ ﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾ أَي: فرقةٍ ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بنصر اللهِ لأَنَّه إِذا أَذِنَ في القتالِ نَصَرَ فيه.

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (٢٥١)

---

(١) قرأه ابن عباس وابن كثير ونافع وأبو عمرو ومجاهد والأعرج وأبان. راجع الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٢٦٣، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٣٦، وإعراب القرآن للنحّاس: ج ١ ص ٢٧٩، والسبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٨٧، والحجة في القراءات لأبي زرعة: ص ١٤٠، والبحرالمحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٢٦٢.

(٢) حكاه الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ٢٩٥ عن الفراء والحسن وقتادة والربيع.

(٣) حكاه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٢٩٦.

أَي: ظهروا ﴿لِـ﴾ محاربة ﴿جَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا﴾ أَي: صُبَّ علينا ﴿صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ أَي: وفِّقْنا لِلثبوت عند مَداحِضِ الْحَرْبِ بتَقويةِ القلوبِ وإلقاءِ الرُّعبِ في قلوب الأَعداء، وكان ايشا أَبو داود في عسكر طالُوتَ مع ستَةٍ من بَنيه أَو عشرةٍ، وكان ﴿دَاوُدُ﴾ أَصغرَهم يرعى الغنم، فَبَعَثَ طالُوتُ إلى ايشا أَنِ احْضُرْ وأَحْضِرْ ولدَك، فجاءَ ومعه ولده، فَمَرَّ داوُدُ في طريقِه بثلاثةِ أَحجارٍ دعاه كلُّ واحد منها أَن يحملَه وقال: إِنَّكَ تَقْتُلُ بنا جالوتَ، فحملها في مِخْلاتِه ورَمَى بها ﴿جَالُوتَ﴾ فَقَتَلَه، وزَوَّجَه طالوتُ بنتَه ﴿وَءَاتَـٰـهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ في الأَرض المقدَّسةِ، وما اجتمعت بنو إسرائيل على مَلِكٍ قطّ قبل داود ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ والنُّبُوَّةَ ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَآءُ﴾ من صنعة الدروع وكلامِ الطيرِ والنملِ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ ولولا أَن يَدْفَعَ اللهُ بَعْضَ النّاسِ ﴿بِبَعْضٍ لَّـ﴾ غَلَبَ المفسدون و ﴿فَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ وبَطَلَتْ منافعُها، وقيل: ولولا أَنَّ اللهَ ينصر المسلمينَ على الكفّارِ لَعَمَّ الكفرُ ونزلَ العذابُ واستؤصل أَهلُ الأَرضِ[١].

﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (٢٥٢)

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى القصص الَّتي اقْتَصَّها من حديث إماتةِ الأُلوف من الناسِ وإحياءِهم وتمليكِ طالوتَ ونُزولِ التابوتِ وغلبةِ الجبابرةِ على يد صبيٍّ ﴿ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ﴾ دَلالاته على كمال قدرته نَقْرَأُها ﴿عَلَيْكَ﴾، و﴿تِلْكَ﴾ مبتدأٌ و ﴿ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ﴾ خبرُه و ﴿نَتْلُوهَا﴾ حالٌ، ويجوز أَن تكون ﴿ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ﴾ بدلاً من ﴿تِلْكَ﴾ و ﴿نَتْلُوهَا﴾ الخبر، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ باليقين الَّذي لا يَشُكُّ فيه أَهلُ الكتاب لأَنَّه[٢] في كتبِهم كذلك ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ حيث تُخْبِرُ بها من غير أَن تَعرِفَ بِقِراءَةٍ

---

(١) قاله مجاهد والربيع. راجع تفسير الطبري: ج ٢ ص ٦٤٦.

(٢) في بعض النسخ: لأَنّ.

وكتابةٍ.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (٢٥٣)

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ إشارة إلى الرسل الّتي ذكرت قصصها في السُورة، أَو الّتي ثبت علمها عند رسول الله صلّى الله عليه وآله ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ لما أَوجب ذلك من تفاضلهم في مراتبهم ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ أَي: فَضَّلَه الله بأَن كَلَّمَه من غير سفير، وهو موسىٰ عليه السلام ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ﴾ أَي: ومنهم من رفعه علىٰ سائر الأَنبياءِ، فكان بعد تفاوتهم في الفضل أَفضل منهم بدرجاتٍ كثيرةٍ، وهو محمَّد صلوات الله عليه وآله لأَنـّه المفضَّل عليهم حيث أُوتِيَ مالم يُؤْتَه أَحدٌ من المعجزات الموفية على أَلف وأَكثر، وبُعِثَ إِلى الإنس والجنِّ، وخُصَّ بالمعجزة القائِمة إِلىٰ يوم القيامة وهي القرآن، وفي هذا الإِبهام من تعظيم شأْنه وإِعلاءِ مكانه مالا يخفىٰ، لأَنَّ فيه أَنـّه العلم الّذي لا يشتبه والمشهور الّذي لا يخفىٰ ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ كإِحياءِ الموتى وإِبراءِ الأَكمه والأَبرص ﴿وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ تقدَّم تفسيره[1] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مشيَّةَ إِلجاءٍ وقَسْرٍ ﴿مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِن﴾ بَعْدِ الرسل لاختلافهم في الدين وتكفير بعضهم بعضاً ﴿وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾ لالتزامه دين الأَنبياءِ ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ لإِعراضه عنه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ

(١) تقدَّم في ص٨٣، فراجع.

﴿مَا ٱقْتَتَلُواْ﴾ كرَّره للتأكيد ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من الخذلان والعصمة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ (٢٥٤)

﴿أَنفِقُواْ ... مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ لا تقدرون فيه علىٰ تدارك مافاتكم من الإنفاق؛ لأنّه ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ حتّى تبتاعوا ماتنفقونه ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ حتّى يسامحكم أخِلّاؤكم به ﴿وَلَا شَفَـٰعَةٌ﴾ عامٌّ يراد به الخاصّ بلا خلافٍ؛ لأنَّ الأُمّة اجتمعت علىٰ إثبات الشفاعة يوم القيامة وإن اختلفوا في كيفيّتها ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ لأنَّ الكفر هو غاية الظلم.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ (٢٥٥)

﴿ٱلْحَىُّ﴾ الّذي يصحُّ أن يكون قادراً عالماً وهو الباقي الّذي لا يتطرّق إليه الفناءُ، و﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظهم ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ وهو مايتقدّم النوم من الفتور الّذي يسمّى النعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ وهو تأكيد لـ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ وبيان له؛ لأنَّ من جاز عليه النوم والسِنة لا يكون قيّوماً ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يملكهما ويملك تدبير مافيهما ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ بيان لكبريائه وملكوته بأنَّ أحداً لا يملك أن يتكلّم يوم القيامة إلّا إذا أذن له في الكلام ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الضمير لـ﴿مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لأنَّ فيهم العقلاءَ، أو لما دلَّ عليه ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى﴾ من الملائكة والأنبياءِ، أي: يعلم

ماكان قبلهم وما يكون بعدهم، ويعلم أحوالهم والمرتضىٰ منهم للشفاعة وغير المرتضى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ أي: معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أي: بما علَّم وأَطْلَعَ عليه، والإحاطة بالشيءِ علماً أن يعلم كما هو على الحقيقة ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ أَي: علمه ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ رُوِي ذلك عنهم عليهم السلام [1]، وسمّي العلم كُرسِيّاً تسميةً بمكانه الَّذي هو كرسيُّ العالم، وقيل: كرسيُّه ملكه تسميةً بمكانه الَّذي هو كرسيُّ الملك [2]، وقيل: الكرسيُّ سرير دونَ العرش دونه السَماوات والأَرض [3]، ترتَّبت هذه الجمل من غير حرف عطف؛ لأَنَّ كلَّ جملة منها واردة علىٰ سبيل البيان لما ترتَّبت عليه، والبيان متَّحد بالمبيَّن، فالأَولىٰ أَن لا يتوسَّط بينهما حرف عطف ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ لا يثقله ولا يشقُّ عليه حفظ السماوات والأَرض ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ الشأْن ﴿الْعَظِيمُ﴾ الملك.

ورُوِيَ عن أَميرالمؤمنين عليه السلام قال: «سَمِعتُ نبيَّكم علىٰ أَعواد المِنبر وهو يقول: من قرأَ آية الكرسيِّ في دُبر كلِّ صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنَّة إلّا الموتُ، ولا يواظب عليها إلّا صدِّيق أَو عابد، ومن قرأَها إذا أَخذ مَضجَعه آمَنَهُ الله على نفسه وجاره وجار جاره والأَبيات حوله» [4].

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٥٦)

---

(١) رواه الصدوق في التوحيد: ص ٣٢٧ ب ٥٢ ح ١، والشيخ في التبيان: ج ٢ ص ٣٠٩.

(٢) حكاه الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٣٢٥، والبغوي أيضاً في تفسيره: ج ١ ص ٢٤٠.

(٣) قاله أبو هريرة كما في تفسير البغوي: ج ١ ص ٢٣٩، وحكاه الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ٣٠٩ وقال: وقد روي ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام.

(٤) أخرجه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ مرسلاً، وأورده المصنّف في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٣٦٠.

يعني: أَنَّ أُمور الدين جارية على التمكُّن والاختيار لا على القسر والإجبار، ونحوه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية(١)، أَي: لو شاءَ لأَجبرهم على الإيمان لكنَّه لم يفعل وبنى الأَمر على الاختيار، وقيل: هو بمعنى النهي أَي: لاتكرهوا ﴿فِى ٱلدِّينِ﴾(٢)، ثمَّ قالوا: هو منسوخ بآية السيف(٣)، وقيل: هو مخصوص بأَهل الكتاب إذا أَدّوُا الجزية(٤) ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ قد تميَّز الإيمان من الكفر بالدلائل النيِّرة ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ﴾ أَي: بالشيطان والأَصنام ﴿وَيُؤْمِن بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾ بالعصمة الوثيقة ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ لا انقطاع لها، وهذا تمثيل لما يعلم بالنظر والاستدلال بالمشاهَد المحسوس الَّذي ينظر إليه عِياناً.

﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ (٢٥٧)

﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ﴾ يريدون أَن يؤْمنوا يلطف بهم حتَّى ﴿يُخْرِجُهُم﴾ بلطفه وتوفيقه من ظلمات الكفر إِلىٰ نور الإيمان، أَو يخرجهم من الشُبه في الدين إن وقعت لهم بما يوفِّقهم له من حلِّها حتَّىٰ يخرجوا منها إِلىٰ نور اليقين ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أَي: صمَّموا على الكفر فأَمرهم على العكس ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ﴾ الشياطين

---

(١) يونس: ٩٩.

(٢) حكاه الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٣٨.

(٣) وهو قول ابن مسعود علىٰ ماحكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٢٤٠.

(٤) قاله الحسن وقتادة والضحّاك وعطاء. أُنظر التبيان: ج ٢ ص ٣١١، وتفسير الحسن البصري: ج ١ ص ١٨٧، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٢٤٠، وأحكام القرآن للجصّاص: ج ١ ص ٤٥٢.

يتولّون أُمورهم ﴿يُخْرِجُونَهُم﴾ من نور البيّنات إلىٰ ظلمات الشكّ والشرك.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٢٥٨)

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعجيب من محاجّة نمرود في الله وكفره به ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ متعلّق بـ﴿حَآجَّ﴾ أي: لأن آتاه الله المُلك، علىٰ معنىٰ: أَنَّ إيتاءَ المُلك أورثه البَطَرَ والعُتُوَّ فحاجَّ لذلك، أَو وضع المحاجَّةَ في ربِّه موضعَ ماوجب عليه من الشكر علىٰ إيتاءِ المُلك، نحو قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[(١)]، ويجوز أَن يكون المعنىٰ: حاجَّ وقت أَن آتاه الله الملك، ومعنى «آتاه الملك»: أَنـّه آتاه ماغَلَبَ به وتملَّك من الأَموال والخَدَمِ والأَتباع ﴿إِذْ قَالَ﴾ نصب بـ﴿حَآجَّ﴾ أَو بدل من ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ﴾ إذا جعل بمعنى الوقت[(٢)] ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ يريد أُخلّي من وجب عليه القتل وأُميت بالقتل، الصادق عليه السلام قال: «إِنَّ إبراهيم عليه السلام قال له: فأَحْيِ مَنْ قَتَلْتَهُ إِنْ كُنْتَ صادقاً ثمَّ استظهر عليه بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾»[(٣)] انتقل إلى مالايقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهتَه، وهذا دليل علىٰ جواز الانتقال من حجَّة إلىٰ حجَّة.

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ

(١) الواقعة: ٨٢.

(٢) راجع تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٤٩٨.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٣٩ ح ٤٦٤، وعنه البرهان: ج ١ ص ٢٤٦، وتفسير الصافي: ج ١ ص ٢١٧، وأورده المصنّف في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٣٦٧.

هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٥٩)

﴿أَوْ كَالَّذِى﴾ معناه: أو أرأيت مثل الَّذي مرَّ، فَحُذِفَ لدلالة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ عليه؛ لأنَّ كلتيهما كلمة تعجيب، ويجوز أن يُحْمَلَ على المعنى كأنَّه قيل: أرأيت كالَّذي حاجَّ إبراهيم ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ والمارُّ عُزَير أو ارمياء، أراد أن يعاين إحياءَ الموتى ليزداد بصيرة ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِى هَـٰذِهِ ٱللَّهُ﴾ هذا اعترافٌ بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء واستعظامٌ لقدرة المحيي، والقرية: بيت المقدس حين خرَّبه بختَنَصَّر، وقيل: هي القرية الَّتي خرج منها الألوف حذر الموت[١] ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي: ساقطة علىٰ أبنيتها وسقوفها كأنَّ سقوفَها سقطت ثُمَّ وقعت البنيان عليها، قال: كَيْفَ يُحْيِي اللهُ هذه القريةَ بعدَ خَرابِها؟ أطلق لفظ «القرية» وأراد أهلها، وأحبَّ أن يُرِيَهُ الله إحياءَها مشاهدةً ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ رُوِيَ: أنَّه مات ضُحىً وبُعِثَ بعد مائة سنةٍ قبل غيبوبة الشمس، فقال قبل النظر إلى الشمس: ﴿لَبِثْتُ يَوْماً﴾ ثُمَّ التفت فَرَأَىٰ بقيَّةً من الشمس فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[٢]، ورُوِي: أنَّ طعامَه كان تيناً وعنباً وشرابَه عصيراً أو لبناً، فوجد التينَ والعنبَ كما جُنِيا والشرابَ علىٰ حاله[٣] ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي: لم تغيِّره السنون،

(١) قاله ابن زيد كما حكاه عنه القرطبي في تفسيره: ج ٣ ص ٢٨٩.

(٢) رواه الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ٣٢٣، والبغوي في تفسيره: ج ١ ص ٢٤٥.

(٣) رواه الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٣٣٢، وانظر تفسير العياشي: ج ١ ص ١٤٠ ـ ١٤١ ح ٤٦٦.

والهاء أَصليَّة أَو هاء سكت، واشتقاقه من «السَّنة» على الوجهين؛ لأَنَّ لامها هاءٌ أَو واو، وذلك أَنَّ الشيءَ يتغيَّر بمرور الزمان عليه، وقيل: أصله يتسنَّن من الْحَمَأ الْمَسْنونِ فقُلِبَت نونه حرف علَّة كتقضّي البازي[1] ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ كيف تفرَّقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه، ويجوز أَن يكون المراد: وانظر إِليه سالماً في مكانه كما ربطته وذلك من أَعظم الآيات ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ فعلنا ذلك، يريد: إِحياءَهُ بعد الموت وحفظ طعامه وشرابه، وقيل: إِنَّه أَتىٰ قومه راكب حماره وقال: أَنا عُزَيْرٌ، فكذَّبوه، فقال: هاتوا التوراة، فأَخذ يهذُّها هذّاً[2] عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفاً، فقالوا: هو ابن الله[3]، ولم يقرأ التوراة ظاهراً أَحد قبل عُزَيْرٍ، فذلك كونه آية ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾ وهي عظام الحمار أَو عظام الموتَى الَّذين تعجَّب من إِحيائِهم ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ نُحييها، و«نَنشرها»[4] من نَشَرَ الله الموتى بمعنىٰ: أَنشرهم، و﴿نُنشِزُهَا﴾ بالزاي أي: نحرّكها ونرفع بعضها إِلىٰ بعض للتركيب، وفاعل ﴿تَبَيَّنَ﴾ مضمر تقديره: فلمّا تبيَّن له أَنَّ الله علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فحذف الأَوَّل لدلالة الثاني عليه، نحو قولهم: ضربني وضربت زيداً، ويجوز أَن يكون المعنىٰ: فلمَّا تبيَّن له ماأُشكل عليه، وقُرِئَ: «قال اعْلَمْ» علىٰ لفظ الأَمر[5] كأَنَّه

---

(١) حكاه الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٤٣ عن بعض النحويين ولم يختاره، ونسبه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٢٤٥ الى أبي عمرو.

(٢) الهذّ: الإسراع في القطع وفي القراءة. (الصحاح والقاموس المحيط: مادة هذذ).

(٣) رواه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٣٠٧.

(٤) قرأه ابن عباس وأبو حيوة وابن كثير ونافع وأبو عمرو والحسن والنخعي وأبان. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٣٣٢، والكشّاف: ج ١ ص ٣٠٧، والسبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٨٩، ومعاني القرآن للأخفش: ج ١ ص ١٨٢، والبحر المحيط: ج ٢ ص ٢٩٣.

(٥) قرأه حمزة والكسائي وأبو رجاء وابن عباس وأبو عبدالرحمن. راجع الحجة في علل ←

خاطب نفسه، كقول الأعشى (١):

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ (٢)

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٦٠)

﴿رَبِّ أَرِنِي﴾ أي: بصِّرْني ﴿كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ قال له ذلك سبحانه وقد علم أنّه أثبت الناس إيماناً؛ ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة للسامعين، وهذا ألفُ استفهامٍ المرادُ به التقريرُ ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ هو إيجاب بعد النفي معناه: بلىٰ آمنت ﴿وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ ليزيد سكوناً وطُمَأْنينَةً بأن يضامَّ العلمُ الضروريّ العلمَ الاستدلالي، وتظاهر الأدّلة أزيد للبصيرة واليقين، وأراد بطُمَأْنينَةِ القلب: العلم الّذي لا مجال فيه للشكِّ، واللام تعلّقت بمحذوفٍ تقديره: سألت ذلك لَيطمئِنَّ قلبي ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ طاوُوساً وديكاً وغراباً

← القراءات السبع لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٢٨٨، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٨٩، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٣١٢، والحجة في القراءات لأبي زرعة: ص ١٤٤، والبحر المحيط: ج ٢ ص ٢٩٦.

(١) هو ميمون بن قيس، ولد في قرية منفوحة من اليمامة في قومه بني قيس بن ثعلبة، وهم بطن من بطون بكر بن وائل بن ربيعة، عُرِفوا بالفصاحة فنشأ علىٰ فصاحتهم، وكان أعشى العينين فلقِّب بالأعشىٰ، وكنِّي بأبي بصير تفاؤلاً له بشفاء بصره أو لنفاذ بصيرته، سكن الحيرة وكان يتردّد على النصارىٰ فيها، له ديوان شعر، ولاميته معروفة التي مطلعها:

ودِّع هُريرةَ إنَّ الركبَ مرتحلُ وهل تُطيقُ وداعاً أيها الرجلُ

(الكنىٰ والألقاب: ج ٢ ص ٣٧).

(٢) وعجزه: وهل تطيق وداعاً أيّها الرجل. راجع ديوان الأعشىٰ: ص ١٧، وخزانة الأدب: ج ٦ ص ٤٨٤ و ج ٨ ص ٣٩٣.

وحَمامةً ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بضمِّ الصاد وكسرها(١) بمعنى: فَأَمِلْهُنَّ واضْمُمْهُنَّ إِليك ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً﴾ أي: فَجزِّئْهُنَّ وفرِّق أجزاءَهُنَّ على الجبال الَّتي بحضرتك وفي أَرضك، وكانت أَربعة أَجْبُلٍ ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ وقل لهنَّ: تعالَيْنَ بإِذْنِ الله ﴿يَأْتِينَكَ سَعْياً﴾ أَي: ساعياتٍ مسرعاتٍ في طيرانِهنَّ أَو في مشيِهنَّ علىٰ أَرجُلِهنَّ.

ورُوِيَ: أَنَّه أُمر بأَن يذبحَها وينتفَ ريشها ويُقَطِّعَها ويفرِّق أَجزاءَها ويُخَلِّطَ ريشَها ودِماءَها ولحومَها وأَن يُمسِكَ رُؤُوسها، ثمَّ أُمر بأَن يجعلَ أَجزاءَها علىٰ الجبال علىٰ كلِّ جبل رُبْعاً من كلِّ طائرٍ، ثمَّ يصيحَ بها: تَعالَيْنَ بِإِذْنِ الله، فجعل كلُّ جزءٍ يطير إِلى الآخر حتَّىٰ صارت جُثَثاً، ثمَّ أَقْبَلْنَ فَانْضَمَمْنَ إِلى رؤُوسِهنَّ كلّ جثَّة إِلى رأْسها(٢).

وقُرِئ: «جُزُؤاً» بضمَّتين(٣)، و«جُزّاً» بالتَشديد(٤)، ووجهه: أَنَّه خُفِّفَ بطرح همزته ثمَّ شُدِّدَ كما يشدَّد في الوقف إِجراءً للوصل مجرى الوقف.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ

(١) وهي قراءة ابن عباس وحمزة وأَبي جعفر. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٣٣٤، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٢٤٨، والبحر المحيط لأَبي حيان: ج ٢ ص ٣٠٠.

(٢) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٣٩٧ ب ٧ في معجزات الامام الصادق عليه السلام، وعنه كشف الغمة: ج ٢ ص ٢٠٠، والبحار: ج ٤٧ ص ١١١ ح ١٤٨.

(٣) قرأه شعبة وعاصم برواية أبي بكر. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ٢٤٨، والتذكرة لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٣٩، والحجة في القراءات لأَبي زرعة: ص ١٤٥، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٢٤٧، والبحر المحيط لأَبي حيان: ج ٢ ص ٣٠٠.

(٤) قرأه أبو جعفر. انظر تفسير البغوي: ج ١ ص ٢٤٨، وكتاب الاملاء للعكبري: ج ١ ص ٦٥، والمحتسب لابن جنّي: ج ١ ص ١٣٧، والبحر المحيط لأَبي حيان: ج ٢ ص ٣٠٠.

عَلِيمٌ﴾ (٢٦١)

لابدَّ من تقدير حذف مضاف، أي: ﴿مَثَلُ﴾ نفقة ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾، أَو مثلهم كمثل باذر حبَّة، والمنبت هو الله ولكنَّ الحبَّة لمَّا كانت سبباً أُسْنِدَ إليها الإنبات كما يُسْنَدُ إلى الأرض وإلى الماءِ، وهذا التمثيل تصوير لمضاعفة الحسنات كأنَّها موضوعة بحذاءِ العين ﴿وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ أَي: يزيد على سبعمائة ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ المقدرة ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحقُ الزيادة.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَايُتْبِعُونَ مَآأَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ (٢٦٣)

المنُّ: أَن يَعْتَدَّ على من أَحسن إليه بإحسانه ويُرِيَهُ[1] أَنَّه أَوجب عليه حقّاً له، والأَذى: أَن يَتَطاوَلَ عليه بسبب ماأَسدَى إليه، ومعنى ﴿ثُمَّ﴾: إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المنِّ والأَذى وأَنَّ تركهما خير من الإنفاق كما جُعِلَ الاستقامة على الإيمان خيراً من الدخول فيه بقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾[2]. ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ ردٌّ جميلٌ ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ وعفوٌ عن السائِل إذا وجد منه مايثقل على المسؤول، أَو نيلُ مغفرةٍ من الله بسبب الردِّ الجميل، أَو عفو من جهة السائِل؛ لأَنَّه إذا ردَّه ردّاً جميلاً عذره ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾ لا حاجة به إلى منفقٍ يَمُنُّ ويُؤْذي ﴿حَلِيمٌ﴾ عن المعاجلة بالعقوبة، وفيه ذَرْوٌ من الوعيد.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَايُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ

---

(١) في نسخة: يريد. (٢) فصِّلت: ٣٠، والاحقاف: ١٣.

تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (٢٦٤)

﴿كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ﴾ معناه: ﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ ﴿كَـ﴾ إبطال المنافق ﴿ٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ لا يريد بإنفاقه رضاءَ اللهِ وثوابَ الآخِرة ﴿فَمَثَلُهُ﴾ أَي: مثله ونفقته الَّتي لا ينتفع بها أَلبتَّة ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ أَي: حجرٍ أَملسَ ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ مطر عظيم القطر ﴿فَتَرَكَهُ صَلْداً﴾ أَجردَ نقيّاً من التراب الَّذي كان عليه ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ أَي: لا يحصُلون ممَّا أَنفقوه من ثوابه علىٰ شيءٍ كما لا يَحصُل أَحد علىٰ شيءٍ من التراب الَّذي أَذهبه المطر من الحجر الصلد، ويجوز أَن يكون الكاف في محلِّ النصب على الحال، أَي: ﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم﴾ مماثلين ﴿ٱلَّذِي يُنفِقُ﴾، وأَراد بـ ﴿ٱلَّذِي يُنفِقُ﴾ الجنس أَو الفريق الَّذي ينفق، فلذلك قال بعده: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢٦٥)

﴿وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ معناه: وليثبِّتُوا من أنفسهم ببذل المال الَّذي هو أَخو الروحِ، وبذله أَشقُّ على النفس من أَكثر العبادات الشاقَّة، ويجوز ان يراد: وتصديقاً للإسلام وتحقيقاً للجزاءِ من أَصل أَنْفُسهم؛ لأَنَّه إِذا أَنفق المسلمُ مالَه في سبيلِ اللهِ عُلِمَ أَنَّ تصديقَه بالثواب من أَصل نفسه وإِخلاص قلبه، و ﴿مِّنْ﴾ على التفسير الأَوَّل للتبعيض مثلها في قولهم: «هَزَّ من عِطْفِه»[1]، ومعنى التبعيض: أَنَّ من بذل

---

(١) هزَّ من عِطفه: أَي هيّجه للعمل.

ماله فقد ثبَّت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبَّتها كلَّها، وعلى الآخر لابتداءِ الغاية كقوله: ﴿حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [(١)]، والمعنى: ﴿وَمَثَلُ﴾ نفقة هؤلاءِ ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ أي: بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ بمكان مرتفع، وخصَّها لأَنَّ الشجر فيها أزكى وأحسن ثمراً ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ مطر عظيم القطر ﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا﴾ ثمرتها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ مثلَيْ ماكانت تُثمِر بسبب الوابل ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ فمطر صغير القَطر يكفيها لكرم منبِتِها، أَو مُثِّلَ حالُهم عند الله بالجنَّة على الربوة ونفقتُهم الكثيرةُ والقليلة بالوابلِ والطلِّ، وكما أَنَّ كلَّ واحد من المطرين يضعِّف أُكُلَ الجنَّة فكذلك نفقتُهم كثيرةً كانت أَو قليلةً زاكيةٌ عندالله.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٦٦)

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ الهمزة للإنكار، والواو في قوله: ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ للحال لا للعطف، ومعناه: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ وقد ﴿أَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾، والإعصار: الريح الَّتي تستدير ثمَّ تسطع نحوَ السماء كالعمود، وهذا مثل لمن يعمل الأَعمالَ الحسنةَ لا يبتغي بهاوجهَ الله تعالى، فإِذاكان يوم القيامة وجدها مُحبَطَةً لا ثواب عليها فيتحسَّر عند ذلك حسرةَ من كانت له جنَّة مِن أَبهجِ الجنان وأَبهاها وفيها أَنواع الثمار فبلغه ﴿ٱلْكِبَرُ وَلَهُ﴾ أَولاد ﴿ضُعَفَآءُ﴾ والجنَّة معاشهم فهلكت بالصاعقة.

---

(١) البقرة: ١٠٩.

قال الحسن: هذا مثلٌ قلَّ واللهِ من يَعقله من الناس: شيخ كبيرٌ ضَعُفَ جسمُه وكثُرَ صبيانُه أَفقر مايكون إلىٰ جنَّة، وإنَّ احدكم والله أَفقر مايكون إلىٰ عـمله إذا انقطعت عنه الدُّنيا[1].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَاكَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَاتَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ (٢٦٧)

﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَاكَسَبْتُمْ﴾ أَي: من جِيادِ مكسوباتِكم وخيارِها، وقيل: من حلالها[2] ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ من الغلّات والثمار[3]، والمعنىٰ: ومن طيِّبات ما أَخرجنا لكم، إلّا أَنَّه حُذِفَ لأَنَّه ذُكِرَ الطيِّباتُ قبلُ ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ﴾ ولا تقصدوا المال الرديَّ ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ أَي: تخصُّونه بالإِنفاق، وهو في محلِّ الحال ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ أَي: وحالكم أَنَّكم لا تأْخذونه في حقوقكم ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ أَي: إلَّا بأَن تتسامحوا في أَخذه وتترخَّصوا فيه، من قولهم: أَغْمَضَ فلانٌ عن بعضِ حقِّه: إذا غضَّ بصرَه، ويقال: أَغْمَضَ البائِعُ إذا لم يستقص كأَنَّه لا يبصر، وعن ابن عبّاس: كانوا يتصدَّقون بحشف[4] التمر فنهوا عنه[5].

﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨) يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ

---

(١) راجع تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ١٩٥.

(٢) قاله ابن مسعود ومجاهد وابن زيد وسعيد بن جبير وابن مغفل. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ٢٥٣، وتفسير القرطبي: ج ٣ ص ٣٢١، والدر المنثور: ج ٢ ص ٦٢.

(٣) في نسخة زيادة: والمعادن.

(٤) في نسخة: بحشو.

(٥) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٣١٥، وأخرجه السيوطي عن ابن جرير عنه كما في الدر المنثور: ج ٢ ص ٦١.

ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (٢٦٩)

﴿يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ بالإنفاق في وجوه البِرِّ وبإنفاق الجيِّد من المال، والوعد يستعمل في الخير والشرِّ ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَآءِ﴾ ويغريكم على البخل ومنع الزكوات إغراءَ الآمر للمأمورِ، والعرب تسمِّي البخيل فاحشاً كما قال طَرَفَةُ[1]:

أَرَى الْموتَ يَعْتامُ الْكِرامَ وَيَصْطَفِي   عَقِيلَةَ مالِ الْفاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ[2]

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ في الإنفاق ﴿مَّغْفِرَةً﴾ لذنوبكم وكفَّارةً لها ﴿وَفَضْلًا﴾ وأن يخلفَ عليكم أفضل مِمَّا أنفقتم، وقيل: وثواباً عليه في الآخرة[3]، ﴿يُؤْتِى الْحِكْمَةَ﴾ أي: يعطي اللهُ الحكمةَ، أي: العلمَ ويوفِّق للعمل به، والحكيم عند الله هو العالم العامِل، وقيل: الحكمة: القرآن والفقه[4]، وقُرِئَ: «ومن يُؤْتِ» بكسر التاءِ[5] بمعنى: ومن يؤْته الله الحكمة، و ﴿خَيْراً كَثِيراً﴾ تنكير تعظيم كأنَّه قيل: فقد أُوتِيَ أيَّ خير كثير ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ أي: العلماءُ الحكماءُ العُمّال.

---

(١) هو طرفة بن العبد بن سفيان البكري الوائلي؛ أبو عمرو، شاعر جاهلي، ولد في بادية البحرين سنة ٦٠ هـ، وتنقل في بقاع نجد، واتّصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه، ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر عامله على البحرين وعُمان يأمره فيه بقتله لأبياتٍ بلغ الملك أنّ طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر شاباً في هجر سنة ٨٦ هـ، من آثاره: ديوان شعر صغير. (الأعلام للزركلي: ج ٣ ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥، معجم الشعراء للمرزباني: ص ١٤٦، مناهل الأدب العربي: ص ٥٨).

(٢) راجع ديوان طرفة بن العبد: ص ٣٦، والكامل للمبرّد: ج ١ ص ٤٦٤، ولسان العرب: مادة (شدد).

(٣) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٥١.

(٤) قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية ومجاهد. راجع تفسير ابن عباس: ص ٣٩، وتفسير مجاهد: ص ٢٤٥، وتفسير الطبري: ج ٣ ص ٨٩ ـ ٩٠، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٢٥٦، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ٣٤٤، وتفسير القرطبي: ج ٣ ص ٣٣٠.

(٥) قرأه يعقوب والأعمش والزهري. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ٢٤، والمحتسب لابن جنّي: ج ١ ص ١٤٣، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٣٢٠.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٢٧٠) إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٧١)

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ في سبيل الله أو في سبيل الشيطان ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ في طاعةٍ أو في معصيةٍ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ لا يخفىٰ عليه فيجازي عليه بحسبه ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ الَّذين ينفقون أَموالهم في المعاصي، أَو يمنعون الزكوات، أَو لايوفون بالنذور، أَو ينذرون في المعاصي ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ ممَّن ينصرهم من الله ويمنع عنهم عذاب الله، و«ما» في ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾ نكرة، أَي: فنعم شيئاً إِبداؤُها، وقُرِئَ بكسر النون وفتحها[1]، ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾ أَي: تعطوها إِياهم مع الإِخفاءِ ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أَي: فالإِخفاءُ خير لكم، والمراد بالصدقات: المُتَطَوَّعُ بها لأَنَّ الأَفضل في الفرائِض الإِظهار، «ونُكَفِّرُ» قُرِئَ بالنون[2] مرفوعاً عطفاً على محلِّ مابعد الفاءِ، أَو على أَنَّه خبرُ مبتدأ محذوف أَي: ونحن نكفِّر، أَو علىٰ أَنَّه جملةٌ من فعل وفاعل مبتَدأَةٌ، ومجزوماً عطفاً علىٰ محلِّ الفاء وما بعده

(١) قرأه ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف والأعمش. راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٩١، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٤١، وإعراب القرآن للنحّاس: ج ١ ص ٢٩٠، والتيسير في القراءات للداني: ص ٨٤، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٣١٦، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٣٢٤.

(٢) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وعاصم برواية أبي بكر ويعقوب وابن محيصن واليزيدي وقتادة وابن أبي اسحاق والجحدري وشعبة. راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٩١، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٣١٦ ـ ٣١٧، والتيسير في القراءات للداني: ص ٨٤، والحجة في القراءات لأبي زرعة: ص ١٤٧ ـ ١٤٨، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٣٢٥.

لأنّه جواب الشرط، وقُرِئَ: ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالياء مرفوعاً والفعل لله أو للإخفاءِ «ويُكَفِّرَ» بالياءِ والنصب[١] بإضمار «أَنْ» ومعناه: إن تُخفوها يكن خيراً لكُمْ وأن يُكَفِّرَ عنكم، «وتُكَفِّرُ» بالتاءِ مرفوعاً[٢] ومجزوماً[٣] والفعل للصدقات.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَاتُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَاتُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَاتُظْلَمُونَ﴾ (٢٧٢)

أي: لايجب ﴿عَلَيْكَ﴾ أن تجعلَهم مهتدين إلى الانتهاء عمَّا نُهُوا عنه من المَنِّ والأذَى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك، وما عليك إلّا البلاغ ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ يلطف بمن يعلم أنَّ اللطف ينفع فيه فينتهي عمَّا نهي[٤] عنه ﴿وَمَاتُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ من مالٍ ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم، فلا تَمُنُّوا به على من تنفقونه عليه ولا تُؤذوه ﴿وَمَاتُنفِقُونَ﴾ أي: وليست نفقتكم ﴿إِلَّا﴾ لِـ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ ولطلب ماعنده فما بالكم تَمُنُّون بها وتُنفقونَ الخبيثَ الّذي لا يُتَوَجَّهُ بمثله إلى الله ﴿وَمَاتُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ ثوابُه أَضعافاً مضاعفةً، فلا عذر لكم في أن تَرغبوا عن الإنفاق وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَايَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَايَسْـَٔلُونَ

---

(١) وهي قراءة الحسن والأعمش والجعفي. راجع الكشّاف: ج ١ ص ٣١٦، والبحر المحيط: ج ٢ ص ٣٢٥.

(٢) قرأه ابن عباس وابن هرمز والمهدوي. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ٢٤، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٣٢٥.

(٣) وهي قراءة ابن عباس. راجع كتاب الاملاء للعكبري: ج ١ ص ٢٩١، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٣٢٥.

(٤) في بعض النسخ: نهوا.

﴿ٱلنَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٢٧٣)

الجارُّ يتعلَّق بمحذوف، والتقدير: اعمدوا ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ أو اجعلوا ما تُنفقونه للفقراءِ، ويجوز أن يكونَ خبرَ مبتدأ محذوف أي: صدقاتُكم للفقراءِ، و ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللهِ﴾ هم الَّذين أحصرهم الجهادُ ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لاشتغالهم به ﴿ضَرْباً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ للكسب، قيل: وهم أَصحاب الصُفَّة وهم نحوٌ من أربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائِر، فكانوا في صُفَّةِ المسجدِ ـ وهي سقيفتهُ ـ يتعلَّمونَ القرآنَ بالليلِ ويَرْضَخونَ النوى بالنهار، وكانوا يخرجون في كلِّ سريَّة يبعثها رسول الله ﷺ فمن كان عنده فضلٌ أتاهم به إذا أمْسَى[(١)]

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ أَي: مستغنين من أَجل تعفُّفهم عن المسألة ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ﴾ من صفرةِ الوجهِ ورثاثةِ الحالِ، أو الخضوعِ الَّذي هو شعار الصالحين ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافاً﴾ أَي: إلحاحاً، ومعناه: إن سأَلوا بتلطُّفٍ ولم يُلِحُّوا، وقيل: هو نفيٌ للسُّؤال والإلحاف جميعاً[(٢)] كقول امرئِ القيس[(٣)]:

---

(١) قاله السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٢٣٣، وذكره الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٣١٨.

(٢) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٥٧.

(٣) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، اشتهر بلقبه، واختلف في اسمه، فقيل: حُندج، وقيل: مليكة، وقيل: عدي، أشهر شعراء العرب على الاطلاق، يماني الأصل، ومولده بنجد نحو ١٣٠ قبل الهجرة، وقيل في مخلاف السكاسك باليمن، وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وأُمه أُخت المهلهل الشاعر، فلقّنه الشعر فقاله وهو غلام، وأخذ يعاشر صعاليك العرب فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته، ويعرف بالملك الضليل لاضطراب أمره طول حياته، وذي القروح لما أصابه في مرض موته، مات في أنقرة نحو سنة ٨٠ قبل الهجرة عند عودته من أرض الروم. (تاريخ ابن عساكر: ج ٣ ص ١٠٤، والأغاني: ج ٩ ص ٧٧، وجمهرة الأنساب: ص ٣٩، والشعر والشعراء لابن قتيبة: ص ٣١، وخزانة الأدب للبغدادي: ج ١ ص ١٦٠، وج ٣ ص ٦٠٩ ـ ٦١٢).

عَلَى لاحبٍ لايَهْتَدِي بِمَنارِهِ[١]

يُريدُ نفيَ الْمَنارِ والاهتداءِ به.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٧٤)

أي: يعمُّونَ أوقاتهم وأحوالهم بالصَدقَةِ لحِرصِهم على الخيرِ، وعن ابنِ عباس: نزلت في عليٍ عليه السلام كانت معه أربعة دراهمَ فتصدّق بدرهمٍ ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهمٍ سرّاً وبدرهمٍ علانية[٢]، وروي ذلك عن الباقر والصادق عليهما السلام[٣].

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَايَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُ مَاسَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ (٢٧٥)

﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ كُتِبَ بالواو علىٰ لغة من يفخِّم كما كتبت «الصلوة» و«الزكوة» بالواو، وزيدت الألف بعدها تشبيهاً بواو الجمع ﴿لَايَقُومُونَ﴾ إذا بُعِثُوا من قبورِهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ أي: المصروع ﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ وهو الجنون، ورجلٌ ممسوس، وتعلّق ﴿مِنَ﴾ بـ﴿لَايَقُومُونَ﴾ أي: لا يقومون من المسِّ الَّذي بهم إلّا كَما يقوم المصروع، ويجوز أن يتعلّق بـ﴿يَقُومُ﴾ أي: كما يقوم

---

(١) وعجزه: إذا سافه العود النباطيّ جرجرا. وهو من قصيدةٍ يصف فيها سفره الى قيصر مستنجداً علىٰ بني أسد. راجع ديوان امرئ القيس: ص ٩٥، وخزانة الأدب: ج ١٠ ص ٢٥٨، ولسان العرب: مادة (سوف).

(٢) أُنظر أسباب النزول للواحدي: ص ٨٠، والكشّاف للزمخشري: ج ١ ص ٣١٩.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٥١ ح ٥٠٢، وعنه البرهان: ج ١ ص ٢٥٧ ح ٤، التبيان: ج ٢ ص ٣٥٧.

المصروع من جنونه، والمعنىٰ: أَنَّهم يقومون يومَ القيامة مخبَّلين كالمصروعين يُعرفون بتلك السيماء عند أَهل الموقف ﴿ذَٰلِكَ﴾ العقابُ ﴿بِـ﴾ سببِ ﴿أَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أَي: البيع الَّذي لا ربا فيه مثل البيع الَّذي فيه الربا، وقوله: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ إنكارٌ لتسويتهم بينهما، ودَلالة علىٰ بطلان قياسهم الربا على البيع ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ﴾ أَي: فمن بلغه وعظٌ ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وزجرٌ بالنهي عن الربا ﴿فَٱنتَهَىٰ﴾ فتبع النهيَ وامتنع منه ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ فلا يُؤَاخَذُ بما مَضَىٰ منه ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يَحْكُمُ في شأْنه يومَ القيامةِ ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إِلى الربا بعدَ التحريمِ وقال ماكان يقوله من: أَنَّ البيعَ مثلُ الربا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لأَنَّ ذلك القولَ لا يصدُرُ إِلَّا من كافرٍ مستحلٍّ لِلربا، فلهذا تُوُعِدَ بعذاب الأَبد.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (٢٧٦)

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أَي: يذهب ببركته ويُهلكُ المالَ الَّذي يَدخلُ فيه ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أَي: مايُتَصدَّقُ به بأَن يُضاعِفَ عليه الثواب ويزيد المال الَّذي أُخرِجَتْ منه الصدقةُ ويُبارِكَ فيه، وفي الحديث: «مانَقصَ مالٌ مِنْ صَدَقَةٍ»(١)، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ هذا تغليظٌ في أَمر الربا، وإِيذان بأَنَّه من فعلِ الكفّارِ لا مِن فعلِ المسلمينَ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ

(١) مسند أحمد: ج ٢ ص ٢٣٥ و ٣٨٦، وسنن البيهقي: ج ١٠ ص ٢٣٥، والترغيب والترهيب للمنذري: ج ٢ ص ٥ و ج ٣ ص ٣٠٧ و ٥٥٨، وإتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج ٦ ص ٢٥٦ و ج ٨ ص ٣٩، ومجمع الزوائد للهيثمي: ج ٣ ص ١٠٥ و ١١٠.

ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢٧٩)

الفرق بين قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ وقوله في موضعٍ آخَرَ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾[1] أَنَّ الفاءَ فيها دلالة على أَنَّ الإنفاق بِهِ استُحقَّ الأَجرُ، وطرح الفاءِ عارٍ عن هذه الدلالة ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ رُوِيَ: أَنَّها نزلت في ثَقيفٍ، وكان لهم علىٰ قومٍ من قريشٍ مالٌ فطالبوهم عند المحلِّ بالمال والربا[2]، وقيل: إنَّهم أَخذوا ما شرطوا على الناسِ من الربا وبقيت لهم بقايا فأُمِرُوا أَن يَترُكوها ولا يطالِبوا بها[3] ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إن صحَّ إيمانُكم ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أَي: فاعلَموا بها، من أَذِنَ بالشيءِ: إذا عَلِمَ به، وقُرِئَ: «فَآذِنوا»[4] أَي: فأَعْلِمُوا بها غيرَكم، وهو من الأَذْنِ وهو الاستماع؛ لأَنَّه من طرق العلمِ، والمعنىٰ: ﴿فَأْذَنُواْ﴾ بنوعٍ من الحرب عظيمٍ ﴿مِّنَ﴾ عندِ ﴿ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾ من الارتباءِ[5] ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ المديونينَ بطلبِ الزِّيادةِ ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالنقصانِ منها.

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ

(١) الآية: ٢٧٤.

(٢) رواها البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٢٦٤ عن السدي، وراجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٣٥١، وأسباب النزول للواحدي: ص ٨١.

(٣) قاله الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٣٢٢.

(٤) قرأه أبو بكر وحمزة والأعمش وشعبة وطلحة. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٤٣، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٩٢، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٣١٨، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٣٣٨.

(٥) في بعض النسخ: الارباء.

تَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَٱتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّاكَسَبَتْ وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ﴾ (٢٨١)

أي: ﴿وَإِن﴾ وقع غريمٌ من غرمائِكم ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ أي: ذو إعسارٍ ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ أي: فالحكم أو فالأمر نظرةٌ، أي: إنظارٌ ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ إلىٰ يَسارٍ، أي: وقت يَسارٍ، وهو خبر في معنَى الأَمر، والمراد: فأَنظروه إلىٰ وقت يَساره، و«المَيْسَرَةُ» و«الْمَيْسُرَةُ» بضمِّ السين وفتحِها لغتان[١]، وقُرِئَ: «إلى مَيْسَرِه» بالإضافة إلى الهاءِ وحذف التاءِ عند الإضافة[٢]، كقولِهِ: ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[٣]، ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ أي: تتصدَّقوا ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ندب سبحانه إلىٰ أن يتصدَّقوا برؤُوس أَموالهم علىٰ من أعسر من غُرَمائِهم أَو ببعضِها، كما قال: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٤]، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنَّه خير لكم، وقُرِئَ: «تَرْجِعُونَ»[٥] و﴿تُرْجَعُونَ﴾ على البناءِ للفاعل والمفعول، أي: وَاخشَوْا واحْذَرُوا ﴿يَوْماً﴾ تردُّون ﴿فِيهِ إِلَى﴾ جزاءِ ﴿ٱللهِ﴾.

وعن ابن عبّاس: أَنَّها آخِر آية نزل بها جبرئيل وقال: ضَعْها في رأس المائتين والثمانين من البقرة[٦].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ

(١) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٥٢٢.

(٢) قرأه مجاهد كما في التبيان: ج ٢ ص ٣٦٩، ونسبه ابن خالويه في الشواذ: ص ٢٤ الى عطاء وأبي السراج.

(٣) النور: ٣٧.

(٤) البقرة: ٢٣٧.

(٥) قرأه أبو عمرو ويعقوب. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٩٣، والحجة في علل القراءات لابن علي الفارسي: ج ٢ ص ٣٠٩، والتيسير في القراءات للداني: ص ٨٥، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٣١٩، وكتاب الاملاء للعكبري: ج ١ ص ٦٩، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٣٤١.

(٦) حكاه عنه الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ١٨٣، والطبري في تفسيره: ج ٣ ص ١١٥.

وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٨٢)

﴿إِذَا تَدَايَنتُم﴾ أَي: تَعاملتم ودايَنَ بعضُكم بعضاً، تقول: داينتُ الرجلَ إذا عاملتَه بدينٍ معطياً أَو آخذاً، كما تقول: بايعتُه إذا بعتَه أَو باعك ﴿بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أَي: بدينٍ مؤجّلٍ ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ وإِنّما ذكر «الدين» ليرجعَ الضمير إِليه في قوله تعالى: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾، ولأَنَّ الدَّينَ يتنوَّعُ إِلىٰ مؤَجَّلٍ وحالٍ، وقيل: ﴿مُسَمًّى﴾ ليعلمَ أَنَّ من حقِّ الأَجل أَن يكونَ معلوماً موقّتاً بالسنين أَو الشهورِ أَو الأَيّام[١]، وهذا الأَمر مندوبٌ إِليه، قال ابن عبّاس: والمرادُ به السَّلَمُ لمّا حرّم الله الربا أَباح السلَمَ[٢] ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ أَي: كاتبٌ مأْمونٌ علىٰ ما يكتب، يكتب

---

(١) قاله الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٣٢٥.

(٢) حكاه عنه السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٢٣٧، والزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٣٢٥، وابن كثير في تفسيره: ج ١ ص ٣١٦.

بالاحتياط والنصَفَةِ لا يزيدُ علىٰ ما يجب أن يكتبَ ولا ينقصُ، فقوله: ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ صفةٌ لـ ﴿كَاتِبٌ﴾، وفي هذا دَلالةٌ علىٰ أنَّ الكاتبَ يجب أن يكونَ فقيهاً عالماً بالشروطِ حتّىٰ يجيءَ مكتوبه معدَّلاً بالشرع ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ﴾ أي: ولا يمتنع أحد من الكُتّاب ﴿أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ كتابةَ الوثائقِ، وقيل: كما نفعه اللهُ بتعليمِها فَلْيَنْفَعِ الناس بكتابتِه[١]، وهو فرضٌ على الكفاية عند أكثرِ المفسِّرين[٢]، ويجوز أن يتعلَّقَ ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ بـ ﴿أَن يَكْتُبَ﴾ فيكون نهياً عن الامتناع عن الكتابة المقيَّدة، ثمَّ قيل له: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ أي: فليكتبْ تلكَ الكتابةَ ولا يعدل عنها، ويجوز أن يتعلَّقَ بقولِه: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ فيكون نهياً عن الامتناع عن الكتابة على الإطلاق ثمَّ أَمر بها مقيَّدةً ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ أي: وَلْيَكُنِ المُملي من وجب عليه الحقُّ لأنّه هو المشهودُ علىٰ ثَباتِه في ذمَّته وإقراره به، والإملاءُ والإملال لغتان نطق بهما القرآنُ: ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾[٣]، ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ﴾ أي: من الحقِّ ﴿شَيْـًٔا﴾.

﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً﴾ السفيهُ: المحجورُ عليه لتَبذيره أَو الجاهلُ بالإملاءِ، والضعيف: الصبيُّ أَو الشيخُ الخَرِفُ ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ بنفسه لعيٍّ أَو خَرَس ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾ الَّذي يلي أَمره من وصيٍّ إن كان صبيّاً أَو سفيهاً[٤] أَو وكيلٍ إن كان غيرَ مستطيعٍ أَو ترجمانٍ يملُّ عنه وهو يصدِّقه، ففي قوله: ﴿أَن يُمِلَّ﴾ هو أنّه غير مستطيعٍ بنفسِه ولكن بغيره وهو الَّذي يُتَرجِمُ عنه.

﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ﴾ واطلبوا أن يشهدَ لكم شهيدانِ على الدينِ ﴿مِن

(١) قاله السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٢٣٧.
(٢) حكاه الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ٣٧٢ عن عامر الشعبي، وقال: وهو اختيار الرماني والجبّائي، وراجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٣٥٥، والكشّاف: ج ١ ص ٣٢٥.
(٣) الفرقان: ٥.
(٤) في بعض النسخ: سفيهاً أو ضعيفاً.

رِّجَالِكُمْ﴾ من رجال المؤمنين ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾ فإن لم يكن الشهيدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ فليشهد رَجل وامرأتان، وشهادة النساءِ مقبولةٌ عندنا في غيرِ: رُؤْيةِ الهِلالِ والطلاقِ مع الرجال على تفصيلٍ فيه(١)، وهي مقبولةٌ على الانـفراد فيما لا يستطيعُ الرجالُ النظرَ إليه مثل العُذرةِ والأُمـورِ البـاطنةِ للـنساءِ ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ﴾ ممَّن تعرفون عدالتَه وهو مـرضيٌّ عـندكم ﴿مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ أَن لا تهتديَ إِحدى المرأَتين للشهادةِ بأَن تنساها مـن قـولِهم: ضَـلَّ الطَّريقَ: إذا لم يهتدِ له، وهو في موضعِ النصبِ بأَنـَّه مفعولٌ له، أَي: إرادةَ أَن تضلَّ، لمَّا كان الضلالُ سبباً للإِذكار كانت إرادةُ الضلال إرادةً للإِذكار، فكأَنـَّه قيل: إرادةَ أَن تذكِّرَ إحداهما الأُخرى إن ضلَّت، ومثله قـولهم: أَعـددتُ الخشـبة أَن يـميلَ الحائِطُ فأُدعمه، وقُرِئَ: «فَتُذْكِر»(٢)، وهما لغتان، يقال: أَذكره وذكَّـره، وقِـراءة حمزة: «إِن تضلَّ إحداهما» على الشرط «فَتُذَكِّرُ» بالرفع(٣)، كقوله: ﴿وَمَنْ عَـادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾(٤)، ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ ليـقيموا الشـهادةَ، وقـيل: لِيُسْتَشهَدُوا(٥)، وقيل لهم: شهداءُ قبلَ التحمُّلِ؛ تنزيلاً لما يقارِبُ منزلةَ الكائِنِ.

---

(١) أُنظر المقنعة للشيخ المفيد: ص ٧٢٧، والنهاية ونكتها: ج ٢ ص ٦١، وكشف الرموز للآبي: ج ٢ ص ٥٢٥، ومختلف الشيعة للعلّامة: ص ٧١٢ ط حجر.

(٢) قرأه ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن محيصن واليزيدي والحسن. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٩٤، والحجة في القراءات السبع لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٣١٠، والحجة في القراءات لأبي زرعة: ص ١٤٩، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٣٤٩.

(٣) حكاها عنه ابن مجاهد في كتاب السبعة في القراءات: ص ١٩٤، والشيخ في التبيان: ج ٢ ص ٣٧١.

(٤) المائدة: ٩٥.

(٥) قاله مجاهد والشعبي وعطاء والأعمش وحمزة. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٣٥٧، والتبيان: ج ٢ ص ٣٧١، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٩٤، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٣٢٠، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٣٤٩.

﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾ ولا تملُّوا أَنْ تَكْتُبُواْ الحقَّ ﴿صَغِيراً﴾ كان الْحَقُّ ﴿أَوْ كَبِيراً إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ إلىٰ وقته الَّذي اتَّفق الغريمان علىٰ تسميته ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلىٰ ﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾ لأَنـَّه في معنى المصدرِ، أَي: ذلكم الكتب ﴿أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أَي: أَعدل، من القسط ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ﴾ وأَعون علىٰ إقامة الشهادة ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ وأَقرب من انتفاءِ الريب في مبلغ الحقِّ والأَجل ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا﴾ أُريد بالتجارةِ: مايُتَّجَرُ فيه من الأَبدال، والمعنىٰ: إلَّا أَن تتبايعوا بيعاً ناجزاً يداً بيدٍ فلا بأْس أَن لا تكتبوه، لأَنـَّه لا يُتَوَهَّمُ فيه مايُتَوَهَّمُ في التدايـنِ، ومعنىٰ ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾: تعاملونها يداً بيد، وقُرِئَ ﴿تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً﴾ بالنصب علىٰ معنىٰ: إلَّا أَن تكونَ التجارةُ تجارةً حاضرةً ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ أَمر بالإِشهاد مطلقاً لأَنـَّه أحـوطُ ﴿وَلَا يُضَآرَّ﴾ يـحتمل البـناء للـفاعل والمـفعول، والمعنى: نهى الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة الىٰ مايُطلَبُ منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان، أَو النهيُ عن الضرار بهما بأَن يعجلا عن مـهمٍّ، أَو لا يُكـلَّف الكاتبُ الكتابةَ(١) في حال عذرٍ لا يتفرَّغ لذلك ولا يُدعى الشـاهدُ إلى إثـباتِ الشهادةِ أَو إقامتِها في وقتٍ لا يتفرَّغ له ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾ وإنْ تضارُّوا ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقُ بِكُمْ﴾ فإنَّ الضرارَ فسوقٌ(٢)، وقيل: وإن تفعلوا شيئاً ممّا نُهيتُم عنه فإِنَّه خروجٌ ممّا أَمَرَ اللهُ سبحانه به(٣).

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ

---

(١) في بعض النسخ: الكتبة.

(٢) في نسخة بزيادة: بكم.

(٣) قاله البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٢٧٠، وابن كثير في تفسيره: ج ١ ص ٣١٨، وأبو حيان في بحره: ج ٢ ص ٣٥٤.

بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُ وَلَاتَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٢٨٣)

﴿عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين ﴿فَرِهَـٰنٌ﴾ أي: فالّذي يستوثق به رِهانٌ، وقُرِئَ: «فَرُهُنٌ»(١)، وكلاهما جمع الرهن، وقد يخفّف فيقال: رُهْنٌ، وليس الغرضُ تخصيصَ الارتهان بحال السفر ولكنَّ السفرَ لمّا كان مَظِنَّةً لإعوازِ الكتبِ والإشهادِ أُمِرَ المسافرُ بأَن يقيمَ الارتهانَ مقامَ الكتاب والإشهاد علىٰ سبيل الإرشاد إلىٰ حفظ المال، والقبضُ شرطٌ في صحّة الرهن ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً﴾ أي: فإِن أَمن بعضُ الدائنين بعضَ المديونين لحسن ظنّه به ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُ﴾ وهو الّذي عليه الحقُّ، أُمِرَ بأَن يؤدِّيه إلى صاحب الحقِّ وافياً وَقتَ مَحِلِّه من غير مَطَلٍ ولا تسويفٍ، وسمِّي الدينُ أَمانةً: لايتمانه عليه بترك الارتهان منه ﴿وَلَاتَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ﴾ خطابٌ للشهود ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا﴾ مع علمِه بالمشهود به وتمكّنِه من أدائِها ﴿فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ﴾ هو خبر «إنَّ» و ﴿قَلْبُهُ﴾ مرفوعٌ به علىٰ الفاعلية، كأَنّه قيل: فإِنّه يأثم قلبه، والمعنىٰ فيه: أنّ كتمانَ الشهادةِ من آثام القلوب ومن معاظم الذنوب.

﴿لِلَّهِ مَافِى ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَمَافِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَافِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٨٤)

---

(١) قرأه ابن عباس وابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن واليزيدي. راجع الحجة في القراءات لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٣٢٤، والحجة في القراءات لأبي زرعة: ص ١٥٢، والسبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٩٤، والتيسير في القراءات للداني: ص ٨٥، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٣٥٥.

أي: ﴿وَإِن﴾ تُظهِرُوا ﴿مَافِى أَنفُسِكُمْ﴾ من السُوءِ ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ فَإِنَّ اللهَ تعالىٰ يعلم ذلك ويُجازيكُمْ عليه، ولا يدخل فيما يُخفيه الإِنسانُ الوساوسُ وحديثُ النفس؛ لأَنَّ ذلك ممَّا ليس في وسعه الخلوُّ منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه.

وعن عبدالله بن عمر(١): أنّه تلاها فقال: لَئِنْ أَخَذَنَا اللهُ بهذا لَنَهْلِكَنَّ، ثمَّ بكى حتَّى سُمِعَ نشيجُه(٢)، فذُكِرَ لابن عبّاسٍ فقال: يَغْفِرُ اللهُ لأَبي عبدالرحمن، قد وَجَدَ المسلمونَ منها مثلَ ماوَجَدَ، فنزل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ﴾ الآية(٣).

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (٢٨٥)

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ يجوز أَن يكونَ عطفاً على ﴿ٱلرَّسُولُ﴾، فيكون الضميرُ في ﴿كُلٌّ﴾ الَّذي التنوينُ نائِبٌ عنه راجعاً إِلى ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ و ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، أَي: كلُّهم ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ ويوقف عليه، ويجوز أَن يكونَ مبتدأً فيكون

---

(١) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي؛ أبو عبدالرحمن، كان إسلامه بمكة مع إسلام أبيه عمر ولم يكن بلغ يومئذ، وهاجر مع أبيه الى المدينة، وقيل: إنّ إسلامه قبل إسلام أبيه، وقد أجمعوا على أنّه لم يشهد بدراً، واختلفوا في شهوده أُحد، قال ابن الأثير: والصحيح أنّ أول مشاهده الخندق وشهد غزوة مؤتة مع جعفر بن أبي طالبﷺ، وكان من أئمّة المسلمين، قال الشعبي: كان ابن عمر جيد الحديث ولم يكن جيد الفقه، ولم يقاتل في شيء من الفتن، ولم يشهد مع علي شيئاً من حروبه حين أُشكلت عليه، ثم كان بعد ذلك يندم علىٰ ترك القتال معه، وروى أبو نعيم باسناده عن عبدالله بن حبيب عن أبيه قال: قال ابن عمر حين حضره الموت: ماأجد في نفسي من الدنيا إلّا انّي لم أُقاتل الفئة الباغية مع علي. (طبقات ابن سعد: ج ٤ ص ١٤٢، وأسد الغابة لابن الأثير: ج ٤ ص ٢٢٧ ـ ٢٣١، وراجع معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج ١٠ ص ٢٦٨).

(٢) في بعض النسخ: نحيبه.

(٣) تفسير الطبري: ج ٣ ص ١٤٤ ح ٦٤٥٥ و ٦٤٥٦، والآية: ٢٨٦.

الضمير لـ ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، أي: كلٌّ واحدٍ منهم آمن، وَقُرِئَ: «وكتابه»[١] ويراد[٢]: الجنس أَو القرآن، وعن ابن عبّاس قال: الكتابُ أكثرُ من الكتب، وإنّما قال ذلك لأنَّه إذا أُريد بالواحد الجنسُ والجنسيّةُ قائمةٌ في وحدان الجنس كلِّها لم يخرج منه شيءٌ، وأَمَّا الجمع فلا يدخل تحتَه إلَّا مافيه الجنسيَّة من الجموع[٣]، يقولون: ﴿لَانُفَرِّقُ﴾، وقوله: ﴿سَمِعْنَا﴾ بمعنىٰ: أَجبنا، و ﴿غُفْرَانَكَ﴾ منصوب بإِضمار فعله، يقال: غُفرانَك لا كُفرانَكَ، أَي: نَستغفرُك ولا نكفرك.

﴿لَايُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَاكَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَاٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَاتُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَاتَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَاتُحَمِّلْنَا مَالَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَـٰنَا فَانصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (٢٨٦)

الوُسعُ: مايَسَعُ الإنسانَ ولا يَضيقُ عليه، أَي: ﴿لَايُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلَّا﴾ مايَتَيَسَّرُ عليها[٤] ويتَّسع فيه طوقُها، وهذا إِخبارٌ عن عدلِه ورحمتِه ﴿لَهَا مَاكَسَبَتْ﴾ من خير ﴿وَعَلَيْهَا مَاٱكْتَسَبَتْ﴾ من شرٍّ، لا يُؤاخَذُ بذنبها غيرُها ولايُثابُ بطاعتها غيرُها، وذكر النسيان والخطاء والمراد بهما: ماهما مسبَّبان عنه من التفريط والإِغفال، وقيل: إِنَّ المراد بِـ ﴿نَّسِينَآ﴾ تَرَكْنا وبِـ ﴿أَخْطَأْنَا﴾ أَذنَبْنا[٥]،

---

(١) قرأه ابن عباس وابن مسعود وحمزة والكسائي وخلف والأعمش. راجع التبيان: ج ٢ ص ٣٨٣، والسبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ١٩٥، ومعاني القرآن للزجّاج: ج ١ ص ٣٦٨، والاملاء للعكبري: ج ١ ص ٧١، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٣٦٤.

(٢) في نسخة زيادة: به.

(٣) حكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ٣ ص ١٥٢، والزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٣٣١.

(٤) في نسخة: منها.

(٥) قاله قطرب. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٣٦٤.

ورُوِيَ عن ابن عبّاسٍ: أنَّ معناه: لا تُعاقِبْنا إن عصيناك جاهلينَ أَو متعمِّدين[(١)].

والإِصر: العِبْءُ الَّذي يأصر حاملَه، أَي: يحبسه مكانَه لايستقلُّ به لثقله، استعير للتكليفِ الشاقِّ نحو: قتلِ الأَنفسِ، وقطعِ موضعِ النجاسةِ من الجلدِ والثوبِ، وغيرِ ذلك ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ من العقوباتِ النازلةِ بمن قبلنا، طلبوا الإِعفاءَ عن التكليفاتِ الشاقَّةِ الَّتي كلَّفها مَن قبلهم، ثمَّ عمَّا نزل عليهم من العقوبات علىٰ تفريطِهم في المحافظةِ عليها ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ سيِّدُنا ونحن عبيدُك، أَو متولِّي أُمورِنا وناصرنا ﴿فَانصُرْنَا﴾ فإِنَّ من حقِّ المولىٰ أَن ينصرَ عبدَه، أَو فإِنَّ ذلكَ عادتُك، أَي: فَأَعِنّا ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ بالقهر لهم والغلبة بالحجَّة عليهم.

ورُويَ عن النبيِّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أُوتيتُ خَواتيمَ سورةِ البقرةِ من كنزٍ تحتَ العرشِ لم يُؤْتَهُنَّ نبيٌّ قبلي»[(٢)].

۞ ۞ ۞

---

(١) أورده المصنِّف في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٤٠٤ عنه، وحكاه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٢٧٤ عن عطاء.

(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: ج ٢ ص ١٣٨ عن اسحاق بن راهويه وأحمد والبيهقي في الشعب عن أبي ذرّ عنه صلى الله عليه وآله، ورواه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٣٣٣ مرفوعاً.

سورة آل عمران

مدنيَّةٌ كلُّها[1] وهي مائَتا آية، عدَّ الكوفيُّ ﴿الٓمٓ﴾ آيـة و ﴿ٱلۡإِنـجِيلَ﴾ [2] الثاني آية وترك ﴿وَأَنزَلَ ٱلۡـفُرۡقَانَ﴾ [3]، وعـدَّ البـصريُّ ﴿وَرَسُـولًا إِلَـىٰ بَـنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [4] آية.

وفي حديث أُبَيٍّ: «وَمن قرأَ سورةَ آلِ عمرانَ أُعطِيَ بكلِّ آيةٍ منها أماناً على جِسر جهنَّم»[5].

ورَوَىٰ بريدة عن النبيِّ ﷺ قال: «تَعَلَّمُوا سورةَ الْبَقَرَةِ وسـورةَ آلِ عـمرانَ فإِنَّهُما الزهراوان، وإِنَّهما تُظِلَّانِ صاحبَهما يومَ القيامةِ كأَنـَّهما غَمامتان أَو غَيايَتان أَو فرقان من طيرٍ صوافٍّ»[6].

---

(١) قال الشيخ الطوسي ﷺ في التبيان: ج ٢ ص ٣٨٨: روي عن ابن عباس وقـتادة ومـجاهد وجميع المفسّرين: أنّ هذه السورة مدنية، وقيل: إنّ من أوّلها الىٰ رأس نيف وستين آية نزلت في قصة وفد نجران لمّا جاءوا يحاجّون النبي ﷺ في قول ابن اسحاق والربيع.

وقال القرطبي في تفسيره: ج ٤ ص ١: هذه السورة مدنيّة بإجماع، وحكى النقّاش: أنّ اسمها في التوراة طَيْبة.

(٢) الآية: ٤٨.

(٣) الآية: ٤.

(٤) الآية: ٤٩.

(٥) رواه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٤٦٠، وأورده المصنّف في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٤٠٥.

(٦) مسند أحمد بن حنبل: ج ٥ ص ٣٤٨، مستدرك الحاكم: ج ١ ص ٥٦٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ (١) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ (٣) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ (٤) إِنَّ ٱللَّهَ لَايَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ (٥)

من فتح «ميم الله»[1] أَلقى عليه حركة الهمزة حين أَسقطَها للتخفيف، وقيل: ﴿نَزَّلَ ... ٱلْكِتَٰبَ﴾ وهو القرآن ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ لأَنَّ القرآن نـزَلَ منجَّماً ونَزَلَ الكتابان جملةً[2] ﴿بِالْحَقِّ﴾ أَي: بالصدقِ وبما توجبه الحكمةُ ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا﴾ قبلَه من كتابٍ ورسولٍ ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ يعني: القرآن، كرَّر ذكرَه بما هو نعتٌ له ومدحٌ من كونه فارقاً بينَ الحقِّ والباطل بعد ماذكره باسم الجنس تعظيماً لشأْنه، أَو أَراد جنس الكتب السماويَّة؛ لأَنَّ كلَّها فرقانٌ تفرق بين الحقِّ والباطل.

---

(١) قال ابن مجاهد في السبعة في القراءات: ص ٢٠٠ مالفظه: قرأ كلّهم (آلـم الله) الميم مفتوحة والألف ساقطة إلّا عاصم برواية أبي بكر فإنّه قرأ (الم) ثم قطع فابتدأ (ألله) ثم سكن فيها.

(٢) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٣٣٦، والقرطبي في تفسيره: ج ٤ ص ٥.

قال الصادق عليه السلام: «الفرقان كلُّ آية محكَمة في الكتاب»(١).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ من الكتب المنزلة وغيرها ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ له انتقام شديد لايقدر على مثله منتقمٌ ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى﴾ العالَم فعبَّر عنه بـ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ و ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (٦)

﴿هُوَ ٱلَّذِى﴾ يخلق صوركم المختلفة المتفاوتة ﴿فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ على أيِّ صفة يشاء من قبيحٍ أو صبيحٍ، ذكرٍ أو أُنثى ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في جلاله ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أفعاله.

وعن سعيد بن جُبَيْرٍ(٢) قال: هذا حِجاجٌ على من زعَمَ أنَّ عيسى كان ربّاً، كأنَّه نبَّه بكونه مصوَّراً في الرحِم على أنَّه عبد كغيره، وكان يخفى عليه مالا يخفى على الله(٣).

﴿هُوَ ٱلَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ

(١) تفسير القمّي: ج ١ ص ٩٦، والكافي: ج ٢ ص ٦٣٠ ح ١١.

(٢) هو أبو عبدالله، سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الكوفي نزيل مكة، ولد سنة ٤٥ هـ، وكان أحد أعلام التابعين وأكثرهم علماً وفقهاً ومكانةً وجلالةً وزهداً، ومن أوائل مفسِّري القرآن الكريم، كان يأتم بالإمام علي بن الحسين عليه السلام وكان الإمام يثني عليه، وما كان سبب قتل الحجّاج له إلّا على هذا الأمر، وكان مستقيماً حتى أنّ ابن عباس كان إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيداً، وكان يسمّى بجهبذ العلماء، قُتل سنة ٩٥ هـ صبراً وهو ابن تسع وأربعين. (طبقات ابن سعد: ج٦ ص ٢٥٦ ـ ٢٦٧، رجال الكشي: ص ١١٩، تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ٤ ص ١١، معجم رجال الحديث للخوئي: ج ٨ ص ١١٣ ـ ١١٤).

(٣) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٣٣٧.

ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَاتَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَايَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (٧)

﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ أُحْكِمَتْ عباراتها بأن حُفِظَتْ من الاحتمال والاشتباه ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: أصل الكتاب، تُحْمَلُ المتشابهاتُ عليها وتردُّ إليها ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ مُشتبهاتٌ مُحتمِلات[١]، ولو كان القرآن كلُّه محكماً لتعلَّق الناسُ به لسهولة مأْخذه، ولأَعرضوا عمَّا يحتاجون فيه إلى النظر والاستدلال، ولو فعلوا ذلك لعطَّلوا الطريق الَّذي به يُتَوَصَّلُ إلىٰ معرفةِ اللهِ وتوحيدِه، ولكان لا يتبيَّن فضل العلماءِ الَّذين يُتْعِبُونَ القرائِحَ في استخراج معاني المتشابه[٢] وردِّ ذلك إلى المحكم ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أَي: ميل عن الحقِّ ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَاتَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ فيتعلَّقون بالمتشابِهِ الَّذي يَحتملُ مايذهب إليه أَهلُ البدعة ممَّا لايُطابِقُ المحكمَ، ويَحتملُ مايُطابقُه من قولِ أَهل الحقِّ ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ طلبَ أَن يفتنوا الناسَ عن دينهم ويضلُّوهم ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ وطلبَ أَن يُؤَوِّلوهُ التأْويلَ الَّذي يَشتهونَه ﴿وَمَايَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ أَي: لا يهتدي إلىٰ تأْويلِه الحقِّ الَّذي يجب أَن يُحمَلَ عليه إِلَّا اللهُ والعلماءُ الَّذين رسخوا في العلم، أَي: ثبتوا فيه وتمكَّنوا، وبعضُهم يَقِفُ على ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ويبتدئُ ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، ويُفَسِّرونَ المتشابهَ بأَنَّه مااستأْثر الله بعلمه، والأَوَّل أَوجه، وهو المرويُّ عن الباقر عليه السلام قال: «كانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَفضلَ الراسخينَ في العلم»[٣]، و ﴿يَقُولُونَ﴾ كلام مستأْنَفٌ موضِحٌ لحالِ الراسخينَ، والمعنىٰ: هؤلاءِ

---

(١) في نسخة زيادة: ومجملات. (٢) في نسخة: المتشابهة.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٤ ح ٦، وعنه تفسير البرهان: ج ١ ص ٢٧١ ح ٨.

﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ العالمونَ بالتأْويلِ ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أَي: بالمتشابه ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ أَي: كلٌّ واحد منه ومن المحكم من عندِه، أَو بالكتاب كلٌّ من مُتشابِهِهِ ومُحكَمِه من عندِاللهِ الحكيمِ الَّذي لا يتناقض كلامه ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ مدحٌ للراسخين بحسن التأَمُّل والتفكُّر والتذكُّر، ويجوز أَن يكونَ ﴿يَقُولُونَ﴾ حالاً من الراسخين.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ (٩)

﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ لا تختبرنا ببلايا تَزيغُ فيها قلوبُنا ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ وأَرشدتَنا إِلىٰ دينك، ونظيره قوله: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ﴾ (١)، فأَضافوا مايقع من زيغ القلوب إِليه سبحانه لِما كان عند امتحانه، أَو لاتَمنَعْنا لطفَكَ الَّذي معه تستقيم القلوبُ فتميلَ قلوبُنا عن الإِيمان بعد إِذ لطفتَ بنا ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ من عندك نعمةً بالتوفيقِ والمعونةِ ﴿إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ تجمعهم لحساب يومٍ أَو لجزاءِ يومٍ، كقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ (٢)، و ﴿ٱلْمِيعَادَ﴾: الموعد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ (١٠) كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (١١)

﴿مِّنَ﴾ في قوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مثلُ الَّذي في قوله: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ (٣)، والمعنىٰ: لا تُغْنِي ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ﴾ مِن رحمةِ ﴿ٱللَّهِ﴾ أَو من طاعة

---

(١) البقرة: ٢٤٦. (٢) التغابن: ٩.

(٣) يونس: ٣٦.

الله ﴿شَيْئاً﴾ أَي: بدل رحمة الله وطاعته، ومثله: ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجدُّ، أَي: لا ينفعه جدُّه من الدنيا بدلَك، أَي: بدل طاعتك وعبادتك وماعندك ﴿وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ أي: حطب النارِ تَتَّقِدُ النارُ بأَجسامهم، والدأْب: مصدر دَأَبَ في العمل إذا كدح فيه، فيوضع موضع ماعليه الانسان من شأْنه وحاله، ومحلُّ الكاف رفعٌ وتقديرهُ: دأْب هؤُلاءِ الكَفَرةِ ﴿كَدَأْبِ﴾ مَن قبلهم من ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وغيرهم، ويجوز أَن يكونَ منصوبَ المحلِّ بقوله: ﴿لَن تُغْنِيَ﴾ أَو بالوقود، والمعنىٰ: لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهم مثل مالم تغن عن آل فرعون، أَو يوقد بهم النار كما توقد بهم، كما تفول: إِنَّكَ لتظلم النَاسَ كَدَأْبِ أَبيكَ، تريد: كظلم أَبيك أَي: مثل ماكان يظلمهم، وإِنَّ فُلاناً لَمُحارَفٌ كدأْبِ أَبيه، تريد: كما حورِفَ أَبوه ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ تفسيرٌ لدأْبهم بما فَعَلوا وفُعِلَ بهم، كأَنَّه جوابٌ لمن يسأَل عن حالهم.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ (١٣)

«الَّذينَ كَفَرُوا» قيل: هم اليهود جمعهم رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بعدَ وقعةِ بدرٍ في سوقِ بني قينقاع فقال: «يامعشر اليهود، احذَروا مثلَ مانَزَلَ بِقُرَيْشٍ، وَأَسْلِمُوا قبلَ أَن ينزلَ بكم مثلُ مانَزَلَ بهم، فقد عرفتم أَنـّي نبيٌّ مُرسلٌ» فقالوا: لا يغرَّنَّك أَنـَّك لقيت قوماً أغماراً لاعلم لهم بالحرب فأَصبت منهم فرصةً، ولئِن قاتلتَنا لعرفت أَنـَّا نحن الناس [١]، فنزلت [٢].

---

(١) في نسخة: البأْس.

(٢) قاله ابن عبّاس وسعيد بن جبير ومحمّد بن إسحاق عن رجاله. راجع تفسيرالبغوي: ج ١ ←

ومن قرأَ: «سَيُغْلَبُونَ ويُحشَرُونَ»[١] فهو مثل قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّاقَدْ سَلَفَ﴾[٢] أَي: قل لهم قولي لك: سَيُغْلَبُونَ، ومن قَرَأَ بالتاءِ أَجرى الجميع على الخطاب، والمعنىٰ: سَتصيرونَ مغلوبينَ في الدنيا ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة، وقيل: إِنَّ المرادَ بـ«ٱلَّذين كَفَرُوا» مشركو مكَّةَ، أَي: سَتُغْلَبُونَ يومَ بدرٍ[٣]، وأَيُّهما أُريد فقد فعل الله ذلك، فإِنَّ اليهود قد غُلِبُوا بقتل بني قُرَيْظَةَ وإِجلاءِ بني النضيرِ[٤] ووضعِ الجزيةِ علىٰ من بَقِيَ منهم، وغُلِبَ المشركون أَيضاً ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ أَي: دلالة معجزة علىٰ صدق نبيِّنا محمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ يومَ بدر: فرقةٌ ﴿تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أَي: في دينه وطاعته وهم الرسول وأَصحابه ﴿وَ﴾ فرقةٌ ﴿أُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ وهم مشركو مكَّة ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ يرى المشركونَ المسلمينَ مثلَي المشركينَ في العدد قريباً من أَلْفَيْنِ أَو مثلَيْ عددِ المسلمين ستَّمائة ونيِّفاً وعشرينَ، أَراهم اللهُ إِيّاهم مع قلَّتهم أَضعافهم ليجتنبوا[٥] عن قتالهم، وكان ذلك مدداً من اللهِ لهم كما أَمدَّهم بالملائِكةِ، ويدلُّ عليه قراءَة من قَرَأَ بالتاء[٦]، أَي: تَرَوْنَ يامشركي قريشٍ المسلمينَ مثلَيْ فئَتِكم

ص٢٨٢، وأسباب النزول للواحدي: ص٨٥، والبحر المحيط لأبي حيان: ج٢ ص٣٩٢.

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي. أُنظر الكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٣٣٥، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٤٩، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٧٨، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٢٨٢، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٣٩٢.

(٢) الأنفال: ٣٨.

(٣) قاله ابن عبّاس والضحّاك. راجع تفسير ابن عباس: ص ٤٣، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ٣٧٣.

(٤) في نسخة زيادة: وفتح خيبر.

(٥) في نسخة: ليجبنوا.

(٦) قرأه نافع وأهل المدينة وأبان عن عاصم وابن شاهي عن حفص ويعقوب. أُنظر التبيان: ج ٢ ص ٤٠٧، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٢٨٣، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٢٤٩، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٧٨، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٣٩٤.

الكافرةِ أَو مثلَيْهم أَنفسِهم، فإن قيلَ: فكيف قال في سورة الأَنفال: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ (١)؟ فالجواب: أَنّهم قُلِّلُوا أَوّلاً في أَعينِهم حتَّى اجْتَرَأوا عليهم، فلمّاالتحم القتال كُثِّرُوا فِي أَعْيُنِهِمْ حتَّىٰ غُلِبُوا، فكان التقليل والتكثير في حالتَيْن مختلفتَيْن ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ يعني رؤْيةً ظاهرةً مكشوفةً معاينةً ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَآءُ﴾ كما أَيَّد المسلمينَ يومَ بدرٍ.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ (١٤)

﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ أَي: المشتَهيات، جَعَلَ سبحانه الأَعيانَ الَّتي ذكرها شهواتٍ مبالغةً في كونها مشتهاةً محروصاً على الاستمتاع بها، والمزيِّن هو اللهُ سبحانه بما جَعَلَ(٢) في الطباع من الميل إِليها تشديداً للتكليف، كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَاعَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ (٣)، وعن الحسن: زَيَّنَهَا الشيْطانُ لهم لأَنّا لا نعلم أَحداً أَذمَّ لها من خالقها(٤). ثمَّ قدَّم سبحانه ذكر ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾ لأَنَّ الفتنةَ بهنَّ أَعْظَمُ، ثمَّ ثنَّىٰ بـ﴿ٱلْبَنِينَ﴾ لأَنَّ حبَّهم داعٍ إِلىٰ جمع الحرام، والْقِنْطارُ: المال الكثير، قيل: مِلءُ مسْكِ ثورٍ ذهباً(٥)، وقيل: سبعون أَلفَ دينارٍ(٦)، وقيل: مائة أَلفَ دينارٍ(٧)، و﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ بُنِيَتْ من لفظ «القنطار» للتأْكيد، كما يقال: أَلفٌ مؤَلَّف

(١) آية: ٤٤.
(٢) في نسخة: جبل.
(٣) الكهف: ٧.
(٤) تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٢٠٣، وعنه في تفسير القرطبي: ج ٤ ص ٢٨.
(٥) قاله الكلبي علىٰ ماحكاه عنه أبو عبيدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٨٩.
(٦) قاله مجاهد. راجع تفسيره: ص ٢٤٩، وعنه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٢٨٤.
(٧) وهو قول سعيدبن جبير. راجع الكشّاف: ج ١ ص ٣٤٢، وتفسيرالقرطبي: ج ٤ ص ٣٠ـ٣١.

وبدرةٌ مبدَّرةٌ، و ﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ المعلمة⁽١⁾ أَو المرعيَّة من أَسام الدابـةَ وسـوَّمها ﴿وَٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ الأَزواج الثمانية ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَـجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّـنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ (١٥) ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَـنَا ذُنُـوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (١٦) ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْـمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ (١٧)

تمَّ الكلام عند قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾، وقولُه: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ﴾ كلامٌ مستأنَـفٌ فيه دَلالةٌ علىٰ بيان ماهو خيرٌ ﴿مِّن ذَٰلِكُمْ﴾، ويجوز أَن يتعلَّقَ اللامُ بـ «خَيْرٍ»، واختصَّ «المتَّقينَ» لأَنـَّهم هم المُنتفِعونَ به، ويرتفع ﴿جَنَّـٰتٌ﴾ على «هُوَ جَنَّاتٌ»، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ﴾ يُجازِيهم بأَفعالهم علىٰ قدر استحقاقهم ﴿ٱلَّـذِينَ يَقُولُونَ﴾ في محلِّ نصبٍ أَو رفعٍ على المدح أَو في موضعِ جرٍّ صفةً لـ«المتَّقينَ» أَو لـ «العبادِ»⁽٢⁾، والواو المتوسِّطةُ بينَ الصفاتِ للدلالةِ علىٰ كمالِهم في كلِّ واحدةٍ منها⁽٣⁾ ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ المصلِّين وَقتَ السحر، وقيل: الَّذين تـنتهي صلاتهم إِلى وقت السحر ثمَّ يستغفرون ويدعون⁽٤⁾.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ

---

(١) في بعض النسخ: معلّمة، بتشديد اللام.
(٢) أُنظر تفصيله في معاني القرآن وإعرابه للزجّاج: ج ١ ص ٣٨٥.
(٣) واليه ذهب الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٣٤٣.
(٤) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٨٥.

ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَاجَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (١٩)

شبَّه سبحانه دَلالتَه علىٰ وحدانيَّته بالأَفعال الَّتي لايقدر عليها غيرُهُ، والآياتِ الناطقةَ بتوحيدِه مثل سورةِ الإخلاص وآيةِ الكرسيِّ وغيرِهما بشَهادةِ الشاهدِ في البيان والكشف، وكذلك إقرار الملائِكة وأُولي العلم بذلك ﴿قَآئِماً بِالْقِسْطِ﴾ مقيماً للعدلِ فيما يَقسِم للعباد من الآجال والأَرزاقِ، وفيما يأْمر به عبادَه من الإنصاف والعملِ على السويَّةِ فيما بينَهم، وانتصابُه علىٰ أَنـَّه حالٌ مؤكدةٌ من اسم الله، كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقاً﴾[1]، وقولُه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ جملةٌ مُستأْنفَةٌ مؤكِّدةٌ للجملة الأُولىٰ، والفائدة فيه أَنَّ قولَه: ﴿لَآإِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ توحيدٌ، وقولَه: ﴿قَآئِماً بِالْقِسْطِ﴾ تعديلٌ، فإِذا أَتبعه قولَه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ فقد آذن أَنَّ الإِسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عندالله وماعداه فليس من الدينِ، وقُرِئَ: «أَنَّ الدينَ» بالفتح[2] علىٰ أَنـَّه بدل من الأَوَّل، كأَنـَّه قال: شَهِدَ اللهُ أَنَّالدينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ، وَ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ هم اليهود والنصارىٰ، واختلافهم أَنـَّهم تركوا الإِسلامَ ﴿مِن بَعْدِ مَاجَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ أَنـَّه الحقُّ، فثلّثتِ النصارىٰ وقالت اليهود: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[3]، واختلف الفريقان في نبوَّة محمَّدﷺ وقد وجدوا نعته في كتبهم وجاءَهم العلمُ بأَنـَّه رسولالله ونبيُّه ﴿بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ أَي: حسداً بينَهم وطلباً منهم للرئاسة لا شبهةً في الإِسلام ﴿وَمَن يَكْفُرْ

(١) البقرة: ٩١.

(٢) قرأه ابن عباس وابن عيسى الإصبهاني والكسائي وحكي عن ابن مسعود. أُنظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٠٢، والحجة لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٣٤٩، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٧٨، والتبيان: ج ٢ ص ٤١٨، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٤٠٧.

(٣) التوبة: ٣٠.

﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: بالقرآن، أو بالتوراة والإنجيل وما فيهما من صفة محمّد صلى الله عليه وآله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ لا يفوته شيءٌ من أعمالهم.

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ﴾ (٢٠)

﴿فَإِنْ﴾ جادَلوك في الدين ﴿فَقُلْ﴾: أَخلصت نفسي وجملتي ﴿لِلَّهِ﴾ وحده، لم أَجعل فيها لغيره شريكاً بأَن أَعبدَه وأَعبد إِلٰهاً معه، والمعنىٰ: أَنَّ ديني التوحيد، وهو الأَصل الَّذي يلزم جميعَ المكلَّفينَ الإقرارُ به ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾[١] عطفٌ على التاءِ في ﴿أَسْلَمْتُ﴾[٢]، ويجوز أَن يكونَ الواو بمعنىٰ «مع» فيكون مفعولاً معه[٣] ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ من اليهود والنصارى ﴿وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ الَّذينَ لا كتاب لهم من مشركي العربِ ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ يعني: أَنَّه قد أَتاكم[٤] من البيِّنات مايوجب الإِسلام فهل أَسلمتم أَم أَنتم بعدُ على كفرِكم؟ ومثلُه قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[٥]، لفظُه لفظ الاستفهام والمراد الأَمر ﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ فقد نـفعوا أَنـفسَهم

---

(١) قال الزجّاج: لك حذف الياء وإثباتها، والأحبّ إليّ في هذا اتباع المصحف لأنّ اتباعه سنّة ومخالفته بدعة، وما حذف من هذه الياءات ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ فهو علىٰ ضربين مع النون: فإذا كان رأس آية فأهل اللغة يسمّون أواخر الآي: «الفواصل» فيجيزون حذف الياءات كما يجيزونه في قوافي الشعر، كقول الأعشى:

ومن شـانئ كـاسف وجـهه ... إذا مـاانـتسبت له أنكـرنِ
وهل يمنعني ارتيادي البـلاد ... من حذر المـوت أن يأتـينِ

وإذا لم يكن آخر قافية أو آخر آية فالأكثر إثبات الياء، وحذفها جيّد بالغ أيضاً بخاصّة مع النونات. أُنظر معاني القرآن: ج ١ ص ٣٨٩.

(٢) أُنظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٥٥٥ تجد تفصيل ذلك.

(٣) أُنظر الكشّاف: ج ١ ص ٣٤٧.

(٤) في بعض النسخ: آتيناكم.

(٥) المائدة: ٩١.

حيث خرجوا من الضلال إلى الهدىٰ ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾ لم يُضِرُّوك فإنّك رسولِ الله ماعليك إلاّ البلاغ والتنبيه علىٰ طريق الرشد والهدىٰ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَالَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ (٢٢)

هم أَهلُ الكتابِ قَتَلَت أَوائِلُهم الأَنبياءَ وأَتباعَهم من عُبّادِ بني إسرائيل، وكان هؤُلاءِ راضينَ بما فعل أُولئِك، وحاولوا قتلَ رسول‌الله والمؤمنين لولا عصمة اللهِ، وقوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ المراد به: أَنَّ قتلَهم لا يكون إلَّا بغير حقٍّ، كقوله: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللهِ إِلَـٰهاً ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُ بِهِ﴾[1]، ﴿حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ إذ لم ينالوا بها الثناءَ والمدحَ ولم تحقن دماؤُهم وأَموالهم ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ لأَنـّهم[2] لم يستحقُّوا بها الثواب فصارت كأَنـّها لم تكن، وهذا هو حقيقة الحبوط وهو الوقوع علىٰ خلاف الوجه المأْمور به فلا يُسْتَحَقُّ عليه الثوابُ والأَجر.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّاماً مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ (٢٤) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّارَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّاكَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٥)

يريد أَحبار اليهود، أَي: أُعطوا حظّاً وافراً من التوراة أَو من جنسِ الكتبِ المنزَلةِ، و ﴿مِّنَ﴾ إمّا للتبعيض وإمّا للبيان[3] ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللهِ﴾ وهو

---

(١) المؤمنون: ١١٧. (٢) في نسخة: بأَنـّهم، وأُخرىٰ: بأَنـّه.

(٣) راجع تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٣٤٨.

التوراة ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ وذلك: أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله دخل مدارِسَهم فَدَعاهم، فقال له بعضهم: علىٰ أَيِّ دينٍ أَنت؟ قال: علىٰ ملّة إِبراهيم، فقالوا: إِنَّ إِبراهيم كانَ يهوديّاً، فقال: إِنَّ بيننا وبينكم التوراة، فأَبوا[1]، وقيل: نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه[2]، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ استبعاد لتولّيهم بعد علمِهم أَنَّ الرجوع إِلىٰ كِتابِ اللهِ واجبٌ ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ الإعراض عادتهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ التولّي والإِعراض ﴿بِـ﴾ سببِ ﴿أَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّاماً مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أَي قلائِلَ: أَربعينَ يوماً أَو سبعةَ أَيّامٍ ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ أَي: افتراؤُهم وهو قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُ﴾[3]، ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعون ﴿إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ﴾ أَي: لجزاءِ يومٍ ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ أَي: لاشكَّ فيه لمن نظر في الأَدلَّةِ ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاءَ ﴿مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يرجع إِلىٰ ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ على المعنى؛ لأَنَّه في معنىٰ: كلِّ الناسِ.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢٧)

﴿ٱللَّهُمَّ﴾ الميم فيه عوض من «يا» ولذلك لا يجتمعان، وهذا من خصائِص هذا الاسم كما اختصَّ بالتاءِ في القسمِ وبدخول حرفِ النداءِ عليه وفيه لام

(١) رواه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٢٨٨ عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عبّاس.
(٢) وهو مارواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ٢٨٩، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٢٥٦، وأسباب النزول للواحدي: ص ٨٦.
(٣) المائدة: ١٨.

التعريف[١] ﴿مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ أي: تَمْلِكُ جنس المُلكِ فتَتَصرَّفُ فيه تصرُّفَ المُلّاكِ فيما يَملِكونَه ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ تعطي من تشاءُ من الملك النصيب الّذي قسمته له ﴿وتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ النصيب الّذي أعطيتَه منه. فالمُلكُ الأَوّل عامٌ والآخران خاصّان بعضان من الكلِّ ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ من أَوليائِك في الدنيا والدين ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ من أَعدائِك ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ تؤتيه أولياءَك علىٰ رغمٍ من أَعدائِك ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ أَي: تنقصُ من الليل وتجعل ذلك النقصانَ زيادةً في النهارِ، وتنقصُ من النهار وتجعل ذلك النقصانَ زيادةً في الليلِ ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ أي: من النطفة ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾ أَي: النطفةَ ﴿مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ وقيل: تخرج المؤمنَ من الكافرِ والكافرَ من المؤمنِ[٢] ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بغَيْرِ

---

(١) قال الزجّاج: فأمّا إِعراب «اللّهمَّ» فضم الهاء وفتح الميم، لا اختلاف في اللفظ به بين النحويّين، فأمّا العلّة فقد اختلف فيها النحويّون، فقال بعضهم: معنى الكلام: ياالله أُم بخير، وهذا إقدام عظيم؛ لأنّ كل ما كان من هذا الهمز الذي طرح فأكثر الكلام الإتيان به، يقال: ويل أُمه، وويل اُمّه، والاكثر إثبات الهمز، ولو كان كما يقول لجاز «أومم» و «الله أمّ» وكان يجب أن تلزمه ياء النداءِ؛ لأنَّ العربَ تقولُ: ياالله اغفر لنا، ولم يقل أحد من العرب إلّا اللّهمّ ... الى أن قال: وهذا القول يبطل من جهات: أحدها: أنَّ «يا» ليست في الكلام، وأُخرىٰ: أنَّ هذا المحذوف لم يتكلم به علىٰ أصله كما تتكلم بمثله، وأنّه لايقدم أمام الدعاء هذا الذي ذكره ... الى أن قال: وقال الخليل وسيبويه وجميع النحويّين الموثوق بعلمهم: انّ «اللّهمّ» بمعنى: ياالله، وأن الميم المشدّدة عوض من «يا» لأنّهم لم يجدوا ياءً مع هذه الميم في كلمة، ووجدوا اسم الله جلّ وعزّ مستعملاً بـ«يا» إذا لم يذكر الميم، فعلموا أنّ الميم من آخر الكلمة بمنزلة «يا» في أولها ... إلى أن قال: وزعم سيبويه أنَّ هذا الاسم لا يوصف لأنّه قد ضمّت اليه الميم فقال في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّـهُمَّ فَـاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أن ﴿فَـاطِرَ﴾ منصوب على النداء، وكذلك ﴿مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ ولكن لم يذكره في كتابه. والقول عندي: انّ ﴿مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ صفة الله، وأنّ ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ كذلك، وذلك أنّ الاسم ومعه الميم بمنزلته ومعه «يا» فلا تمنع الصفة مع الميم كما لا تمنع مع «يا» انتهىٰ. راجع معاني القرآن وإعرابه: ج ١ ص ٣٩٤.

(٢) قاله الحسن البصري وروي ذلك عن الباقر والصادق عليهما السلام. راجع تفسير الحسن البصري: ←

حِسَابٍ﴾ بغير تقتير.

﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَـٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (٢٨)

نهى سبحانه المؤمنينَ أن يُوالُوا ﴿ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ لقَرابةٍ بينهم أو صَداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسبابِ الَّتي يُتَصادَقُ بها، وقد كُرِّرَ ذلك في القرآن: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾[١]، ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ الآية[٢] والحبُّ في اللهِ والبغضُ في اللهِ أصلٌ كبيرٌ من أُصول الإيمان ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ المعنىٰ: أنَّ لكم في موالاةِ المؤمنينَ مَندوحةً عن موالاةِ الكافرينَ فلا تؤْثِرُوهم عليهم ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ أي: فليس من ولاية اللهِ في شيءٍ، يعني: أنَّه منسلخٌ عن ولايةِ الله رأساً، وهذا أمر معقول فإنَّ مصادقة الصديق ومصادقة عدوِّه متنافيان، قال:

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعَمُ أَنَّني صَدِيقُكَ إِنَّ الرأْيَ مِنْكَ لَعازِبُ[٣]

وقوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ في موضِعِ النصب على الحال؛ لأنَّه في الأَصل «فليس في شيءٍ ثابتٍ من اللهِ»، فلمَّا تقدَّم انتصب على الحال، ومثلُه «لَيْسُوا مِنَ الشرِّ في شَيءٍ وَإِنْ هانا» ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَـٰةً﴾ إلَّا أَن تَخافوا من جهتهم أَمراً يجب اتِّقاؤُه، وقُرِئَ: «تقيَّةً»[٤]، وهما جميعاً مصدرا تَقىٰ تُقاةً وَتَقيَّةً وَتَقْوى، وهذه

← ج ١ ص ٢٠٦، والتبيان: ج ٢ ص ٤٣٢.

(١) المائدة: ٥١. (٢) المجادلة: ٢٢.

(٣) قائله العتّابي في صفة الصديق، ذكره ابن عبدربّه في العقد الفريد: ج ٢ ص ٢٩٢ في أصناف الإخوان.

(٤) قرأه ابن عباس ومجاهد وأبو رجاء وقتادة والضحاك وأبو حيوة وسهل وحميد بن قيس ←

رخصة في مُوالاتهم عند الخوف، والمراد بهذه الموالاة المخالقةُ الظاهرةُ والقلب مطمئنٌّ بالعَداوة ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ فلا تتعرَّضوا لسَخَطِه بمُوالاةِ أَعدائِه، وهذا وعيدٌ شديدٌ.

﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَافِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَافِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَافِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٩)

﴿إِن تُخْفُواْ مَافِى صُدُورِكُمْ﴾ من ولايةِ الكفّار أَو غيرِها ممّا لا يرضَى اللهُ ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ ولم يخفَ عليه ﴿وَ﴾ هو ﴿يَعْلَمُ مَافِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَافِى ٱلْأَرْضِ﴾ لا يخفىٰ عليه شيءٌ، فلا يخفىٰ عليه سرُّكم وجهرُكم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو قادر علىٰ عقوبتكم، وهذا بيان لقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ وهي ذاته المتميِّزة من سائِر الذوات القادرة العالمة فلا تختصُّ بمقدورٍ دون مقدورٍ ولا بمعلومٍ دون معلومٍ، فكان أَحقَّ بأَن يُتَّقَىٰ وَيُحْذَر.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (٣٠)

﴿يَوْمَ﴾ منصوب بـ﴿تَوَدُّ﴾ أَي: يومَ القيامة حين ﴿تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ خيرَها وشرَّها حاضرين تتمنَّىٰ ﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا﴾ وَبَيْنَ ذلكَ اليومِ وهَوْلِه ﴿أَمَداً بَعِيداً﴾ فالضمير في ﴿بَيْنَهُۥٓ﴾ لـ«اليوم»، ويجوز أَن ينتصبَ «اليومُ» بمضمَرٍ نحو: «اذكر» ويرتفع ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ على الابتداءِ و﴿تَوَدُّ﴾ خبرهُ[1]، أَي: والّذي عملته من سوءٍ تودُّ هي لو تباعد مابينَها وبينَه، وتكون ﴿مَا﴾ موصولةً ولايجوز أَن

← والمفضّل ويعقوب. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٥٠، والتبيان: ج ٢ ص ٤٣٣، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٢٦٠، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٢٩٢، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٤٢٤.

(١) أنظر الكشّاف للزمخشري: ج ١ ص ٣٥٢.

تكون شرطيّةً لارتفاع ﴿تَوَدُّ﴾، ويجوز أن يكون ﴿وَمَاعَمِلَتْ﴾ عطفاً على ﴿مَّاعَمِلَتْ﴾ ويكون ﴿تَوَدُّ﴾ حالاً[١]، أي: يوم تجد عملَها محضراً وادَّةً تباعدَ مابينَها وبينَ اليوم أو عمل السوءِ، وقوله: ﴿مُّحْضَراً﴾ أي: مكتوباً في صُحُفِهم يَقْرؤونه، ونحوه: ﴿وَوَجَدُواْ مَاعَمِلُواْ حَاضِراً﴾[٢] والأَمدُ: المسافة، كقوله: ﴿يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾[٣]، ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُ بِالْعِبَادِ﴾ رحيم بهم، فلا تأْمَنوا عقابه ولا تيأَسوا من رحمته.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَايُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (٣٢)

نزلت الآية في قومٍ من أَهل الكتاب قالوا: «نَحْنُ أَحِبَّاءُ اللهِ» فجعل اللهُ سبحانه مصداقَ ذلك اتِّباعَ رسولهﷺ فقال: ﴿إِن كُنتُمْ﴾ صادِقين في دعوىٰ محبَّة اللهِ ﴿فَاتَّبِعُونِى﴾ فإِنّكم إِن فعلتم ذلك أَحَبَّكم اللهُ وغَفَرَ لكم، ومحبَّةِ اللهِ للعبد هي إِرادة ثوابه، ومحبَّة العبد للهِ هي إِرادة طاعته، فإِنَّ المحبَّة من جنس الإِرادة، ثمَّ أَكَّدَ ذلك بقوله: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ أَي: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ كما تدَّعون فأَظهروا دَلالة صدق المحبَّة بطاعة اللهِ وطاعة رسوله ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن طاعة الله ورسوله، يحتمل أَن يكونَ ماضياً وأَن يكونَ مضارعاً بمعنىٰ: «فإِن تتولّوا»[٤] ويدخل في جملة مايقوله الرسول لهم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَايُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ أَي: لا يحبُّهم ولايريد ثوابَهم من أَجلِ كفرِهم، فوضع الظاهر موضعَ المضمر لهذا المعنىٰ.

---

(١) راجع تفصيل ذلك في إعراب القرآن للنحّاس: ج ١ ص ٣٦٦، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٥٦١.
(٢) الكهف: ٤٩.
(٣) الزخرف: ٣٨.
(٤) أُنظر الكشّاف للزمخشري: ج ١ ص ٣٥٤.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحاً وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٤)

﴿ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: إسماعيل وإسحاق وأولادهما، و﴿ءَالَ عِمْرَٰنَ﴾: موسى وهارون ابنا عمرانَ بن يصهرَ، وقيل: عيسى بن مريمَ بنتِ عمرانَ بن ماثان[١]، وبين العمرانين ألفٌ وثمانمائة سنةٍ و ﴿ذُرِّيَّةً﴾ بدلٌ من ﴿ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾، ﴿بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾ يعني: أنَّ الآلَيْنِ ذرِّيَّةٌ واحدةٌ مُتَسَلْسِلةٌ بعضُها متشعِّبٌ من بعضٍ، وفي قراءَةِ أهلِ البيتِ عليهم السلام: «وآل محمّدٍ على العالمين»[٢]، وقيل: إنَّ آلَ إبراهيمَ هم آلُ محمَّدٍ الَّذين هم أهل البيت عليهم السلام[٣]، ومن اصطفاه الله تعالىٰ واختاره من خلقِه لا يكونُ إلَّا معصوماً مُطهَّراً عن القبائح، وعلىٰ هذا فيجب أَن يكونَ الاصطفاءُ مَخصوصاً بمن كانَ مَعصوماً من آلِ إبراهيم وآلِ عمرانَ نبيّاً كانَ أو إماماً[٤].

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّراً

---

(١) وهو قول الحسن البصري. راجع تفسيره: ج ١ ص ٢١٠، والتبيان: ج ٢ ص ٤٤١، وزاد المسير لابن الجوزي: ج ١ ص ٣٧٥.

(٢) أُنظر تفسير القمّي: ج ١ ص ١٠٠ وفيه: عن الكاظم عليه السلام، والتبيان: ج ٢ ص ٤٤١، وتفسير العياشي: ج ١ ص ١٦٩ ح ٣٤ و٣٥ كلاهما عن الصادق عليه السلام.

(٣) قاله الحسن. راجع التبيان: ج ٢ ص ٤٤١.

(٤) قال الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ٤٤٠: والاصطفاء هو الاختصاص بحال خالصة من الأدناس، ويقال ذلك علىٰ وجهين: الأول: يقال: اصطفاه لنفسه أي جعله خالصاً له يختص به، والثاني: اصطفاه علىٰ غيره أي اختصّه بالتفضيل علىٰ غيره وهو معنى الآية، فإن قيل: كيف يجوز اختصاصهم بالتفضيل قبل العمل؟ قيل: إذا كان في المعلوم أنّ صلاح الخلق لا يتمّ إلّا بتقديم الاعلام لذلك بما قدم من البشارة بهم، والاخبار بما يكون من حسن أفعالهم والتشويق إليهم بما يكون من جلالتهم الىٰ غيره من الآيات التي تشهد لهم، والقوى في العقول والافهام التي كانت لهم، وجب في الحكمة تقديم ذلك لما فيه من حسن التدبير.

فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ (٣٦)

يجوز أن يكونَ ﴿إِذْ﴾ منصوباً بقوله: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، أي: سميعٌ عليمٌ لقولِ امرأةِ عمرانَ ونيَّتِها، وقيل: هو منصوبٌ بـ«اذكُرْ»[1]، وهي امرأةُ عمرانَ بنِ ماثانَ أُمُّ مريمَ البتولِ جدَّةُ عيسى عليه السلام واسمها حنَّةُ، وكانتا أُختَيْنِ: إحداهما هذه والأُخرىٰ عند زكريَّا عليه السلام واسمها ايشاعُ واسم أبيها فاقوذ[2]، فيحيَى ومريمُ ابنا خالةٍ ﴿مُحَرَّراً﴾ أي: مُعْتَقاً لخدمةِ بيتِ المَقدسِ لايَدَ لي عليه ولا أستخدمُه، ورُوِي عن الصادق عليه السلام: «أنَّ اللهَ عزَّوجلَّ أوحى إلىٰ عمرانَ أنّي واهبٌ لك ولداً مباركاً يُبْرِئُ الأكمَهَ والأبرصَ ويُحيي الموتَى بإذني، فحدَّث امرأتَه حنَّة بذلك، فلمّا حملت ﴿قَالَتِ﴾: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَافِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ﴾ أي: نذري قبولَ رِضىً ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ بما أقولُ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما أنوي ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ وكانت ترجو أن يكون غلاماً خَجِلت واستحيت، و ﴿قَالَتْ﴾ مُنكِّسةً رأسَها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ وإنَّما قالت ذلك تحسُّراً لأنَّها كانت ترجو أن تَلِدَ ذكراً، ولذلك نَذَرَتْهُ مُحرَّراً، ولذلك قال اللهُ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾

---

(١) حكى الزجّاج عن أبي عبيدة أنّه قال: معناه: «قالت امرأة عمران»، ثم قال: ولم يصنع أبو عبيدة في هذا شيئاً، قال جميع النحويّين: إنّ «إذ» يدلّ علىٰ مامضىٰ من الوقت فكيف يكون الدليل علىٰ مامضىٰ من الوقت لغواً، وهي اسم مع مابعدها؟ وقال غير أبي عبيدة منهم الأخفش والمبرّد: المعنىٰ: اذكروا إذ قالت امرأة عمران. والمعنى عندي ـ والله أعلم ـ غير ماذهبت إليه هذه الجماعة، وإنّما العامل في ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ معنىٰ الاصطفاء، أي المعنىٰ: واصطفىٰ آل عمران ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ...﴾. راجع معاني القرآن واعرابه: ج ١ ص ٤٠٠.

(٢) في نسخة: فاقوز.

تعظيماً لموضوعِها، أي: واللهُ أَعلم بالشيءِ الَّذي وَضَعَتْ وبما علّق به من عظائِم الأُمور وهي لا تعلم ذلك»(١)، وقُرِئَ: «بما وَضَعْتُ» بضمِّ التاءِ(٢)، ورُوِيَ ذلك عن عليٍّ عليه السلام(٣)، بمعنىٰ: ولَعلَّ للهِ فيه سرّاً وحكمةً، ولعلَّ هذه الأُنثىٰ خيرٌ من الذكـرِ تسليةً لنفسِها، ومريمُ في لغتهم هي العابدة.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٧)

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ فَرَضِيَ بها بالنذر مكانَ الذكرِ ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ فيه وجهان: أَحدهما: أَن يكونَ القبولُ اسماً لما يُقْبَلُ به الشيءُ كالسعوطِ والْوَجور لما يُسْعَطُ به ويُوجَرُ، وهو اختصاصه لها بإِقامتها مقامَ الذكَرِ ولم يقبل قبلها أُنثىٰ في ذلك أَو بأَن تسلَّمها من أُمِّها عقيبَ الولادةِ قبل أَن تَصْلُحَ للسدانةِ، والثاني: أَن يكونَ مصدراً علىٰ تقديرِ حذفِ المضافِ بمعنىٰ: فتقبَّلها بذي قبولٍ حسنٍ، أَي: بأَمرٍ ذي قـبولٍ حسن وهو الاختصاص(٤) ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾ أَي: جعل نُشوءَها نُشوءاً حَسناً وربّاها تربيةً حسنةً وأَصلح أَمرَها في جميع أَحوالها، وقُرِئَ: «وَكَفَّلَهَا» بالتشديدِ

---

(١) تفسير القمّي: ج ١ ص ١٠١، وعنه تفسير البرهان: ج ١ ص ٢٨٠ ح ٢.

(٢) قرأه عاصم برواية أبي بكر وابن عامر ويعقوب والمفضل. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٠٤، والحجة لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٣٥٤، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٥١، والعنوان في القراءات لابـن خـلف: ص ٧٩، والتـبيان: ج ٢ ص ٤٤٣، و تفسير القرطبي: ج ٤ ص ٦٧، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٢٩٥، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٤٣٩.

(٣) أوردها المصنّف في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٤٣٤.

(٤) أُنظر الكشّاف: ج ١ ص ٣٥٧، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٥٦٥.

«زكريّاءَ» بالنصب[١]، والفعل للهِ تعالىٰ، بمعنىٰ: وضمَّها إليه وجعله كافلاً لها وضامناً لمصالحِها، وقُرِئَ: «زكريّا» بالقصر والمدِّ[٢]، وقيل: إنّه بنىٰ لها زكريّاءُ محراباً في المسجدِ، أي: غرفةً تَصْعَدُ إليها بسُلَّم[٣]، وقيل: المحراب أشرف المجالسِ ومقدَّمُها، كأنّها وُضِعَت في أشرفِ موضعٍ من بيتِ المَقدِسِ[٤]، وقيل: كانت مساجدُهُم تسمّىٰ محاريب[٥]، ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً﴾ كان رزقها ينزل عليها من الجنّة، فكان يجد عندها فاكهةَ الشتاءِ في الصيفِ وفاكهةَ الصيفِ في الشتاءِ ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا﴾ من أينَ لكِ هذا الرزق الّذي لا يُشبِهُ أرزاق الدنيا؟! ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: من الجنّةِ.

وفي كتاب الكشّاف: عن النبيِّ صلى الله عليه وآله أنّه جاعَ في زمنٍ قحطٍ فأهْدَتْ له فاطمةُ عليها السلام رغيفَيْنِ وبَضْعَةَ لحم آثَرَتْهُ بها، فرجع بها إليها، وقال: هلُمّي يابُنيَّةُ، فكشف عن الطبق فإذا هو مملوٌّ خبزاً ولحماً، فبُهِتَتْ[٦] وعَلِمت أنّها نزلت من عندِ اللهِ، فقال لها: أنّىٰ لكِ هذا؟ فقالت: هو من عندالله، إنَّ اللهَ يرزق من يشاء بغير حساب، فقالَ عليه السلام: الحمدُ للهِ الّذي جعَلَكِ شبيهةَ سيِّدةِ نساءِ بني إسرائيل، ثمَّ جمع رسولالله صلى الله عليه وآله عليَّ بنَ أبي طالبٍ والحسنَ والحسينَ وجميعَ أهل بيتِه عليهم السلام عليه

(١) وهي قراءة عاصم برواية أبي بكر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٠٤، وفي التبيان: ج ٢ ص ٤٤٦، وإعراب القرآن للنحاس: ج ١ ص ٣٧٢، والبحر المحيط: ج ٢ ص ٤٤٢ نسبوا القراءة الى أهل الكوفة.

(٢) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم برواية أبي بكر. راجع التبيان: ج ٢ ص ٤٤٦، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٠٤، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٣) قاله محمّد بن إسحاق. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ٢٩٦.

(٤) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٤٠٣ وقال: المحراب في اللغة: الموضع العالي الشريف.

(٥) قاله الأزهري في تهذيب اللغة: مادة (حرب)، وعنه ابن منظور في لسان العرب: مادة (حرب).

(٦) في نسخة: فتنبّهت.

حتّى شبعوا وبقي الطعام كما هو، فأَوْسَعَتْ فاطمةُ عليها السلام علىٰ جيرانِها[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ من جملة كلام مريم، أَو كلام ربِّ العـزَّة ﴿بِـغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تقدير لكثرتِه، أَو تفضُّلاً بغير محاسَبَةٍ ومجازاةٍ على عملٍ.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ (٣٩)

﴿هُنَالِكَ﴾ أَي: في ذلكَ المكانِ حيثُ هو قاعدٌ في المسجِد عندَ مـريمَ فـي المحرابِ، أَو في ذلك الوقت فقد يستعار «هنا» و«ثَمَّ» و«حيثُ» للزمان[٢]، لمّا رأَىٰ حالَ مريم من كرامتِها علىٰ اللهِ ومنزلتِها رَغِبَ في أَن يكونَ له ولد من ايشاع مثل ولد أُختها حنَّةَ في الكرامةِ على اللهِ وإِن كانَتْ عاقراً عجوزاً ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ أَي: ولداً مباركاً تقيّاً نقياً، وإِنَّما أُنِّثَ علىٰ لفظِ الذرِّيَّةِ، والذرِّيَّة تقع على الواحد والجمع ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ أَي: مـجيبه ﴿فَـنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ قيل: ناداه جبرئيل عليه السلام[٣]، وقُرِئَ: «فناداه» على التذكير والإِمالة[٤]، وقُرِئَ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ بالفتحِ علىٰ تقدير: «بأَنَّ الله»، وبالكسر[٥] على تقدير

(١) الكشّاف: ج ١ ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩.

(٢) أُنظر معاني القرآن للزجّاج: ج ١ ص ٤٠٤، والكشّاف للزمخشري: ج ١ ص ٣٥٩.

(٣) قاله السدي. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٣٨٩.

(٤) قرأه ابن مسعود وابن عباس وخلف وحمزة والكسائي واختاره أبو عبيد. أُنظر التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٥٢، والتيسير في القراءات للداني: ص ٨٧، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٧٩، والتبيان: ج ٢ ص ٤٥٠، وإِعراب القرآن للنحاس: ج ١ ص ٣٧٣، وتفسير القرطبي: ج ٤ ص ٧٤، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٤٤٦.

(٥) قرأه ابن عامر وحمزة والكسائي. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٥٢، ←

إرادة القول أو لأنَّ النداءَ ضربٌ من القولِ، وقُرئَ: «يَبْشُرُكَ» بفتح الياء والتخفيف[١] من بشره يبشره، و «يحْيَىٰ» إن كان أعجمياً فإنَّما مُنِعَ الصرف للتعريفِ والعُجمةِ، وإن كانَ عربيّاً فللتعريفِ ووزنِ الفعلِ.

﴿مُصَدِّقاً بِكَلِمةٍ مِّنَ ٱللهِ﴾ أي: بعيسىٰ مؤمناً به، قيل: إنَّه أوَّلُ من آمن به؛ وإنَّما سُمِّيَ كلمةً لأنَّه لم يوجَدْ إلَّا بكلمةِ اللهِ وحدَها وهو قوله: «كُنْ» من غير سببٍ آخر[٢]، وقيل: مُصَدِّقاً بِكَلِمةٍ من اللهِ: مؤمناً بكتابٍ منه[٣]، وسُمِّيَ الكتابُ كلمةً كما قيل: كَلِمَةُ الْحُوَيْدِرةِ[٤] لقصيدته[٥] ﴿وَسَيِّداً﴾ يسود قومَه ويَفوقُهم في

← والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٣٤٣، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٧٩، والتبيان: ج ٢ ص ٤٥٠، وإعراب القرآن للنحاس: ج ١ ص ٣٧٣، والبحر المحيط: ج ٢ ص ٤٤٦.

(١) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٠٦، والحجة في القراءات لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٣٦٠، والتيسير في القراءات للداني: ص ٨٧، والتبيان: ج ٢ ص ٤٥٠، وتفسير القرطبي: ج ٤ ص ٧٥.

(٢) قاله ابن عبّاس ومجاهد وقتادة والربيع والضحّاك والسدي. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٣٩٠، والبحر المحيط: ج ٢ ص ٤٤٧.

(٣) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٩١، وعنه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٢٩٩.

(٤) الحويدرة والحادرة لقب غلب علىٰ شاعرٍ جاهلي، واسمه قطبة بن أوس بن محصن الغطفاني، والحويدرة مصغّر الحادرة ويعني: الضخم، وسببه أنّه خرج هو وزبان الفزاري يصطادان، فاصطادا جميعاً، فخرج زبان يشتوي ويأكل في الليل وحده فقال الحادرة:

تركت رفيق رحلك قدتراه   وأنت لفيك في الظلماء هاد

فحقدها عليه زبان، ثم أتيا غديراً فتجرّد الحادرة وكان ضخم المنكبين، فقال زبان:

كأنك حادرة المنكبين   رصعاء تنقض في حائر

فغلب عليه هذا اللقب. أُنظر الأغاني: ج ٣ ص ٨٢ ـ ٨٤.

(٥) روي أنّه ذُكر لحسان بن ثابت قصيدة الحويدرة التي مطلعها:

بكرت سمية غدونافتمتعي   رغدت غدوّ مفارق لم يربع

فقال: لعن الله كلمته، يعني قصيدته هذه. أُنظر تفسير القرطبي: ج ٤ ص ٧٦، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٤٤٧.

الشرفِ والعلمِ والعبادةِ ﴿وَحَصُوراً﴾ لا يقرب النساءَ؛ حصراً لنفسِه ومنعاً من الشهواتِ ﴿وَنَبِيّاً مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ أي: رسولاً شريفاً رفيعَ المنزلةِ كائناً من جملة الأنبياءِ الصالحينَ.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾ (٤١)

﴿قَالَ﴾ زكريَّا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ﴾ هذا استبعادٌ من حيثُ العادةِ ﴿وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ﴾ كقولهم: أدْرَكَتْهُ السنُّ العاليَةُ، والمعنىٰ: أثَّر فيَّ الكبرُ وأضعفني، وكانت له تسعٌ وتسعونَ سنةً، وقيل: مائةٌ وعشرونَ سنةً ولامرأتِه ثمانٍ وتسعونَ سنةً[1]، ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ﴾ أي: يفعل اللهُ ما يشاءُ من الأفعال العجيبةِ الخارقةِ للعادةِ مثل ذلكَ الفعلِ وهو خلق الولد بين الشيخِ الفاني والعجوزِ العاقرِ، أو ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ﴾ مبتدأٌ وخبرٌ، أي: علىٰ نحوِ هذهِ الصفةِ اللهُ[2]، و ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ بيان له ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾ أي: علامةً أعرف بها وقتَ الحمل لأتَلَقّى هذهِ النعمةَ إذا جاءَت بالشكرِ ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا﴾ تقدر علىٰ تكليم ﴿ٱلنَّاسِ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً﴾ إشارةً بيدٍ أو رأسٍ أو غيرِهما، وأصلُه التحرُّكُ، وإنَّما خصَّ تكليم الناسِ ليُعْلِمَه[3] أنَّ حبسَ لسانِه يكونُ عن القدرةِ علىٰ تكليمِهم خاصَّةً، ويكونُ قادراً على التكليمِ بذكرِاللهِ، ولذلكَ قال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً﴾ يعني: في أيَّامِ عجزِكَ عن تكليمِ الناسِ، وهي من المعجزاتِ الباهرةِ ﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ﴾ من حين تزول[4]

---

(١) قاله ابن عبّاس والضحّاك. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ٢٩٩، وتفسير القرطبي: ج ٤ ص ٧٩.
(٢) أنظر الكشّاف للزمخشري: ج ١ ص ٣٦٠.
(٣) في بعض النسخ: «ليعلّمه» بالتشديد.
(٤) في نسخة: نزول، وأخرىٰ: زوال.

الشمسُ إِلىٰ أَن تغيبَ ﴿وَٱلۡإِبۡكَـٰرِ﴾ من طلوع الفجر إِلىٰ وقتِ الضُحىٰ.

﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَـٰلَمِينَ (٤٢) يَـٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ (٤٣)

﴿إِذۡ﴾ هذه معطوفةٌ علىٰ ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾[1]، كلَّمتها الملائكةُ شِفاهاً و ﴿قَالَتِ﴾ لها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ﴾ أَوّلاً إذ تقبّلكِ من أُمِّكِ وربّاكِ واختصَّكِ بأَنواعِ الكرامةِ ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من الأَدناسِ والأَقذار العارضةِ للنساءِ مثل[2] الحيضِ والنفاسِ ﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ﴾ آخِراً ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾ بأَن وَهَبَ لكِ عيسىٰ من غير أَبٍ ولم يكن ذلك لأَحدٍ من النساءِ ﴿يَـٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾ أُمِرتْ بالصلاةِ بذكر القنوتِ والسجودِ لكونِهما من هيآت الصلاةِ وأَركانها، ثمَّ قيل لها: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ بمعنىٰ: ولتكن صلاتُكِ مع المصلِّينَ في الجماعةِ، أَو وانظمي نفسَكِ في جملة المصلِّين وكوني في عدادِهم.

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَـٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ (٤٤)

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إِلىٰ ماسبق من نبأ زكريّا ويحيىٰ ومريم ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ الَّتي لم تعرفها إِلّا بالوحيِ ﴿نُوحِيهِ إِلَيۡكَ﴾ أَي: نلقيه إِليكَ معجزةً لك، لأَنَّ علمَ ماغابَ عن الإنسانِ لا يمكن حُصولُه إِلّا بدراسةِ الكتبِ أَو بالتعلُّم أَو بالوحيِ، ومعلومٌ أَنَّك لم تشاهد هذه القصصَ ولم تقرأها من كتابٍ ولا تعلّمتَها، إذ كان نُشوؤكَ بين قومٍ لم يكونوا أَهل كتابٍ، فوضح أَنّك لم تعرف ذلك إِلّا بالوحيِ ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَـٰمَهُمۡ﴾ الَّتي كانوا يكتبون بها التوراة في الماءِ

---

(١) الآية: ٣٥. (٢) في نسخة: بنفي.

يقترعونَ علىٰ مريمَ، فارتزَّ[١] قلمُ زكريَّا وارتفع فوقَ الماءِ ورَسُبَتْ أقلامُ الباقينَ من الأحبار[٢] ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ أي: ليعلموا أيُّهم يكفُلُها ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في شأنها.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (٤٧)

﴿إِذْ قَالَتِ﴾ بدل من ﴿وَإِذْ قَالَتِ﴾[٣]، ويجوز أن يُبْدَلَ من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[٤]، ﴿يُبَشِّرُكِ﴾ يُخبِرُكِ بما يَسُرُّكِ ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ﴾ وأصله «مشيحا» بالعبرانيَّة ومعناهُ: المباركُ كقوله: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[٥]، وكذلك «عيسىٰ» معرَّبٌ من «ايشوع»، وقيل: إنَّما سُمِّي مسيحاً لأنَّ جبرَئيلَ مَسَحَه بِجَناحَيْه وقت ولادتِه يُعَوِّذُه بذلك من الشيطان[٦]، وقيل: لأنَّه كان لا يمسح ذا عاهة بيده إلَّا بَرَأ[٧]، وإنَّما قيل[٨]: ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ وهذه ثلاثة أشياءَ: الاسمُ منها عيسىٰ، والمسيحُ لقبٌ من ألقابِهِ الشريفةِ، والابنُ صفةٌ؛ لأنَّ

---

(١) ارتزَّ: ثبت. (الصحاح: مادة رزز).
(٢) أنظر الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ١ ص ٢٩٩.
(٣) آل عمران: ٤٢.
(٤) راجع الكشّاف للزمخشري: ج ١ ص ٣٦٣.
(٥) مريم: ٣١.
(٦) حكاه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٣٠٢، والرازي في تفسيره: ج ٨ ص ٤٩.
(٧) قاله ابن عباس علىٰ ماحكاه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٣٠٢.
(٨) في بعض النسخ: قال.

الاسمَ يكونُ علامةً للمسمّىٰ يتميَّز بها عن غيره، فكأنَّه قيلَ: إنَّ مجموعَ هذهِ الثلاثةِ هو الَّذي يتميَّز بذلك عن غيرِه ﴿وَجِيهاً﴾ حالٌ من «كلمةٍ» وكذلك ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ ، ﴿وَيُكَلِّمُ﴾ ، ﴿وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ أي: يُبَشِّرُكِ به موصوفاً بهذه الصفاتِ، وصحَّ الحال من النكرةِ لكونها موصوفةً، والوجاهة ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ هي النبوَّة والرئاسة على الناس ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾: الشفاعةُ وعلوُّ الرتبةِ[1]، ﴿وَ﴾ كونه ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ رفعه إلى السماءِ، وقوله: ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ في موضِعِ النصبِ على الحال من ﴿يُكَلِّمُ﴾، و ﴿كَهْلًا﴾ عطفٌ عليه، والمعنىٰ: يكلِّم الناسَ طفلاً وكهلاً كلامَ الأنبياءِ من غيرِ تفاوتٍ بين الحالَتيْن.

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم مِّن رَّبِّكُمْ بِـَٔايَةٍ فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ (٥٠)

﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿يُبَشِّرُكِ﴾ أَو علىٰ ﴿يَخْلُقُ﴾ أَو علىٰ ﴿وَجِيهاً﴾ أَو هو كلام مستأنَف، وقُرِئَ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بالياءِ والنونِ[2]، وقوله: ﴿وَرَسُولًا ...

(١) في نسخة: المرتبة.

(٢) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٠٦، والحجة في القراءات السبع لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٣٦١، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٥٣، والتيسير في القراءات للداني: ص ٨٨، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٧٩.

وَمُصَدِّقاً﴾ فيهما وجهان: أَحدُهما: أَنَّ التقديرَ: ويَقول: أُرْسِلْتُ رَسولاً بـ ﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم﴾ ﴿وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ﴾، والثاني: أَنَّ الرسولَ وَالْمُصدِّقَ فيهما معنى النطق، فكأَنَّه قيلَ: وناطقاً بأَنِّي قد جئتكم وناطقاً بأَنِّي أُصدِّق مابين يديَّ[1]، و ﴿أَنِّى أَخْلُقُ﴾ في موضعِ نصبٍ بدلٌ من ﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم﴾ أَو في موضع جرٍّ بدلٌ من «ءَايَةٍ» أَو في موضعِ رفعٍ علىٰ «هي أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ»[2] وقد قُرِئَ: «إِنِّي أَخْلُقُ» بالكسر[3] على الاستئناف، والمعنىٰ: أَنِّي أُقدِّرُ لكم شيئاً مثل صورة الطير ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ أَي: في ذلك الشيءِ المماثل لـ«هَيْئَةِ الطَّيْرِ»، ﴿فَيَكُونُ طَيْراً﴾ كسائِر الطيور حيّاً ﴿بِإِذْنِ ٱللهِ﴾ بقدرته وأَمره ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ﴾ أَي: الَّذي يولد أَعمى ﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾ الَّذي به وَضَحٌ، وإِنَّما كرَّر ﴿بِإِذْنِ ٱللهِ﴾ دفعاً لوهم من توهَّم فيه الإِلهية ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ـه ﴿وَمَاتَدَّخِرُونَ﴾ـه ﴿فِى بُيُوتِكُمْ﴾ كان يقولُ: يافلانُ أَكلت كذا ويافلانُ خُبِئَ لك كذا، وقوله: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾ محمولٌ علىٰ قوله: ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ أَي: جئتكم بآيةٍ من ربكم ولأُحِلَّ لكم، ويجوز أَن يكونَ ﴿وَمُصَدِّقاً﴾ محمولاً عليه أيضاً، أي: جئتكم بآيةٍ وجئتكم مُصدِّقاً، والَّذي أَحلَّ لهم عيسىٰ عليه السلام وقد كانَ محرَّماً عليهم في شريعة موسىٰ هو لحم الإِبل والشحم والترب[4] ولحم بعض الحيتان ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أَي: حجَّةٍ شاهدةٍ علىٰ صحَّة نبوَّتي ﴿فَاتَّقُواْ ٱللهَ﴾ في مخالفتي وتكذيبي ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ـي.

﴿إِنَّ ٱللهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٥١) فَلَمَّآ أَحَسَّ

---

(١) أُنظر الكشّاف: ج ١ ص ٣٦٤. (٢) راجع الكشّاف: ج ١ ص ٣٦٤.

(٣) قرأه نافع. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٠٦، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٥٤، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٧٩، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٤٦٥.

(٤) الترب: شحم رقيق قد غشي الكرش والامعاء. (الصحاح: مادة ثرب).

عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيَ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ (٥٣) وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ (٥٤)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ مالكي ومالككم، إنَّما قال ذلك لِيَكونَ حجَّةً على النصارىٰ في قولهم: المسيحُ ابنُ اللهِ، والمعنىٰ: لا تنسبوني إليه فإنَّما أنا عبدٌ له كما أنَّكم عبيدٌ له ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ﴾ أي: علِمَ ﴿عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ علماً لا شبهة فيه كعلم ما يُدْرَكُ بالحواس ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِيَ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: من الّذين يضيفونَ أنفسهم إلى اللهِ ينصرونني كما ينصرني؟ فيكون ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ من صلةِ ﴿أَنصَارِيَ﴾، ويجوز أن يكونَ متعلِّقاً بمحذوفٍ حالاً من الياءِ أي: من أنصاري ذاهباً إلى اللهِ؟[١] ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي: أنصارُ دينهِ ورسولِه، وحواريُّ الرجلِ صفوتُه وخاصَّتُه، ويقال لنساءِ الحضر: الحواريّاتُ لنظافتهنَّ وخلوصِ ألوانِهنَّ، والحواريُّونَ كانوا اثْنَيْ عَشَرَ رجلاً[٢]، قيل: سُمُّوا بذلك لأنَّهم كانوا نورانيِّين[٣] عليهم أثر العبادة أو لنقاءِ قلوبهم كما يُنْقَى الثوبُ بالتحوير[٤]، وقيل: كانوا قصّارين يُبَيِّضُونَ الثيابَ[٥]، وإنَّما طلبوا شهادتَه لأنَّ الرسلَ يشهدونَ يوم القيامةِ لِقومِهم وعليهم، وقوله: ﴿مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ أي: مع الأنبياءِ الّذينَ يشهدون لأُممهم، وقيل: مع أُمّة محمّد ﷺ لأنَّهم شهداءُ على الناسِ[٦] ﴿وَمَكَرُواْ﴾ الواو لكفّارِ بني

---

(١) أُنظر الكشّاف: ج ١ ص ٣٦٦.

(٢) قاله الكلبي وعكرمة. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ٣٠٦.

(٣) في نسخة: ربّانيّين.

(٤) قاله الضحّاك. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ٣٠٦.

(٥) قاله ابن أبي نجيح. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٣٩٥.

(٦) وهو قول ابن عبّاس. أُنظر تفسيره: ص ٤٨، وعنه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٣٠٦.

إسرائيل، ومكرهم أنَّهم وكَّلوا بهِ من يقتله غيلةً ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ بأن رفع عيسىٰ عليه السلام إلى السماء وألقى شبهه علىٰ من أراد اغتياله حتىٰ قُتِلَ ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ أقواهم مكراً وأنفذُهم كيداً وأقدرُهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٥٥)

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ ظرف لـ﴿خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ أو لـ﴿مَكَرَ ٱللَّهُ﴾ ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ أي[١]: مستوفي أجلك، ومعناه: أنِّي عاصمُك من أن يقتلَكَ الكفَّارُ ومؤخِّرُك إلىٰ أجلٍ كتبتُه لك ومميتُك حتفَ أنفِكَ لاقتلاً بأيديهم ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ أي: إلىٰ سمائِي ومَقَرِّ ملائكتي ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من سوءِ جوارِهم وخبثِ صحبتِهم، وقيل: متوفِّيك: قابضك من الأرض، من توفَّيتُ مالي علىٰ فلان إذا استوفيتَه[٢]، وقيل: متوفِّيك في وقتِك بعدَ النزولِ من السماءِ ورافعك الآنَ[٣]، وقيل: متوفِّيك: متوفِّي نفسِكَ بالنومِ[٤] من قوله: ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾[٥] ورافعك وأنت نائِمٌ حتَّىٰ لا يَلْحقَكَ خوفٌ وتَسْتَيْقظَ وأنت في السماءِ آمِنٌ مقرَّب ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يَعلُونَهُمْ بالحجَّة وفي أكثر الأحوال بالحجَّة والسيف، ومُتَّبِعوه هم المسلمونَ دونَ الَّذين كذَّبوه وكذبوا عليه من اليهود

(١) في نسخة: انّي.
(٢) قاله الحسن البصري. راجع تفسيره: ج ١ ص ٢١٦.
(٣) قاله الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٢١٩، وعنه الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٣٩٧، والسمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٢٧٢.
(٤) قاله الربيع. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٣٩٧، وتفسير القرطبي: ج ٤ ص ١٠٠.
(٥) الزمر: ٤٢.

والنصارىٰ ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ تفسيرُ الحكم فيما بعد وهو قوله: ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ ... فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَالَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَايُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٥٧) ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَـٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (٥٨)

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلىٰ ماسَبقَ من نبأ عيسىٰ عليه السلام وغيره، وهو مبتدأٌ خبره ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾، و ﴿مِنَ ٱلْآيَـٰتِ﴾ خبرٌ بعدَ خبرٍ أو خبرُ مبتدأ محذوفٍ، ويجوز أن يكونَ ﴿ذَٰلِكَ﴾ بمعنىٰ «الَّذي» و ﴿نَتْلُوهُ﴾ صلته و ﴿مِنَ ٱلْآيَـٰتِ﴾ الخبر[1]، ﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ القرآن؛ لأَنَّه بما فيه من الحكمةِ كأَنَّه ينطق بالحكمةِ كما تسمَّى الدلالةُ دليلاً وإن كان الدليل هو الدالَّ.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَاتَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَاجَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ (٦١)

﴿إِنَّ﴾ شأن ﴿عِيسَىٰ﴾ عليه السلام وحالَه العجيبةَ كشأن ﴿ءَادَمَ﴾، وقوله: ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ جملةٌ مفسِّرةٌ لما له شُبِّهَ عيسىٰ بآدم، أي: خلق آدمَ من ترابٍ ولا أب هنا ولا أُمَّ فكذلك حال عيسىٰ، والوجودُ من غير أَبٍ وأُمٍّ أَغربُ[2] وأَدخلُ في بابِ

(١) راجع تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٣٦٧.
(٢) في نسخة: أعجب.

خرقِ العادةِ من الوجودِ من غيرِ أَبٍ، والمعنىٰ: قدَّرَهُ جسماً[١] من طينٍ ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن﴾ أي: أَنْشَأَهُ بشراً كما قالَ: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَـٰهُ خَلْقاً ءَاخَرَ﴾[٢] وقولُه: ﴿فَيَكُونُ﴾ حكايةُ حالٍ ماضيةٍ ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوفٍ أَي: هو الحقُّ، كقول أهل خيبر[٣]: «مُحمَّدٌ والْخميسَ» أَي[٤]: الجيش ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ من بابِ التهييج لزيادةِ الطمأْنينةِ واليقين ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾ من النصارىٰ ﴿فِيهِ﴾ أي: في عيسىٰ ﴿مِن بَعْدِ مَاجَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي: من البيِّناتِ الموجبةِ للعلمِ ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ﴾ هلمُّوا، والمراد المجيءُ بالرأْي والعزمِ كما تقول: تعالَ نُفكِّرْ في هذهِ المسأَلةِ ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ أَي: يدعُ كلٌّ منِّي ومنكم أبناءَه ونساءَه ومَن نفسُه كنفسِهِ إِلى المباهلةِ ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ أي: نتباهل بأَن نقولَ: «بَهْلَةُ اللهِ عَلَى الْكاذِبِ مِنَّا ومِنْكُمْ» والبهلة ـ بالفتح والضمِّ ـ: اللَعنة، وبَهَلَهُ اللهُ: لَعَنَهُ وأَبْعَدَهُ من رحمتِه من قولِك: أَبهله إذا أَهمله، وناقةٌ باهلٌ: لا صِرار[٥] عليها، هذا أَصل الابتهال ثمَّ اسْتُعْمِلَ في كلِّ دعاءٍ يُجْتَهَدُ فيه وإِن لم يكن التعاناً.

نزلت الآيات في وفد نجران[٦]: العاقب والسيِّد ومن معهما، ولمّا دعاهم

---

(١) في بعض النسخ: جسداً. (٢) المؤمنون: ١٤.

(٣) خيبر: مدينة بالحجاز علىٰ بُعد ٩٥ كم شمال المدينة المنورة من جهة الشام، وتشمل علىٰ سبعة حصون وحولها مزارع ونخل كثير، وكان ينزل بها اليهود في صدر الإسلام، فتحها النبيّ ﷺ في السنة السابعة للهجرة في الواقعة المشهورة، وفيها أبلىٰ علي أمير المؤمنين عليه السلام بلاءً حسناً. (معجم البلدان: ج ٢ ص ٥٠٤، مراصد الاطلاع: ج ١ ص ٤٩٤، أعيان الشيعة: ج ١ ص ٢٧٠).

(٤) في نسخة زيادة: هو.

(٥) الصرار: خيط يشدّ فوق الخِلف ـ أي: حلمة ضرع الناقة ـ والتودية ـ أي: الخشبة التي تشدّ على خِلف الناقة إذا صرّت ـ لئلا يرضعها ولدها. (الصحاح: مادة صرر).

(٦) نجران: من مخاليف اليمن من ناحية مكة، وبها كان خبر الأُخدود، وإليها تُنسب كعبة نجران، وهي بيعة بناها بنو عبد المدّان الحارثي علىٰ بناء الكعبة وعظّموها مضاهاةً للكعبة وسمّوها بكعبة نجران، وكان فيها أساقفة معتمّون وهم الذين جاؤوا الى النبي ﷺ ودعاهم ←

النبيُّ صلى الله عليه وآله إلى المباهلة قالوا: حتّى نَرْجِعَ ونَنْظُرَ، فلمّا خلا بعضهم إلىٰ بعضٍ قالوا للعاقب وكان ذا رأيِهم: ياعبد المسيح ماترى؟ قال: وَاللهِ لقد عرفتم أَنَّ محمَّداً نبيٌّ مرسلٌ، ولقد جاءَكم بالفصل من أَمر صاحبكم، وَاللهِ ماباهَلَ قومٌ نبيّاً قطُّ فعاشَ كبيرُهم ولانبَتَ صغيرُهم، فإن أَبَيْتُمْ إلّا إلفَ دينكم فوادِعُوا الرجل وانصرفوا إلى بلادِكم، وذلك بعد أَن غدَا النبيُّ صلى الله عليه وآله آخِذاً بيدِ عليِّ بنِ أَبي طالبٍ والحسنُ والحسينُ عليهما السلام بين يديه وفاطمةُ عليها السلام خلفَه، وخَرَجَ النصارىٰ يَقْدُمُهم أُسقفُهم أَبو حارثَةَ، فقال الأُسقف: إنِّي لأَرىٰ وجوهاً لو شاءَ اللهُ أَن يُزيل جبلاً من مكانِه لأَزالَه بها فَلا تُباهِلوا فتَهْلكوا ولا يبقىٰ علىٰ وجه الأَرضِ نصرانيٌّ إلىٰ يوم القيامةِ، فقالوا: يا أَبا القاسم إنّا لا نُباهِلُك ولكن نُصالِحُك، فَصالَحَهُمْ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله علىٰ أَن يُؤَدُّوا إليه كلَّ عامٍ أَلفيْ حلَّة: أَلفٌ في صفر وأَلفٌ في رجب، وعلىٰ عاريةِ ثلاثينَ درعاً وعاريةِ ثلاثين فرساً وثلاثين رمحاً إن وَقَعَ كيدٌ باليمنِ، وقال: والّذي نفسي[1] بيده إنَّ الهلاكَ قد تَدَلّىٰ علىٰ أَهلِ نجرانَ ولو لاعَنُوا لَمُسِخُوا قردةً وخنازيرَ، ولاضْطرَمَ عليهمالوادي ناراً، ولما حالَالحولُ علىالنصارىٰ كلِّهم حتّى يَهْلِكوا[2].

وفي هذه الآية أَوضحُ دَلالةٍ علىٰ فضلِ أَصحابِ الكساءِ عليهم السلام وعلوِّ درجتِهم وبلوغِ مرتبتِهم في الكمالِ إلىٰ حدٍّ لايدانيهم أَحدٌ من الخلق.

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَامِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٦٢) فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِٱلْمُفْسِدِينَ (٦٣) قُلْ يَـٰٓأَهْلَ

← إلى المباهلة، وكان فتح نجران في زمن النبي صلى الله عليه وآله سنة ١٠ هـ صلحاً على الفيء. (معجم البلدان: ج ٤ ص ٧٥٦، مراصد الاطلاع: ج ٣ ص ١٣٥٩).

(١) في نسخة: نفس محمّد.

(٢) أُنظر أسباب النزول للواحدي: ص ٩٠ ـ ٩١، والكشّاف: ج ١ ص ٣٦٩.

ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَانُشْرِكَ بِهِ شَيْـًٔا وَلَايَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٦٤)

﴿إِنَّ هَـٰذَا﴾ الَّذي قصَّ عليك من نبأ عيسىٰ وغيرِه ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْـحَقُّ﴾ والحديثُ الصدقُ، و ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿وَمَامِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بمنزلة البناءِ على الفتحِ في «لا إِلهَ إِلَّا اللهُ» في إِفادةِ معنَى الاستغراقِ، وهو ردٌّ على النصارىٰ في قولهم بالتثليث ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وعيدٌ لهم، ولمَّا تمَّ الحجاجُ على القومِ دعاهم سبحانه إِلى التوحيدِ فقال: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ أَي: مستويةٍ ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإِنجيل، وتفسير الكلمة قوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَانُشْرِكَ بِهِ شَيْـًٔا وَلَايَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني: هَلُمُّوا إِليها حتَّى لا نقول: عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ وَلا المَسيحُ ابْنُ اللهِ؛ لأَنَّ كلَّ واحدٍ منهما بعضُنا وبشرٌ مثلُنا، ولا نطيعَ الأَحبار فيما أَحدَثُوا من التحريمِ والتحليلِ كقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية[١]، وقال عديُّ بنُ حاتم: ماكُنَّا نَعْبُدُهُم يارَسولَ اللهِ، قال: «أَليسَ كانُوا يُحِلُّونَ لَكُمْ وَيُحَرِّمُونَ فَتَأْخُذُونَ بقَولِهِمْ؟»، قال: نعم، قال: «هُوَ ذاك»[٢]، ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن التوحيدِ ﴿فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أَي: لزمتكم الحجَّةُ فوجب عليكم أَن تعترفوا بأَنَّا مسلمونَ دونَكم، ويجوزُ أَن يكونَ من باب التعريضِ ومعناه: اشهَدُوا بأَنَّكم كافرونَ حيثُ تولَّيتم عن الحقِّ بعدَ ظهورِهِ[٣].

(١) التوبة: ٣١.

(٢) رواه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٣٧١.

(٣) أنظر الكشّاف: ج ١ ص ٣٧١.

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (٦٧)

اجتمعت أَحبارُ اليهودِ والنصارىٰ عندَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وزَعَمَ كلُّ فريقٍ منهم أَنَّ ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ كانَ منهم، فقيل لهم: إِنَّ اليهوديَّةَ حَدَثَتْ بعدَ نزولِ ﴿ٱلتَّوْرَىٰةُ وَ﴾ النصرانيَّةَ بعد نزولِ ﴿ٱلْإِنجِيلُ﴾ وبينَ إِبراهيم وموسىٰ أَلفُ سنةٍ وبينَه وبينَ عيسىٰ أَلفانِ، فكيفَ يكونُ إِبراهيمُ على دينٍ لم يَحْدُثْ إِلَّابعدَ عهدِه بأَزمنةٍ كثيرةٍ؟! ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ حتَّى لاتُجادلوا مثلَ هذا الجِدالِ الْمُحالِ ؟! ﴿هَـٰٓ﴾ للتنبيه وَ ﴿أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأٌ وخبرٌ، وَ ﴿حَـٰجَجْتُمْ﴾ جملةٌ مستأْنفةٌ مبيِّنة للجملةِ الأُولىٰ، يعني أَنتم هؤُلآءِ الأَشخاصُ الجُهّالُ بيانُ جهلِكم وقلَّةِ عقلِكم أَنَّكم جادَلتم ﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ ممّا نَطَقَ بِهِ التوراةُ والإِنجيلُ ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا﴾ لا ذكرَ له في كتابَيْكم من دينِ إِبراهيم؟! ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ شأْنَ إِبراهيمَ ودينه ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فلا تتكلَّموا فيه، ثمَّ أَعْلَمَهم بأَنَّ إِبراهيمَ بَريءٌ من دينِهم ﴿وَ﴾ ما ﴿كَانَ﴾ إِلَّا ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أَراد بالمشركين اليهودَ والنصارىٰ لإِشْراكِهم به عزيراً والمسيحَ.

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٦٨) وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٦٩)

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ﴾ أَخصَّ الناس ﴿بِإِبْرَٰهِيمَ﴾ وأَقربَهم منه من الولي وهو

القرب ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه وبعده ﴿وَهَـٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ خصوصاً ﴿وَٱلَّـذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من أُمَّته ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يتولَّىٰ نُصرَتَهم ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ﴾ أي: تمنَّت جماعةٌ ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ هم اليهود دعوا حُذَيْفَةَ وعمَّاراً[١] ومُعاذاً[٢] إلى اليهوديَّةِ ﴿وَمَايُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ وما يعود وبالُ الإضلالِ إلَّا عليهم؛ لأنَّ العذابَ يُضاعَفُ لهم بضلالِهم وإضلالِهم، أو مايقدرون على إضلالِ المسلمينَ وإنَّما يضلُّونَ أَمثالَهم[٣] ﴿وَمَايَشْعُرُونَ﴾ أي: وما يعلمون أَنَّ وبالَ ذلك يعود عليهم.

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٧١)

﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ بالتوراةِ والإنجيلِ، وكفرُهم بها أَنَّهم لا يُؤْمِنون بما نَطَقَتْ به

(١) هو أبو اليقظان، عمّار بن ياسر الكناني المذحجي، حليف بني مخزوم، أحد السابقين إلى الإسلام ومن المهاجرين، شهد المشاهد كلّها ثم شهد اليمامة فقطعت أُذنه بها، ثم استعمله من بعدُ عمر على الكوفة، وكتب إليهم: أنّه من النجباء من أصحاب محمّد ﷺ، تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ: أنّ عماراً تقتله الفئة الباغية، قُتِل بصفّين مع الامام علي بن أبي طالب عليه السلام سنة ٣٧ هـ وله من العمر ثلاث وتسعون سنة. (الإصابة في تمييز الصحابة: ج ٢ ص ٥١٢، حلية الأولياء: ج ١ ص ١٣٩، الأعلام للزركلي: ج ٥ ص ٣٦).

(٢) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الخزرجي الأنصاري؛ أبو عبدالرحمن، صحابي جليل، أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة، وهو أحد الستّة الذين جمعوا القرآن علىٰ عهد النبي ﷺ، شهد بدراً وأُحداً والخندق والعقبة مع الأنصار السبعين، وقد آخى النبي ﷺ بينه وبين جعفر ابن أبي طالب، بعثه النبي ﷺ بعد غزوة تبوك قاضياً ومرشداً لأهل اليمن، مات عقيماً بناحية الأُردن ودُفن بالغور سنة ١٨ هـ. (الاصابة في تمييز الصحابة: ج ٣ ص ٤٢٦، أُسد الغابة لابن الأثير: ج ٤ ص ٣٧٦، طبقات ابن سعد: ج ٣ ص ١٢٠).

(٣) أُنظر الكشّاف: ج ١ ص ٣٧٢.

من صحّة نبوّة محمّدٍ صلى الله عليه وآله ونعته، ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ تعترفون بأنّها آيات الله، أو تكفرون بالقرآن ودلائلِ نبوّةِ الرسولِ وأنتم تشهدونَ نعتَه في الكتابينِ[١] ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ الباطِلُ: ماحرّفوه من التوراةِ، والحقُّ: ماتركوه على حالِه ﴿وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ وهو نبوّة محمّدٍ صلى الله عليه وآله.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (٧٤)

تواطأ اثنا عشَرَ رجلاً من أحبارِ يهودِ خيبر وقال بعضُهم لبعضٍ: ادخُلوا في دينِ محمّدٍ صلى الله عليه وآله أوّلَ النّهار من غيرِ اعتقادٍ ﴿وَٱكْفُرُوٓاْ﴾ بِهِ آخِرَ النهارِ، وقولوا: إنّا نظَرْنا في كتبِنا وشاوَرْنا علماءَنا فوجدنا محمّداً ليس بذلك النعوتِ وظَهَرَ لنا كذبُه وبطلانُ دينِه، فإذا فَعلْتُمْ ذلكَ شكَّ أصحابُه في دينِهم ويقولون: مارجعوا وهم أهلُ الكتابِ إلّا لأمرٍ قد تبيّنَ لهم[٢] و ﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ أوّله، وقوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ يتعلّق بقوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾ وما بينَهما اعتراضٌ، أي: ولا تُظهِروا إيمانَكم بأنْ يُؤتَى أحدٌ ﴿مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ إلّا لأهلِ دينكم دونَ غيرِهم، والمراد: وأسِرُّوا تصديقَكم بأنَّ المسلمينَ قد أُوتوا من كتبِ اللهِ مثلَ ماأُوتيتم، ولا تُفشوهُ إلّا عندَ أشياعِكم وحدَهم دونَ المسلمينَ لئَلّا يزيدَهم تصديقُكم بذلكَ ثباتاً ودونَ المشركينَ لئَلّا يدعوَهم ذلكَ إلى الإسلامِ ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ عطفٌ على

---

(١) راجع معاني القرآن للزجّاج: ج ١ ص ٤٢٧.

(٢) ذكره الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٤٣٠.

﴿أَنْ يُؤْتَىٰ﴾ والضمير في ﴿يُحَآجُّوكُمْ﴾ لـ ﴿أَحَدٌ﴾ لأنَّه في معنى الجمع، يعني: ولا تؤمنوا ﴿لِـ﴾ غير ﴿مَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ إنَّ المسلمينَ يُحاجُّونكم يومَ القيامةِ بالحقِّ ويُغالبونكم عندَ اللهِ بالحجَّةِ، ومعنى الاعتراض بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ أَنَّ المراد بذلك: قل يا محمَّدُ لهم: إِنَّ من شاءَ اللهُ أَن يُوَفِّقَه حتَّى يُسْلِمَ أَو يزيدَ ثَباتَه على الإِسلامِ كان ذلك، ولم يَنْفَعْ حيلتُكم ومكرُكم، وكذلك قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ المراد به: الهداية والتوفيق.

وفي الآية وجهٌ آخَر: وهو أَن يتمَّ الكلامُ عندَ قولِه: ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ علىٰ معنىٰ: لا تؤْمنوا هذا الإِيمان الظاهر إِلَّا لمن كانوا تابعينَ لدينِكم ممَّن أَسلموا منكم؛ لأَنَّ رجوعَهم كانَ أَرجىٰ عندهم، ولأَنَّ الإِسلامَ منهم كانَ أَغْيَظَ لهم، وقوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾ معناه: لأَن يُؤْتىٰ أحدٌ ﴿مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ دبَّرْتُمْ ذلكَ وَفَعَلْتُموه لا لشيءٍ آخَر، يعني: أَنَّ مابكم من الحسدِ لمن أُوتِيَ مثل ماأُوتيتُم من فضلِ العلمِ والكتابِ دعاكم إِلىٰ أَن قلتم ماقلتم، والدليل عليه قراءَة ابن كثيرٍ[1]: «أَأَن يُؤْتَى أَحَدٌ» بزيادةِ همزةِ الاستفهامِ للتقرير والتوبيخ[2] بمعنىٰ: أَلِأَنْ يُؤْتَى أَحدٌ. ومعنىٰ ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ علىٰ هذا أَنَّكم دبَّرتم لأَن يُؤْتَى أَحدٌ مثلَ ماأُوتيتم ولما يتَّصل به عند كفرِكم من محاجَّتهم لكم عندَ ربِّكم.

---

(١) هو عبدالله بن كثير؛ أبو معبد الداري العطّار، فارسيّ الأصل، إمام أهل مكّة في القراءة وأحد القرّاء السبعة، أخذ القراءةَ عرضاً عن عبدالله بن السائب وعرض علىٰ مجاهد بن جبر، روىٰ القراءة عنه: اسماعيل القسط والخليل بن أحمد وشبل وغيرهم، وكان فصيحاً بليغاً مفوّهاً، ولد سنة ٤٥ هـ وتوفّي سنة ١٢٠ هـ. (وفيات الأعيان: ج ٢ ص ٢٤٥).

(٢) راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٠٧، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٥٥، والتيسير في القراءات للداني: ص ٨٩، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٨٠.

ووجهٌ آخَر: وهو أَنْ يَكونَ ﴿هُدَى ٱللهِ﴾ بدلاً من ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾، و ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾ خبرَ ﴿إِنَّ﴾ والمعنىٰ: قل: إِنَّ هُدى اللهِ أَن يؤْتَىٰ أَحَدٌ مثلَ ماأُوتِيتُم ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ حتّىٰ يحاجُّوكم ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ فَيقْرَعُوا باطلَكم بحقِّهم ويَدْحَضُوا حجَّتَكم.

ووجهٌ آخَر: وهو أَن يتعلَّقَ الكلامانِ بـ﴿قُلْ﴾ والمعنىٰ: قل لهم هذين القولَيْنِ أَي: أَكِّدْ عليهم أَنَّ الهدىٰ هدىٰ الله وهو مافعله من إِيتاءِ الكتاب غيركم وأَنكِر عليهم أَن يَكيدوا بما كادوا به، كأَنَّه قيل: قل: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللهِ﴾ وقل: أَلِأَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مثلَ ماأُوتيتم قلتم ماقلتم وكدِتم ماكدِتم؟ وفي هذه الآيات معجزةٌ ظاهرةٌ[1] لنبيِّناعليه السلام حيثُ أَخبرهم عن سرائِرِهم.

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَادُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (٧٦)

﴿إِلَّا مَادُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً﴾ معناه: إِلَّا مدَّةَ دوامِك عليه ياصاحب الحقِّ قائماً على رأْسِه تطالبُهُ بالعُنفِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِشارةٌ إِلىٰ تركِ الأَداءِ الَّذي دلَّ عليه ﴿لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ ومعناه: أَنَّ تركهم أَداءَ الحقوقِ بسببِ قولِهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـنَ سَبِيلٌ﴾ أَي: ليس علينا عقابٌ ولاذمٌ في شأْنِ الأُمِّيِّينَ الَّذينَ ليسوا علىٰ دينِنا، وكانوا يستحلُّونَ ظُلمَ مَن خالَفَهم ويقولون: لم تُجْعَلْ لهم في كتابِنا حرمةٌ ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بادِّعائِهم أَنَّ ذلكَ في كتابِهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهم

---

(١) في بعض النسخ: باهرة.

كاذبون ﴿بَلَىٰ﴾ إثباتٌ لما نَفَوْهُ، أي: بلى عليهم سَبيلٌ في الأُمِّيِّين، وقوله: ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ﴾ جملةٌ مستأنَفة، أي: كلُّ من أَوفى بما عاهَدَ عليهِ ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ اللهَ في تركِ الخيانةِ والغَدرِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ﴾ ـهُ، وُضِعَ الظاهرُ موضِعَ المضمر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَناً قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٧)

﴿يَشْتَرُونَ﴾ يستبدلون بما عاهدوا اللهَ عليه من الإيمان بِنبِّينا محمَّدٍ ﷺ ﴿وَأَيْمَـٰنِهِمْ﴾ أَي: بما حَلَفُوا به من قولهم: وَاللهِ لَنُؤْمِنَنَّ به ولنَنصُرَنَّه ﴿ثَمَناً قَلِيلًا﴾ متاعَ الدنيا من الرئاسةِ وأَخذِ الرشوةِ ونحوِ ذلك، وقيل: نزلت في حيِّ بنِ أَخْطَبَ وَكَعْبِ بنِ الأَشرفِ وأَضرابِهما من اليهودِ كَتَمُوا مافِي التوراةِ وحرَّفوه[1] ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ مجازٌ عن الاستهانةِ بهم، يقال: فلانٌ لا ينظر إِلىٰ فلانٍ يراد سَخَطُه عليه وتركُ اعتدادِه به ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ ولا يثني عليهم.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٨)

﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم﴾ يفتلونها ﴿بِـ﴾ قراءَة ﴿ٱلْكِتَـٰبِ﴾ عن الصحيح إِلى المحرَّفِ ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ والضمير يرجع إِلىٰ مادلَّ عليه ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَـٰبِ﴾ وهو المحرَّف، أَي: لِتَظُنُّوا أَيُّها المسلمونَ ذلكَ المحرَّفَ من كِتابِ اللهِ ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ المنزل على موسىٰ ولكنَّهم يخترعون ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ هو

(١) قاله عكرمة. راجع التبيان: ج ٢ ص ٥٠٦ ـ ٥٠٧، وأسباب النزول للواحدي: ص ٩٦.

تأكيدٌ لقوله: ﴿هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ وزيادةُ تشنيع عليهم، وقيل: هم اليـهودُ الَّـذينَ قَدِموا علىٰ كعب بن الأَشرفِ وكَتَبُوا كتاباً بدَّلوا فيه صفةَ رسولِ اللهِ ﷺ ثمَّ أَخذتْ قُرَيظَةُ ماكتبوهُ فخلطوه بما كان عندهم من الكتاب[١].

﴿مَاكَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (٨٠)

قيل: إنَّ أَبا رافعٍ القُرَظِيَّ ورئيسَ وفد نَجرانَ قالا: يامحمَّدُ أَتُريدُ أَن نـعبدَكَ ونتَّخذَكَ إلهاً؟ فقال: معاذَ اللهِ أَن أَعبُدَ غيرَ اللهِ أَو آمُرَ بعبادةِ غيرِ اللهِ، مابذلك بَعثني ولا بذلكَ أَمرَني، فنزلت[٢].

و ﴿ٱلْحُكْمَ﴾: الحكمة وهي السنَّة، أَي: ﴿مَا﴾ ينبغي ﴿لِبَشَرٍ﴾ ولا يـحلُّ له وليس من صفة الأَنبياءِ الَّذينَ خصَّهم اللهُ بالحكمةِ و ﴿ٱلنُّبُوَّةَ﴾ أَن يدعوَ الناسَ إلىٰ عبادتِهم، وهذا تكذيبٌ لمن اعتقد عبادةَ عيسىٰ ﴿وَلَـٰكِن كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ أَي ولكن يقول: كونوا ربَّانيِّينَ، والربَّانيُّ منسوبٌ إلى الربِّ بزيادة الأَلف والنونِ ـ كما يقال: لحيانيٌّ ـ وهو شديد التمسُّكِ بدينِ اللهِ، وقيل: الربَّانِيُّونَ: العلماء الفقهاء[٣]، أَي: كونوا علماءَ فقهاءَ، وقيل: كونوا معلِّمين الناسَ من علمِكم كما يُـقالُ: أَنْـفِقْ بمالِكَ أَي: من مالك[٤] ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ أَي: بسبب كونِكم عالمينَ وبِسـببِ كـونكم

(١) قاله ابن عبّاس. راجع تفسيره: ص ٥٠.

(٢) راجع أسباب النزول للواحدي: ص ٩٦ عن ابن عباس براوية الكلبي وعطاء، والكشّاف: ج ١ ص ٣٧٧.

(٣) قاله الحسن البصري. راجع تفسيره: ج ١ ص ٢١٩.

(٤) قاله الزجّاج. راجع معاني القرآن: ج ١ ص ٤٣٦، وعنه التبيان: ج ٢ ص ٥١١.

دارِسينَ للعلمِ، وقُرِئَ: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ من التعليم، وقُرِئَ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ بالنصب عطفاً على ﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾ وفيه وجهان: أحدُهما: أن يُجْعَلَ ﴿لَا﴾ مزيدةً لِتأكيدِ معنى النفيِ في قوله: ﴿مَا كَانَ﴾ أي: ما كان ﴿لِبَشَرٍ﴾ أَنْ يَستَنبِئَهُ الله ويجعله داعياً إلى اللهِ وإلىٰ إخلاص العبادة له وتركِ الأَندادِ ثمَّ يأمرَ الناسَ بأن يَكونُوا عباداً له ويأْمُرَكُمْ ﴿أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً﴾، والثاني: أن يُجْعَلَ ﴿لَا﴾ غير مزيدة، والمعنىٰ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يَنهَى قريشاً عن عبادةِ الملائكة، ويَنهى اليهودَ والنصارىٰ عن عبادة عُزيرٍ والمسيح، فلمّا قالوا له: أَنَتَّخِذُك ربّاً، قيل لهم: ما كان لبشرٍ أن يستنبئَه اللهُ ثمَّ يأمرَ النّاسَ بعبادته وينهاهم عن عبادةِ الملائِكة والأَنبياءِ، والقِراءَةُ بالرفع على ابتداءِ الكلامِ أَظهرُ[١]، وينصرُها قراءَةُ عبدِاللهِ «ولن يأْمُركم»[٢]، والضمير في ﴿لَا يَأْمُرَكُمْ﴾ و ﴿أَيَأْمُرُكُم﴾ للبشرِ، وقيل: لله[٣]، والهمزة في ﴿أَيَأْمُرُكُم﴾ للإنكار[٤]، والمعنىٰ: أنَّ اللهَ تعالىٰ إنَّما يَبْعَثُ النبيّ ليدعوَ الناسَ إلى الإيمانِ فكيف يدعو النبيُّ المسلمينَ إلى الكفر؟!

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٨٢)

(١) أُنظر تفصيل ذلك في الفريد في اعراب القرآن المجيد للهمداني: ج ١ ص ٥٩٢.
(٢) حكاه عنه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٣٧٨، والهمداني في فريده: ج ١ ص ٥٩٢.
(٣) قاله سيبويه والزجّاج ومكي. راجع معاني القرآن وإعرابه: ج ١ ص ٤٣٦، والكشف عن وجوه القراءات السبع: ج ١ ص ٣٥١، وتفسير القرطبي: ج ٤ ص ١٢٣.
(٤) أُنظر الكشّاف: ج ١ ص ٣٧٨، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٥٩٣

المعنىٰ: ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ﴾ الميثاقَ على ﴿ٱلنَّبِيِّـنَ﴾[١] بذلك، وعن الصادق عليه السلام أَنَّ المعنىٰ: «وإذ أَخَذَ اللهُ ميثاقَ أُممِ النَّبيِّين[٢] كلِّ أُمَّـةٍ بـتصديقِ نـبيِّها والعـملِ بما جاءَهم به فما وفَوْا به وتركوا كثيراً من شرائعهم»[٣]، واللام في ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ لتوطئةِ القسم، وفي ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ لجـواب القسـم؛ لأَنَّ أخـذَ المـيثاقِ فـي مـعنى الاستحلافِ، ويجوز أَن تكونَ «ما» شرطيَّةً و﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ قد سدَّ مسدَّ جواب القسمِ وجواب الشرطِ معاً، ويجوز أَن تكون «ما» موصولةً بمعنىٰ لَلَّذي آتيْتُكُمُوهُ لَتُؤْمِنُنَّ به[٤]، وقُرِئَ: «لَما آتَيْناكُمْ»[٥]، وقُرِئَ: «لِما آتيتُكُمْ» بكسر اللام[٦] ومعناه: لأَجل إيتائِي إِيَّاكم بعضَ الكتابِ والحكمةِ ثمَّ لمجيءِ ﴿رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ فيكون «ما» علىٰ هذا مصدريَّةً والفعلانِ معها وهما ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾ و﴿جَآءَكُمْ﴾ في معنى المصدرَيْنِ، واللام داخـلةٌ للـتعليلِ أَي: أَخـذَ اللهُ مـيثاقَهم[٧] لَـتُؤْمِنُنَّ بالرسولِ ﴿وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ لأَجل أَنِّـي آتَيتُكم الحكمةَ وأَنَّ الرسـولَ الَّـذي أَمـركم بالإِيمانِ به ونصرتِه موافقٌ لكم غيرُ مخالفٍ، ويجوز أَن يكون «ما» موصولةً وأَن عَطَفَ بقولِه: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ على قوله: ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾ لأَنَّ «مَامَعَكُمْ» في معنىٰ «ماآتيتكم» فكأَنَّه قيل: لِلَّذي آتيتُكُمُوهُ وجاءَكـم رسـولٌ مصدِّقٌ له ﴿قَالَ﴾ أَي: قال اللهُ للنبِيِّينَ ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ به وصدَّقتموه ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ

---

(١) في بعض النسخ زيادة: الماضين بتصديق محمّد صلى الله عليه وآله، هذا قول عليّ عليه السلام وابن عبّاس.

(٢) في بعض النسخ زيادة: علىٰ.

(٣) رواها الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٢ ص ٥١٤.

(٤) راجع تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٣٧٩.

(٥) قرأه نافع. راجع التبيان: ج ٢ ص ٥١٣، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٥٧.

(٦) وهي قراءة حمزة. راجع كتاب التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٥٧، وكتاب التيسير في القراءات السبع للداني: ص ٨٩، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٨٠.

(٧) في بعض النسخ: ميثاقكم.

﴿ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ أي: عهدي على أممكم، وسُمِّيَ العهد إِصراً لأَنّه ممّا يُؤْصَرُ أي: يُشَدُّ ويُعْقَدُ، قال الأَنبياءُ: ﴿أَقْرَرْنَا﴾ بما أَمرتنا بالإقرار به ﴿قَالَ﴾ الله ﴿فَاشْهَدُواْ﴾ بذلك على أَمَمِكم ﴿وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ ورُوِيَ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «لَمْ يَبْعَثِ اللهُ نبيّاً إلّا أَخذَ عليه العَهْدَ: لئِن بعثَ اللهُ محمّداً صلى الله عليه وآله وهو حيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ به ولَيَنْصرَنَّه، وأَمره أن يأخذَ العهدَ بذلك على أُمَّتِه»[1] ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الميثاقِ والتوكيدِ ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ المتمرِّدون من الكفار.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٤)

دَخلَتْ همزةُ الإنكارِ على فاءِ العطفِ الَّتي عَطَفَتْ جملةً على جملةٍ، والمعنىٰ: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ ثمَّ تَوَسَّطَتْ همزةُ الإنكارِ بينهما، ويجوز أَن يكون عطفاً على محذوفٍ والتقدير: أَيَتَوَلَّوْنَ فغير دينِ اللهِ يبغون[2]، وقرأَ أَبو عمرو: ﴿يَبْغُونَ﴾ بالياءِ «وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» بالتاءِ مضموماً[3] لأَنَّ الباغينَ هم المتولُّونَ والراجعون جميع الناسِ، وقُرِئَا بالياءِ معاً وبالتاءِ[4] معاً، وانتصب

(١) رواها الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٢ ص ٥١٣.

(٢) راجع تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٣٨٠، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٥٩٨.

(٣) راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢١٤، والحجة في القراءات لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٣٧٩، والكشاف للزمخشري: ج ١ ص ٣٨٠، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٥١٦.

(٤) وهي قراءة ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي وابن عامر. راجع الكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسي: ج ١ ص ٣٥٣، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٥٧، ←

﴿طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ على الحالِ أي: طائِعينَ ومُكْرَهِينَ وقيل: طوعاً لأَهلِ السماواتِ خاصَّةً، وأَمَّا أهلُ الأَرضِ فمنهم من أَسْلَمَ طوعاً بالنظر في الأَدلَّة، ومنهم من أَسْلَمَ كَرْهاً بالسيف أَو بمعاينة مايُلجِيءُ إِلى الإِسلام كنتقِ الجبلِ فوقَ بني إِسرائيل أَو عند رؤْيةِ البأْسِ بالإِشفاءِ على الموتِ[1]، فلمَّا رأَوْا بأْسَنا قالوا: آمنَّا بالله وحده، ثُمَّ أُمِرَ النبيُّ ﷺ بأَن يُخبِرَ عن نفسه وعمَّن معه بالإِيمانِ فلذلك وُحِّدَ الضميرُ في ﴿قُلْ﴾ وجُمِعَ في ﴿ءَامَنَّا﴾، ويجوزُ أَن يُؤْمَرَ بأَن يَتَكَلَّمَ عن نفسه كما يَتَكلَّمُ الملوكُ إِجلالاً من اللهِ لقدرِ نبيِّه ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أَي: موحِّدون مخلِصونَ أَنفسَنا له لا نَجْعَلُ له شريكاً في العبادة.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ (٨٥)

أَي: ﴿وَمَن﴾ يطلبْ غيرَ ﴿ٱلْإِسْلَـٰمِ﴾ وهو التوحيدُ والإِسلامُ لوجه الله ﴿دِيناً﴾ يدينُ به ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ بل يعاقَبُ عليه ﴿وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ من الَّذين وقعوا في الخسرانِ مطلقاً من غيرِ تقييدٍ.

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَٱللَّهُ لَايَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٨٦) أُوْلَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَايُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَاهُمْ يُنظَرُونَ (٨٨) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٨٩)

﴿وَشَهِدُوٓاْ﴾ عطفٌ علىٰ مافي ﴿إِيمَـٰنِهِمْ﴾ من معنَى الفعلِ؛ لأَنَّ معناه بعدَ أَن

← والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٨٠.

(١) قاله الحسن كما حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٣٢٣.

آمَنوا وشَهدوا، ويجوز أَن يكونَ الواوُ للحالِ بإِضمارِ «قدْ» أَي: كفروا وَقد شَهِدُوا ﴿أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ﴾[١]، ومعنى الآية: كيفَ يهديهم اللهُ إِلىٰ طريقِ الإِيمانِ وقد تركوه؟ أَي: لا طريقَ يهديهم به إِلى الإِيمان وقد تركوا الوجهَ الَّذي هداهم به ولا طريقَ غيرهُ، وقيل: معناه: كيف يلطف بهم اللهُ وليسوا من أَهلِ اللطفِ لما عَلِمَ سبحانَه من تصميمِهم على الكفرِ ودلَّ علىٰ تصميمِهم بأَنَّهم كفروا بعدَ ماشَهِدوا أَنَّ الرَّسولَ حقٌّ وبعدما جاءَتهم المعجزاتُ الَّتي تثبتُ بها النبوَّةُ وهم اليهود كفروا بالنبيِّ عليه‌السلام بعد أَن كانوا مؤْمِنين به[٢]، وقيل: نزلت في رَهْطٍ كانوا أَسلموا ثمَّ رجعوا عن الإِسلام ولحقوا بمكَّة[٣] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الكفر والارتداد ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ ما أَفسدوا أَو[٤] دخلوا في الصلاح.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْراً لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ (٩٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِ أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَالَهُمْ مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ (٩١)

يعني: اليهودَ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بعيسىٰ ﴿بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ بموسىٰ ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْراً﴾ بكفرِهم بمحمَّد صلى‌الله‌عليه‌وآله أَو كفروا برسولِ اللهِ بعدَ أَن كانوا به مُؤْمِنِينَ قبل مبعثه ثُمَّ ازدادوا كُفراً بإِصرارهم علىٰ ذلك وعَداوتِهم له ونقضِهم عهدَه وصدِّهم عن

(١) أُنظر تفصيل ذلك في الفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٦٠٠.
(٢) قاله الحسن. راجع التبيان: ج ٢ ص ٥٢١.
(٣) حكاه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٢ ص ٥٢١ عن مجاهد والسدي وقال: وكذلك رويناه عن أبي عبدالله عليه‌السلام، والقرطبي في تفسيره: ج ٤ ص ١٢٩ عن ابن عبّاس.
(٤) في نسخة: و.

الإيمانِ به ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ لأنّها لا تقعُ على وجهِ الإخلاص، ويدلُّ عليه قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ أي: عن الحقِّ والصوابِ، وقيل: لنْ تقبل توبتهم عند رؤية البأسِ[١]، والمعنىٰ: أنّهم لا يتوبونَ إلّا عندَ معاينةِ الموتِ ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ أي: علىٰ كفرِهم ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم﴾ فديةٌ ولو افتدىٰ بـ﴿مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا﴾، ويجوز أن يكونَ المرادُ: ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ﴾ بمثله، والمثل يُحذَفُ كثيراً في كلامِهم قالوا: ضَرَبْتُهُ ضَرْبَ زَيْدٍ أي: مثل ضربه، وقضيّة وَلا أباحسنٍ لها أي: ولا مثلَ أبي حسنٍ لها، كما أنّه يُزادُ مثلٌ في نحوِ قولِهم: مثلُكَ لا يفعل كذا أي: أنت لا تفعل.

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ (٩٢)

أي: ﴿لَن﴾ تبلغوا حقيقةَ ﴿ٱلْبِرَّ﴾ ولن تكونوا أبراراً، وقيل: ﴿لَن تَنَالُواْ﴾ برَّ اللهِ وهو الثواب[٢] ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أي: حتّىٰ تنفقوا من أموالكم الّتي تُحبُّونَها كقوله: ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ الآية[٣]، وقرأ عبدُ الله: «حتّىٰ تنفقوا بعضَ

(١) وهو قول الحسن وقتادة. راجع الطبري: ج ٣ ص ٣٤١ ثم قال: إنّه لا يجوز تأويل من قال: لن تقبل توبتهم عند حضور موتهم، لأنّه لا خلاف بين الأمة أنّ الكافر إذا أسلم قبل توبته بطرفة عين في أنّ حكمه حكم المسلمين في وجوب الصلاة عليه ومواريثه ودفنه في مقام المسلمين واجراء جميع أحكام الاسلام عليه، ولو كان اسلامه غير صحيح لما جاز ذلك. كما حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ٥٢٧ ثم أجاب: وهذا الذي قاله ليس بصحيح؛ لأنّه لا يمتنع أن نتعبّد باجراء أحكام الإسلام عليه وإن كان إسلامه على وجه من الالجاء لايثبت معه إستحقاق الثواب عليه، كما انّا تعبّدنا باجراء أحكام الإسلام على المنافقين وإن كانوا كفّاراً، وإنّما لم يجز قبول التوبة في حال الإلجاء إليه لأنّ فعل الملجأ كفعل المكره في سقوط الحمد والذم ... الى آخر كلامه الشريف.

(٢) قاله ابن عبّاس. راجع تفسيره: ص٥٢، وحكاه عنه السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٢٨٤.

(٣) البقرة: ٢٦٧.

ما تحبّون»[١]، وهو دَلالة على أنَّ «مِنْ» هنا للتبعيض نحو: أَخَذْتُ مِنَ المالِ ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ﴾ «من» هنا للتبيين، أي: من أيِّ شيءٍ كان طيِّبٍ تُحِبُّونَه أو خبيثٍ تَكْرَهُونَه ﴿فإنَّ ٱللَّهَ ... عليمٌ﴾ بكلِّ شيءٍ تنفقونه فيجازيكم بحسبه.

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٩٣) فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٩٤) قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٥)

أي: ﴿كُلُّ﴾ أنواعِ ﴿ٱلطَّعَامِ﴾ أو كلُّ المطعوماتِ ﴿كَانَ حِلًّا﴾ الحلُّ مصدر حَلَّ الشيءُ حِلّاً كقولك: عَزَّ الشيء عِزّاً وذَلَّتِ الدابَّةُ ذِلّاً، ولذلك استوى المذكَّر والمؤنَّث والواحد والجمع في الوصف به[٢]، قال سبحانه: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ﴾[٣] والَّذي ﴿حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ﴾ وهو يعقوب ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ لحوم الإبل وألبانها[٤]، وقيل: العروق ولحم الإبل، كان به عرقُ النساءِ فأَشارت عليه الأَطِبَّاءُ باجتنابِه ففعل ذلكَ بإذنٍ من اللهِ[٥] فكان كتحريمِ اللهِ ابتداءً، والمعنىٰ: أَنَّ المطاعمَ كلَّها لم تزل حلالاً لبني إسرائيلَ من قبلِ إنزالِ التوراةِ، وتحريم ماحرِّم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرَّم منها شيءٌ قبل ذلك غير المطعوم الَّذي حرَّمه إسرائيلُ علىٰ نفسِه، وهذا ردٌّ على اليهودِ حيث أَرادوا براءَةَ ساحتِهِم ممّا نَطَقَ به القرآنُ من تحريم

---

(١) حكاها عنه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٣٨٥.

(٢) راجع الكشّاف: ج ١ ص ٣٨٥. (٣) الممتحنة: ١٠.

(٤) وهو قول ابن عبّاس والحسن. راجع تفسير ابن عبّاس: ص ٥٢، وتفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٢٢٣، وأحكام القرآن للجصّاص: ج ٢ ص ١٨.

(٥) قاله ابن عبّاس والحسن كما حكاه عنهما الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ٥٣٢.

الطيِّبات عليهم لبغيِهم وظلمِهم في قوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾[١] وقوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾[٢] الآية[٣]، فقالوا: لسنا بأوَّل من حُرِّمَتْ عليه وقد كانت محرَّمةً علىٰ نوحٍ وإبراهيمَ ومَن بعدَه مِن بني إسرائيل إلىٰ أن انتهى التحريم إلينا، فكذَّبهم اللهُ تعالىٰ ثمَّ قال: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَىٰةِ فَاتْلُوهَآ﴾ حتَّى يتبيَّن أنَّه تحريمٌ حادثٌ بسببِ ظلمِكم وبغيِكم لا تحريمٌ قديمٌ كما زعمتم فلم يجسروا علىٰ إخراجِ التوراة وبُهِتُوا ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بزعمه أنَّ ذلك كانَ محرَّماً علىٰ الأنبياءِ وعلىٰ بني إسرائيلَ قبلَ إنزال التوراة ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ لأنفسِهم ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ تعريضٌ بكذبِهم، أي: ثَبَتَ أنَّ الله صادقٌ فيما أنزله وأنتم كاذبون ﴿فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وهي ملَّةُ الإسلامِ الَّتي عليها محمَّدﷺ ومن آمن معه، ثمَّ بَرَّأَ سبحانه إبراهيمَ ممَّا كان ينسِبهُ اليهودُ والمشركونَ إليه من كونه علىٰ دينِهم فقال: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ (٩٦) فِيهِ ءَايَـٰتٌ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِناً وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (٩٧)

﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ صفةٌ لـ ﴿بَيْتٍ﴾ والمعنىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ جُعِلَ مُتَعَبَّداً ﴿لِلنَّاسِ﴾ ﴿لَـ﴾ لبيت ﴿ٱلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ وهي الكعبة، وبَكَّةُ: علمٌ للبلدِ الحرامِ، ومكَّةُ وبكَّةُ لغتان فيه[٤]، وقيل: مكَّةُ: البلدُ، وبكَّةُ: موضِعُ المسجد لأنَّها مُزْدَحَمُ

(١) الأنعام: ١٤٦.

(٢) في بعض النسخ زيادة: ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

(٣) النساء: ١٦٠.

(٤) أنظر تفصيل ذلك في معاني القرآن للزجّاج: ج ١ ص ٤٤٥، و الكشّاف للزمخشري: ج ١ ص ٣٨٧.

النّاسِ للطوافِ[١]، ﴿مُبَارَكاً﴾ كثيرَ الخيرِ والبركةِ لثبوتِ العبادةِ فيه دائماً، وانتصابُه على الحالِ من الضميرِ في الظرفِ ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ لأنّه قبلتُهم ومتعبَّدُهم، وقيل: دَلالةٌ لهم على اللهِ عزّاسمُه بإهلاكِه كلَّ من قَصدَه من الجبابرةِ كأصحابِ الفيلِ وغيرهم[٢] ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌ بَيِّنَٰتٌ﴾ يجوزُ أن يكونَ ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وحدَه عطفَ بيانٍ لـ ﴿ءَايَٰتٌ﴾ بمعنى: أنّها بمنزلةِ آياتٍ كثيرةٍ لقوّة دَلالتِه علىٰ قدرةِ اللهِ من تأثيرِ قدمِه في حجرٍ صَلدٍ وغوصِه فيها إلى الكَعبيْنِ[٣]، ويجوز أن يكونَ المراد فيه آياتٌ بيِّناتٌ مقامُ إبراهيمَ ﴿وَ﴾ أمنُ ﴿مَن دَخَلَهُ﴾ لأنَّ الاثنينِ نوعٌ من الجمعِ[٤]، ويجوز أن يُذكَرَ هاتانِ الآيتانِ ويُطوَىٰ ذكر غيرِهما دَلالةً علىٰ تَكاثُرِ الآياتِ أي: وآياتٌ كثيرةٌ سِواهما[٥] كقول جرير[٦]:

كانتْ حَنيفَةُ أَثْلاثاً فَثُلْثُهُمُ ... مِنَ الْعَبيدِ وثُلْثٌ مِنْ مَواليها[٧]

---

(١) قاله ابن شهاب وضمرة بن ربيعة. راجع تفسير الطبري: ج ٣ ص ٣٥٧، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ٤١٠، والتبيان: ج ٢ ص ٥٣٥.

(٢) قاله الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٢ ص ٥٣٦.

(٣) وهو قول مجاهد كما حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ٥٣٦.

(٤) وهو ماقاله ابن عبّاس كما رواه عنه الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٤٤٦.

(٥) قاله الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٣٨٨.

(٦) هو جرير بن عطية الخطفي التميمي، من أبرز شعراء عصره، اشتهر بالهجاء، وكان قد خاصم ثمانينَ شاعراً فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل. ولد باليمامة سنة ٢٨ هـ ومات فيها سنة ١١٠ هـ . (وفيات الأعيان لابن خلّكان: ج ١ ص ١٠٢، خزانة الأدب للبغدادي: ج ١ ص ٣٦، الشعر والشعراء لابن قتيبة: ص ٢٨٣).

(٧) في هذا البيت مبالغةٌ من الهجو، إذ أراد: انّ هذه القبيلة منقسمة أثلاثاً، فثلثها من العبيد الارقاء، وثلثها من الموالي، ولم يذكر الثلث الأخير عمداً؛ لأنّه في مقام الذم، وأراد به السادة الأشراف، وقيل: يحتمل المدح وأنّ خدمهم من العبيد كثير. أنظر ديوان جرير: ص ٤٥٨، والكامل للمبرّد: ج ٢ ص ٩١٣، وخزانة الأدب للبغدادي: ج ٥ ص ٣٩ وفيها: «صارت» بدل «كانت».

وطَوى الثُّلثَ الآخرَ، وكانَ الرجلُ لو جَنَى كلَّ جناية ثمَّ لجأَ إلى الحرمِ لم يُطلَبْ، وقيل: إنَّه خبرٌ معناه الأَمر، فمن وجب عليه حدٌّ فلاذَ بالحرمِ لا يبايعُ ولا يعاملُ حتَّى يخرجَ فيقامَ عليه الحدُّ ولا يُتعَرَّضُ له فيه(١)، وهو المرويُّ عن أئمّتنا عليهم السلام(٢)، ورُوِيَ أيضاً: أنَّ مَن دخَلَهُ عارفاً بما أَوجَبَهُ اللهُ عليه كان آمِناً في الآخرة مِنَ النارِ(٣).

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ وقُرئَ بكسرِ الحاءِ ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فيه أَنواعٌ من التوكيدِ والتشديدِ في الحجِّ، فإنَّ قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ يدلُّ علىٰ أنَّه حقٌّ واجبٌ في رِقابِ النَّاسِ لا يخرجُونَ عن عهدتِه، ثمَّ أُبدِلَ عنه ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ إيضاحاً بعدَ الإبهام وتفصيلاً بعدَ الإجمال، ثمَّ قال: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ مكانَ قوله: «وَمَنْ لَمْ يَحِجَّ» تغليظاً علىٰ تاركِ الحجِّ كما جاءَ في الحديث: «مَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ مُتعَمِّداً فَقَدْ كفَرَ»(٤)، ثمَّ قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ولم يقل «عنه» ليكونَ بدَلالتِه على الاستغناء الكاملِ أَدلَّ علىٰ عِظَمِ سخطِ اللهِ الَّذي وَقَعَ الاستغناءُ عبارةً عنه، وفي الأَثر: «لَوْ تَرَكَ النّاسُ الحَجَّ عاماً واحداً ما نُوظِرُوا»(٥) أَي: ما أُمْهِلُوا.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ

---

(١) قاله ابن عبّاس وابن عمر. راجع التبيان: ج ٢ ص ٥٣٧.

(٢) تفسير القمّي: ج ١ ص ١٠٨، تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٩ ح ١٠٣ و ١٠٥.

(٣) رواها الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ٥٣٧ عن أبي جعفر عليه السلام، والقرطبي في تفسيره: ج ٤ ص ١٤١ ـ ١٤٢ عن أبي عبدالله عليه السلام.

(٤) اتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج ٣ ص ١٠.

(٥) الكشّاف: ج ١ ص ٣٩٢.

﴿تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٩)

الواو في قوله: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾ للحال، والمعنىٰ ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ بالآياتِ الَّتي دلَّتكم على صدقِ محمَّدٍ ﷺ والحال أَنَّ اللهَ يشاهدُ أعمالَكم فيجازيكم عليها؟! فكيفَ تجسُرونَ على الكفرِ بآياته؟! و ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الَّتي أُمِرَ بسلوكِها هو دينُ الإسلامِ، وكانوا يحتالون لصدِّ المؤْمنينَ عنه بجهدِهم، ويُغرونَ بين الأَوس والخزرج يُذَكِّرونَهم الحروبَ الَّتي كانت بينَهم في الجاهليَّة ليعودوا لمثلها ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ تطلبون لها اعوِجاجاً وميلاً عن الاستقامةِ ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ بأَنَّها سَبيلُ اللهِ الَّذي ارْتضاهُ وتجدون ذلك في كتابِكم، أَو أَنتم شهداءُ بين أَهل دينكم يثقون بأَقوالِكم وهم الأَحبارُ ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيدٌ لهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١٠١)

خاطب سبحانه الأَوسَ والخزرجَ فقال: ﴿إِن تُطِيعُواْ﴾ هؤلاءِ اليهودَ في إحياءِ الضغائنِ الَّتي كانت بينَكم في الجاهليَّةِ ﴿يَرُدُّوكُم﴾ كُفَّاراً ﴿بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ ثُمَّ عظَّمَ الشأْنَ عليهم بأَن قال: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ أَي: ومن أَين يتطرَّق إليكم الكفر والحال أَنَّ آياتِ اللهِ ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ علىٰ لسانِ رسولِه وهو بين أَظهُرِكم يَعِظُكُمْ ويُنَبِّهُكُم[1]، ومن يتمسَّكْ بدينِ اللهِ فقد حَصَلَ له الهدىٰ لا مَحالةَ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم

(١) في بعض النسخ: ينهاكم.

مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللهِ جَمِيعاً وَلَاتَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْكُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَٰناً وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١٠٣)

﴿ٱتَّقُواْ ٱللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ أَي: واجبَ تقواه وهو القيامُ بِالواجـباتِ واجـتنابُ المحرَّماتِ، وعن الصادقِ عليه السلام: «هو أَن يُطاعَ فَلا يُعْصىٰ، وُيُذْكَرَ فلا يُنسىٰ، ويُشْكَرَ فَلا يُكْفَر»(١) ونحوُه قولُه: ﴿فَاتَّقُواْ ٱللهَ مَاٱسْتَطَعْتُمْ﴾(٢) أَي: بالِغوا في التقوىٰ حتّىٰ لا تتركوا من المستطاع منها شيئاً ﴿وَلَاتَمُوتُنَّ﴾ أَي: لا تكونُنَّ علىٰ حالٍ سـوىٰ حالِ الإِسلامِ إذا أَدْرَكَكُمُ الموتُ، كما تقول لمن تستعين به على القتال: لا تأتِني إِلَّا وأَنتَ علىٰ فرسٍ، فلا تنهاه عن الإِتيان ولكنَّكَ تَنهاهُ عن خلافِ الحالِ الَّـتي ذَكَرْتَها في وقتِ الإِتيانِ ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِـحَبْلِ ٱللهِ جَـمِيعاً﴾ أَي: واجـتمعوا عـلى التمسُّكِ بعهدِ اللهِ علىٰ عبادِهِ وهو الإِيمانُ والطاعةُ أَو بِالقرآن، قال الصادقُ عليه السلام: «نَحنُ حَبْلُ اللهِ»(٣) ﴿وَلَاتَفَرَّقُواْ﴾ أَي: لا تتفرَّقوا عن الحقِّ بالاختلافِ بينَكم كَمَا اخْتَلَفَ اليهودُ والنصارىٰ، وكانوا في الجاهليَّة متعادين قد تطاولتِ الحروبُ بين الأَوْسِ والْخَزْرَجِ مائةً وعشرين سنةً إِلىٰ أَن أَلَّـفَ اللهُ بـينَ قـلوبِهم بـالنبيِّ صلى الله عليه وآله ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَٰناً﴾ مُتواصِلينَ مُتحابِّينَ ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ﴾ عـلى حرف حفرةٍ ﴿مِّنَ﴾ نارِ جهنَّم قد أَشْفَيْتُمْ علىٰ أَن تقعوا فيها لِما كنتم عليه من الكفر ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ بالإِسلامِ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أَي: مثل ذلك البيان ﴿يُبَيِّنُ ٱللهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِ﴾

---

(١) رواها العياشي في تفسيره: ج ١ ص ١٩٤ ح ١٢٠.

(٢) التغابن: ١٦.

(٣) رواه الشيخ في أماليه: ج ١ ص ٢٧٨، والعياشي في تفسيره: ج ١ ص ١٩٤ ح ١٢٣ عن أبي جعفر عليه السلام.

إرادةَ أن تزْدادوا هُدىً.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَاجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَأُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٥)

قيل: إنَّ «مِنْ» هنا للتَّبعيضِ؛ لأنَّ الأَمْر بِالمعروفِ والنهيَ عن المنكَرِ من فروضِ الكفاياتِ، ولايصلح لذلك إلَّا من يعلم المعروف معروفاً والمنكَرَ منكراً فيعلم كيفَ يباشِرُ ذلكَ ويرتِّبُه فإنَّ الجاهلَ ربَّما نَهَىٰ عن معروفٍ أو أَمَرَ بمنكَرٍ[١]، وقيل: إنَّ «مِنْ» للتبيينِ بمعنىٰ: وكونوا أُمَّةً تَأْمُرُونَ كقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٢][٣]. ﴿وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الأَحِقَّاءُ بالفَلاحِ دونَ غيرهم، وَذَكَر سبحانه الدعاءَ إلى الخيرِ أَوّلاً لأَنَّه عامٌّ في التكاليفِ من الأفعالِ والتروك، ثمَّ ذَكَرَ الأَمْر بالمعروفِ والنهيَ عن المنكَرِ ثانياً لأَنَّ ذلكَ خاصٌّ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ﴾ وهم اليهودُ والنصارىٰ ﴿مِن بَعْدِ مَاجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾ الموجبة للاتِّفاق والائتلافِ والاجتماع علىٰ كلمة الحقِّ.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا ٱللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (١٠٨)

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ﴾ نصب بقوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ البياضُ من النورِ والسوادُ

---

(١) قاله الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٣٩٦.

(٢) آل عمران: ١١٠.

(٣) قاله الزجّاج في معاني القرآن وإعرابه: ج ١ ص ٤٥٢.

من الظلمةِ، فمن كان من أهلِ نورِ الحقِّ وُسِمَ ببياضِ اللونِ وأَشرَقَ وجهُه وابْيَضَّتْ صحيفتُه وسَعَى نورُه بينَ يَدَيْه وبيمينه، ومنَ كان من أَهلِ ظُلمةِ الباطلِ وُسِمَ بسوادِ اللونِ وكَسَفَ وجهُه و ﴿ٱسْوَدَّتْ﴾ صحيفتُه وأَحاطت به الظلمةُ من كلِّ جـانبٍ، نَعوذُ باللهِ وفضلِه من ظلمةِ الباطل وأَهلِه ﴿أَكَفَرْتُم﴾ فيقالُ لهم: ﴿أَكَفَرْتُم﴾ والهمزةُ للتوبيخ والتعجيبِ مـن حـالِهم[١]، وقـيل: هـم أَهـلُ البِـدعِ والأَهـواءِ والآراءِ الباطلةِ[٢]، وقيل: هم المرتدُّون[٣]، وقيل: هم الخوارجُ[٤] ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ أَي: نعمتِه وهو الثوابُ الدائِم، وقوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ استئنافٌ كأَنّـه قيل: كَـيْفَ يَكونونَ فيها؟ فقيل: هُمْ فِيها خالِدُونَ لا يظعنون عَنْها ولا يموتون ﴿تِـلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ﴾ الواردةُ في الوعدِ والوعيدِ ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ متلبِّسةً ﴿بِالْحَقِّ﴾ والعدلِ ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً﴾ فيأْخذَ أَحداً بغيرِ جرمٍ أَو يزيدَ في عقابِ مُجْرِمٍ أَو يـنقصَ مـن ثوابِ مُحْسِنٍ فيكونَ ظلماً، وقال: ﴿لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ على معنىٰ ما يُريدُ شيئاً من الظلم لأحدٍ من خلقِه.

﴿وَلِلَّهِ مَافِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَـى ٱللَّهِ تُـرْجَعُ ٱلْأُمُـورُ (١٠٩) كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَتَـنْهَوْنَ عَـنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَـانَ خَـيْراً لَّـهُمْ مِّـنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ (١١٠)

بيَّن سبحانه وجهَ استغنائِه عن الظلم بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَافِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَـافِى

---

(١) أُنظر الكشّاف: ج ١ ص ٣٩٩.
(٢) قاله قتادة. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ٣٤٠.
(٣) حكاه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٢ ص ٥٥١ عن قتادة.
(٤) قاله أبو أُمامة. أُنظر تفسير الطبري: ج ٣ ص ٣٨٧، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٣٤٠.

﴿ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللهِ تُرْجَعُ﴾ أُمورُهم وقع المظهرُ موقعَ المضمرِ ليكونَ أَفخمَ فِي الذكرِ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ معناه: وُجِدْتُمْ خيرَ أُمَّة؛ لأَنَّ «كان» عبارةٌ عن وجودِ الشيءِ في زمانٍ ماضٍ ولادليلَ فيه على العدمِ السابقِ ولا على الانقطاع الطاري[1] [2]، وقيل: كنتم في علم اللهِ خيرَ أُمَّةٍ أَو كنتم في الأُمَمِ قبلَكم مذكورينَ بأَنَّكم خيرُ أُمَّةٍ موصوفين به[3] ﴿أُخْرِجَتْ﴾ أُظهرت ﴿لِلنَّاسِ﴾ وقوله: ﴿تَأْمُرُونَ﴾ كلامٌ مستأنفٌ بيَّن به كونَهم خيرَ أُمَّةٍ كما يقال: زيدٌ كريمٌ يُطعِمُ الناسَ ويَكسوهم ويُحسِنُ إِليهم[4] ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بِالنبيِّ وبما جاءَ به ﴿لَكَانَ﴾ ذلك الإيمانُ ﴿خَيْراً لَّهُمْ﴾ في الدنيا والآخرةِ ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ كعبدِاللهِ بن سلامٍ وأَصحابه من اليهودِ والنجاشي وأَصحابه من النصارىٰ ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ المتمرِّدون في الكفرِ.

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَايُنصَرُونَ(١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَاثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾(١١٢)

هذا تثبيتٌ لمن أَسْلَمَ من اليهودِ ووعدٌ لهم بِأَنَّهم المنصورون، فإِنَّهم كانوا يُؤْذونَهم بِالتوبيخِ والتهديدِ وغيرِ ذلك، فقال سبحانه: إِنَّهم ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ﴾

---

(١) في نسخة: اللاحق.

(٢) يظهر من كلامه ﷺ أَنَّه يذهب الىٰ أَنَّ «كان» هنا تامة، أي: حَدَثتُم أَو وَجدتُم خير أُمة، فـ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ على هذا حال. كما هو اختيار الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٤٠٠.

(٣) حكاه الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٤٥٦.

(٤) أُنظر الكشّاف: ج ١ ص ٤٠٠.

ضِراراً مقصوراً على ﴿أَذًى﴾ بقولٍ من طعنٍ في الدين أَو وعيدٍ أَو نحو ذلك ﴿وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ منهزمينَ، و ﴿لَا يُنصَرُونَ﴾ أَي: لايُعاوَنونَ ولا ينصرهم أَحدٌ، وفي هذا دلالةٌ علىٰ صحَّةِ نبوَّةِ محمَّدٍ ﷺ لوقوع مُخْبَرِهِ علىٰ وَفقِ الخبرِ، فإِنَّ اليهودَ لم يثبتوا قطُّ للمسلمين ولم يضرُّوهم بقتلٍ وأَسرٍ، وإِنَّما لم يُجْزَمْ قولُه: ﴿لَا يُنصَرُونَ﴾ لأَنَّه عدل به عن حكمِ الجزاءِ إِلى حكم الإِخبارِ ابتداءً، فكأَنَّه قيل: ثُمَّ أُخبِرُكم أَنَّهم لا ينصرونَ، وقوله: ﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في موضعِ النصبِ علىٰ الحالِ علىٰ تقديرِ: إِلَّا مُعتصِمينَ بحبلِ اللهِ وحبلِ الناسِ، والمعنى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ كما يُضْرَبُ البيتُ على أَهله ﴿أَيْنَ مَا﴾ وُجِدوا وظُفِرَ بهم في عامَّةِ الأَحوالِ إِلَّا في حالِ اعتصامِهم بذمَّةِ اللهِ وذمَّةِ المسلمينَ، أَي: لا عزَّ لهم قطُّ إِلَّا هذه الواحدة وهي التجاؤُهم إِلى الذمَّةِ لقبولِهم الجزيةَ ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ استوجبوه ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِشارةٌ إِلىٰ ضربِ الذلَّةِ والمسكنة واستيجابِ غضبِ اللهِ، أَي: ذلكَ كائنٌ بسببِ كفرهم ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ وقتلهم ﴿ٱلْأَنبِيَآءَ﴾ ثمَّ قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ بسببِ عصيانِهم واعتدائِهم.

﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ (١١٤)

الضمير في ﴿لَيْسُواْ﴾ لأَهلِ الكتابِ ﴿سَوَآءً﴾ أَي: مستوينَ، وقوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ كلامٌ مستأنفٌ لبيانِ قولِه: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾، كما أَنَّ قولَه: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ بيانٌ لقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[1]،

---

(١) الآية: ١١٠.

وقوله: ﴿قَآئِمَةٌ﴾ معناه: مستقيمةٌ عادلةٌ وهم الَّذينَ أَسلَموا منهم، وعبَّر عن تهجُّدِهم وصلاتِهم بالليلِ بتلاوةِ آياتِ اللهِ في ساعاتِ الليلِ مع السجودِ لأَنّه بيانٌ لفعلِهم ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أَي: يُبادرونَ إِلىٰ فعلِ الطاعاتِ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الَّذين صلحت أَحوالُهم عندَ اللهِ.

﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ (١١٥)

لمّا وَصَفَ سبحانَه نفسَه بالشكرِ في قولِه: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [(١)] بمعنىٰ: توفيةِ الثوابِ نَفَىٰ هاهنا نقيضَ ذلك بقولِه: ﴿فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ وعدّاه إِلىٰ مفعولين لأَنّه ضمَّنه معنَى الحرمانِ، كأَنّه قال: فَلَنْ يُحرَمُوهُ، أَي :لن يُحْرَمُوا جزاءَه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ أَي: بأَحوالِهم فيُجازيهم بجزيلِ الثوابِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (١١٦) مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١١٧)

الصِرُّ: الريحُ الباردةُ ومثله الصَرْصَرُ، شَبَّهَ سبحانه ما كانُوا ينفقونَه مِنْ أَموالِهم في المآثِرِ وكسبِ الثناء بينَ الناسِ لا يبتغونَ بذلكَ وجهَ اللهِ بالزرعِ الَّذي أَهلكه البردُ فَذَهَبَ حُطاماً، وقيل: هو ما أَنفقوه في عداوةِ الرسول فضاع عنهم إِذ لم يبلغوا بإِنفاقِه مقاصدَهم [(٢)]، وشَبَّهَ بـ ﴿حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ فَأُهلِكَ عقوبةً لهم علىٰ معاصيهم؛ لأَنَّ الإِهلاكَ عن السخطِ أَشدُّ ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بأَن لم يقبل نفقاتِهم

(١) التغابن: ١٧.

(٢) حكاه الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٤٦١.

﴿وَلَـٰكِنْ﴾ ظَلَمُوا ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ حيث لم يأْتوا بها على الوجهِ الَّذي يُسْتَحَقُّ به الثوابُ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَايَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَاعَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَاتُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَـٰبِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (١١٩)

بِطانةُ الرجلِ ووليجتُه: خاصَّتُه وصفيُّه الَّذي يَستبطنُ أَمرَه، مأْخوذةٌ من بطانة الثوبِ، ومثله قولهم: فلانٌ شِعارُ فلانٍ، وعن النبيِّ صلى الله عليه وآله: «الأَنصارُ شِعارٌ والناسُ دِثارٌ»[(١)]، ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ أَي: من دون أَبناءِ جنسِكم وهم المسلمون، ويجوزُ تعلُّقُه بـ﴿لَاتَتَّخِذُواْ﴾ أَو بـ﴿بِطَانَةً﴾ على الوصفِ أَي: ﴿بِطَانَةً﴾ كائنةً[(٢)] ﴿مِّن دُونِكُمْ لَايَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ من قولهم: أَلا في الأَمرِ يَألُوا: إذا قَصَّرَ فيه، ثمَّ استعمل متعدِّياً إلىٰ مفعولين في قولهم: لاآلوكَ نُصْحاً، والمعنىٰ: لا أَمنعك نصحاً، والخَبالُ: الفسادُ ﴿وَدُّواْ مَاعَنِتُّمْ﴾ أَي: ودُّوا عنتَكم، و ﴿مَا﴾ مصدريَّة، والعَنَتُ: شدَّةُ الضررِ والمشقَّة، أَي: تمنَّوا أَن يضرُّوكم في دينِكم ودنياكم أَشدَّ الضررِ ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ لأَنَّهم لا يضبطون أَنفسَهم وَينفلِتُ من أَلسنتِهم مايُعْلَمُ به بغضُهم للمسلمين ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَـٰتِ﴾ الدالَّة على وجوبِ الإِخلاصِ في مُوالاةِ أَولياءِ اللهِ ومعاداةِ أَعدائِه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ مابُيِّنَ لكم فعمِلْتم به، والأَحسنُ: أَن يكونَ

(١) رواها أحمد في مسنده: ج ٤ ص ٤٢ و ج ٣ ص ٢٤٦، والزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٤٠٦.

(٢) راجع تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٤٠٦.

هذهِ الجُمَلُ كلُّها مستأنفاتٌ علىٰ وجهِ التعليلِ للنهي عن اتِّخاذِهم بطانةً.

﴿هَآ﴾ للتنبيهِ و ﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأٌ و ﴿أُوْلَآءِ﴾ خبرهُ، أي: أنتم أُولاءِ الخاطِئُونَ في موالاةِ مُنافِقي أَهلِ الكتابِ[١]، وقيل: ﴿أُوْلَآءِ﴾ موصولٌ و ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ صلتُه، والواو في ﴿وَتُؤْمِنُونَ﴾ للحال من قوله: ﴿لَايُحِبُّونَكُمْ﴾ والحال أَنَّكم تؤمنون بكتابِهم وهم مع ذلك لا يُحبُّونَكم فما بالكم تُحبُّونَهم وهم لا يؤمنونَ بكتابكم![٢] وفيه توبيخٌ بأَنَّهم في باطِلِهم أَصلبُ منكم في حقِّكم، ويُوصَفُ النادمُ والمغتاظُ بعضِّ الأَناملِ والبنانِ ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ دعاءٌ عليهم بأَن يزدادَ غيظُهم بزيادةِ مايغيظُهم من عزِّ الإسلامِ وأَهلِه حتَّى يهلكوا به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بمضمراتِ الصدورِ، وهو يعلم مافي صدور المنافِقين من البغضاءِ، ويجوز أَن يكونَ قولُه تعالى: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ أَمراً لرسولِ اللهِ بطيبِ النفسِ وقوَّةِ الرجاءِ والإبشارِ بوعدِ اللهِ أَن يهلكوا غيظاً بإعزازِ الإسلامِ وإذلالِهم به ولا يكون هناك قول[٣].

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَايَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (١٢٠)

أَي: إن تُصِبْكُم أَيُّها المؤمنونَ نصرةٌ وغنيمةٌ ونعمةٌ من اللهِ تعالىٰ ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ تحزنهم ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: محنةٌ بإصابةِ العدوِّ منكم ﴿يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ﴾ علىٰ عَداوتهم ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ مانُهيتُم عنه من موالاتِهم، أَو ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ﴾ على ميثاقِ[٤] الدين وتكاليفِه ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ اللهَ في اجتنابِ محارمِه كنتم في كنفِ

---

(١) وهو اختيار الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٢٣٢.

(٢) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٤٦٣.

(٣) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٤٠٧.

(٤) في نسخة: مشاق.

اللهِ وحفظِه فـ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ وقُرِئَ: «لايَضِرْكم»[١] من ضاره يضيره، و ﴿يَضُرُّكُمْ﴾ علىٰ أنَّ ضمَّةَ الراءِ لاتِّباعِ ضمَّةِ الضادِ، وقُرِئَ: «لايضرَّكم» بفتح الراءِ[٢]، علَّم اللهُ المسلمينَ أن يَستعينُوا علىٰ كيدِ العدوِّ بالصبرِ والتقوىٰ.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٢٢)

﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ بالمدينةِ إلىٰ أُحدٍ، خرج رسولُ اللهِ ﷺ يومَ الجمعةِ بعدَ صلاةِ الجمعةِ وأَصبح بالشعبِ من أُحدٍ يومَ السبتِ للنصفِ من شوّالٍ، وصفَّ أَصحابَهُ للقتال وأَمَّرَ عبدَاللهِ بنَ جبيرٍ على الرماةِ وقال لهم: انضحوا عنّا بالنبلِ لايأْتونا من ورائنا[٣] ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: تُنزِّلُهُمْ وتُهَيِّئُ لهم ﴿مَقَـٰعِدَ﴾ أي: مواطنَ ومواقفَ ﴿لِلْقِتَالِ﴾ وقد استعمل المقعدُ والمقامُ في معنى المكانِ، منه قوله تعالى: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[٤] وقوله: ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾[٥] أَي: من مجلسِكَ وموضع حكمِكَ ﴿إِذْ هَمَّت﴾ بدلٌ مِن ﴿إِذْ غَدَوْتَ﴾ أَو تعلّق بقولِه: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، ﴿طَّآئِفَتَانِ﴾ أَي: حيّانِ من الأَنصارِ: بنو سلمةَ من الخزرجِ وبنو حارثةَ من الأَوسِ وهما الجناحانِ، خرج

---

(١) قرأه الحرميان (نافع المدني وابن كثير المكي) وأبو عمرو ويعقوب وحمزة علىٰ رواية. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢١٥، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٥٩، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٨٠، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ٤٣.

(٢) وهي قراءة المفضّل عن عاصم. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٥٩، والكشّاف للزمخشري: ج ١ ص ٤٠٨، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ٤٣.

(٣) روىٰ الزمخشري في كشّافه تفصيلاتها وابن إسحاق في مغازيه. راجع الكشّاف: ج ١ ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩، والمغازي: ص ٣٢٦.

(٤) القمر: ٥٥. (٥) النمل: ٣٩.

رسولُ اللهِ ﷺ في أَلفٍ والمشركونَ في ثلاثةِ آلافٍ، ووعدهم الفتحَ إن صَبَروا، فانخزل[١] عبدُاللهِ بنُ أُبَيٍّ بثلث من الناس، وقال: ياقومِ علامَ نقتُلُ أنفسنا وأولادنا، فتبعهم عمرُو بنُ حزمٍ الأنصاريُّ[٢] فقال: أُنشدكم الله في نبيِّكم وأنفسِكم، فقال عبدالله: لَوْ نَعْلَمُ قِتالاً لاتَّبَعْناكُمْ، فهمَّ الحيَّانِ باتِّباع عبدالله فعصمهم الله فمَضَوْا مع رسولِ اللهِ ﷺ[٣]. والظاهرُ أنَّها كانت همَّةً وحديثَ نفسٍ، ولو كانت عزيمةً لما ثبتت معها الولايةُ والله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي: ناصرُهما ومتولِّي أمرِهما، والفَشَلُ: الجبنُ والخَورُ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أمرهم سبحانه بأن لا يتوكَّلوا إلَّا عليه، ولا يفوِّضوا أُمورَهم إلَّا إليه.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (١٢٦)

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ بما أَمدَّكم به من الملائكةِ، وبتقويةِ قلوبِكم وإلقاءِ الرعبِ[٤] في قلوبِ أعدائِكم ﴿وَأَنتُمْ﴾ في حال قلَّةٍ وذلَّةٍ، والأَذِلَّةُ: جمع القلَّةِ

---

(١) انخزل الشيء: أي انقطع. (الصحاح: مادة خزل).

(٢) هو عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الأنصاري؛ أبو الضحاك، من الصحابة، شهد الخندق ومابعدها، استعمله النبي ﷺ على نجران، وكتب له عهداً مطوّلاً فيه توجيه وتشريع، توفّي بالمدينة سنة ٥٣ هـ. (أسد الغابة: ج ٤ ص ٩٩، الأعلام للزركلي: ج ٥ ص ٧٦).

(٣) أُنظر تفصيلاتها في الكامل لابن الأثير: ج ٢ ص ١٥٠، والكشّاف: ج ١ ص ٤٠٩، ومغازي ابن إسحاق: ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

(٤) في بعض النسخ زيادة: والخوف.

للذليلِ والذِّلالُ: جمعُ الكثرةِ، وإنَّما جيءَ بلفظِ القلَّةِ ليدلَّ علىٰ أنَّهم علىٰ ذلَّتِهِم كانوا قليلاً، وذلَّتُهُم: ضعفُ حالِهم وقلَّةُ سِلاحِهم ومالِهم(١)، وذلك أنَّهم خرجوا على النواضحِ يعتقبُ النفرُ منهم على البعيرِ الواحدِ وماكان معهم إلَّا فرسانِ: فرسٌ للمقدادِ بنِ عمرو(٢) وفرسٌ لمَرْثَدِ بنِ أَبي مَرْثَدٍ(٣)، وقلَّتُهُم أنَّهم كانوا ثلاثمائةٍ وبِضْعَةَ عشرَ رجلاً: سبعةٌ وسبعونَ من المهاجرينَ ومائتانِ وستَّةٌ وثلاثونَ من الأنصارِ، وكان صاحبُ رايةِ رسولِ الله عليه‌السلام والمهاجرينَ عليَّ بنَ أَبي طالبٍ عليه‌السلام وصاحبُ رايةِ الأنصارِ سعدَ بنَ عُبادةٍ(٤)، وكان معهم من السلاحِ ستَّةُ أَدرعٍ وثمانيةُ أَسيافٍ ومن الإبلِ سبعونَ بَعيراً، وكان عددُ المشركينَ نحواً من ألفِ مقاتلٍ ومعهم مائةُ فرسٍ، وبدرٌ: اسمُ ماءٍ بينَ مكَّةَ والمدينةِ كان لرجلٍ يسمَّى بدراً فسُمِّيَ به ﴿فَاتَّقُواْ اللهَ﴾ في الثباتِ مع رسولِه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ماأَنْعَمَ به عليكم من

---

(١) أُنظر الفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٦٢٥ تجد تفصيل ذلك.

(٢) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة، ويُعرف بابن الأسود الكندي البهراني الحضرمي، صحابي جليل، أحد السبعة الّذين أظهروا الاسلام، وأحد الأركان الأربعة، ومن أصفياء أميرالمؤمنين عليه‌السلام، وجلالته أظهر من الشمس. مات سنة ٣٣ هـ بالجرف علىٰ ثلاثة أميال من المدينة، وهو ابن ٧٠ سنة، فحُمل الى المدينة ودُفِنَ بها. (تهذيب التهذيب: ج ١ ص ٢٨٦، الأعلام للزركلي: ج ٧ ص ٢٨٢، معجم رجال الحديث للخوئي: ج ١٨ ص ٣١٤).

(٣) هو مرثد بن أبي مرثد كنّاز الغنوي، صحابي ابن صحابي، من أُمراء السرايا، شهد بدراً وأُحداً، ووجّهه النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله أميراً علىٰ سرية الىٰ مكّة فاستشهد في يوم الرجيع سنة ثلاث أو أربع للهجرة. (أُسد الغابة لابن الأثير: ج ٤ ص ٣٤٤، الأعلام للزركلي: ج ٧ ص ٢٠١).

(٤) هو سعد بن عبادة بن ديلم بن حارثة الخزرجي؛ أبو ثابت، صحابي من أهل المدينة، كان سيّد الخزرج وأحد الأُمراء الأشراف في الجاهلية والاسلام، وكان عقبياً نقيباً سيّداً جواداً وجيهاً، تخلّف عن بيعة أبي بكر وخرج من المدينة ولم ينصرف إليها إلىٰ أن قُتِلَ بحوران من أرض الشام لسنتين ونصف مضتا من خلافة عمر، وقيل: في خلافة أبي بكر. (تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ٣ ص ٤٧٦، طبقات ابن سعد: ج ٣ ص ١٤٢، تنقيح المقال للمامقاني: ج ٢ ص ١٦).

نصرتِه ﴿إِذْ تَقُولُ﴾ ظرفٌ لـ﴿نَصَرَكُمُ﴾ علىٰ أن يكونَ قال لهم ذلك يومَ بدرٍ، والخطاب للنبيِّ ﷺ، أو بدلٌ ثانٍ من ﴿إِذْ غَدَوْتَ﴾[1] علىٰ أن يكونَ قال لهم ذلك يوم أُحُدٍ مع اشتراطِ الصبرِ والتقوىٰ عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتَّقوا حيثُ خالفوا أمْرَ رسولِ الله ﷺ فلم تنزل الملائِكةُ، ومعنىٰ: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ إنكارُ أن لا يكفيَهم الإمدادُ ﴿بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾، و ﴿بَلَىٰٓ﴾ إيجاب لما بعدَ «لَنْ» يعني: بلىٰ يكفيكم الإمدادُ بهم، ثمَّ قال: ﴿إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ ... يُمْدِدْكُمْ﴾ بأكثر من ذلك العددِ ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ للقتال ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا﴾ يعني: المشركين، من قولك: قَفَلَ فلانٌ من غزوتِهِ وخَرَجَ من فورِه إلىٰ غزوةٍ أُخرىٰ، ومنه قولُنا في أُصولِ الفقهِ: الأَمر على الفورِ دونَ التراخي، وهو مصدر من فارَتِ الْقدرُ: إذا غَلَتْ، فاستُعير للسرعة، والمعنىٰ: إن يأْتوكم من ساعتِهم هذهِ ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾ بالملائكةِ في حال إتيانِهم لا يتأَخَّر نزولُهم عن إتيانهم، يريدُ أَنَّ الله يعجِّل نصرَتكم إن صَبَرْتُمْ، وقُرِئَ: «مُنزَلينَ» و«منزَّلينَ» مخفَّفاً ومشدَّداً[2]، و«مسوَّمين»[3] و«مسوِّمين» بمعنىٰ: معلَمين ومعلِمين أَنْفُسَهُمْ أو خَيْلَهُمْ ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ الهاءُ لـ ﴿أَن يُمِدَّكُمْ﴾ أي: وماجعل الله إمدادَكم بِالملائكةِ ﴿إِلَّا﴾ بشارةً ﴿لَكُمْ﴾ بأنَّكم تُنْصَرونَ ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ به ﴿قُلُوبُكُم﴾ كما كانت السكينةُ لبني إسرائيلَ بشارةً

---

(١) آل عمران: ١٢١.

(٢) قرأه ابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢١٥، والحجة في القراءات لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٣٨٣، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٥٩، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ٥١.

(٣) وهي قراءة نافع وابن عامر وحمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢١٦، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٥٩، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٨٠، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ٥١.

بالنصرِ وطُمأنينةً لقلوبِهم ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ﴾ بـإمدادِ المـلائكةِ ﴿إِلَّا مِـنْ عِـندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ الَّذي لايُغالَبُ في حكمِه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ الَّذي يُعطِي النصرَ ويمنعُه بحسب مايراه من المصلحة.

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَـيَنقَلِبُواْ خَآئِـبِينَ (١٢٧) لَـيْسَ لَكَ مِـنَ ٱلْأَمْـرِ شَـىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَـلَيْهِمْ أَوْ يُـعَذِّبَهُمْ فَـإِنَّهُمْ ظَـٰلِمُونَ (١٢٨) وَلِلَّهِ مَافِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَافِى ٱلْأَرْضِ يَـغْفِرُ لِـمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٩)

المعنىٰ: ليهلكَ طائفةً ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بالقتلِ والأَسرِ، وهو ماكان يومَ بدرٍ قُتِلَ منهم سبعونَ وأُسِرَ سبعونَ وأكثرُهم رؤساءُ قريشٍ وصناديدُهم ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ أَو يُخزيَهم بالخيبةِ ممَّا أَمَّلوا من الظفرِ بكم ويَغيظَهم بالهزيمةِ ﴿فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ﴾ غيرَ ظافِرينَ، ونَحوُهُ ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً﴾[١]، ويقال: كَبَتَه، أَي[٢] كَبَدَه يعني: ضَرَبَ كَبِدَه بالغيظِ والْحُرْقَةِ، واللامُ متعلِّقةٌ بقولِه: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾[٣] أَو بقولِه: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿أَوْ يَـتُوبَ﴾ عطفٌ على ماقبلَه، و﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ اعتراضٌ، والمعنىٰ: أَنَّ اللهَ مالكُ أَمرِهم: فإِمّا أَن يُهْلِكَهم أَو يُهَزِّمَهم أَو يتوبَ عليهم إِن أَسلموا ﴿أَوْ يُـعَذِّبَهُمْ﴾ إِن أَصرُّوا على الكفرِ، وليسَ لكَ من أَمرِهم شيءٌ وإِنَّما أَنت نبيٌّ مبعوثٌ لإِنذارهـم، وقيل: ﴿أَوْ يَـتُوبَ﴾ نصب بإِضمارِ «أَن» و«أَنْ يَتُوبَ» في حكمِ اسمٍ معطوفٍ بـ «أو» على الأَمرِ أَو علىٰ «شيءٍ» أَي: ليس لك من أَمرهم شيءٌ أَو من التَّوبة عليهم

---

(١) الأحزاب: ٢٥. (٢) في نسخة: بمعنىٰ.
(٣) آل عمران: ١٢٣.

أَو من تعذيبهم أو ليس لك من أمرهم شيءٌ أو التَّوبةُ عليهمْ أو تعذيبهُم[١]، وقيل: «أو» بمعنىٰ «إلَّا أَن» علىٰ معنىٰ ليس لك من أمرهم شيءٌ إلَّا أَن يتوبَ اللهُ عليهم فتفرحَ بحالِهم أَو يعذِّبَهم فتَتَشفَّىٰ منهم[٢] ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ إِنَّما أَبهم الأَمر في التعذيبِ والمغفرةِ ليقِفَ المكلَّفُ بينَ الخوفِ والرجاءِ فلا يأْمنَ من عذابِ اللهِ ولا ييأَسَ من روحِ اللهِ ورحمتِه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٣٢)

هذا نهيٌ عن أَكل ﴿ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ مع توبيخٍ لهم بما كانوا عليه من تضعيفِه، كان الرجلُ منهم إذا بلغ الدينُ محِلَّه زاد في الأَجلِ، فربَّما يستغرق بالشيءِ اليسير مال المديونِ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ﴾ أَي: هيِّئت واتُّخِذَتْ ﴿لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ والوجه في تخصيصِ الكافرينَ بإعدادِ النارِ لهم أَنَّهم مُعْظَمُ أَهلِ النّار، كان أَبو حنيفةَ يقول: هي أَخوفُ آيةٍ في القرآن أَوعد اللهُ المؤْمنينَ بالنارِ المعدَّةِ للكافرينَ إِن لم يتَّقوه في اجتنابِ محارِمه[٣]. وقد أَيَّد[٤] ذلك بما أَتبعه من تعليق الرجاءِ منهم لرحمته بأَن يتوفَّروا علىٰ طاعتِه وطاعةِ رسولِه.

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ

---

(١) قاله الأخفش في معاني القرآن: ج ١ ص ٤٢١.
(٢) قاله الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٢٣٤، والزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٤٦٨.
(٣) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٤١٤.
(٤) في نسخة: أمدّ.

ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤)

قرأ أَهل المدينةِ والشام: «سارِعُوا» بغيرِ واوٍ[١]، ومعنى المسارَعَةِ إِلى المغفرةِ والجنَّةِ: الإِقبالُ على مايُستَحَقُّ به الثوابُ من فعلِ الطاعاتِ وأَداءِ الفرائِض، و ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي: عرضُها كعرضِ السماواتِ والأَرضِ، والمرادُ وصفُها بالسعَةِ فَشُبِّهَت بأَوسعِ ماعَلِمَه الناسُ من خلقِ اللهِ، وخصَّ العرض لأَنَّه في العادةِ أَدنىٰ من الطولِ للمبالغةِ كقوله: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾[٢]، وفي قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ دَلالةٌ علىٰ أَنَّ الجنَّةَ مخلوقةٌ اليومَ لأَنَّها لا تكون معدَّةً إِلَّا وهي مخلوقةٌ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ صفةٌ للمتَّقين، ومعناه: أَنَّهم ينفقونَ في حالِ الرخاءِ واليُسرِ وفي حالِ الضيقِ والعُسرِ ماقدروا عليه من كثيرٍ أَو قليلٍ لايمنعُهم حال نعمةٍ ولا حالُ محنةٍ من المعروفِ، وكظمُ الغيظِ: أَن يُمْسِكَ علىٰ مافي نفسه منه بالصبرِ ولا يُظْهِرَه، من كَظَمَ الْقِرْبَةَ: إذا ملأَها وشدَّ فاها، و كَظَمَ الْبَعِيرُ: إذا لم يَجْتَرِّ، وفي الحديث: «مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ يَقْدِرُ علىٰ إِنفاذِه مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ أَمْناً وإِيماناً»[٣].

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَافَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(١٣٥) أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ (١٣٦)

---

(١) راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢١٦، والحجة في القراءات لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٣٨٤، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٥٩، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٢ ص ٥٧.

(٢) الرحمن: ٥٤.

(٣) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: ج ٢ ص ٣١٦ وعزاه لعبدالرزاق وابن جرير وابن المنذر عن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾ عطفٌ على «ٱلْمُتَّقِينَ» وقولُه: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى الفـريقين، ويجوزُ أن يكونَ ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ وخبرُه ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾[1]. ﴿فَـٰحِشَةً﴾ فعلة متزايدة القبح ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بمقارفةِ الذنوبِ ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: ذكروا نهيَ اللهِ ووعيدَه أو عقابَه ﴿فَـ﴾ انزجروا عن المعصية و ﴿ٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ بأن قالوا: اللَّهُمَّ اغفِر لَنا ذُنوبَنا ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وصفٌ لذاتِه بسعةِ الرحمةِ، وهي جملةٌ معترضةٌ بينَ المعطوفِ والمعطوفِ عليه، منبِّهةٌ علىٰ لطيفِ فضلِه وجليلِ عفوِه وكرمِه، باعثةٌ على التوبةِ وطلبِ المغفرةِ ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَافَعَلُواْ﴾ أَي: علىٰ أَفعالِهم القبيحةِ، وفي الحديث: «ما أَصَرَّ مَنِ استَغْفَرَ وَلَو عادَ في اليَومِ سَبعينَ مرَّةً»[2] ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حالٌ من فعل الإصرار، والمعنىٰ: وليسوا ممَّن يُصِرُّونَ على الذنوبِ وهم عالمون بالنهي عنها والوعيد عليها، وفي هذا بيانُ أَنَّ المؤمنينَ ثلاثُ طبقاتٍ: مُتَّقون وتائِبونَ ومُصِرُّونَ، وأَنَّ للمتَّقين والتائِبين منهم الجنَّة والمغفرةَ ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ المخصوصُ بالمدح محذوفٌ، تقديرُه: ونعم أَجرُ العاملين ذلك، أَي: المغفرة والجنّات[3].

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلَاتَهِنُواْ وَلَاتَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩)

أَي: ﴿قَدْ﴾ مَضَتْ ﴿مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ يريد ماسنَّه اللهُ تعالىٰ في الأُممِ الْخاليةِ

(١) أُنظر تفصيل ذلك في التبيان: ج ٢ ص ٥٩٤ ـ ٥٩٥، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٦٣١.

(٢) رواه الطبري في تفسيره: ج ٣ ص ٤٤٢، وابن حجر في فتح الباري: ج ١١ ص ٩٩.

(٣) في نسخة: الجنان.

المكذِّبةِ رُسُلَها من الاستئصالِ بالعذابِ وتبقيةِ الآثارِ في الديارِ للاتِّعاظِ والانزجارِ والاعتبارِ ﴿فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فتعرفوا أَخبارَ المكذِّبينَ، وٱنظُرُوا إلىٰ مانزَلَ بهم لتنتهوا عن مثلِ مافعَلُوه ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ أَي: إيضاحٌ لسوءِ ﴿عَٰقِبَةُ﴾ مَن كذَّبَ، وحثٌّ على النظرِ في آثار هلاكِهم ﴿وَهُدًى﴾ زيادة تثبيت ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ للَّذينَ اتَّقَوْا من المؤمنينَ، وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ تسليةٌ من الله لرسوله وللمؤْمنين عمّا أَصابَهم يومَ أُحُدٍ، والمعنىٰ: ولا تضعُفُوا عن الجهادِ لما أَصابَكم ولا تبالوا بذلك ولا تحزنوا علىٰ من قُتِلَ منكم[١] ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أَي: وحالُكم أَنَّكم أَعلىٰ منهم وأَغلبُ؛ لأَنَّكم أَصبتُمْ منهمْ يومَ بدرٍ أَكثرَ ممَّا أَصابوا منكم يومَ أُحدٍ، أَو يكون هذا بشارةً لهم بالعلوِّ والغلبةِ في العاقبةِ كقوله: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[٢]، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أَي: ولاتهنوا إِن صحَّ إيمانكم؛ لأَنَّ صحَّةَ الإيمانِ توجِبُ الثقةَ باللهِ وقلَّةَ المبالاةِ بأَعداءِ اللهِ، ويجوز أَن يريدَ: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم﴾ مصدِّقين بما يعدُكم اللهُ به من الغلبة.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(١٤١)

قُرِئَ: ﴿قَرْحٌ﴾ بفتح القافِ وضمِّها[٣] وهما لغتان، وقيل: بالفتح: الجَراحةُ

---

(١) في نسخة زيادة: يوم أُحد. (٢) الصافات: ١٧٣.

(٣) قرأه أبو بكر وحمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦١، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٥٩، والتيسير في القراءات للداني: ص ٩١، وفي التبيان: ج ٢ ص ٦٠٠، والعنوان في القراءات السبع لابن خلف: ص ٨١ هي قراءة الكوفيّين سوىٰ حفص.

وبالضمِّ: ألَمُها[١]، يعني: إن تُصِبْكم جَراحةٌ وألَمٌ يومَ أُحُدٍ فلقد أصابَ القومَ ذلكَ يومَ بدرٍ، ثمَّ لم يُضعِّفْ ذلك قلوبهم ولم يُثَبِّطْهم عن معاودتِكم[٢] بالقتالِ، وقيل: معناه: إن نالوا منكم يومَ أُحُدٍ فقد نِلْتُمْ منهم في هذا اليومِ قبلَ أن تخالفوا أمرَ رسولِ الله[٣] ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾ «تِلْكَ» مبتدأ و «الأيامُ» صفتهُ و ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ خبرهُ، ويجوز أن يكون ﴿تِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾ مبتدأً وخبراً، والمرادُ بالأيّامِ: أوقاتُ الظفرِ والغلبةِ ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ أي: نُصَرِّفُها ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ نُديلُ تارةً لهؤلاءِ وتارةً لهؤلاءِ، كما قيل في المثلِ: اَلْحَرْبُ سِجالٌ[٤]، ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يجوزُ أن يكونَ المعلَّلُ محذوفاً، والمعنىٰ: وليَتَميَّزَ[٥] الثابتون منكم على الإيمانِ من غيرِهم فَعَلْنا ذلكَ، وهو من باب التمثيلِ[٦]، أي: فَعَلْنا ذلكَ فعلَ من يريدُ أن يعلمَ مَنِ الثابتُ على الإيمان منكم ومَن غيرُ الثابتِ وإلّا فإنَّه سبحانه لم يزَلْ عالماً بما يكونُ قبلَ كونِه، وقيل: معناه: وليَعْلَمَهم علماً يتعلَّقُ به الجزاءُ وهو أن يَعْلَمَهم موجوداً منهم الثباتُ[٧]، ويجوز أن تكونَ العلّةُ محذوفةً، وهذا عطف عليه بمعنىٰ: وَفَعلْنا ذلك ليكونَ كَيْتَ وكَيْتَ وليَعلَمَ اللهُ، وإنَّما حَذَفَ لِيُؤْذِنَ بأنَّ المصلحةَ فيما فَعَلَ ليست بواحدةٍ ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ أي: وليُكَرِّمَ ناساً منكم بالشهادةِ، يريدُ بذلكَ شهداءَ أُحُدٍ، أو ويتَّخذَ منكم من يصلُحُ للشهادةِ على الأُمَمِ يومَ القيامةِ من قوله:

(١) وهو قول الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٢٣٤، وعنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٣٥٥.
(٢) في نسخة: معاونتكم.
(٣) وهو قول الزهري وقتادة وابن أبي نجيح. راجع التبيان: ج ٢ ص ٦٠٠.
(٤) المساجلة: أن تصنع مثل صنيع صاحبك من جري أو سقي، وأصله من السجل وهو الدلو فيها الماء قلّ أو كثر، ولا يقال لها وهي فارغة، يعني: فكما انّ الدلو المملوء ماءً يوم بيدك ويوم بيدي فكذلك الحرب والانتصار. أُنظر مجمع الامثال للميداني: ج ١ ص ٢٢٣.
(٥) في نسخة: ليميز.
(٦) أُنظر الكشّاف: ج ١ ص ٤١٩.
(٧) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٤١٩ ـ ٤٢٠.

﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[١]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ اعتراضٌ بين بعضِ التعليلِ وبعضٍ، أي: والله لا يحبُّ من ليس من هؤلاءِ الثابتينَ على الإيمانِ المجاهدينَ في سبيلِ اللهِ الممحَّصينَ من الذنوبِ، والتمحيص: التطهير ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: يهلكهم، يعني: إن كانت الدولةُ على المؤمنينَ فللتمييزِ والتمحيصِ وغيرِ ذلكَ ممَّا هو صلاحٌ لهم، وإن كانت الدولةُ على الكافرينَ فلمحقِهم أي: إهلاكِهم ومحوِ آثارِهم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٤٢) وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (١٤٣)

﴿أَمْ﴾ منقطعةٌ، والتقديرُ: بل «أَحَسِبْتُمْ» ومعنى الهمزةِ فيها الإنكارُ[٢] ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾ بمعنىٰ: ولمَّا يجاهِدوا؛ لأَنَّ العلمَ يتعلَّقُ بالمعلومِ فنُزِّلَ نفيُ العلمِ منزلةَ نفيِ متعلَّقِه لأَنَّه ينتفي بانتفائِه، تقول: ماعَلِمَ اللهُ في فُلانٍ خَيْراً، تريد مافيه خيرٌ حتَّىٰ يعلَمَه اللهُ، و ﴿لَمَّا﴾ بمعنىٰ: «لم» إلَّا أَنَّ فيه ضرباً من التوقُّعِ، فدلَّ علىٰ نفيِ الجهادِ فيما مضىٰ وعلىٰ توقُّعِه فيما يستقبل ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ منصوبٌ بإِضمارِ «أَن» والواوُ بمعنى الجمعِ كقولك: لاتَأْكُلِ السمَكَ وَتَشْرَبَ اللَبَنَ، والمعنىٰ: أَظننتم أَنَّكم تدخلون الجنَّةَ ولمَّا يقعِ العلمُ بجهادِ المجاهِدينَ منكم والعلمُ بصبرِ الصابرينَ[٣] ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ خطابٌ للَّذينَ لم يشهَدوا بدراً وكانوا يتمنَّون أَن يشهدوا غَزاةً مع رسولِ اللهِ ليفوزوا بالشهادةِ، وهم الَّذين أَلحُّوا علىٰ

(١) البقرة: ١٤٣.
(٢) وعن ورود الهمزة لمعنى الإنكار وأقسامه راجع مغني اللبيب: ج ١ ص ١٧ ـ ١٨.
(٣) وهو قول أبي إسحاق. راجع الفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٦٣٥.

رسولِ اللهِ في الخروجِ إلى المشركين وكان رأيه صلى الله عليه وآله في الإقامةِ بالمدينةِ، أي: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ قبلَ أن تعرفوا شدَّته وتشاهدوه ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ مشاهدين له حين قُتِلَ منكم من قُتِلَ وشارفتم أن تُقْتَلُوا، ويجوز تمنّي الشهادةِ؛ لأنَّ المرادَ منه نيلُ كرامةِ الشهداءِ لاغير.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ (١٤٤)

رمىٰ عبدُاللهِ بنُ قَمِئَةَ الحارثيُّ عليه اللعنة يومَ أُحدٍ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله بحجرٍ فَكَسرَ رباعيَّتَه وشَجَّ وجهَه وأَقْبَلَ يريدُ قتله، فَذَبَّ عنه مُصْعَبُ بنُ عميرٍ[1] وهو صاحبُ الرايةِ، فقتله ابنُ قَمِئَةَ وهو يرىٰ أَنَّه رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فقال: قد قتلتُ محمّداً، وفشا في القومِ[2]: أَنَّ محمّداً قد قُتِلَ فانهزموا، وجعل رسولُ اللهِ يقول: إليَّ عبادَاللهِ، حتَّى انحازت إليه طائفةٌ من أَصحابِه فلامَهم على الفرارِ، فقالوا: يارسولَ اللهِ أَتانا الخبرُ بأنَّك قُتِلْتَ فرعبت قلوبنا فوَلَّينا مدبرينَ، فنزلت الآية[3].

ورُوِيَ أَنَّه قال بعضُهم: ليت عبداللهِ بنَ أُبَيٍّ يأْخذُ لنا أَماناً من أَبي سفيانَ، وقال أَنسُ بنُ النضرِ عَمُّ أَنسِ بن مالكٍ[4]: إن كان محمَّدٌ قُتِلَ فإنَّ ربَّ محمَّدٍ حيٌّ

---

(١) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبدمناف القرشي من بني عبدالدار، صحابيّ شجاع، من السابقين في الإسلام، أسلم في مكّة وكتم إسلامه، فعلم به أهله فأوثقوه وحبسوه وآذوه، فهرب مع من هاجر الى الحبشة، ثمّ عاد الىٰ مكّةٍ وهاجر الى المدينة، وشهد بدراً، وحمل اللواء يوم أُحد وفيها استشهد. (طبقات ابن سعد: ج ٣ ص ٨٢، حلية الأولياء: ج ١ ص ١٠٦، الأعلام الأعلام للزركلي: ج ٧ ص ٢٤٨).

(٢) في نسخة زيادة: وصاح صارخ.

(٣) رواها الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٤٢٢، ونحوه في أسباب النزول للواحدي: ص ١٠٦ عن عطية العوفي.

(٤) هو أنس بن مالك بن النضر النجاري الخزرجي، خادم رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أصحابه، وهو ←

لايموتُ، وما تصنعونَ بالحياة بعدَ رسولِاللهِ؟ فقاتِلوا علىٰ ماقاتَلَ عليه رسولُاللهِ وموتوا علىٰ مامات عليه، ثمَّ قال: اللَّهُمَّ إنِّي أعتذِرُ إليكَ ممَّا يقولُ هؤُلاءِ ـ يعني المسلمين ـ وأبرأُ إليكَ ممَّا جاءَ به هؤُلاءِ ـ يعني المنافقين ـ ثمَّ شدَّ بسيفِه فقاتَلَ حتّىٰ قُتِلَ(١).

والمعنىٰ: ﴿وَمَامُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ﴾ مَضَتْ ﴿مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ بُعِثُوا فأدَّوا الرسالة وماتوا وقُتِلَ بعضُهم، وأنّه سَيمضي كما مضَوا، وأتباعُ كلِّ رسولٍ بقوا متمسِّكينَ بدينِهِ بعد مضيِّه ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ محمَّدٌ ﴿أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ المعنىٰ: أفإن أَماته اللهُ أَو قتله الكفّارُ ارتددتم كفّاراً بعدَ إيمانِكم؟ فالفاءُ لتعليقِ الجملةِ الشرطيَّةِ بالجملةِ قبلَها، والهمزةُ للإنكار ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أي: ومن يرتدد عن دينه ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ ولمْ يضرَّ إلَّا نفسَه ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ الَّذين لم ينقلبوا كأنسِ بنِ النضرِ وأضرابِه، وسمّاهم شاكرين لأنَّهم شكروا نعمةَ الإسلامِ فيما فعلوا.

﴿وَمَاكَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْأَخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ (١٤٥)

﴿وَمَاكَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ يعني: أَنَّ موتَ النفوسِ محالٌ أَن

← من المتخلّفين عن غزوة بدر، لكنّه شهد أحداً والخندق، وبعد وفاة النبيﷺ رحل إلى الشام ومنها الى البصرة. روىٰ زر بن حبيش أنّه ممن كتم شهادته بحديث الغدير في عليعليه السلام فدعا عليه فابتلي بالبرص. مات في قصره بالطفّ علىٰ بُعد فرسخين من البصرة عام ٩٣ هـ، وهو آخر من مات من الصحابة. (معجم رجال الحديث للخوئي: ج ٣ ص ٢٣٩، طبقات ابن سعد: ج ٧ ص ١٧، تهذيب ابن عساكر: ج ٣ ص ١٣٩).

(١) رواها البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨، والزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٤٢٣.

يكون إلَّا بمشيَّةِ اللهِ، فأَخرجه مخرجَ فعلٍ لا ينبغي لأَحدٍ أَن يُقْدِمَ عليه إلَّا أن يأذن[1] اللهُ له فيه تمثيلاً، وفيه تحريضٌ على الجهادِ، وإخبارٌ بأَنَّه لا يُقَدِّمُ أجلاً لم يَحْضُرْ وتركَه لا يُؤخِّرُ أَجلاً قد حَضَرَ ﴿كِتَـٰباً﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ؛ لأَنَّ المعنىٰ: كُتِبَ الموتُ كتاباً ﴿مُّؤَجَّلًا﴾ أي: موقَّتاً له أَجلٌ معلومٌ لا يتقدَّمُ ولا يتأَخَّرُ ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ بجهادِهِ ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني: الغنيمةَ ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ من ثوابِها ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْأَخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ من ثوابِها ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ الَّذين لم يشغَلْهم شيءٌ عن الجهادِ.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ (١٤٧) فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (١٤٨)

قُرِئَ: «قُتِل»[2] و﴿قَـٰتَلَ﴾ والفاعل ﴿رِبِّيُّونَ﴾ أَو الضمير المستكِنُّ فيه العائِدُ إلىٰ ﴿نَّبِيٍّ﴾، و ﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾ حالٌ منه[3]، بمعنىٰ: قتل كائِناً معه ربِّيُّون، والرِّبِّيُّون: الرَّبَّانيُّون ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ عند قتلِ النبيِّ ﴿وَمَا ضَعُفُواْ﴾ عن الجهادِ بعدَه ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾ للعدوِّ، وهذا تعريضٌ بالوهنِ الَّذي أَصابهم عند الإرجاف بقتل رسول الله وبضعفِهم[4] عن[5] ذلك واستكانتِهم للمشركينَ حينَ أَرادوا أَن

(١) في بعض النسخ: إلَّا بإذن.

(٢) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو. أُنظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢١٧، والحجة في القراءات لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٣٨٧، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٨١، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ٧٢.

(٣) أُنظر تفصيل ذلك في الفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٦٣٩.

(٤) في بعض النسخ: أضعفهم.

(٥) في نسخة: عند.

يعتضدوا بالمنافقِ عبدِاللهِ بن أُبيٍّ في طلبِ الأَمانِ من أَبي سفيانَ ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ﴾ هذا القولُ وهو إضافةُ الذنوبِ والإسرافِ إلىٰ أنفسِهم مع كونهم ربَّانيِّين كسراً لنفوسهم واستصغاراً[١] لها، والدعاءُ بالاستغفارِ منها قبلَ طلبِهم تثبيتَ الأَقدامِ في مواطنِ الحربِ والنصرةَ على العدوِّ ليكونَ طلبُهم أَقربَ إلى الإجابةِ ﴿فَـَٔاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ من النصرةِ والغنيمةِ والعزَّةِ، وخصَّ ﴿ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ بالحسنِ دَلالةً علىٰ فضيلتِه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ (١٤٩) بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَـٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ﴾ (١٥٠)

عن أَميرِالمؤْمنينعليه السلام[٢] قال: «نزلتْ في قولِ المنافقينَ للمسلمينَ عندَ الهزيمةِ: ارجِعوا إلىٰ إخوانِكم وادخُلوا في دينِهم»[٣]، والمعنىٰ: ﴿إِن تُطِيعُواْ﴾ الكافرين وأَصْغَيْتُمْ إلىٰ قولِهم: لو كان محمَّدٌ نبيّاً لما غُلِبَ، أَو اسْتأْمَنْتُمْ أَبا سفيانَ وأَصحابَه واسْتَكَنْتُمْ لهم ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ أَي: يرجعوكم كفَّاراً كما كنتم فترجعوا ﴿خَـٰسِرِينَ﴾ قد تبدَّلتم الكفرَ بالإيمانِ والنارَ بالجنَّةِ ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَـٰكُمْ﴾ أَي: ناصرُكم وهو أَولىٰ بأَن تُطيعوه، ولاتحتاجون معه إلىٰ نصرةِ أَحدٍ وولايتِه.

﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ (١٥١) وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ

(١) في بعض النسخ: استقصاراً. (٢) في نسخة زيادة: أنّه.
(٣) حكاه عنهعليه السلام الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٤٢٥، والقرطبي في تفسيره: ج ٤ ص ٢٣٢.

﴿ٱلۡآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (١٥٢)

قَذَفَ اللهُ ﴿فِى قُلُوبِ﴾ المشركينَ الخوفَ يومَ أُحدٍ فانهزموا إلىٰ مكَّةَ بعد أن كان لهم القوّةُ والغلبةُ، ولمّا كانوا ببعضِ الطريقِ تَلاوَموا وقالوا: (١) لامحمَّداً قتلنا ولا الكواعبَ أَردفنا، قتلناهم حتّىٰ إذا لم يبق منهم إلّا الشريد تَرَكْناهم، ارجِعوا فاسْتأْصِلوهم، فلمَّا عَزَموا علىٰ ذلكَ أَلْقىٰ اللهُ في قلوبِهم ﴿ٱلرُّعۡبَ﴾ فأَمسكوا ﴿بِمَآ أَشۡرَكُواْ﴾ أَي: بسببِ إِشراكِهم، والمعنىٰ: كان السببُ في إلقاءِ اللهِ الرعبَ في قلوبِهم إِشراكَهم ﴿بِٱللَّهِ﴾ آلهةً لم ينزِّل اللهُ بإشراكِها حجَّة، وما عنى اللهُ سبحانه أَنَّ هناك حجَّة لم ينزِّل عليهم وإِنَّما أَراد نفيَ الحجَّةِ ونزولِها جميعاً، كقولِ الشاعرِ:

وَلا تَرَىٰ الضَبَّ بها يَنْجَحِرُ (٢)

﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ﴾ هو أَنَّه سبحانه وَعَدَهم النصرَ بشرطِ الصبرِ والتقوىٰ في قوله: ﴿إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ﴾ (٣)، وقد وَفَىٰ لهم بما وعَدَهم، وذلك أَنَّ رسولَ اللهِ أَقامَ الرماةَ عندَ الجبلِ جبلِ أُحُدٍ حينَ جَعلَ الجبلَ خلفَ ظهرِهِ واستقبل المدينةَ، وأَمَرَهم أَن يثبتوا في مكانِهم ولا يبرَحوا كانت الدولةُ للمسلمين أَو عليهم، فلمَّا أَقْبَل المشركونَ جعلَ الرماةُ يرشقون خيلَهم وغيرُهم يضرِبونَهم بالسيوفِ حتّىٰ انهزموا، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِذۡ تَحُسُّونَهُم

(١) في نسخة زيادة: بئسما فعلنا.

(٢) وصدره: لاتُفزعُ الأرنبَ أهوالُها. وقائله: عمرو بن أحمر الباهلي في وصف فلاة، فإنّه لم يرد أنّ بها أرانب لاتفزعها أهوالها، ولا ضباباً غير منجحرة، ولكنّه نفىٰ أن يكون بها حيوان، إذ بكثرة الأهوال فيها لايمكن أن يسكنها حيوان. راجع ديوان ابن أحمر: ص ٦٧، الخصائص: ج ٣ص ١٦٥ و ٣٢١، وأمالي ابن الشجري: ج ١ ص ١٩٢، وخزانة الأدب للبغدادي: ج ١٠ ص ١٩٢ ـ ١٩٣ وج ١١ ص ٣١٣.

(٣) الآية: ١٢٥.

بِإِذْنِهِ﴾ أي: تقتلونهم قتلاً ذَريعاً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ والْفَشَلُ: الجبنُ وضعفُ الرأْي ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ وذلك قولُهم: قد انهزم المشركون فما وقوفُنا هنا؟ وقال بعضُهم: لانخالف أَمرَ رسولِ الله، فثبت مكانَه عبدُالله بنُ جبيرٍ وهو أميرُ الرماةِ في نفرٍ دونَ العشرةِ وهم المعنيُّون بقوله: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ ونَفرَ الباقون ينهبون وهم الَّذين أَرادوا الدنيا، فكَرَّ المشركون على الرماةِ وقَتلُوا عبدَ اللهِ بنَ جبيرٍ وأَقبلوا على المسلمين حتَّى هَزَمُوهم وقَتلُوا من قَتلُوا[1]، وهو قوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ أي: ليمتحن صبرَكم وثباتَكم على الشدائدِ ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ بعدَ أَن خالفتم أمرَ رسولالله ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يتفضَّل عليهم بالعفوِ، ومتعلَّق قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ محذوفٌ تقديرُه: حتَّىٰ إذا فَشِلْتُمْ مَنَعَكُمْ نصرَه.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (١٥٤)

الإِصعاد: الذهابُ في الأَرضِ والإِبعادُ فيه، تقول: صَعِدَ في الجبلِ وأَصْعَدَ في

---

(١) أُنظر الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٥٣ ـ ١٥٤، والكشّاف: ج ١ ص ٤٢٧.

الأَرضِ، والمعنىٰ: ولقد عفا عنكم وقتَ إِصعادِكم أَي: ذَهابِكم في وادي أُحُدٍ للانهزام ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ أَي: لا تلتفتون إِلىٰ من خلَّفتم[1] في الحرب، لا يقف أَحدٌ منكم على أَحد ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ يقول: إِلَيَّ عبادَ اللهِ أَنَا رسولُ اللهِ من يكرُّ فَلَهُ الْجَنَّةُ ﴿فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ أَي: في ساقتِكم وجماعتكم الأُخرىٰ أَي: المتأَخِّرة، تقول: جئت في آخِرِ الناس وأُخراهم كما تقول: في أَوَّلِهم وأُولاهم بتأويل مقدِّمتِهم وجماعتِهم الأُولى ﴿فَأَثَـٰبَكُمْ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿صَرَفَكُمْ﴾ أَي: فجازاكم اللهُ ﴿غَمًّۢا﴾ حينَ صَرَفَكم عنه وابتلاكم ﴿بِـ﴾ سببِ ﴿غَمٍّ﴾ أَذقْتُموه رسولَ اللهِ بعصيانكم إِيّاه، أَو ﴿غَمًّۢا﴾ متَّصلاً ﴿بِغَمٍّ﴾ بما أُرجِفَ به من قتل رسولِ اللهِ وبالجرحِ والقتلِ وظَفَرِ المشركين وفوتِ الغنيمةِ ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَافَاتَكُمْ﴾ من الغنيمةِ ﴿وَلَا﴾ تَحْزَنُوا أَيضاً علىٰ ﴿مَآ أَصَـٰبَكُمْ﴾ من الشدائِدِ في سبيلِ اللهِ ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ﴾ أَي: عليم بأَعمالكم.

ثمَّ ذكر سبحانه ماأَنْعَمَ عليهم بعدَ ذلك فقال: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ هم أَهلُ الصدقِ واليقينِ، وذلك أَنَّه تعالىٰ أَنزل الأَمنَ على المؤمنين وأَزال عنهم الخوفَ الَّذي كان بهم حتَّىٰ نَعَسُوا وغَلَبَهم النومُ، ورُوِيَ عن أَبي طلحةَ أَنَّه قال: غَشِيَنَا النعاسُ ونحنُ في مصافِّنا، فكان السيفُ يسقطُ من يدِ أَحدِنا فيأخذه ثمَّ يسقُطُ فيأْخذه، وماأَحدٌ إِلَّا ويميل تحتَ حَجَفَتِه[2] [3]، وقوله تعالىٰ: ﴿نُّعَاسًا﴾ بدلٌ من ﴿أَمَنَةً﴾، ويجوز أَن يكونَ هو المفعولَ و ﴿أَمَنَةً﴾ حالٌ منه مقدَّمةٌ عليه كما تقول: رأيت راكباً رجلاً[4]، وقُرِئَ:

---

(١) في نسخة: خلفكم.

(٢) الحَجَفَةُ: هو الترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب. (الصحاح: مادة حجف).

(٣) رواها عنه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٣٦٣، و الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٤٢٨.

(٤) راجع تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٤٢٨.

﴿يَغْشَىٰ﴾ بالياءِ والتاءِ[١] ردّاً على النعاسِ أَو الأَمنةِ ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ وهم المنافقون مالهم إلّا همُّ أَنفسِهم لاهمُّ الدينِ ولاهمُّ الرسولِ والمسلمين ﴿يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ﴾ الظنِّ ﴿ٱلْحَقِّ﴾ الّذي يجب أَن يُظَنَّ به، فقوله: ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ في حكمِ المصدرِ و ﴿ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ بدلٌ منه، ويجوز أَن يكون المعنىٰ: يظنُّون باللهِ ظنَّ الجاهليَّةِ، و ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ تأْكيدٌ لـ ﴿يَظُنُّونَ﴾ كما تقول: هذا القول غير ماتقول ﴿يَقُولُونَ﴾ لرسولِ اللهِ يسأَلونه ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ معناه: هل لنا من أَمرِ اللهِ نصيبٌ قطُّ؟ يعنون: النصْرَ والظفرَ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ ولأَوليائِه المؤْمنين وهو النصرةُ والغلبةُ ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ معناه: يُخفون الشكَّ والنفاق ومالايَستطيعون إِظهارَه لك ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أَي: من الظفرِ الّذي وُعِدْنا به ﴿شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا﴾ أَي: ماقُتِلَ أَصحابُنا ﴿هَـٰهُنَا﴾ في هذه المعركةِ ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ أَي: مَن علم اللهُ منه أَنَّه يُقتَلُ ويُصرَعُ في هذا المصرعِ وكُتِبَ ذلك في اللوح[٢] لم يكن بدٌّ من وجودِه، فلو قعدتم في بيوتِكم ﴿لَبَرَزَ﴾ من بينكم ﴿ٱلَّذِينَ﴾ علم اللهُ أَنَّهم يُقتَلون ﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ وهي مصارعُهم ليكونَ ماعلم اللهُ أَنَّه يكونُ ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ من وساوسِ الشيطانِ فعل ذلك، أَو فعل ذلك لمصالحَ كثيرةٍ وللابتلاءِ والتمحيصِ، واللامُ في ﴿لِيَبْتَلِىَ ٱللهُ﴾ متعلِّقةٌ بـ«فَعَلَ ذَلِكَ» دلَّ عليه الكلام تقديرُه: وليبتلي اللهُ مافي صدورِكم فَرضَ عليكم القتال ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللهُ﴾.

---

(١) قرأه حمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢١٧، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٦٤، وكتاب الكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٣٦٠، والتبيان: ج ٣ ص ٢٢، والتيسير في القراءات للداني: ص ٩١، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ٨٦.

(٢) في بعض النسخ زيادة: المحفوظ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَاكَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَامَاتُواْ وَمَاقُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١٥٦)

﴿ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ أي: طلب زَلّتهم ودعاهم إلى الزلل ﴿بِبَعْضِ مَاكَسَبُواْ﴾ من ذنوبِهم، والمعنىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ انهزموا ﴿يَوْمَ﴾ أُحُدٍ كان السبب في انهزامِهم أنّهم كانوا أَطاعوا ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ فاقترفوا ذنوباً فلذلك منعتهم التأْييدَ والتوفيقَ في تقويةِ القلوبِ حتّىٰ تولّوا، وقال الحسنُ: استزلّهم بقبولِ مازيّن لهم من الهزيمةِ[١]، وقوله: ﴿بِبَعْضِ مَاكَسَبُواْ﴾ مثل قوله: ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[٢].

وذكر البلخيُّ: أنّه لم يبقَ يومَ أُحدٍ مع النبيِّ صلى الله عليه وآله إلّا ثلاثةَ عَشَرَ نفساً: خمسةٌ من المهاجرين وثمانيةٌ من الأنصارِ، وقد اخْتُلِفَ في الخمسة إلّا في عليٍّ عليه السلام وطلحةَ[٣][٤].

قال الصادق عليه السلام: «نظَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله إلىٰ جبرئيل بينَ السماءِ والأَرضِ علىٰ كرسيٍّ من ذهبٍ وهو يقول: أَلا لا سَيفَ إِلَّا ذُو الفِقارِ وَلا فتىً إِلّا عليّ»[٥].

---

(١) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٣٦٤.

(٢) المائدة: ١٥، والشورىٰ: ٣٠.

(٣) هو طلحة بن عبيدالله بن عثمان التيمي القرشي، صحابي ومن المسلمين الأوائل، شهد أُحداً وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وشهد الخندق، وكان أحد الستّة من أصحاب الشورىٰ، وكان ممّن نكث البيعة وخرج علىٰ أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم الجمل وقتل فيه وهو بجانب عائشة سنة ٣٦ هـ ودفن بالبصرة. (طبقات ابن سعد: ج ٣ ص ١٥٢، تهذيب التهذيب: ج ٥ ص ٢٠، الأعلام للزركلي: ج ٣ ص ٢٢٩).

(٤) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ٢٥.

(٥) معاني الأخبار: ص ١١٩، الارشاد للمفيد: ص ٤٠، المناقب لابن شهرآشوب: ج ٣ ←

ويُرْوَىٰ: أَنَّ علياً عليه السلام كان يقاتلُهم ذلك اليومَ حتَّى أصابَه في وجهِه ورأسِه ويدَيْه وبطنِه ورجلَيْه سبعونَ جراحةً، فقال جبرئيل: إِنَّ هذه لهي المواساةُ يامحمَّدُ، فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: وما يمنعه من هذا فإِنَّه مِنِّي وأَنا منه، قال جبرئيل: وأَنا منكما[١].

﴿وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ أَي: لأَجلِ إِخوانِهم ﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أَي: سافَروا فيها وأَبعدوا للتجارةِ أَو غيرِها ﴿أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾ جمع غازٍ، وقوله: ﴿إِذَا ضَرَبُواْ﴾ حكايةُ حالٍ ماضيةٍ، ومعناه: حينَ يضربون في الأَرضِ، وقوله: ﴿لِيَجْعَلَ﴾ يتعلَّق بـ﴿قَالُواْ﴾ أَي: قالوا ﴿ذَٰلِكَ﴾ واعتقدوه ليكونَ ﴿حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾، وتكون اللامُ للعاقبةِ كما في قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾[٢]، ويجوز أَن يكون المعنىٰ: لا تكونوا مثلَهم في النُطقِ بذلكَ القولِ واعتقادِه ليَجْعَلَهُ اللهُ ﴿حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ خاصَّةً ويصونَ منها قلوبَكم، وإِنَّما أُسْنِدَ الفعلُ إِلى اللهِ تعالىٰ لأَنَّه سبحانه عندَ ذلك الاعتقادِ الفاسدِ يَضَعُ الحسرةَ في قلوبِهم ويُضَيِّقُ صدورَهم، وهو كقوله: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾[٣]، ﴿وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ ردٌّ لقولِهم، أَي: الأَمرُ بيدِه فقد يحيي المسافرَ والغازيَ ويميتُ القاعدَ والمقيمَ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فلا تكونوا مثلَهم.

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨) فَبِمَا رَحْمَةٍ

← ص ٢٩٦، كفاية الطالب للكنجي: ص ٢٧٧، مناقب الخوارزمي: ص ١٠٣، مناقب ابن المغازلي: ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ١١٦ وفيه: «تسعون» بدل «سبعون».

(٢) القصص: ٨. (٣) الأنعام: ١٢٥.

مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٦٠)

قوله: ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ جوابٌ لقَسمٍ وقد سدَّ مسدَّ جوابِ الشرطِ[1]، وكذا قوله: ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ كذَّب سبحانَه فيما قبلُ الكفَّارَ في زعمِهم أَنَّ مَن ضَرَبَ في الأَرضِ أَو غزا لو كان عندهم في المصرِ لم يمت، ونَهى المسلمينَ عن ذلك الاعتقادِ لأَنّه سببُ التخلُّفِ عن الجهادِ، ثمَّ قال: ولو كان الأَمرُ كما تزعمون وتمَّ عليكم ماتخافون من الهلاكِ بالموتِ أَو القتلِ في سبيلِ اللهِ، فإِنَّ ماتنالونه من المغفرةِ والرحمةِ بالموتِ في سبيلِ اللهِ خيرٌ ممّا تجمعونَه من منافع الدنيا لو لم تموتوا، أَو ممّا يجمعُهُ الكفّارُ فيمن قرأَ بالياءِ، ثمَّ قال: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ﴾ الرحيمِ ﴿تُحْشَرُونَ﴾ وقُرِئَ: ﴿مُتُّمْ﴾ بضمِّ الميمِ وكسرِها[2] من مات يموتُ، ومات يماتُ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: «ما» مزيدةٌ للتوكيدِ والدلالةِ علىٰ أَنَّ لينَه لهم ماكان إِلَّا برحمةٍ من اللهِ ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ أَي: جافياً سَيِّئَ الخلقِ غليظَ القلبِ قاسيَه ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ لتفرَّقوا عنك، لايبقىٰ حولَك أَحدٌ منهم ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ مابينَك وبينهم ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ مابينَهم وبيني إِتماماً للشفقةِ عليهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ يعني: في أَمرِ الحربِ ونحوِه ممّا لم ينزل عليك فيه وحيٌ؛ لتَطيبَ نفوسُهم أَو لتستظهرَ برأْيِهم، قال الحسن: أَراد أَن يستنَّ به من بعدَه

(١) وهو قول الأخفش في معاني القرآن: ج ١ ص ٤٢٦، والزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٤٣١.

(٢) قرأه نافع وحمزة والكسائي. راجع التذكرة لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٦٤، والحجة في القراءات لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٣٩٤، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٨١.

وقد عَلِمَ اللهُ أَنَّه لم يكن يحتاج إليهم[١].

وفي الحديث: «ما تَشاوَرَ قَوْمٌ قَطُّ إلّا هُدُوا لأَرشدِ أَمرِهِمْ»[٢].

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ أَي: فإذا قطعت الرأيَ علىٰ شيءٍ بعدَ الشورَىٰ ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللهِ﴾ في إمضاءِ أَمرِك على الأَرشدِ الأَصلحِ فإنَّ ذلكَ لا يعلَمُهُ إلّا اللهُ.

ورُوِيَ عن جعفرٍ الصادق عليه السلام: «فإذا عَزَمْتُ ـ بالضمِّ ـ بمعنىٰ: فإذا عزَمْتُ لك علىٰ شيءٍ وأَرشدتُك إليه فتوَكَّلْ عليَّ ولا تشاوِر بعدَ ذلكَ أحداً»[٣].

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللهُ﴾ كما نَصَرَكم يومَ بدر فلا أَحدَ يَغْلِبُكم ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ ويمنعْكم معونتَه، ويُخَلِّ بينَكم وبينَ أَعدائِكم بمعصيتِكم إيّاه ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾ أَي: من بعد خذلانِه[٤] ﴿وَعَلَى ٱللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ هذا تَنبيهٌ علىٰ وجوبِ التوكُّلِ على اللهِ سبحانَه.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١) أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللهِ كَمَن بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللهِ وَٱللهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦٣)

غَلَّ شيئاً من الْمَغْنَمِ غُلولاً وأَغَلَّ: إذا أَخَذَه في خفيةٍ، وفي الحديث: «لا إغلالَ ولا إسلال»[٥]، ويقال: أَغلَّه أي: وجده غلّاً[٦]، ﴿وَ﴾ المعنىٰ: ﴿مَا﴾ صحَّ ﴿لِنَبِىٍّ

---

(١) راجع تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٢٤٦، وحكاه الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٤٣٣ عن الضحّاك وسفيان.

(٢) رواه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٤٣٢.

(٣) حكاه عنه عليه السلام القرطبي في تفسيره: ج ٤ ص ٢٥٢.

(٤) في نسخة: خذلانكم.

(٥) أخرجه الطبراني باسناده كما في الدر المنثور: ج ٢ ص ٣٦٤، ورواه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٤٣٣ مرفوعاً.

(٦) في نسخة: غالاً

أَن يَغُلَّ﴾ فإنَّ النبوَّةَ تُنافِي الغُلولَ، ومن قرأَ: «يُغَلّ»[١] فالمعنىٰ: ماصحَّ لنبيٍّ أَن يوجَدَ غالاًّ، ولايوجدُ غالاًّ إلَّا إذا كان غالاًّ ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أَي: يأت بالشيءِ الَّذي غلَّه بعينه يحمله كما جاءَ في الحديث: «جاءَ يومَ القيامةِ يَحْمِلُه علىٰ عنقِه»[٢]، ويجوز أَن يُرادَ: يأْتِ بما يحتمل من إثمه وتبعتِه ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ جيءَ بالعام ليدخل تحتَه كلُّ كاسبٍ من غالٍّ وغيرِه ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أَي: يُعْدَلُ بينَهم في الجزاءِ فكلٌّ جزاؤُه علىٰ قدرِ كسبِه، ثمَّ بيَّن سبحانه أَنَّ منِ اتَّبَعَ رضاءَ اللهِ في تركِ الغُلولِ ليس ﴿كَمَن بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في فعل الغُلول، ثمَّ قال: ﴿هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أَي: ذوو درجاتٍ عندَاللهِ، والمرادُ: تفاوتُ مراتبِ أَهلِ الثوابِ ومراتبِ أَهلِ العقابِ، أَو تفاوتُ مابينَ الثوابِ والعقابِ ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أَي: عالم بأَعمالِهم ودرجاتِها فيجازيهم علىٰ حسبها.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ (١٦٤) أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٦٥)

أَي: ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى﴾ من آمن مع رسولِاللهِ من قومِه، وخصَّ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ منهم لأَنَّهم هم المنتفعون بمبعثه ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أَي: من

---

(١) وهي قراءة ابن مسعود ونافع وحمزة والكسائي وابن عامر. أُنظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢١٨، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٢٦٥، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ١٠١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده عن سعيد بن جبير كما في الدر المنثور: ج ٢ ص ٣٦٥، ورواه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٤٣٤ مرفوعاً.

جنسهم عربيّاً مثلَهم، وقيل: من وُلدِ إسماعيل كما أنّهم كانوا من وُلدِه[١]، ووجهُ المنَّةِ عليهم في ذلك أنّه إذا كان منهم كان اللسانُ واحداً فيسهلُ عليهم أخذُ مايجب عليهم أخذهُ عنه، وفي كونِه من أنفسِهم شرفٌ لهم كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[٢]، ورُوِيَ: أنَّ قراءَةَ فاطمةَ عليها السلام «من أَنْفَسِهِمْ»[٣] ومعناه: من أشرَفِهِم ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ بعدَ أن كانوا أهلَ جاهليّةٍ لم يسمعوا شيئاً من الوحي ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: ويطهِّرهم من الدنَسِ وأوضارِ[٤] الكفر ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ القرآن والسُّنَّةَ بعدَ ماكانوا أجهلَ الناسِ وأبعدَهم من دراسة العلوم ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ﴾ بعثةِ الرسولِ ﴿لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾، ﴿إِن﴾ هي المخفّفة من المثقّلة، واللام هي الفارقة بينَها وبينَ النافيةِ وتقديره: وإنَّ الشأنَ، والحديثَ كانوا من قبلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ أَي: ظاهرٍ،و﴿لَمَّآ﴾ نُصبَ بـ﴿قُلْتُمْ﴾، و﴿أَصَـٰبَتْكُم﴾ في محلِّ الجرِّ بإضافةِ ﴿لَمَّآ﴾ إليه، وتقديره: أَقُلتُمْ حينَ أَصابتكم مصيبةٌ يومَ أُحدٍ من قتلِ سبعينَ منكم ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ يومَ بدرٍ من قتلِ سبعينَ وأَسرِ سبعينَ: ﴿أَنَّىٰ هَـٰذَا﴾ أي: من أينَ أصابنا هذا وفينا رسولالله صلى الله عليه وآله ونحن مسلمون وهم مشركون؟! و ﴿أَنَّىٰ هَـٰذَا﴾ في موضعِ نصبٍ لأنّه مقولٌ[٥]، والهمزةُ للتقرير والتقريع[٦] ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ أَي: أنتم السببُ فيما أَصابَكم لاختيارِكم الخروجَ من المدينةِ أو

---

(١) حكاه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٤٣٥.

(٢) الزخرف: ٤٤.

(٣) حكاها عنها عليها السلام وعن أبيها صلى الله عليه وآله ابن خالويه في شواذ القرآن: ص ٣٠، وفي البحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ١٠٤: هي قراءة فاطمة وعائشة والضحّاك وأبي الجوزاء.

(٤) الوَضَر: الدرن والدسم. (الصحاح: مادة وَضَرَ).

(٥) في نسخة: منقول.

(٦) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٤٣٦، وحول أقسام الهمزة ومعانيها راجع مغني اللبيب: ج ١ ص ١٧ ـ ١٨.

لتخليتِكم المركزَ، وعن عليٍّ عليه السلام: «لأَخذِكم الفداءَ من أُسارىٰ بدرٍ قبلَ أَن يؤْذَنَ لكم»(١) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو قادرٌ علىٰ أَن ينصرَكم فيما بعدَه.

﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (١٦٧)

أَي: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ﴾ يومَ أُحدٍ ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ جمعُكم وجمعُ المشركينَ ﴿فَـ﴾ـهو كائنٌ ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أَي: بتخليتِه ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أَي: وليتميَّزَ المؤْمِنون والمنافِقون ويظهرَ إِيمانُ هؤُلاءِ وَنفاقُ هؤُلاءِ، وإِنَّما استعارَ لفظَ الإِذنِ لتخليةِ الكفَّارِ وأَنّه لم يمنعْهم ليبتليَهم؛ لأَنَّ الإِذنَ مُخَلٍّ بينَ المأْذونِ له ومرادِه ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿نَافَقُواْ﴾، ويجوز أَن يكونَ كلاماً مبتدأً، وهم عبدُاللهِ بنُ أُبَيٍّ وأَصحابُه انخزلوا يومَ أُحدٍ وقالوا: علامَ نَقْتُلُ أَنفُسَنا، وكانوا ثلاثَمائةٍ، فقال لهم عبدُاللهِ بنُ عمرِو بنِ حزامٍ الأَنصاريُّ: ﴿تَعَالَوْاْ قَـٰتِلُواْ ... أَوِ ٱدْفَعُواْ﴾ عن حريمكم إِن لم تُقاتِلوا ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ﴿قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ﴾ فقال لهم: أَبعدَكُمُ اللهُ واللهُ يُغني عنكم، وقوله: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ﴾ أَي: تَباعَدوا بهذا الفعلِ والقولِ عن الإِيمانِ المظنونِ بهم واقتربوا من الكفرِ، وقيل: هم لأَهلِ الكفرِ أَقربُ نصرةً منهم لأَهلِ الإِيمانِ؛ لأَنَّ تقليلَهم سوادَ المسلمينَ تقويةٌ للمشركين(٢) ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ من كلمةِ الإِيمانِ ومايُقَرِّبُ إِلى الرسولِ ﴿مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ فإِنَّ في قلوبِهم الكفرَ، والمعنىٰ: أَنَّ

---

(١) رواه عنه عليه السلام الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٤٣٧، والبيضاوي في تفسيره: ج ١ ص ١٩١.
(٢) قاله البيضاوي في تفسيره: ج ١ ص ١٩١.

الإيمانَ موجودٌ في أفواهِهم معدومٌ في قلوبِهم ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَاقُتِلُواْ قُلْ فَادْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (١٦٨)

محلُّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ يجوز أن يكونَ نصباً على الذمِّ أو على البدلِ من ﴿ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾، ورفعاً على «هُمُ الَّذِينَ قَالُوا»، وجرّاً بدلاً من الضميرِ في ﴿بِأَفْوَٰهِهِم﴾[١]، ﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ أي: لأجلِ إخوانِهم من جنسِ المنافقينَ المقتولينَ يومَ أُحدٍ أو إخوانِهم في النسبِ ﴿وَقَعَدُواْ﴾ أي: وقد قعدوا، وهي جملةٌ في موضعِ الحالِ ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ إخوانُنا فيما أمرناهم به من القعودِ ﴿مَاقُتِلُواْ﴾ كما لم نُقْتَلْ ﴿قُلْ فَادْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: فادفعوا عن أنفسِكم الموتَ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في هذهِ المقالةِ؛ لأنَّكم إن دفعتم القتلَ الَّذي هو أحدُ أسبابِ الموتِ لم تقدروا على دفع سائرِ أسبابِه. ورُوِيَ: أنَّه مات يومَ قالوا هذهِ المقالَةَ سبعون منافقاً[٢].

﴿وَلَاتَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتاً بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَايُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧١)

الخطابُ لرسولِ اللهِ أو لكلِّ أحدٍ، وقُرِئَ: «تَحْسَبَنَّ» بفتحِ السينِ و «قُتِّلُوا» بالتشديدِ[٣] ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: في الجهادِ ونصرةِ دينِ اللهِ ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ أي: بل

---

(١) راجع تفصيل ذلك في الكشّاف للزمخشري: ج ١ ص ٤٣٨، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٦٥٨.

(٢) رواه السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٣١٤، والزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٤٣٨.

(٣) قرأه الحسن وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢١٩، ←

هم أَحياءٌ ﴿يُرْزَقُونَ﴾ مثل مايُرْزَقُ سائِرُ الأَحياءِ يأكُلونَ ويشربونَ ﴿فَرِحِينَ بِمَآءَاتَيٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وهو التوفيقُ في الشهادةِ وماساقه إِليهم من الكرامةِ ومواذِّ السعادةِ ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِـ﴾ إِخوانهم المجاهِدينَ ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم﴾ أَي: لم يُقْتَلُوا بعدُ فيلحَقوا بهم ﴿مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ يريدُ الَّذين من خلفِهم قد بقوا بعدَهم، وقيل: لم يلحَقوا بهم، أَي: لم يدرِكوا فضلَهم ومراتبَهم ومنزلتَهم[١] ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والمعنىٰ: ويستبشرون بما تَبَيَّنَ لهم من حالِ مَن تركوا خلفَهم من المؤْمنين، وهو أَنَّهم يُبْعَثُونَ آمِنين يومَ القيامة، بَشَّرَهُمُ اللهُ بذلك فهم مستبشِرون به، وكرَّر ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ليتعلَّق به ماهو بيانٌ لقولِه: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ﴾ من ذكر نعمةِ اللهِ وفضلِه، وقُرِئَ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ بالفتحِ عطفاً على النعمةِ والفضلِ، وبالكسرِ على الابتداءِ وعلىٰ أَنَّ الجملةَ اعتراضٌ، وهي قراءَة الكسائِي[٢]، ففيه دلالةٌ علىٰ أَنَّ الثوابَ مستحَقٌ وأَنَّ اللهَ لايُبطِلُه، ولذلك أَضاف نفي الإِضاعةِ إِلىٰ نفسِه.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ (١٧٣) فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ

← والحجة في القراءات لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٣٩٧، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٦٥، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ١١٣.

(١) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ١ ص ٤٨٩.

(٢) حكاها عنه ابن مجاهد في كتاب السبعة في القراءات: ص ٢١٩، والقيسي في الكشف عن وجوه القراءات السبع: ج ١ ص ٣٦٤، وابن غلبون في التذكرة: ج ٢ ص ٣٦٥، والداني في التيسير: ص ٩١، وابن خلف الاندلسي في العنوان: ص ٨١، وأبو حيان في البحر المحيط: ج ٣ ص ١١٦.

رِضْوَانَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٧٥)

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ﴾ مبتدأٌ وخبرُه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ أَو جُرَّ صفةً للمؤْمنين أَو نُصِبَ على المدحِ[١] [٢]. لمّا انصرف أَبو سفيانَ وأَصحابُه من أُحدٍ فبلغوا الروحاءَ[٣] ندموا وهمّوا بالرجوع، فبلغ ذلك رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله فأَراد أَن يُرِيَهُم من نفسه وأَصحابِه قوّةً فندب أَصحابَه للخروج وقال: لايخرجنَّ معنا أَحد إلّا من حضر يومَنا بالأَمسِ، فخرج مع جماعةٍ حتّىٰ بلغ حمراءَ الأَسد[٤] وهي علىٰ ثمانية أَميال من المدينَةِ، فَأَلقى اللهُ الرعبَ في قلوبِ المشركين فذهبوا، فنزلت[٥].

وأَمّا قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ فحديثُه: أَنَّ أَبا سفيانَ لمّا انصرف من أُحدٍ نادىٰ: يا محمَّدُ موعدُنا موسمُ بدرٍ القابل إن شِئْتَ، فقال صلى الله عليه وآله: إن شاءَ الله. فلمّا كان القابلُ خرج أَبو سفيانَ في أَهلِ مكّةَ حتّى نزل مرَّ[٦] الظهران[٧] فأَلقىٰ اللهُ سبحانه الرعبَ في قلبِه فبدا له أَن يرجعَ، فَلَقِيَ نَعيمَ بنَ

---

(١) في نسخة: الحال.

(٢) انظر تفصيل ذلك في معاني القرآن للزجّاج: ج ١ ص ٤٨٩ وقال: والأحسن أن يكون في موضع رفع بالابتداء.

(٣) الروحاء: هو موضع علىٰ نحو أربعين ميلاً من المدينة، وقيل: ستة وثلاثين، وهو الموضع الذي نزل به تُبّع حين رجع من قتال أهل المدينة يريد مكّة، فأقام بها وأراح فسمّاها الروحاء. (مراصد الاطّلاع: ج ٢ ص ٦٣٧).

(٤) وهي موضع علىٰ ثمانية أميال من المدينة، إليها انتهى النبي صلى الله عليه وآله يوم أُحد في طلب المشركين. (معجم البلدان: ج ٢ ص ٣٣٢).

(٥) رواها الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ٥٠ عن ابن عبّاس والسدي وابن إسحاق وابن جريج وقتادة، وحكاها الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٤٤٠.

(٦) في نسخة: من.

(٧) الظهران: وادٍ قرب مكّة، وعنده قرية يقال لها: مَرّ، تُضاف إلىٰ هذا الوادي فيقال: مَرّ الظهران. (معجم البلدان: ج ٣ ص ٥٨١).

مسعودٍ الأَشجعيَّ[١] وقد قَدِمَ معتمراً، فقال: يانعيمُ إنِّي واعدتُ محمَّداً أَن نلتقيَ بموسمِ بدرٍ وأَنَّ هذا عامُ جدبٌ وقد بدا لي، فَالْحَقْ بالمدينةِ وثَبِّطْهم ولك عندي عشرٌ من الإبل، فخرج نعيمٌ فوجد المسلمينَ يتجهَّزون، فقال لهم: ماهذا بالرأي أتوكم في ديارِكم فلم يُفلِتْ منكم أحدٌ إلَّا شريدٌ، أفتريدون أن تخرُجوا وقد جمعوا لكم عندَ الموسمِ فواللهِ لايُفلِتْ منكم أَحدٌ، فقال النبيُّ ﷺ: «والَّذي نفسي بيدِه لأَخرجنَّ وإن لم يخرج معي أَحدٌ» فخرجَ في سبعين راكباً وهم يقولون: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ حتَّىٰ وافَوا بدراً وأَقاموا بها ثمانيَ ليالٍ وكانت معهم تِجاراتٌ فباعوها وأَصابوا خيراً ثمَّ انصرفوا إلى المدينةِ سالمين غانِمين، فرجع أَبو سفيان إلىٰ مكَّةَ فَسمَّى أَهلُ مكَّةَ جيشَه جيشَ السويقِ، قالوا: إنَّما خرجتم لتشربوا السويقَ[٢] [٣]، و ﴿ٱلنَّاسُ﴾ الأَوَّلُ: نعيمُ بن مسعود لأَنَّه من جنسِ الناسِ، ولأَنَّه ربَّما لم يخلُ من ناسٍ وصلوا جناحَ كلامِه، و ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الثاني: أَبو سفيانَ وأَصحابُه، والضميرُ المستكنُّ في ﴿فَزَادَهُمْ﴾ يرجع إلى المقولِ الَّذي هو: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ أَو إلىٰ مصدرِ «قالوا» أَو إلىٰ نعيمٍ، ومعنىٰ ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾: مُحسِبُنَا اللهُ، أَي: كافينا، يقال: أَحْسَبَهُ الشيءُ إذا كفاه ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ أَي: نعم[٤] الموكول إليه هو ﴿فَٱنقَلَبُواْ﴾ أَي: فَرَجَعُوا من بدرٍ ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وهو

---

(١) نعيم بن مسعود بن عامر بن أشجع، يكنّىٰ: أبا سلمة الأشجعي، صحابي مشهور، كان قد قدم علىٰ رسول الله ﷺ سرّاً أيام الخندق واجتماع الأحزاب، فأسلم وكتم إسلامه، وعاد إلى الأحزاب المجتمعة لقتال المسلمين، فألقىٰ الفتنة بين قبائل قريظة وغطفان وقريش، قُتل يوم الجمل في أول خلافة أميرالمؤمنين عليه السلام قبل قدومه البصرة، وقيل: مات في خلافة عثمان. (الإصابة في تمييز الصحابة: ج ٣ ص ٥٦٨، أُسد الغابة لابن الأثير: ج ٥ ص ٣٣، الأعلام للزركلي: ج ٨ ص ٤١).

(٢) في نسخة: السويد.

(٣) حكاها الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ٥٣ وقال: وروىٰ ذلك أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السلام، ورواها الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٤٤١.

(٤) في بعض النسخ زيادة: الربّ.

السلامةُ ﴿وَفَضْلٍ﴾ وهو الربحُ فِي التجارةِ ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾ المثبِّطُ هو ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ بيانٌ لشيطنتِه، أَي: يُخوِّفُكم بأَوليائِهِ الَّذين هم أَبو سفيانَ وأَصحابُه، وقيل: يخوِّف أَولياءَه القاعدين عن الخروجِ معَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله[١].

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٧)

خاطب سبحانه الرسولَ صلى الله عليه وآله فقال: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ﴾ يقعون ﴿فِى ٱلْكُفْرِ﴾ سريعاً، يعني: المنافقينَ الَّذينَ تخلَّفوا ﴿إِنَّهُمْ﴾ لايَضُرُّونَ بمسارعتِهم في الكفرِ غيرَ أَنفسِهم، ولا يعودُ[٢] وبالُ الكفرِ إِلَّا عليهم، ثمَّ بيَّن كيف يعود وبالُ الكفرِ عليهم بقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أَي: نصيباً من الثوابِ ﴿وَلَهُمْ﴾ بدلَ الثوابِ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وفائدةُ إِرادةِ اللهِ هنا أَنَّها إِشعارٌ بأَنَّ الدَّاعيَ إِلىٰ تعذيبِهم خالصٌ حينَ سارَعوا في الكفرِ حتَّىٰ أَنَّ أَرحمَ الراحمينَ يريد أَن لايرحمَهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ هذا: إِمَّا أَن يكونَ تكريراً لذكرِهم وإِمَّا أَن يكونَ عامّاً للكفَّارِ، والأَوَّلُ خاصّاً في من نافقَ من المتخلِّفين وارتدَّ عن الإِسلام و ﴿شَيْـًٔا﴾ نصب على المصدرِ؛ لأَنَّ المعنىٰ: شيئاً من الضررِ وبعضَ الضررِ.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١٧٨)

---

(١) قاله الحسن والسدي. راجع تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٢٤٩، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ٤٣٨.

(٢) في نسخة: يرجع.

من قرأَ: «تَحْسَبَنَّ» بالتاءِ[١] فـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ نصب، و ﴿أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ بدلٌ منه، أي: ولاتحسبنَّ أَنَّ إملاءَنا للَّذين كفروا خيرٌ لهم، و «أَنَّ» مع «مَا» في حيِّزِه ينوب عن المفعولين، ويجوز أَن يقدَّرَ مضافٌ محذوفٌ تقديرهُ: ولاتحسبنَّ الَّذين كفروا أَصحابَ أَنَّ الإملاءَ خيرٌ لأنفسِهم أَو ولاتحسبنَّ حالَ الَّذين كفروا أَنَّ الإملاءَ خيرٌ لأَنفسِهم[٢]. ومن قرأَ بالياءِ فالَّذين كفروا رفع، والإملاء لهم أَن يتركَهم وشأنهم، وقيل: هو إمهالُهم وإطالةُ عمرِهم[٣] ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْماً﴾ «ما» هذه كافَّةٌ والأُولىٰ مصدريَّةٌ، وهذه جملةٌ مستأْنَفَةٌ تعليلٌ للجملةِ قبلَها وسببٌ لها، وإنَّما كانَ ازديادُ الإثمِ علَّةً للإملاءِ لما كانَ في علمِ اللهِ أنَّهم يزدادون إثماً، فكأَنَّ الإملاءَ وقع بسببِه ومن أَجلهِ علىٰ طريقِ المجازِ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يهينُهم في نارِ جهنَّم.

﴿مَاكَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَمَاكَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَآءُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٩)

اللام في ﴿لِيَذَرَ﴾ لتأْكيدِ النفيِ، والمعنىٰ: لايدعُ اللهُ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولايتركهم ﴿عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ من اختلاطِ المؤْمنِ المخلِصِ بالمنافقِ ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ المنافقَ ويعزلَه عن المخلِصِ، و ﴿يَمِيزَ﴾ من مِزْتُهُ فانماز، وقُرِئَ: «يُمَيِّزَ»[٤] من

(١) وهي قراءة حمزة. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٢٠، والتبيان: ج ٣ ص ٥٨، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٦٥، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٨١، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ١٢٢.

(٢) راجع تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٤٤٤.

(٣) قاله الزجّاج في معاني القرآن واعرابه: ج ١ ص ٤٩١.

(٤) قرأه حمزة والكسائي ويعقوب. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٢٠، ←

مَيَّزْتُهُ فتَمَيَّزَ، وإنَّما يميز بينَ الفريقَيْنِ بالوحي إلىٰ نبيِّه وإخبارِه بأَحوالِكم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ فلا تظنُّوا إذا أَخبركم النبيُّ بنفاقِ الرجلِ أَنَّه يطَّلعُ علىٰ مافِي القلوبِ بنفسِه ولكنَّ اللهَ يوحي إليه بأَنَّ في الغيبِ كذا وأَنَّ هذا منافقٌ وهذا مخلصٌ فيعلم ذلك من جهةِ إطْلاعِ اللهِ تعالىٰ إيَّاه، ويجوز أَن يكونَ المرادُ بالتمييزِ أَنَّه يكلِّف التكاليفَ الشاقَّةَ كبذلِ الأَرواحِ في الجهادِ وإنفاقِ الأَموالِ في سبيلِ اللهِ، ونحوِ ذلكَ ممّا يُظهِرُ به أَحوالَهم فيعلم بعضُكم مافي قلبِ بعضٍ عن طريقِ الاستدلالِ، وماكان اللهُ ليُطْلِعَ أَحداً منكم على الغيبِ ومضمَراتِ القلوبِ[1] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَآءُ﴾ فيخبرُه ببعضِ المغيباتِ ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ بأَن تَقْدِروه حَقَّ قدرِه، وتَعْلَموا رسلَه عباداً مُصْطَفينَ للرسالةِ لايعلمونَ إلَّا ماعلَّمَهم الله ولايُخبِرونَ من الغيوبِ إلَّا بما أَخْبَرَهم اللهُ به، وقيل: إنَّ المشركين قالوا: إن كانَ محمَّدٌ صادقاً فَلْيُخْبِرْنا من يؤمنُ منَّا ومن يكفرُ، فنزلت الآية[2].

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَابَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١٨٠)

من قرأ بالتاءِ[3] قدَّر مضافاً محذوفاً، أي: ﴿وَلَا﴾ تحْسَبَنَّ بخلَ ﴿ٱلَّذِينَ

← والحجة في القراءات لأبي علي الفارسي: ج ٢ ص ٤٠٥، والتبيان: ج ٣ ص ٦٢، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٦٦، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٨١، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ١٢٦.

(١) انظر الكشّاف: ج ١ ص ٤٤٥.

(٢) قاله السدي. راجع أسباب النزول للواحدي: ص ١١٢، والتبيان: ج ٣ ص ٦٢.

(٣) وهي قراءة حمزة. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٢٠، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٣٦٦، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٦٥.

يَبْخَلُونَ ... هُوَ خَيْراً لَّهُم﴾ وكذلك من قرأ بالياءِ وجعلَ فاعلَ ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ ضميرَ رسولِ اللهِ أَو ضميرَ أحدٍ، ومن جعَلَ فاعلَه ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ كان المفعولُ الأَوَّلُ عندَه محذوفاً تقديرُه: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بخلهم ﴿هُوَ خَيْراً لَّهُم﴾ وإنَّما حُذِفَ لدَلالةِ ﴿يَبْخَلُونَ﴾ عليه، و ﴿هُوَ﴾ فصلٌ، ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ تفسيرٌ لقوله: ﴿هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ أَي: سَيُلزَمونَ وبالَ مابَخِلُوا به إِلزامَ الطوقِ، وفي أَمثالِهم: «تَقَلَّدَها طوقَ الْحَمامةِ»[1]: إذا فَعَلَ فعلةً يُذَمُّ بها، ورُوِيَ: أَنَّها نَزلَت في مانِعِي الزكاةِ[2] ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أَي: له مافيهما ممَّا يتوارثُه أَهلُهما من مالٍ وغيرِه، فمالهم يبخلون عليه بملكِه، وقُرِئَ: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاءِ على طريقةِ الالتـفاتِ وهو أَبلغ في الوعيد، وبالياءِ[3] على الظاهر.

﴿لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (١٨١) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (١٨٢) ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (١٨٣)

قال ذلك اليهودُ حينَ سمِعوا قولَ اللهِ تعالىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً

(١) أي: تقلّد الخصلة القبيحة تقلّد طوق الحمامة، أي: لاتزايله ولاتفارقه حتّى يفارق طوقُ الحمامةِ الحمامةَ. أُنظر مجمع الأمثال للميداني: ج ١ ص ١٥٣.

(٢) رواها العياشي في تفسيره: ج ١ ص ٢٠٧ ح ١٥٨ عن محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام.

(٣) قرأه ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٢٠، وحجّة القراءات لابن زنجلة: ج ١ ص ١٨٤، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٣٢٠، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٣٦٩، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٨٢، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ١٢٩.

حَسَناً﴾[١]، وإنّما قالوه: إمّا اعتقاداً وإمّا استهزاءً وعناداً، وأيّهما كان فهذه الكلمة لاتصدرُ إلّا عن كفرٍ صراحٍ، ومعنىٰ ﴿سَمِعَ ٱللَّهُ﴾: أنّه لا يخفىٰ عليه، وأعدَّ له كِفاءَه من العقابِ ﴿سَنَكْتُبُ مَاقَالُواْ﴾ في صُحُفِ[٢] الْحَفَظَة، أو نُثْبِتُه في علمِنا لاننساه ولايفوتنا إثباتُه ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنبِيَآءَ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿مَاقَالُواْ﴾ وفيه: إعلام أنّهما في العِظَمِ أخوان، وأنَّ هذا ليس بأوّل مارَكِبُوه من العظائِم، وأنَّ من قَتَلَ الأنبياءَ لم يُسْتَبْعَدْ منه الاجتراءُ علىٰ مثلِ هذا القولِ ﴿وَنَقُولُ﴾ لَهُمْ ﴿ذُوقُواْ﴾ أي: وننتقم منهم بأن نقولَ لهم يومَ القيامةِ: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾، ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلىٰ ماتقدَّم من عقابِهم ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ بما كنتم عملتموه، وذكر الأيدي لأنَّ أكثرَ الأعمال تُعْمَلُ بها، فَجُعِلَ كُلُّ عملٍ كالواقعِ بالأيدي علىٰ سبيل التغليب، وعَطفَ قولَه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ علىٰ ﴿بِمَاقَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ لأنَّ معناه: أنّه عادلٌ عليهم فيعاقبُهم علىٰ حسبِ استحقاقِهم ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ أي: أمرنا في التوراةِ وأوصانا بـ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا﴾ بهذه الآيةِ الخاصّةِ، وهي أن يُرِيَنا قرباناً فتَنزِلَ نارٌ من السماءِ فتأْكلَه ﴿قُلْ﴾ يامحمّد لهم: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ﴾ أي: جاءَ أسلافكم ﴿رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالحجج والدلالاتِ الكثيرةِ، وجاؤوهم أيضاً بهذِهِ الّتي اقترحتموها ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ أراد بذلك زكريّا ويحيىٰ وجميعَ من قتله اليهودُ من الأنبياءِ عليهم‌السلام.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ (١٨٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ

(١) البقرة: ٢٤٥.
(٢) في نسخة: كُتُب.

ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ (١٨٥)

هذا تسليةٌ لِلنبيِّ في تكذيبِ الكفَّارِ إيّاهُ، أَي: لستَ بأَوّلِ مكذَّبٍ، بل ﴿كُذِّبَ﴾ قبلَكَ ﴿رُسُلٌ﴾ أَتَوْا بِالمعجزاتِ الباهرةِ ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ جمع زَبور وهو كلُّ كتابٍ فيه حكمةٌ ﴿وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ هو التوراةُ والإنجيلُ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أَي: يَنْزِلُ بها الموتُ لامَحالَةَ فكأَنَّها ذاقَتْه ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ لاتوفَّون أجورَكم عقيبَ مَوتِكم وإنَّما توفَّونَها يومَ قيامِكم عن القبورِ، والمرادُ: أَنَّ تكميلَ الأُجورِ وتوفيتَها يكونُ ذلك اليومَ ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ أَي: نُحِّيَ عنها وأُبْعِدَ ﴿وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ أَي: فقد حصل له الفوزُ والظفرُ المطلقُ المتناولُ لكلِّ مايفازُ به، ولا غايةَ للفوزِ وراءَ النجاةِ من سخطِ الربِّ وعذابِ النيرانِ ونيلِ رضاءِ اللهِ ونعيمِ الجِنانِ ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْـيَآ﴾ ولذَّاتُـها وشـهواتُـها ﴿إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ أَي: الخِداع الَّذي لاحقيقةَ له، وهو المتاعُ الرديُّ الَّذي يُدَلَّسُ به عـلىٰ طالبِه حتَّى يشتريَه ثمَّ يتبيَّنُ له رَداءَته، والشيطانُ هو المدلِّس الغَرور.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (١٨٦)

هذا خطابٌ للمؤمنين خوطِبوا بذلك ليوطِّنوا نفوسَهم على احتمالِ ماسيلقونه من الأَذىٰ والشدائِدِ والصبرِ عليها ويستعدُّوا[1] لها، والبلاءُ في الأَموالِ: الإِنفاقُ في سبيلِ الخيرِ ومايقعُ فيها من الآفاتِ، والبـلاءُ فـي الأَنـفسِ: القـتلُ والأَسـرُ والجِراحُ ومايرد عليها من أَنواع البليَّاتِ، ومايسمعونه من أَذىٰ أَهلِ الكتابِ: هو

(١) في نسخة: ليستعدوا.

المطاعنُ في دينِ الإسلامِ وتخطئَة من آمن ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبرَ والتقوىٰ من معزوماتِ الأُمورِ، أَي: ممَّا يجبُ العزمُ عليه من الأُمورِ، أَو ذلك البلاءُ من محكمِ الأُمورِ الَّذي عَزَمَ اللهُ أَن يكونَ، فلابدّ لكم أَن ﴿تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَناً قَلِيلًا فَبِئْسَ مَايَشْتَرُونَ﴾ (١٨٧)

الضميرُ في قولِه: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾ لـ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، أَكَّدَ اللهُ سبحانه عليهم إِيجابَ بيانِ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ واجتنابَ كتمانِه كما يُؤكِّدُ على الرجلِ إِذا أُخِذَ عليه العهدُ ويقالُ له: وَاللهِ لَتفعَلَنَّ ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أَي: نبذوا الميثاقَ وتأْكيدَه عليهم ولم يُراعوه ولم يلتفتوا إِليه، وقوله: ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ مثلٌ في تركِ اعتدادِهم به كما يقالُ في ضدِّه: جَعَلَهُ نُصبَ عَينِه، وفيه دَلالةٌ علىٰ أَنـَّه واجبٌ على العلماءِ أَن يبيِّنوا الحقَّ للناسِ ولا يكتموا شيئاً منه لغرضٍ فاسدٍ من جرِّ منفعةٍ أَو لبخلٍ بالعلمِ أَو تطييبٍ لنفسِ ظالمٍ أَو غير ذلك.

وفي الحديثِ: «مَنْ كَتَمَ علماً عن أَهلِه أُلْجِم بِلِجامٍ من نارٍ»[١].

وعن عليٍّ عليه السلام: «ماأَخَذَ اللهُ علىٰ أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ علىٰ أَهْلِ الْعِلمِ أَنْ يُعلِّمُوا»[٢].

وقُرِئَ: «لَيُبَيِّنُنَّهُ» و«لايَكْتُمُونَهُ» بالياءِ[٣] لأَنـَّهم غُيَّبٌ، وبالتاءِ علىٰ حكايةِ

---

(١) العلل المتناهية لابن الجوزي: ج ١ ص ٨٩.

(٢) رواه عنه عليه السلام القرطبي في تفسيره: ج ٤ ص ٣٠٥.

(٣) قرأه ابن كثير وأبو عمرو ورجال عاصم سوىٰ حفص. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٢١، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٣٧١، والتيسير في القراءات السبع للداني: ص ٩٣، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٦٦، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ١٣٦.

مخاطبتهم.

﴿لَاتَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٨٨)

﴿لَاتَحْسَبَنَّ﴾ خطابٌ لرسولِ الله، و ﴿ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ أوّلُ المفعولَيْنِ و ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ المفعولُ الثاني، وقولُه: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ تأكيدٌ تقديرُه: لاتَحْسَبَنَّهُمْ فلا تَحْسَبَنَّهُمْ فائِزينَ، وقُرِئَ: «لايَحْسَبَنَّ» بالياءِ وفتح الباءِ[١]، «فَلا تَحْسَبُنَّهُمْ» بضمِّ الباءِ وبالتاءِ والياءِ[٢] معاً، فالتاءُ علىٰ خطابِ المؤمنينَ علىٰ أَنَّ الفعلَ لـ ﴿ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ والمفعولَ الأَوّلَ محذوفٌ، أَي: لا يَحْسَبَنَّهُم الَّذين يَفْرَحُونَ بمفازةٍ فلا تَحْسَبُنَّهم أَيُّها المؤْمنون ﴿بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أَي: بمنجاةٍ منه، والياءُ على التوكيدِ، وقوله: ﴿بِمَآ أَتَواْ﴾ معناه: بما فعلوا، وقيل: معناه: لايحسبنَّ اليهودُ الَّذين يفرَحون بما فعلوا من كتمانِ نعتِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله[٣] ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ من اتِّباعِ دينِ إبراهيمَ، ويجوز أَن يكونَ ذلك عامّاً لكلِّ من أَتَى[٤] بحسنةٍ فأُعجِبَ بها وأَحَبَّ أَن يَحْمَدَه الناسُ عليها ويُثْنوا عليه بما ليس فيه من الزهد والعبادةِ وغير ذلك.

---

(١) قرأه نافع وابن عامر وابن كثير وأبو عمرو. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢١٩ ـ ٢٢٠، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٦٨، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٨٢.

(٢) قرأه ابن كثير وأبو عمرو. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٦٨، والتبيان: ج ٣ ص ٧٥، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٣٧١، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ١٣٧.

(٣) قاله ابن عبّاس والضحّاك والسدي. انظر تفسير الماوردي: ج ١ ص ٤٤٢، وتفسير الطبري: ج ٣ ص ٥٤٧.

(٤) في بعض النسخ: يأتي.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٨٩) إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَـٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ (١٩٠) ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَاخَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (١٩١) رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَاوَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّكَ لَاتُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ (١٩٤)

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: هو يَمْلِكُ أمرَ من فيهما وهو يَـقْدِرُ علىٰ عقابِهم، قوله: ﴿لَءَايَـٰتٍ﴾ معناه: لأَدِلَّةً واضحةً علىٰ توحيدِ اللهِ وعظمِ قدرتِه وباهرِ حكمتِه ﴿لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ أي: لذَوِي العقولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ينظرون إليها نظرَ استدلالٍ فيجدونها مضمَّنةً بأعراضٍ حادثةٍ لاتنفكُّ عنها، ومالاينفكُّ عن الحادثِ حادثٌ، وإذا كانت حادثةً فلابدَّ لها من مُحدِثٍ موجِدٍ؛ لأَنَّ حدوثَها يدلُّ علىٰ أَنَّ لها محدِثاً قادراً، ودلّ مافيها من البدائعِ والأُمورِ الجاريةِ علىٰ غايةِ الانتظام علىٰ كونِ مُحدِثِها عالماً قديماً؛ لأنّه لو كان مُحدَثاً لاحتاجَ إلىٰ مُحدِثٍ آخر فيؤدِّي إلى التسلسلِ ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا﴾ أي: قائمين وقاعدين ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي: مضطجعين ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في إبداعِ صنعتِهما وما دُبِّرَ[١] فيهما ممَّا تَكِلُّ الأَفهامُ عن إدراكِ بعضِ بدائِعه، وفي الحديث: «لاعبادةَ كالتفكُّر»[٢]، ﴿رَبَّنَا مَاخَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا﴾ علىٰ إرادةِ القولِ،

---

(١) في نسخة زيادة: الله.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي: ج ١٠ ص ٢٨٣، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٤ ←

أَي: يقولون ذلك، وهو في محلِّ الحالِ أَي: يتفكَّرون قائِلين، والمعنىٰ: ما خلقتَه خلقاً باطلاً من غيرِ حكمةٍ بل خلقتَه لداعي حكمةٍ عظيمةٍ، وهو أَن تجعلَها مساكنَ لخلقِك وأَدلَّةً للمكلَّفين علىٰ معرفتِك ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ أَي: تنزيهاً لك عمَّا لا يجوزُ عليك ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ بلطفِك وتوفيقِك.

وقوله: ﴿هَـٰذَا﴾ إشارةٌ إِلى الخلقِ بمعنَى المخلوقِ، كأَنَّه قال: وَيَتَفَكَّرُونَ في مخلوقِ السَّماوات والأَرضِ أَي: فيما خُلِقَ فيهما، ويجوز أَن يكونَ إِشارةً إِلىٰ ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لأَنَّهما في معنَى المخلوقِ، فكأَنَّ المرادَ: ﴿مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا﴾ المخلوقَ العجيبَ ﴿بَـٰطِلًا﴾، ويجوز أَن يكون ﴿بَـٰطِلًا﴾ حالاً من ﴿هَـٰذَا﴾ [(١)]، و ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ تنزيهٌ من أَن يخلقَ شيئاً عبثاً أَو بغيرِ حكمةٍ.

﴿مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ أَي: أَبلغت في إِخزائِه، وهو نظيرُ قولِه: ﴿فَقَدْ فَازَ﴾ [(٢)]، وهو منقولٌ من الخزيِ الَّذي هو الهَوانُ، وقيل: هو منقولٌ من الخَزايةِ الَّذي هو الاستحياءُ، أَي: أَحْلَلْتَه محلاً يُسْتَحْيَى منه [(٣)]، ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ اللام إِشارةٌ إِلىٰ ﴿مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾ أَي: ليس لهم ﴿أَنصَارٍ﴾ يدفَعون عنهم عذابَ اللهِ ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ أَوْقَعَ الفعلَ علىٰ منادٍ لأَنَّه موصوفٌ بما يُسْمَعُ وهو قولُه: ﴿يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ﴾ أَي: إِلى الإِيمان، يعني: داعياً يدعو إِلى الإِيمان، يُقالُ: ناداه لكذا وإِلىٰ كذا، ودعاه له وإِليه، ونحوه: هداه للطريقِ وإِليه، والمنادي هو الرسولُ ﷺ ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟﴾ أَي: آمِنوا، أَو بأَن آمِنوا ﴿بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ أَي:

← ص ٢٢١، والكشّاف للزمخشري: ج ١ ص ٤٥٤.

(١) راجع تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٤٥٤.

(٢) الآية: ١٨٥، الأحزاب: ٧١.

(٣) حكاه القرطبي في تفسيره: ج ٤ ص ٣١٦ عن بعض أهل المعاني.

فَصَدَّقْناه فيما دعا إليه وأَجَبْناه ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ جَمَعَ بينَ سؤالِ[١] المغفرةِ والتَّكفيرِ؛ لأَنَّ تكفيرَ السيِّئاتِ يكون بالتوبةِ والمغفرةِ، وقد يكون ابتداءً من غيرِ توبةٍ ﴿مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ في موضعِ الحالِ، أَي: مخصوصين بصحبتِهم معدودين في جملتِهم، والأَبرارُ جمع بَرٍّ أَو بارٍّ ﴿وَءَاتِنَا مَاوَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾: ﴿عَلَىٰ﴾ هذه صلةٌ للوعدِ، أَي: ماوعدَّتنا علىٰ تصديقِ رُسُلِك، وقيل: معناه: على أَلسنةِ رُسُلِك[٢]، ويجوز أَن يكونَ متعلِّقاً بمحذوفٍ أَي: وعدتَّنا مُنْزَلاً علىٰ رُسُلِكَ، والموعود هو الثوابُ أَو النصرةُ على الأَعداءِ[٣].

وعن النبيِّ صلى الله عليه وآله لمَّا نزلت هذه الآياتُ قال: «ويلٌ لمن لاكَها بينَ فَكَّيْه ولم يَتَأَمَّلْ مافيها»[٤].

ورُوِيَ عن الصادقِ عليه السلام أَنَّه قال: «مَن حَزَنَهُ أَمْرٌ فَقالَ خَمْسَ مَرَّاتٍ: ﴿رَبَّنَا...﴾ أنجاه اللهُ ممّا يخافُ وأَعطاه ما أَرادَ» وقرأَ الآياتِ[٥].

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَاباً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ (١٩٥)

يقال: استجابه واستجاب له ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ﴾ أَي: بأَنِّي لاأُبطِلُ ﴿عَمَلَ عَـٰمِلٍ

---

(١) في نسخة: سؤالي.

(٢) قاله الزجّاج في معاني القرآن وإعرابه: ج ١ ص ٤٩٩.

(٣) راجع تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٤٥٥.

(٤) أورده المصنّف في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٥٥٤.

(٥) رواها عنه عليه السلام الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٤٥٧، والرازي في تفسيره: ج ٩ ص ١٥١، والقرطبي في تفسيره: ج ٤ ص ٣١٨.

مِّنكُم﴾ وقوله: ﴿ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ بيانٌ لـ﴿عَـمِلٍ﴾، ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ أي: يَجْمَعُ ذكورَكم وإناثَكم أَصلٌ واحدٌ، وكلٌّ واحدٍ منكم من الآخر أَي: من أَصـلِه لفرط اتِّحادِكم واتِّصالِكم، وقيل: هو وُصلةُ[١] الإسلامِ[٢].

ورُوِيَ: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ[٣] قالت: يارسولَ اللهِ إِنِّي أَسْمَعُ اللهَ يـذكُرُ الرجـالَ فـي الهجرةِ ولايذكُرُ النساءَ، فنزلت[٤] الآيةُ.

﴿فَالَّذِينَ هَـاجَرُواْ﴾ مـن أَوطـانِهم وفـرُّوا إلى اللهِ بـدينِهم مـن دارِ الفـتنةِ ﴿وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ الَّتي وُلِدُوا فيها ونَشَأُوا ﴿وَأُوذُواْ فِـى سَـبِيلِى﴾ يـريدُ سبيلَ الدينِ ﴿وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ وغَزَوُا المشركينَ واسْتُشْهِدُوا، وقُـرِئَ: «وَقُـتِلُوا وَقاتَلُوا»[٥] لأَنَّ المعطوفَ بالواوِ يجوزُ أَن يكونَ أَوَّلاً في المعنىٰ وإِن تأَخَّر فـي اللفظِ، ويجوزُ أَن يكونَ المرادُ أَنَّهم لمّا قُتِلَ منهم قاتَلوا ولم يَهِنُوا ﴿ثَوَاباً﴾ فـي موضعِ المصدرِ المؤَكِّدِ يعني: إِثابةً من عندِ اللهِ، لأَنَّ قوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ

---

(١) في نسخة: وصيلة.

(٢) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٤٥٦.

(٣) وهي هند بنت سهيل المعروف بأبي أمية بن المغيرة، القرشية المـخزومية، مـن زوجـات النبيﷺ ومن أكملهنّ عقلاً وخلقاً، تزوجها النبيﷺ في السنة الرابعة للهجرة، وكانت عند أبي سلمة بن عبدالأسد المخزومي من قبل، وكانت قد هاجرت معه الى الحبشة ثم رجعا الىٰ مكّة ثم هاجرا إلى المدينة ومات هناك، فخطبها أبو بكر فلم تتزوجه وخـطبها النـبيﷺ فقبلت، وحالها في الجلالة والإخلاص لأميرالمؤمنين والزهراء والحسنينعليهما السلام أشهر من أن يذكر وأجلىٰ من أن يحرّر، توفّيت سنة ٦٢ هـ. (تنقيح المـقال للـمامقاني: ج ٣ ص ٧٢، طبقات ابن سعد: ج ٨ ص ٦٠ ـ ٦٧، مرآة الجنان: ج ١ ص ١٣٧).

(٤) رواها عنها الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٤٥٦.

(٥) قرأه حمزة والكسائي. راجع التذكرة في القراءات لابـن غـلبون: ج ٢ ص ٣٦٨، وكـتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٢١، والكشف عن وجوه القراءات للـقيسي: ج ١ ص ٣٧٣، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ١٤٥.

وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾ في معنىٰ «لأُثِيبنَّهم»[١]، ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ﴾ مثلٌ أَي: يختصُّ به وبقدرتِه وفضلِه ﴿حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ لايُثيبُه غيرُه ولايقدرُ عليه إلَّا هو كما يقولُ الرجلُ: عندي ماتريدُ، يريد اختصاصَه به وبملكِه وإن لم يكن بحضرتِه.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ (١٩٦) مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (١٩٧) لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ (١٩٨)

الخطابُ لرسولِاللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَو لكلِّ أَحدٍ، أَي: لا تنظُرْ إلىٰ ماهم عليه من سَعَةِ الرزقِ ودركِ المُنىٰ وإصابةِ حظوظ الدنيا والتصرُّفِ في البلادِ يَتَّجِرون[٢]، وجُعِلَ النهيُ في اللفظِ للتقلُّبِ وهو في المعنىٰ للمخاطَب، نُزِّلَ السبب منزلةَ المسبَّبِ لأَنَّ التقلُّبَ لو غرَّه لاغترَّ به فَمُنِعَ السبَّبُ لِيَمْتَنِعَ المسبَّبُ ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أَي: تقلُّبُهم مَتاعٌ قليلٌ في جنبِ مافاتَهم من نعيم الآخِرةِ أَو في جنبِ ماأَعدَّ اللهُ للمؤمنين من الثوابِ، أَو هو قليلٌ في نفسِهِ لزوالِه وانقضائِه ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ مامهَّدوه لأَنفسِهم، والنزلُ: مايُهَيَّأُ للضيفِ من الكَرامةِ والبِرِّ، وانتصابُه على الحالِ من ﴿جَنَّٰتٌ﴾ لتخصُّصِها بالوصفِ، ويجوزُ أَن يكونَ بمعنىٰ مصدرٍ مؤَكِّدٍ كأَنَّه قيل: رزقاً أَو عطاءً من عندِاللهِ[٣] ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثوابِ والنعيمِ ﴿خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ ممَّا يتقلَّبُ فيه الفجّار.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ

(١) في نسخة: لآتينَّهم.
(٢) في بعض النسخ: ويتجبَّرون.
(٣) انظر الكشّاف: ج ١ ص ٤٥٨.

إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَايَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (١٩٩) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢٠٠)

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ نزلت في عبدِاللهِ بنِ سلامٍ ومن آمن معه، وقيل: نزلت في أربعينَ من أهلِ نجرانَ واثنين وثلاثين من الحبشةِ[١] وثمانيةٍ من الرومِ كانوا علىٰ دين عيسىٰ عليه‌السلام فأسلَمُوا[٢]، وقيل: في أَصْحَمَةَ النجاشي نعاه جبْرَئيلُ إلىٰ النبيِّ صلى‌الله‌عليه‌وآله فخرج إلى البقيعِ[٣] وكشف له من أرضِ الحبشة فأبصَرَ سريرَ النجاشي وصلَّىٰ عليه، فقال المنافقون: انظُروا إلىٰ هذا يصلِّي علىٰ عِلْجٍ نصرانيٍّ لم يَرَهُ قطُّ وليس على دينِه، فنزلت[٤] الآية.

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ هو القرآنُ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ التوراةُ والإنجيلُ ﴿خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ حالٌ من فاعلِ ﴿يُؤْمِنُ﴾ لأَنَّ «مَن» في معنَى الجمعِ[٥] ﴿لَايَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا﴾ كما يفعلُ مَن لم يُسْلِمْ من أحبارِهم ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: مايختصُّ بهم من الأَجرِ وهو ماوُعِدُوه في

---

(١) واسمها أيضاً أثيوبيا، وهي كلمة اغريقية معناها: بلاد الاثيوبيّين أي: بلاد المحروقة وجوههم، هاجر إليها المسلمون الأوائل من مكّة بأمر من رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله لما رأىٰ مايصيب أصحابه من البلاء من كفّار قريش، فكان عدد من هاجر إليها من الرجال ٨٠ رجلاً، وكان عليها ملكاً عادلاً حازماً اسمه النجاشي لايُظلم عنده أحداً، وقصّتهم مع النجاشي معروفة. (السيرة النبوية لابن هشام: ج ٤ ص ٢٨٦ ـ ٢٩٢، الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٣).

(٢) قاله عطاء. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ٣٨٨.

(٣) البقيع: أصل البقيع في اللغة الموضع الذي فيه أُروم الشجر من ضروب شتىٰ، وهو مقبرة أهل المدينة. (معجم البلدان: ج ١ ص ٧٠٣).

(٤) قاله جابر بن عبدالله وابن عبّاس وأنس وسعيد بن المسيّب وقتادة وابن جريج. راجع التبيان: ج ٣ ص ٩٢، وتفسير الطبري: ج ٣ ص ٥٥٩، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٣٨٨.

(٥) انظر تفصيل ذلك في الفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٦٨٠.

قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ لنفوذِ علمِه في كلِّ شيءٍ فَيَعْلَمُ مايستوجِبهُ كلُّ عاملٍ ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ علىٰ طاعةِ اللهِ وعن معاصيه ﴿وَصَابِرُواْ﴾ أعداءَ اللهِ في الجهادِ، أَي: غالبوهم في الصبرِ علىٰ مَضَضِ[٢] الحربِ لاتكونوا أَقلَّ صبراً منهم ﴿وَرَابِطُواْ﴾ أَي: وأَقيموا في الثغورِ رابطينَ خيلَكم فيها مستعدِّين للغزو ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أَي: واتَّقوا مخالفةَ الله ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣] بنعيمِ الأَبدِ.

۞ ۞ ۞

(١) القصص: ٥٤.

(٢) المضض: وجع المصيبة. (القاموس المحيط: مادة مضض).

(٣) في نسخة زيادة: أي تفوزون ببقاء الأبد، وأصل الفلاح: البقاء أي: تفلحون.

سورة النساء

مدنيّةٌ[١]، وهي مائَةٌ وخمسٌ وسبعونَ آيةً بصريٌّ، وستٌّ كوفيٌّ، عدَّ الكوفيُّ ﴿أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾[٢] آيةً.

أُبيٌّ عن رسولِاللهِ ﷺ: «من قرأها فَكَأَنَّما تَصَدَّقَ عَلىٰ كلِّ مَنْ وَرِثَ ميراثاً، وأُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ كَمَنِ اشْتَرىٰ مُحَرّراً، وبَرِئَ من الشركِ، وكانَ في مشيَّةِ اللهِ من الَّذينَ يُتَجاوزُ عَنْهُمْ»[٣].

وعن أَميرِالمؤْمنين عليٍّ عليه السلام: «مَن قَرَأَها في كلِّ جُمعَةٍ أُومِنَ مِن ضَغْطَةِ الْقَبرِ إذا أُدْخِلَ في قبرِه»[٤].

---

(١) قال الشيخ الطوسي: وهي مدنيّة كلها، وقد روي عن بعضهم أنـّه قال: كلّما في القرآن من قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ نزل بمكة وهو قول قتادة ومجاهد وعبدالله بن عباس بن أبي ربيعة، وقال بعضهم: إنّ جميعها نزلت بالمدينة إلّا آية واحدة وهي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ فانّها نزلت بمكة حين أراد النبي ﷺ أن يأخذ مفاتيح الكعبة من عثمان بن طلحة ويسلّمها الى عمّه العباس. راجع التبيان: ج ٣ ص ٩٧، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ٤٤٦.

وعن ابن كثير في تفسيره: ج ١ ص ٤٢٤: قال العوفي عن ابن عباس: نزلت سورة الناس بالمدينة. وكذا روى ابن مردويه عن عبدالله بن الزبير وزيد بن ثابت.

(٢) الآية: ٤٤.

(٣) رواها الزمخشري عنه في الكشّاف: ج ١ ص ٥٩٩.

(٤) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٣١ ح ١، وتفسير العياشي: ج ١ ص ٢١٥ ح ١.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِ وَٱلۡأَرۡحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيباً﴾ (١)

خطابٌ للمكلَّفين من بني آدم ﴿ٱتَّقُواْ﴾ مخالفةَ ﴿رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أَي: فرَّعكم من أَصلٍ واحدٍ وهو نفسُ آدمَ أَبيكم ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ عطفٌ علىٰ محذوفٍ تقديـرُه: أَنشأَها[١] من ترابٍ وخَلَقَ حوَّاءَ مـن ضلعٍ مـن أَضلاعِها[٢] ﴿وَبَثَّ مِنۡهُمَا﴾ نوعَي الإِنسِ[٣]، وهما الذكورُ والإِناثُ، فوصفهما بصفةٍ هي بيانٌ لكيفيَّةِ خلقِهم منها، ويجوزُ أَن يكونَ الخطابُ في ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ للَّذين بُعِثَ إِليهم النبيُّ صلى الله عليه وآله فيكونُ قولُه: ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ عطفاً علىٰ ﴿خَلَقَكُم﴾[٤]، والمعنىٰ: خَلَقَكُمْ من نفسِ آدَمَ وخَلَقَ منها أُمَّكم حوَّاءَ ﴿وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً﴾ غيرَكم من الأُممِ الكثيرةِ ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِ﴾[٥] أَي:

---

(١) في نسخة: أنشأه. (٢) في نسخة: أضلاعه.

(٣) في بعض النسخ: الإنسان.

(٤) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٤٦١.

(٥) لايخفىٰ أنّ المصنّف رحمه الله قد اعتمد في تفسيره هذا على نسخة مصحف ليست علىٰ قراءة عاصم برواية حفص، وهـي القراءة المشهـورة في بلاد الشام والعـراق وبعض الجزيرة ←

تَتَساءَلون به فأُدْغِمَتِ التاءُ في السين، وقُرِئَ: ﴿تَسَآءَلُونَ﴾ بطرحِ التاءِ الثانيةِ[١]، أَي: يسأَل بعضُكم بعضاً بِاللهِ وبالرحِمِ، فيَقولُ: بِاللهِ وبِالرحِمِ افعلْ كذا علىٰ سبيلِ الاستعطافِ، أَو تسأَلون غيرَكم بِاللهِ وبِالرحِمِ فوُضِعَ «تفاعلون» موضِعَ «تفعلون» للجمع[٢] ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾ نصب[٣] على ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ... وَٱلْأَرْحَامَ﴾ أَو أَن يُعْطَفَ علىٰ محلِّ الجارِّ والمجرورِ كما تقول: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ وَعَمْراً، وأَمَّا جرُّه فعلىٰ عطفِ الظاهرِ على المضمرِ، وقد جاءَ ذلك في الشعرِ نحوُ قولِه:

فَاذْهَبْ فَما بِكَ وَالأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ[٤]

ولا يستحسِنون ذلك في حالِ الاختيارِ، والمعنىٰ: أَنـَّهم كانوا يُقِرُّون بأَنَّ لهم خالقاً وَكانوا يتساءَلونَ بذكْرِ اللهِ والرحِمِ، فقيل لهم: اتَّقُوا اللهَ الَّذي خَلَقَكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ الَّذي تتَناشدون به واتَّقُوا الأَرحامَ فلا تقطَعوها، أَو واتَّقُوا اللهَ الَّذي تتعاطفون بإِذكارِه وإِذكارِ الرحِمِ، وفي هذا أَنَّ صِلَةَ الرحِمِ من اللهِ بمكانٍ كما جاء في الحديث: «لِلرَحِمِ حُجْنَةٌ[٥] عندَ العرشِ»[٦] [٧]، وعن ابنِ عبَّاسٍ: «الرحِمُ معلَّقةٌ

← العربية، وهنا في نسخة مصحفه «تَسَّاءلُونَ به» فقال عقبها: أي تتساءلون به فأُدغمت التاء في السين.

(١) وهي قراءة الكوفيِّين. راجع كتاب التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٧١، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٨٣.

(٢) في نسخة زيادة: بين الاثنين.

(٣) في بعض النسخ زيادة: عطف.

(٤) وصدره: فاليومَ قربت تهجونا وتشتمنا. والبيت من شواهد النحو الشائعة في باب الجرّ، وقد تعدّدت الأَقوال في قائلها، فنسب للأعشىٰ تارة وأُخرىٰ لعمرو بن يكرب وثالثة لخفاف ابن ندبة ولغيرهم. انظر كتاب سيبويه: ج ٢ ص ٣٨٣، والكامل للمبرّد: ج ٢ ص ٩٣١، ومعاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٧.

(٥) حُجنة المغزل: هي المنعقفة في رأسه. (الصحاح: مادة حجن).

(٦) في نسخة زيادة: أي علقة عند العرش.

(٧) رواه الزمخشري في الكشاف: ج ١ ص ٤٦٣، وفي فتح الباري لابن حجر: ج ١ ص ١٤٧ ←

بالعرشِ، فإذا أَتاهَا الواصلُ بَشَّتْ به وكَلَّمَتْه، وإذا أَتاهَا الْقاطِعُ احْتَجَبَتْ عنه»[١]، والرقِيبُ: الحافظُ، وقيل: العالم[٢].

﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَاتَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَاتَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾ (٢)

﴿ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ﴾ الَّذين ماتَ آباؤُهم فَانْفَرَدُوا عنهم، واليُتمُ: الانفراد، ومنه الدرَّةُ اليتيمة، وهذا خطابٌ لأَوصياءِ اليتامىٰ، أَي: أَعطوهم ﴿أَمْوَٰلَهُمْ﴾ بِالإنفاقِ عليهم في حالةِ الصغَرِ وَالتسليمِ إِليهم عندَ البلوغِ وإِيناسِ الرشدِ ﴿وَلَاتَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ أَي: لاتستبدلوا ماحرَّمه اللهُ عليكم من أَموالِ اليتامىٰ بما أَحلَّه الله لكم من أَموالِكم فَتَأْكُلُوهُ مكانَه، أَو لاتستبدلوا الأَمرَ الخبيثَ وهو اختزالُ[٣] أَموالِ اليتامىٰ بِالأَمرِ الطيِّبِ وهو حفظُها، والتفعُّل بمعنى الاستفعال كالتعجُّلِ والتأَخُّرِ ﴿وَلَاتَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ أَي: ولا تُنْفِقُوها معها ولا تَضُمُّوها إِليها في الإنفاقِ حتَّى لاتَفرُقُوا بينَ أَموالكم وأَموالِهم قِلَّةَ مبالاةٍ بالحرامِ وتسويةً بينَه وبينَ الحلالِ، والْحُوبُ: الذنبُ العظيمُ.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَانكِحُواْ مَاطَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَامَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ (٣) وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ (٤)

← و١٦٨، واتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج ٦ ص ٣١١، والترغيب والترهيب للمنذري: ج ٣ ص ٣٣٨: «شجنة» بدل «حجنة».

(١) رواه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٤٦٣.

(٢) قاله ابن زيد. راجع التبيان: ج ٣ ص ١٠٠، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ٤٤٧.

(٣) الاختزال: الاقتطاع. (الصحاح: مادة خزل).

لمَّا نزلت الآيةُ في أكلِ أموالِ اليتامىٰ خافَ الأولياءُ أن يلحقَهم الحوبُ بتركِ الإقساطِ في حقوقِ اليتامىٰ وتحرَّجُوا من ولايتِهم، وكانَ الرجلُ منهم ربَّما كانت تحتَه العَشرُ من الأزواجِ أو أقلُّ فلا يقوم بحقوقِهنَّ، فقيل لهم: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ ترك العدلِ ﴿فِى﴾ أموال ﴿ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ فَتحرَّجْتُمْ منها فخافوا أيضاً تركَ العدلِ والتسويةِ[1] بينَ النساءِ؛ لأنَّ من تابَ من ذنبٍ وهو مرتكبٌ مثلَه فهو غير تائبٍ، وقيلَ: معناه إن خفتم الجورَ في حقِّ اليتامىٰ فخافوا الزنا أيضاً[2] ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ﴾ أي: حلَّ ﴿لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ولا تحوموا حولَ المحرَّماتِ ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ﴾ محلُّهنَّ النصبُ على الحالِ تقديرُه: فانكحوا الطيِّباتِ لكم من النِّساءِ معدوداتٍ هذا العددَ ثِنْتَيْنِ ثِنْتَيْنِ وثلاثاً ثلاثاً وأربعاً أربعاً، وإنَّما وجب التكريرُ لأنَّ الخطابَ للجميعِ ليصيبَ كلُّ ناكحٍ يريدُ الجمعَ بين ثِنْتَيْنِ أو ثلاثٍ أو أربعٍ ما أراد من العددِ الَّذي أُطلق له، وهذا كما تقول للجماعة: اقسِموا هذَا المالَ وهو ألفُ درهمٍ بينَكم درهمَيْن درهمَيْن وثلاثةً ثلاثةً وأربعةً أربعةً، ولو أفردتَ لم يكن له معنىً، ولو جعلتَ مكانَ الواوِ «أَوْ» فقلتَ: أو ثلاثةً ثلاثةً أو أربعةً أربعةً أعلمتَ أنَّه لا يسوغ لهم أن يقسِموه إلَّا علىٰ أحدِ أنواعِ هذِه القسمةِ، وذهب معنىٰ تجويز الجمع بين أنواعِ القسمةِ الَّتي دلَّت عليها الواوُ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ بينَ هذِهِ الأعدادِ كما خِفْتُمْ فيما فوقَها ﴿فَوَٰحِدَةً﴾ أي: فاختاروا واحدةً وذروا الجمعَ، وقُرِئَ: «فواحدةٌ» بالرفعِ[3] أي: فحسبُكم واحدةٌ، أو المقنعُ واحدةٌ ﴿أَوْ مَامَلَكَتْ

---

(١) في بعض النسخ: السوية.

(٢) قاله مجاهد. راجع تفسيره: ص ٢٦٦، ومعاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٨، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ٤٤٨.

(٣) وهي قراءة الحسن والجحدري وأبي جعفر وابن هرمز ونافع. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٢٧، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٧٢، ←

أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ سوَّىٰ بينَ الحرَّةِ الواحدةِ وبينَ الإماءِ من غيرِ حصرٍ ولا توقيتِ عددٍ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إِلىٰ اختيارِ الواحدةِ أَو التسرِّي ﴿أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ أقربُ من أَن لاتَميلوا ولاتَجوروا، من عالَ المِيزانُ: إِذا مالَ، وعالَ فِي حُكْمِهِ: إِذا جارَ ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ﴾ أَي: وأَعطوهُنَّ مُهورَهُنَّ ﴿نِحْلَةً﴾ أَي: عن طيبةِ أَنفسِكم، من نَحَلَهُ كَذا: إِذا أَعطاه إِيَّاه عن طيبةٍ من نفسِه نِحْلَةً ونُحْلاً، وانتصابُها على المصدرِ لأَنَّ النِحلةَ بمعنى الإِيتاءِ، أَو يكون حالاً من المخاطبين أَي: آتُوهُنَّ صـدُقاتِهِنَّ ناحِلين طيِّبي النفوسِ بالإِعطاءِ، أَو من الصدُقاتِ أَي: منحولةً معطاةً عـن طـيبةِ الأَنفسِ، وقيل: نِحلةً من اللهِ أَي: عطيَّةً من عندِه لهنَّ[(١)]، والخطابُ للأَزواجِ، وقيل: للأَولياءِ، لأَنَّهم كانوا يأْخُذون مهورَ بناتِهم[(٢)] ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ﴾ خطابٌ للأَزواجِ ﴿مِّنْهُ﴾ أَي: من الصداق ﴿نَفْساً﴾ تمييزٌ وتوحيدُها؛ لأَنَّ الغرضَ بـيانُ الجنسِ والواحدُ يدلُّ عليه، والمعنىٰ: فإِن وَهَبْنَ لكم شيئاً من الصداق وطابت عنه نفوسُهُنَّ من غيرِ إِكراهٍ ولاخَديعةٍ ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔاً مَّرِيٓـٔاً﴾ أَي: أَكلاً هنيئاً مريئاً، وهما صفتان من هَنُؤَ الطعامُ ومَرُؤَ: إِذا كان سائِغاً لاتنغيصَ فيه، وقـيل: الهـنيءُ: مايَلَذُّهُ الآكلُ والمريءُ: مايُحْمَدُ عاقبتُه وينساغُ في مجراه[(٣)]، ويجوز أَن يكونَ كلاهما حالاً من الضميرِ أَي: كلوه وهو هَنِئٌ ومَرِئٌ، وقد يوقَفُ علىٰ ﴿فَكُـلُوهُ﴾ ويُبْتَدَأُ ﴿هَنِيٓـٔاً مَّرِيٓـٔاً﴾ على الدعاءِ، وهذه عبارةٌ عن التـحليلِ والمـبالغةِ فـي الإِباحةِ.

← والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ١٦٤.

(١) قاله الكلبي. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ٣٩٢.

(٢) قاله أبو صالح ومجاهد والكلبي. راجع التبيان: ج ٣ ص ١١٠، وتـفسير المـاوردي: ج ١ ص ٤٥١، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٣٩٢.

(٣) قاله الزجّاج في القرآن: ج ٢ ص ١٢ ـ ١٣.

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٥) وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٦)

أَي: ولاتعطوا[1] ﴿السُّفَهَاءَ﴾ وهم الَّذِينَ يُنفِقونَ الأَموالَ فيما لاينبغي من النساءِ والصبيانِ والمبذِّرينَ ﴿أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ تقومون بها وتنتعشون فكأَنَّها قيامُكم وانتعاشُكم، و قِوامُ الشيءِ وقِيامُهُ وقَيِّمُهُ: مايُقيمُه، وقُرِئَ: «قَيِّماً»[2]، ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ واجعلوا أَموالَكم مكاناً لرزقِهم وكسوتِهم إن كانوا ممَّن يَلْزَمُكم نفقتُه، وهذا أَمرٌ لكلِّ أَحدٍ أَن لايُخرِجَ مالَه إِلىٰ سفيهٍ يَعْلَمُ أَنَّه يَضَعُه فيما لاينبغي ويُفْسِدُه، رجلاً كانَ أَو امْرأَةً، قريباً كان أَو أَجنبيّاً ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أَي: تلطَّفوا لهم في القولِ، وكلُّ ماأَحَبَّتْه النفوسُ لحسنِه عقلاً أَو[3] شرعاً من قولٍ أَو عملٍ فهو معروفٌ وما أَنْكَرَتْهُ لقبحِه فهو مُنكَرٌ ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ﴾ واختبِروا عقولَهم قبلَ البلوغِ حتَّى إذا تبيَّنْتُم[4] مِنْهُمْ رُشْداً دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ من غيرِ تأْخيرٍ عن حدِّ البلوغِ، وبلوغُ ﴿النِّكَاحَ﴾ هو أَن يَحْتَلِمَ لأَنَّه يَصْلُحُ للنكاحِ عندَه أَو يَبْلُغَ خمسَ عشرةَ سنةً أَو يُنْبِتَ ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ أَي:

---

(١) في نسخة: تؤتوا.

(٢) قرأه ابن عباس ونافع وابن عامر. راجع التبيان: ج ٣ ص ١١٢، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٢٦، وكتاب التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٧١، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٨٣، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ١٧٠.

(٣) في بعض النسخ بدل «أو»: واو.

(٤) في بعض النسخ: آنستم.

أَبصرتم منهم تهدِّياً إِلىٰ وجوهِ التصرُّفِ وصَلاحاً في الدينِ وإِصلاحاً للمالِ ﴿فَادْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾، و«حَتَّى» هذه هي الَّتي تقع بعدَها الجملُ، والجملةُ بعدَها جملةٌ شرطيَّةٌ لأَنَّ «إِذا» متضمِّنةٌ معنَى الشرطِ، وقوله: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ جملةٌ من شرطٍ وجزاءٍ وقعت جواباً للشرطِ الأَوَّلِ، فكأَنَّه قيل: وَابْتَلُوا اليَتامىٰ إِلىٰ وقتِ بلوغِهم واستحقاقِهم دفعَ أَموالِهم إِليهم بشرطِ إِيناسِ الرشدِ منهم، و ﴿إِسْرَافاً﴾ مصدرٌ في موضعِ الحالِ أَي: مُسرِفين ومُبادرين كِبَرَهم، أَو مفعولٌ له أَي: لإِسرافِكم ومبادَرَتِكم كِبَرَهُم تفرِّطون في إِنفاقِها ﴿وَمَن كَانَ غَنِيّاً﴾ من الأَولياءِ ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ بماله عن أَكلِ مالِ اليتيمِ، ويَقْتَنِع[١] بما رزقه اللهُ من الغنىٰ إِشفاقاً على اليتيمِ وإِبقاءً على مالِه ﴿وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قوتاً مقدَّراً محتاطاً في تقديرِه علىٰ وجهِ الأُجرةِ، وقيل: يأْخذ من مالِه قدرَ الحاجةِ على وجهِ الاستقراضِ[٢] ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾ بأَنَّهم تسلَّموها وقبضوها؛ لأَنَّ ذلك أَبعدُ من التهمةِ ﴿وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيباً﴾ أَي: شاهداً على الدفعِ والقبضِ فعليكم بالتصادق.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ (٧)

﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ بدلٌ ﴿مِّمَّا تَرَكَ﴾ بتكريرِ العاملِ، وكانت العربُ في الجاهليَّةِ يورِّثونَ الذكورَ دونَ الإِناثِ فقال سبحانه: ﴿لِّلرِّجَالِ﴾ حظٌّ وسَهْمٌ مِنْ تركَةِ الْوالِدَيْنِ وَالأَقْرَبينَ ﴿وَلِلنِّسَآءِ﴾ حظٌّ وسَهْمٌ مِنها، مِنْ قَلِيلِها وَكَثِيرِها ﴿نَصِيباً

---

(١) في نسخة: يقنع.

(٢) قاله ابن عبّاس وعمر ومجاهد وسعيد بن جبير ومحمّد بن سيرين والشعبي وأبو العالية وعبيدة السلماني. راجع تفسير ابن عبّاس: ص ٦٥، وتفسير الطبري: ج ٣ ص ٥٩٧ ـ ٥٩٨.

مَّفْرُوضاً﴾ نصب على الاختصاصِ، أي: أَعني نصيباً مفروضاً: مقطوعاً واجباً لابدَّ أَن يحوزوه، أَو هو مصدرٌ مؤكِّدٌ بمعنىٰ قِسْمَةً مَفرُوضَةً.

وفي هذه الآيةِ دَلالةٌ علىٰ بطلانِ القولِ بالعَصَبَةِ[١] لأَنَّ اللهَ سبحانه فرَضَ الميراثَ لِلرجالِ وَالنساءِ.

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفاً (٨) وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيداً (٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ (١٠)

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ أَي: قسمةَ التركَةِ ﴿أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ممَّن لايرثُ ﴿فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ أَي: ممَّا ترك الوالدانِ والأَقربونَ، وهو أَمرٌ على الندبِ، وقيل: هو على الوجوبِ[٢]، والآيةُ منسوخةٌ بآيةِ الميراثِ[٣]، وقال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ: إِنَّ ناساً يقولون: نُسِخَتْ، واللهِ مانُسِخَتْ ولكنَّها ممَّا تَهاوَنَ به الناسُ[٤]. والقولُ المعروفُ: أَن يُلَطِّفُوا لهم القولَ ويَعْتَذِرُوا إِليهم ويَستقِلُّوا مايُعطونَهم ولايَمُنُّوا بذلك عليهم، و ﴿لَوْ﴾ مع مافي حَيِّزِه صلةٌ لـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والمرادُ بهم الأَوصياءُ أُمِرُوا بأَن يَخافُوا اللهَ علىٰ من في حجورِهم من اليتامىٰ، ويُشْفِقوا عليهم كما يَخافون علىٰ

---

(١) في نسخة: بالعصبيّة.

(٢) قاله مجاهد. راجع التبيان: ج ٣ ص ١٢٢.

(٣) كما ذهب اليه سعيد بن المسيب وأبو مالك والضحّاك. راجع التبيان: ج ٣ ص ١٢٢.

(٤) حكاه عنه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٤٧٧. وقال الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ١٢٢: هذه الآية محكمة عندنا وليست منسوخة، وهو قول ابن عبّاس وسعيد بن جبير والحسن وإبراهيم ومجاهد والشعبي والزهري ويحيىٰ بن يعمر والسدي والبلخي والجبّائي والزجّاج وأكثر المفسرين والفقهاء.

ذُرِّيَّتِهم لو تركوهم ﴿ضِعَـٰفاً﴾ ويُشْفِقُونَ عليهم وأَن يصوِّروا ذلك في نفوسِهم حتَّىٰ لايجسُروا[١]، والمعنىٰ: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ﴾ حالهم أَنـّهم لو قـاربوا أَن يـترُكـوا خـلفَهم ﴿ذُرِّيَّـةً ضِـعَـٰفاً﴾ وذلك إذا حـانَ يـومُهم ﴿خَـافُواْ عَـلَيْهِمْ﴾ الضياعَ بعدَهم لذَهابِ كافِلِهم ﴿فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في يتامىٰ غيرِهم أَن يَـجْفُوهم ويَـظْلِموهم ﴿وَلْيَقُولُواْ﴾ لهم ﴿قَوْلاً سَدِيداً﴾ موافقاً للشرعِ و[٢] يخاطِبوهم بخطابٍ جميلٍ، ثمَّ أَوعد سبحانه آكِلي مالِ اليتيمِ ﴿ظُلْماً﴾ أَي: ظالمين أَو علىٰ وجهِ الظلمِ مـن أَولياءِ السوءِ أَو القضاةِ ﴿فِى بُطُونِهِمْ﴾ مِلءَ بُطُونهم، ومعنىٰ ﴿يَأْكُلُونَ ... نَـاراً﴾ يأْكلون مايَجرُّ إِلى النارِ فكأَنـّه نارٌ في الحقيقة، وقُرِئَ: «وَسَيُصْلَونَ»[٣]، يـقال: صَلِيَ النارَ يَصْلاها صُلِيّاً وأَصلاه اللهُ النارَ ﴿سَعِيراً﴾ أَي: ناراً مُسْتَعِرَةً.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَاتَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَاتَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (١١)

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ أَي: يَأْمُرُكم به ويَفْرِضُ عليكم؛ لأَنَّ الوصيَّةَ منه سبحانه أَمْرٌ وفَرْضٌ ﴿فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ﴾ أَي: في شأنِ ميراثِهم، وهذا إِجمالٌ تفصيلُه ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ والمعنىٰ: للذكرِ منهم أَي: من أَولادِكم فحُذِفَ العائدُ لأَنـّه مفهومٌ،

---

(١) في نسخة: لايجترئوا. (٢) في نسخة: أو.

(٣) قرأه ابن عامر ورجال عاصم سوىٰ حفص. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٢٧، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٧٢.

أَي: للابنِ مثلُ نصيبِ البنتَيْنِ، هذا في حالِ الاجتماعِ، فأَمَّا في حالِ الانفرادِ فالابنُ يأْخُذُ المالَ كلَّه والبنتان تأْخُذانِ الثلْثَيْنِ، ويدلُّ عليه قوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ أَي: فإِن كانت البناتُ أَو المولوداتُ نِساءً ليس معهنَّ رجلٌ، يعني: بناتٍ ليس معهنَّ ابنٌ فَوْقَ اثْنَتَيْنِ أَي: زائِداتٍ على[1] اثنتين ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَاتَرَكَ﴾، والضميرُ في ﴿تَرَكَ﴾ للميِّتِ وإِن لم يجرِ له ذكرٌ؛ لأَنَّ الآيةَ لمَّا كانت في الميراثِ عُلِمَ أَنَّ التاركَ هو الميِّتُ، وفي قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ دلالةٌ علىٰ أَنَّ حكمَ البنتينِ حكمُ الابنِ، وذلك أَنَّ الابنَ كما يحوزُ الثلْثَيْنِ مع البنتِ الواحدةِ فكذلك البنتانِ تحوزانِ الثُلْثَيْنِ، فلمَّا ذَكَرَ مادلَّ علىٰ حكمِ البنتَيْنِ أَتْبَعَهَ بقولِه: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَاتَرَكَ﴾ علىٰ معنىٰ: فإِن كُنَّ جماعةً بالغاتٍ مابَلَغْنَ من العددِ فَلَهُنَّ ماللبنتين لايَتَجاوزْنَه ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ المولودةُ ﴿وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾ أَي: نصفُ ماتَرَكَ الميِّتُ ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ أَي: ولأَبَوي الميِّتِ ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ بدلٌ من ﴿لِأَبَوَيْهِ﴾ بتكريرِ العاملِ ﴿ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ الولدُ يقع على الذكر والأُنثىٰ، يعني: فللأَبِ السدسُ مع الولدِ ذكراً كانَ أو أُنثىٰ واحداً كان أَو أَكثرَ، وللأُمِّ السدسُ مع الولدِ كذلكَ ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ﴾ أَي للميِّتِ ﴿وَلَدٌ﴾: ابنٌ ولابنتٌ ولا أَولادُهما؛ لأَنَّ اسمَ الولدِ يَعُمُّ الجميعَ ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ وهذا الظاهر يدلُّ علىٰ أَنَّ الباقيَ للأَبِ ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ وإِنَّما يكونُ لها السدُسُ مع وجودِ أَخَوَيْنِ أَو أَخٍ وأُخْتَيْنِ أَو أربعِ أَخواتٍ إِذا كان هناك أَبٌ عند أَئِمَّةِ الهدىٰ عليهم السلام[2] بدلالةِ أَنَّ هذهِ الجملةَ معطوفةٌ علىٰ قولِه: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ فيكونُ التقديرُ: فإِن

---

(١) في نسخة: فوق.

(٢) راجع الكافي: ج ٧ ص ٩١ كتاب المواريث باب ميراث الأبوين مع الاخوة.

كانَ له إخْوَةٌ وَوَرِثَهُ أَبواهُ فلأُمِّهِ السدُسُ، وقُرِئَ: «فلإمِّه» بكسر الهمزة[١] أُتْبِعَتِ الهمزةُ الكسرةَ الَّتي قبلَها ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ﴾ الميِّتُ، وقُرِئَ: «يـوصىٰ بها» على البناءِ للمفعولِ[٢] ﴿أَوْ دَيْنٍ﴾ أَي: تقسم التركةُ علىٰ ماذكرنا بعدَ قضاءِ الديونِ وإفرازِ الوصيَّةِ، ولاخلافَ في أَنَّ الدَينَ مقدَّمٌ على الوصيَّةِ والميراثِ وإِن قُدِّمَتِ الوصيَّةُ على الدَينِ في الآيةِ، فكأَنَّه قيلَ: من بعدِ أَحدِ هذين فإِنَّ لفظة «أَوْ» لاتوجب الترتيبَ وإِنَّما هي لأَحدِ الشـيْئَيْن أَو الأَشـياءِ ﴿ءَابَآؤُكُـمْ وَأَبْـنَآؤُكُـمْ لَاتَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً﴾ أَي: لاتَدرون من أَنفع لكم من آبائِكم وأَبنائِكم الَّذينَ يموتون: أَمَن أَوصىٰ منهم أَم مَن لم يُوصِ[٣]، يعني: أَنَّ من أَوصىٰ ببعضِ ماله فعرَّضكم لثوابِ الآخرةِ بإِمضاءِ وصيَّتِه فهو أَقربُ لكم نفعاً ممَّن تَرَكَ الوصيَّةَ فوفَّر عليكم متاعَ الدنيا ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللهِ﴾ نُصِبَتْ نصبَ المصدرِ المـؤَكِّـدِ، أَي: فرَضَ اللهُ فريضةً ﴿إِنَّ ٱللهَ كَانَ عَلِيماً﴾ بمَصالحِ خلقِه ﴿حَكِيماً﴾ فيما فرض من المواريثِ وغيرِها.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَاتَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَـٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِـن ذَٰلِكَ فَـهُمْ

---

(١) قرأه حمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٢٨، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٧٢.

(٢) قرأه ابن كثير وابن عامر وأبو بكر والمفضّل ويحيىٰ. راجع تفسير التبيان: ج ٣ ص ١٢٨، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٧٣.

(٣) في نسخة: يوصِّ، بتشديد الصاد.

شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (١٢)

﴿وَلَكُمْ﴾ أيُّها الأَزواجُ ﴿نِصْفُ مَا﴾ تَرَكَتْ زوجاتُكم ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ ذكرٌ ولاأُنثىٰ ولاولدُ ولدٍ ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم أَو من غيرِكم ﴿فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ﴾ جُعِلَتِ المرأةُ على النصفِ من الرجلِ بحقِّ الزواجِ كما جُعِلَتْ كذلك في النسبِ، والواحدةُ والجماعةُ سواءٌ في الربُعِ والثمُنِ ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ﴾ يعني: الميِّتَ ﴿يُورَثُ﴾ أَي: يُورَثُ منه مِن «وَرِثَ»، أَو يُورَثُ مِن «أَوْرَثَ»، فيكون الرجلُ وارثاً لا موروثاً منه، وهو صفةٌ لـ ﴿رَجُلٌ﴾، و ﴿كَلَـٰلَةً﴾ خبرُ ﴿كَانَ﴾، أَي: وإِن كانَ رجلٌ مَوروثٌ منه أَو وارثٌ كَلالةً، ويجوز أَن يكونَ ﴿يُورَثُ﴾ خبرَ ﴿كَانَ﴾ و ﴿كَلَـٰلَةً﴾ حالاً من الضمير في ﴿يُورَثُ﴾.

واخْتُلِفَ في معنى الكلالةِ، والمرويُّ عن أَئِمَّتناعليهم السلام أَنـّها تُطْلَقُ على الإِخوةِ والأَخواتِ(١)، والمذكورُ في هذِهِ الآيةِ مَن كانَ من قِبَلِ الأُمِّ منهم والمذكورُ في آخر السُورةِ مَن كان منهم من قِبَلِ الأَب والأُمِّ أَو من قِبَلِ الأَب، فعلىٰ هذا تكون الكلالةُ أن يتركَ الانسانُ مَنْ أَحاطَ بأَصلِ النَسَبِ الّذي هو الوالد والولد، وتَكَلَّلَهُ كالإِكليلِ الَّذي يُحيطُ بالرأْسِ وَيَشْتَمِلُ عليه، لأَنَّ الكلالَةَ في الأَصلِ مصدرٌ فَتُطْلَقُ علىٰ مَن ليس بولدٍ ولاوالدٍ وعلىٰ مَن لم يُخَلِّفْ ولداً ولا والداً وخَلَّفَ ماعداهما من الإِخوةِ والأَخواتِ، ويكون صفةً للموروثِ أَو الوارثِ بمعنىٰ ذي كَلالةٍ، كما تقول: فلانٌ من قَرابتي تُريدُ من ذَوي قَرابتي ﴿أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾ تُورَثُ كذلك ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ يعني: من الأُمِّ ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ

(١) انظر الكافي: ج ٧ ص ١٠١ ح ٣ و ٤ و ٥، وتفسير العياشي: ج ١ ص ٢٢٧ ح ٥٨ و ٥٩.

شُرَكَاءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ جُعِلَ الذكَرُ والأُنثىٰ هاهنا سَواءً ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ لِورَثَتِه، وذلك أَن يُوصِيَ بزيادةٍ على الثلثِ أَو يُوصِيَ بدينٍ ليسَ عليه يُريدُ بذلك ضررَ الورثةِ ﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللهِ﴾ مصدرٌ مؤكِّد كقولِه: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللهِ﴾، ﴿وَٱللهُ عَلِيمٌ﴾ بمن جارَ في وصيَّتِه ﴿حَلِيمٌ﴾ عنه لايُعاجلُه بالعقوبةِ، وهذا وعيدٌ.

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللهِ وَمَن يُطِعِ ٱللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٣) وَمَن يَعْصِ ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَـٰلِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١٤)

﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى الأَحكامِ المذكورةِ في اليتامىٰ والمواريثِ، وسمّاها حُدوداً لأَنَّ الشرائعَ كالحدودِ المضروبةِ للمكلَّفينَ لايجوزُ لهم أَن يتجاوزوها، قال: ﴿يُدْخِلْهُ﴾ و ﴿خَـٰلِدِينَ﴾ حملاً على لفظِ «مَن» ومعناه، وفي قولِه: ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾ دَلالةٌ علىٰ أَنَّ المرادَ بقولِه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللهَ وَرَسُولَهُ﴾ الكافرُ؛ لأَنَّ من تعدَّىٰ جميعَ حدودِ اللهِ الَّتي هي فرائِضُه وأَوامرُه ونواهيه لا يكونُ إلَّا كافراً.

﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّـٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (١٥) وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ (١٦)

﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ﴾ أَي: يَفْعَلْنَها، والفاحشةُ: الزنا لزيادتِها في القبحِ علىٰ كثيرٍ من القبائحِ ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ الحرائر ﴿فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ أَي: من المسلمين ﴿فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ﴾ أَي: فخلِّدوهنَّ محبوساتٍ في بيوتِكم، وكان ذلك عقوبَتهنَّ في أَوَّلِ الإِسلامِ ثمَّ نُسِخَ بقولِه:

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ الآية[١] [٢]، ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ هو النكاحُ الَّذي يستغنين به عن السفاحِ، وقيل: السبيلُ هو الحدُّ، إذ لم يَكُنْ مشروعاً في ذلك الوقت[٣]، وقد رُوِيَ: أنّه لَمَّا نَزَلَ قولُه: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ الآية قالعليه السلام: «خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سبيلاً: الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عامٍ والثيِّبُ بالثيِّبِ جَلْدُ مائَةٍ والرجْمُ»[٤] وعندنا: أنَّ هذا الحكمَ مختصٌّ بالشيخِ والشيخةِ إذا زَنَيا[٥] ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ﴾ يريد الزانيَ والزانيةَ ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ فذمُّوهما وعيِّرُوهما، فَإِنْ تابا وأَصْلَحا وَغَيَّرَا الحالَ ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ﴾ وَاقطعوا الذمَّ والتعييرَ وكُفُّوا عن أذاهما، وقُرِئَ: «و الَّذانِّ» بتشديدِ النونِ[٦].

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (١٧) وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ (١٨)

---

(١) النور: ٢.

(٢) انظر كتاب الناسخ والمنسوخ لقتادة: ص ٤٢، والناسخ والمنسوخ لابن الجوزي: ص ٢٢، والناسخ والمنسوخ لابن البارزي: ص ٢٩.

(٣) قاله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٤٦٢.

(٤) رواه مسلم في صحيحه: ج ٢ ص ٣٣، والترمذي في سننه: ج ٢ ص ٢٤٢، وأحمد في مسنده: ج ٥ ص ٣١٣.

(٥) كما ذهب إليه الشيخ الطوسي في الخلاف: ج ٥ ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧، وابن البرّاج في المهذّب: ج ٢ ص ٥١٩، وابن حمزة في الوسيلة: ص ٤١١.

(٦) قرأه ابن كثير. راجع التبيان: ج ٣ ص ١٤٣، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٧٣، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ١٩٧.

﴿ٱلتَّوْبَةُ﴾ مِن تابَ اللهُ عليه: إذا قَبِلَ توبتَه، أَي: إِنَّمَا القبولُ للتوبةِ واجبٌ على اللهِ لهؤلاءِ، أَوجَبَه سبحانه في كرمِه وفضلِه ﴿بِجَهَـٰلَةٍ﴾ في موضعِ الحالِ، أَي: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾ جاهلين سُفَهاءَ؛ لأَنَّ ارتكابَ القبيحِ ممَّا يدعو إِليه السفهُ والشهوةُ ولا يدعو إِليه العقلُ والحكمةُ ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ من زمانٍ قريبٍ، والزمانُ القريبُ: ماقبلَ حضورِ الموتِ، قال ابنُ عبّاس: قبلَ أَن ينزلَ به سلطانُ الموتِ[١] ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ سوّىٰ سبحانه بينَ مسوِّفِ التوبةِ إِلىٰ وقتِ حضورِ الموتِ وبينَ مَن يموتُ كافراً.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهاً وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ (١٩)

كانوا يظلمون نساءَهم بأَنواعٍ من الظلمِ فَنُهُوا عن ذلك، كان الرجلُ إِذا مات له قريبٌ عن امرأَةٍ أَلقىٰ ثوبَه عليها وقال: أَنا أَحقُّ بها من غيري، فقيل: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهاً﴾ أَي: تأْخُذوهُنَّ علىٰ سبيلِ الإِرثِ وهنَّ كارِهاتٌ لذلك أَو مُكْرَهاتٌ[٢]، فقد قُرِئَ بفتحِ الكافِ وضمِّها[٣]، وقيل: كانوا يُمسِكونَهُنَّ حتّى يَمُتْنَ، فقيل: لا يحلُّ لكم أَن تُمسِكوهنَّ حتّى تَرِثوا منهنَّ وهنَّ غيرُ راضياتٍ

---

(١) تفسيرابن عباس: ص ٦٧.

(٢) وهو قول ابن عباس كما حكاه السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٣٤١.

(٣) قرأه حمزة والكسائي. راجع التبيان: ج ٣ ص ١٤٨، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٤٠٨، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٣٤١، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٧٣، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ٢٠٣.

بذلك[١]، وكان الرجلُ يُمْسِكُ زوجتَه إضراراً بها حتَّىٰ تَفْتَدِيَ ببعضِ مالِها، فقيل: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ والعضل: الحبسُ والتضييقُ، والأَولىٰ أَن يكونَ ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ نصباً عطفاً علىٰ ﴿أَن تَرِثُوا﴾، و﴿لَا﴾ لتأكيدِ النفي، أَي: لا يحلُّ لكم أَن تَرِثُوا النساءَ ولا أَن تَعْضُلوهنَّ ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ وهي النشوزُ والبَذاءُ والمعصيةُ وإيذاءُ الزوجِ وأَهلِهِ، يعني: إِلَّا أَن يكونَ سوءُ العِشرةِ من جهتِهنَّ فتصيروا معذورين في طلبِ الخُلعِ، والتقديرُ: ولا تَعضُلوهنَّ إِلَّا لأَن يأْتينَ بفاحشةٍ أو وقتَ أَن يأْتينَ بفاحشةٍ.

الصادقُ عليه السلام قال: «إذا قالت للزوجِ لاأَغتسلُ لك من جنابةٍ ولا أَبرُّ لكَ قَسَماً ولأُوطِيَنَّ فراشَك حلَّ له أَن يخلَعَها»[٢].

وكانوا يُسِيؤُون معاشرةَ النساءِ فقيل لهم: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو النصَفَةُ في النفقةِ والإجمالُ في القولِ والفعلِ ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ أَي: إن كَرِهْتم صحبتَهنَّ فلا تفارِقوهنَّ لكَراهةِ الأَنفسِ وحدَها، فربَّما كَرِهَت النفسُ ماهو أَصلحُ في الدينِ وأَحْمَدُ وأَحبَّت ماهو نقيضُ ذلك.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ (٢١)

كان الرجلُ[٣] إذا أَرادَ استطرافَ[٤] امرأةٍ رَمَىٰ زوجَته بفاحشةٍ حتَّىٰ يُلْجِئَها

---

(١) قاله قتادة والشعبي والضحّاك والزهري والجبّائي وروي ذلك عن أبي جعفر عليه السلام. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٤٦٦، والتبيان: ج ٣ ص ١٤٩.

(٢) الكافي: ج ٦ ص ١٣٩ كتاب الطلاق باب الخلع ح ١.

(٣) في بعض النسخ زيادة: الزوج.

(٤) في بعض النسخ: استطراق، وأُخرىٰ: استطلاق.

إلى الافتداءِ منه بما أَعطاها، فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ أي: إقامَة امرأةٍ مقامَ امرأةٍ وأَعْطَيْتُمُ الَّتي أَردتـم الاستبدالَ بـها غـيرَها ﴿قِنطَارًا﴾ أَي: مالاً كثيراً ﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ﴾ أي: من المؤتىٰ والمعطىٰ ﴿شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ أَي: باهتين وآثمين، انتصب ﴿بُهْتَـٰنًا﴾ و ﴿إِثْمًا﴾ علىٰ الحالِ، ويجوز أَن يكونَ مفعولاً له وإِن لم يكن غَرضاً كما يقال: قـعد عـن القتال جُبناً، والميثاقُ الغليظُ: حقُّ الصحبةِ والمضاجَعَةِ، كأَنَّه قيل: ﴿وَأَخَذْنَ﴾ بِهِ ﴿مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ أَي: بإفضاءِ بعضِكم إِلىٰ بعضٍ، وقيل: إِنَّ الميثاقَ الغليظَ هو العهدُ المأْخوذُ على الزوجِ حالَةَ العقدِ من إِمساكٍ بمعروفٍ أَو تسريحٍ بإحسانٍ[١].

وعن النَبيِّ صلى الله عليه وآله: «ٱسْتَوْصُوا بِالنساءِ خَيْراً، فَـإِنَّهُنَّ عـوانٍ[٢] فـي أَيْـديكم، أَخَذْتُمُوهُنَّ بأَمانةِ اللهِ واسْتَحْلَلْتُمْ فروجَهنَّ بكلمةِ اللهِ»[٣].

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ (٢٢)

كانوا يَنكِحونَ روابَّهم[٤]، وكان ناسٌ من ذَوي مروءَاتِهم يَمْقُتونه ويسمُّونه نكاحَ الْمَقْتِ، ويقولون لمن وُلِدَ عليه: المقتيّ، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَمَقْتًا﴾، أَي: ولا تتزوَّجوا ما تزوَّجه ﴿ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ثمَّ استثنىٰ ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ كـما استثنىٰ «غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ» من قوله:

وَلاعَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِراعِ الْكَتائِبِ[٥]

---

(١) قاله الضحّاك والسدي والحسن وابن سيرين وقتادة. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٤٦٧.

(٢) العواني جمع عانية، والعاني: الأسير. (الصحاح: مادة عون).

(٣) مسند أحمد: ج ٥ ص ٧٢ ـ ٧٣، الكشاف: ج ١ ص ٤٩٢، الكاف الشاف لابن حجر: ص ٤٠.

(٤) الرواب جمع رابّة، والرابّة: زوجة الأب. (الصحاح: مادة روب).

(٥) البيت للنابغة الذبياني من قصيدةٍ مدح بها عمرو بن الحارث أحد ملوك الشام الغسّانيين. ←

يعني: إن أَمْكَنَكُم أَن تَنْكِحوا ماقَدْ سَلَفَ فانكحوه ولايَحِلُّ لكم غيرهُ ولكنَّه غيرُ ممكنٍ، والغرضُ المبالغةُ في تحريمِه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَـٰحِشَةً﴾ في دينِ اللهِ بالغةً في القبحِ ﴿وَمَقْتاً﴾ أي: قبيحاً ممقوتاً في المروءَةِ ولامزيدَ علىٰ مايجمع القبحَيْن[١] ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ أي: بئْس طريقاً ذلك النكاحُ السيِّئُ الفاحشُ.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَاقَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ (٢٣)

المعنىٰ: حُرِّمَ عليكم نكاحُهنَّ؛ لأَنَّ ذلك هو المفهومُ من تحريمِهنَّ كما يُفْهَمُ من تحريمِ الخمرِ تحريمُ شربِها ومن تحريمِ الْمَيْتَةِ تحريمُ أَكلِها، ويَتَضَمَّنُ قولُه: ﴿أُمَّهَـٰتُكُمْ﴾ تحريمَ نكاحِ الجدّاتِ مِن قِبَلِ الأَبِ ومن قِبَلِ الأُمِّ وإِن عَلَوْنَ بدرجاتٍ، وقولُه: ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ تحريمَ نكاحِ بناتِ الصلبِ وبناتِ الابنِ وبناتِ البنتِ[٢] وإِن نَزَلْنَ بدرجاتٍ، وقولُه: ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ يَتَضَمَّنُ تحريمَهنَّ سواءٌ كُنَّ من قِبَلِ أَبٍ أَو من قِبَلِ أُمٍّ أَو منهما، ويَتَضَمَّنُ العمّاتُ: كلَّ أُختٍ لذكرٍ رجع النسبُ إِليه بالولادةِ من قِبَلِ الأَبِ كان أَو من قِبَلِ الأُمِّ، ويَتَضَمَّنُ الخالاتُ: كلَّ أُختٍ لأُنثىٰ رجع النسبُ إِليها بالولادةِ من جهةِ الأُمِّ كان أَو من جهةِ الأَبِ، ويَتَضَمَّنُ ﴿بَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ كلَّ بناتِ الإِخوةِ والأَخواتِ من قِبَلِ الأَبِ كُنَّ أَو من قِبَلِ

← أُنظر ديوان النابغة: ص ٥١، وخزانة الأدب: ج ٣ ص ٣٢٧.

(١) في نسخة: القبيحين. (٢) في بعض النسخ: الابنة.

الأُمِّ قَرُبْنَ أو بَعُدْنَ، فهؤلاءِ السبعُ هنَّ المحرَّماتُ من جهةِ النسبِ.

ثمَّ ذكَرَ المحرَّماتِ من جهةِ السببِ ﴿وَ﴾ قال: ﴿أُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ سَمَّى المرضِعاتِ أُمَّهاتٍ إذ نَزَّلَ[١] الرَضاعةَ منزِلَةَ النسبِ، وسَمَّى المُرضَعاتِ أَخواتٍ بقوله: ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ﴾ فعلىٰ هذا يكونُ زوجُ المُرضِعَةِ أَباً للرضيعِ، وأَبواه جدَّاه، وأُختُه عمَّتُه، وكلُّ ولدٍ وُلِدَ له من غيرِ المُرْضِعَةِ قبلَ الرضاعِ وبعدَه فهم إِخوتُه وأَخواتُه لأَبيه، وأُمُّ المُرْضِعَةِ جدَّتُه، وأُختُها خالتُه، وكلُّ ولدٍ لها من هذا الزوجِ فهم إِخوتُه وأَخواتُه لأَبيه وأُمِّه، وكلُّ ولدٍ لها من غيرِ هذا الزوجِ فهم إِخوتُه وأَخواتُه لأُمِّه، ومنه قولُ النبيِّ صلى الله عليه وآله: «يَحْرُمُ مِنَ الرضاعِ ما يَحْرُمُ مِنَ النسَبِ»[٢] وفيه: أَنَّ المحرَّماتِ السبعَ بالنسبِ محرَّماتٌ بالرضاعِ أَيضاً.

ثمَّ قال: ﴿وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ وهذا يتضمَّنُ تحريمَ نكاحِ أُمَّهاتِ الزوجاتِ وجدَّاتِهنَّ قَرُبْنَ أَو بَعُدْنَ من جهةِ النسبِ والرضاعِ، ويَحْرُمْنَ بنفسِ العقدِ ﴿وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾ أَي: في ضَمانِكم وتربيتِكم، سمِّي ولدُ المرأةِ من غيرِ زوجِها رَبيباً ورَبيبَةً لأَنَّه يَرُبُّهما[٣] في غالبِ الأَمرِ كما يَرُبُّ ولدَه، ثمَّ سمِّي بذلك وإِن لم يربَّهما، وهذا يقتضي تحريمَ بنتِ المرأةِ من غيرِ زوجِها علىٰ زوجِها وتحريمَ بنتِ ابنِها وبنتِ بنتِها قَرُبَتْ أَم بَعُدَتْ لوقوعِ اسمِ الربيبةِ عليهنَّ، وقوله: ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ متعلِّقٌ بـ ﴿رَبَـٰٓئِبُكُمُ﴾ والمعنىٰ: أَنَّ الربيبةَ من المرأَةِ المدخولِ بها محرَّمةٌ على الرجلِ وإِذا لم يدخل بها فهي حلالٌ له، ومعنى الدخولِ بهنَّ كنايةٌ عن الجماعِ كما يُقالُ: بَنَىٰ عليها وضَرَبَ عليها الحجابَ، فقوله:

---

(١) في نسخة: أنزل.

(٢) مسند أحمد: ج ١ ص ٣٣٩، سنن البيهقي: ج ٧ ص ٤٥٢ ـ ٤٥٣، اتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج ٥ ص ٣٣٨.

(٣) في بعض النسخ: يربّيهما.

﴿دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ معناه: أَدخلتموهنَّ السترَ، والباءُ للتعديةِ، ومايجري مجرى الجماعِ من التجريدِ واللمسِ بالشهوةِ فذلك أيضاً دخولٌ بها عند أبي حنيفةَ[١] وهو مذهبُنا[٢]. ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ﴾ أي: وحُرِّمَ عليكم نكاحُ أَزواجِ أبنائِكم ﴿ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ دونَ من تَبَنَّيْتم، فإِنَّ رسولَ الله ﷺ تزوَّجَ زينبَ بنتَ جَحْشٍ[٣] حين فارقَها زيدُ بنُ حارثةَ[٤] [٥] ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ في موضعِ الرفعِ، أَي: وحُرِّمَ عليكم الجمعُ بينَ الأُختَيْن في النكاحِ والوطءِ بملكِ اليمينِ، ويجوز أن يكونَ الجمعُ بينَهما في الملكِ ﴿إِلَّا مَاقَدْ سَلَفَ﴾ ولكن مامضىٰ مغفورٌ بدليلِ قولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾.

والمحرَّماتُ بالنسبِ أَو السببِ علىٰ وجهِ التأْبيد يُسَمَّيْنَ مبهماتٍ؛ لأَنَّهنَّ يَحْرُمْنَ من جميعِ الجهاتِ، قال ابن عبّاسٍ: حَرَّمَ اللهُ من النساءِ سَبْعاً بالنسَبِ وسَبْعاً بالسبَبِ، وتلا هذه الآيةَ ثمَّ قال: والسابعةُ: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَانَكَحَ ءَابَآؤُكُمْ﴾ الآية[٦] [٧].

---

(١) الفتاوي الهندية: ج ١ ص ٣٠٤، المبسوط للسرخسي: ج ٥ ص ١٤٩، اللباب: ج ٢ ص ١٩٧، بدائع الصنائع: ج ٢ ص ٢٩١.

(٢) راجع تفسير التبيان لشيخ الطائفة: ج ٣ ص ١٥٨.

(٣) هي زوج النبي ﷺ وأُخت عبدالله بن جحش، من أسد بن خزيمة، وأُمها أُميمة بنت عبدالمطلب عمّة النبي ﷺ، تكنّىٰ أم الحكيم، تزوّجها رسول الله ﷺ في السنة الثالثة للهجرة، وكانت أوّل نساء النبي ﷺ لحوقاً به كما أخبر رسول الله ﷺ، وتوفّيت سنة عشرين ودفنت بالبقيع. (أُسد الغابة: ج ٥ ص ٤٦٦).

(٤) هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي؛ أبو أُسامة، مولىٰ رسول الله ﷺ، شهد المشاهد كلّها، وكان من الرماة المذكورين، استشهد يوم مؤتة سنة ثمان من الهجرة وهو ابن خمس وخمسين سنة. (تهذيب التهذيب: ج ٣ ص ٤٠٢).

(٥) انظر تفسير السمرقندي: ج ١ ص ٣٤٤، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٤١٢.

(٦) الآية: ٢٢.

(٧) حكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ٣ ص ٦٦٢ ح ٨٩٥٠.

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَامَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّاوَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَاجُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (٢٤)

القِراءَة هنا ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ بفتحِ الصادِ، أَي: وحُرِّمَتْ عليكم اللّاتي أُحْصِنَّ ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ وهنَّ ذواتُ الأَزواجِ ﴿إِلَّا مَامَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ من اللّاتي سُبِينَ ولهنَّ أَزواجٌ في دارِ[1] الكفرِ فهنَّ حلالٌ وإن كُنَّ محصَناتٍ ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ، أَي: كتب اللهُ ذلك عليكم كتاباً وهو تحريمُ ماحَرَّمَ ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّاوَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ هو عطفٌ على الفعلِ المضمرِ الّذي نصَبَ ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾، ومن قرأَ: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ﴾ على البناءِ للمفعولِ فهو عطفٌ علىٰ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾، ﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾ مفعولٌ له، والمعنىٰ: بُيِّنَ لكم مايَحِلُّ وما يَحْرُمُ إرادةَ أَن تبتغوا، أَي: تطلبوا ﴿بِأَمْوَٰلِكُم﴾ نكاحاً بصَداقٍ أَو شراءً بثمنٍ، فيكونُ مفعولُ ﴿تَبْتَغُواْ﴾ مقدّراً، ويجوزُ أَن يكونَ ﴿أَنْ تَبْتَغُواْ﴾ بدلاً من ﴿مَّاوَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾[2]، ﴿مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ أَي: أَعِفَّاءَ غيرَ زُناةٍ، والإحصانُ: العِفَّةُ وتحصينُ النفسِ من الوقوعِ في الحرامِ، وقيل: مُحْصِنِينَ: متزوِّجين[3] ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ﴾ من النساءِ، و﴿مَا﴾ في معنى النساءِ ويرجع الضميرُ في ﴿بِهِ﴾ إليه على اللفظِ، وفي ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على المعنىٰ، والمرادُ به متعةُ النساءِ وهو النكاحُ المنعقدُ بمهرٍ معيَّنٍ إلى أَجلٍ معلومٍ، وإليه ذهب ابنُ عبّاسٍ وابنُ مسعودٍ وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ

(١) في نسخة: ديار.
(٢) انظر الكشّاف: ج ١ ص ٤٩٧.
(٣) قاله ابن عباس. راجع تفسيره: ص ٦٨، وبه قال الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٧، والبغوي في تفسيره: ج ١ ص ٤١٣.

وجماعةٌ من التابعين وهو مذهبُ أهلِ البيتِ عليهم السلام، وقرأوا: «فَمَا اسْتَمتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إلىٰ أَجَلٍ مُسَمّىً»(١)، ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ معناه: فاللّاتي عَقَدْتُمْ عليهنّ هذا العقدَ من جملةِ النساءِ فأعطوهنَّ أجورَهنَّ، فأوجب إيتاءَ الأجر بنفسِ العقدِ، وإنّما يجبُ كمالُ المهرِ بنفسِ العقدِ في نكاحِ المتعةِ خاصّةً ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ من استئناف عقدٍ آخَرَ بعدَ انقضاءِ مدَّةِ الأَجلِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ فيما شَرَعَ لعبادِه من النكاحِ الّذي به يُحْفَظُ الأَموالُ والأنسابُ.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُم بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَـٰتٍ غَيْرَ مُسَـٰفِحَـٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢٥)

الطَوْلُ: الفضلُ والزيادةُ، أي: من لم يَجِدْ غنىً وزيادةً في المالِ وسَعَةً يبلغ بها نكاحَ ﴿ٱلْمُحْصَنَـٰتِ﴾ أي: الحرائر ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم﴾ أي: فَلْيَنْكِحْ أَمةً ممّا ملكت أيمانُكم، والخطابُ للمسلمين ﴿مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ﴾ من إمائِكم لا من فتياتِ غيرِكم من المخالفين في الدينِ ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُم﴾ واللهُ أعلمُ بتفاضُلِ مابينَكم وبينَ أَرِقّائِكم في الإيمانِ ورجحانِه ونقصانِه فيهم وفيكم، وربَّما كان إيمانُ الأَمةِ أرجحَ من إيمانِ الْحُرَّةِ، والمرأةُ أَفضلَ في الإيمانِ من الرجلِ فمن

(١) حكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ١٦٥ و ١٦٦، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٤٧١ فراجع.

حقِّكم أَن تعتبِروا فضلَ الإِيمانِ لافضلَ الأَحسابِ والأَنساب ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ أَي: أَنتم وأَرِقَّاؤُكم متناسبون لاشتراكِكم في الإيمانِ فلا تستنكِفوا من نكاحِهنَّ ﴿فَانكِحُوهُنَّ﴾ والضميرُ للفتَياتِ أَي: تزوَّجوهنَّ ﴿بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أَي: بأَمرِ مواليهنَّ ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أَي: مهورهنَّ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من غيرِ مَطَلٍ وإِضرارٍ وإِحواجٍ إِلى الاقتضاءِ، والمرادُ: فآتُوا مواليَهنَّ؛ لأَنَّ المواليَ هم مالكو مهورِهنَّ[1]، فحُذِفَ المضافُ ﴿مُحْصَنَـٰتٍ﴾ عفائِفَ غَيْرَ مُجاهِراتٍ بالسفاحِ ولامُسِرَّاتٍ له، وهو قوله: ﴿غَيْرَ مُسَـٰفِحَـٰتٍ وَلَامُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ والأَخدانُ: الأَخِلَّاءُ في السرِّ ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ مَن قَرَأَ بالضمِّ فالمعنىٰ: فإِذا زُوجْنَ فَأَحْصَنَهُنَّ أَزواجُهنَّ[2] أَي: تَزَوَّجْنَ، ومن قرأَ بالفتحِ[3] فمعناه: أَسْلَمْنَ[4]، وقيل: أَحْصَنَّ أَنْفُسَهُنَّ بالتزويجِ[5] ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ﴾ أَي: فإِن زَنَيْنَ ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَاعَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ﴾ أَي: الحرائِرِ ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ من الحدِّ كما في قوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾[6] وهو خمسون جلدةً، ولارجمَ عليهنَّ لأَنَّ الرجمَ لا ينتصف ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِشارةٌ إِلىٰ نكاحِ الإِماءِ ﴿لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ لمن خاف الإِثمَ الَّذي يؤدِّي إِليه غلبةُ الشهوةِ، وأَصلُ العَنَتِ انكسارُ العظمِ بعدَ الجبرِ، فاستعيرَ لكلِّ مَشَقَّةٍ وضررٍ، ولا ضررَ أَعظمُ من الوقوعِ في الزنا ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ﴾ أَي: وصبرُكم عن

---

(١) في نسخة: أُمورهنّ.

(٢) وهي قراءة ابن عبّاس كما حكاه السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٣٤٧.

(٣) قرأه حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ٤١٦، وتفسيرالسمرقندي: ج ١ ص ٣٤٧، وفي كتاب التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٧٤: وهي قراءة الكوفيّين سوىٰ حفص.

(٤) وكذا هي قراءة ابن مسعود كما حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٤١٦.

(٥) قاله الحسن. راجع تفسيره: ج ١ ص ٢٧١، وعنه الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ١٧١.

(٦) النور: ٢.

نكاحِ الإماءِ متعفِّفين ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيماً (٢٧) يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفاً﴾ (٢٨)

الأَصل ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ أَنْ ﴿يُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ فزيدت اللامُ مؤكِّدةً لإرادةِ التبيينِ كما زيدت في «لا أَبا لَكَ» لتأْكيد إضافةِ الأَبِ، والمعنىٰ: يريدُ اللهُ أَن يُبَيِّنَ لكم ماخَفِيَ عنكم من مصالحِكم ﴿وَ﴾ أَن ﴿يَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ﴾ كانوا ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأَنبياءِ وأَهلِ الحقِّ لتقتدوا بهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ أَي: وأَن يقبلَ توبَتكم ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ يوفِّقكم لها، ويُقَوِّيَ دواعيَكم إِليها ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ من المُبطِلين ﴿أَن تَمِيلُواْ﴾ أَي: تعدِلوا عن الاستقامةِ والقصد بمساعدتِهم وموافقتِهم ﴿مَيْلًا عَظِيماً﴾ إِذ لاميلَ أَعظمُ من الموافقةِ على اتِّباعِ الشهواتِ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ بإِحلالِ الأَمةِ وغيرِ ذلك من الرُّخَصِ ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفاً﴾ لايصبرُ علىٰ مَشقَّةِ الطاعةِ وعن الشهوةِ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً (٢٩) وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وكَانَ ذَٰلِك عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراً﴾ (٣٠)

ذُكِرَ الأَكلُ والمرادُ به سائِرُ التصرُّفاتِ و «الْباطِلِ»: مالم يُبِحْهُ الشرعُ من الربا والقمارِ والخيانةِ والظلمِ والسرقَةِ ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً﴾ بالنصبِ علىٰ: إِلَّا أَن

تكونَ التجارةُ تجارةً ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ وبالرفعِ على: إلّا أن تقعَ تجارةٌ، والاستثناءُ منقطعٌ معناه: ولكن كونُ تجارةٍ عن تراضٍ منكم غيرُ منهيٍّ عنه، و﴿عَن تَرَاضٍ﴾ صفةٌ لـ﴿تِجَـٰرَةً﴾ أي: تجارةً صادرةً عن تَراضٍ منكم[١]، والتراضي: رضاءُ المتبايعين بما تعاقدا عليه في حالِ البيعِ وقتَ الإيجابِ والقبولِ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ بأن تُقاتِلوا مَن لا تُطيقونَه فتُقْتَلُوا، وقيل: لا يَقْتُلْ بعضُكم بعضاً لأنّكم أهلُ دينٍ واحدٍ فأنتم كنفسٍ واحدةٍ[٢]، وقيل: لا يقتلِ الرجلُ نفسَه كما يَفْعَلُ بعضُ الجُهَّالِ في حالِ غَضَبٍ أو ضَجَرٍ[٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ ينهاكم عما يضرُّكم لرحمتِه عليكم ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى القتلِ، أي: ومن يُقدِمْ على قتلِ النفسِ ﴿عُدْوَٰناً وَظُلْماً﴾ لا خطأً ولا اقتصاصاً ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً﴾ مخصوصةً شديدةَ العذابِ.

﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيماً (٣١) وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ (٣٢)

قال أصحابُنا رضِي اللهُ عنهم: المعاصي كلُّها كبائِرُ من حيثُ كانت قبائِحَ، لكن بعضُها أكبرُ من بعضٍ، وإنّما يكونُ الذنبُ صغيراً بالإضافةِ إلىٰ ماهو أكبرُ منه واستحقاقُ العقابِ[٤] عليه أكثرُ[٥]، ونحوُه قولُ ابنِ عبّاسٍ: كلُّ مانَهَىٰ اللهُ عنه فهو

(١) انظر الكشّاف: ج ١ ص ٥٠٢.
(٢) قاله عطاء بن أبي رباح والسدي. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٤٧٥.
(٣) قاله الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٤٧٥.
(٤) في نسخة: العذاب.
(٥) راجع تفسير التبيان لشيخ الطائفة ﵀: ج ٣ ص ١٨٢.

كبيرٌ[١]، وقولُ مجاهدٍ وسعيدِ بنِ جُبَيْرٍ: كلُّ ماأَوْعَدَ اللهُ عليه عقاباً في العُقبىٰ أو أَوْجَبَ عليه حدّاً في الدنيا فهو كبيرٌ[٢]، ومعنى الآيةِ: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ﴾ مانُهيتُم ﴿عَنْهُ﴾ في هذِهِ السورةِ من المَنَاكحِ وأَكلِ الأَموالِ بالباطلِ وغيرِ ذلكَ وتَرَكْتُمُوها في المستقبلِ ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ الَّتي اكتسبتُموها بارتكابِ ذلك فيما سَلَفَ، ويعضُده قوله سبحانه: ﴿إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّاقَدْ سَلَفَ﴾[٣]، وعن ابنِ مسعودٍ: كلُّ مانَهَىٰ اللهُ عنه من أَوَّلِ السورةِ إِلىٰ رأْسِ الثلاثينَ فهو كبيرةٌ[٤]، ورُوِيَ: أَنَّ رجلاً قال لابنِ عبَّاسٍ: الكبائِرُ سبعٌ؟ فقال: هي إِلىٰ سبعِمائَةٍ أَقربُ، إِلَّا أَنَّه لا صغيرةَ مع الإِصرارِ ولا كبيرةَ مع الاستغفارِ[٥][٦]. وقُرِئَ: «مُدْخَلاً» بضمِّ الميمِ وفتحِها[٧] بمعنى المكانِ والمصدرِ فيهما ﴿وَلَاتَتَمَنَّوْاْ﴾ نهيٌ عن التحاسُدِ وعن

---

(١) حكاه عنه الشيخ في تبيانه: ج ٣ ص ١٨٢، والرازي في تفسيره: ج ١٠ ص ٧٤.

(٢) حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٤٧٦، والشيخ في تبيانه: ج ١ ص ١٨٢ وقال: ومثله قال أبوالعالية ومجاهد والضحّاك.

(٣) الأنفال: ٣٨.

(٤) حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٤٧٦، والبغوي في تفسيره: ج ١ ص ٤١٩، والرازي في تفسيره: ج ١٠ ص ٧٤.

(٥) رواه عنه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٤١٩، وأخرجه السيوطي بسنده عنه من طرق عديدة في الدر المنثور: ج ٢ ص ٤٩٩ ـ ٥٠٠.

(٦) قال الشيخ الطوسي ﷺ في التبيان: ج ٣ ص ١٨٢ ـ ١٨٣: وعند المعتزلة أَنّ كل معصية توعّد الله تعالىٰ عليها بالعقاب أو ثبت ذلك عن النبي ﷺ أو كان بمنزلة ذلك أو أكبر منه فهو كبير، وماليس ذلك حكمه فانّه يجوز أن يكون صغيراً ويجوز أن يكون كبيراً ولايجوز أن يعيّن الله الصغائر لأَنّ في تعيينها الاغراء بفعلها... الى أن قال ﷺ: فعلىٰ مذهب المعتزلة: من اجتنب الكبائر وواقع الصغائر فانّ الله يكفّر الصغائر عنه ولايحسن مع اجتناب الكبائر عندهم المؤاخذة بالصغائر، ومتىٰ آخذه بها كان ظالماً. وعندنا: أنّه يحسن من الله تعالىٰ أن يؤاخذ العاصي بأية معصية فعلها، ولايجب عليه اسقاط عقاب معصية لمكان اجتناب ماهو أكبر منها، غير أنّا نقول: انّه تعالىٰ وعد تفضّلاً منه أَنّ من اجتنب الكبائر فإِنّه يكفّر عنه ماسواها بأن يسقط عقابها عنه تفضّلاً، ولو آخذه بها لم يكن ظالماً.

(٧) وهي قراءة نافع وأبي بكر عن عاصم. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٣٢.

تمنّي ﴿مَافَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ بعضَ النَّاسِ ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ من الجاهِ والمـالِ؛ لأَنَّ ذلك التفضيلَ قسمةٌ من اللهِ العالمِ بأَحوالِ العبادِ، فواجبٌ على الخلقِ أَن يَرْضَوْا بقسمتِه الصادرةِ عن الحكمةِ والعلمِ بالمصلحةِ ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ﴾ جَعَلَ سبحانه ماقَسَمَه لكلٍّ من الرجالِ والنساءِ علىٰ حَسَبِ ماعَرَفَه من مصالحِه كسباً له ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ ولا تحسُدوا غيرَكم بما أُوتِيَ من الفضلِ ولكن اسألوا اللهَ من فضلِهِ الَّذي لا يغيضُ، قال سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ[١]: لم يأْمُرْ بالمسأَلةِ إلَّا ليُعْطِي[٢].

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً(٣٣) ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّـٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً﴾ (٣٤)

أَي: ﴿وَلِكُلٍّ﴾ واحدٍ من الرجالِ والنساءِ ﴿جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ أَي: وَرَثَةً هم أَولىٰ بميراثِه، يرثون ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ الموروثون ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ أَي: ويرثون ممَّا تركَ الَّذين عَقَدَتْ أَيمانُكم؛ لأَنَّ لهم وَرَثَةً هم أَولىٰ

---

(١) سفيان بن عُيينة بن ميمون الهلالي الكوفي المكّي، محدّث أهل مكّة، كان حافظاً واسع العلم، وكان أعور، قال يحيىٰ بن سعيد القطّان: أشهد أنّ سفيان بن عيينة اختلط سنة سبع وتسعين ومائة، فمن سمع منه فيها فسماعه لاشيء، مات سنة ١٩٨ هـ ودفن في مكّة. (ميزان الاعتدال: ج ٢ ص ١٧٠، الأعلام للزركلي: ج ٣ ص ١٠٥).

(٢) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٤٢١، والقرطبي أيضاً في تفسيره: ج ٥ ص ١٦٥.

بميراثِهم فيكونُ عطفاً على ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ﴾ ويكونُ المضمرُ[1] في ﴿فَـَٔاتُوهُمْ﴾ للموالي، ويجوز أَن يكونَ في ﴿تَرَكَ﴾ ضميرٌ ﴿لِكُلٍّ﴾ و ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ تفسيراً لـ﴿مَوَٰلِىَ﴾ كأنّه قيل: مَنْ هُم؟ فقيل: ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾، و ﴿ٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ مبتدأ ضُمِّنَ معنى الشرطِ فَوَقَعَ خَبرُهُ مع الفاءِ وهو قوله: ﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ والمرادُ بـ﴿ٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ موالي الموالاةِ، كانَ الرجلُ يعاقِدُ الرجلَ فيقولُ: دمي دمُكَ وهَدَمِي هَدَمُكَ وحَرْبِي حَرْبُكَ وَسِلْمِي سِلْمُكَ وَتَرِثُنِي وَأَرِثُكَ وتَعْقِلُ عَنِّي وَأَعْقِلُ عَنْكَ، فيكونُ للحليفِ السُّدسُ من ميراثِ الحليفِ، فَنُسِخَ بقولِه: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾[2] [3] وقُرِئَ: «عاقَدَتْ»[4] و «عَقَّدَتْ»[5]، ومعنىٰ: «عاقَدَتْ أَيْمانُكُمْ» عاقدتهم أَيديكم وماسَحْتُمُوهم، ومعنىٰ «عَقَّدَتْ»: عَقَّدَتْ عهودَهم أَيمانُكم ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ يقومون عليهنَّ بالأَمرِ والنهي كما تقوم الولاةُ علىٰ رعاياهم ولذلك سُمُّوا قُوَّاماً، بسببِ تفضيلِ اللهِ ﴿بَعْضَهُمْ﴾ وهم الرجالُ ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني: النساءَ، وقد ذُكِرَ في تفضيلِ الرجالِ أَشياءُ: منها العقلُ والحزمُ والجهادُ والخطبةُ والأَذانُ وعدد الأَزواجِ والطلاقُ وغيرُ ذلك ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ﴾ أَي: وبسببِ ماأَنفقوا في نكاحِهنَّ من الأَموالِ يعني: المَهْرَ والنَفَقَةَ ﴿فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ﴾ أَي: مُطيعاتٌ للهِ قائماتٌ بما عليهنَّ للأَزواجِ ﴿حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ خلافُ الشهادةِ، أَي: راعياتٌ لحقوقِ

---

(١) في نسخة: الضمير.

(٢) الأنفال: ٧٥، الأحزاب: ٦.

(٣) أُنظر كتاب الناسخ والمنسوخ لقتادة: ص ٤٣، والناسخ والمنسوخ للزهري: ص ١٩، والناسخ والمنسوخ لابن حزم: ص ٣٤.

(٤) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٣٣، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٨٤.

(٥) وهي قرأءة أُم سعد بنت سعد بن الربيع ومبشر بن عبيد وحمزة برواية علي بن كبشة. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ٣٢، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ٢٣٨.

أَزواجِهنَّ وحرمتِهم في الفروجِ والبيوتِ والأَموالِ في حالِ غيبتِهم ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللهُ﴾ بما حَفِظَهُنَّ اللهُ حين أَوصىٰ بهنَّ الأَزواجَ في كتابِه، أَو بما حَفِظَهُنَّ اللهُ إذ وفَّقهنَّ لحفظِ الغيبِ فتكونُ ﴿مَا﴾ مصدريَّةً، وقُرِئَ: «بِما حَفِظَ اللهَ» بالنصبِ[١] علىٰ أَنَّ «ما» موصولةٌ، أَي: بالأَمرِ الَّذي يحفظ حقَّ اللهِ وأَمانةَ اللهِ وهو التعفُّفُ والشفَقَةُ على الرجالِ.

وفي الحديث: «خيرُ النساءِ امْرأَةٌ إِنْ نَظَرْتَ إِليها سَرَّتْكَ، وإِن أَمَرْتَها أَطاعَتْكَ، وإِذا غِبْتَ عنها حَفِظَتْكَ في مالِها ونفسِها»[٢] وتلا الآية.

﴿وَٱلَّـٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ أَي: عصيانَهنَّ، وأَصلُ النشوزِ: الانزعاجُ والترفُّعُ على الزوجِ ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ أَوَّلاً بالقولِ والنصيحةِ ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ﴾ ثانياً ﴿فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ والمراقدِ وهي كنايةٌ عن الجماعِ، وقيل: هو أَن يولِّيَها ظهرَه في المضجَعِ[٣] ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ إن لم يَنْجَعْ فيهنَّ الوعظُ والهجرانُ ضرباً غيرَ مُبَرِّحٍ لايَقْطَعُ لحماً ولا يَكْسِرُ عظماً، وعن الباقرعليه السلام: أَنَّه الضربُ بالسواكِ[٤] ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ أَي: أَزيلوا عنهنَّ التعرُّضَ بالأَذىٰ والتجنِّي وتُوبوا عليهنَّ بعدَ رجوعِهنَّ إلى الطاعةِ وتركِ النشوزِ ﴿إِنَّ ٱللهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً﴾ فاحذَروه ولا تكلِّفوهنَّ مالايُطِقْنَ.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحاً يُوَفِّقِ ٱللهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾ (٣٥)

---

(١) قرأه أبو جعفر المدني. راجع التبيان: ج ٣ ص ١٨٩، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٤٢٢، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ٢٤٠.

(٢) رواه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٥٠٦ مرسلاً.

(٣) قاله ابن عبّاس. راجع تفسيره: ص ٦٩، وعنه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٤٢٢.

(٤) التبيان: ج ٣ ص ١٩١.

الأَصل «شقاقاً بينَهما» فأُضيفَ الشقاقُ إلى الظرفِ علىٰ سبيل الاتِّساعِ، والضميرُ للزوْجينِ وإن لم يجرِ ذكرُهُما لدَلالةِ ذكرِ الرجالِ والنساءِ عليهما[1] ﴿فَابْعَثُواْ حَكَماً﴾ أي: رجلاً رُضِيَ ﴿مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ كذلك، يصلح كلاهما لحكومةِ العدلِ والإصلاحِ بينَهما، والألفُ في ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحاً﴾ ضميرُ الحَكَمَيْنِ وفي ﴿يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَآ﴾ للزوجين، أي: إن قصدا إصلاحَ ذاتِ البين بورِكَ في وساطتِهما، وأَوقع اللهُ بحسنِ نيَّتِهما الوفاقَ والأُلفةَ بين الزوجين، وقيل: الضميران للحكمين يوفِّق اللهُ بينهما حتَّىٰ يتَّفقا على الكلمةِ الواحدةِ[2]، ورَوىٰ أَصحابُنا: أَنّ لِلْحَكَمَيْنِ أَن يَجْمَعا بينهما إن رَأَيا ذلكَ صَلاحاً، وليسَ لَهُما أَن يُفرِّقا بَيْنَهما إلَّا بعدَ أَن يستأْمِراهما ويرضَيا بذلك[3].

﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللهُ مِن فَضْلِهِۦ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (٣٧)

﴿وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً﴾ بمعنىٰ: وأَحسِنوا بالوالدين إحساناً ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وبكلِّ مَن بينكم وبينَه قَرابةٌ ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أَي: الَّذي جِوارُه قَريبٌ ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ الَّذي جِوارُه بعيدٌ، وقيل معناهما: الجارُ القريبُ النسبِ والجار

(١) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٥٠٨.

(٢) قاله ابن عبّاس وسعيد بن جبير والسدي. راجع التبيان: ج ٣ ص ١٩٢.

(٣) أُنظر الكافي: ج ٦ ص ١٤٦ و ١٤٧باب الحكمين والشقاق ح ٢ و ٥، وعنه في كنز الدقائق: ج ٢ ص ٤٤٥ و ٤٤٦.

الجنب الأَجنبيُّ[١] ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ هو الّذي يَصْحَبُ الإِنسانَ بأَن يَحْصُلَ بجنبِهِ بكونِه رفيقَه في سفرِه أَو جاراً له مُلاصِقاً أَو شريكاً أَو قاعداً إِلىٰ جنبِه في مجلسٍ، فعليه أَن يرعَىٰ حقَّه ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المسافرِ المُنْقَطَعِ بـه، وقـيل: هـو الضيف[٢] [٣]، والمختال: التيّاهُ الجَهولُ الّذي يَتَكَبَّرُ عن إِكرامِ أَقاربِه وأَصحابِه، والفخورُ: الّذي يَفْخَرُ بكثرةِ مالِه ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ أَو نصب على الذمِّ أَو رفع على الذمِّ أَيضاً أَو يكونُ مبتدأً خبرُهُ محذوفٌ كأَنَّه قيل: الّذين يبخَلونَ ويفعَلونَ كذا مَلومونَ مستحِقُّونَ للعقوبةِ[٤]، أَي: يبخَلون بما عندَهم وبما في أَيدي غيرِهم فيأْمُرونَهم بأَن يبخَلوا كما جاءَ في المثلِ: «أَبْخَلُ مِنَ الضنينِ بنائِلِ غَيْرِهِ»[٥]، ﴿وَيَكْتُمُونَ مَآءَاتَنهُمُ ٱللهُ مِن فَضْلِهِ﴾: الغِنىٰ، بالتفاقُرِ إِلى الناسِ، وقيل: هم اليهودُ كتَمُوا صفةَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله[٦].

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُ قَرِيناً فَسَآءَ قَرِيناً (٣٨) وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللهُ وَكَانَ ٱللهُ بِهِمْ عَلِيماً﴾ (٣٩)

﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ أَي: للمُراءَاةِ وَالفِخارِ وليُقالَ: إِنَّهُمْ أَسْخِياءُ لا لوجهِ اللهِ، وقيل: هم مشركو قريشٍ أَنفقوا أَموالَهم في عَداوةِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله[٧] ﴿فَسَآءَ قَرِيناً﴾ إِذ

(١) قاله ابن عبّاس ومجاهد. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٤٨٥، والتبيان: ج ٣ ص ١٩٤.
(٢) في نسخة زيادة: وماملكت أيمانكم: المملوك.
(٣) قاله الضحّاك وقتادة. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٤٨٦، والتبيان: ج ٣ ص ١٩٥.
(٤) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٥٠٩.
(٥) راجع مجمع الأمثال للميداني: ج ١ ص ١٢٠، وجمهرة الأمثال للعسكري: ج ١ ص ٢٤٨.
(٦) قاله مجاهد وقتادة والسدي. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٤٨٧.
(٧) حكاه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٥١١.

حملهم على البُخلِ والرئاءِ وكلِّ شرٍّ وفَسادٍ، ويجوزُ أَن يكونَ وعيداً لهم بأَن يكونَ الشيطانُ مقروناً بهم في النارِ ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ أَي: أَيُّ شيءٍ عليهم من الوَبالِ والتبِعةِ في الإيمانِ والإنفاقِ في سبيلِ اللهِ، وهذا توبيخٌ لهم وتهجينٌ وإلَّا فإنَّ المنفعةَ كلَّ المنفعةِ في ذلك ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً﴾ وعيدٌ لهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ (٤٠)

الذرَّةُ: النملةُ الصغيرةُ، وقيل: كلُّ جزءٍ من أَجزاءِ الهباءِ ذرَّةٌ[١]، وفي هذا دَلالةٌ علىٰ أَنَّه لو نَقَصَ من الأَجرِ أَدنىٰ شَيءٍ أَو زيدَ على المستحقِّ من العقابِ لكانَ ظلماً ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾ أَي: وإن تَكُ مثقالُ الذرَّةِ حسنةً، وإنَّما أُنِّثَ لكونه مضافاً إلىٰ مؤنَّثٍ، وقُرِئَ: «حَسَنَةٌ» بالرفعِ[٢] علىٰ «كان» التامَّةِ ﴿يُضَٰعِفْهَا﴾ أَي يضاعفْ ثوابَها، ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ أَي: ويُعْطِ صاحبَها من عندِه علىٰ سبيل التفضُّل عطاءً عظيماً، وسمَّاه أَجراً لأَنَّه تابعٌ للأَجرِ، وقُرِئَ: «يُضَعِّفْها» بالتشديدِ[٣].

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيداً (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثاً﴾ (٤٢)

---

(١) حكاه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٥١١ وقال: وعن ابن عبّاس أَنَّه أدخل يده في التراب فرفعه ثمَّ نفخ فيه فقال: كلّ واحدة من هؤلاء ذرّة.

(٢) قرأه الحسن وابن كثير ونافع. راجع تفسيرالسمرقندي: ج١ ص ٣٥٥، والتبيان: ج ٣ ص ١٩٩، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ٢٥١.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وابن عامر. راجع التبيان: ج ٣ ص ٢٠٠.

﴿فَكَيْفَ﴾ يَصْنَعُ هؤلاءِ الكفّارُ ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يَشْهَدُ عليهم بما فعلوا وهو نبيُّهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يامحمّد ﴿عَلَىٰ هَٰؤُلَآءِ﴾ يعني: قومه ﴿شَهِيداً﴾ والمعنىٰ: أَنَّ اللهَ سبحانه يستشهدُ يومَ القيامةِ كلَّ نبيٍّ علىٰ أُمَّتِه فَيَشْهَدُ لهم وعليهم.

وعن ابنِ مسعودٍ أَنّه قَرَأَ هذه الآيةَ على النبيِّ ﷺ ففاضت عيناه[١]، فَانْظُرْ في هذه الحالةِ إِذا كانَ الشاهدُ يبكي لهولِ هذهِ المقالةِ فماذا ينبغي أَن يَصْنَعَ المشهودُ عليه من الانتهاءِ عن كلِّ مايُسْتَحْيَىٰ منه على رُؤوسِ الأَشهادِ!

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ﴾ من التسويةِ، وقُرِئَ: «لو تَسَوَّىٰ» بحذف التاءِ[٢] من تَتَسَوَّىٰ، و«تَسَّوَّىٰ» بإِدغامِ التاءِ في السينِ[٣]، يقال: سَوَّيْتُهُ فَتَسَوَّىٰ، والمعنىٰ: يَوَدُّونَ أَنّهم لم يُبْعَثُوا وأَنّهم كانوا والأَرض سَواءً، وقيل: يَوَدُّونَ لو يُدْفَنُون فَتُسَوَّىٰ بهم الأَرضُ كما ﴿تُسَوَّىٰ﴾ بالموتىٰ[٤]، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللهَ حَدِيثاً﴾ ولا يقدِرونَ علىٰ كتمانِه لأَنَّ جوارحَهم تَشْهَدُ عليهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَاتَقُولُونَ وَلَاجُنُباً إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ ٱللهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ (٤٣)

---

(١) رواه عنه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٤٢٩، وأخرجه السيوطي بسنده عنه في الدر المنثور: ج ٢ ص ٥٤١.

(٢) قرأه حمزة والكسائي. راجع كتاب التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٧٦.

(٣) قرأه نافع وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٣٤، وكتاب التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٧٦، والتبيان ج ٣ ص ٢٠٢.

(٤) قاله الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٥١٢.

أي لاتقوموا إلى الصلاةِ وأنتم نَشاوىٰ، وقيل: معناه: ﴿لَاتَقۡرَبُواْ﴾ مواضعَ ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهي المساجدُ[١] كقوله عليه السلام: «جَنِّبُوا مساجِدَكم صِبيانَكم ومجانينَكم»[٢]، وقيل: هو سكرُ النومِ وغلبةُ النعاسِ خاصَّةً[٣]، ورُوِيَ ذلك عن الباقِر عليه السلام[٤] ﴿وَلَاجُنُبًا﴾ عطفٌ علىٰ قولِه: ﴿وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ لأَنَّ محلَّ الجملةِ مع الواوِ نصبٌ على الحالِ، كأَنَّه قيل: لاتَقْرَبُوا الصلاةَ سُكارىٰ ولاجُنُباً؛ لأَنَّ الجُنُبَ اسمٌ جرىٰ مجرى المصدرِ الَّذي هو الاجنابُ فاستوىٰ فيه الواحدُ والجمعُ والمذكَّرُ والمؤنَّثُ ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ أَي: لا تقربوا الصلاةَ في أَحوالِ الجَنابةِ إلَّا إذا كنتم مسافِرين فيجوزُ لكم أَن تُؤَدُّوها بالتيَمُّمِ فإِنَّ التيَمُّمَ لا يرفعُ حكمَ الجَنابةِ، فيكون قولُه: ﴿عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ منصوباً على الحالِ، وعبورُ السبيلِ عبارةٌ عن السفرِ، فكأَنَّه قيل: لا تقربوا الصلاةَ غيرَ مغتسِلين ﴿حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْ﴾ إلَّا في حالِ كونِكم مسافِرين، ومَن فَسَّرَ الصلاةَ بالمسجدِ قال: إنَّ معناه لاتَقربوا مواضعَ الصلاةِ جُنُباً إلَّا مجتازين فيها حتَّى تغتسلوا من الجَنابةِ.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أَراد سبحانه أَن يُرَخِّصَ للَّذين تجبُ عليهم الطهارةُ في التيَمُّمِ عندَ عدمِ الماءِ، فَخَصَّ أَوَّلاً مِن بينِهم مرضاهم ومسافريهم لكثرة المرضِ والسفرِ وغلبتِهما علىٰ سائِرِ الأَسبابِ الموجبةِ للرخصةِ، ثمَّ عمَّ كلَّ مَن وَجَبَ عليه الطهارةُ وأَعْوَزَهُ الماءُ لخوفِ عدوٍّ أَو سَبُعٍ أَو عدمِ مايتوصَّلُ به إلى الماءِ أَو غيرِ ذلكَ ممَّا لايَكْثُرُ كثرةَ المرضِ والسفرِ، فلذلك نَظَمَ في سلكٍ واحدٍ بينَ المريضِ والمسافرِ وبينَ المُحدِثِ والجُنُبِ وإن كانَ المرضُ والسفرُ سببَيْنِ مِن

---

(١) قاله ابن عباس وابن مسعود والحسن وإليه ذهب الشافعي. راجع تفسير الرازي: ج ١٠ ص ١٠٨.

(٢) سنن البيهقي: ج ١٠ ص ١٠٣.

(٣) قاله الضحّاك. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٤٨٩، والتبيان: ج ٣ ص ٢٠٦.

(٤) العياشي: ج ١ ص ٢٤٢ ح ١٣٤.

أَسبابِ الرخصةِ والحدثُ سبباً لوجوبِ الوضوءِ والجَنابةُ سبباً لوجوبِ الغسلِ، ومَن قَرَأَ: «أَو لَمَسْتُمْ» [١] فإِنَّ اللمسَ والملامسةَ بمعنَى الجِماعِ، قال ابنُ عبَّاسٍ: سمَّى اللهُ الجِماعَ لمساً كما يُسمَّى المطرُ سَماءً [٢]، و ﴿ٱلْغَآئِطِ﴾ أَصلُه المطمئِنُّ من الأَرضِ، وكانوا يتبرَّزون هناك ثمَّ كثُرَ ذلك حتَّىٰ كَنَوْا بالغائِطِ عن الحدثِ.

والتيمُّم: أَصلُه القصدُ، وقد تَخَصَّصَ في الشرعِ بقصدِ الصعيدِ لمسحِ أَعضاءٍ مخصوصةٍ، وقال الزجَّاجُ [٣]: الصعيدُ: وجهُ الأَرضِ تُراباً كانَ أَو صَخْراً لا ترابَ عليه [٤].

ولو ضَرَبَ الْمُتَيَمِّمُ يدَه عليه ومَسَحَ لكانَ ذلك طهورَه وهو مذهبُ أَبي حنيفة [٥]، وهو المرويُّ عن أَئِمَّةِ الهدىٰ عليهم السلام [٦] ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ وهو ضربةٌ واحدةٌ للوجهِ واليدين إِذا كان بدلاً من الوضوءِ، وضربتان: إِحداهما للوجهِ والأُخرىٰ لليدَيْن إِذا كان بدلاً من الغُسلِ، ومسحُ الوجهِ من قُصاصِ الشعرِ إِلىٰ طرفِ الأَنفِ ومسحُ اليدَيْن من الزندَين إِلىٰ رؤُوسِ الأَصابعِ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ

---

(١) قرأه حمزة والكسائي والمفضّل. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٣٤، وكتاب التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٧٧.

(٢) راجع تفسير ابن عباس: ص ٧٠، وعنه الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٤٩١.

(٣) هو إبراهيم بن السريّ بن سهل؛ أبو اسحاق الزجّاج، النحوي اللغوي المفسِّر، أقدم أصحاب المبرّد قراءةً عليه، له من الكتب: معاني القرآن، الاشتقاق، العروض، مختصر النحو، توفّي سنة ٣١١ هـ.(الفهرست لابن النديم: ج ١ ص ٦٠ ـ ٦١، معجم الأُدباء: ج ١ ص ١٣٠ ـ ١٥١).

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٥٦، وعنه الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ٢٠٧.

(٥) المبسوط للسرخسي: ج ١ ص ١٠٩، وراجع المحلّىٰ لابن حزم: ج ٢ ص ١٦٠، والخلاف للشيخ الطوسي: ج ١ ص ١٣٤ وقال: وبه قال مالك.

(٦) العياشي: ج ١ ص ٢٤٤ ح ١٤٤ و ١٤٥.

وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ (٤٤) وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيراً (٤٥) مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤٦)

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ من رؤيةِ القلبِ، وعُدِّيَ بـ«إلى» لأنَّه بمعنىٰ: ألم تنظُرْ إليهم أو ألم ينتهِ علمُك إليهم ﴿أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أُعطوا حظّاً من علمِ التوراةِ وهم أَحبارُ اليهودِ ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ﴾ يستبدِلونها بالهُدىٰ، وهي البقاءُ على اليهوديَّةِ بعدَ وضوحِ المعجزاتِ الدالَّةِ علىٰ صدقِ محمَّدٍ ﷺ والآياتِ الموضِحةِ عن صحَّةِ نبوَّتِه، وأنَّه النبيُّ العربيُّ المُبَشَّرُ به في التوراةِ والإنجيل ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ﴾ أنتم أيُّها المُؤْمِنون سبيلَ الحقِّ كما ضلُّوه، فكأنَّهم إذا ضلُّوا أحبُّوا أن يَضِلَّ(١) غيرُهم معهم ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِأَعْدَآئِكُمْ﴾ وقد أخبركم بعداوةِ هؤُلاءِ لكم فاحْذَروهم ولاتستشيروهم في أُمورِكم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيّاً﴾ فثِقُوا بولايتِه ونصرتِه ولاتبالوا بهم.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ بيانٌ لـ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ لأنَّهم يهودُ ونَصارىٰ، وتَوَسَّطَتْ بين البيانِ والمبيَّنِ جملٌ(٢) اعتراضيَّةٌ وهي قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ... وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيراً﴾، ويجوز أن يكونَ بياناً لـ«أعدائِكم» أو صلةً لـ﴿نَصِيراً﴾ أي: يَنصُرُكم من الَّذين هادوا كقولِه: ﴿وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾(٣)، ويجوز أن يكونَ كلاماً مبتدأً علىٰ تقديرِ: من الَّذين هادوا قومٌ

(١) في نسخة: يضلُّوا. (٢) في نسخة: جملة.
(٣) الأنبياء: ٧٧.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ يعني: يُميلونه عنها لأنّهم إذا بَدّلوه ووَضَعُوا مكانَه غيرَه فقد أمالوه عن موضِعِهِ الّذي وَضَعَهُ اللهُ فيه وأزالوه عنه كما حرّفوا «أَسْمَرَ رَبْعَة»[1] عن موضعِه في التوراةِ ووَضَعُوا مكانَه «آدمَ طُوال».

﴿وَ﴾ قولهم[2]: ﴿ٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ معناه: اسْمَعْ منّا مدعوّاً عليك بـ«لاسَمِعْتَ» أَو اسْمَعْ غيرَ مُجابٍ إلىٰ ما تَدعو إليه، فيكونُ ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ حالاً من المخاطبِ، ﴿وَرَاعِنَا﴾ مرَّ معناه ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ فَتْلاً بها وتحريفاً، أي: يَفْتِلون بِأَلسنتِهم الحقَّ إلى الباطلِ حيثُ يَضَعُون ﴿رَاعِنَا﴾ موضعَ ﴿ٱنظُرْنَا﴾، و ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ موضعَ «لاأُسْمِعْتَ مَكْرُوهاً» أَو يَفْتِلون بأَلسنتِهم مايُضمرونه من الشتمِ إلىٰ مايُظهِرونه من التوقيرِ نِفاقاً ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ قولكَ ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أَمرَك ﴿وَٱسْمَعْ﴾ منّا ﴿وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ والضميرُ في ﴿لَكَانَ﴾ يرجع إلىٰ ﴿أَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ لأَنَّ المعنىٰ ولو ثبت قولُهم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ لكان قولُهم ذلك ﴿خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ أَي: أَعدلَ وأَسدَّ ﴿وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أَي: أَبْعَدَهم عن رحمتِه ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ أَي: بسببِ كفرِهم ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا﴾ إيماناً ﴿قَلِيلًا﴾ ضعيفاً لا إخلاصَ فيه، أَو إلّا قليلاً منهم قد آمنوا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (٤٧)

أَي: صدِّقوا ﴿بِمَا نَزَّلْنَا﴾هُ من القرآنِ والأَحكامِ علىٰ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا

(١) وهذه إحدىٰ صفات نبيّنا صلى الله عليه وآله المذكورة في التوراة وقد حرّفوها.

(٢) في نسخة: قوله.

مَعَكُم﴾ من التوراةِ ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهاً﴾ أَي: نَمْحُوَ آثارَها وتخطيطَ صورِها من عينٍ وحاجبٍ وأنفٍ ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ فنجعلَها علىٰ هيئَةِ أَدبارِها وهي الأَقفاءُ مطموسةً مثلَها، أَو يريدُ نُنَكِّسَ وجوهاً إِلىٰ خلفٍ وأَقفاءَها إِلىٰ قُدّامٍ، أَو يريدُ بالطمسِ التغيُّرَ وبالوجوهِ الوُجَهاءَ والرؤَساءَ، أَي: من قبلِ أَن نُغيِّرَ أَحوالَ وُجَهائِهم فَنَسْلُبَهم وجاهتَهم وإِقبالَهم ونَكْسُوَهم صَغارَهم وإِدبارَهم[1] ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ الضميرُ يرجعُ إِلىٰ أَصحابِ الوجوهِ أَو الوُجَهاءِ، أَي: نُخزيهم بِالمسخِ ﴿كَمَا﴾ مَسَخْنا ﴿أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ وهذا الوعيدُ لليهودِ كان مَشروطاً بالإِيمانِ، فلمَّا آمن جماعةٌ منهم كعبدِاللهِ بنِ سَلامٍ وثَعْلَبَةَ بنِ سعفةَ[2] ومُخَيْرِيقٍ[3] وغيرِهم رُفِعَ العذابُ عن غيرهم، وقيل: هو منتظرٌ ولابدَّ من طمسٍ ومسخٍ لليهودِ قبلَ يومِ القيامةِ[4] ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللهِ مَفْعُولاً﴾ فلابدَّ أَن يقعَ أَحدُ الأَمرَينِ إِن لم يُؤْمِنوا.

﴿إِنَّ ٱللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْماً عَظِيماً﴾ (٤٨)

هذه الآيةُ أَرجىٰ آيةٍ في القرآنِ[5]؛ لأَنَّ فيها إِدخالَ جميعَ الذنوبِ الَّتي هي دونَ الشركِ الداخلةِ تحتَ عُمومِ قولِه: ﴿مَادُونَ ذَٰلِكَ﴾ في مشيَّةِ الغفرانِ، أَلا ترىٰ

---

(١) راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩، والكشّاف: ج ١ ص ٥١٨ ـ ٥١٩.

(٢) في نسخة: سقفة، وفي مجمع البيان: شعبة.

(٣) في نسخة: مخريق، وفي أُخرىٰ: محيزيق، والصحيح ماأثبتناه في المتن: مُخَيْرِيق النضري صحابيٌّ، كان من علماء اليهود واغنيائهم، أسلم وأوصىٰ بأمواله للنبي، توفّي سنة ٣ هـ. (الاعلام للزركلي: ج ٨ ص ٧٥).

(٤) حكاه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٤٣٩، والزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٥١٩.

(٥) وجاءت الرواية عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «مافي القرآن آية أرجىٰ عندي من هذه الآية». رواها رحمه الله في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٥٧.

أنّه سبحانه نَفَىٰ غفرانَ الشركِ أوّلاً وقد حَصَلَ الإجماعُ علىٰ أنّه سبحانه يَغْفِرُهُ بالتوبةِ ثمَّ أثبت غفرانَ مادونَ الشركِ من المعاصي، فينبغي أن يكونَ المرادُ غفرانَ من لم يَتُبْ منها ليخالِفَ المنفيُّ الْمُثْبَتَ، ثمَّ عَلَّقَ المشيَّةَ بالمغفورِ لهم فقال: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: يَغْفِرُ الذنوبَ الّتي هي دونَ الشركِ لمن يشاءُ أن يَغْفِرَ له من المذنبين ليكونَ العبدُ واقفاً بينَ الخوفِ والرجاءِ خارجاً عن الإغراءِ، إذ الإغراءُ إنّما يحصُلُ بالقطعِ على الغفرانِ دونَ الرجاءِ للغفرانِ المعلَّقِ بالمشيَّةِ.

وقال جارُ اللهِ: إنَّ المَنفِيَّ وَالْمُثْبَتَ في الآيةِ موجَّهان إلىٰ قولِه: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ والمرادُ بالأَوَّلِ: من لم يَتُبْ، وبالثاني: من تاب[1]. وهذا الّذي قاله غايةٌ في الفسادِ والبطلانِ؛ لأنّه يكونُ معنى الآيةِ إذ ذاك أنّه سبحانه لايَغفِرُ الشركَ لمن يشاءُ وهو غيرُ التائِبِ ويَغفِرُ لمن تابَ منه، ويَغفِرُ مادونَ الشركِ لمن يشاء وهو التائِبُ ولايَغفِرُ لمن لم يَتُبْ منه، فيصيرُ المنفيُّ والمُثبَتُ ـ كما ترىٰ ـ سَواءً في الحكمِ والمعنىٰ !! حاشا كلام اللهِ الّذي بَهَرَ العقولَ بفَصاحتِه عن مثلِ هذِهِ النقيصةِ الّتي يُرْبَأُ بكلامِ كلِّ عاقلٍ عنها، علىٰ أنَّ التوبةَ إذا حصلت أَوجَبَتْ عندَه إسقاطَ العقابِ فكيف تعلَّق به[2] المشيَّةُ؟ وهل يستجيزُ عاقلٌ أن يقولَ: أنا أَقْضِي الدَينَ إن شِئْتُ أو لمن شِئْتُ؟ جلَّ ربُّنا عن مثلِه وتَقَدَّسَ، اللّهمَّ لَكَ الحمدُ علىٰ تَأْييدِكَ وتسديدِكَ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ﴾ أي: ارتكب ﴿إِثْماً عَظِيماً﴾ وهو مفترٍ في زعمِه[3] أنَّ العبادةَ يستحقُّها غيرُ اللهِ سبحانه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَايُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٤٩) ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ

---

(١) الكشّاف: ج ١ ص ٥١٩ ـ ٥٢٠.
(٢) في بعض النسخ: بها.
(٣) في بعض النسخ: قوله.

إِثْماً مُّبِيناً﴾ (٥٠)

﴿ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ هم اليهودُ والنّصارى قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُ﴾ [1]، ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [2] ويدخُلُ في الآيةِ كلُّ مَن زَكّىٰ نفسَه ووَصَفَها بزيادةِ الطاعةِ والزلفىٰ عندَاللهِ ﴿بَلِ ٱللهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ إيذانٌ بأَنَّ تزكية اللهِ هي الَّتي يُعْتَدُّ بها دونَ تزكيةِ المرءِ نفسَه؛ لأنّه سبحانَه العالِمُ بمن هو أهلُ التزكيةِ ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ الضميرُ يرجعُ إِلى ﴿ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ أَي: لايُظلَمون في تعذيبِهم علىٰ تزكيتِهم أَنفسَهم مقدارَ فتيلٍ، وهو مايكونُ في شَقِّ النواةِ، أَو يرجِعُ إِلىٰ ﴿مَن يَشَآءُ﴾ أَي: يُثابون ولايُنْقَصُ من ثوابِهم ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللهِ ٱلْكَذِبَ﴾ في زعمِهم أنّهم أَزكياءُ عندَاللهِ ﴿وَكَفَىٰ﴾ بزعمِهم هذا ﴿إِثْماً مُّبِيناً﴾ أَي: بيِّناً ظاهراً من بينِ سائرِ آثامِهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا (٥١) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾ (٥٢)

ٱلْجِبْتُ: كلُّ ماعُبِدَ من دونِ اللهِ، و الطّاغوتُ: الشيطانُ، روِيَ: أَنَّ حيَّ ابنَ أَخْطَبَ وكَعبَ بنَ الأَشرفِ خرجا مع جماعةٍ من اليهودِ إِلىٰ مكّةَ يُحالِفون قريشاً علىٰ مُحارَبةِ رسولِاللهِ ﷺ، فقالَ قريشٌ لهم: أَنتم أَقربُ إِلىٰ محمَّدٍ منكم إِلينا فلا نَأْمَنُ مكرَكم فاسجُدوا لآلهتِنا حتّىٰ نطمئِنَّ إِليكم، ففَعَلوا، فهذا

(١) المائدة: ١٨. (٢) البقرة: ١١١.

إيمانهم ﴿بِالْجِبْتِ وَالطَّٰغُوتِ﴾ لأنَّهم سجدوا للأصنامِ وأطاعوا الشَّيطانَ فيما فَعَلُوا، وقال أبو سفيان: أنحن أهدىٰ سبيلاً أم محمَّدٌ؟ فقال كعبٌ: ماذا يقولُ محمَّدٌ؟ قالوا: يَأْمُرُ بعبادةِ اللهِ وحدَه وينْهَىٰ عن الشركِ، قال: ومادينُكم؟ قالوا: نحنُ ولاةُ البيتِ نَسْقِي الحاجَّ ونَقْرِي الضيفَ ونفكُّ العاني ... وذكَروا أفعالَهم، فقال: أنتم أهدىٰ سَبيلاً[١] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أبْعَدهم اللهُ من رحمتِه وخذَلَهم ﴿وَمَن يَلْعَنِ﴾ ـهُ ﴿ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾ في الدنيا والآخرةِ.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذاً لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيراً (٥٣) أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكاً عَظِيماً (٥٤) فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾ (٥٥)

وصَفَ سبحانه اليهودَ بالبخلِ والحسدِ وهما شرُّ الخِصالِ؛ لأنَّ البخيلَ يَمنَعُ ماأُوتِيَ من النعمةِ، والحاسدَ يَتَمَنَّىٰ أن تكونَ له نعمةُ غيرِه وزوالُها عنه و ﴿أَمْ﴾ هذه منقطعةٌ والهمزةُ لإنكارِ أن يكونَ ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ أي: ولو كانَ لهم نصيبٌ من الملكِ ﴿فَإِذاً لَّا يُؤْتُونَ﴾ أحداً[٢] مقدارَ نقيرٍ، وهو النقرةُ في ظهرِ النواةِ، والمُلْكُ: إمَّا مُلْكُ أهلِ الدنيا وإمَّا مُلْكُ اللهِ كما في قوله: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾[٣]، ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ﴾ بل أيحسدون ﴿ٱلنَّاسَ﴾ يعني: رسولَ اللهِ والمؤمنين ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ من النبوَّةِ والنصرةِ وزيادةِ العزِّ كلَّ يومٍ ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ هذا إلزامٌ لهم بما عرَفُوه من أنَّ اللهَ تعالىٰ آتىٰ آلَ إبراهيمَ الَّذينَ هم أسلافُ محمَّدٍ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾

---

(١) رواها البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٤٤١، والزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٥٢١.
(٢) في نسخة زيادة: من الناس.
(٣) الاسراء: ١٠٠.

وهو التوراةُ والإنـجيلُ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ وهـي مـا أُعْطُوا مـن العـلمِ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾ وهو ملكُ يوسفَ وداودَ وسليمانَ ﴿فَمِنْهُم﴾ أي: من اليهودِ ﴿مَّنْ ءَامَنَ﴾ بما ذُكِرَ من حديثِ آلِ إبراهيم ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ أَنْكَرَه مـع عـلمِه بصحَّتِه، أَو يكونُ المعنىٰ: فمن اليهودِ من آمَنَ برسولِ اللهِ ومنهم من أَنْكَرَ نبوَّتَه، أَو فمِن آلِ إبراهيمَ مَن آمَنَ بإبراهيمَ ومنهم من كَفَرَ كقوله تعالىٰ: ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً (٥٦) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلّاً ظَلِيلاً﴾ (٥٧)

﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾ أي: نُلزِمُهُمْ ﴿نَاراً﴾ ونُلقيهم فيها ونُحرِقُهم بها ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾ أَبْدَلْناهُمْ إيَّاها ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ أَي: لِيَجِدوا أَلَمَ العـذابِ[2] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزاً﴾ لايمتَنِعُ عليه إنجازُ ماوَعدَه أَو تَوَعَّدَ به ﴿حَكِيماً﴾ لايُعَذِّبُ إلَّا مَنْ يَسْتَحِقُّه ﴿لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيضِ والنفاسِ ومن جميعِ الدنايا والأَدناسِ ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلّاً ظَلِيلاً﴾ أَي: دائِماً لاتَنْسَخُهُ الشمسُ، وهو وصفٌ اشتُقَّ من لفظِ الظلِّ كما يُقالُ: يومٌ أَيْوَمُ وليلٌ أَلْيَلُ وداهيةٌ دَهْياءُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعاً

(١) الحديد: ٢٦. (٢) في نسخة: العقاب.

بَصِيراً(٥٨) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٩)

قيل: إنَّ الخطابَ عامٌّ لكلِّ أَحدٍ في كلِّ أَمانةٍ من أَماناتِ اللهِ الَّتي هي أَوامرُهُ ونواهيه، وأَماناتِ عبادِه فيما يَأْتَمِنُ بعضُهم بعضاً فيه[١]، وقيل: الخطابُ لوُلاةِ الأَمرِ أَمَرَهم اللهُ بأَداءِ ﴿ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ﴾ والحكم ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ ثمَّ أَمَرَ الرعيَّةَ في الآيةِ الأُخرىٰ بأَن يَسْمَعُوا لهم ويُطيعوا، ثمَّ أَكَّدَ ذلك بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[٢]، ورُوِيَ عنهم عليهم السلام: أَنَّه أَمر لكلِّ واحدٍ من الأَئِمَّةِ أَن يُسلِّمَ الأَمرَ إِلىٰ وليِّ الأَمر بعدَه، وقالوا: «إنَّ الآية الأُولىٰ لنا والآية الأُخرىٰ لكم»[٣].

وقولُه: ﴿نِعِمَّا﴾ أَي: نِعْمَ شَيْئاً ﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾ فتكونُ «ما» نكرةً منصوبةً موصوفةً بـ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾، أَو نعم الشيءُ الَّذي يَعِظُكُمْ به فتكونُ «ما» مرفوعةً موصولةً والمخصوصُ بالمدحِ محذوفٌ، أَي: نِعِمَّا يَعِظُكم به ذاك وهو المأْمورُ به من أَداءِ الأَماناتِ والحكمِ بالعدلِ[٤].

﴿وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ﴾ هم أُمراءُ الحقِّ وأَئِمَّةُ الهُدى الَّذين يَهْدونَ الخلقَ ويقضونَ بالحقِّ؛ لأَنَّه لايُعْطَفُ على اللهِ ورسولِه في وجوبِ الطاعةِ ولايُقْرَنُ بهما في ذلك إِلَّا مَن هو معصومٌ مأْمونٌ منه القبيحُ أَفضلُ ممَّن أُمِرَ بطاعتِه وأَعلم، ولايأْمُرُنا اللهُ عزَّاسمه بالطاعةِ لمن يَعصيه ولا بالانقيادِ لوالٍ علَّةُ حاجتِنا إِليه موجودةٌ فيه ﴿فَإِن

---

(١) قاله الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٥٢٣.
(٢) قاله زيد بن أسلم ومكحول وشهر بن حوشب، وهو اختيار الجبّائي، وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام. راجع التبيان: ج ٣ ص ٢٣٤.
(٣) التبيان: ج ٣ ص ٢٣٤، وفيه عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام.
(٤) راجع تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٥٢٣.

تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ﴾ أي: فإن اختلفتم في شيءٍ من أُمورِ دينِكم ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أَي: ارجعوا فيه إلى الرسولِ في حياتِه وإلىٰ من أَمرَ بالرجوعِ إليه بعدَ وفاتِه في قولِه: «إنّي تارِكٌ فيكُمُ الثقلَيْنِ ما إن تَمَسَّكْتُمْ بهما لَنْ تَضِلُّوا: كتابَ اللهِ وعِتْرَتِي ـ أَهلَ بَيْتي ـ وإنّهما لَن يَفْتَرِقا حتَّى يَرِدا علَيَّ الحوضَ»[1]، فقد صرَّح عليه السلام أنَّ في التمسُّكِ بهما الأَمانَ من الضلالِ، فالردُّ إلىٰ أَهلِ بيتِه العترةِ الملازِمةِ كتابَ اللهِ الغيرِ المخالِفةِ له بعدَ وفاتِه مثل الردِّ إليه صلى الله عليه وآله في حياتِه؛ لأَنَّهم الحافظون لشريعتِه القائمون مقامَه في أُمَّتِه، فَثَبتَ أَنَّ ﴿أُوْلِى ٱلْأَمْرِ﴾ هم الأَئِمَّةُ عليهم السلام من آلِ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الردِّ إلَى اللهِ والرسولِ ﴿خَيْرٌ﴾ لَكم ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أَي: وأَحمد عاقبةً.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيداً (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ

(١) تواتر هذا الحديث في كتب المسلمين وخاصةً عن طرق العامة، اليك بعضها: الخصائص للنسائي: ص ٢١، مصابيح السنّة للبغوي: ج ٤ ص ١٨٥ ح ٤٨٠٠ و ص ١٩٠ ح ٤٨١٦، تهذيب تاريخ ابن عساكر: ج ٢ ص ٣٦ ح ٥٣٦ و ص ٤٦ ح ٥٤٧، مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١٤٨ و ج ٥ ص ١٨٢ و ١٨٩، فضائل الصحابة: ج ٢ ص ٦٠٣ ح ١٠٣٥ و ص ١٨٧٣ ح ٢٤٠٨ بعدّة طرق، رياض الصالحين للنووي: ص ١٤١ و ٢٥٥، الصواعق المحرقة لابن حجر العسقلاني: باب ١١ فصل ١ ص ١٤٩، مجمع الزوائد للهيثمي: ج ٩ ص ١٦٣ ـ ١٦٤، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٣٦، الجامع الصغير للسيوطي: ج ١ ص ٢٤٤ ح ١٦٠٨، العقد الفريد لابن عبدربّه: ج ٤ ص ١٢٦، تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١١٢، ذخائر العقبىٰ: ص ١٦، الخصائص الكبرىٰ للسيوطي: ج ٢ ص ٤٦٦، الدر المنثور: عند قوله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ آية: ١٠٣ من آل عمران، تفسير الرازي: ج ٨ ص ١٦٣، تفسير ابن كثير: ج ٤ ص ١٢٢ من سورة الشورى.

أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً﴾ (٦١)

كان بين رجلٍ من المنافقينَ وبينَ رجلٍ من اليهودِ خصومةٌ، فقال اليـهوديُّ: أُحاكِمُ إلىٰ محمّدٍ لأنّه علِمَ أنّه لا يَقْبَلُ الرّشوةَ، وقال المنافقُ: بل بيني وبينَكَ كعبُ ابنُ الأشرفِ فنزَلَت(١). سمّى اللهُ كعبَ بنَ الأشرفِ طاغوتاً لإفراطِه في الطغيانِ وفي عَداوةِ رسولِ اللهِ عليه السلام، أو على التشبيهِ بالشيطانِ والتسميةِ باسمِه، أو جَعَلَ سبحانه اختيارَ التحاكُم إليه على التحاكُم إلىٰ رَسولِ اللهِ تَحاكُماً إلى الشيطانِ بدليلِ قوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلاً بَعِيداً﴾.

﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰناً وَتَوْفِيقاً (٦٢) أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾ (٦٣)

﴿فَكَيْفَ﴾ يكونُ حالُهم ﴿إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ أي: نالَتْهم من اللهِ تعالىٰ عقوبةٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من التحاكم إلىٰ غيرك وإظهارِ السخَطِ لحكمِك ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ فيعتذرون إليك و ﴿يَحْلِفُونَ﴾ ما ﴿أَرَدْنَآ﴾ بالتحاكمِ إلىٰ غيرِك ﴿إِلَّآ إِحْسَـٰناً﴾ وهو التخفيفُ عنك ﴿وَتَوْفِيقاً﴾ بين الخصمين بالتوسُّطِ، ولم نُرِدِ المخالفةَ لك والتسخُّطَ لحكمِك ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من الشركِ والنفاقِ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تعاقِبْهم لمصلحةٍ في استبقائِهم ﴿وَعِظْهُمْ﴾ بلسانِك ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾ يبلغُ من نفوسِهم كلَّ مبلغٍ، أي: خوِّفهم بالقتلِ والاستئصالِ إن نَجَمَ منهم النفاقُ، ويجوزُ أن يكونَ المعنىٰ: وقل لهم في أنفسهم خالياً بهم ليس معهم غيرُهم قولاً بليغاً يبلُغُ منهم ويُؤَثِّرُ فيهم فإنَّ النصيحةَ في

---

(١) راجع أسباب النزول للواحدي: ص ١٣٤ عن الشعبي، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٤٤٦.

السرِّ أنجعُ[١].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ ٱللهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللهَ تَوَّاباً رَّحِيماً (٦٤) فَلَا وَرَبِّكَ لَايُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَايَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ (٦٥)

أَي: ولم نُرسِلْ رسولاً من رُسُلِنا قطُّ ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللهِ﴾ أَي: بسببِ إذنِ اللهِ في طاعتِه وبأَنَّه أَمَرَ المبعوثَ إليهم بأَن يُطيعوه ويَتَّبِعوه لأَنَّه مؤَدٍّ عن الله، فطاعتُه طاعةُ اللهِ ومعصيتُه معصيةُ اللهِ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالتحاكمِ إلى الطاغوتِ ﴿جَآءُوكَ﴾ تائِبين ممَّا ارتكبوه ﴿فَاسْتَغْفَرُواْ ٱللهَ﴾ من ذلك بالإخلاصِ ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ ولم يقل: «وَاسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ» لكنَّه عَدَلَ عنه إلىٰ طريقةِ الالتفاتِ تفخيماً لشأنِ الرسولِ صلى الله عليه وآله وتعظيماً لاستغفاره وتنبيهاً علىٰ أَنَّ شفاعةَ مَن اسمُهُ الرسولُ من اللهِ بمكانٍ ﴿لَوَجَدُواْ ٱللهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ لَعَلِمُوهُ تَوَّاباً، أَي: لتابَ عليهم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ معناه: فوربِّك، و ﴿لَا﴾ مزيدةٌ لتأْكيدِ معنى القسمِ كما زيدت في ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾[٢] لتأْكيدِ وجوبِ[٣] العلمِ، و ﴿لَايُؤْمِنُونَ﴾ جوابُ القسمِ ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ فيما اخْتُلِف بينَهم ومنه الشجرُ لتَداخلِ أَجزائِه ﴿ثُمَّ لَايَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجاً﴾ أَي: ضيقاً، أَي: لا يضيق صدورُهم من حكمِك، وقيل: شكّاً[٤]، لأَنَّ الشاكَّ في ضيقٍ من أَمرِه ﴿وَيُسَلِّمُواْ﴾ أَي: وينقادوا ويُذعِنُوا لقضائِك من قولِك: سَلِّمْ لأَمْرِ اللهِ وأَسْلِمْ له ﴿تَسْلِيماً﴾ تأْكيدٌ للفعلِ بمنزلةِ تكريرِه.

---

(١) راجع تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٥٢٧.
(٢) الحديد: ٢٩. (٣) في نسخة زيادة: معنىٰ.
(٤) قاله مجاهد. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٥٠٣.

قيل: نَزَلَتْ في شأنِ الزبَيْرِ (١) وحاطبِ بن أَبي بَلْتَعَةَ (٢)، فإنَّهما اختصما إلىٰ رسولِاللهِ صلى الله عليه وآله في شِراجٍ (٣) من الحَرَّةِ كانا يسقيان بها النخلَ، فقالَ رسولُاللهِ صلى الله عليه وآله: «اسْقِ يازُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْماءَ إلىٰ جارِكَ» فَغَضِبَ حاطبٌ وقال: لأَن كانَ ابنَ عَمَّتِكَ، فَتَغَيَّرَ وجهُ رسولِاللهِ صلى الله عليه وآله ثمَّ قال: «اسْقِ يازُبَيْرُ ثُمَّ احْبِسِ الماءَ حتّىٰ يرجِعَ إلى الجدرِ واستوفِ حقَّك ثمَّ أَرْسِلْه إلىٰ جارِك» (٤) كان قد أَشارَ على الزُّبَيْرِ برأيٍ فيه السعةُ له ولخصمِهِ، فلمَّا أَحْفَظَ رسولَاللهِ استوْعَبَ للزبيرِ حقَّه في صريحِ الحكمِ.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً (٦٦) وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾ (٦٨)

أَي: ﴿وَلَوْ﴾ أَوجبنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ مثلَ ماأَوجبنا علىٰ بني إسرائِيلَ من قتلِهم أَنفسَهم ﴿أَوِ﴾ خروجِهم ﴿مِن﴾ ديارِهم ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا﴾ ناسٌ ﴿قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ وهذا

---

(١) هو الزبير بن العوّام بن خويلد الأسدي القرشي، أُمّه صفيّة عمّة رسولالله صلى الله عليه وآله، أسلم وله ١٢ سنة، شهد بدراً وأُحداً، وكان من أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام ثم نكث بيعته وخرج عليه مع طلحة وعائشة يوم الجمل، وقد قُتل فيها، قتله ابن جرموز غيلةً بوادي السباع قرب البصرة. (تهذيب التهذيب: ج ٣ ص ٣١٨، الأعلام للزركلي: ج ٣ ص ٤٣، معجم رجال الحديث للخوئي: ج ٧ ص ٢١٦).

(٢) هو حاطب بن عمرو بن عمير اللخمي، وكان حليفاً للزبير بن العوّام، وكان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية، وهو الذي أرسله النبي صلى الله عليه وآله الى المقوقس ملك الاسكندرية، توفّي في خلافة عثمان سنة ثلاثين للهجرة. (أُسد الغابة: ج ١ ص ٣٦٠، الاصابة في تمييز الصحابة: ج ١ ص ٣٠٠).

(٣) الشرج: مسيل الماء من الحرّة إلى السهل، والجمع شراج وشروج. (الصحاح: مادة شرج).

(٤) قاله عبدالله بن الزبير وعروة وأم سلمة، وذهب إليه عمر بن شبّة والواقدي وروي عن الباقر عليه السلام. راجع التبيان: ج ٣ ص ٢٤٥، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ٥٠٣.

توبيخٌ[١] بليغٌ، والرفعُ على البدلِ من الواوِ في ﴿فَعَلُوهُ﴾، وقُرِئَ: «إلَّا قليلاً» بالنصبِ[٢] علىٰ أَصلِ الاستثناءِ أو علىٰ: إلَّا فعلاً قليلاً ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من اتِّباعِ رسولِ اللهِ ﷺ والانقيادِ له والرضا بحكمِه ﴿لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾ عاجِلاً وآجِلاً ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً﴾ لإيمانِهم ﴿وَإِذاً﴾ جوابٌ لسؤالٍ مقدَّرٍ، كأنَّه قيل: وماذا يكونُ لهم أيضاً بعدَ التثبيتِ؟ فقيلَ: وإذاً لو ثبتوا ﴿لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً﴾ لأنَّ «إذاً» جوابٌ وجزاءٌ ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ﴾ أي: وَفَّقْناهم لازديادِ الخيراتِ.

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقاً (٦٩) ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيماً﴾ (٧٠)

رَغَّبَ اللهُ المؤمنينَ في طاعةِ اللهِ ورسولِه حيثُ وَعَدَهم مرافقةَ ﴿النَّبِيِّينَ﴾ في أعلىٰ علِّيِّين ﴿وَالصِّدِّيقِينَ﴾ الَّذينَ صدقوا في أقوالِهم وأفعالِهم ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ المقتولين في الجهادِ ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ الَّذين صَلُحَتْ حالُهم[٣] واستقامَتْ طريقتُهم ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقاً﴾ فيه معنى التعجُّبِ، كأنَّه قيل: وَما أَحْسَنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقاً! والرفيقُ كالصديقِ والخليطِ في استواءِ الواحدِ والجمعِ فيه، ويجوزُ أن يكونَ مفرداً بُيِّنَ[٤] به الجنسُ في بابِ التمييزِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ و ﴿الْفَضْلُ﴾ صفتُه و ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ الخبرُ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ خبرَ المبتدأ والمعنىٰ: أنَّ ما أُعْطِيَ

(١) في نسخة زيادة: لهم.

(٢) قرأه أُبَي وابن أبي اسحاق وعيسىٰ بن عمر وابن عامر. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٧٧، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٨٤، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ٢٨٥، وفي التبيان: ج ٣ ص ٢٤٦: وكذلك هو في مصاحف أهل الشام.

(٣) في بعض النسخ: حالتهم.

(٤) في نسخة: يبيّن.

المُطيعون من الأَجرِ العظيمِ ومُرافَقَةِ أَقربِ عبادِ اللهِ إِلى اللهِ تفضُّلٌ عليهم مـن اللهِ تبعاً لثوابِهم[١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعاً (٧١) وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً (٧٢) وَلَئِنْ أَصَـٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (٧٣)

الحِذْرُ والحَذَرُ بمعنىً، يقال: أَخَذَ حِذْرَه: إذا تَيَقَّظَ وتَحَفَّظَ من المَخوفِ، كأَنَّه جَعَلَ الحِذْرَ آلَتَه الَّتي يَحْفَظُ بها نفسَه، أَي: احذَروا واحترِزوا من العـدوِّ، وعـن الباقرعليه‌السلام: «خُذُوا أَسْلِحَتَكُمْ»[٢] فَسَمَّى الأَسلِحَةَ حِذْراً لأَنَّ بها يُتَّقَىٰ المـحذورُ ﴿فَانْفِرُواْ﴾ إِلىٰ قتالِ عدوِّكم، أَي: اخرجُوا إِلى الجهادِ إِمَّا ﴿ثُبَاتٍ﴾ أَي: جماعاتٍ متفرِّقةٍ وإِمَّا ﴿جَمِيعاً﴾ مجتمعينَ كوكبةً[٣] واحدةً ولا تَتَخاذَلوا، واللامُ في ﴿لَمَن﴾ للابتداءِ، وفي ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ جوابُ قسمٍ محذوفٍ تقديرُه: وإِنَّ مِنكم لَمَن أُقْسِمُ باللهِ لَيُبَطِّئَنَّ، والقسمُ وجوابُه صلةُ «مَن»، والخطابُ لعَسْكرِ النبيِّ صلى‌الله‌عليه‌وآله، والمبطِّئُون هم المنافقون، ومعنىٰ ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾: لَيَتَثَاقَلَنَّ ولَيَتَخَلَّفَنَّ عن الجهادِ، وبَطَّأَ بمعنىٰ أَبْـطَأَ، ويقال: مابَطَّأَ بك[٤] أَي: أَخَّرَكَ عنَّا، والتبطِئَةُ: التأَخُّرُ عن الأَمرِ فَيُعَدّىٰ[٥] بالباءِ، ويجوزُ أَن يكونَ منقولاً من بَطُوءَ فيكونُ المعنىٰ: لَيُبَطِّئَنَّ غيرَه ولَيُثَبِّطَنَّه عن الغزوِ، ﴿فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ من قتلٍ أَو هزيمةٍ ﴿قَالَ﴾ قولَ الشامتِ: ﴿قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ

(١) راجع تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٥٣١.
(٢) التبيان: ج ٣ ص ٢٥٣.
(٣) الكوكبة: الجماعة. (القاموس المحيط: مادة كوكب).
(٤) في نسخة زيادة: فتعدّىٰ بالباء.
(٥) في نسخة: فيتعدّىٰ.

عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً﴾ أي: حاضراً في القتالِ فكان يصيبُني ماأَصابَهم، و إِنْ ﴿أَصَـٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللهِ﴾ من فتحٍ أَو غنيمةٍ ﴿لَيَقُولَنَّ ... يَـٰلَيْتَنِى﴾، وقـوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ اعتراضٌ بينَ الفعلِ الَّذي هو ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ وبينَ مفعولِهِ الَّذي هو ﴿يَـٰلَيْتَنِى﴾ يعني: كأَن لم يَتَقَدَّمْ له معكم مَـوَدَّةٌ ﴿فَأَفُـوزَ فَـوْزاً عَظِيماً﴾ أَي: أُصيبَ غنيمةً وآخُذَ حظّاً وافراً منها.

﴿فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَـن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَـوْفَ نُـؤْتِيهِ أَجْراً عَـظِيماً (٧٤) وَمَالَكُمْ لَاتُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللهِ وَٱلْـمُسْتَضْعَفِينَ مِـنَ ٱلرِّجَـالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْـقَرْيَةِ ٱلظَّـالِمِ أَهْـلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً﴾ (٧٥)

﴿يَشْرُونَ﴾ أَي: يبيعون الحياةَ الفانيةَ بالحياةِ الباقيةِ ويَسْتَبْدِلونَها بها، ثمَّ وعَدَ المقاتلَ ﴿فِى سَبِيلِ ٱللهِ﴾ ظافراً أَو مظفوراً بـه إِيـتاءَ الأَجـرِ العـظيمِ ﴿وَمَـالَكُمْ لَاتُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللهِ﴾ أَي: أَيُّ عذرٍ لكم في تركِ القتالِ مع اجتماعِ الأَسبابِ الموجبةِ للـقتالِ ﴿فِـى سَـبِيلِ ٱللهِ﴾ فـي طـاعتِه وإِعـزازِ ديـنِه وإِعـلاءِ كـلمتِه ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أَن يكونَ مجروراً عطفاً عـلىٰ ﴿سَـبِيلِ ٱللهِ﴾ أَي: في سـبيلِ اللهِ وفـي خـلاصِ المُسْـتَضْعَفِينَ، والثـاني: مـنصوباً عـلى الاختصاصِ بمعنىٰ: وأَخْتَصُّ من[1] سبيلِ اللهِ خلاصَ الْمُسْتَضْعَفِينَ؛ لأَنَّ سبيلَ اللهِ عامٌّ في كلِّ خيرٍ، وخلاصُ المُسْتَضْعَفِينَ من الْمؤْمنينَ من أَيدِي الكفَّارِ من أَعْظمِ الخيراتِ وأَخصِّ القُربُاتِ، والمُسْـتَضْعفونَ هـم الـذين أَسْـلَموا بـمكَّةَ وصَدَّهم

(١) في بعض النسخ: في.

المشركون عن الهجرةِ فَبَقُوا بينَ أَظْهُرِهم يَلْقَوْن منهم الأذىٰ، فكانوا يَدْعُونَ اللهَ بالخلاصِ وَيَسْتَنْصِرُونَه، فَيَسَّرَ اللهُ لبعضِهم الخروجَ إلى المدينةِ وبَقِيَ بَعضُهم إلى الفتحِ حتَّى جَعَلَ اللهُ لهم من لَدُنه خيرَ وليٍّ وخيرَ ناصرٍ وهو محمَّدٌ صلّى الله عليه وآله، فتولّاهم أَحْسَنَ التولّي ونَصَرَهم أعزَّ النصرِ، وكانوا قد أشركوا صِبيانَهم في دعائِهم استنزالاً لرحمةِ اللهِ بدعاءِ صِغارهم الَّذين لم يُذْنِبوا كما وردت السنَّةُ بإخراجِهم في الاستسقاءِ[١]، وعن ابنِ عبَّاسٍ: كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِن الْمُسْتَضْعَفِينَ من النساءِ والوِلدانِ[٢]. وَذَكَّرَ الظالمَ وإن كانَ وصفاً للقريةِ لأَنَّه مُسْنَدٌ إلىٰ أهلِها فأُعطِيَ إعرابَ القريةِ لأنَّه صفتُها، وذُكِّرَ لإسنادِه إلى الأَهلِ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (٧٦)

هذا ترغيبٌ للمؤْمنين وإخبارٌ بأَنَّهم أولياءُ اللهِ واللهَ ناصرُهم، وأَعداءَهم ﴿يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ﴾ الشيطانِ، فلا وليَّ لهم إلَّا الشيطانُ، و ﴿كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ للمؤْمنين ضعيفٌ وأَوهَنُ في جنبِ كيدِ اللهِ للكافرينَ. ودَخَلَ ﴿كَانَ﴾ هنا ليَدُلَّ علىٰ أَنَّ الضعفَ لازمٌ لكيدِ الشيطانِ في جميعِ الأَحوالِ والأَوقاتِ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ

---

(١) راجع المبسوط للشيخ الطوسي: ج ١ ص ١٣٥ في ذكر صلاة الاستسقاء، والسرائر للحلّي: ج ١ باب صلاة الاستسقاء ص ٣٢٥، والمجموع للنووي: ج ٥ ص ٧٢، وفي الحاوي الكبير للماوردي مالفظه: قال الشافعي: وأُحبّ أن تخرج الصبيان ويتنظّفوا للاستسقاء... قال الماوردي: لما روي عن النبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «لولا مشايخ ركّع وأطفال رضّع وبهائم رتّع لصبّ عليكم العذاب صبّاً» ولأنّ الصبيان أحقّ بالرحمة، وأقرب إلىٰ إجابة الدعوة، وقلّة ذنوبهم.

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٥٣٤.

ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٧٧)

﴿كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾ أي: كُفُّوها عن القتالِ، وكان المسلمون بمكَّةَ مكفوفين عن قتالِ الكفَّارِ وكانوا يتَمَنَّوْنَ أَنْ يُؤْذَنَ لهم فيه ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾ بالمدينةِ كَرِهَ فريقٌ منهم ذلك خوفاً من القتلِ والإخطارِ بالروح ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ إضافةٌ للمصدرِ إلى المفعولِ ومحلُّ الكافِ النصبُ على الحالِ من الضميرِ في ﴿يَخْشَوْنَ﴾ أي: يخشَوْن الناسَ مثلَ أَهلِ خشيةِ اللهِ، بمعنىٰ مُشبِهين لأَهلِ خشيةِ اللهِ ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ من أَهلِ خشيةِ اللهِ، وليس التقديرُ: يَخْشَوْنَ خشيةً مثلَ خشيةِ اللهِ؛ لأَنَّ ﴿أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ معطوفٌ عليه، ولا تقولُ: خَشِيَ فلانٌ أَشَدَّ خَشْيَةً فتَنْصِبَ ﴿خَشْيَةً﴾ وأَنت تُريدُ المصدرَ، وإنَّما تقولُ: أَشَدَّ خَشْيَةٍ بالجرِّ، وإذا نَصَبْتَها كان أَشدَّ حالاً من الفاعلِ ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ استمهالٌ إِلىٰ وقتٍ آخَرَ فأَعْلَمَهم سبحانه أَنَّ مايُسْتَمْتَعُ بِه من منافعِ ﴿ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي: لاتُبْخَسُونَ أدنىٰ شيءٍ من أُجورِكم علىٰ مشاقِّ المقاتَلَةِ فلا تَرْغَبُوا عنها.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً (٧٨) مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً﴾ (٧٩)

﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ﴾ من الأَماكنِ يَلْحَقْكُم ﴿ٱلْمَوْتُ وَ﴾ إن ﴿كُنتُمْ فِى﴾ قصورٍ ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾ مجصَّصةٍ أو مطوَّلةٍ في ارتفاعٍ، وقيل: في بروجِ السماءِ[١]. والحسنةُ تَقعُ على النعمةِ والطاعةِ، والسيِّئةُ تَقعُ على البَليَّةِ والمعصيةِ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَبَلَوْنَـٰهُمْ بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٢]، المعنىٰ: وإن تُصِبْهم نعمةٌ من خِصبٍ ورَخاءٍ نَسبُوها إلى اللهِ، وإن تُصِبْهم بليّةٌ مِن جَدبٍ وقحطٍ نَسبُوها إليك وقالوا: هي ﴿مِنْ عِندِكَ﴾ وبشُؤْمِكَ[٣] كما حُكِيَ عن قومِ موسىٰ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾[٤]، وعن قومِ صالح: ﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾[٥]، وإنَّما قالَه اليهودُ والمنافقون فَرَدَّ اللهُ عليهم ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يَبْسُطُ الأَرزاقَ ويَقْبِضُها يَبْتَلِي بذلك عبادَه ﴿فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ فيعلموا أَنَّ اللهَ هو الباسطُ والقابضُ، وأَفعالَه كلَّها صادرةٌ عن حكمةٍ وصوابٍ.

ثمَّ قال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ ياإنسانُ خطاباً عامّاً ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ من نعمةٍ وإحسانٍ ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ تَفضُّلاً منه وامتناناً وامتحاناً ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ أي: بليَّةٍ ومصيبةٍ ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ لأنَّك السببُ فيها بِمَا اكتسبتَ من الذنوبِ، ومثلُه ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[٦]، ﴿وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ﴾ جَميعاً ﴿رَسُولًا﴾ لَسْتَ برسولٍ للعربِ وحدَهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ علىٰ ذلك فما ينبغي لأَحدٍ أَن يَخرُجَ عن طاعتِك.

﴿مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ

(١) قاله السدي، وحكىٰ هذا القول مكي عن مالك وعن ابن العربي. راجع تفسير القرطبي: ج ٥ ص ٢٨٣.
(٢) الأعراف: ١٦٨.
(٣) في نسخة: لشؤمك.
(٤) الأعراف: ١٣١.
(٥) النمل: ٤٧.
(٦) الشورىٰ: ٣٠.

حَفِيظاً (٨٠) وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَايُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٨١)

﴿مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ لأنَّه إنَّما يَأْمُرُ بما أَمَرَ اللهُ سبحانه به ويَنْهَىٰ عمَّا نَهَى اللهُ سبحانه عنه، فكانت طاعتُه في امتثالِ ماأَمَرَ به والانتهاءِ عمَّا نَهىٰ عنه طاعةَ اللهِ ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ أي: أَعْرَضَ ولم يُطِعْ ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ بل نذيراً، إن عليك إلَّا البلاغُ وما عليك أَن تَحْفَظَ عليهم أعمالَهم وتحاسِبَهم عليها وتعاقِبَهم ﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا أمرتَهم بشيءٍ: ﴿طَاعَةٌ﴾ أي: أَمرُنا وشأنُنا طاعةٌ، كأَنَّهم قالوا: قابَلْنا أَمْرَكَ بالطاعةِ ﴿فَإِذَا بَرَزُواْ﴾ أي: خرجوا ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ﴾ أَي: دبَّرَ طائفةٌ منهم ليلاً ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ أي: خلافَ ماقلتَ وأَمرتَ به أَو خلافَ ماقالت وماضَمِنَت من الطاعةِ؛ لأَنَّهم نافَقُوا بما قالوا وأَبْطَنُوا خلافَ ماأَظهروا، والتبييتُ: إمَّا من البيتوتةِ لأَنَّها تدبيرُ الأَمرِ بالليلِ، يقال: هذا أَمرٌ بُيِّتَ بليلٍ، وإمَّا من أَبياتِ الشعرِ لأَنَّ الشاعرَ يُدبِّرُها ويُسَوِّيها ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَايُبَيِّتُونَ﴾ أَي: يُثْبِتُه في صحائِفِ أَعمالِهم، وهذا وعيدٌ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وأبقِ عليهم إلىٰ أَن يَستَقِرَّ أَمرُ الإِسلامِ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في شأْنِهم فإنَّ اللهَ يَنْتَقِمُ لك منهم.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفاً كَثِيراً (٨٢) وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٣)

التدبُّرُ: النظرُ في أَدبارِ الأُمورِ وتأَمُّلُها، ثمَّ اسْتُعْمِلَ في كلِّ تأَمُّلٍ، ومعنىٰ تدبُّرِ

القرآنِ: تأَمُّلُ معانيه ﴿لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَـٰفاً كَثِيراً﴾ لكان الكثيرُ منه مختلفاً متناقِضاً متفاوتاً نظمُه ومعانيه، فكان بعضُه مُعْجِزاً وبعضُه غَيْرَ مُعْجِزٍ يُمكن معارضتُه وبعضه إخباراً لايُوافِقُ الْمُخْبَرَ عنه، فلمَّا تَنَاسَبَ كلُّه فصاحةً فـاقت[١] قُـوى الفُـصحاءِ وصحَّةَ معانٍ وصدقَ أَخبارٍ عُلِمَ أَنَّه ليس إلَّا من جهةِ اللهِ تعالىٰ ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ﴾ يعني: ناساً من المنافقين، أَو من ضَعَفَةِ المسلمين كانوا إذا بَلَغهم خبرٌ عن سرايا رسولِ اللهِ من أمنٍ وسلامةٍ أَو خـوفٍ وضـررٍ ﴿أَذَاعُـواْ بِـهِ﴾ وكـانت إذاعتُهم مَفْسَدَةً، وقيل: كانوا إذا وَقَفُوا من رسولِ اللهِ وأُولِي الأَمْرِ علىٰ أَمـنٍ أَي: وثوقٍ بالظفرِ على الأَعداءِ أَو خوفٍ منهم أَذاعوه[٢] ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ﴾ يعني: رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله ﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِى الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ قـيل: هـم أَهـلُ العـلمِ والفـقهِ الملازِمون للنبيِّ عليه السلام[٣]، وقيل: هم أُمَراءُ السرايا والولاةُ[٤]، وقـال البـاقر عليه السلام: «هم الأَئِمَّةُ المعصومون»[٥] ﴿لَعَلِمَهُ﴾ أَي: لَعَلِمَ صحَّتَه ﴿الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ من الرسـولِ وأُولي الأَمـرِ، ولعـرفوا هـل هـو مـمَّا يُـذاعُ أَو لايُـذاعُ، ومـعنىٰ ﴿يَسْتَنبِطُونَهُ﴾: يَتلقَّونه منهم ويستخرجون علمَه من جهتِهم، وعلىٰ هذا فـالَّذين يستنبطونه هم الَّذين أَذاعوا به، وقيل: معناه لَعَلِمَ الَّذين يَستنبِطون تـدبيرَه كـيف يدبِّرونه[٦]. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بإرسالِ الرسولِ وإنزالِ الكتاب،

(١) في بعض النسخ: فاتت.
(٢) قاله ابن عبّاس والحسن وقتادة وابن جريج. راجع التبيان: ج ٣ ص ٢٧٢.
(٣) قاله الحسن وقتادة وابن جريج وابن أبي نجيح والزجّاج. راجع التبيان: ج ٣ ص ٢٧٣، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ٥١١.
(٤) وهو قول ابن زيد والسدي وأبي علي. راجع التبيان: ج ٣ ص ٢٧٣.
(٥) العياشي: ج ١ ص ٢٦٠ ح ٢٠٥، التبيان: ج ٣ ص ٢٧٣.
(٦) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٥٤١.

وعنهم عليهم السلام: «فضلُ اللهِ ورحمتُه النبيُّ وعليٌّ عليهما السلام»[١] ﴿لَاتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ فيما يُلقى إليكم من الوساوس الموجبةِ لضعفِ اليقينِ[٢] والبصيرةِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منكم وهم أهلُ البصائرِ النافذةِ وذوو الصدقِ واليقينِ.

﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَاتُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا (٨٤) مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ (٨٥)

لمَّا تقدَّم في الآي قبلَها تثبُّطُهم عن القتالِ قال: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إن أَفْرَدُوك وتَرَكُوكَ وحدَك ﴿لَاتُكَلَّفُ﴾ غير ﴿نَفْسَكَ﴾ وحدَها أن تُقدِّمَها إلى الجهادِ فإنَّ اللهَ سبحانه هو ناصرُك لاجنودُك، فإن شاءَ نَصَرَكَ وحدَك كما يَنْصُرُك وحولَك الجنودُ، ورُوِيَ: أنَّ أبا سفيانَ يومَ أُحُدٍ لمَّا رَجَعَ واعدَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله موسمَ بدرٍ الصغرىٰ فكَرِهَ الناسُ وتَثاقلوا حينَ بَلَغَ الميعادُ فنزلَتْ، فَخَرَجَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وما معه إلَّا سبعون، ولو لم يَتَّبِعْه أحدٌ لخَرَجَ وحدَه[٣]، ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وماعليك في شأنِهم إلَّا التحريضُ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وهم قريشٌ، وقد كفَّ بَأْسَهم بأَن بدا لأَبي سفيانَ وقال: هذا عامٌ مُجْدِبٌ، فانصرف النبيُّ عليه السلام بمن[٤] معه سالمين[٥] ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ من قريش ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ تعذيباً.

---

(١) رواه العياشي في تفسيره: ج ١ ص ٢٦١ ح ٢٠٨ عن أبي الحسن عليه السلام، وعنه تفسير البرهان: ج ١ ص ٣٩٨، والبحار: ج ٩ ص ٨١.

(٢) في نسخة: النفس.

(٣) رواه السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٣٧٢، والبغوي: ج ١ ص ٤٥٧، والقرطبي: ج ٥ ص ٢٩٣.

(٤) في بعض النسخ: وَمَن.

(٥) راجع الكشّاف للزمخشري: ج ١ ص ٥٤٢.

الشفاعةُ الْحَسَنَةَ هي الَّتي يُدْفَعُ بها شرٌّ عن مُسلمٍ وابْتُغِيَ بها وجهُ اللهِ، والسيِّئَةُ ماكان بخلافِ ذلك، وقيل: الشفاعةُ الحسنةُ: الدعوةُ للمسلمِ لأنَّها في معنى الشفاعةِ إلى اللهِ[١]، وفي الحديث: «مَنْ دَعا لأَخِيهِ الْمُسْلِمِ بظهرِ الغيبِ أُستجيبَ له وقالَ له المَلَكُ: ولكَ مِثلاه فذلك النصيبُ، والدعوةُ على المسلم بضدِّ ذلِكَ»[٢]، وأَصلُ الشفاعةِ من الشفعِ الَّذي هو ضدُّ الْوَتْرِ، فإنَّ الرجلَ إذا شَفَعَ لصاحبِه فقد شَفَعَه أَي: صار ثانيَه، والكفلُ: النصيبُ أَيضاً فكأَنَّه النصيبُ من الشرِّ، والْمُقِيتُ: الحفيظُ الَّذي يُعْطِي الشيءَ علىٰ قدرِ الحاجةِ، وقيل: هو المقتدرُ[٣].

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً (٨٦) ٱللهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللهِ حَدِيثاً﴾ (٨٧)

أَمَرَ سبحانه بردِّ السلامِ على المسلمِ ﴿بِأَحْسَنَ﴾ ممَّا سَلَّم وهو أَن يقول: «وَعَلَيْكُمُ السلامُ وَرَحْمَةُ اللهِ» إذا قال: «السلامُ عَلَيْكُمْ»، وأَن يَزِيدَ «وبَرَكاتُهُ» إذا قالَ: «السلامُ عليْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ»، ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ أَو أَجيبوها بمثلِها، وردُّ السلامِ: رَجْعُ جوابِه بمثلِه، وجوابُ التسليمِ واجبٌ، والتخييرُ إنَّما وَقَعَ بينَ الزيادةِ وتركِها، وعن النبيِّ ﷺ: «إذا سَلَّمَ عليكم أَهلُ الكتابِ فَقُولُوا: وعَلَيْكُمْ»[٤] أَي: وعليكم ماقُلْتُمْ لأَنَّهم كانوا يَقُولُون: السامُ عَلَيْكُمْ، والسامُ: الموتُ، والحسيبُ:

---

(١) قاله أبو علي. راجع التبيان: ج ٣ ص ٢٧٦.

(٢) صحيح مسلم: ج ٤ ص ٢٠٩٤ كتاب الذكر ح ٢٧٣٢.

(٣) قاله السدي وابن زيد. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٥١٢.

(٤) سنن ابن ماجة: ج ٢ ص ١٢١٩ ح ٣٦٩٧، المصنّف لابن أبي شيبة: ج ٨ ص ٤٤٢، فتح الباري لابن حجر: ج ١١ ص ٤٣.

المحاسِبُ[١] الحفيظ، و ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إمَّا خبرُ المبتدأ وإمَّا اعتراضٌ والخبرُ ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ أي: ليحشُرنَّكم ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ وهو يومُ قيامِهم من القبورِ أو قيامِهم للحساب ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثاً﴾ أي: موعِداً لا خلفَ لوعدِه.

﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨) وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً﴾ (٨٩)

﴿فِئَتَيْنِ﴾ نصب على الحال تقولُ: مالَكَ قائِماً، أي: ما ﴿لَكُمْ﴾ اختَلَفْتُمْ ﴿فِى﴾ شأنِ ﴿ٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ أو تفرَّقْتُمْ فيه فِرْقَتَيْنِ ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ من لحوقِهم بالمشركين، وهم قومٌ قَدِموا من مَكَّةَ وأظهروا الإسلامَ ثمَّ رَجَعُوا إلىٰ مَكَّةَ فأَظْهَرُوا الشركَ ثمَّ سافَروا إلى اليَمامةِ، فاخْتَلَفَ المسلمون في غزوِهم فقال بعضُهم: إنَّهم مسلمون، والإركاسُ: الردُّ، أي: أَرْكَسَهم في الكفرِ بأَن خَذَلَهُمْ حتَّى ارْتَكَسُوا فيه لما عَلِمَ من مرضِ قلوبِهم ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ﴾ أي: تجعَلُوا من جملةِ المهتدين مَن جَعَلَه اللهُ من جملةِ الضُّلَّالِ وحَكَمَ عليه بذلك، أو خَذَلَه حتَّى ضَلَّ، وقولُه: ﴿فَتَكُونُونَ﴾ عطفٌ على ﴿تَكْفُرُونَ﴾ والمعنىٰ: ﴿وَدُّواْ﴾ كفرَكم فكونَكم مَعَهم شَرَعاً سَواءً فيما هم عليه من الضلالِ، فلا تتَوَلَّوْهم وإن آمنوا ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ هجرةً صحيحةً هي للهِ لا لغرضٍ من أَغراضِ الدنيا ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمانِ المصاحِبِ للهجرةِ المستقيمةِ فحكمُهم حكمُ سائرِ المشركين أن يُقْتَلُوا

(١) في نسخة: المحافظ.

حيثُ وُجِدُوا في أَرضِ اللهِ من الحِلِّ والحَرَمِ ﴿وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ﴾ خليلاً ولا ناصراً، وإن بذلوا لكم الولايةَ والنصرةَ فلا تَقْبَلُوا منهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَـٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَـٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَـٰتَلُوكُمْ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (٩٠)

هو استثناءٌ من قولِه: ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ﴾، ومعنىٰ ﴿يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾: يَنْتَهون(١) إليهم ويتَّصلون بهم بحلفٍ أَو جِوارٍ ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ﴾ أَي: موادَعَةٌ وعهدٌ، وهؤلاءِ القومُ هم الأَسْلَمِيُّون وادَعَهم رسولُ اللهِ وقتَ خروجِه من مَكَّةَ وواثَقَ عنهم هِلالُ بنُ عُوَيْمِرٍ الأَسْلَمِيُّ(٢) علىٰ أَن لا يُعينَ رسولَ اللهِ ولا يُعينَ عليه، وعلىٰ أَنَّ مَن وَصَلَ إِلىٰ هلالٍ ولَجَأَ إِليه فله من الجِوارِ مثلُ الَّذي لِهلالٍ ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾ يجوز أَن يكونَ معطوفاً علىٰ صفةِ ﴿قَوْمٍ﴾ كأَنَّه قيل: إِلَّا الَّذينَ يَصِلون إِلىٰ قومٍ معاهِدين أَو قومٍ ممسِكين عن القتالِ لا لكم ولا عليكم، أَو علىٰ صلةِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ كأَنَّه قيل: إِلَّا الَّذينَ يَصِلُونَ إِلَى الْمُعاهِدينَ أَو الَّذينَ لا يُقاتِلُونَكُمْ ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ في موضعِ الحالِ بإِضمارِ «قَدْ»، ويدلُّ عليه قِراءَةُ من قرأَ: «حَصِرَةً صُدورُهم»(٣)، وقيل: هو صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ أَي: جاؤوكم قوماً حَصِرَت صُدورُهم(٤)، وقيل: هو بيانٌ لـ ﴿جَآءُوكُمْ﴾ وهم بنو مُدْلِجٍ جاءُوا

---

(١) في نسخة: ينتمون. (٢) في مجمع البيان: السلمي.

(٣) وهي قراءة الحسن ويعقوب وقتادة والمفضّل. راجع معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٢٨٢، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٧٨، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٤٦١.

(٤) ذهب اليه الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٢٨٢، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٨٩، والزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٥٤٧، والهمداني في الفريد في اعراب القرآن: ج ١ ص ٧٧٤.

رسولَ اللهِ ﷺ غيرَ مُقاتِلين[١]، والحصرُ: الضيقُ والانقباضُ ﴿أَن يُقَـٰتِلُوكُمْ﴾ عن أَن يقاتِلوكم، أَو كَراهةَ أَن يقاتِلوكم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَـٰتَلُوكُمْ﴾ هذا إِخبارٌ عن المقدورِ، وليس فيه أَنَّه يَفْعَلُ ذلك أَو يأْذَنُ لهم فيه بل قَذَفَ سبحانه الرعبَ في قلوبِهم حتَّىٰ طَلَبُوا المُوادَعَةَ، ولو لم يَقْذِفْه لكانوا مسلَّطين أَي: مقاتِلين غيرَ مكافّين ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾ فإن لم يَتَعَرَّضُوا لكم ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ أَي: الاستسلامَ والانقيادَ ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ أَي: فما أَذِنَ لكم في أَخذِهم وقتلِهم.

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَـٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا﴾ (٩١)

هم قومٌ من بني أَسدٍ وغَطَفانَ كانُوا إِذا أَتَوُا المدينةَ أَسْلَمُوا وعاهَدُوا لِيأْمَنُوا المسلمينَ فإِذا رَجَعُوا إِلى قومِهم نَكَثُوا عهدَهم وكَفَرُوا ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ أَي: كلَّما دعاهم قومُهم إِلىٰ قتالِ المسلمين قُلِبُوا ﴿فِيهَا﴾ أَقْبَحَ قلبٍ وكانوا شرّاً فيها من كلِّ عدوٍّ ﴿فَإِن لَّمْ﴾ يَعْتَزِلْ هؤُلاءِ قتالَكم ولم يَسْتَسْلِمُوا لكم ﴿وَ﴾ لم ﴿يَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن قتالِكم فأْسِرُوهم ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أَي: حيث تَمكَّنْتُمْ منهم ﴿سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا﴾ أَي: حجَّةً واضحةً لظهورِ عَداوتِهم وكفرِهم وإِضرارِهم بأَهلِ الإِسلامِ، وقيل: تسلُّطاً ظاهراً حيثُ أَذِنَّا لكم في قتلِهم وأَسرِهم[٢].

---

(١) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٥٤٧.

(٢) قاله الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٥٤٨.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (٩٢)

﴿وَمَا﴾ صَحَّ ﴿لِمُؤْمِنٍ﴾ ولا استقامَ له ومالاقَ بحالِه، كقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [١] وما كانَ لَنا أَن نَعودَ فيها ﴿أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً﴾ ابتداءً غيرَ قصاصٍ ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ إلَّا علىٰ وجهِ الخطأ، وانْتَصَبَ ﴿خَطَـًٔا﴾ علىٰ أَنّه مفعولٌ له، أَي: ماينبغي له أَن يقتلَه لعلَّةٍ من العِلَلِ إلَّا للخطأ وحدَه، ويجوزُ أَن يكونَ حالاً بمعنىٰ: لا يقتلُه في حالٍ من الأَحوالِ إلَّا في حالِ الخَطَأ، أَو صفةً للمصدرِ أَي: إلَّا قتلاً خَطَأً، والمعنىٰ: أَنَّ من شأنِ المؤْمِنِ أَن يَنْتَفِيَ عنه وجودُ قتلِ المؤْمنِ ابتداءً الْبَتَةَ إلَّا إذا وُجِدَ منه خَطَأً من غيرِ قصدٍ بأَن يَرْمِيَ شخصاً علىٰ أَنّه كافرٌ فيكون مسلماً أَو نحوِ ذلك [٢]، ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أَي: فعليه تحريرُ رقبةٍ، والتحريرُ: الإعتاقُ، والحرُّ: الكريمُ، والعتيقُ كذلك لأَنَّ الكرمَ في الأَحرارِ، ومنه عِتاقُ الطيرِ وعِتاقُ الخيلِ لكِرامِهما، وحُرُّ الوجهِ [٣] أَكرَمُ موضعٍ منه، والرقَبَةُ عبارةٌ عن النسَمَةِ ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِ﴾ أَي: مُؤَدَّاةٌ إِلىٰ ورثتِه يقتَسمونَها كما يقتسمونَ الميراثَ، والديةُ علىٰ عاقلةِ القاتلِ ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾ أَي: يتصدَّقَ أَولياءُ المقتولِ بالديةِ ومعناه: العفوُ، وفي الحديث: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ» [٤]، ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ

(١) آل عمران: ١٦١.
(٢) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٥٤٨.
(٣) حرّ الوجه: مابدا من الوجنة. (الصحاح: مادة حرر).
(٤) الكشّاف: ج ١ ص ٥٥٠، مجمع الزوائد للهيثمي: ج ٣ ص ١٣٦.

لَكُمْ﴾ أي: قومٍ كفّارٍ محارِبين لكم ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ يعني: أن يكونَ آمَنَ بِالنبيِّ عليه السلام وهو بَينَ ظَهْرانَيْ قومِه لم يفارِقْهم بعدُ، فعلىٰ قاتِله الكفّارةُ إذا قَتَلَه خطأً وليس علىٰ عاقلتِه لأَهلِه شيءٌ لأَنَّهم كفّارٌ ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ﴾ أي: عهدٌ وذمّةٌ وليسوا أَهلَ حربٍ ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِ﴾ تلزم عاقلةَ قاتلِه ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ تلزم قاتلَه ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رَقبةً أَي: لم يَملكْها ﴿فَـ﴾ عليه ﴿صِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قبولاً من اللهِ، مِن تابَ اللهُ عليه أَي: شَرَعَ ذلك توبةً منه.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَـٰلِداً فِـيهَا وَغَـضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ (٩٣)

في هذِهِ الآيةِ من التهديدِ والوعيدِ أمرٌ عظيمٌ وخطبٌ جَسيمٌ، ولذلك قالَ بعضُ أَصحابِنا: إنَّ قاتلَ المؤمنِ لايُوفَّقُ للتوبةِ[١]، علىٰ معنىٰ أَنّه لايختارُ التوبةَ، وعن الصادقِ عليه السلام: «أَنَّ معنى التعمُّدِ أَن يقتلَه علىٰ دينِه»[٢]، وعن عِكْرِمَة[٣] وجماعةٍ[٤] هو أَن يقتلَه مستحلّاً لقتلِه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْـيَا فَـعِندَ ٱللَّهِ

---

(١) أُنظر التبيان: ج ٣ ص ٢٩٥. (٢) العياشي: ج ١ ص ٢٦٧ ح ٢٣٧.

(٣) هو عكرمة بن عبدالله المدني البربري الأصل، مولى عبدالله بن عباس، من التابعين والعالمين بالتفسير والمغازي، كان كثير الطواف والجولان في البلاد، مات مولاه ابن عباس وهو على الرقّ ولم يعتقه، فباعه ولده علي بن عبدالله بن عباس من خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار، وكان يربطه علىٰ باب الكنيف ويتهّمه بأنّه كان يكذب على أبيه. مات في المدينة سنة سبع ومائة للهجرة. (تهذيب التهذيب: ج ٧ ص ٢٦٣ ـ ٢٧٣، وفيات الأعيان: ج ٢ ص ٤٢٨).

(٤) حكاه الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ٢٩٥ عنه وعن ابن جريج، والقرطبي في تفسيره: ج ٥ ص ٣٣٤ عن ابن عبّاس.

مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ (٩٤)

وقُرِئَ: «فَتَثَبَّتُوا»[١] وهما جميعاً من التفعُّلِ بمعنى الاستفعالِ، أَي: اطلبوا بيانَ الأَمرِ وثَباتَه، ولاتَعْجَلوا في القتلِ من غيرِ رويَّةٍ ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ﴾ أَي: حيَّاكم بتحيَّةِ أَهلِ الإِسلامِ، ومن قَرَأَ: «السلَم»[٢] فهو الاستسلامُ، وقيل: الإِسلام[٣]، وقُرِئَ: «لَسْتَ مُؤْمَناً» بفتحِ الميمِ[٤] من آمَنَه، أَي: لاتَقُولوا له: لانُؤْمِنُكَ ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أَي: تطلبون الغنيمةَ الَّتي هي حطامُ الدنيا، وهو الَّذي يدعوكم إِلىٰ تركِ التثبُّتِ وقلَّةِ البحثِ عن حالِ من تَقْتُلونَه ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ يُغَنِّمُكُمُوها يُغْنيكم عن قتلِ رجلٍ يُظْهِرُ الإِسلامَ لتأْخُذُوا مالَه ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ أَوَّلَ مادَخَلْتُمْ في الإِسلامِ، سُمِعَتْ من أَفواهِكم كلمةُ الشهادةِ فَحُصِّنَتْ دماؤُكم وأَموالُكم من غيرِ انتظارِ الاطِّلاع على مواطَأَةِ قلوبِكم لأَلسنتِكم ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاستقامةِ والاشتهارِ بالإِيمانِ ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ تكريرٌ للأَمرِ بالتبيينِ ليُؤَكِّدَ عليهم.

---

(١) قرأه حمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٣٦، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٣٩٤، وتفسير القرطبي: ج ٥ ص ٣٣٧ وفي التبيان: ج ٣ ص ٢٩٧: وهي قراءة أهل الكوفة إلّا عاصماً.

(٢) وهي قراءة أهل المدينة وابن عبّاس وخلف كما في التبيان: ج ٣ ص ٢٩٧، وفي البحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ٣٢٨: هي قراءة نافع وابن عامر وحمزة وابن كثير من بعض طرقه وعاصم برواية المفضّل.

(٣) حكاه الزمخشري في كشافه: ج ١ ص ٥٥٢.

(٤) قرأه محمّد بن علي وابن مسعود وابن عبّاس. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ٣٤، ونسبها القرطبي في تفسيره: ج ٥ ض ٢٣٨ الى أبي جعفر ولعلّه أراد به أبا جعفر القارئ كما في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٩٤، وحكاها البلخي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام كما في التبيان: ج ٣ ص ٢٩٧.

﴿لَايَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللهِ بِأَمْوَ ٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَ ٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً (٩٥) دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ (٩٦)

قُرِئَ: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ بالرفعِ صفةً لِـ﴿ٱلْقَـٰعِدُونَ﴾ وبالنصبِ[١] استثناءً منهم أَو حالاً عنهم، والضررُ: المرضُ أَو العاهةُ من عَـمىً أَو عَـرَجٍ أَو زمـانةٍ أَو نحوِها، عن ابن عبَّاسٍ: ﴿لَايَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ﴾ عن بدرٍ والخارجـون إليـها[٢]، وعن مُقاتلٍ[٣] : عن تَبوكَ[٤] [٥]، ﴿فَضَّلَ ٱللهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَ ٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ جملةٌ موضِحةٌ لما نُفِيَ من استواءِ القاعدين والمجاهدين، كأَنَّه قيل: مـالهم[٦]

---

(١) وهي قراءة نافع والكسائي وابن عامر وابن كثير برواية شبل. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٣٧، والتيسير في القراءات للداني: ص ٩٧. وهي اختيار الأخفش على ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ٣٠٠.

(٢) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ٣٠١، والطبري في تفسيره: ج ٤ ص ٢٣١ ح ١٠٢٤٦ و١٠٢٤٧، والبغوي في تفسيره: ج ١ ص ٤٦٨، والبيهقي في سننه الكبرىٰ: ج ٩ ص ٤٧.

(٣) هو مقاتل بن سليمان بن بشر الأزدي البلخي، أصله من بلخ وعاش في البصرة ثم في بغداد وحدّث بها، وكان مفسّراً ومتكلّماً، لم يكن تفسيره للقرآن موضع تقدير لأنّه في شروحه كان يطلق العنان لخياله، ويكمل الجوانب الموجزة في القرآن الكريم بمأثورات النصارىٰ واليهود، توفّي سنة ١٥٠ هـ بالبصرة. (تاريخ التراث العربي: ج ١ ص ٨٥، الاعلام للزركلي: ج ٧ ص ٢٨١).

(٤) تبوك: وهي واحة في شمال الحجاز علىٰ طريق الحجّ من دمشق الى المدينة، اشتهرت بالغزوة العظيمة التي قام بها النبي ﷺ لغزو مَن انتهى اليه أنّه قد تجمّع من الروم وعاملة ولخم وجُذام ضده سنة ٩ هـ. (معجم البلدان: ج ١ ص ٨٢٤، المنجد في الاعلام: ص ١٨٣).

(٥) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٥٥٣.

(٦) في نسخة: لِمَ.

لا يستوون؟ فأُجيبَ بذلكَ، والمعنىٰ: على القاعدين غيرِ أُولِي الضررِ لكونِ الجملةِ بياناً للجملةِ الأُولىٰ المُتضمِّنةِ لهذا الوصفِ ﴿وَكُلًّا﴾ أَي: وَكلَّ فريقٍ من المجاهدين والقاعدين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أَي: المثوبةَ الحُسْنىٰ وهي الجنَّة وإن كان المجاهِدون مفضَّلين ﴿عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وآله: «لقد خَلَّفْتُمْ بالمدينةِ أقواماً ماسِرْتُم مَسيراً ولاقَطَعْتُمْ وادياً إلّا كانوا معكم، وهم الَّذين صَحَّتْ نيّاتُهم ونَصَحَتْ جُيُوبُهم[1] وهَوَتْ أَفْئِدَتُهم إلى الجهادِ وقد مَنَعَهم من المَسيرِ ضَرَرٌ أَو غيرُه»[2].

ذَكَرَ سبحانه المفضَّلين ﴿دَرَجَةً﴾ ثمَّ ذَكَرَ المفضَّلين ﴿دَرَجَٰتٍ﴾، والأَوَّلون هم الَّذين فُضِّلُوا على القاعِدين الأَضِرّاءِ، والآخَرون هم الَّذين فُضِّلوا على القاعِدين الَّذين أُذِنَ لهم في التخلُّفِ اكتفاءً بغيرِهم؛ لأَنَّ الجهادَ فرضٌ على الكفايةِ، و ﴿دَرَجَةً﴾ انْتَصَبَتْ لوقوعِها موقِعَ المرَّةِ كأَنَّه قال: فَضَّلَهُمْ تَفْضِيلَةً نحوُ ضَرَبَه سَوْطاً بمعنىٰ: ضَرْبَةً، وانْتَصَبَ ﴿أَجْرًا﴾ بـ﴿فَضَّلَ﴾ أيضاً لأَنَّه في معنىٰ أَجَرَهم أجراً، و ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ و ﴿مَغْفِرَةً﴾ و ﴿رَحْمَةً﴾ بدلٌ منْ ﴿أَجْرًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨)

(١) رجل ناصح الجيب: أي أَمين. (الصحاح: مادة جوب)، وفي مادة (نصح): أي تقي القلب.

(٢) رواه ابن كثير في تفسيره: ج ١ ص ٥١٣، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور: ج ٤ ص ٢٦٢ بطرقه عن عبدالرزاق في المصنَّف وابن أبي شيبة وأحمد والبخاري وأبي الشيخ وابن مردويه عن أنس.

﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (٩٩)

﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾ يجوزُ أَن يكونَ ماضياً كقِراءَةِ مَن قَرَأَ: «تَوفَّتهُم»(١)، ويجوزُ أَن يكونَ مضارعاً بمعنىٰ تتوَفَّاهُمْ، وقُرِئَ في الشواذِّ: «تُوَفَّاهُمْ»(٢) فيكونُ مضارعَ «وَفَّيْتُ»، والمعنىٰ: أَنَّ اللهَ يُوَفِّي الملائِكَةَ أَنْفُسَهم فَيتَوَفَّوْنَها، أَي: يُمَكِّنُهم من استيفائِها فَيَسْتَوْفُونَها ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ في حالِ ظلمِهم أَنْفُسَهُم ﴿قَالُواْ﴾ أَي: قالَ الملائِكةُ لِلْمُتَوَفَّيْنَ: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ أَي: في أَيِّ شيءٍ كنتم من أَمرِ دينِكم؟ ﴿قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهم جماعةٌ أَسْلَمُوا بمكَّةَ ولم يُهاجِروا حينَ كانت الهجرةُ فريضة، فلمَّا خَرَجَ المشركون إِلىٰ بدرٍ لم يخلِّفوا أَحداً إِلَّا صبيّاً أَو مريضاً أَو شيخاً كبيراً، فَخَرَجَ هؤُلاءِ معهم فلمَّا نَظَرُوا إِلىٰ قلَّةِ المسلمين ارْتابوا، فأُصيبوا فيمن أُصيبَ من المشركين بهم، فنزلت(٣) الآية فيهم، وصحَّ قولُهم: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ جواباً عن ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ لأَنَّه كَالتوبيخِ لهم بأَنَّهم لم يكونوا في شيءٍ من الدينِ حيثُ قَدَرُوا على المُهاجَرَةِ ولم يُهاجِروا، فاعْتَذَرُوا ممَّا وُبِّخُوا به بالاستضعافِ وأَنَّهم لم يتَمَكَّنُوا من الهجرةِ، فَبَكَّتَهم الملائِكةُ بأَن قالوا: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ أَي: كنتم قادرين على الخروجِ من مكَّةَ إِلىٰ بعضِ البلادِ الَّتي لاتُمْنَعُونَ فيها من إِظهارِ دينِكم، وهذا يَدُلُّ علىٰ أَنَّ الإنسانَ إِذا كانَ في بلدٍ لايَتَمَكَّنُ فيه من إِقامةِ أَمرِ الدينِ لبعضِ العوائِقِ وعَلِمَ أَنَّه في غيرِ بلدِه أَقْوَمُ بحقِّ اللهِ وَجَبَتْ عليه المُهاجَرَةُ.

وفي الحديث: «مَن فَرَّ بدينِه من أَرضٍ إِلىٰ أَرضٍ وإِن كان شِبراً من الأَرضِ

---

(١) انظر الكشّاف: ج ١ ص ٥٥٥، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ٣٣٤.
(٢) قرأه إبراهيم كما حكاه عنه أبو حيان في البحر المحيط: ج ٣ ص ٣٣٤.
(٣) راجع اسباب النزول للواحدي: ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

اسْتوجَبَ الجنَّةَ، وكان رفيقَ إبراهيمَ ومحمَّدٍ عليهما السلام »(١).

ثمَّ اسْتَثْنىٰ من أَهلِ الوعيدِ ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ الَّذين ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ في الخروجِ لفقرِهم وعجزِهم وقلَّةِ معرفتِهم بالطرقِ، وقولُه: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ صفةٌ لـ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أو لـ﴿ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ وجازَ ذلك وإن كان الْجُمَلُ يَجِبُ كونُها نَكِراتٍ؛ لأَنَّ الموصوفَ وإن كانَ فيه حرفُ التعريفِ فليس لشيءٍ بعينِه، كقولِ الشاعرِ:

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي(٢)

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ (١٠٠)

﴿مُرَٰغَماً﴾ أَي: مهاجَراً وطريقاً يُراغِمُ بسلوكِه قومَه، أَي: يفارِقُهم علىٰ رغمِ أُنوفِهم، والرغمُ: الذلُّ والهَوانُ، وأَصلُه لُصوقُ الأَنفِ بالرغامِ وهو الترابُ، قالَ النابغةُ الْجَعْديُّ(٣):

---

(١) رواه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٥٥٥، وأبو حيان في بحره: ج ٣ ص ٣٣٤، وأورده المصنّف في مجمع البيان: ج ٣ ص ١٠٠، والمجلسي في البحار: ج ١٩ ص ٣١.

(٢) وعجزه: فمضيت ثمّة قلت لايعنيني. وقد تقدّم شرح البيت وقائله في ص ٥٨ فراجع.

(٣) هو قيس بن كعب بن عبدالله بن جعدة، كان من المعمّرين، قيل: إنّه عاش مائة وثمانين سنة، وقيل: مائتي سنة، وقد أدرك الاسلام، واشترك في وفد قبيلته سنة ٩ هـ الى النبي صلى الله عليه وآله في المدينة. روى العلّامة المجلسي أنّه كان ممّن يتألّه في الجاهلية، وأنكر الخمر والسكر، وهجر الأوثان والأزلام، وكان يذكر دين إبراهيم عليه السلام والحنيفية، وكان قد خرج مع أميرالمؤمنين علي عليه السلام الىٰ صفّين، توفّي نحو ٥٠ هـ في إصفهان بعد أن سيّره إليها معاوية مع أحد ولاتها. (الأغاني لأبي فرج الاصفهاني: ج ٥ ص ٤٥١، الشعر والشعراء لابن قتيبة: ص ١٥٨، البحار للعلّامة المجلسي: ج ٦ ص ٦٩٨).

كَـــطَوْدٍ يُـــلاذُ بأركـــانِه عَزيزِ المُراغَمِ والـمُضْطَرَبِ[١]

﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فقد وَجَبَ ثـوابُـه عـلى اللهِ، وأَصـلُ الوجـوبِ السقوطُ كقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾[٢] يعني فقد عَلِمَ اللهُ كـيفَ يُـثيبُه، وذلك واجبٌ عليه، وكلُّ هجرةٍ لغرضٍ[٣] دينيٍّ من طلبِ علمٍ أو حجٍّ أَو فِرارٍ إلىٰ بلدٍ يَزْدادُ فيه طاعةً أَو زهداً في الدنيا فهي هجرةٌ إلى اللهِ ورسولِه.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (١٠١)

الضربُ في الأَرضِ هو السفرُ، أَي: ﴿إِذَا﴾ سافَرْتُمْ ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ حَـرَجٌ وإِثمٌ في ﴿أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ﴾ عددِ ﴿ٱلصَّلَوٰةِ﴾ فَتُصَلُّوا الرُباعيّاتِ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، والقصرُ ثابتٌ بنصِّ الكتابِ في حالِ الخوفِ خاصَّةً وهـو قـولُه: ﴿إِنْ خِـفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾، أَمّا في حالِ الأَمنِ فبنصِّ النبيِّ صلى الله عليه وآله، وهو عزيمةٌ واجـبةٌ غيرُ رُخصةٍ عندَ أَبي حنيفةَ[٤]، وهو مذهبُ أَهلِ البيتِ عليهم السلام[٥]، وعند الشـافعيِّ رُخصةٌ[٦]، وإِنَّما قالَ: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في الواجبِ لئَلّا يَـخطُرَ بـبالِهم أَنَّ

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج ١ ص ١٣٨، تفسير الطبري: ج ٤ ص ٢٣٩ وفيهما: «المهرب» بدل «المضطرب»، تفسير القرطبي: ج ٥ ص ٣٤٨، لسان العرب لابن منظور: مادة (رغم)، شرح شواهد الكشّاف للأفندي: ص ٢٦.

(٢) الحج: ٣٦.

(٣) في نسخة: لفرضٍ.

(٤) المبسوط للسرخسي: ج ١ ص ٢٣٩، الهداية: ج ١ ص ٨٠، اللباب: ج ١ ص ١٠٧، المجموع: ج ٤ ص ٣٣٧، تفسير ابن العربي: ج ١ ص ٦١٤، وفي الخلاف: ج ١ ص ٥٦٩ قال: إنّ التقصير عزيمةٌ مذهب عليّ عليه السلام وعمر، وفي الفقهاء: مالك وأبي حنيفة وأصحابه.

(٥) فقه الرضا عليه السلام: ص ١٥٩، الخلاف للشيخ الطوسي: ج ١ ص ٥٦٩ مسألة (٣٢١).

(٦) الأمّ: ج ١ ص ١٧٩، المجموع: ج ٤ ص ٣٣٧، بداية المجتهد: ج ١ ص ١٦١، وفيهما عنه قال: التقصير أفضل.

عليهم نقصاناً في القصرِ، فهو مثلُ قولِه: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾(١)، والمرادُ بالفتنةِ في الآيةِ: القتالُ والتعرُّضُ بما يُكرَهُ، فإنَّهم كانوا يَخافون الكفّارَ في عامَّةِ أسفارهم، وحدُّ السفرِ الَّذي فيه القصرُ عند أَبي حنيفةَ مسيرةُ ثلاثةِ أَيّامٍ بلياليهنَّ سيرَ الإبلِ(٢)، وعندَ الشافعيِّ مسيرةُ يومَيْنِ(٣)، وعند أَهل البيتِ عليهم السلام مسيرةُ يومٍ واحدٍ وهي ثمانيةُ فراسِخَ أَربعةٌ وعشرون ميلاً(٤)، وأَجْمَعَتِ الطائفةُ علىٰ أَنَّه ليس بقصرٍ بل فُرِضَتِ الصلاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ في السفرِ وأَربعاً أَربعاً في الحَضَرِ(٥).

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (١٠٢)

﴿فِيهِمْ﴾ الضميرُ للخائفين ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ فاجعَلْهم طائفتَيْنِ فَلْتَقُمْ إِحدى الطائفتين معك فَصَلِّ بهم ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ الضميرُ للمُصلِّين يأْخُذونَ من السلاحِ مالا يَشْغَلُهم عن الصلاةِ كالسيفِ يتَقَلَّدونه والخَنْجَرِ يَشُدُّونه إلىٰ دُروعِهم ونحوِهما ﴿فَإِذَا سَجَدُواْ﴾ وفَرَغُوا من سجودِهم ﴿فَلْيَكُونُواْ مِن

(١) البقرة: ١٥٨.
(٢) المبسوط للسرخسي: ج ١ ص ٢٣٦، بداية المجتهد: ج ١ ص ١٦٢، التبيان: ج ٣ ص ٣٠٨.
(٣) المجموع: ج ٤ ص ٣٢٣، مغني المحتاج: ج ١ ص ٢٦٦، بداية المجتهد: ج ١ ص ١٦٢.
(٤) فقه الرضا عليه السلام: ص ١٥٩، التبيان: ج ٣ ص ٣٠٨، الخلاف: ج ١ ص ٥٦٧ ـ ٥٦٨ مسألة (٣٢٠).
(٥) انظر التبيان: ج ٣ ص ٣٠٨.

وَرَآئِكُمْ﴾ أي: فَلْيَصِيرُوا بعدَ فَراغِهم من السجودِ مُصافّين للعدوِّ، وعندَنا: أنّـهم يُصَلُّون الركعةَ الأُخرىٰ ويَتَشَهَّدُونَ ويُسَلِّمونَ ويَنْصَرِفونَ إلىٰ مواقفِ أصحابِهم والإمامُ قائمٌ في الثانيةِ، ويجيءُ الآخرون ويَسْتَفْتِحُونَ الصلاةَ ويُصَلِّي بهم الإمامُ الركعةَ الثانيةَ ويُطيلُ التشهُّدَ حتّىٰ يقوموا فَيُصَلُّوا بقيّةَ صلاتِهم ثمَّ يُسَلِّمُ بـهم[1]، وذلك قوله: ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ جَعَلَ الحِذرَ وهو التحرُّزُ كأنّـه آلةٌ يَسْتَعْمِلُها الغازي، فلذلك جَمَعَ بينَه وبينَ الأَسلِحةِ في الأَخذِ كما جَعَلَ الإيمانَ مُسْتَقَرّاً ومُتَبَوَّءاً لتمكُّنِهم فيه في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ﴾[2]، ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: تَمَنَّوْا ﴿لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾ تَشْتَغِلون عن أَخذِها في القتالِ ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم﴾ فيشُدُّون عليكم شَدَّةً واحدةً، ثمَّ رخَّص لهم في وضعِ الأَسلِحَةِ إن ثَقُلَ عليهم حملُها إذا نالَهم ﴿أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ﴾ مَرَضٍ، وأَمَرَهم مع ذلك بأَخذِ الحِذْرِ لئَلّا يَغْفُلوا فَيَحمِلَ عليهم العدوُّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾ هذا إخبارٌ بأنّـه سبحانه يُهينُ عدوَّهم لِيُقَوِّيَ[3] قلوبَهم.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰباً مَّوْقُوتاً (١٠٣) وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (١٠٤)

﴿فَإِذَا﴾ صلّيتم في حالِ الخوفِ والقتالِ ﴿فَاذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ فصلُّوها ﴿قِيَـٰماً﴾

---

(١) الخلاف للشيخ الطوسي: ج ١ ص ٦٣٩ مسألة (٤١٠) وقال: وبه قال الشافعي وأحمد ابن حنبل.

(٢) الحشر: ٩.

(٣) في نسخة: لتقوىٰ.

مسايِفين ﴿وَقُعُوداً﴾ جاثين على الرُكَبِ مُرامين ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ مُثْخَنِينَ بالجِراحِ ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ حينَ تَضَعُ الحربُ أَوزارَها واسْتَقْرَرْتُمْ وأَمِنْتُمْ ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فأَتِمُّوا حدودَ الصلاةِ ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰباً مَّوْقُوتاً﴾ أَي: محدوداً بأَوقاتٍ لايجوز إِخراجُها عن أَوقاتِها في حالِ خوفٍ كُنْتُمْ أَو أَمنٍ، وقيل: معناه: فإِذا قَضَيْتُم صلاة الخوف فأَديموا ذكرَ اللهِ مُكَبِّرين ومُهَلِّلين داعين بالنُصرةِ والتأْييدِ في كافَّة أَحوالِكم من قيامٍ وقعودٍ واضطجاعٍ فإِذَا اطْمَأْنَنْتُم فإِذا أَقَمْتُمْ فأَتِمُّوا الصلاة[1] ﴿وَلَاتَهِنُواْ﴾ ولا تضعُفوا في طلبِ الكفَّارِ، ثمَّ أَلْزَمَهم الحجَّةَ بأَن قال: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾ فإِنَّ ذلك أَمرٌ مشتركٌ بينكم وبينَهم يُصيبُهم كما يُصيبُكم، ثمَّ إِنَّهم يَصبِرون عليه ويَتَشَجَّعون فمالكم لاتَصبِرون مثلَ صبرِهم مع أَنَّكم أَولىٰ منهم بالصبرِ؛ لأَنَّكم ﴿تَرْجُونَ مِنَ ٱللهِ مَالَايَرْجُونَ﴾ من الظفرِ بهم في الدنيا والثوابِ الجزيلِ في الآخرةِ ﴿وَكَانَ ٱللهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ لايَأْمُرُكم ولايَنْهاكم إِلَّا بما يعلم أَنَّ فيه صلاحَكم.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَٰكَ ٱللهُ وَلَاتَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً (١٠٥) وَٱسْتَغْفِرِ ٱللهَ إِنَّ ٱللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً (١٠٦) وَلَاتُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللهَ لَايُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَالَايَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً (١٠٨) هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (١٠٩)

---

(١) قاله ابن عبّاس. راجع تفسيره: ص ٧٩، واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٩٩.

يُرْوىٰ: أَنَّ أَبا طعمةَ بنَ أُبَيْرقٍ سَرَقَ دِرْعاً من جارٍ له اسمُه قَتادَةُ بنُ النعمانِ وخَبَأَها عندَ رجلٍ من اليهودِ، فأُخِذَ الدرعُ من منزلِ اليهوديِّ، فقال: دَفَعَها إِليَّ أَبو طعمةَ، فجاءَ بَنو أُبيرقٍ إِلىٰ رسولِ اللهِ فَكَلَّموه أَن يُجادِلَ عن صاحبهم، وقالوا: إِن لم تَفْعَلْ هَلَكَ وافْتَضَحَ وبَرِئَ اليهوديُّ، فَهَمَّ رسولُ اللهِ أَن يَفعَلَ وأَن يُعاقِبَ اليهوديَّ، فَنَزَلَتْ[١].

﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ أَي: بما عَرَّفَكَ اللهُ وأَوحىٰ إِليك ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً﴾ أَي: لأَجلِ الخائنين مُخاصِماً للبِراءِ ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ ممَّا هَمَمْتَ به من عقابِ اليهوديِّ ﴿يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يَخُونُونَها بالمعصيةِ، جُعِلَتْ معصيةُ العُصاةِ خيانةً منهم لأَنفسِهم كما جُعِلَتْ ظلماً لَها لأَنَّ الضرَرَ راجعٌ إِليهم، ونحوُه ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾[٢]، ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أَي: يَسْتَتِرون من الناسِ حياءً منهم وخوفاً من ضررِهم ﴿وَلَا﴾ يَسْتَتِرونَ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ ولا يستَحْيُونَ منه ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ عالمٌ بأَحوالِهم ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يُدبِّرون ويُزَوِّرون بالليلِ ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: «ها» للتنبيهِ في «أَنْتُم» و «أُولاءِ» وهما مبتدأٌ وخبرٌ، و ﴿جَٰدَلْتُمْ﴾ جملةٌ مُبَيِّنَةٌ لوقوعِ «أُولاءِ» خبراً، كما تَقولُ للرجلِ السخيِّ: أَنتَ حاتِمٌ تَجودُ بمالِك، والمعنىٰ: هَبوا أَنَّكم خاصَمتم عن بَني أُبَيْرِقٍ ﴿فِى﴾ الدنيا ﴿فَمَن﴾ يخاصِمُ ﴿عَنْهُمْ﴾ في الآخرةِ إِذا عَذَّبهم اللهُ ﴿وَكِيلًا﴾ أَي: حافظاً من بأسِ اللهِ ونقمتِه.

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُوراً

(١) راجع تفصيل القصة والنزول في التبيان: ج ٣ ص ٣١٦، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٤٧٧.
(٢) البقرة: ١٨٧.

رَّحِيماً (١١٠) وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (١١١) وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيٓـٔاً فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰناً وَإِثْماً مُّبِيناً (١١٢) وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَايُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَالَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ (١١٣)

﴿سُوٓءاً﴾ أي: قبيحاً متعدِّياً يَسوءُ به غيرَه كما فَعَلَ أبو طعمةَ بقتادةَ واليهوديِّ ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ بما يختصُّ به، وقيل: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءاً﴾ أي: ذنباً دونَ الشركِ ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ بالشركِ[1]، وفيه: أنَّ كلَّ ذنبٍ وإن عَظُمَ فإنَّه غيرُ مانعٍ من المغفرةِ إذا استُغفِرَ منه ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ أي: لايَتعدَّىٰ ضررُه إلىٰ غيره ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾ أي: ذنباً علىٰ غيرِ عمدٍ ﴿أَوْ إِثْماً﴾ أي: ذنباً تعمَّدَه ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيٓـٔاً﴾ كما رمىٰ به أبو طعمةَ غيرَه ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَـٰناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ لأنَّه بكسبِ الإثم آثِمٌ وبرمي البَريءِ به باهِتٌ، فهو جامعٌ بين الأمرين ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ أي: عصمتُه وألطافُه وإطلاعُه إيَّاك علىٰ سرِّهم ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاءِ بالحقِّ وسلوكِ طريقِ العدلِ ﴿وَمَايُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لأنَّ وبالَه عليهم ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَىْءٍ﴾ فإنَّ اللهَ حافظُك وناصرُك ومؤيِّدُك ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ القرآنَ والسُّنَّةَ ﴿وَعَلَّمَكَ مَالَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ من خفيَّاتِ الأُمورِ، أَو من أُمورِ الدينِ وأَحكامِ الشرعِ.

﴿لَا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ

---

(١) حكاه الزمخشري في كشافه: ج ١ ص ٥٦٣.

إِصْلَـٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَل ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيمـاً (١١٤) وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَاتَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَاتَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً (١١٥) إِنَّ ٱللهَ لَايَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا بَعِيداً﴾ (١١٦)

﴿لَا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن﴾ تناجي الناسِ ﴿إِلَّا﴾ نجوىٰ ﴿مَنْ أَمَرَ﴾ علىٰ أنَّه مجرورٌ بدلٌ من ﴿كَثِيرٍ﴾ كما تَقولُ: لاخَيْرَ فِي قيامِهم إلَّا قِيامِ فُلانٍ، ويجوزُ أن يكونَ منصوباً على الاستثناءِ المنقطِعِ أي: لكن ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ ففي نجواه الخيرُ[١]، وقيل: المعروفُ: القرضُ[٢]، وقيل: هو عامٌّ في كلِّ جميلٍ[٣]، والإصلاحُ بينَ الناسِ: التأليفُ بينَهم بالمودةِ.

وعن أميرِ المؤمنين عليه السلام: «إنَّ اللهَ فَرَضَ عليكم زكاةَ جاهِكم كما فَرَضَ عليكم زكاةَ مامَلَكَتْ أيمانُكم»[٤].

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهو السبيلُ الَّذي هم عليه من الدين الحَنيفيِّ ﴿نُوَلِّهِ مَاتَوَلَّىٰ﴾ نَجْعَلْه والياً لما[٥] تَوَلَّىٰ من الضلالِ بأَن نَخْذُلَه ونُخَلِّيَ بينَه وبينَ مااختاره ﴿إِنَّ ٱللهَ لَايَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ تكريرٌ للتأكيدِ، وقيلَ: كُرِّرَ لِقصَّةِ أَبي طعمةَ[٦].

---

(١) راجع تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٥٦٤، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٧٩١.

(٢) قاله مقاتل. راجع تفسير القرطبي: ج ٥ ص ٣٨٣.

(٣) قاله البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٤٧٩.

(٤) تفسير القمي: ج ١ ص ١٥٢، وفيه «أيديكم» بدل «أيمانكم».

(٥) في نسخة: لمن.

(٦) حكاه الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ٣٣٠، والزمخشري في الكشاف: ج ١ ص ٥٦٥.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّآ إِنَـٰثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰناً مَّرِيداً (١١٧) لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيّاً مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً (١١٩) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُوراً (١٢٠) أُوْلَـٰئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً﴾ (١٢١)

﴿إِلَّآ إِنَـٰثاً﴾ هي اللاتُ والعُزّىٰ ومناة، وعن الحسنِ: لم يكن حيٌّ من أَحياءِ العربِ إِلَّا ولَهُم صنمٌ يَعبُدونه يُسَمُّونَه أُنثىٰ بني فلانٍ(١)، وقيل: كانوا يقولون في أَصنامِهم: هنَّ بناتُ اللهِ(٢)، وقيل: المرادُ الملائكةُ لقولِهم: الملائكةُ بناتُ اللهِ(٣) ﴿وَإِن يَدْعُونَ﴾ أي: ومايدعون(٤) بعبادةِ الأَصنامِ ﴿إِلَّا شَيْطَـٰناً﴾ لأَنّه الّذي أَغراهم بعبادتِها فأَطاعوه فجَعَلَ طاعَتهم له عبادةً، وقولُه: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾، ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ﴾ صفتان، يعني(٥): ﴿شَيْطَـٰناً مَّرِيداً﴾ جامعاً بينَ لعنةِ اللهِ وهذا القولِ الشنيع ﴿نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ مقطوعاً واجباً فَرَضتُه لنفسي وهو من قولهم: فَرَضَ له في العطاءِ، ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ الأَمانيَّ الكاذبةَ من طولِ العمرِ وبلوغِ الأَملِ، وتَبتيكُهم ﴿ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ هو مافَعَلُوه بالبحائرِ، كانوا يَشقُّون أُذُنَها إِذا وَلَدَت خمسةَ أَبطُنٍ والخامسُ ذكرٌ، وتغييرُهم ﴿خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ هو فَقْؤُهم عينَ الحامي وإِعفاؤُه عن

---

(١) راجع تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٢٩٨، وحكاه عنه النحاس في اعراب القرآن: ج ١ ص ٤٨٩، والطبري في تفسيره: ج ٤ ص ٢٧٩ ح ١٠٤٤٣، والزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٥٦٦.

(٢) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٥٦٦.

(٣) قاله الضحّاك. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٥٢٩، وتفسير الطبري: ج ٤ ص ٢٧٩ ح ١٠٤٤٢، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٤٨١.

(٤) في بعض النسخ: يعبدون.

(٥) في نسخة: بمعنىٰ.

الركوبِ، وقيل: هو الخِصاءُ[١]، وقيل: فطرةُ اللهِ الَّتي هي دينُ الإسلامِ وأمرُه[٢]، وقيل: للحسن: إنَّ عِكْرِمَةَ يقول: هو الخِصاءُ، فقال: كَذِبَ عِكْرِمَةُ، هو دينُ اللهِ[٣]، وعن ابنِ مسعودٍ: هو الوَشْمُ[٤] ﴿يَعِدُهُمْ﴾ الفقرَ إن أنفقوا مالَهم ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ طولَ البقاءِ في الدنيا ودوامَ نعيمِها ليؤْثِروها على الآخرةِ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا (١٢٢) لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءاً يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً (١٢٣) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً (١٢٤) وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاً وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥) وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطاً﴾ (١٢٦)

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّاً﴾ مصدرانِ مؤكِّدانِ: الأَوَّلُ مؤكِّدٌ لنفسِه، التقديرُ: وَعَدَ اللهُ ذلك وعداً، والثاني مؤكِّدٌ لغيرِه، التقديرُ: أَحُقُّه حقّاً[٥] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾

---

(١) قاله ابن عبّاس وأنس وعكرمة. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٥٣٠، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٤٨٢.

(٢) وهو قول ابن عبّاس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن المسيّب والضحّاك. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ٤٨١ ـ ٤٨٢.

(٣) حكاها عنه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٥٦٦، وفي التبيان: ج ٣ ص ٣٣٤: أنّ مجاهد قيل له ذلك.

(٤) حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٥٣٠.

(٥) أُنظر تفصيل ذلك في الكشّاف للزمخشري: ج ١ ص ٥٦٧، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٧٩٥.

توكيدٌ آخرُ بَليغٌ، و﴿قِيلًا﴾ نُصِبَ على التمييزِ، وفي ﴿لَّيْسَ﴾ ضميرُ ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أَي: ليس يُنالُ ماوَعَدَ اللهُ من الثوابِ ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ والخطابُ للمسلمين[١]، وعن الحسن: ليس الإِيمانُ بالتمَنِّي ولكن ماوَقَرَ في القلبِ وصَدَّقَهُ العملُ[٢]، وقيل: إِنَّ الخطابَ للمشركين[٣] قالوا: إِن كانَ الأَمرُ كما يَزْعَمُ هؤُلاءِ لنَكُونَنَّ خَيْراً مِنْهُمْ وأَحْسَنَ حالاً: لأُوتَيَنَّ مالاً وولَداً، إِنَّ لي عنده لَلْحُسْنىٰ، وقالَ أَهلُ الكتابِ: نَحْنُ أَبْناءُ اللهِ وأَحِبّاؤه ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ ﴿مِنَ﴾ للتبعيضِ، أَي: ومن يعمل بعضَ الصالحاتِ، و﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ لتبيينِ الإِبهامِ في ﴿مَن يَعْمَلْ﴾، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾ أَي: ولايُبْخَسون مقدارَ نقيرٍ ممَّا يستحقُّونَه من الثوابِ، و﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ أَي: أَخلَصَ نفسَه ﴿لِلَّهِ﴾ وَجَعلَها سالمةً له لايَعْرِفُ لها ربّاً ومعبوداً سواه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أَي: فاعلٌ للفعلِ الحَسَنِ، أَو هو مُحسِنٌ في جميعِ أَفعالِه، وفي الحديثِ: «الإِحسانُ أَن تَعْبُدَ اللهَ كأَنَّكَ تَراهُ، فإِن لَم تكن تَراهُ فإِنَّهُ يَراكَ»[٤]، ﴿حَنِيفاً﴾ حالٌ من المُتَّبعِ ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ عبارةٌ عن اصطفائِه واختصاصِه بكَرامةٍ تُشْبِهُ كَرامةَ الخليلِ عند خليلِه، والخليلُ: الَّذي يُخالُّك، أَي: يُوافِقُك في خِلالِك أَو يُسايِرُك في طريقِك[٥]، من الخَلِّ وهو الطريقُ في الرملِ، أَو يَسُدُّ خَلَلَكَ كما تَسُدُّ خَلَلَه، وهي جملةٌ اعتراضيةٌ لامحلَّ لها من الإِعرابِ وفائدتُها تأْكيدُ

---

(١) وهو قول مسروق وقتادة والضحّاك والسدي وأبي صالح. راجع التبيان: ج ٣ ص ٣٣٦، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٤٨٢.

(٢) تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٢٩٩، وعنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٥٦٧.

(٣) قاله مجاهد. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ٤٨٢، وتفسير الطبري: ج ٤ ص ٢٩٠.

(٤) صحيح البخاري: ج ٦ ص ١٤٤، سنن البيهقي: ج ١٠ ص ٢٠٣، اتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج ٨ ص ٤٣٤ وج ١٠ ص ٩٤.

(٥) في نسخة: طريقتك.

وجوبِ اتِّباعِ ملَّتهِ[١] [٢] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ متَّصلٌ بذكرِ الصالحين والطالحين، أَي: إِنَّ مَن له ملكُ أَهلِ السماواتِ والأَرضِ فَطاعتُه واجبةٌ عليهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ فيَعْلَمُ أَعمالَهم ويُجازيهم عليها.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ (١٢٧)

﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ في محلِّ الرفعِ على العطفِ، أَي: ﴿ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾، والمتلوُّ ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ في معنى ﴿يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ يعني قولَه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾[٣] وهو نحوُ قولِك: أَعجبني زيدٌ وكرمُه، فيكون ﴿فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ من صلةِ ﴿يُتْلَىٰ﴾، ويجوزُ أَن يكونَ ﴿فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ بدلاً من ﴿فِيهِنَّ﴾ وهذه الإِضافةُ أَعني ﴿يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ بمعنىٰ: «مِنْ» نحوُ ثوبُ خزٍّ وسَحْقُ عِمامةٍ ﴿ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ﴾ أَي: لاتُعطونَهُنَّ ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ أَي: ما فُرِضَ لهنَّ من الميراثِ، وكانَ الرجلُ منهم يَضُمُّ اليتيمةَ ومالَها إِلىٰ نفسِه، فإِن كانت جميلةً تَزَوَّجَها وأَكلَ المالَ، وإِن كانت دَميمةً عَضَلَها عن التزوُّجِ حتَّى تموتَ فَيَرِثَها ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ يحتملُ الوجهَيْن، أَي: تَرْغَبُونَ في أَن تَنكِحوهنَّ لجمالِهنَّ ومالِهنَّ، أَو تَرْغَبُون عن أَن تَنكِحوهنَّ لدَمامتِهن، وقولُه: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ

---

(١) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٥٦٩.

(٢) وفي معنىٰ «الخليل» والأَقوال الواردة فيه راجع معاني القرآن للزجّاج: ج ١ ص ١١٢ ـ ١١٣، والتبيان: ج ٣ ص ٣٤٠ ـ ٣٤١، والكشّاف: ج ١ ص ٥٦٩. وفي بيان الحنيفية التي أمر الله تعالى نبيّه ﷺ بأن يتّبع إبراهيم عليه السلام فيها راجع التبيان: ج ٣ ص ٣٤٢.

(٣) الآية: ٣.

مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾ مجرورٌ معطوفٌ علىٰ ﴿يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ وكانوا في الجاهليَّةِ إِنَّـما يُوَرِّثُونَ الرجالَ الَّذين يَقومون بالأُمورِ دونَ الأَطفالِ والنساءِ، والمعنىٰ: يُـفتيكم في يَتامَى النساءِ وفي المُسْتَضْعَفِينَ من الصبيانِ بأَن تُعْطوهم حقوقَهم، ﴿وَ﴾ في ﴿أَن تَقُومُواْ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِالْقِسْطِ﴾ أَي: بالعدلِ في أَنفسِهم وفي مواريثِهم، وتُعْطُوا كلَّ ذي حقٍّ منهم حقَّه صغيراً كان أَو كبيراً، ذكراً كان أَو أُنثى ﴿وَمَاتَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ من عدلٍ أَو بِرٍّ يَعْلَمْه الله سبحانه ولايَضِيعُ عنده أَجرهُ.

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ (١٢٨)

﴿خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً﴾ أَي: تَوَقَّعَتْ منه ذلكَ وهو أَن يمنعَها نفسَه ومودَّته ونفقتَه ويُؤْذِيَها بِسَبٍّ أَو ضَرْبٍ ﴿أَوْ إِعْرَاضاً﴾ بأَن يُعْرِضَ عنها ويُقِلَّ مُـجالَسَتَها ومُؤانَسَتَها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن﴾ يَتصالَحا، أَي: يَصْطَلِحا ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحاً﴾ بأَن تَتْرُكَ المرأَةُ له يومَها، أَو تَضَعَ عنه بعضَ مايجِبُ لها من نَفَقَةٍ تَسْتَعْطِفُه بـذلك، أَو تَهَبَ له بعضَ المَهرِ ﴿وَٱلصُّلْحُ خَـيْرٌ﴾ من الفُرْقَةِ أَو من النشوزِ والإِعراضِ وسوءِ العِشرةِ، أَو الصلحُ خيرٌ من الخصومةِ في كلِّ شيءٍ، وهذِهِ الجملةُ اعتراضٌ وكـذا قولُه: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ أَي: جُعِلَ الشحُّ حاضراً لها لايَغيبُ عنها أَبداً إِذ هي مطبوعةٌ عليه، والغرضُ: أَنَّ المرأَةَ لاتَسْمَحُ بـقسمتِها والرجـلَ لايَسْـمَحُ بأَن يُمْسِكَها إِذا أَحَبَّ غيرَها ولم يُحِبَّها ﴿وإِن تُحْسِنُواْ﴾ بالإِقامةِ علىٰ نسـائِكم وإِن كَرِهتُمُوهُنَّ وتَصْبِرُوا علىٰ ذلك ﴿وَتَـتَّقُواْ﴾ النشـوزَ والإِعـراضَ ومـايُؤَدِّي إِلى الأَذَىٰ والخصومةِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ وهو يُثيبُكم عليه.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً(١٢٩) وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلّاً مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ ٱللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً﴾ (١٣٠)

ومُحالٌ أن ﴿تَسْتَطِيعُوٓاْ﴾ العدلَ ﴿بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ والتسويةَ حتّىٰ لايَقَعَ ميلٌ ٱلْبَتَّةَ في المحبَّةِ والمودَّةِ بالقلبِ ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ علىٰ ذلك، وعن النبيِّ صلى الله عليه وآله: أنّهُ كانَ يَقْسِمُ بينَ نسائِه فَيَعْدِلُ ويَقُولُ: «هذِهِ قِسمتي فيما أَمْلِكُ فلا تأْخُذْني فيما تَمْلِكُ ولا أَمْلِكُ»[1] يعني المحبَّةَ، وقيل: إنَّ العدلَ بينَهنَّ صعبٌ وهو أن يُسَوِّيَ بينَهنَّ في القِسمةِ والنفقَةِ والتعهُّدِ والنظَرِ والمُؤانَسَةِ وغيرِ ذلك ممَّا لايُحْصَىٰ[2] فهو كالخارجِ من حدِّ الاستطاعةِ، هذا إذا كُنَّ محبوباتٍ كلُّهنَّ فكيفَ إذا مالَ القلبُ مَعَ بعضِهنَّ؟! ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ فلا تجوروا على المرغوبِ عنها كلَّ الجورِ فتَمْنَعُوها قسمتَها من غيرِ رضىً منها ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ وهي الَّتي ليست بذاتِ بعلٍ ولا مطلَّقةٍ، ويُرْوىٰ: أَنَّ علياً عليه السلام كان له امرأَتانِ، فكان إذا كانَ يومُ واحدةٍ لايَتَوَضَّأُ في بيتِ الأُخرىٰ[3] ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ﴾ في القسمةِ والتسويةِ بينَ الأزواجِ ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ اللهَ في أَمرِهنَّ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ يَغْفِرُ لكم مامَضىٰ منكم من الحَيفِ في ذلك، ويَرْحَمُكم بتركِ المُؤاخَذَةِ عليه ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ وإن يُفارِقْ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلّاً﴾ أَي: يَرْزُقْهُ اللهُ زوجاً خيراً من زوجِه وعيشاً

(١) مسند أحمد: ج ٦ ص ١٤٤، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور: ج ٢ ص ٧١٢ وعزاه الى ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن المنذر.

(٢) قاله ابن عبّاس ومحمّد بن سيرين عن عبيدة وأبو قلابة والحسن ومجاهد والسدي وابن أبي مليكة والضحّاك وسفيان وابن زيد. راجع تفسير الطبري: ج ٤ ص ٣١٢ ـ ٣١٤.

(٣) التبيان: ج ٣ ص ٣٥٠.

أَهْنَأَ من عيشِه، والسَعَةُ: الغِنىٰ والمَقْدُرَةُ، والواسعُ: الغنيُّ المُقْتَدِرُ.

﴿وَلِلَّهِ مَافِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُـواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّـقُواْ ٱللَّهَ وَإِن تَكْـفُرُواْ فَـإِنَّ لِـلَّـهِ مَـافِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَافِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَـنِيّاً حَـمِيداً (١٣١) وَلِـلَّـهِ مَـافِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَافِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا﴾ (١٣٢)

تَعلَّقَ قولُه: ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ بـ ﴿وَصَّيْنَا﴾ أو بـ ﴿أُوتُواْ﴾ ، ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ عـطفٌ علىٰ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ﴾، و﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ اسمٌ للجنسِ يَتَناولُ الكُتُبَ السـماوِيَّةَ ﴿أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: بأَن اتَّقُوا اللهَ، والمعنىٰ: وصَّيناهم ووصَّيناكم بالتقوىٰ ﴿وَ﴾ قُلنا لهم ولكم: ﴿إِن تَكْفُرُواْ﴾، والمعنىٰ: أَنَّ للهِ الخلقَ كلَّه وهـو خـالقُهم والمُـنعِمُ عـليهم بصنوفِ النِعَمِ فاسْتَدِيموا نِعَمَه باتِّقاءِ معاصيه ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ من الأُمَمِ السالفةِ ووصَّيناكم: ﴿أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ يعني: أَنَّـها وصيَّةٌ قـديمةٌ مـازال يُوَصِّي اللهُ بها عبادَه؛ لأَنَّ بالتقوىٰ تُنالُ النجاةُ والسعادةُ ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ﴾ في سماواته وأَرضِه مَن يُوَحِّدُه ويَعْبُدُه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ مع ذلك ﴿غَنِيّاً﴾ عن خلقِه وعن عبادتِهم جميعاً ﴿حَمِيداً﴾ مُستحِقاً لأَن يُحْمَدَ لكثرةِ نِعَمِه، وكَرَّرَ قولَه: ﴿وَلِلَّهِ مَافِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَافِى ٱلْأَرْضِ﴾ تقريراً لما هو موجِبُ تقواه لِـيَتَّقُوه ويُـطيعُوه ولا يَعْصُوه.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيراً (١٣٣) مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِـرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (١٣٤)

﴿إِن يَشَأْ﴾ اللهُ يُفْنِكم ويعْدِمْكم كما أَوْجَدَكم ﴿وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ ويُـوجِدْ

خلقاً آخرين غيرَكم أو إنساً آخرين مكانَكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ على الإعدامِ والإيجادِ ﴿قَدِيراً﴾ لايمتنع عليه شيءٌ أراده، وقيل: هو خطابٌ لمَن كان يعادي رسولَ اللهِ من العربِ[١]، يعني: إن يَشَأْ يُمِتْكم ويَأْتِ بناسٍ آخرين يُوالُون رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله، ورُوِيَ: أنَّها لمَّا نَزَلَتْ ضَرَبَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بيدِه على ظهرِ سَلْمانَ[٢] وقال: «إنَّهم قومُ هذا» يعني: أبناءَ فارِسَ[٣] ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾ بِجهادِه ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني: الغنيمةَ ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ فماله يطلب أحدَهما دونَ الآخرِ، والَّذي يطلبه أَخَسُّهما؛ لأنَّ الغنيمةَ في جنبِ ثوابِ الآخرةِ كَلاشيءٍ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ (١٣٥)

﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ مجتهدين في إقامةِ العدلِ حتَّى لاتَجُوروا ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ تُقيمون شَهاداتِكم لوجهِ اللهِ كما أَمَرَكم بإقامتها ﴿وَلَوْ﴾ كانت الشهادةُ ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ وهي الإقرارُ لأنَّه في معنَى الشهادةِ عليها ﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾

(١) قاله الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٣ ص ٣٥٢.

(٢) هو أبو عبدالله سلمان الخير الفارسي المحمدي، أصله من رام هرمز، وقيل: إصبهان، واسمه: مايه بن بوذخشان بن مورسلان من ولد آب الملك، وقيل: زوربه، وقيل غير ذلك. من خواص الصحابة وحواريّهم، أسلم بعد الهجرة، وأوّل مشاهده غزوة الأحزاب حيث أشار على النبي صلى الله عليه وآله بحفر الخندق، وكان من أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام، وقد ولّاه عمر على المدائن في زمن خلافته، قيل: عاش ٢٥٠ سنة، وقيل: ٣٥٠ سنة، توفّي بالمدائن قرب بغداد. (أعيان الشيعة: ج ٧ ص ١٧٩، تهذيب التهذيب: ج ٤ ص ١٣٨).

(٣) رواها الشيخ في التبيان: ج ١ ص ٣٥٢، والماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٥٣٤ عن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله.

أَو علىٰ آبائِكم وأَقارِبكم ﴿إِن يَكُنْ﴾ المشهودُ عليه ﴿غَنِيّاً﴾ فلا تَمتَنِعوا من الشهادةِ عليه لِغناه ﴿أَوْ فَقِيراً﴾ فلا تَمتَنِعوا منها تَرَحُّماً عليه ﴿فَاللهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ بالغنيِّ والفقيرِ، أَي: بالنظرِ إِليهما وإِرادةِ مصلحتِهما، ولولا أَنَّ الشهادةَ عليهما مصلحةٌ لهما لَما شرَعهَا ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَىٰٓ﴾ كراهة ﴿أَن تَعْدِلُوا﴾ بينَ الناسِ، أَو إِرادةَ أَن تَعدِلوا عن الحقِّ ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا﴾ أَلسِنَتَكم عن شهادةِ الحقِّ أَو حكومةِ العدلِ ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ عن الشهادةِ بما عندَكم وتَمنَعوها، وقُرِئَ: «وَإِن تَلُوا»[1] بمعنىٰ: وإِن وَلِيتُم إِقامةَ الشهادةِ أَو أَعرَضتُم عن إِقامتِها ﴿فَإِنَّ ٱللهَ كَانَ﴾ بأَعمالِكم وبِمُجازاتِكم عليها ﴿خَبِيراً﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ءَامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا بَعِيداً (١٣٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْراً لَّمْ يَكُنِ ٱللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٧) بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (١٣٨) ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ (١٣٩)

هو خطابٌ للمسلمين ﴿ءَامِنُوا﴾ أَي: اثْبُتوا على الإِيمانِ ودُوموا عليه ﴿وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ المرادُ به جنسُ الكُتُبِ المنزلةِ على الأَنبياءِ، وقُرِئَ: «نُزِّلَ» و «أُنْزِلَ» على البناءِ للفاعلِ، وقيل: الخطابُ لأَهلِ الكتابِ لأَنَّهم

---

(١) قرأها حمزة وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٣٩، وتفسير البغوي: ج ١ ص ٤٨٩، والتبيان: ج ٣ ص ٣٥٣. وحكاها الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ١١٨ ونسبها الى يحيىٰ بن وثّاب والأعمش وحمزة ولم يختارها.

آمنوا ببعضِ الكُتُبِ[١] والرُسُلِ وكَفَرُوا ببعضٍ، أي: ﴿ءَامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمَّدٍ والقرآنِ وبكلِّ كتابٍ ﴿أَنزَلَ﴾ قبله[٢]، وقيل: هو للمنافِقين يُريدُ: يا أَيُّها الَّـذين آمَنُوا نِفاقاً آمِنُوا إخلاصاً[٣]، وإنَّما قيلَ: ﴿نَزَّلَ﴾ بالتشديدِ للقرآنِ لأَنَّه نُزِّلَ مُفرَّقاً مُنَجَّماً في نَيِّفٍ وعشرين سنةً بخلافِ الكُتُبِ قبلَه ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ﴾ الآية، أي: ومن يَكْفُرْ بشيءٍ من ذلك ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ لأَنَّ الكفرَ بالبعضِ كفرٌ بالكلِّ، أَلا ترَىٰ كيف قدَّمَ الإيمانَ بالجميعِ ؟!

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ هم اليهودُ آمَنُوا بالتوراةِ وبموسى ثمَّ كَفَرُوا بهما بكفرِهم بمحمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿ثُمَّ ءَامَنُواْ﴾ بعيسى والإنجيلِ يعني: النصارىٰ ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بهما بكفرِهم بمحمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْراً﴾ بكفرِهم بالقرآنِ، وقيل: هم طائِفةٌ من أَهلِ الكتابِ أَرادوا تشكيكَ المسلمين بإِظهارِ الإيمانِ به ثمَّ بإِظهارِ الكفرِ به كما تَقَدَّمَ ذكرُهم عندَ قولِه: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٤][٥]، وقيل: هم المنافقون أَظْهَرُوا الإِيمانَ بمحمَّدٍ[٦] صلى الله عليه وآله ثمَّ الكفرَ به ثمَّ الإيمانَ به ثمَّ الكفرَ به ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْراً﴾ بإِصرارِهم على الكفرِ حتَّىٰ ماتوا عليه[٧]، وعن ابن عبَّاسٍ: دَخَلَ في هذِهِ الآيةِ

(١) في نسخة: الكتاب.

(٢) قاله الضحّاك. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ٤٩٠.

(٣) قائل ذلك مجاهد. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ٤٩٠.

(٤) آل عمران: ٧٢.

(٥) قائل ذلك الحسن البصري. راجع تفسيره: ج ١ ص ٣٠٢، وحكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ٥٣٧، ونسبها البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٤٩٠ الى قتادة.

(٦) في بعض النسخ: بالنبيّ.

(٧) قاله مجاهد. راجع تفسير الماوردي: ج ١ ص ٥٣٧، واختاره الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ٣٥٩.

كلُّ مُنافقٍ كانَ في عهدِ النبيِّ صلّى الله عليه وآله[١]. ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ نفيٌ للغفرانِ والهدايةِ الَّتي هي اللطفُ، واللام للمبالغة في النفي ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ وَضَعَ «بَشِّرْ» مكانَ «أَخْبِرْ» تهكُّماً بهم ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ﴾ نُصِبَ على الذمِّ أَو رُفِعَ بمعنىٰ: أُريدُ الَّذين، أَو هم الَّذين وكانوا يُوالونَ الْكَفَرَةَ ويُمايِلونهم ﴿أَ﴾ يَطْلُبُونَ ﴿عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ والغلبةَ باتِّخاذِهم إيَّاهم ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ﴾ والغلبةَ ﴿لِلَّهِ﴾ ولأَوليائِه يُعِزُّ مَن يَشاءُ، وللهِ العزَّةُ ولِرسولِه وللمؤْمنينْ.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (١٤٠)

﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ﴾ هي «أَن» المخفَّفةُ من الثقيلَةِ[٢]، والمعنىٰ: أَنَّه إِذا سَمِعْتُمْ، و ﴿أَنْ﴾ مع مافي حَيِّزِها في موضعِ الرفعِ بـ«نُزِّلَ»[٣]، أَو في موضِعِ النصبِ بـ ﴿نَزَّلَ﴾ فيمَن قَرَأَ به، والمرادُ به مانَزَّلَ عليهم بمكَّةَ من قولِه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾[٤]، وذلك أَنَّ المشرِكين كانوا يَخُوضُونَ في ذكرِ القرآنِ فَيَسْتَهْزِئُونَ به فَنُهِيَ المُسلِمونَ عن القُعودِ ﴿مَعَهُمْ﴾، وكان اليهودُ في المدينةِ يَفْعَلونَ مثلَ فعلِهم فنُهوا أَن يَجْلِسوا مَعَهم، وكان المُنافِقون يُجالِسونهم فقيل لهم: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ والضميرُ في قوله: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾ يرجع إِلىٰ مَن دلَّ عليه قولُه: ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾، كأَنَّه

(١) حكاه عنه المصنّف في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ١٢٦.

(٢) في نسخة: المثقلة.

(٣) قرأ الجمهور من السبعة بضمّ النون وكسر الزاي وقرأ عاصم وحده بفتح النون والزاي. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٣٩، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٨٦، والبحر المحيط: ج ٣ ص ٣٧٤.

(٤) الأنعام: ٦٨.

قال: فَلا تَقْعُدُوا مَعَ الكافرين بها والمستهزِئين بها، وفي هذا[١] دَلالةٌ علىٰ تحريمِ مُجالَسَةِ الكفَّارِ والفُسَّاقِ وأَهلِ البِدعَ من أيِّ جنسٍ كانوا.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١) إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢) مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ (١٤٣)

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ﴾[٢] أَو صفةٌ لـ ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ أَو نصب على الذمِّ[٣]، ومعناه: ينتظِرون بكم مايَتَجَدَّدُ لكم من فتحٍ أَو إخفاقٍ ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ فأَسْهِموا لنا في الغنيمة ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أَي: أَلم نغْلِبْكم ونَتَمكَّنْ من قتلِكم فَأَبقَيْنا عليكم ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ﴾ المُسلِمين بأَن ثَبَّطْناهم عنكم وتَوانَيْنا في مُظاهَرَتِهم عليكم وأَطْلَعْناكم علىٰ أَسرارِهم وأَفْضَيْنا إِليكم بأَخبارِهم فاعْرِفوا لنا هذَا الحقَّ، وسَمَّىٰ ظَفَرَ المُسلمين فتحاً وظَفَرَ الكافرين نَصِيباً تعظيماً لشأنِ المُسلمين وتحقيراً لحظِّ الكافرين ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ وبينَ المُنافِقين أَيُّهَا المُؤمنون ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بالحقِّ فيُدخِلُكُمُ الجَنَّةَ ويُدْخِلُهم النارَ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أَي: يَفْعَلون فعلَ المُخادِعِ من إِظْهارِ الإِيمانِ وإِبطانِ الكفرِ ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ من خادَعْتُهُ فَخَدَعْتُهُ، أَي: فاعلٌ بهم مايَفْعَلُ

(١) في نسخة: هذه الآية.
(٢) الآية: ١٣٩.
(٣) راجع تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٥٧٨.

الغالبُ في الخِداعِ حيثُ عَصَمَ دِماءَهم وأَموالَهم في الدنيا وأَعدَّ لهم الدركَ الأَسْفَلَ من النارِ في الآخِرةِ ﴿قَامُوا كُسَالَىٰ﴾ أَي: مُتثاقِلين لا عَن رَغْبَةٍ ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يَقْصُدون بصلاتِهم الرياءَ والسمْعَةَ ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾ أَي: لا يُصلُّونَ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لأَنَّهم لا يصلُّون قطُّ[١] غائِبين عن عيونِ الناسِ وما يُجاهِرون به قليلٌ، أَو لا يَذْكُرون اللهَ بالتسبيحِ والتحميدِ إِلّا ذكراً قليلاً في الندرةِ، والمُراءاةُ: مُفاعَلَةٌ من الرؤْيةِ كأَنَّ المرائِي يُرِي الناسَ عملَه وهم يُرُونَه استحسانَه، ويجوزُ أَن يكونَ بمعنَى التفعيلِ كما قيل: نَعَّمَه وناعَمَه[٢]، وقد قُرِئَ في الشواذِّ: «يُرَؤُّونَ»[٣] مثلُ يُرَعُّونَ أَي: يُبَصِّرونهم أَعمالَهم.

﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ إِمَّا حالٌ عن واوِ ﴿يُرَآءُونَ﴾ نحوُ قولِه: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ﴾ أَي: يُراؤُون الناسَ غيرَ ذاكرين مُذَبْذَبِينَ، أَو منصوبٌ على الذمِّ يعني: ذَبْذَبَهم الشيطانُ ﴿بَيْنَ﴾ الكفرِ والإِيمانِ فهم متردِّدون بينَهما متحيِّرون. وحقيقة المُذَبْذَبِ: الَّذي يُذَبُّ عن كلا الجانبَيْن، أَي: يُذادُ ويُدْفَعُ فلا يَقِرُّ في حالٍ واحدةٍ كما قيل: فلانٌ يُرْمىٰ به الرَّجَوانِ[٤]، وقِراءَةُ ابنِ عبَّاسٍ: «مُذَبْذِبِينَ» بكسرِ الذالِ[٥] معناه: يُذَبذِبُون قلوبَهم أَو دينَهم أَو رأيَهم، و ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِشارةٌ إِلى الكفرِ والإِيمانِ ﴿لَآ﴾ منسوبين ﴿إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ فيكونوا مؤمنين ﴿وَلَآ﴾ منسوبين ﴿إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ فيكونوا كافرين.

---

(١) انظر تفصيل «قطّ» وأوجهها في مغني اللبيب لابن هشام: ص ٢٣٣.

(٢) راجع تفصيله في الكشّاف: ج ١ ص ٥٨٠.

(٣) وهي قراءة ابن ابي اسحاق والأشهب العقيلي. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ٣٦، والمحتسب لابن جني: ج ١ ص ٢٠٢.

(٤) قال الجوهري في الصحاح: مادة (رجا): والرجىٰ ـ مقصور ـ ناحية البئر وحافتاها، وكل ناحية رجاً، والرجوان: حافتا البئر، فإذا قالوا: رمي به الرجوان أرادوا أنّه طُرح في المهالك.

(٥) حكاه عنه ابن خالويه في شواذ القرآن: ص ٣٦، والقرطبي في تفسيره: ج ٥ ص ٤٢٤.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰناً مُّبِيناً (١٤٤) إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً (١٤٥) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِاللهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ (١٤٦)

أَي: لاتَتَشَبَّهوا بالمُنافِقين في اتِّخاذِهم ﴿ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾، ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ حُجَّةً بَيِّنَةً، يعني: أَنَّ مُوالاةَ الكافرين بَيِّنَةٌ على النفاقِ ﴿ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ﴾ الطبَقُ الَّذي في قَعرِ جهنَّمَ، والنارُ سَبْعُ دَرَكاتٍ، وقُرِئَ بسكونِ الراءِ[1] ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ نِيَّاتِهِمْ ﴿وَٱعْتَصَمُواْ بِاللهِ﴾ وَثِقُوا به كما يَثِقُ المؤْمنون المُخلِصون ﴿وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ أي: لايَبْتَغُون بطاعتِهم إلَّا وجهَ اللهِ ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أَي: فهم أَصحابُ المؤْمنين ورُفَقاؤُهم في الدارَيْن ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ فيُشارِكونهم فيه، و«سَوْفَ» كلمة ترجيةٍ وإِطماعٍ، وهي من اللهِ سبحانه إيجابٌ؛ لأَنَّه سبحانه أَكرمُ الأَكرمين ووعدُ الكريم إنجازٌ.

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللهُ شَاكِراً عَلِيماً (١٤٧) لَّا يُحِبُّ ٱللهُ ٱلْجَهْرَ بِالسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ ٱللهُ سَمِيعاً عَلِيماً (١٤٨) إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً﴾ (١٤٩)

﴿مَا﴾ يَصْنَعُ ﴿ٱللهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ أَيَتَشَفَّى به من الغيظِ أَم يَسْتَجْلِبُ به نفعاً أَو

---

(١) قرأه الكوفيون سوىٰ الأعشىٰ. راجع كتاب التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٨٠ وحكاها الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ١٢٤ عن أهل الكوفة والأعمش وحمزة ويحيىٰ بن وثاب.

يَسْتَدْفِعُ به ضرراً؟ لا بل هو الغنيُّ الَّذي لايجوزُ عليه شيءٌ من ذلك، فـإن قُـمْتُمْ بشكرِ نعمتِه ﴿وَءَامَنتُمْ﴾ به فقد أَبْعَدْتُمْ عن أَنفسِكم استحقاقَ العذابِ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾ يَشْكُرُ القليلَ من أعمالِكم ويَعْلَمُ ماتَسْتَحِقُّونَه من الجزاءِ ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ إلَّا جهرَ مَن ظُلِمَ، اسْتُثْنِيَ من الجهرِ الَّذي لايُحِبُّهُ اللهُ جهرُ المظلومِ، وهو أَن يَدْعُوَ على الظالمِ ويَذْكُرَه بما فيه من السوءِ[١]، وقيل: هو أَن يُبْدَأَ بالشتيمةِ فَيَرُدَّ على الشاتِمِ يَنْتَصِرُ منه[٢]، ثمَّ حثَّ سبحانه على العفوِ وأَن لايَجْهَرَ أَحـدٌ لأَحـدٍ بسوءٍ وإن كانَ علىٰ وجهِ الانتصارِ؛ حثاً على الأَحبِّ إليه والأَفضلِ عندَه، وذَكَرَ إبداءَ الخيرِ وإخفاءَه تسبيباً للعفوِ، ثمَّ عَطَفَ العفوَ عليهما تنبيهاً علىٰ لطفِ منزلته عندَ الله، ويَدُلُّ علىٰ ماذَكَرْنا قولُه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً﴾ أَي: يَعْفو مع قدرتِه على الانتقامِ، فعليكم أَن تَقْتَدُوا بسنَّةِ اللهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً (١٥١) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَـٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ (١٥٢)

جَعَلَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ آمَنوا باللهِ وكَفَروا برُسُلِه، أَو آمَنوا باللهِ وكَـفَرُوا ﴿بِـبَعْضٍ﴾ رُسُلِه كافرين باللهِ وبرُسُلِه جميعاً، ومعنىٰ اتِّخاذِهم ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ أَي: طريقاً وسطاً، ولا واسطةَ بينَ الكفرِ والإيمانِ، ولذلك قال: ﴿أُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقّاً﴾ أَي: هم الكاملون في الكفرِ، و﴿حَقّاً﴾ تأْكيدٌ لمضمونِ الجـملةِ أَو صـفةٌ لمـصدرِ

---

(١) في نسخة: الظلم.

(٢) قاله ابن عبّاس والسدي. راجع تفسير القرطبي: ج ٦ ص ١.

﴿ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، أَي: كُفراً حقّاً لاشكَّ فيه، وجازَ دخولُ ﴿بَيْنَ﴾ علىٰ ﴿أَحَدٍ﴾ لأَنَّه عامٌّ في الواحدِ المُذكَّرِ والمُؤنَّثِ وتثنيتِهما وجمعِهما، تقول: ماراَيْتُ أحداً فتقْصُدُ العمومَ، والمعنىٰ: ولم يُفرِّقُوا بينَ اثنَيْن منهم أَو بينَ جماعةٍ ﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ معناه: أَنَّ ذلكَ كائِنٌ لامَحالةَ وإِن تَأَخَّر، فَالغَرَضُ توكيدُ الوعدِ لاكونُه مُتأَخِّراً.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰباً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَاجَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰناً مُّبِيناً (١٥٣) وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لَاتَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقاً غَلِيظاً﴾ (١٥٤).

رُوِيَ: أَنَّ كعبَ بنَ الأَشرَفِ وجماعةً من اليهودِ قالوا لرسولِ الله ﷺ: إن كنتَ نَبيّاً فَأْتِنا بكتابٍ من السماءِ جملةً كما أَتىٰ[١] موسىٰ بالتوراةِ جملةً فَنَزَلَتْ[٢]، وقيل: سأَلوا كتاباً يُعايِنُونه حينَ يُنَزَّلُ[٣]، وإِنَّما اقترحوا ذلك علىٰ سبيلِ التعَنُّتِ[٤]، قال الحسن: لو سأَلوه لكي يَتَبَيَّنُوا الحقَّ لأَعطاهم وفيما آتاهم كفايةٌ[٥].

﴿فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ﴾ جوابٌ لشرطٍ مُقدَّرٍ، معناه: إِنِ اسْتَكْبَرْتَ ماسَأَلوه منك

---

(١) في نسخة: «أُتي» بصيغة المجهول.

(٢) راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ٤٩٥، والكشّاف: ج ١ ص ٥٨٤.

(٣) قاله السدي ومحمّد بن كعب. راجع التبيان: ج ٣ ص ٣٧٦، وتفسير الطبري: ج ٤ ص ٣٤٦، وتفسير الماوردي: ج ١ ص ٥٤٠.

(٤) وهو قول الجبائي على ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ٣٧٦.

(٥) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٥٨٤.

﴿فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ وإنَّما أُسْنِدَ السؤالُ إليهم وإن وُجِدَ من آبائِهم لكونِهم راضين بسؤالِهم ﴿جَهْرَةً﴾ عياناً، والمعنىٰ: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ﴾ نَرَهُ ﴿جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِـ﴾ سببِ ﴿ظُلْمِهِمْ﴾ وهو سؤالُهم الرُّؤيَةَ ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ أي: تَسلُّطاً واستيلاءً ظاهراً عليهم حينَ أَمَرَهم بأَن يَقتُلوا أنفسَهم حتَّى يُتابَ عليهم فأَطاعوه ﴿بِمِيثَٰقِهِمْ﴾ بسببِ ميثاقِهم لِيَخافوا فلا يَنْقُضُوهُ ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ﴾ والطُورُ فوقَهم: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَ... لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم﴾ الميثاقَ[1] علىٰ ذلك والعهدَ ثمَّ نَقَضُوه من بعدُ. وقُرِئَ: «لا تَعْدُّوا» بتشديدِ الدالِ وسكونِ العينِ[2]، والأَصلُ: «لا تَعْتَدُوا» فأُدْغِمَ التاءُ في الدالِ وجُمِعَ بينَ الساكنَيْنِ كما جُمِعَ في نحوِ: أُصَيْمٍّ ودُوَيْبَّةٍ.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٥٨)

أَي: فَبِنَقْضِهِم، و «ما» مزيدةٌ للتوكيدِ والباءُ يَتَعَلَّقُ بمحذوفٍ، والمعنىٰ: فبما نَقضِهم وكُفرِهم وقَتلِهم وقَولِهم: فَعَلْنا بهم ما فَعَلْنا، ويجوزُ أَن يَتَعَلَّقَ بقولِه: ﴿حَرَّمْنَا

(١) في نسخة زيادة: غليظاً.

(٢) قرأه ورش عن نافع. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٤٠، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٨٦، وفي التبيان: ج ٣ ص ٣٧٨: هي قراءة أهل المدينة.

عَلَيْهِمْ﴾ فيما بعدُ علىٰ أَنَّ قولَه: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ بدلٌ من قولِه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾[١]، ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ أي: في أَكِنَّةٍ لا يَصِلُ إليها شيءٌ من الموعظةِ والذكرِ، فَرَدَّ اللهُ عليهم بقولِه: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: خَذَلَها اللهُ ومَنَعَها الأَلطافَ بسببِ كفرِهم فصارت كالمطبوعِ عليها ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰناً عَظِيماً﴾ يجوزُ أَن يكونَ عطفاً علىٰ ما يليه من قولِه: ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ والوجهُ: أَن يُعْطَفَ علىٰ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ ويكونَ قولُه: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ كلاماً تابعاً لقولِه: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ علىٰ وجهِ الاستطرادِ. والبهتانُ العظيمُ هو التزْنِيَةُ، ورُوِيَ: أَنَّ جماعةً من اليهودِ سَبُّوا عيسىٰ عليه السلام وسَبُّوا أُمَّه فقال: «اللَّهُمَّ أَنتَ ربِّي وبكلمتِك خَلَقْتَني، اللَّهُمَّ الْعَنْ مَن سَبَّني وسَبَّ والدتِي» فَمَسَخَ اللهُ مَن سَبَّهما قِرَدَةً وخنازيرَ، فاجتمعتِ اليهودُ علىٰ قَتلِه، فَأَخْبَرَه اللهُ بأَنَّه يَرْفَعُه إلى السماءِ ويُطَهِّرُه من صُحْبَةِ اليهودِ، وقال لأَصحابِه: أَيُّكم يَرْضىٰ أَن يُلْقىٰ عليه شَبَهِي فيُقْتَلَ ويُصْلَبَ فيكونَ معي في درجتِي؟ فقالَ له شابٌّ منهم: يانبيَّ اللهِ أَنا، فأَلْقَى اللهُ عليه شَبَهَه فقُتِلَ وصُلِبَ وهم يظنُّون أَنَّه عيسىٰ[٢] ﴿وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أُسْنِدَ ﴿شُبِّهَ﴾ إلى الجارِّ والمجرورِ كقولِك: خُيِّلَ إليه، كأَنَّه قيل: ولكن وَقَعَ لهم التشبيهُ، أَو أُسْنِدَ إلىٰ ضميرِ المقتولِ الَّذي يَدُلُّ عليه قولُه: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا﴾ كأَنَّه قيل: ولكن شُبِّهَ لهم مَن قَتَلُوه ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ في عيسىٰ أَنَّه قُتِلَ أَو لم يُقْتَل، وقيل: اخْتَلَفُوا في أَنَّه إِلهٌ أَو ابنُ إِلهٍ[٣] ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم﴾ بعيسىٰ ﴿مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ استثناءٌ منقطعٌ؛ لأَنَّ اتِّباعَ الظنِّ ليس من جنسِ العلمِ، أَي: ولكنَّهم

---

(١) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٥٨٥، وتفسير القرطبي: ج ٦ ص ٧.

(٢) رواها الزمخشري في الكشاف: ج ١ ص ٥٨٧.

(٣) قاله الحسن على ماحكاه عنه القرطبي في تفسيره: ج ٦ ص ٩.

يَتَّبِعُون الظنَّ ﴿وَمَاقَتَلُوهُ﴾ قتلاً ﴿يَقِيناً﴾، أَو ماقَتَلُوه مُتيَقِّنينَ كما ادَّعَوْا ذلك في قولِهِم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ﴾، وقيل: هو من قولهم: قَتَلْتُ الشيءَ عِلْماً[١].

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً (١٥٩) فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللهِ كَثِيراً (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾(١٦١)

﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ جملةٌ قَسَمِيَّةٌ وَقَعَتْ صفةً لمحذوفٍ، والتقديرُ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أَحدٌ ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾، ونحوهُ ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[٢] ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[٣]، والمعنىٰ: ومامن اليهودِ والنصارىٰ أَحدٌ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ بعيسىٰ وبأَنّـه عبدُاللهِ ورسولُه حينَ لاينْفَعُه إِيمانُه لانقطاعِ وقتِ التكليفِ، وقيل: الضميران لعيسىٰ[٤]، أَي: وإِن منهم أَحدٌ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بعيسىٰ قبلَ موتِ عيسىٰ، وهم أَهلُ الكتابِ الَّذينَ يكونونَ في زمانِ نزولِهِ، فإِنَّه يَنْزِلُ من السماءِ في آخرِ الزمانِ ولايبقى أهل مِلَّةٍ إِلَّا يُؤْمِنُ بـه ويُصَلِّي خلفَ المهديِّ من آل محمَّدٍ عليهم السلام وتَقَعُ الأَمَنَةُ حتَّىٰ تَرْتَعَ الذئابُ مَعَ الْغَنَمِ والأُسودُ مَعَ الْبَقَرِ، وقيل: الضميرُ في ﴿بِهِ﴾ يَرْجِعُ إِلَى اللهِ تعالىٰ[٥]، وقيل: يَرْجِعُ إِلىٰ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله[٦].

---

(١) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج ١ ص ٥٨٨.

(٢) الصافات: ١٦٤. (٣) مريم: ٧١.

(٤) قاله ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد وأبو مالك. راجع تفسير الطبري: ج ٤ ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧، وتفسير القرطبي: ج ٦ ص ١١.

(٥) قاله البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٤٩٧، والزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٥٨٩.

(٦) قاله عكرمة. راجع تفسير البغوي: ج ١ ص ٤٩٧.

ورُوِيَ عن أبي جَعْفَرٍ وأَبي عبدِالله عليهما السلام قالا: «حرامٌ علىٰ روحِ امرِىءٍ أَن تُفارقَ جَسَدَها حتَّى تَرىٰ محمَّداً صلى الله عليه وآله وعليّاً عليه السلام بحيثُ تَقَرُّ عينُها أَو تَسْخَنُ»[١].

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أَي: فبأَيِّ ظلمٍ عظيم! والمعنىٰ: ما ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾ الطيِّباتِ إِلَّا لظلمٍ عظيمٍ ارْتَكَبُوه وهو ماعُدِّدَ لهم من الكفرِ والكبائرِ الموبقةِ، والطيِّباتُ الَّتي حُرِّمَتْ عليهم عقوبةً علىٰ ظلمِهم ماذُكِرَ في قولِه: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ الآية[٢]، كلَّما أَذْنَبُوا ذنباً حُرِّمَ عليهم بعضُ الطيِّباتِ ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللهِ كَثِيراً﴾ أَي: ناساً كثيراً أَو صَدّاً كثيراً ﴿بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ بالرشوةِ الَّتي كانوا يأْخُذُونها من عوامِّهم في تحريفِ الكتابِ.

﴿لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُوْلَـٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً﴾ (١٦٢)

﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ الثابتون فيه المُتْقِنُون له وهم مَن آمَنَ من اليهودِ كعبدِالله بنِ سَلامٍ وأَضرابِه مِن علماءِ اليهودِ ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ من المُهاجِرين والأَنصارِ ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ نُصِبَ على المدحِ لبيانِ فضلِ الصلاةِ، وقيل: هو عطفٌ علىٰ ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أَي: يُؤْمِنون بالكتابِ وبالمُقِيمِينَ الصلاةَ وهم الأَنبياءُ[٣].

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُوراً (١٦٣) وَرُسُلاً قَدْ

(١) العياشي: ج ١ ص ٢٨٤ ح ٣٠٣. (٢) الأنعام: ١٤٦.
(٣) حكىٰ هذا القول الرازي في تفسيره: ج ١١ ص ١٠٦ عن الكسائي.

قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً (١٦٤) رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (١٦٥)

هذا جوابٌ لأَهلِ الكتابِ عن سؤَالِهم رسولَ اللهِ ﷺ أن يُنَزِّلَ عليهم كتاباً من السماءِ، واحتجاجٌ عليهم بأَنَّ إرسالَه كإرسالِ من تَقَدَّمه من الأنبياءِ وأَنَّ المعجزاتِ قد ظَهَرَتْ علىٰ يدِه كما كانت تَظْهَرُ علىٰ أَيديهِم، وقُرِئَ: «زُبُوراً» بضمِّ الزاي[١] جمع زَبُرٍ وهو الكتابُ، ونُصِبَ ﴿رُسُلًا﴾ بمُضْمَرٍ في معنى ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ وهو أَرسَلْنا ﴿قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ بمكَّةَ في الأَنعامِ وغيرِها وعَرَّفناك شأْنَهم وأَخبارَهم ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ فيه دَلالةٌ علىٰ أَنَّ له سبحانه رُسُلاً لم يَذْكُرْهم في القرآنِ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً﴾ بلا واسطةٍ إبانةً له بذلك ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ نُصِبَ على المدحِ، ويجوزُ أَن يكونَ منصوباً على التكريرِ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ لأَنَّ في إرسالِهم إزاحةً لِلْعلَّةِ وإتماماً لإلزامِ الحجَّةِ لئَلَّا يقولَ الناسُ: لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رسُولاً يوصِلُ إلى المحجَّةِ ويُنَبِّهُ على الحجَّةِ ويُوقِظ من سِنَةِ الغَفلةِ.

﴿لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً (١٦٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَـٰلًا بَعِيداً (١٦٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى

---

(١) قرأه حمزة وخلف. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٤٠، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٤٠٢، والعنوان في القراءات لابن خلف: ص ٨٦، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ٣٩٧.

ٱللَّهِ يَسِيراً﴾ (١٦٩)

لمَّا سألوا إنزالَ الكتابِ من السماءِ واحتجَّ سبحانه عليهم بقوله: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ قال: ﴿لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ علىٰ معنىٰ: أنَّهم لايَشْهَدُون لكِنِ اللهُ يَشْهَدُ، وقيل: لمَّا نَزَلَتْ ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ قالوا: مانَشْهَدُ لك بهذا فنَزَلَ ﴿لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾[1]، ومعنىٰ شهادةِ اللهِ ﴿بِمَآ أَنزَلَ﴾ إليه: إثباتُه لصحَّتِه بالمُعجِزات كما تُثْبَتُ الدعاوىٰ بالبيِّناتِ، وشهادةُ ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: شهادتُهم بأنَّه حقٌّ وصدقٌ، ومعنىٰ قولِه: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ أنزله مُلْتَبِساً بعلمِه الخاصِّ الَّذي لايَعْلَمُهُ غيرهُ وهو تأليفُه علىٰ أُسلوبٍ ونظمٍ أَعْجَزَ كلَّ بليغٍ، وقيل: أَنْزَلَه وهو عالمٌ بأنَّك أَهلٌ لإنزالِهِ إليك ومبلِّغٌ له[2] ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً﴾ وإن لم يَشْهَدْ غيرُه ﴿كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾ جَمَعُوا بينَ الكفرِ والظلمِ، أَو كان بعضُهم كافرين وبعضُهم ظالمين ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً﴾ لايَلطُفُ بهم فيَسلُكُون الطريقَ الموصِلَ إلىٰ ﴿جَهَنَّمَ﴾، أَو لايهديهم يومَ القيامةِ إلَّا طَرِيقَها.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْراً لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَافِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (١٧٠) يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَاتَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَاتَقُولُواْ ثَلَـٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَافِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً﴾ (١٧١)

---

(١) قاله القتيبي كما حكاه عنه السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٤٠٦.

(٢) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٥٩٢، والقرطبي في تفسيره: ج ٦ ص ١٩.

﴿فَـَٔامِنُواْ خَيْراً لَّكُمْ﴾ ومثله ﴿ٱنتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ﴾ انْتَصَبَ بمُضْمَرٍ، وهو أنَّه لمَّا دَعاهم إلى الإيمانِ وإلى الانتهاءِ عن التثليثِ عُلِمَ أَنَّه يَحْمِلُهم على أمرٍ فقال: ﴿خَيْراً لَّكُمْ﴾ اقْصُدُوا أَو ٱئْتوا أمراً خيراً لكم ممَّا أَنتم فيه من الكفرِ والتثليثِ وهو الإيمانُ والتوحيدُ ﴿لَاتَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾ غَلَتِ اليهودُ في المَسيحِ حتَّى قالت: وُلِدَ لغيرِ رِشْدَةٍ، وغلَتِ النصارىٰ فيه حيثُ جعَلُوه إلٰهاً ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ وهو تنزيهُه عن الشريكِ والولدِ ﴿وَكَلِمَتُهُ﴾ قيلَ لِعيسىٰ: كَلِمَةُ اللهِ وكَلِمةٌ مِّنْهُ؛ لأنَّه وُجِدَ بكلمتِه وأَمرِه لاغيرُ من غيرِ واسطةِ أَبٍ ولانطفةٍ، وقيل له: روحُ اللهِ ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ كذلك لأَنَّه ذو روحٍ وُجِدَ من غيرِ جزءٍ من ذي روحٍ كالنطفةِ المُنفصلةِ من الحيِّ، وإنَّما أُنْشِئَ إِنْشاءً من عندِاللهِ خالصاً ﴿أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ أَوْصَلَها إليها وحَصَّلَها فيها ﴿ثَلَـٰثَةٌ﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ، فإِن صحَّ عنهم قولُهم: هو جوهرٌ واحدٌ ثلاثةُ أَقانيمَ فتقديرُه: الله ثلاثةٌ، وإلَّا فتقديرُه: الآلِهَةُ ثلاثةٌ ﴿سُبْحَـٰنَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي: أُسَبِّحُهُ تَسْبيحاً من أَن يكونَ له ولدٌ ﴿لَّهُ مَافِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بيانٌ لتنَزُّهِهِ[1] ممَّا نُسِبَ إليه، المعنىٰ: أَنَّ كلَّ مافيهما خلقُه وملكُه فكيف يكون بعضُ خلقِه وملكِه جزءً منه؟! ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً﴾ يَكِلُ الخلقُ إليه أُمورَهم، فهو الغنيُّ عنهم وهم الفقراءُ إليه.

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً (١٧٢) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلَايَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّاً وَلَانَصِيراً﴾ (١٧٣)

(١) في بعض النسخ: لتنزيهه.

أَي: ﴿لَن﴾ يَأْنفَ ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾ ولن يَذهَبَ بنفسه عزَّةً، من نَكَفْتُ الدمعَ: إذا نَحَّيْتَه عن خدِّك بإصبعِك، من ﴿أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ يَأْنفون وهو عطفٌ علىٰ ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾ أَي: ولاكلُّ واحدٍ من الملائِكةِ يَأْنفُ من أَن يكونَ عبداً للهِ، أَو ولَا الْملائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ يأْنفون من أَن يَكونوا عباداً للهِ فحُذِفَ لدَلالةِ قولِه: ﴿عَبْداً لِّلَّهِ﴾ عليه إيجازاً ﴿وَمَن﴾ يأْنفْ ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ ويَتْرُكِ الإذعانَ له ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ﴾ أَي: فَسَيَحْشُرُ المُستَنْكِفَ والمُستَكْبِرَ والمُقِرَّ بالعبوديَّةِ ﴿جَمِيعاً﴾ إلىٰ موضعِ الجزاءِ فيُجازيهِم جَميعاً علىٰ حَسَبِ أَحوالِهِم، والآيةُ الأُخرىٰ ظاهرةُ المعنىٰ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً (١٧٤) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطاً مُّسْتَقِيماً﴾ (١٧٥)

البُرهانُ والنورُ المبينُ هو القرآن[١]، أَو أُريدَ بالبرهانِ الدينُ الحقُّ أَو رسولُاللهِ ﷺ وبالنورِ المُبينِ مايُبيِّنُه من الكتابِ المُعجِزِ[٢] ﴿فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ أَي: في ثوابٍ مُستَحَقٍّ وتَفضُّلٍ ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ﴾ يُوَفِّقُهم لإصابةِ فضلِهِ الَّذي يَتَفَضَّلُ به علىٰ أَوليائِه وسلوكِ طريقٍ من أَنْعَمَ عليه من أَصفيائِه واتِّباعِ دينِهم، وهو الصراطُ المستقيمُ الَّذي ارْتَضاه اللهُ سبحانه مَنْهَجاً لعبادِه.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَاتَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا

(١) وهو قول مجاهد وقتادة والسدي وابن جريج وجميع المفسّرين. راجع التبيان: ج ٣ ص ٤٠٦، واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ١٣٦.

(٢) وقائله مجاهد كما حكاه عنه القرطبي: ج ٦ ص ٢٧.

ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ (١٧٦)

قالوا: إنّه آخرُ مانزَلَ من أحكامِ الدينِ[١]، كانَ جابرُ بنُ عبدِاللهِ مَريضاً فعادَه رسولُاللهِ صلى الله عليه وآله، فقالَ: يارسولَاللهِ، إنّي[٢] كَلالةٌ فكيفَ أصْنَعُ في مالي؟ فنزَلَت[٣] ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ مرفوعٌ بفعلٍ مُضْمَرٍ يُفَسِّرُهُ الظاهرُ، و ﴿لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ جملةٌ منصوبةُ المَوضِعِ على الحالِ، أي: هَلَكَ غيرَ ذي ولدٍ ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ يعني: الأُخت لِلأَبِ والأُمِّ، أَو للأَبِ ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَاتَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ يعني: أنّها إذا كانتِ المَيِّتَةَ فالأخُ يَرِثُها المالَ كلَّه إذا كانت غيرَ ذاتِ ولدٍ ولا والدٍ، وشرطُ انتفاءِ الوالدِ بيّنَهُ النبيُّ صلى الله عليه وآله وفيه إجماعٌ ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ الأَصلُ: فإن كان مَن يَرِثُ بالأُخُوَّةِ اثْنَتَيْنِ ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾، ﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً﴾ وإن كان مَن يَرِثُ بالأُخُوَّةِ إِخْوَةً ذُكوراً وإناثاً ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ فالمرادُ بالإخوَةِ: الإِخوَةُ والأَخَواتُ تغليباً لحكمِ الذكورِ، وإنّما قيل: ﴿فَإِن كَانَتَا﴾ و ﴿إِنْ كَانُوٓاْ﴾ كما قيل: مَنْ كانَتْ أُمَّكَ. فكما أُنِّثَ ضميرُ «مَن» لمكانِ تأنيثِ الخبرِ كذلكَ ثُنِّيَ وجُمِعَ ضميرُ «مَنْ يَرِثُ» في ﴿كَانَتَا﴾ و ﴿كَانُوٓاْ﴾ لمكانِ تثنيةِ الخبرِ وجمعِه[٤] و ﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ مفعولٌ له، ومعناه: كَراهَةَ أَن تَضِلّوا، أي: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ جميعَ أَحكامِ دينِكم[٥] لئَلّا تَضِلّوا ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ من أُمورِ معاشِكم ومعادِكم فَيَجْزيكم بِها علىٰ ماتَقْتَضيهِ المصلحةُ وتُوجِبُهُ الحكمةُ.

---

(١) انظر التبيان: ج ٣ ص ٤٠٧، و الكشّاف: ج ١ ص ٥٩٨.

(٢) في بعض النسخ: إنّ لي.

(٣) التبيان: ج ٣ ص ٤٠٨، اسباب النزول للواحدي: ص ١٥٣ ـ ١٥٤، تفسير البغوي: ج ١ ص ٥٠٤، تفسير السمرقندي: ج ١ ص ٤٠٩.

(٤) راجع تفصيل ذلك في الفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ١ ص ٨٢٩ـ ٨٣٠.

(٥) في نسخة: الدين.

سورة المائدة

مدنيَّةٌ(١) وهي مائةٌوعشرون آيةً كوفيٌّ، ثلاثٌ وعشرون بصريٌّ، ﴿بِالْعُقُودِ﴾(٢) ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾(٣) ﴿فَإِنَّكُمْ غَـلِبُونَ﴾(٤) بصريٌّ.

في حديث أُبَيٍّ: «وَمَنْ قَرَأَ سورةَ المائدةِ أُعْطِيَ من الأَجرِ بعددِ كلِّ يهوديٍّ ونصرانيٍّ يَتَنَفَّسُ في دارِ الدنيا عَشْرَ حَسَناتٍ، ومُحِيَ عنه عَشْرُ سَيِّئاتٍ، ورُفِعَ له عَشْرُ دَرَجاتٍ»(٥).

---

(١) قال الشيخ الطوسي: هي مدنية في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة، وقال جعفر بن مبشر: هي مدنية إلّا آية منها نزلت في حجّة الوداع وهي قوله: ﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهي كلّها مدنية بمعنى أنـّها نزلت بعد الهجرة، وقال الشعبي: نزل قوله: ﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ﴾ والنبيﷺ واقف على راحلته في حجّة الوداع، وقال عبدالله بن عمر: آخر سورة نزلت المائدة. وهي مائة وعشرون آية كوفي، واثنتان وعشرون في المدينتين، وثلاثة وعشرون بصري. انظر التبيان: ج ٣ص ٤١٣.

وفي تفسير البغوي: ج ٢ ص ٥: مدنية كلّها إلّا قوله: ﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ﴾ الآية، فانّها نزلت بعرفات، وهي مائة وعشرون آية.

وعن جبير بن نفير قال: حججت فدخلت على عائشة فقالت لي: أتقرأ المائدة؟ قلت: نعم، قالت: أما انّها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلّوه وما وجدتم من حرام فحرموه. انظر مستدرك الحاكم: ج ٢ ص ٣١١، وتفسير ابن كثير: ج ٢ ص ٣.

(٢) الآية: ١. (٣) الآية: ١٥. (٤) الآية: ٢٣.

(٥) رواه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٦٩٧، وأورده المصنّف في مجمع البيان: ج ٣ـ٤ ص ١٥٠.

أَبو الجارودِ(١) عن الباقرِ عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ سورةَ المائدةِ في كلِّ يَوْمِ خَميسٍ لَمْ يَلْبِسْ إِيمانَه بِظُلْمٍ وَلايُشْرِكْ أَبَداً»(٢).

(١) هو زياد بن المنذر؛ أبو الجارود الأعمى الكوفي، كان ثقةً في النقل مقبول الرواية معتمداً في الحديث، إمامياً في أوله وزيدياً في آخره، مات بعد السنة ١٥٠ هـ. (تقريب التهذيب: ج ١ ص ٢٧٠، الكنىٰ والألقاب: ج ١ ص ٣٤).
(٢) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٣١، وتفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨٨ ح ٣.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (١)

وَفَىٰ بعهدِه وأَوفَىٰ بمعنىً، والعقدُ: العهدُ، بمعنى المعقودِ، والعقودُ: عُهودُ اللهِ الَّتي عَقَدَها علىٰ عبادِه وأَلْزَمَها إِيَّاهم من الإيمانِ به وتحليلِ حلالِه وتحريمِ حرامِه، وقيل: هي العقودُ الَّتي يَتَعاقَدُهَا الناسُ من المُبايَعَةِ والمُناكَحَةِ وغيرِهما[1].

ثمَّ أَخَذَ سبحانَه في تفصيلِ العُقودِ الَّتي أَمَرَ بالوفاءِ بها فقالَ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ والبهيمةُ: كلُّ ذاتِ أَربعٍ من دوابِّ البرِّ والبحرِ، وإِضافتُها إلى ﴿ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ للبيانِ كـ «خاتم فضَّةٍ»، ومعناه: البَهِيمَةُ من الأَنعامِ ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ إِلَّا مُحَرَّمُ مايُتْلىٰ عليكم في القرآنِ من نحوِ قولِه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ الآية[2]، أَو إِلَّا مايُتْلى عَلَيْكُمْ آيةُ تحريمِه، والأَنعامُ: الأَزواجُ الثمانيةُ، وقيل: بهيمةُ الأَنعامِ هي الظباءُ وبقرُ الوحشِ ونحوُهما[3]، كأَنَّهم أَرادوا مايُماثِلُ الأَنعامَ ويُدانِيها من جنسِ البهائِمِ فأُضيفَتْ إِلى الأَنعامِ لمُلابَسَةِ الشبهِ ﴿غَيْرَ مُحِلِّى

---

(١) قاله ابن زيد. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٦.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) قاله الكلبي. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ٦، واختاره الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٢٩٨.

﴿ٱلصَّيْدِ﴾ نُصِبَ على الحالِ من الضميرِ في ﴿لَكُم﴾ أي: أُحِلَّت لكم هذِهِ الأَشياءُ لامحلِّين الصيدَ، وقال الأَخفشُ[١]: انْتَصَبَ عن قوله: ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾[٢]، ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ حالٌ عن ﴿مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ﴾ كأَنَّه قيل: أُحِلَّ لكم بعضُ الأَنعامِ في حال امتناعِكم من الصيدِ وأَنتم مُحرِمون لئَلَّا يحرجَ عليكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَايُرِيدُ﴾ من الأَحكامِ، وحُرُمٌ: جمعُ حرامٍ وهو المُحرِمُ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (٢)

الشعائِرُ: أَعلامُ الحجِّ وأَعمالُه، جمعُ شَعيرَةٍ وهي ماجُعِلَ شِعاراً وعَلَماً للنسُكِ من المَواقفِ والطوافِ والسعيِ وغيرِها، و ﴿ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ شهرُ[٣] الحجِّ، و ﴿ٱلْهَدْىَ﴾ ماأُهدِيَ إِلى البيتِ وتُقُرِّبَ به إِلى اللهِ من النسائِكِ، وهو جمعُ هَدْيَةٍ كَجَدْيٍ في جمعِ جَدْيَةِ السرجِ، و ﴿ٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾ جمعُ قِلادةٍ[٤] وهي مايُقَلَّدُ به الهديُ من نعلٍ أَو غيرِه، والآمُّونَ: القاصدون، وآمُّو الْبيتِ الحرامِ هم الحُجَّاجُ والعُمَّارُ،

---

(١) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، النحوي البلخي المعروف بالأخفش الأوسط، أحد نحاة البصرة، ومن أئمة العربية، وقد أخذ النحو عن سيبويه وكان أكبر منه، قيل: توفي سنة خمس عشرة ومائتين، وقيل: إحدىٰ وعشرين ومائتين. (وفيات الأعيان: ج ٢ ص ١٢٢).

(٢) معاني القرآن: ج ٢ ص ٤٥٩، وحكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٦٠١.

(٣) في نسخة: أشهر.

(٤) انظر الأقوال الواردة فيه في التبيان: ج ٣ ص ٤٢٠، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ٧.

وإحلالُ هذهِ الأَشياءِ: أَن يُتهاوَنَ بحرمتِها وتُضَيَّعَ، وأَن يُحالَ بينَها وبينَ المُتَنَسِّكين، وأَن يُحْدَثَ في شهرِ الحجِّ مايَصُدُّ الناسَ عن الحجِّ، وأَن يُتَعَرَّضَ للهديِ بالغصبِ أَو بالمنعِ من بلوغِ مَحِلِّه. وفي إحلالِ القلائِدِ وجهان: أحدُهما: أنْ يراد ذواتُ القلائِدِ من البُدْنِ والبقرِ، وإنَّما عُطِفَ بها على الهَدْيِ للاختصاصِ وزيادةِ التوصيةِ بها كأَنَّه قيل: وَالْقَلائِد مِنْها خُصُوصاً. والثاني: أَن يُنْهىٰ عن التعرُّضِ لقلائِدِ الهديِ؛ مبالَغَةً في النهيِ عن التعرُّضِ للهديِ، كأَنَّه قيل: ولاتُحِلُّوا قلائدَها فضلاً عن أَن تُحِلُّوها كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [(١)] نهيٌ عن إبداءِ الزينةِ فضلاً عن إبداءِ مواقِعِها[(٢)] ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ﴾ أَي: ولاتُحِلُّوا قوماً قاصدين المسجدَ الحرامَ ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وهو الثوابُ ﴿وَرِضْوَانًا﴾ وأَن يَرْضىٰ عنهم، أَي: لاتتَعَرَّضوا لقومٍ هذِهِ صفتُهم تعظيماً لهم ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا۟﴾ هو إباحةٌ للاصطيادِ بعدَ الحظرِ، كأَنَّه قيل: وإذا حَلَلْتم فلا جناح عليكم أَن تَصْطادُوا. وجَرَمَ مثلُ كَسَبَ في تعدِّيه إلىٰ مفعولٍ واحدٍ واثنَيْن، تقول: جَرَمَ ذَنْباً وَجَرَمْتُهُ ذنباً، وكَسَبَ شيئاً وكَسَبْتُهُ إيَّاه، وأَوَّلُ المفعولَيْن في الآيةِ ضميرُ المُخاطَبين، والثاني ﴿أَن تَعْتَدُوا۟﴾، و ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ بفتحِ الهمزةِ متعلِّقٌ بالـ ﴿شَنَـَٔانُ﴾ وهو شدَّةُ البُغْضِ، وقُرِئَ بسكونِ النونِ أَيضاً[(٣)]، والمعنىٰ: ولايَكْسِبَنَّكُمْ بُغْضُ قومٍ الاعتداءَ، ولايَحْمِلَنَّكم عليه لأَن صدُّوكم عن المسجد الحرامِ وهو منعُ أَهلِ مكَّةَ رسولَاللهِ ﷺ والمؤْمنين يومَ الحُدَيْبِيَّةِ عن العمرةِ، ومعنَى الاعتداءِ: الانتقامُ منهم بإلحاقِ المكروهِ بهم ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ أَي: على العفوِ والإغضاءِ

(١) النور: ٣١.

(٢) راجع تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٦٠٢.

(٣) وهي قراءة ابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٤٢.

﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ على الانتقامِ والتشفّي، والأَولىٰ أَن يكونَ محمولاً على العمومِ فيتناولَ كلَّ برٍّ وتقوىٰ وكلَّ إِثمٍ وظلمٍ.

﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (٣)

كانوا يأْكُلون هذهِ المُحرَّماتِ: البهيمةَ الّتي تَموتُ حتفَ أَنفِها، والدمَ يَجعَلونه في المباعرِ[١] ويَشوُونه ويقولون: «لَمْ يُحرَمْ مَنْ فُزْدَ لَهُ»[٢] أَي: فُصِدَ له ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أَي: رُفِعَ الصوتُ به لغيرِ اللهِ وهو قولُهم: باسمِ اللاتِ والعُزّىٰ عندَ ذَبحِه ﴿وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ﴾ الّتي خُنِقَتْ حتّىٰ ماتَتْ، أَو انخَنَقَتْ هي بسببٍ ﴿وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ﴾ الّتي ضُرِبَتْ حتّىٰ ماتَتْ ﴿وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ﴾ الّتي تَردَّتْ من جبلٍ أَو في بئرٍ فماتَتْ ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ الّتي نَطَحَتْها أُخرىٰ فماتَتْ بالنطحِ ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ بعضَه ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ﴾ أَي: أَدركتم ذَكاتَه وهو يَضطَرِبُ اضطِرابَ المذبوحِ أَو تَشخَبُ أَوداجُه، عن الصادقِ عليه السلام: «أَدنىٰ ما يُدْرَكُ به الذَكاةُ أَن تُدْرِكَه يَتحرَّكُ أُذُنُه أَو ذَنَبُه

(١) المباعر: أَي مواضع البعر من كلّ ذي أربعة أرجل، وهي الأمعاء. (لسان العرب: مادة بعر).

(٢) وفي المثل: «لم يُحرَم من فُصِد له» وربّما سكنت الصاد منه تخفيفاً فتقلب زاياً فيقال: «فُزِد له» والفصيد: دم كان يُجعل في معىً من فصد عرق البعير، ثم يُشوىٰ ويطعمه الضيف في الأزمة، أي: مَن فُصِد له البعير فهو غير محروم، ويضرب في القناعة باليسير. راجع مجمع الأمثال للميداني: ج ٢ ص ١٤١، والصحاح: مادة (فصد).

أَو تَطْرِفُ عينُه»[١]، ﴿وَمَاذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ كانَتْ لهم حجارةٌ منصوبةٌ حولَ البيتِ يَعْبُدُونَها وهي الأَوثانُ، ويَذْبَحُونَ لها ويَنْضَحُونَ الدمَ علىٰ ماأَقْبَلَ منها إِلى البيتِ، ويَشْرَحُون اللحمَ عليها يُعَظِّمُونها بذلك، قال الأَعشىٰ:

وَذَا النُّصُبَ المنصوبَ لاتَنْسُكَنَّهُ وَلاتَعْبُدِ الشَّيْطانَ وَاللهَ فَاعْبُدا[٢]

وجمعهُ الأَنصابُ، وقيل: النُصُبُ جمعٌ والواحدُ نِصابٌ[٣] ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَـٰمِ﴾ أَي: وحُرِّمَ عليكم الاستقْسامُ بالقِداحِ وهي سِهامٌ كانَتْ لهم، مكتوبٌ علىٰ بعضِها: أَمَرَني ربِّي، وعلىٰ بعضِها: نَهاني ربِّي، وبعضُها: غُفْلٌ، فمعنَىٰ الاستقسامِ بالأَزلامِ: طلبُ معرفةِ مايُقْسَمُ له ممَّا لم يُقْسَمْ له بالأَزلامِ، وقيل: هو المَيسِرُ وقسمتُهم الجزورَ على القِداحِ العشرةِ، فالفَذُّ له سهمٌ والتَوْأَمُ له سهمان والمُسْبِلُ له ثلاثةُ أَسْهُمٍ والنافِسُ له أَربعةُ أَسْهُمٍ والحِلْسُ له خمسةُ أَسْهُمٍ والرقيبُ له ستَّةُ أَسْهُمٍ والمُعَلَّىٰ له سبعةُ أَسْهُمٍ والسفيحُ والمَنيحُ والوَغْدُ لاأَنْصِباءَ لها، وكانوا يَدفَعون القِداحَ إِلىٰ رجلٍ يُجيلُها، وكان ثمنُ الجَزور علىٰ مَن يَخْرُجُ لهم هذه الثَلاثةُ الَّتي لاأَنْصِباءَ لها[٤]، وهو القِمارُ الَّذي حرَّمه اللهُ عزَّوجلَّ[٥]، وقيل: هو الشطْرَنْجُ والنردُ[٦] ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ الإِشارة إِلى الاستقسامِ أَو إِلىٰ تناولِ ماحُرِّمَ عليهم ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ لم يُرِد يوماً بعينِه ومعناه الآن ﴿يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾ أَن

(١) التبيان: ج ٣ ص ٤٣١، تفسير ابن كثير: ج ٢ ص ١١.

(٢) ديوان الأعشىٰ: ص ٤٨ وفيه: «الاوثان» بدل «الشيطان»، ومعناه واضح.

(٣) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ١٤٦.

(٤) ولمعرفة تفصيل الميسر والاستقسام بالازلام وأقسامهما وأنواعهما راجع كتاب بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب: ج ٣ ص ٥٣ ـ ٧٠.

(٥) قاله المؤرج وكثير من أهل اللغة. راجع تفسير الرازي: ج ١١ ص ١٣٥.

(٦) وهو قول سفيان ووكيع. راجع تفسير البغوي: ج٢ص ١٠، وتفسير الطبري: ج ٤ ص ٤١٥، وتفسير القرطبي: ج٦ ص ٥٩.

يُبطِلوه وأن تَرجِعوا محلّلين لهذهِ المحرَّماتِ، وقيل: يَئِسوا من دينِكم أَن يَغلِبوه؛ لأَنَّ اللهَ تعالىٰ وَفىٰ بعهدِه[1] من إظهارِه على الدينِ كلِّه[2] ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ بعدَ إظهارِ الدينِ وزوالِ الخوفِ منهم إذا انقَلَبوا مغلوبين بعدَ أن كانوا غالبين ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ ـي وأَخلِصوا لي الخشيةَ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وماتَحتاجون إليه في تكليفِكم من الحلالِ والحرامِ والفرائِضِ والأَحكامِ ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ بولايةِ عليٍّ بن أَبي طالبٍ عليه السلام، رُوِيَ عن الباقر والصادقِ عليهما السلام أَنّـه إنّما نَزَلَتْ بعدَ أَن نَصَبَ النبيُّ صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام علماً للأَنامِ يومَ غديرِ خُمٍّ عند منصرفه من حَجَّةِ الوَداعِ، وهو آخرُ فريضةٍ أَنْزَلَها اللهُ تعالىٰ ثمَّ لم يُنْزِلْ بعدَها فريضةً[3] [4]،

(١) في نسخة: بوعده.

(٢) قاله ابن عبّاس والسدي وعطاء. راجع التبيان: ج ٣ ص ٤٣٤، واختاره الزجّاج في معاني القرآن واعرابه: ج ٢ ص ١٤٨.

(٣) أمالي الصدوق: ص ١٠٩ ح ٨، التبيان: ج ٣ ص ٤٣٥.

(٤) قال القرطبي في تفسيره: ج ٦ ص ٦١ مالفظه: روي أنّها لمّا نزلت في يوم الحجّ الأكبر وقرأها رسول الله صلى الله عليه وآله بكىٰ عمر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: مايبكيك؟ فقال: أبكاني أنّا كنّا في زيادة من ديننا فأما إذ كمل فإنّه لم يكمل شيء إلّا نقص، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: صدقت. قلت: ... الى أن قال: لعلّ قائلاً يقول: قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يدلّ على أنّ الدين كان غير كامل في وقت من الأوقات، وذلك يوجب أن يكون جميع من مات من المهاجرين والأنصار والذين شهدوا بدراً والحديبيّة وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله البيعتين جميعاً وبذلوا لله أنفسهم مع عظيم ماحلّ بهم من أنواع المحن ماتوا على دين ناقص! وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك كان يدعو الناس الى دين ناقص!! ومعلوم أنّ النقص عيب، ودين الله تعالى قيم كما قال تعالى: ﴿دِيناً قِيَماً﴾ فالجواب: لِمَ قلت: إنّ كلّ نقص عيب ومادليلك عليه؟ ثم يقال له: أرأيت نقصان الشهر هل يكون عيباً ونقصان صلاة المسافر أهو عيب لها؟ ونقصان العمر الذي اراده الله بقوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ أهو عيب له؟ ... الى أن قال: وما أنكرت من معناه يخرج على وجهين: أحدهما: أنّ المراد بلّغته أقصى الحد الذي كان له عندي فيما قضيته وقدّرته، وذلك لايوجب أن يكون ماقبل ذلك ناقصاً نقصان عيب ... الى أن قال: والوجه الآخر: أنّه أراد بقوله تعالى أنّه وفّقهم للحجّ الذي لم يكن بقي عليهم من أركان ←

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِيناً﴾ أَي: ٱخْتَرْتُه لك من بينِ الأَديانِ، وآذَنْتُكم بأَنَّه الدينُ المرضيُّ عندي، واتَّصل قولُه: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ﴾ بذكرِ المحرَّماتِ، وقولُه: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ ومابعدَه اعتراضٌ أَكَّدَ به معنَى التحريم؛ لأَنَّ تحريمَ هـٰذِهِ الخبائِثِ من جملةِ الدينِ الكاملِ والإِسلامِ المرضيِّ، والمعنىٰ: فـمَن اضـطُرَّ إِلى الميتةِ أَو غيرِها في مَجاعةٍ ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ أَي: غيرَ منحرفٍ نحوُ قولِه: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ (١)، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لايُؤَاخِذُه بذلك.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَـلَّمْتُم مِّـنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَـلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (٤)

﴿مَاذَآ﴾ مبتدأٌ و ﴿أُحِلَّ لَهُمْ﴾ خبرُه، أَي: أَيُّ شيءٍ أُحِلَّ لهم من المَـطاعمِ؟ كأَنَّهم حينَ تُلِيَ عليهم المآكلُ المحرَّمةُ (٢) سأَلوا عمَّا أُحِلَّ لهم منها، ولم يَقُلْ: ماذا أُحِلَّ لنا حكايةً لما قالوه؛ لأَنَّ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ بلفظِ الغيبةِ، وهذا كما تقول: أَقْسَمَ زيدٌ لَيَفعَلَنَّ، ولو قيل: لأَفْعَلَنَّ وأُحِلَّ لنا لجاز ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ وهو كلُّ مالم يأْتِ تحريمُه في الكتابِ وَالسُّنَّةِ ﴿وَمَـا عَـلَّمْتُم مِّـنَ ٱلْـجَوَارِحِ﴾ عـطفٌ عـلى ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ أَي: وصيدُ ماعَلَّمْتُمْ فَـحُذِفَ المـضافُ، أَو يُـجْعَلُ ﴿مَـا﴾ شـرطيَّةً وجوابُها (٣) ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ والجوارحُ: هي الكواسبُ من الكلابِ عند (٤) أَئِمَّةِ الهُدىٰ عليهم السلام (٥).

← الدين غيره، فحجّوا، فاستجمع لهم الدين أداءً لاركانه وقياماً بفرائضه... الخ، انتهىٰ.

(١) البقرة: ١٧٣.
(٢) في نسخة: المحرمات.
(٣) في نسخة: جوابه.
(٤) في نسخة: وعن.
(٥) انظر التبيان: ج ٣ ص ٤٣٩.

الصادق عليه السلام قال: «لا تأكُلْ إلّا ما ذكّيتَ إلّا الكلابَ المُعَلَّمَة[١]، وكلُّ شيءٍ من السباعِ يُمْسِكُ الصيدَ علىٰ نفسِها إلّا الكلابَ المُعَلَّمَةَ فإنّها تُمْسِكُ علىٰ صاحِبِها، وقال: إذا أَرْسَلْتَ الكلبَ المُعَلَّمَ فاذْكُرِ اسمَ اللهِ عليه فهو ذكاتُه»[٢] وهو أن يقول: بسمِ اللهِ واللهُ أَكْبَرُ.

﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حالٌ من ﴿عَلَّمْتُم﴾ والمُكَلِّبُ: مُؤَدِّبُ الكِلابِ ومُضْرِيها بالصيدِ لصاحبِها و﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حالٌ ثانيةٌ أو استئنافٌ ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من علمِ التكليبِ، لأنّه إلهامٌ من اللهِ ومُكْتَسَبٌ بالعقلِ، وقيل: مِمّا عَرَّفَكم اللهُ أن تُعَلِّموه من اتّباعِ الصيدِ بإرسالِ صاحبِه وانزجارِه بزجرِه وإمساكِ الصيدِ عليه وأن لا يأكُلَ منه[٣] ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عند الإرسالِ، أو إذا أَدْرَكْتُمْ ذكاتَه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فلا تَقْرَبُوا مانهاكم عنه.

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (٥)

﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ تَقَعُ علىٰ كلِّ مستطابٍ من الأَطْعِمَةِ إلّا مادلَّ الدليلُ علىٰ تحريمِه

---

(١) ليس في المجمع عبارة «المعلّمة».

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ١٦٢ ـ ١٦٣، وعنه البرهان: ج ١ ص ٤٤٧ ح ٥، وذكره المصنّف في مجمع البيان ج ٣ ـ ٤ ص ١٦١ عن القمي. ورواه العامة عنه صلى الله عليه وآله بألفاظ مختلفة قريبة منه، راجع على سبيل المثال: المعجم الكبير للطبراني: ج ١٧ ص ٧٤ و ٧٦، مسند الحميدي: ص ٩١٣، سنن النسائي: ج ٧ ص ١٧٩، سنن البيهقي: ج ٩ ص ٢٣٦ و ٢٣٨ و ٢٤٤.

(٣) قاله السدي. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٢.

﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ قيل: هو ذبائحهم[١]، وقال الصادقُ عليه السلام: «هو مختصٌّ بالحُبوبِ ومالايُحتاجُ فيه إلى التذكيةِ»[٢] ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ فلا جُناحَ عليكم أَن تُطْعِمُوهُمْ ﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ﴾ الحرائِرُ والعفائِفُ، وإنَّما خَصَّهنَّ بعثاً للمؤمنين على أَن يَتَخَيَّرُوا لنُطَفِهم وإلَّا فغيرُ العفائِفِ يصحُّ نكاحُهنَّ وكذلك الإماءُ المسلماتُ ﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ قال أصحابُنا: هُنَّ اللَّواتي أَسْلَمْنَ منهنَّ، وذلك أَنَّ قوماً كانوا يَتَحَرَّجُون من العقدِ على من أَسْلَمَتْ عن كفرٍ فلذلك أُفْرِدْنَ بالذكرِ، واحتجُّوا بقولِه سبحانه: ﴿وَلَاتُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾[٣] وقولِه: ﴿وَلَاتَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾[٤] [٥]. ﴿مُحْصِنِينَ﴾ أعِفَّاءَ ﴿غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ﴾ غيرَ زانين ﴿وَلَامُتَّخِذِيٓ أَخْدَانٍ﴾ صدائِقَ، والخِدنُ يَقَعُ على الذكرِ والأُنثى ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ ومَن لم يؤْمنْ من أَهلِ الكتابِ ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ وفي هذا دَلالةٌ علىٰ أَنَّ حُبوطَ العملِ لايَترَتَّبُ علىٰ ثبوتِ الثوابِ، فإنَّ الكافرَ ليس له[٦] عملٌ عليه ثوابٌ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَٱطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَٱمْسَحُواْ

(١) ذكره الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٣ ص ٤٤٤ ونسبه الى قومٍ من أصحابنا، ثم قال: فمن ذهب اليه الطبري والبلخي والجبّائي وأكثر الفقهاء.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٩٦ ح ٣٧، وعنه الوسائل: ج ١٦ كتاب الأطعمة والأشربة ب ٥١ ص ٣٨٢ ح ٨.

(٣) الممتحنة: ١٠.

(٤) البقرة: ٢٢١.

(٥) انظر التبيان: ج ٣ ص ٤٤٦.

(٦) في نسخة: الكافرين ليس لهم.

بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَايُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٦)

﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ مثلُ قولِه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾(١) في أَنَّ المرادَ: إذا أَرَدْتمُ القيامَ(٢) إلى الصلاةِ فَعَبَّرَ عن إرادةِ الفعلِ بالفعلِ؛ لأَنَّ الفعلَ يوجَدُ بالقصدِ والإرادةِ، ولأَنَّ مَن قام إلى الشيءِ كانَ قاصداً له لا مَحالةَ، فعَبَّرَ عن القصدِ له بالقيامِ إليه ﴿فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ وحدُّ الوجهِ من قُصاصِ شَعرِ الرأسِ إلىٰ مَحادِرِ شَعرِ الذقَنِ(٣) طولاً ومادَخَلَ بينَ الوُسطىٰ والإبهامِ عرضاً ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ والمَرافِقُ(٤): مايُرْتَفَقُ به من اليدِ أَي: يُتَّكَأُ عليه.

لادليلَ في الآيةِ علىٰ دخولِ المَرافقِ في الغَسلِ إلَّا أَنَّ أَكثرَ الفقهاءِ(٥) ذهبوا إلىٰ وجوبِ غسلِ المرافقِ في الوضوءِ وهو مذهبُ أَهلِ البيتِ عليهم السلام(٦)، وأَجْمَعَتِ(٧) الأُمَّةُ علىٰ أَنَّ من بدأَ في غسلِ اليَدَيْن من المِرْفَقَيْن صحَّ وضوؤُه(٨) وأَصحابُنا(٩) يوجِبونه.

﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ المرادُ إلصاقُ المسحِ بالرأْسِ، وأَصحابُنا(١٠)

---

(١) النحل: ٩٨. (٢) في نسخة: قياماً.

(٣) محادر شعر الذقن ـ بالدال المهملة ـ: أول انحدار الشعر عن الذقن وهو طرفه. (مجمع البحرين: مادة حدر). (٤) في نسخة: المرفق.

(٥) انظر احكام القرآن للجصّاص: ج ٢ ص ٣٤١، ومقدمات ابن رشد: ج ١ ص ٥١، وعمدة القارئ: ج ٢ ص ٢٣٣، وأحكام القرآن لابن العربي: ج ٢ ص ٥٦٥، وبدائع الصنائع: ج ١ ص ٤، ومغني المحتاج: ج ١ ص ٥٢، والمبسوط للسرخسي: ج ١ ص ٦، وتفسير الرازي: ج ١١ ص ١٥٩. (٦) راجع الخلاف للشيخ الطوسي: ج ١ ص ٧٨.

(٧) في بعض النسخ: اجتمعت. (٨) انظر التبيان: ج ٣ ص ٤٥١.

(٩) المبسوط للشيخ الطوسي: ج ١ ص ٢١، التبيان: ج ٣ ص ٤٥١، الوسيلة: ص ٥٠، شرائع الاسلام: ج ١ ص ٢١، وانظر السرائر: ج ١ ص ٩٩.

(١٠) المبسوط للشيخ الطوسي: ج ١ ص ٢١، التبيان: ج ٣ ص ٤٥١، الخلاف: ج ١ ص ٨١، ←

يوجبون أَقَلَّ مايَقَعُ عليه اسمُ المسحِ، وهذا مذهبُ الشافعيِّ[١]، ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ قُرِئَ: بالجرِّ[٢] والنصبِ، فالجرُّ للعطفِ على اللفظِ والنصبُ للعطفِ علىٰ محلِّ الجارِّ والمجرور.

وقال جارُالله: كانت الأَرْجُلُ مَظِنَّةً للإسرافِ المذمومِ في صبِّ الماءِ عليها فعُطِفَتْ على المَمْسوحِ لالِتُمْسَحَ لكن لِيُنَبَّهَ علىٰ وجوبِ الاقتصادِ في صبِّ الماءِ عليها، وقيل: ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ فجيءَ بالغايةِ إماطةً لظنِّ ظانٍّ يحسِبُها ممسوحةً لأَنَّ المسحَ لم يُضْرَبْ له غايةٌ في الشريعةِ[٣].

وهذا كلامٌ فاسدٌ؛ لأَنَّ حقيقةَ العطفِ تقتضي أَن يكونَ المعطوفُ في حكمِ المعطوفِ عليه، وكيف يكونُ المسحُ في معنَى الغَسلِ وفائدةُ اللَّفظَيْن[٤] مختلفةٌ ولفظُ التنزيلِ قد فَرَّقَ بين الأَعضاءِ المغسولةِ والأَعضاءِ الممسوحةِ؟! وأَمَّا قولُه: «لَمْ يُضْرَبْ لِلْمَسْحِ غايَةٌ» فممَّا لايخفىٰ فسادُه؛ لأَنَّ ضربَ الغايةِ لايَدُلُّ على الغَسلِ، فلو صُرِّحَ فقيل: «وَامْسَحُوا بِأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ» لم يكن مُنْكَراً ولم

← النهايةونكتها: ج١ص٢١٩، السرائر: ج١ص١٠١، المراسم: ص٣٧، المهذّب: ج١ص٤٤.

(١) الأم: ج ١ ص ٢٦، أحكام القرآن للجصّاص: ج ٢ ص ٣٤١، عمدة القارئ: ج ٢ ص ٢٣٤، بدائع الصنائع: ج ١ ص ٤، فتح المعين: ص ٦، بداية المجتهد: ج ١ ص ١١، الخلاف للشيخ الطوسي: ج ١ ص ٨٢ وقال: وبه قال الأوزاعي والثوري.

(٢) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وأبو بكر عن عاصم، وهي قراءة أنس وعلقمة وأبي جعفر. راجع أحكام القرآن لابن العربي: ج ٢ ص ٧١، والقرطبي: ج ٦ ص ٩١ وقال: اتّفقت العلماء على وجوب غسلهما، وماعلمت من ردّ ذلك سوى الطبري من فقهاء المسلمين، والرافضة من غيرهم، وتعلّق الطبري بقراءة الخفض، انتهىٰ. وهي قراءة أهل البيت عليهم السلام، ففي التهذيب: ج ١ ص ٧٠ ح ١٨٨ الشيخ باسناده عن غالب بن الهذيل قال: سألت أباجعفر عن الآية ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ على الخفض هي أم على النصب، قال: هي على الخفض.

(٣) الكشّاف: ج ١ ص ٦١١.

(٤) في نسخة: اللفظتين.

يَشُكَّ أَحدٌ في أَنَّه كان يجب المسحُ إِلى الكَعْبَيْنِ فكـذلك إِذا جُـعِلَ فـي حكـمِ الممسوحِ بالعطفِ عليه، وقد بَسَطْنا الكلامَ فيه في كـتابِ مـجمعِ البـيانِ [١] [٢]، ولايَحْتَمِلُ هذا الكتابُ أَكْثَرَ ممّا ذَكَرْناه. والكعبانِ عندنا هما العظمان الناتئانِ [٣] في القدمَيْنِ عند مَعْقَدِ الشراكِ [٤]، وإِليه ذَهَبَ محمَّدُ بنُ الحسنِ [٥].

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا﴾ أَي: تَـطَهَّرُوا بـالاغتسالِ ﴿مَـايُرِيدُ ٱللهُ لِـيَجْعَلَ

---

(١) راجع: ج ٣ ـ ٤ ص ١٦٤ ـ ١٦٧.

(٢) قال السيد المرتضىٰ: انّ القراءة بالجرّ أولىٰ من القراءة بالنصب؛ لأنّا إذا نـصبنا الأَرجـل فلابد من عامل في هذا النصب: فامّا أن تكون معطوفة على الأيدي، أو يـقدّر لهـا عـامل محذوفاً، أو تكون معطوفة على موضع الجار والمجرور في قوله: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ ولايجوز أن تكون معطوفة على الأيدي لبُعدها من عامل النصب في الأيدي، ولأنّ اعمال العامل الأقرب أولىٰ من اعمال الأبعد. وذكرنا قوله تعالىٰ: ﴿ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾، وقـوله: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَـٰبِيَهْ﴾، وقوله: ﴿وَأَنَّـهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللهُ أَحَداً﴾ . وذكرنا ماهو أوضح من هذا كلّه وهو أنّ القائل إذا قال: ضربت عبدالله وأكرمت خالداً وبشراً، إنّ ردّ بشراً الى حكم الجملة الماضية التي قد انقطع حكمها ووقع الخروج عنها لحـنٌ وخـروجٌ عـن مقتضى اللغة، وقوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ جملة مستقلّة بـنفسها وقـد انقطع حكمها بالتجاوز لها الىٰ جملة أُخرىٰ وهو قوله: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾.

ولايجوز أن تنصب الأرجل بمحذوف مقدّر؛ لأنّـه لافرق بين أن تقدّر محذوفاً هو الغسل وبين أن تقدّر محذوفاً هو المسح، ولأنّ الحذف لايصار إليه إلّا عند الضرورة، وإذا استقلّ الكلام بنفسه من غير تقدير محذوفٍ لم يجز حمله على محذوف.

فأمّا محل النصب على موضع الجار والمجرور فهو جائز شائع إلّا أنـه موجب للمسح دون الغسل؛ لأنّ الرؤوس ممسوحة، فما عطف علىٰ موضعها يجب أن يكون ممسوحاً مثلها، إلّا أنّـه لمّا كان اعمال اقرب العاملين أولىٰ وأكثر في القرآن ولغة العرب وجب أن يكون جرّ الآية حتىٰ تكون معطوفة علىٰ لفظة الرؤوس أولىٰ من نصبها وعطفها علىٰ مـوضع الجـار والمجرور؛ لأنـه أبعد قليلاً، فلهذا ترجّحت القراءة بجرّ الأرجل على القراءة بالنصب. (راجع رسائله: ج ٣ ص ١٦٣).

(٣) في بعض النسخ: النابتان.

(٤) راجع الخلاف للشيخ الطوسي: ج ١ ص ٩٢ مسألة (٤٠)، والتبيان: ج ١ ص ٤٥٢.

(٥) المبسوط للسرخسي: ج ١ ص ٩، أحكام القرآن للجصّاص: ج ٢ ص ٣٤٧، بدائع الصنائع: ج ١ ص ٧، تفسير الرازي: ج ١١ ص ١٦٢.

عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ في بابِ الطهارةِ حتّىٰ لايُرَخِّصَ لكم في التيمُّمِ ﴿وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ بالترابِ إذا أَعْوَزَكم التطهُّر[١] بالماءِ ﴿وَلِيُتِمَّ﴾ برُخصتِهِ إنعامَه ﴿عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتَه[٢] عليكم.

﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ الَّذِى وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧) يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّ ٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ الْجَحِيمِ﴾ (١٠)

﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ وهي نعمةُ الإسلامِ ﴿وَمِيثَـٰقَهُ الَّذِى وَاثَقَكُم بِهِ﴾ أي: عاقَدَكم به عقداً وَثيقاً، وهو الميثاقُ الَّذي أَخَذَه عَليهم رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله حينَ بايَعَهم على السمعِ والطاعةِ في حالِ اليُسرِ والعُسرِ فَقَبِلوا وقالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، وقيل: هو مابيَّنَ لهم في حجَّةِ الوَداعِ من تحريمِ المحرَّماتِ وفرضِ الولايةِ وغيرِ ذلك، عن الباقرِ عليه السلام[٣]. وعُدِّيَ ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ بـ﴿عَلَىٰٓ﴾ لأنَّه في معنىٰ: ولا يَحْمِلَنَّكم بُغْضُكم للمشركين ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ أي: تَتْرُكوا العدلَ فَتَعْتَدوا عليهم بأَن تنتصِروا منهم وتَتَشَفَّواْ مافي قلوبِكم من الضغائِنِ بارتكابِ مالايَحِلُّ لكم من مُثْلَةٍ أَو قتلِ أولادٍ أَو نساءٍ أَو غيرِ ذلك ﴿اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ نَهاهم أَوّلاً عن تركِ العدلِ، ثمَّ صَرَّحَ لهم بالأَمرِ بالعدلِ[٤] تأكيداً أَو

---

(١) في بعض النسخ: التطهير. (٢) في نسخة: نعمه.

(٣) حكاه الشيخ الطوسي عنه عليه السلام في التبيان: ج ٣ ص ٤٦٠.

(٤) في نسخة زيادة: علىٰ وجه الاستئناف.

تشديداً، ثمَّ استأْنفَ فذكَر لهم وجهَ الأَمرِ بالعدلِ بقولِه: ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أَي: أَقربُ إِلى التقوىٰ لكونِه لطفاً فيها، وإِذا كان العدلُ إِلى الكفَّارِ بهذِهِ الصفةِ من القوَّةِ فكيفَ يكونُ مع المؤمنين؟! ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ بيانٌ للوعدِ بعدَ تمامِ الكلامِ قبلَه، كأَنَّه قدَّمَ لهم وعداً فقيل: أَيُّ شَيءٍ هُوَ؟ فقال: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ وأَجرىٰ ﴿وَعَدَ﴾ مجرىٰ «قالَ» لأَنَّه ضربٌ من القولِ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (١١)

رُوِيَ: أَنَّ رسولَ اللهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَتىٰ بَنِي النضيرِ مَعَ جماعةٍ مِن أَصحابِهِ يَسْتَقْرِضُهم[١] ديةَ رجلَيْن أَصابَهما رجلٌ من أَصحابِه وهما في أَمانٍ منه فلزِمَه ديتُهما أَو يَستعينُهم علىٰ ذلك، فقالوا: نَعَم اجلِسْ حتَّى نُطعِمَك ونُعطِيكَ ماتَسأَلُ وهمُّوا بالفَتْكِ به، فأَخْبَرَه جبرئيلُ فخَرَجَ، فكان إِحدىٰ معجزاتِه عَلَيْهِ السَّلَامُ[٢]، يقال: بَسَطَ إِليه كفَّه إِذا بَطَشَ به، ومعنىٰ بسطِ اليدِ: مدُّها إِلى المبطوشِ به، والكفُّ: المنعُ.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ (١٢)

---

(١) في بعض النسخ: يستقرض.

(٢) رواه الطبري في تفسيره: ج ٤ ص ٤٨٥، وأخرجه السيوطي بسنده في الدر المنثور: ج ٣ ص ٣٦.

أَمَرَ اللهُ بني إسرائيلَ بعدَ هلاكِ فرعونَ بمصرَ بأن يَسيروا إلىٰ أرِيحا من أَرضِ الشامِ وكان يَسكنُها الجبابرةُ، وقال: إنِّي كَتَبْتُها لكم قراراً، وأَمَرَ موسىٰ بأَن يَأْخُذَ من كلِّ سبطٍ نقيباً يكونُ كفيلاً على قومِه بالوفاءِ بما أُمِرُوا به من الخُروجِ إلى الجبابِرَةِ والجهادِ وقائِداً ورئِيساً لهم، فاختارَ النقباءَ وأَخَذَ الميثاقَ علىٰ بني إسرائِيلَ وتَكفَّلَ لهم به النقباءُ وسارَ بهم، فلمَّا دَنا من أَرضهم بَعَثَ النقباءَ يَتَجَسَّسُون[1] فَرَأَوْا أجراماً عظيمةً وقوَّةً فَرَجَعُوا فأَخْبَروا موسىٰ عليه السلام بذلك، فأَمَرَهم أَن يكتُموا ذلك، فحدَّثوا بذلك قومهم إلّا كالبَ بنَ يوفنَّا من سبطِ يهودا ويوشَعَ بنَ نونٍ من سبطِ آفرائِيمَ بنِ يوسُفَ وكان من النقباءِ، وقيل: كَتَمَ خمسةٌ وأَظْهَرَ الباقون[2]، والنقيبُ: الَّذي يَنْقُبُ عن أَحوالِ القومِ أَي: يُفَتِّشُ عنها، كما قيل: عِرِّيفٌ لأَنَّه يَتَعَرَّفُها ﴿إِنِّى مَعَكُمْ﴾ أَي: ناصِرُكم ومُعينُكم ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ نصرتموهم ومنعتموهم من أَيدي العدوِّ، ومنه التعزيرُ وهو التنكيلُ والمنعُ من معاودةِ الفَسادِ، وقيل: معناه: ولقد أَخذنا ميثاقَهم بالإيمانِ والعدلِ[3] ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ﴾ ملكاً يقيمونَ فيهم العدلَ، واللامُ في ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ﴾ مُوطِّئَةٌ للقَسَمِ[4]، وفي ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾ جوابٌ للقَسَمِ سادٌّ مسدَّ جوابِ القَسَمِ والشرطِ جميعاً[5] ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾ أَي: بعدَ أَخذِ الميثاقِ وبعثِ النقَباءِ ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ أَي: أَخطَأَ ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ وزالَ عن قصدِ الطريقِ الواضحِ؛ لأَنَّ النعمةَ كلَّما عَظُمَت وزادت كَثُرَتِ المَذَمَّةُ في كفرانِها وتمادَت.

---

(١) في نسخة: يتحسَّسون.

(٢) قاله النقّاش. راجع تفسير البحر المحيط لأبي حيان: ج ٣ ص ٤٤٣.

(٣) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ١٥٧.

(٤) في نسخة: توطئة القسم.

(٥) انظر اعراب القرآن للنحاس: ج ٢ ص ١١، والكشّاف: ج ١ ص ٦١٥.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَاتَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٣) وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ (١٤)

﴿لَعَنَّـٰهُمْ﴾ أي: أَبْعَدْناهم من رحمتِنا وطَرَدْناهم ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً﴾ خَذَلْناهم ومَنَعْناهم الأَلطافَ حتَّىٰ قَسَت قلوبُهم، والقسوةُ: خلافُ اللينِ والرقَّـةِ، وقُرِئَ: «قَسِيَّةً»[١]، أي: رديَّةً مغشوشةً ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ بيانٌ لقسوةِ قلوبِهم فإنَّ تغييرَ كلامِ اللهِ والكذبَ عليه من القسوةِ ﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا﴾ وتَرَكُوا نصيباً وافياً ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ في التوراةِ، يعني: أَنَّ إعراضَهم عن التوراةِ إغفالُ حظٍّ عظيمٍ، أَو يكونُ المعنىٰ: فَسَدَتْ[٢] قلوبُهم فَحَرَّفُوا التوراةَ وذَهَبَتْ أَشياءُ منها[٣] عن حفظِهم، وعن ابن مسعودٍ: قد يَنْسَى المَرءُ بعضَ العلمِ بالمعصيةِ وتلا هذهِ الآيةَ[٤] ﴿وَلَاتَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ أَي: خيانةٍ منهم أَو علىٰ نفسٍ أَو فِرقةٍ خائنَةٍ منهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم الَّذين آمنوا منهم، وقيل: إلَّا قليلاً داموا على عهدِهم[٥] ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ ماداموا علىٰ عهدِك ولم يَخونوك ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ﴾ سَمَّوْا أَنفسَهم بذلك ادِّعاءً لنصرةِ اللهِ، وهم الَّذين قالوا

---

(١) قرأه حمزة والكسائي. راجع التبيان: ج ٣ ص ٤٦٨، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٤٢٢.

(٢) في نسخة: قست.

(٣) في بعض النسخ: فيها.

(٤) حكاه عنه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٦١٥.

(٥) قاله الطبري في تفسيره: ج ٤ ص ٤٩٧، والبغوي أيضاً: ج ٢ ص ٢١.

لعيسىٰ عليه‌السلام: نَحْنُ أَنْصارُ اللهِ، ثمَّ اختلفوا بعدُ نسطوريَّةً ويعقوبيَّةً وملكانيَّةً[١] فصاروا أنصاراً للشيطانِ ﴿فأَغْرَيْنَا﴾ فألْصَقْنا وألْزَمْنا من غَرِيَ بالشيءِ: إذا لَزِمَه ولَصِقَ به وأغراه غيرُه ﴿بَيْنَهُمُ﴾ بينَ فِرَقِ النصارىٰ المختلِفين، وقيل: بينَهم وبينَ اليهودِ[٢]، ونحوه: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[٣].

﴿يَـٰأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِى بِهِ ٱللهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَ ٰنَهُ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَ ٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١٦)

خاطَبَ اليهودَ والنصارىٰ ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمَّدٌ عليه‌السلام ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ﴾ من أَمرِ الرجمِ وأَشياءَ حَرَّفْتُمُوها ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ ممَّا تُخفُونه لايُبَيِّنُه، وعن الحسنِ: ويَعفو عن كثيرٍ منكم لايُؤَاخِذُه[٤] ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللهِ نُورٌ﴾ وهو محمَّدٌ صلى‌الله‌عليه‌وآله يَهتدي به الخلقُ كما يَهتدي بالنورِ، وقيل: هو القرآنُ لكشفِه ظلماتِ الشكِّ والشركِ[٥] ﴿وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ﴾ يُبَيِّنُ ماكان خافياً على الناسِ من الحقِّ أَو مُبينٌ ظاهرُ الإعجاز ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَ ٰنَهُ﴾ يريدُ من آمَنَ منهم ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ﴾ أَي: طُرُقَ النجاةِ من عذابِ اللهِ، أَو سُبُلَ اللهِ وهي شرائِعُ الإسلامِ[٦] ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ﴾ الكفر ﴿إِلَى﴾ الإيمانِ ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أَي: بلطفه

(١) في نسخة: ملكائية، وكذا في المجمع.
(٢) قاله مجاهد وقتادة. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٢.
(٣) الأنعام: ٦٥.
(٤) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ٤٧٥، والزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٦١٧.
(٥) قاله أبو علي كما حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ٤٧٥.
(٦) راجع معاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ١٦١.

ويُرشِدُهم إلىٰ طريقِ الحقِّ أو طريقِ الجنَّةِ.

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (١٨)

كَفَّرَهم اللهُ تعالىٰ بهذا القولِ، قيل: كان في النصارىٰ قومٌ يَبُتُّون القولَ بـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ﴾ [١]، وقيل: كان مذهبُهم يُؤَدِّي إلىٰ ذلك وإن لم يُصَرِّحوا به من حيثُ اعتَقَدوا أنَّه يَخلُقُ ويُحيي ويُميتُ ويُدبِّرُ أمرَ العالَمِ [٢] ﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: فمن يَمنعُ من قدرتِه ومشيَّتِه شيئاً ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ﴾ مَنْ دَعَوْه إلٰهاً من المسيحِ وأُمِّه، وعَطَف ﴿مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ علىٰ ﴿ٱلْمَسِيحَ ... وَأُمَّهُۥ﴾ ليَدُلَّ علىٰ أنَّهما من جنسِهم لاتفاوتَ في البشريَّةِ بينَهما وبينَهم ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ من ذكرٍ وأُنثىٰ، ومايشاءُ من أُنثىٰ غيرِ ذكرٍ كما خَلَقَ عيسىٰ، ومايشاءُ من غيرِ ذكرٍ وأُنثىٰ كما خَلَقَ آدمَ ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾ أي: أشياعُ ابْنَي اللهِ عُزَيْرٍ والمسيحِ كما يقولُ أَقْرِباءُ المَلِكِ: نحنُ الملوكُ ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ أي: فإن صحَّ أنَّكم أبناءُ اللهِ وأَحِبَّاؤُه فَلِم تُذنِبون وتُعذَّبون بذنوبِكم فتُمْسَخون؟! ولو كنتم أبناءَ اللهِ لكنتم من جنسِ الأَبِ لاتَعصون اللهَ، ولو كنتم أَحِبَّاءَه لما عاقَبَكم ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ﴾ مِنْ جملةِ ما ﴿خَلَقَ﴾ من البشرِ.

---

(١) حكاه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٢ وقال: وهم اليعقوبيّة من النصارىٰ.

(٢) حكىٰ هذا القول الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٦١٧

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَاجَآءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَانَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٩)

المعنىٰ: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ الدينَ والشرعَ، أو يُبَيِّنُ لكم ماكنتم تُخفُونه، أو يَبذُلُ لكم البيانَ على الإطلاقِ، ومَحلُّه النصبُ أي: مُبَيِّناً لكم ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾ متعلِّقٌ بـ ﴿جَآءَكُمْ﴾ أي: جاءَكم علىٰ حينِ فترةٍ من إرسالِ الرسُلِ وانقطاعٍ من الوحي ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ كراهةَ أن تقولوا ﴿مَاجَآءَنَا مِن بَشِيرٍ﴾ بالثوابِ ﴿وَلَانَذِيرٍ﴾ بالعقابِ ﴿فَقَدْ جَآءَكُم﴾ متعلِّقٌ بمحذوفٍ، أي: لاتَعْتَذِروا فقد جاءَكم، قالوا: كان بينَ عيسىٰ ومحمَّدٍ صلواتُ اللهِ عليهما خمسُمائةٍ وستُّون سنةً[١]، وقيل: ستُّمائةِ سنةٍ[٢]، وعن الكلبيِّ[٣]: كان بينَ موسىٰ وعيسىٰ ألفٌ وسبعُمائةِ سنةٍ وألفُ نبيٍّ، وبين عيسىٰ ومحمَّدٍ أربعةُ أنبياءَ: ثلاثةٌ من بني إسرائيل وواحدٌ من العربِ وهو خالدُ بنُ سِنانٍ العَبْسيُّ[٤]. ومعنى الآيةِ: الامتنانُ عليهم بإرسالِ الرسولِ[٥] إليهم بعدَ اندِراسِ آثارِ الوَحيِ أحْوَجَ مايكونون إليه ليَعُدُّوه أعْظَمَ نعمةٍ من اللهِ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً وَءَاتَـٰكُم مَّالَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (٢٠)

---

(١) حكاه ابن كثير في تفسيره: ج ٢ ص ٣٤ عن سلمان الفارسي وقتادة.
(٢) قاله أبو عثمان النهدي. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٣.
(٣) هو أبو المنذر بن محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي، النسّابة الكوفي، كان من أعلم الناس بعلم الأنساب، وله كتاب «الجمهرة في النسب»، وكان من الحفّاظ المشاهير وله تصانيف كثيرة، توفّي سنة أربع ومائتين. (وفيات الأعيان لابن خلّكان: ج ٥ ص ١٣١).
(٤) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٦١٩، والرازي في تفسيره: ج ١١ ص ١٩٤.
(٥) في نسخة: الرسل.

﴿يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَاتَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ (٢١) قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ (٢٢)

لم يُبْعَثْ في أُمَّةٍ مابُعِثَ في بني إسرائيلَ من الأَنبياءِ، وذلك من نِعَمِ اللهِ عليهم وآلائِه لديهم ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً﴾ لأنَّ اللهَ سبحانه مَلَّكَهم مُلكَ فرعونَ ومُلكَ الجبابرةِ، وقيل: إنّهم كانوا مملوكين في أَيدِي القِبطِ فسمَّى اللهُ سبحانه إنقاذَهم منهم ملكاً[1] ﴿وَءَاتَـٰكُم مَّالَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ من فَلْقِ البحرِ وتظليلِ الغَمامِ وغيرِ ذلك من الأمورِ العِظامِ، وقيل: أَرادَ عالمي زَمانِهم[2] ﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ أَرضُ بيتِ الْمَقدِسِ[3]، وقيل: فِلَسْطِينُ ودِمَشْقُ وبعضُ الأُرْدُن[4]، وقيل: الشامُ[5]، وكان بيتُ الْمَقْدِسِ مُسْتَقَرَّ الأَنبياءِ وَمَسكِنَ المؤمنين ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أَي: قَسَمَها لكم، أَو خَطَّها في اللوحِ المحفوظِ أَنَّها لكم ﴿وَلَاتَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ ولاتَنْكُصُوا علىٰ أَعقابِكم مُدبِرين من خوفِ الجبابرةِ جبناً، أَو لاتَرْتَدُّوا علىٰ أَدبارِكم في دينِكم بعصيانِكم نبيَّكم ومخالفتِكم أَمرَ ربِّكم فترجِعوا ﴿خَـٰسِرِينَ﴾ ثوابَ الدنيا والآخرةِ، والجَبّارُ فعّالٌ من جَبَرَه على الأَمرِ بمعنىٰ أَجْبَرَه، وهو الَّذي يُجْبِرُ الناسَ على مايُريدُ.

---

(١) قاله الحسن والسدي. راجع تفسيرالماوردي: ج ٢ ص ٢٤، والرازي: ج ١١ص ١٩٦.
(٢) وهو قول ابن كثير في تفسيره: ج ٢ ص ٣٦.
(٣) وهو قول ابن عبّاس وابن زيد والسدي وأبي علي علىٰ ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ٤٨٣.
(٤) قاله الكلبي على مافي تفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٤، واختاره الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٠٤، والزجّاج في معاني القرآن واعرابه: ج ٢ ص ١٦٢.
(٥) قاله قتادة. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٤.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَداً مَّادَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَاتَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ (٢٦)

الرجلانِ: كالبُ ويوشَعُ، أي: ﴿يَخَافُونَ﴾ اللهَ ويخشونه كأنّه قالَ: رَجُلانِ من المتَّقين، وقيل: الواوُ لبني إسرائيلَ أي: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ يخافونَهم وهم الجبَّارون[١]، وكانا منهم علىٰ دينِ موسىٰ لمَّا بَلَغَهما خبرُ موسىٰ أَتياه فاتَّبَعاه[٢] ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالإيمانِ، وكان سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ يَقْرأُ: «يُخافون» بضمِّ الياءِ[٣]، قالا لهم: إنَّ العَمالِقَةَ أَجسامٌ لاقلوبَ فيها فلاتَخافوهم وازْحفوا إليهم فإنَّكُمْ غالِبوهم، ويجوزُ أَن يكونَ ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ في محلِّ رفعٍ وصفاً لـ﴿رَجُلَانِ﴾، ويجوزُ أَن يكونَ اعتراضاً لامحلَّ له من الإعرابِ[٤] ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ يعني بابَ قريتِهم ﴿قَالُواْ ... لَن نَّدْخُلَهَا﴾ نفيٌ لدخولِهم في المستقبلِ على سبيلِ التأكيدِ، و ﴿أَبَداً﴾ تعليقٌ للنفي المؤكَّدِ بالدهرِ المُتطاوِلِ و ﴿مَّادَامُواْ فِيهَا﴾ بيانٌ للأَبدِ ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ هذه استهانةٌ منهم باللهِ ورسولِه وقلَّةُ مبالاةٍ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ﴾ لنصرةِ دينِك ﴿إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾ هذه شِكايةٌ منه إلى اللهِ تعالىٰ بحزنٍ

(١) وهو قول أبي علي. راجع التبيان: ج ٣ ص ٤٨٦.

(٢) قائل ذلك الضحّاك علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ٤٨٦.

(٣) حكاها عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٥، وابن خالويه في شواذ القرآن: ص ٣٨.

(٤) راجع تفصيل ذلك في الكشّاف للزمخشري: ج ١ ص ٦٢٠، والفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٨.

ورقّةِ قلبٍ.

وذُكِرَ في إعـرابِ ﴿أَخِى﴾ وجـوهٌ[١]: أن يكـونَ مـنصوباً مـعطوفاً عـلىٰ ﴿نَفْسِى﴾ [٢]، وعلى الضّميرِ في ﴿إِنِّى﴾ بمعنىٰ: وإنَّ أخي لايَمْلِكُ إلّا نفسَه، وأن يكونَ مرفوعاً عطفاً علىٰ محلِّ إنَّ واسمَها كأنَّه قيل: أنا لاأَمْلِكُ إلّا نفسي وهارونُ كذلك لايَمْلِكُ إلّا نفسه، وعلى الضميرِ في ﴿لَآ أَمْلِكُ﴾ [٣] وجاز للفصلِ، وأن يكونَ مجروراً عطفاً على الضميرِ في ﴿نَفْسِى﴾ وهو ضعيفٌ[٤].

﴿فَافْرُقْ﴾ أَي: فافصِل بينَنا وبينَهم بأَن تحكمَ لنا بما نَسْتَحِقُّ وتَحْكُمَ عليهم بما يَسْتَحِقُّونَ، وهو في معنى الدعـاءِ عـليهم، ﴿قَالَ فَإِنَّهَا﴾ أَي: فـإنَّ الأَرضَ المقدَّسةَ ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ لايدخُلونَها ولايملِكونَها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ فقد رُوِيَ: أَنَّ موسىٰ سار بمن بَقِيَ من بني إسرائِيلَ وكان يوشَعُ علىٰ مقدِّمتِه فَفَتَحَ أَريحا وأَقامَ فيها ماشاءَاللهُ ثمَّ قُبِضَ[٥]، وقيل: مات موسىٰ في التيهِ ومات هارون قبلَه بسنةٍ وسار يوشَعُ بهم إلىٰ أَريحا[٦]، وقيل: لم يدخُلِ الأَرضَ المقدَّسةَ أَحَدٌ مِّمَّن قال: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ﴾ وهَـلَكُوا فـي التـيهِ ونَشَأَتْ ذراريـهم فـقاتَلُوا الجبَّارينَ

---

(١) راجع تفصيل تلك الوجوه في الفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٩.

(٢) ذهب إليه النحاس في اعراب القرآن: ج ٢ ص ١٥.

(٣) وقد ذهب إليه الزجّاج في معاني القرآن واعرابه: ج ٢ ص ١٦٤.

(٤) ولم يختاره أحد، قال الهمداني في الفريد: ج ٢ ص ٢٩: وهو ضعيف عند أهل البصرة لقبح عطف الظاهر على المضمر المجرور إلّا بإعادة الجار. وقد أطنب في شرح مذهب البصريّين في ذلك في: ج ١ ص ١٢٦ فراجع.

(٥) رواه الطبري في تفسيره: ج ٤ ص ٥٢٥، والبغوي كذلك: ج ٢ ص ٢٦، والقرطبي أيضاً: ج ٦ ص ١٣١.

(٦) وهو قول ابن عبّاس علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ٤٩٠، والطبري في تفسيره: ج ٤ ص ٥٢٤ ح ١١٦٩٨، وابن كثير في تفسيره: ج ٢ ص ٣٩.

ودَخَلُوها[1]، فيكونُ التقديرُ: كَتَبَ اللهُ لكم الأَرضَ المقدّسةَ بشرطِ أَن تُجاهِدوا أَهلَها، فلمّا أَبَوُا الجهادَ قيل: فإنَّها محرَّمةٌ عليهم، فالعاملُ في الظرفِ ﴿يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أَي: يَسيرون فيها متحيِّرين لا يَهتدون طريقاً[2]، والتيهُ: المفازَةُ الَّتي يُتاهُ فيها، فرُوِيَ: أَنَّهم لَبِثوا أَربعينَ سنةً في ستَّةِ فراسِخَ يسيرون كلَّ يومٍ جادِّين حتَّىٰ إذا أَمْسَوْا كانوا بحيثُ ارْتَحَلُوا عنه، وكانَ الغَمامُ يُظِلُّهم من حرِّ الشمسِ، ويَطْلُعُ لهم[3] بالليلِ عمودٌ من نورٍ يُضِيءُ لهم، ويَنْزِلُ عليهم المنُّ والسلوىٰ، ولا تَطولُ شعورُهم، وإذا وُلِدَ لهم مولودٌ كانَ عليه ثوبٌ كالظفرِ، ويطول بطولِه[4]. واخْتُلِفَ في موسىٰ وهارونَ هل كانا معهم في التيه؟ فقيل: لم يكونا معهم لقولِه: ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[5]، وقيل: كانا معهم إلَّا أَنَّه كان ذلك رَوْحاً لهما وسلاماً[6] لا عقوبةً[7] كالنارِ لإبراهيمَ[8] ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ فلا تَحْزَنْ عليهم فإنَّهم أَحِقَّاءُ بالعذابِ؛ لأَنَّه نَدِمَ على الدعاءِ عليهم.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٨) إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ

---

(١) قاله ابن عباس والحسن وقتادة. راجع التبيان: ج ٣ ص ٤٩١، وتفسير القرطبي: ج ٦ ص ١٣٠.

(٢) في بعض النسخ: طريقها.

(٣) في بعض النسخ: عليهم.

(٤) رواها الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٦٢٢، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٦.

(٥) قاله الحسن وقتادة. راجع التبيان: ج ٣ ص ٤٩١.

(٦) في نسخة: سلامةً.

(٧) في بعض النسخ زيادة: لهم.

(٨) قاله ابن عبّاس على ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ٤٩٠، واختاره البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٦، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ١٦٥ ـ ١٦٦.

أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ (٣٠)

ابنا ﴿ءَادَمَ﴾ هما: هابيلُ وقابيلُ أَوْحَى اللهُ تعالىٰ إلىٰ آدمَ أَن يُزَوِّجَ كلَّ واحدٍ منهما تَوْأَمَةَ الآخرِ، وكانت تَوْأَمَةُ قابيلَ أَجْمَلَ، فحَسَدَ عليها أَخاه، فأَبىٰ ذلك، فقالَ لهما آدمُ: قَرِّبا قُرباناً فمن أَيِّكما قُبِلَ زَوَّجَها[١]، فقُبِلَ قُربانُ هابيلَ بأَن نَزَلَتْ نارٌ فأَكَلَتْه، فازدادَ قابيلَ حَسَداً وَسَخَطاً وتَوَعَّدَه بالقتلِ، أَي: اُتْلُ نبأَهما تِلاوةً ملتبسةً بالحقِّ والصدقِ موافقاً لما في كُتُبِ الأَوَّلين، أَو اُتْلُ عليهم وأَنت محقٌّ صادقٌ ﴿إِذْ قَرَّبَا﴾ نصب بالنبأ أَي: قصَّتهما في ذلكَ الوقتِ، ويجوزُ أَن يكونَ بدلاً من ﴿نَبَأَ﴾ أَي: نَبأَ ذلكَ الوقتِ علىٰ تقديرِ حذفِ المضافِ، والقُرْبانُ: اسمُ مايُتَقَرَّبُ به إلى اللهِ تعالىٰ، يقالُ: قَرَّبَ نُسُكاً وتَقَرَّبَ به ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ أَي: قال الَّذي لم يُتَقَبَّلْ قربانُه منهما للَّذي تُقُبِّلَ قربانُه: لأَقْتُلَنَّكَ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ كأَنَّه قالَ له: لِمَ تَقْتُلُني؟ قالَ: لأَنَّه تُقُبِّلَ منكَ ولم يُتَقَبَّلْ منِّي، فقالَ: إِنَّما أُوتيتَ من قِبَلِ نفسِك لانسلاخِك من لباسِ التقوىٰ لا من قِبَلي فلِمَ تَقْتُلُني؟ وفيه دليلٌ علىٰ أَنَّ اللهَ تعالىٰ إِنَّما يَقْبَلُ الطاعةَ ممَّن هو زاكِي القلبِ مُتَّقٍ[٢] ﴿مَآ أَنَا بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ لأَنَّ إِرادةَ القتلِ قبيحةٌ، وإِنَّما يَحْسُنُ من المظلومِ قتلُ الظالمِ علىٰ وجهِ المُدافَعَةِ له طلباً للتخلُّصِ من غيرِ أَن يَقْصُدَ إِلىٰ قتلِه، فكأَنَّه قال: لئِن ظَلَمْتَني لم أَظْلِمْك ﴿إِنِّيٓ

(١) في بعض النسخ: أُزوِّجها.

(٢) أرادﷺ إذا أوقعها على وجهها بعدما وفّق لها، وإلّا فلا يمتنع أن تقع من الفاسق فتُقبل فيستحقّ الثواب عليها هذا إذا وفّق لها. قال الشيخ الطوسي: إنّما يستحقّ الثواب على الطاعات مَن يوقعها لكونها طاعة، فأمّا إذا فعلها لغير ذلك فإنّه لايستحقّ عليها ثواباً، فإذا ثبت ذلك فلا يمتنع أن تقع من الفاسق يوقعها على الوجه الذي يستحقّ عليها الثواب فيستحقّ الثواب، ولا تحابط عندنا بين ثوابه وما يستحقّ عليه العقاب. (راجع التبيان: ج ٣ ص ٤٩٤).

أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ معناه: أَن تَحْتَمِلَ إِثمَ قتلي لك[١] وإِثمَ قتلِك لي، والمرادُ بمثلِ إِثمي على الاتِّساعِ، فكأَنَّه قال: أُريدُ أَن تَبوءَ بمثلِ إِثمي لو بَسَطْتُ إِليك يدي، وقيل: إِنَّ المعنىٰ: أَنِّي أُريدُ أَن تَبوءَ بإِثمِ قتلي وإِثمِك الَّذي من أَجلِه لم يُتَقبَّلْ قربانُك[٢] ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ﴾ أَي: فَوَسَّعَتْهُ له ويَسَّرَتْه، من طاعَ له المَرْتَعُ: إِذَا اتَّسَعَ، أَي: زَيَّنَتْه له وشَجَّعَتْه عليه ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ وقيل: إِنَّه كان أَوَّلَ قتيلٍ في النَّاسِ[٣] ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ خَسِرَ الدنيا والآخرةَ وذهَبَ عنه خَيرُهما.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ (٣١)

رُوِيَ: أَنَّه لمَّا قتَلَه ترَكَه بالعَراءِ لايَدري مايَصْنَعُ به، فَقَصَدَه السباعُ فَحمَلَه في جِرابٍ علىٰ ظهرِه حتَّى أَرْوَحَ وعَكَفَتْ عليه الطيرُ والسِّباعُ ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ﴾ غُرابَيْنِ فاقْتَتَلا فَقَتَلَ أَحدُهما صاحبَه ثمَّ حفَرَ له بمنقارِه ورِجلَيْه ثمَّ أَلقاه في الحُفرةِ، فـ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ﴾[٤]، ﴿لِيُرِيَهُۥ﴾ اللهُ أَو لِيُرِيَه الغرابُ أَي: لِيُعَلِّمَه، ولمَّا كانَ سببَ تعليمِه فكأَنَّه قَصَدَ تعليمَه، والسوْءَةُ: مالايجوزُ أَن يَنْكَشِفَ من الجسدِ، وأَصلُها الفَضيحةُ فكُنِيَ بها عن العورةِ ﴿فَأُوَٰرِيَ﴾ جوابُ الاستفهامِ ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ علىٰ قتلِه لِما تَعِبَ فيه من حملِه علىٰ ظهرِه

---

(١) في نسخة زيادة: لو قتلتك.

(٢) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ١٦٧.

(٣) قاله الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٣٠.

(٤) رواها أبو حيان في البحر المحيط: ج ٣ ص ٤٦٥.

وتحيُّرِه في أَمرِه وسَخَطِ أَبيه ولم يَنْدَمْ نَدَمَ التائِبين، ورُوِيَ أَنَّه لمَّا قَتَلَهُ اسْوَدَّ جسدُه وكان أَبيضَ، فسأَلَه آدمُ عن أَخيه؟ فقال: ما كُنْتُ عليه وكيلاً، فقال: بل قَتَلْتَه ولذلك اسْوَدَّ جلدُك[١].

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (٣٢)

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ أَي: بسببِ ذلك وبعلَّتِه، وأَصلُه من أَجَلَ عليهم شرّاً أَي: جناه، فإذا قُلْتَ: من أَجلِكِ فَعَلْتُ كذا، فكأَنَّك أَرَدْتَ من أَن جَنَيْتَ فعلَه وأَوْجَبْتَه فَعَلْتُ، ويدلُّ عليه قولُهم: مِن جرّاك، و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى القتلِ المذكورِ، و﴿مِنْ﴾ لابتداءِ الغايةِ أَي: ابتدأَ كتبُنا علىٰ بني إِسرائِيلَ من أَجلِ ذلك، وقُرِئَ: «من إِجلِ ذلك» بكسرِ الهمزةِ[٢] ثمَّ خُفِّفَتِ الهمزةُ وكُسِرَتِ النُونُ بـإِلقاءِ كسرة الهمزةِ عليها ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أَي: بغيرِ قتلِ نفسٍ بمعنىٰ بغير قَوَدٍ ﴿أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أَو بغيرِ فسادٍ في الأَرضِ وهو الحربُ للهِ ورسولِه وإِخافةُ السبُلِ ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعاً﴾ أَي: فكأَنَّه[٣] قَصَدَ لقتلِهم جميعاً إذ قَتَلَ أَخاهم وصارَ الناسُ كلُّهم خصماءَه في قتلِ تلك النَّفسِ ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ بأَن اسْتَنْقَذَها من غَرَقٍ أَو حَرَقٍ أَو هدمٍ ونحوِها، أَو أَخْرَجَها من ضلالٍ إِلىٰ هُدىً ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعاً﴾ يأْجرُه اللهُ علىٰ ذلك أَجرَ مَن أَحياهم بأَسرِهم؛

---

(١) رواها الزمخشري في الكشاف: ج ١ ص ٦٢٦.

(٢) قرأه أبو جعفر المدني. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ٣٨.

(٣) في نسخة: فكأنما.

لأنَّهم في إسدائِه المعروفَ إليهم بإحيائِه أخاهم المؤمنَ بمنزلةِ مَن أحيا كلَّ واحدٍ منهم ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعدَ ماكتَبْنا عليهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ في القتلِ[1] لايبالون به.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣٤)

لفظةُ ﴿إِنَّمَا﴾ تفيد أَنَّ المعنىٰ: ماجزاؤُهم إلَّا هذا ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ﴾ أَي: أولياءَ اللهِ كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾[2]، ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ أَي: ويُحارِبون رسولَه، ومحاربةُ المسلمين في حكمِ محاربتِه ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أَي: مفسدين، أَو لأَنَّ سعيَهم في الأَرضِ لمّا كان علىٰ طريقِ الفَسادِ نُزِّل منزلةَ أَن يقالَ: ويُفسِدون في الأَرضِ فساداً، ويجوزُ أَن يكونَ مفعولاً له أَي: للفسادِ.

ورُوِيَ عن أَئِمَّتِنا عليهم السلام: أَنَّ المُحارِبَ كلُّ مَن شَهَرَ السلاحَ وأَخافَ الطريقَ، وجزاؤُه علىٰ قدرِ استحقاقِه: فإِنْ جَمَعَ بينَ القتلِ وأَخذِ المالِ فجزاؤُه أَن يُقَتَّلَ ويُصَلَّبَ، وإِن أَفْرَدَ القتلَ فجزاؤُه أَن يُقَتَّلَ، وإِن أَفْرَدَ أَخْذَ المالِ فجزاؤُهُ أن تقطَّعَ يدهُ لأَخذِ[3] المالِ ورجلُه لإِخافةِ السبيلِ، وَمَنْ أَفردَ الإِخافةَ نُفِيَ من الأَرضِ[4].

وقولُه: ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ معناه اليدُ اليُمنىٰ والرجلُ اليُسرىٰ، والنفيُ هو أَن يُنْفىٰ من بلدٍ إِلىٰ بلدٍ إِلىٰ أَن يَتوبَ ويَرْجِعَ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِشارةٌ إِلىٰ ماذكَرْناه ﴿لَهُمْ خِزْىٌ فِى

---

(١) في نسخة زيادة: أيضاً.
(٢) الأحزاب: ٥٧.
(٣) في نسخة: لأجل.
(٤) حكاها الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ٥٠٤ ـ ٥٠٥.

ٱلدُّنْيَا﴾ أي: فضيحةٌ وهَوانٌ، وقوله: ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يدلُّ علىٰ أنَّ الحدودَ لاتُكفِّرُ المعاصيَ؛ لأنَّه بيَّنَ أنَّهم يَستحقُّون العذابَ العظيمَ مع إقامةِ الحدودِ عليهم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ استثناءٌ من المُعاقَبين، فأمَّا حكمُ القتلِ والجَرحِ وأَخذِ المالِ فإلى الأَولياءِ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّافِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَاتُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦) يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَاهُمْ بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٣٧)

﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾ كلُّ مايُتَوَسَّلُ به إليه من الطاعاتِ وتركِ المقبّحاتِ.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وآله: «سَلُوا اللهَ لِيَ الوَسيلةَ، فإنَّها درجةٌ في الجنَّةِ لاينالُها إلَّا عبدٌ واحدٌ أَرجو أَن أكونَ أَنا هو»[١].

ورَوَى الأَصبغُ بنُ نُباتةَ[٢] عن عليٍّ عليه السلام: «في الجنَّةِ لُؤْلُؤَتان إلىٰ بُطنانِ العرشِ: إحداهما بيضاءُ والأُخرىٰ صفراءُ، في كلِّ واحدٍ منهما سبعون أَلفَ غرفةٍ، فالبيضاءُ: الوسيلةُ لمحمَّدٍ صلى الله عليه وآله وأَهلِ بيتِه عليهم السلام، والصفراءُ: لإبراهيمَ وأَهلِ بيتِه عليهم السلام»[٣].

---

(١) مسند أحمد: ج ٣ ص ٨٣، مجمع الزوائد: ج ١ ص ٣٣٢ و ٣٣٣، سنن البيهقي: ج ١ ص ٤١٩، مسند أبي عوانة: ج ١ ص ٣٣٦، الترغيب والترهيب: ج ١ ص ١٨١ باختلاف يسير في الألفاظ.

(٢) هو الأصبغ بن نباتة بن الحارث بن عمرو التميمي الحنظلي المجاشعي، كان من خواص أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام وشهد معه صفّين، وكان علىٰ شرطة الخميس، وكان شيخاً ناسكاً عابداً شاعراً. (أعيان الشيعة: ج ٣ ص ٤٦٤).

(٣) أوردها المصنّف في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ١٨٩.

﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ﴾ ليَجْعَلوه فِديةً لأنفسِهم، وهذا تمثيلٌ لنزولِ العذابِ بهم، وأَنَّه لاسبيلَ لهم إلى الخلاصِ منه بوجهٍ، و ﴿لَوْ﴾ مع مافي حَيِّزِه خبرُ ﴿إِنَّ﴾، ووُحِّدَ الضميرُ في ﴿بِهِۦ﴾ مع أَنَّ المذكورَ شيئَان؛ لأَنَّه أُجْرِيَ مجرىٰ اسمِ الإِشارةِ، أَي: لِيَفْتَدُوا بذلك، أَو يكونُ نحوَ قولِه:

فَإِنِّي وَقَيَّارٌ بِها لغَرِيبُ(١)

ويُرْوىٰ أَنَّ نافعَ بنَ الأَزْرَقِ قال لابنِ عبَّاسٍ: تَزعَمُ أَنَّ قوماً يَخْرُجُون من النارِ وقال اللهُ تعالى: ﴿وَمَاهُمْ بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا﴾؟! فقال: وَيْحَكَ ٱقْرأْ مافوقَها، هذا للكفَّارِ(٢).

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤٠)

هما مرفوعان على الابتداءِ والخبرُ محذوفٌ، كأَنَّه قيلَ: ﴿وَ﴾ فيما فُرِضَ عليكم: ﴿ٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ أَي: حكمهما، ويجوزُ أَن يكونَ الخبرُ ﴿فَاقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ ودَخَلَت الفاءُ لأَنَّهما قد تضمَّنا معنَى الشرطِ، فإِنَّ المعنىٰ: والَّذي سَرَقَ

(١) وصدره: فَمن يَكُ أَمسىٰ بالمدينة رحلُهُ. والبيت منسوب لضابئ بن حارث البرجمي حين حبسه عثمان بن عفّان لما هجا بني نهشل. وقيّار اسم فرسه، يقول: ومن أمسىٰ رحله بالمدينة حسن حاله، بخلاف حالي فانّي غريب لأنّ منزلي ليس فيها، وانّما فيها أنا وفرسي فقط. انظر الكامل للمبرّد: ج ١ ص ٤٦٠، وخزانة الأدب: ج ٤ ص ٣٢٣ ـ ٣٢٨، والشعر والشعراء: ص ٣٥١ ـ ٣٥٢، ولسان العرب: مادة (قير).

(٢) رواها الزمخشري عنه في الكشّاف: ج ١ ص ٦٣٠، وأخرجه السيوطي بسنده عنه في الدر المنثور: ج ٣ ص ٧٢.

والّتي سَرَقَتْ فَاقطَعوا أَيديَهما أَي: يديهما، ونحوهُ ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[(١)] اكتفىٰ بتثنيةِ المضافِ إليه عن تثنيةِ المضافِ[(٢)]، والمرادُ باليدَيْن اليَمينان، بدليلِ قِراءَةِ عبدِاللهِ بنِ مسعودٍ: «والسارقون والسارقاتُ فاقطَعوا أَيمانَهم»[(٣)].

والمقدارُ الّذي يَجِبُ به[(٤)] القطعُ ربعُ دينارٍ إذا سَرَقَ من الحرزِ[(٥)] وإليه ذَهَبَ الشافعي[(٦)] ومالك[(٧)]، إلّا أَنَّ المَقْطَعَ عندَهم هو الرُسْغُ[(٨)]، وعندنا: أُصولُ الأَصابعِ ويُتْرَكُ الإبهامُ والكفُّ وفي المرَّةِ الثانيةِ تُقْطَعُ رِجلُه اليُسرىٰ من أَصلِ الساقِ ويُتْرَكُ عَقِبُه يَعْتَمِدُ عليها في الصلاةِ فإن سَرَقَ بعدَ ذلك خُلِّدَ في السجن، هذا هو المشهورُ من مذهبِ عليٍّ عليه السلام[(٩)].

وقولُه: ﴿جَزَآءً﴾ مفعولٌ له وكذا قولُه: ﴿نَكَـٰلًا﴾، ﴿فَمَن تَابَ﴾ من السُرّاقِ

---

(١) التحريم: ٤.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٧.

(٣) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٣٤ وفيه أيمانهما، والزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٦٣٢.

(٤) في نسخة: فيه.

(٥) أو ماقيمته ربع دينار، سواء كان درهماً أو غيره من المتاع. قال الشيخ في الخلاف: ج ٥ ص ٤١١: وبه قال في الصحابة: علي عليه السلام وأبوبكر وعمر وعثمان وابن عمر وعائشة، وفي الفقهاء: الأوزاعي وأحمد وإسحاق وهو مذهب الشافعي.

(٦) الأمّ: ج ٦ ص ١٤٧، مختصر المزني: ص ٢٦٣، السراج الوهّاج: ص ٥٢٥، كفاية الأخيار: ج ٢ ص ١١٦، المغني لابن قدامة: ج ١٠ ص ٢٣٥ و ٢٣٩، نيل الأوطار: ج ٧ ص ٢٩٨.

(٧) الموطأ: ج ٢ ص ٨٣٣، أسهل المدارك: ج ٣ ص ١٧٧، المدوّنة الكبرىٰ: ج ٦ ص ٢٦٥ و٢٦٦، حلية العلماء: ج ٨ ص ٤٩ و ٥٠، نصب الراية: ج ٢ ص ٣٥٥، البحر الزخّار: ج ٦ ص ١٧٦.

(٨) قال به جميع الفقهاء من العامة: أبو حنيفة وأصحابه ومالك والشافعي. انظر: الأم: ج ٦ ص ١٥٠، وكفاية الأخيار: ج ٢ ص ١١٨، ومختصر المزني: ص ٢٦٤، ومغني المحتاج: ج ٤ ص ١٧٨، والسراج الوهّاج: ص ٥٣١، والمجموع: ج ٢٠ ص ٩٧، واللباب: ج ٣ ص ١٠٠، وبدائع الصنائع: ج ٧ ص ٨٨.

(٩) راجع الخلاف: ج ٥ ص ٤٣٦ مسألة (٣٠)، والتبيان: ج ٣ ص ٥١٨.

﴿مِن بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾ أَي: سرقتِه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أَمرَه بالتَّفصِّي عن التبِعاتِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ ويُسْقِطُ عنه عقابَ[1] الآخرةِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٤١)

وقُرِئَ: «لا يُحْزِنْكَ» بضمِّ الياءِ[2] أَي: لا يُهِمَّنَّكَ مسارعةُ المُنافِقين ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى﴾ إظهارِ ﴿ٱلْكُفْرِ﴾ بما يلوحُ من[3] حالِهم من آثارِ الكَيدِ للإسلامِ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أَي: ومن اليهودِ قومٌ ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ فيكونُ مُنقطِعاً عمَّا قبلَه، ويجوزُ أَن يكونَ عطفاً علىٰ قولِه: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ وارتفع ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ علىٰ «هم سَمَّاعُونَ»، والضميرُ للمُنافِقين واليهودِ أَو لليهودِ[4]، ومَعْنىٰ ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾: قابلون لما يَفتَريه الأَحبارُ من الكَذِبِ على اللهِ وتحريفِ التوراةِ، ونحوُه: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ يعني: اليهودَ الَّذين لم يَصِلوا إلىٰ مجلسِ رسولِ اللهِ ﷺ لشدَّةِ عَداوتِهم إيَّاه، أَي: قابلون من الأَحبارِ ومن أُولئِكَ المُفرِطين في العَداوةِ، وقيل: معناه: سمَّاعون إليك ليَكْذِبُوا عليك بأَن يَزيدوا فيما سَمِعُوا منك ويَنْقُصوا ويُغَيِّروا، سمَّاعون منك لأَجلِ قومٍ

---

(١) في نسخة: عذاب.

(٢) قرأه نافع. راجع تفسير القرطبي: ج ٦ ص ١٨١.

(٣) في نسخة: في.

(٤) في نسخة بزيادة: منفرداً.

آخَرين من اليهودِ وَجَّهوهم عيوناً ليُبَلِّغوهم ماسَمِعُوا منك[١]، ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ يَميلونه ويُزيلونه عن مَواضِعِه الَّتي وَضَعَه اللهُ فيُهمِلونه بغيرِ مَواضِعَ بعدَ أَن كانَ ذا مَواضِعَ[٢] ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا﴾ الْمُحَرَّفَ المُزالَ عن مَواضِعِه ﴿فَـخُذُوهُ﴾ واعمَلوا به ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ أَي: إِن أَفتاكم محمَّدٌ صلى الله عليه وآله بخلافِه ﴿فَاحْذَرُواْ﴾ فهو الباطلُ.

ورُوِيَ: أَنَّ شريفاً من خَيْبَرَ زَنَىٰ بِشَرِيفَةٍ وهما مُحْصَنان وحدُّهما الرجمُ في التوراةِ فَكَرِهُوا رَجْمَهما لشرفِهما، فَبَعَثُوا نفراً منهم إِلىٰ بني قُرَيْظَةَ ليسأَلوا رسولَ اللهِ عن ذلك، وقالوا: إِن أَمَرَكم محمَّدٌ صلى الله عليه وآله بالجَلدِ فاقْبَلوا، وإِن أَمَرَكم بالرجمِ فلا تَقْبَلوا وأَرْسَلُوا الزانِيَيْن معهم، فأَمَرَهم بالرجمِ، فأَبَوْا أَن يأْخُذُوا به، فقالَ له جبرئيلُ: اجْعَلْ بينَك وبينَهم ابنَ صوريا، فقال: هل تعرفون شابّاً أَمْرَدَ أَبْيَضَ أَعْوَرَ يسكُنُ فدكَ يُقالُ له: ابنُ صوريا، قالوا: نعم، وهو أَعْلَمُ يهوديٍّ علىٰ وجهِ الأَرضِ، ورَضُوا به حَكَماً، فقالَ له رسولُ اللهِ: أُنْشِدُكَ اللهَ الَّذي لاإِلٰهَ إِلَّا هُوَ الَّذي فَلَقَ البحرَ ورَفَعَ فوقَكم الطُّورَ وأَنْزَلَ عليكم كتابَه، هل تَجِدون فيه الرجْمَ علىٰ من أَحْصَنَ؟ قال: نعم؛ فَوَثَبَت عليه سَفِلَةُ اليهودِ، فقال: خِفْتُ إِن كَذَّبْتُهُ أَن يَنْزِلَ علينا العذابُ، ثمَّ سَأَل رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله عن أَشياءَ كان يعرِفُها من أَعلامِه وأَسْلَمَ، وقال: أَشْهَدُ أَنَّك رسولُ اللهِ النبيُّ المُبَشَّرُ به، وأَمَرَ رسولُ اللهِ بالزَّانِيَيْن فرُجِما عندَ بابِ مسجدِه[٣] [٤].

﴿وَمَن يُرِدِ ٱللهُ فِتْنَتَهُ﴾ أَي: تَرَكَه مفتوناً وخذلانَه ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُ﴾ أَي: فلن

(١) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ١٧٤.

(٢) في نسخة: موضع. (٣) في نسخة زيادة: الشريف.

(٤) رواه الطبري في تفسيره: ج ٤ ص ٥٧٢ ـ ٥٧٣ ح ١١٩٢٦، والبغوي أيضاً: ج ٢ ص ٣٧.

تَستطيعَ له ﴿مِنَ﴾ لطفِ ﴿ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن﴾ يَمْنَحَهم من أَلطافِه ما ﴿يُطَهِّرَ﴾ به ﴿قُلُوبَهُمْ﴾ لأَنَّهم ليسوا من أَهلِها لعلمِه أَنَّها لاتَنْجَعُ فيهم.

﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ (٤٢) وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٣) إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ (٤٤)

السحتُ: كلُّ مالايَحِلُّ كسبُه، وهو من سَحَتَه: إِذا اسْتَأْصَلَه، لأَنَّه مسحوتُ البركةِ كما قالَ اللهُ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[١]، وقُرِئَ: «السُّحتُ» مُخَفَّفاً ومُثَقَّلاً[٢].

وفي الحديثِ: «كُلُّ لحمٍ نَبَتَ على السحتِ فالنارُ أَولىٰ به»[٣].

وكان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله إِذا تَحاكَمَ إِليه أَهلُ الكتابِ مخيَّراً بينَ أَن يحكُمَ بينهم وبينَ أَن لايَحْكُمَ، وهذا التخييرُ عندنا ثابتٌ للأَئِمَّةِ في الشرعِ[٤]. ﴿وَإِن تُعْرِضْ﴾ عَن الحكمِ بينَهم ﴿فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا﴾ أَي: لايقدِرون علىٰ إِضرارٍ بك في دينٍ أَو

(١) البقرة: ٢٧٦.

(٢) وهي قراءة ابن كثير والبصريّين والكسائي. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٨٦، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٤٣.

(٣) الكامل في الضعفاء لابن عدي: ج ٥ ص ١٩٣٦.

(٤) راجع التبيان: ج ٣ ص ٥٢٩. قال الزجّاج في معاني القرآن مالفظه: أجمعت العلماء على أنّ هذه الآية تدلّ علىٰ أنّ النبيّ مخيّر بها في الحكم بين أهل الذمّة.

دنيا ﴿بِالْقِسْطِ﴾ أَي: بالعدلِ كما حَكَمَ عليه السلام بالرجمِ ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ تعجيبٌ مِن تحكيمِهم لِمَن لايؤمنون به وبكتابِه مع أَنَّ الحكمَ منصوصٌ عليه في كـتابِهم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ وهو إشارةٌ إلىٰ حكمِ اللهِ في التوراةِ، ويَتْرُكُون الحكمَ به، وقيل: ثمَّ يَتَوَلَّوْنَ من بعدِ تحكيمِك عن حكمِك الموافقِ لما في كتابِهم لايَرْضَوْنَ به[1] ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بكتابِهم كما يدَّعون ﴿فِيهَا هُدًى﴾ يهدي للـحقِّ والعدلِ ﴿وَنُورٌ﴾ يُبَيِّنُ ماالشْتَبَهَ[2] من الأَحكامِ ﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ﴾ صفةٌ للنبيِّين علىٰ سبيلِ المدحِ، وفيه تعريضٌ باليهودِ وأَنَّهم بُعَداءُ عن الإسلامِ الَّذي هو دينُ الأَنبياءِ كلِّهم قديماً وحديثاً، وقولُه: ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ يدلُّ علىٰ ذلك ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ أَي: والزهَّادُ والعلماءُ من وُلدِ هارونَ الَّذين الْـتزَموا طـريقةَ النَـبيِّينَ وجانَبوا دينَ اليهودِ ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ بما سَأَلَهم أَنبياؤُهم حفظَه من التوراةِ، أَي: بسببِ إيصائِهم إيَّاهم أَن يَحْفَظُوه من التغييرِ والتبديلِ، و ﴿مِن﴾ في ﴿مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ للتبيينِ ﴿وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ أَي: رُقباءَ لئَلَّا يُغيِّرُوا المعنىٰ[3] ﴿يَحْكُمُ﴾ بأَحكامِ التوراةِ ﴿ٱلنَّبِيُّونَ﴾ بينَ موسىٰ وعيسىٰ وكانَ بينَهما أَلفُ نـبيٍّ ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ يَحمِلونَهم علىٰ أَحكامِ التوراةِ ولايَترُكونَهم أَن يَعدِلوا عنها كما فَعَلَه رسولُاللهِ من حملِهم علىٰ حكمِ الرجمِ، وكذلك حَكَمَ ﴿ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ المسلمون بسببِ ماالسْتَحْفَظَهم أَنبياؤُهم ﴿مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ وبسببِ كونِهم ﴿عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾، ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾ نهيٌ للحُكَّامِ عن خشيتِهم غيرَاللهِ في حكوماتِهم وإدهانِهم فيها ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ﴾ أَي: لاتَسْتَبْدِلوا ولاتستعيضوا بِآياتِ اللهِ وأَحكامِه

(١) قاله الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٦٣٦.

(٢) استبهم عليه الكلام أي: استغلق. (الصحاح: مادة بهم).

(٣) في نسخة: الحكم.

﴿ثَمَناً قَلِيلًا﴾ وهو الرشوةُ وابتغاءُ الجاهِ وطلبُ الرئاسةِ كما فَعلَه اليهودُ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مُستهيناً به ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ والظالمون والفاسقون وصفٌ لهم بالعتوِّ في كفرِهم وظلمِهم بآياتِ اللهِ بالاستهانةِ بها وتمرُّدِهم في فسقِهم بأَن حَكَمُوا بغيرِها، وعن ابن عبَّاس: مَن جَحَدَ حكمَ اللهِ كَفَرَ، ومَن لَمْ يَحْكُمْ به وهو مقرٌّ فهو ظالمٌ فاسقٌ[١].

وعن حُذَيْفَةَ: أَنتم أَشبهُ الأُمَمِ سَمْتاً ببني إسرائِيل، لتركبُنَّ طريقَهم حَذْوَ النعلِ بالنعلِ، والقُذَّةِ بالقُذَّةِ[٢]، غيرَ أَنِّي لاأدري أَتعبُدون العِجلَ أَم لا[٣].

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ (٤٥)

المعطوفاتُ كلُّها قُرِئَتْ بالنصبِ والرفعِ[٤]، وقُرِئَتْ بالنصبِ إِلَّا «وَالْجُرُوح قِصاصٌ» فإِنَّه بالرفعِ[٥]. فَالرَّفعُ للعطفِ على محلِّ ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ﴾ لأَنَّ المعنىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ النفسُ بالنفسِ: إِمَّا لإجراءِ ﴿كَتَبْنَا﴾ مجرىٰ «قُلْنا»، وإِمَّا لأَنَّ معنىٰ الجملةِ الَّتي هي قوله: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ ممَّا يَقَعُ عليه الكتبُ كما يَقَعُ عليه القِراءَة تقول: كَتَبْتُ «ٱلْحَمْدُ للهِ» وقَرأْت «سُورَةٌ أَنْزَلْناها»، ولذلك قال الزجَّاجُ: لو

---

(١) تفسير ابن عباس: ص ١٧٩.

(٢) القُذذُ: ريش السهم، الواحدة قذّة، وحذوتُ النعلَ بالنعلِ حذواً: إذا قدّرت كلّ واحدة على صاحبتها، يقال: حَذْوَ القُذّة بالقُذّة. (الصحاح: مادتي قذذ وحذا).

(٣) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٦٣٨.

(٤) قرأ الكسائي وحده بالرفع والباقون بالنصب. راجع التبيان: ج ٣ ص ٥٣٥، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٨٦.

(٥) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٤٤، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٨٦.

قُرِئَ: « إِنَّ النَّفسَ» بالكسرِ لكان صحيحاً[١]. والمعنىٰ: فَرَضْنا عليهم فيها ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ﴾ مأخوذةٌ ﴿بِالنَّفْسِ﴾ مقتولةٌ بها إذا قَتَلَتْها بغيرِ حقٍّ، ﴿وَٱلْعَيْنَ﴾ مفقوءَةٌ ﴿بِالعَيْنِ﴾، ﴿وَٱلأَنفَ﴾ مجدوعٌ ﴿بِالأَنفِ﴾، ﴿وَٱلأُذُنَ﴾ مصلومةٌ ﴿بِالأُذُنِ﴾، ﴿وَٱلسِّنَّ﴾ مقلوعةٌ ﴿بِالسِّنِّ﴾، ﴿وَٱلْجُرُوحَ﴾ ذاتُ ﴿قِصَاصٌ﴾ وهو المقاصَّةُ فيما يُمْكِنُ فيه القصاصُ ﴿فَمَن تَصَدَّقَ﴾ من أَصحابِ الحقوقِ بالقصاصِ وعفا عنه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ يُكَفِّرُ به من سيِّئاتِه بقدرِ ما تَصدَّقَ.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ (٤٧)

قَفَّاهُ بفلانٍ: عقَّبَه به، تَعَدَّىٰ إِلى المفعولِ الثاني بالباءِ، والمفعولُ الأَوَّلُ في الآيةِ محذوفٌ سدَّ مسدَّه الظرفُ الَّذي هو ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم﴾ لأَنَّه إِذا قَفَّىٰ به علىٰ أَثَرِه فقد قفَّىٰ به إِيَّاه، والضَّميرُ في ﴿ءَاثَـٰرِهِم﴾ للنَّبيِّين في قولِه: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾[٢]، ﴿وَمُصَدِّقاً﴾ نصب على الحالِ عطفٌ علىٰ محلِّ ﴿فِيهِ هُدًى﴾، ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً﴾ يجوز أَن يَنْتَصِبا على الحالِ وعلى المفعولِ له لقولِه: ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾[٣]، وقُرِئَ: ﴿وَلِيَحْكُمْ﴾ على الأَمرِ[٤] بمعنىٰ وقلنا: «لَيحكُمْ»، ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ في الإِنجيلِ.

---

(١) معاني القرآن واعرابه: ج ٢ ص ١٧٩. (٢) الآية: ٤٤.

(٣) أُنظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٤٣.

(٤) قرأه حمزة. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٤٤، والكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسي: ج ١ ص ٤١٠، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٨٧.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللهُ وَلَاتَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَآءَ ٱللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآءَاتَـٰكُمْ فَاسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَاتِ إِلَى ٱللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللهُ وَلَاتَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَآأَنزَلَ ٱللهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٥٠)

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أي: القرآن، والتعريفُ فيه للعهدِ، وفي ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ بعدَه للجنسِ؛ لأنَّ المعنىٰ: ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ﴾ التوراةِ والإنجيلِ وكلّ كتابٍ أُنزِلَ من السماءِ سِواه ﴿وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ أي: رقيباً علىٰ سائِرِ الكُتُبِ لأنَّه يَشْهَدُ لها بالصحَّةِ ﴿وَلَاتَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ ضُمِّنَ معناه معنىٰ لاتَنْحَرِفْ ولذلك عُدِّيَ بـ «عن» كأنَّه قيل: ولاتَنْحَرِفْ ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ مُتَّبِعاً أهواءَهُمْ ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ أيُّها الناسُ ﴿شِرْعَةً﴾ أي: شريعةً ﴿وَمِنْهَاجاً﴾ طريقاً واضحاً في الدينِ تَجْرون عليه[1]، وفيه دليلٌ علىٰ أنّا غيرُ متعبَّدين بشرائِعِ مَن كان قبلَنا من الأنبياءِ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: جماعةً مُتَّفِقةً علىٰ شريعةٍ واحدةٍ أو ذوي أُمَّةٍ واحدةٍ أي: دينٍ واحدٍ لااختلافَ فيه، ﴿وَلَـٰكِن﴾ أرادَ ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآءَاتَـٰكُمْ﴾ من الشرائِعِ المختلفةِ، هل تَعْمَلُون بها مُعتقِدين أنَّها مصالحُ لكم قد

(١) راجع الأقوال الواردة فيهما اعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ٢٣ ـ ٢٤، وفي معناهما اللغوي التبيان: ج ٣ ص ٥٤٤.

اخْتَلَفَتْ بحسبِ اختلافِ الأَحوالِ أو تَتَّبِعون الشُبَهَ[١] وتُفَرِّطون في العمل ﴿فَاسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فابتدِروها ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ استئنافٌ في معنى التعليلِ لاستباقِ الخيراتِ ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ فيُخبِرُكم بما اخْتَلَفْتُمْ فيه من أَمرِ دينِكم، ويَفصِلُ بينَ مُحِقِّكم ومُبْطِلِكم، ويُجازيكم علىٰ حسبِ استحقاقِكم ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم﴾ معطوفٌ على ﴿ٱلْكِتَـٰبِ﴾، أَي: وأَنْزَلْنا إِليك أَنِ احْكُمْ، وُصِلَت ﴿أَنِ﴾ بالأمرِ، ويجوز أَن يكونَ معطوفاً علىٰ ﴿بِالْحَقِّ﴾ أَي: أَنزلناه بالحقِّ وبأَنِ احْكُم[٢] ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾[٣] أَن يُضِلُّوك ويَسْتَزِلُّوك ﴿عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ بأَن يُطْمِعُوكَ منهم في الإِجابةِ إِلى الإِسلامِ ويقولوا: إِنَّا إِنِ اتَّبَعْناك اتَّبَعَنا اليهودُ كلُّهم وإِنَّ بينَنا وبينَ قومِنا خصومةً فَاحْكُمْ لنا عليهم ونحن نُؤْمِنُ بك ونُصَدِّقُك، فأَبىٰ رسولُ اللهِ ذلك ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم﴾ بذنبِ التولِّي عن حكمِ اللهِ فوَضِعَ ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ موضِعَ ذلك، والمرادُ: أَنَّ لهم ذنوباً جَمَّةً، هذا الذنبُ بعضُها ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ هذا تعييرٌ لليهودِ بأَنَّهم أَهلُ الكتابِ[٤] وهم يَبغون حكمَ المِلَّةِ الجاهليَّةِ الَّتي هي هوىً وَجهلٌ لايَصْدُرُ عن كتابٍ ولايَرْجِعُ إِلىٰ وحيٍ، وقُرِئَ: «تَبْغُونَ» بالتاءِ[٥] علىٰ معنىٰ «قُلْ لَهُمْ»، واللامُ في قولِه: ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ للبيانِ كاللامِ في[٦] ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[٧] أَي: هذا الاستفهامُ لِقَوْمٍ يوقِنُونَ، فإِنَّهم هم الَّذين يَتَبَيَّنُون أَن لاأَعْدَلَ ولاأَحْسَنَ حكماً من اللهِ تعالىٰ.

---

(١) في نسخة: الشبهة.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٤٦.

(٣) في نسخة زيادة: في موضع نصب على البدل من «هم» أو علىٰ أنه مفعول له أي: كراهة.

(٤) في نسخة: كتاب.

(٥) قرأه ابن عامر. راجع كتاب التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٨٧.

(٦) في نسخة زيادة: قولهم، وأُخرىٰ: قوله. (٧) يوسف: ٢٣.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَايَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ(٥١) فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآأَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَـٰسِرِينَ﴾ (٥٣)

نَهَىٰ سبحانه المؤمنين عن اتِّخاذِهم أولياءَ يَنصُرونهم ويَستَنصِرونهم ويُوالونهم، ثمَّ عَلَّلَ النهيَ بقولِه: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ أي: إنَّما يُوالي بعضُهم بعضاً لاجتماعِهم في الكفرِ ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ﴾ مِن جملتِهم وحكمُهُ حكمُهم، وهذا تشديدٌ من اللهِ في وجوبِ مجانبةِ المخالفِ في الدينِ كما جاءَ في الحديثِ: «لاتراءىٰ ناراهما»(١) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَايَهْدِى ٱلْقَوْمَ﴾ الَّذينَ ظَلَموا أنفسَهم بموالاةِ الكافرين يَمْنَعُهم أَلطافَه ويَخْذُلُهم ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم﴾ شكٌّ ونفاقٌ ﴿يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ في مُوالاتِهم ويرغَبون فيها، ويعتذِرون بأَنَّهم لايَأمَنون أَن تُصيبَهم ﴿دَآئِرَةٌ﴾ من دوائِرِ الزمانِ أي: صرفٌ من صروفِه فَيحتاجوا إِليهم وإِلىٰ معونتِهم ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ لرسولِ اللهِ علىٰ أعدائِه ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ بقتلِ اليهودِ وإِجلائِهم عن ديارِهم فَيُصْبِحُ المُنافِقون ﴿نَـٰدِمِينَ﴾ علىٰ ماأَسَرُّوه ﴿فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ من النفاقِ، وقيل: أَو أَمرٍ من عندِه وهو أَن يُؤمَرَ(٢) النبيُّ بإظهارِ

(١) المعجم الكبير للطبراني: ج ٢ ص ٣٤٣، سنن البيهقي: ج ٨ ص ١٣١ وج ٩ ص ١٤٢، الكشّاف: ج ١ ص ٦٤٢.
(٢) في نسخة: يأمر.

أَسرارِ المنافِقين فيندَموا[١] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ قُرِئَ بالنصبِ[٢] عطفاً علىٰ ﴿أَن يَأْتِىَ﴾ أَو علىٰ ﴿بِالْفَتْحِ﴾ أَي: وبأَن يقولَ، وبالرفعِ علىٰ أَنَّه كلامٌ مُبْتَدَأٌ أَي: ويقولُ الَّذين آمنوا في ذلك الحالِ، وقُرِئَ: «يقولُ» بغير واوٍ[٣] ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ﴾ أَي: حَلَفُوا ﴿بِـاللهِ﴾ أَغْـلَظَ الأَيـمانِ ﴿إِنَّـهُمْ﴾ أَوْلِـياؤُكـم ﴿حَـبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ من جملةِ كلامِ المؤْمنين، أَي: بَطَلَتْ أَعمالُهم الَّتي كانوا يَتَكَلَّفونها في مرأَى الناسِ ﴿فَأَصْبَحُواْ خَـٰسِرِينَ﴾ خَسِروا الدنيا والآخرةَ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٤)

قُرِئَ: «مَنْ يَّرْتَدِدْ»[٤] و «مَنْ يَّرْتَدَّ» وهو[٥] من الكائنات الَّتي أُخْبِرَ عَـنها في القرآنِ قبلَ كونِها، وهو أَنَّ قوماً يـرتدُّون بـعدَ وفـاةِ رسـولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، وأَنَّـه سبحانه يَنْصُرُ دينَه بقومٍ لهم هذهِ الصفاتُ المـذكورةُ، قـيل: هـم أَهـلُ اليـمنِ[٦] ولمَّا نَزَلَتْ أَشارَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله إِلىٰ أَبي موسى الأَشعريِّ[٧] فـقال: «هـم قـومُ

---

(١) قاله الحسن والزجّاج علىٰ ماحكاه عنهما الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ٥٥٢.

(٢) قرأه البصريان (أبو عمرو ويعقوب). راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٨٨.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وابن عامر ونافع. راجع التبيان: ج ٣ ص ٥٥٢، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٤١١. وحكاها الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٦٤٣ وقال: وهي في مصاحف مكّة والمدينة والشام.

(٤) قرأه نافع وابن عامر. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٨٨.

(٥) في نسخة: هي.

(٦) قاله مجاهد وشريح. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٤٨.

(٧) هو عبدالله بن قيس بن سليم؛ أبو موسى الأشعري، صحابي، قدم مكّة بعد ظهور الاسلام ←

هذا»[١]، وقال: «الإيمانُ يمانٍ[٢] والحكمةُ يمانيةٌ»[٣]، وقيل: هم أَهلُ الفُرسِ[٤] وأَنَّ رسولَ اللهِ ضَرَبَ بيدِه على عاتقِ سلمانَ فقال: «هذا وذووه»، وقال: «لو كان الدينُ مُعَلَّقاً بالثُرَيَّا لنالَه رجالٌ من أَبناءِ فارِسَ»[٥].

وعن أَئِمَّةِ الهدىٰ عليهم السلام وعمَّارٍ وحُذَيفَةَ: أَنَّهم عليٌّ عليه السلام وأَصحابُه حينَ قاتَلَ الناكِثِين والقاسِطِين والمارِقِين[٦]، ويُؤَيِّدُهُ الحديثُ: «لَتَنْتَهُنَّ يامَعْشَرَ قريشٍ أَو لَيَبْعَثَنَّ اللهُ عليكم رجلاً يَضْرِبُكم علىٰ تأْويلِ القرآنِ كما ضَرَبْتُكم علىٰ تنزيلِه» ثمَّ قالَ من بعدُ: «إِنَّه خاصفُ النعلِ في الحُجرةِ» وكان عليٌّ عليه السلام يَخصِفُ نعلَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله[٧].

و﴿أَذِلَّةٍ﴾ جمعُ ذليل، أَي: عاطِفين على المؤمنين علىٰ وجهِ التذَلُّلِ والتواضُعِ أَشِدَّاءُ ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ واللومةُ المَرَّةُ من اللَّومِ، وفيه أَنَّهم لايخافون شيئاً

← فأسلم، استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ زبيد وعدن، وولّاه عمر بن الخطّاب البصرة سنة ١٧ هـ، وعثمان الكوفة، فأقام بها الىٰ أن قُتل عثمان، فأقرّه أمير المؤمنين علي عليه السلام عليها، وعزله الإمام علي عليه السلام عندما كان يحرض أهل الكوفة على القعود عن نصرته في وقعة الجمل، فأقام إلىٰ أن كان التحكيم، وخدعه عمرو بن العاص، فعاد أبو موسى الى الكوفة ومات فيها سنة ٤٤ هـ. (أُسد الغابة: ج ٣ ص ٢٤٥، طبقات ابن سعد: ج ٤ ص ٧٩).

(١) تفسير الطبري: ج ٤ ص ٦٢٤ ح ١٢١٩٣ ـ ١٢١٩٩، طبقات ابن سعد: ج ٤ ص ١٠٧، مستدرك الحاكم: ج ٢ ص ٣١٣.

(٢) قال الجوهري: اليمن بلاد للعرب، والنسبة إليها يمنيٌّ ويمانٍ مخفّفة والألف عوض من ياء النسب فلايجتمعان. (راجع الصحاح: مادة يمن).

(٣) صحيح البخاري: ج ٤ ص ٢١٧ وج ٥ ص ٢١٩، مسند أحمد: ج ٢ ص ٢٣٥ و٢٥٢ و٢٥٨ و٢٥٧ و٢٧٠، سنن الدارمي: ج ١ ص ٣٧، مشكل الآثار: ج ١ ص ٣٤٧ و٣٤٩ وج ٢ ص ٢٣٣.

(٤) أورده المصنّف في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٢٠٨.

(٥) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٦ ص ٢٠٣، مشكل الآثار للطحاوي: ج ٣ ص ٣١.

(٦) راجع التبيان: ج ٣ ص ٥٥٥ ـ ٥٥٦.

(٧) أوردها المصنّف في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٢٠٨.

قطُّ من لومِ أَحدٍ من اللوّامِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: مَحَبَّتُهم ولينُ جانبِهم[١] على المؤمنين وشِدَّتُهم على الكفّارِ ﴿فَضْلُ﴾ من ﴿ٱللَّهِ﴾ ومِنَّةٌ ولطفٌ من جهتِه يُعطيه ﴿مَن﴾ يَعْلَمُ أنّه أهلٌ له ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ كثيرُ الفواضِلِ والألطافِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بمَن هو من أَهلِها.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ (٥٦)

نَزَلَتْ في[٢] عليٍّ عليه السلام حينَ سأله سائِلٌ وهو راكِعٌ في صلاتِه فأَومَأ بخِنْصِرِهِ اليُمنى إليه فأَخَذَ السائِلُ الخاتَمَ من خِنْصِرِه[٣]، ورواه الثعلبيُّ[٤] في تفسيرِه[٥]، والحديثُ طويلٌ رَوَيْناه في الكتابِ الكبيرِ[٦]، وفيه: أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قالَ: «اللَّهُمَّ اشْرَحْ لي صَدري ويَسِّرْ لي أَمري واجْعَلْ لي وزيراً مِّن أَهلي عليّاً أَخي اشْدُدْ به ظَهْري» قال أَبوذرٍّ[٧]: فواللهِ مااسْتَتَمَّ الكلمةَ حتّى نَزَلَ جبرئيلُ فقال:

---

(١) في نسخة: إجابتهم.

(٢) في نسخة زيادة: حقّ أميرالمؤمنين.

(٣) العياشي: ج ١ ص ٣٢٧ ح ١٣٧، التبيان: ج ٣ ص ٥٥٨ ـ ٥٥٩ وقال: رواه أبوبكر الرازي في كتاب أحكام القرآن علىٰ ماحكاه المغربي عنه والطبري والرماني ومجاهد والسدي، وهو قول أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام وجميع علماء أهل البيت. وانظر إحقاق الحق: ج ٢٠ ص ١٧ ـ ٢٢.

(٤) هو أبو اسحاق، أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري، مفسِّر، مقرئ، واعظ، أديب، توفّي سنة ٤٢٧ هـ. (معجم المؤلفين: ج ٢ ص ٦٠).

(٥) تفسير الكشف والبيان: ص ١٦٧ مخطوط.

(٦) مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٢١٠.

(٧) هو جندب بن جنادة من كنانة بن خزيمة، أحد الأركان الأربعة، من كبار الصحابة، أسلم بعد أربعة وكان خامساً، وهو أوّل من حيّا رسول‌الله بتحيّة الإسلام. نفاه عثمان الى الشام وأخذ يجتمع إليه الفقراء والصعاليك، فيروي لهم أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله، ويعيب على معاوية والي ←

يامحمَّدُ اقْرَأْ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، والمعنىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ أي: الَّذي يَتَوَلّىٰ تدبيرَكم ويلي أُمورَكم ﴿ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ﴾ هذه صفاتُهم ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ حالٌ من ﴿يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ أَي: يؤتونها في حالِ ركوعِهم.

قال جارُالله: وإنَّما جيءَ به علىٰ لفظِ الجمعِ وإن كانَ السببُ فيه رجلاً واحداً ليُرَغِّبَ الناسَ في مثلِ فعله، وليُنَبِّهَ علىٰ أَنَّ سجيَّةَ المؤمنين يجبُ أَن يكونَ علىٰ هذهِ الغايةِ من الحرصِ على البرِّ والإحسانِ[١]. وأَقولُ: قد اشْتَهَرَ في اللغةِ العبارةُ عن الواحدِ بلفظِ الجمعِ علىٰ سبيلِ التعظيمِ فلايُحتاجُ[٢] إلى الاستدلالِ عليه، وإذا ثَبَتَ أَنّه المعنيُّ في الآيةِ علىٰ ماذكَرْناه صَحَّت إمامتُه بالنصِّ الصريح.

﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ من إقامةِ الظاهرِ مقامَ المضمرِ، أَي: فإنَّهم هم الغالبون.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّايَعْقِلُونَ﴾ (٥٨)

وقُرِئَ: ﴿وَٱلْكُفَّارِ﴾ بالجرّ[٣] ويَعْضُدُه قراءَةُ أُبَيٍّ: «ومن الكُفّارِ»[٤]، وفي

← الشام الترف والاسراف بمال المسلمين، فشكاه الى عثمان فاستقدمه الى المدينة، واستأنف في نشر رأيه بين الناس، فنفاه عثمان الى الربذة، ومات فيها سنة ٣٢ هـ. (طبقات ابن سعد: ج ٤ ص ١٦١ ـ ١٧٥، حلية الأولياء: ج ١ ص ١٥٦، أعيان الشيعة: ج ٤ ص ٢٣٦).

(١) الكشّاف: ج ١ ص ٦٤٩.

(٢) في نسخة: نحتاج.

(٣) قرأه البصريان والكسائي. راجع التبيان: ج ٣ ص ٥٦٧، وتفسيرالبغوي: ج ٢ ص ٤٨، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٨٩.

(٤) حكاه عنه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٦٥٠، وابن خالويه في شواذ القرآن: ص ٣٩.

القراءَةِ بالنَصبِ يكون الهُزُؤُ من أَهلِ الكتابِ خاصَّةً، وفَصَلَ بينَ المستهزِئين منهم والكفّارِ وإِن كانوا ـ أَيضاً ـ كفّاراً إِطلاقاً للكفّارِ على المشركين خاصَّةً ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في موالاةِ الكفّارِ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حقّاً ﴿ٱتَّخَذُوهَا﴾ الضميرُ للصلاةِ أَو للمناداةِ، وكانوا إِذا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ للصلاةِ تَضاحَكوا فيما بينَهم ﴿لَّا يَعْقِلُونَ﴾ لأَنَّ هُزُؤَهم ولَعِبَهم من أَفعالِ السفهاءِ فكأَنَّه لاعقلَ لهم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ (٥٩)

أَي: ماتَعيبون منّا وتُنكِرون ﴿إِلَّآ﴾ الإِيمانَ ﴿بِٱللَّهِ﴾ والكُتُبِ المنزَلَةِ كلِّها ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ فيه وجوهٌ: أَن يكونَ عطفاً علىٰ ﴿أَنْ ءَامَنَّا﴾ أَي: ماتَنقِمون مِنّا إِلّا مُخالَفَتَكم حيثُ دَخَلْنا في الإِيمانِ وأَنتم خارجون منه، ويجوزُ أَن يكونَ عطفاً على المجرورِ أَي: إِلّا الإِيمانَ باللهِ وبأَنَّ أَكثرَكم فاسقون، ويجوزُ أَن يكونَ تعليلاً معطوفاً علىٰ تعليلٍ محذوفٍ أَي: ماتَنقِمون منّا إِلّا الإِيمانَ لقِلَّةِ إِنصافِكم ولأَنَّكم فاسقون[1].

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (٦٠)

﴿ذَٰلِكَ﴾ إِشارةٌ إِلى المَنقومِ ولابدَّ من حذفِ مضافٍ، والتَقديرُ: هل أُنبِّئُكم بشرٍّ من أَهلِ ذلك أَو بشرٍّ من ذلك دينُ مَن لَعَنَهُ اللهُ، وُضِعَتِ المثوبةُ موضِعَ العقوبةِ، ومنه قولُه: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2]، وكان اليهودُ يَزعُمون أَنَّ المسلمين

---

(١) راجع تفصيل ذلك في الفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٥٥.

(٢) آل عمران: ٢١، التوبة: ٣٤، الانشقاق: ٢٤.

مستوجِبون للعقابِ، فقيل لهم: مَن لَعَنَه اللهُ شرٌّ عقوبةً في الحقيقةِ من أَهلِ الإِسلامِ في زَعمِكم، و ﴿مَن لَّعَنَهُ﴾ في موضِعِ الرفعِ أَي: هو مَن لَعَنَهُ اللهُ، أَو في محلِّ الجرِّ على البدلِ من «شرٍّ»، و ﴿عَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ عطفٌ علىٰ صلةِ ﴿مَن﴾ أَي: ومَن عَبَدَ الطَّاغوتَ، وقُرِئَ: «وعَبُدَ الطَّاغوتِ» بضمِ الباءِ والإِضافةِ[1] أَي: وَجَعَلَ منهم عَبُدَ الطَّاغوتِ، وهو للمبالغةِ في العبوديَّةِ نحوُ حَذُرٍ ويَقُظٍ، والمعنى فيه أَنَّـه خَـذَلَهم حتَّى عَبَدُوها، والطاغوتُ: الشيطانُ، وقيل: إِنَّ مَن جُعِلَ منهم القردةُ هم أَصحابُ السَّبتِ، والخَنازيرُ: كفَّارُ أَهلِ مائِدةِ عيسىٰ[2]، وقيل: إِنَّهما معاً أَصحابُ السبتِ مُسِخَ شُبَّانُهم قِرَدَةً وشيوخُهم خَنازير[3] ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً﴾ جُعِلَتِ الشرارةُ للمكانِ وهي لأَهلِه للمُبالَغَةِ وهو داخلٌ في باب الكنايةِ.

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ (٦١) وَتَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْـمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَاكَـانُواْ يَـعْمَلُونَ (٦٢) لَـوْلَايَنْهَـٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّـحْتَ لَـبِئْسَ مَـاكَـانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ (٦٣)

نَزَلَتْ في ناسٍ من اليهودِ كانوا يُظْهِرُونَ الإِيمانَ نِفاقاً ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ﴾ أَي: دَخَلُوا كافرين وخَرَجُوا كافرين، والتقديرُ مُلتبِسين بالكفرِ، فقولُه: ﴿بِالْكُفْرِ﴾ و ﴿بِهِ﴾ حالان وكذلك قولُه: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ﴾ و ﴿هُمْ قَدْ خَرَجُواْ﴾ ولذلك دَخَلَتْ ﴿قَدْ﴾ تقريباً للماضي من الحالِ أَي: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَـنَّا﴾ وهـذه حـالُهم ﴿ٱلْإِثْـمِ﴾

---

(١) قرأه حمزة. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٨٩، والتبيان: ج ٣ ص ٥٧٢.
(٢) قاله البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٤٩.
(٣) قاله ابن عبّاس. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ٤٩، والبحر المحيط: ج ٣ ص ٥١٨.

الكذبُ بدليل قوله: ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾، و ﴿ٱلْعُدْوَٰنِ﴾: الظلمُ، وقيل: الإثمُ: كلمةُ الشركِ نحوُ قولِهم: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ (١) (٢)، وقيل: الإثمُ: مايختصُّ بهم والعدوانُ مايَتَعَدَّاهم إلىٰ غيرِهم(٣) ﴿لَبِئْسَ مَاكَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ كأنَّهم جُعِلوا آثمَ من مُرتَكِبِي الكبائرِ؛ لأنَّ كلَّ عاملٍ لايُسَمَّىٰ صانعاً حتَّى يَتَمَكَّنَ فيه ويَمْهَرَ، وعن ابنِ عبَّاسٍ: هي أشدُّ آيةٍ في القرآنِ(٤).

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَاداً وَٱللَّهُ لَايُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (٦٤)

غلُّ اليدِ مستعارٌ للبخلِ وبَسطُ اليدِ للجودِ، ومَن تَكَلَّمَ به لايَقْصُدُ إثباتَ يدٍ ولايُريدُ حقيقةَ غلٍّ ولابسطٍ وإنَّما هما عبارتان وَقَعَتا متعاقبتين للبخلِ والجودِ، وقد اسْتَعْمَلُوا اليَدَ حيثُ لايصحُّ اليدُ نحوُ قولِ الشاعرِ:

جادَ الحِمىٰ بَسْطُ اليَدَيْنِ بِوابِلٍ ... شَكَرَتْ نَداهُ تِلاعُهُ ووِهادُهُ(٥)

وقولُ لَبِيدٍ:

قَدْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشمالِ زِمامُها(٦)

---

(١) التوبة: ٣٠.
(٢) وهو قول ابن عبّاس كما في تفسيره: ص ٩٧.
(٣) حكاه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٦٥٤، والرازي في تفسيره: ج ١٢ ص ٣٩.
(٤) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٦٥٤، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٥٠.
(٥) لم نعثر علىٰ قائله فيما توفّرت لدينا من مصادر، وأنشده الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٦٥٥. يقول: إنّ السحاب أُرسل الىٰ أرض الحمىٰ بمطر كثير فأنبتت هذه الأرض وأزهرت، وهذا معنى شكرها.
(٦) ديوانه: ص ١٧٦ وصدره: وغداة ريحٍ قد وزعت وقرّةٍ.

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يجوزُ أَن يكونَ دُعاءً عليهم بالبخلِ والنكَدِ ولذلك كانوا أَبْخَلَ خلقِ اللهِ، ويجوزُ أَن يكونَ دُعاءً عليهم بغلِّ الأَيدي حقيقةً يُغَلُّون في الدنيا أُسارىٰ وفي الآخرةِ بالأَغلالِ في النارِ، ويجوزُ أَن يكونَ إِخباراً بأَنَّهم أُلْزِمُوا البخلَ وجُعِلُوا بُخَلاءَ[١] ﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ أَي: أُبعِدُوا عن رحمةِ اللهِ وعُذِّبُوا ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ تُثِّنِيَتِ اليدُ هنا ليكونَ الإِنكارُ لقولِهم أَبْلَغَ وعلىٰ إِثباتِ غايةِ السخاءِ أَدَلَّ، وذلك أَنَّ غايةَ مايَبْذُلُه السخيُّ أَن يُعْطِيَ باليَدَيْن جميعاً، وقولُه: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ تأْكيدٌ أَيضاً للوصفِ بالسخاءِ ودَلالةٌ علىٰ أَنَّه لايُنْفِقُ إِلَّا ماتقتضيه الحكمةُ والصلاحُ ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰناً﴾ أَي: يَزْدادون عند إِنزال[٢] القرآنِ تمادياً في الجحودِ وحسداً ﴿وَكُفْراً﴾ بآياتِ اللهِ ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ﴾ فكلماتُهم مختلفةٌ وقلوبُهم شَتَّىٰ فلايَقَعُ بينَهم موافقةٌ ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ﴾ أَي: كلَّما أَرادوا محاربةَ النبيِّ ﷺ غُلِبُوا ولم يَكُنْ لهم ظَفَرٌ قَطُّ، وقد أَتاهم الإِسلامُ وهم في مُلكِ المجوسِ، وفي هذا دَلالةٌ علىٰ صحَّةِ نبوَّةِ نبيِّنا[٣] لأَنَّ اليهودَ كانوا في أَشدِّ بأْسٍ وأَمنعِ دارٍ حتَّى أَنَّ قُرَيْشاً كانت تَعتضِدُ بهم، وكان الأَوْسُ والْخَزْرَجُ تَتَكَثَّرُ بمظاهرتِهم، فَذَلُّوا وقُهِرُوا وقَتلَ النبيُّ عليه السلام بني قُرَيْظَةَ وأَجْلَى بني النضيرِ وغَلَبَ علىٰ خَيْبَرَ وفَدَكَ[٤] فاسْتَأْصَلَ اللهُ شأْفَتَهم[٥]

---

(١) راجع تفصيل ذلك في اعراب القرآن للنحاس: ج ٢ ص ٣٠.

(٢) في بعض النسخ: إنزاله. (٣) في نسخة زيادة: محمّد.

(٤) وذلك أنّ النبيّ ﷺ لمّا نزل خيبر وفتح حصونها ولم يبق إلّا ثلثٌ واشتد بهم الحصار راسلوا رسول‌الله ﷺ يسألونه أن يُنزلهم على الجلاء ففعل، وبلغ ذلك أهل فدك فأرسلوا الى رسول‌الله ﷺ أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم فأجابهم الى ذلك. فهي ممّا لم يُرجف عليه بخيل ولا ركاب فكانت خالصةً لرسول‌الله ﷺ. انظر معجم البلدان للحموي: ج ٣ ص ٨٥٥ ـ ٨٥٨، وكتاب فدك في التاريخ للشهيد الصدر.

(٥) الشأفة: قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوىٰ فتذهب، يقال في المثل: استأصل الله ←

حتّىٰ أنَّ اليومَ تَجِدُ اليهودَ في كلِّ بلدةٍ من أذَلِّ النـاسِ ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَاداً﴾ بمخالفةِ أمرِ اللهِ والاجتهادِ في محوِ ذكرِ الرسولِ من كُتُبِهم.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَايَعْمَلُونَ﴾ (٦٦)

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُواْ﴾ بـمحمّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ وقَرنُوا إيمانَهم بالتقوىٰ ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ﴾ تلك السيِّئاتِ ولم نُؤاخِذْهم بـها ﴿وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ﴾ مع المسلمين ﴿جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ﴾ أحكامَ ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ وحدودَهما ومافيهما من نعتِ رسولِ اللهِ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن﴾ سـائِرِ كُـتُبِ اللهِ لأنّهم كُلِّفُوا الإيمانَ بجميعِها فكأنّها نَزَلَتْ إليهم، وقيل: هو القرآنُ[1] ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ المعنىٰ: لَوَسَّعَ اللهُ عليهم الرزقَ وكانوا قـد قُـحِطُوا، والمرادُ: لَأَفَضْنا عليهم بركاتِ السماءِ وبركاتِ الأرضِ ولَأَكْثَرْنا ثمراتِ أشجارِهم وغلّاتِ زُروعِهم، أو لَرَزَقْناهم الجِنانَ اليـانعةَ الثـمارُ يَـجْتَنونَ ثِـمارَ أشـجارِها ويَلْتَقِطون ماسَقَطَ منها على الأرضِ ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ﴾ أي: طائِفَةٌ ﴿مُّقْتَصِدَةٌ﴾ مسلمةٌ آمَنَتْ بالنبيِّ صلى الله عليه وآله ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَايَعْمَلُونَ﴾ فيه معنى التعجُّبِ، أي: ماأَسْوَأَ عملَهم[2]! وهم الّذين أقاموا على الكفرِ والجحودِ بالنبيِّ صلى الله عليه وآله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

← شأفته، أي أذهبه الله كما أذهب تلك القرحة بالكيّ. (الصحاح: مادة شأف).

(١) قاله ابن عبّاس وأبو علي علىٰ ماحكاه عنهما الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ٥٨٥.

(٢) في نسخة: أعمالهم.

رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (٦٧)

رَوىٰ الكلبيُّ، عن أَبي صالحٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ وجابِرِ بنِ عبدالله: أَنَّ اللهَ تعالىٰ أَمَرَ نبيَّه أَن يَنْصِبَ عليّاً عليه السلام للناسِ ويُخْبِرَهم بـولايتِه، فـتَخَوَّفَ عليه السلام أَن يـقولوا حابَى ابنَ عمِّه، وأَن يَشُقَّ ذلك علىٰ جماعةٍ من أَصحابِه، فَنَزَلَتْ هذه الآيةُ، فأَخَذَ بيدِه يومَ غديرِ خُمٍّ وقال: «مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاه»(١). وقُرِئَ: «فما بَـلَّغْتَ رسالاتِه»(٢) أَي: إِن لم تُبَلِّغْ هذه الرسالةَ ﴿فَمَا بَلَّغْتَ﴾ إذاً مـا كُـلِّفْتَ بـه مـن الرسالاتِ وكنتَ كأَنَّك لم تُؤَدِّ منها شيئاً قطُّ لأَنَّك إذا لم تُؤَدِّها فكأَنَّك أَغْفَلْتَ أَداءَها جميعاً ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ هذا وعدٌ من اللهِ بـالحفظِ والكِـلاءَةِ، ومعناه: واللهُ يَضْمَنُ لك العصمةَ من أَن ينالوك بسوءٍ فما عذرُك في مـراقَـبَتِهم(٣) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يريد أَنْ لا يُمَكِّنَهم من إِنزالِ مكروهٍ بك.

وعن أَنَسٍ: كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يُحرسُ حتَّى نَزَلَتِ الآيةُ، فأَخْرَجَ رأسَه مـن قبَّةِ أَدَمٍ فقال: انصرِفوا فقد عَصَمَني اللهُ من الناسِ(٤).

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (٦٨)

---

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ ح ١٥٢، وعنه البحار: ج ٩ ص ٢٠٧.

(٢) وهي قراءة نافع وعاصم برواية أبي بكر وابن عامر ويعقوب والمفضّل. راجع التبيان: ج ٣ ص ٥٨٧، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٨٩.

(٣) في نسخة: من مراقبتك.

(٤) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٦٦٠، وأخرجه عبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وأبو نعيم والبيهقي وابن مردويه عن عائشة كما في الدر المنثور: ج ٣ ص ١١٨، وفي تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٥٤ عنها أيضاً.

عن ابنِ عبَّاسٍ: نَزَلَتْ في جماعةٍ من اليهودِ قالوا للنبيِّ عليه السلام: أَلَسْتَ تُقِرُّ بأَنَّ التوراةَ من عندِاللهِ؟ قال: بلىٰ، قالوا: فإِنَّا نُؤْمِنُ بها ولانُؤْمِنُ بماعداها[١]. والمعنىٰ: ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ﴾ دينٍ يُعْتَدُّ به حتَّىٰ يسمَّىٰ شيئاً لفسادِه وبطلانِه، كما يقال: هذا ليسَ بشَيءٍ يرادُ به التحقيرُ ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ بالتصديقِ لما فيهما من البشارةِ بمحمَّدٍ والعملِ بما فيهما ﴿وَمَآأُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وهو القرآن ﴿فَلَاتَأْسَ﴾ أَي: فلاتَتَأَسَّفْ عليهم لزيادةِ طغيانِهم وكفرِهم فإِنَّ ضررَ ذلك يَرْجِعُ إِليهم لاإِليك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحاً فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٩)

﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ رفعٌ على الابتداءِ وخبرُه محذوفٌ، والنيَّةُ به التأْخيرُ عمَّا في حَيِّزِ ﴿إِنَّ﴾ أَي: والصابئُون كذلك، واستشهد لذلك سيبويه[٢] [٣] بقولِ الشاعرِ:

وَإِلَّافَاعْلَمُوا أَنَّـا وَأَنْـتُمْ بغاةٌ مابَقِينا فِي شِقاقٍ[٤]

---

(١) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٣ ص ٥٨٩ ـ ٥٩٠.

(٢) هو عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر، فارسي الأصل وينتمي بالولاء الى الحارث بن كعب ابن أدد، وسيبويه لقب عُرف به ولم يُلقَّب به أحد، ولد بالبيضاء بفارس، وقيل: في الأهواز، ثم هاجر مع أهله الى البصرة فنشأ بها، وطفق يطلب العلم، وعنى عناية شديدة بعلم النحو، توفّي سنة ١٨٠ هـ على الأرجح بشيراز وقبره بها، وقيل: بالأهواز، وقيل: بساوة. (طبقات النحّاة: ج ٢ ص ٢٠٦، طبقات النحويّين للزبيدي: ص ٧٣).

(٣) كتاب سيبويه: ج ٢ ص ١٥٦.

(٤) البيت من الوافر، وهو من قصيدة لبشر بن أبي خازم الأسدي، مطلعها:

أَهـمّت مـنك سـلمىٰ بـانطلاق وليس وصـالُ غـانيةٍ بـباقي

وسبب هذا الشعر كما نقله ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه: أنّ قوماً من آل بدر ←

أَي: فاعلَموا أَنَّا بغاةٌ وأَنتم كذلك، وقولِ الآخَرِ:

فَإِنِّي وَقَيَّارٌ بِها لَغَرِيبُ[1]

وإِنَّما سُمُّوا صابِئِين لأَنَّهم صَبأوا عن الأَديانِ كلِّها أَي: خَرَجوا، و ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مبتدأٌ وخبرُه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ والتقديرُ: من آمن منهم، والجملة كما هي خبرُ ﴿إِنَّ﴾، ويجوز أَن يكونَ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منصوباً على البدلِ من اسمِ ﴿إِنَّ﴾ وماعُطِفَ عليه أَو من المعطوفِ عليه.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ (٧٠) وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (٧١)

أَي: ﴿أَخَذْنَا﴾ ميثاقَهم بالتوحيدِ والبِشارةِ بمحمَّدٍ ﷺ ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾ ليَقِفوهم على الأَوامرِ والنواهي ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ جملةٌ شرطيَّةٌ، وجوابُ الشرطِ محذوفٌ يدلُّ عليه قولُه: ﴿فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾ لأَنَّ التقديرَ: كلَّما جاءَهم رسولٌ من تلكَ الرُسلِ ناصَبوه وخالَفوه، وقولُه: ﴿فَرِيقاً كَذَّبُواْ﴾ كأَنَّه جوابُ سائلٍ يَسأَلُ عنهم: كيفَ فَعَلوا برُسُلِهم؟ و ﴿يَقْتُلُونَ﴾ حكايةُ

← الفزاريّين جاوروا بني لأم من طي، فعمد بنو لأمٍ الى الفزاريّين فجزّوا نواصيهم وقالوا: قد مننّا عليكم ولم نقتلكم، وبنو فزارة حلفاء بني أسد، فغضب بنو أسد لأجل ما صُنِع بالبدريّين، فأنشأ بشر هذه القصيدة يذكر فيها ماصُنع ببني بدر ويقول للطائيّين: فإذ قد جززتم نواصيهم فاحملوها إلينا وأطلقوا من قد أسرتم منهم، وإنْ لم تفعلوا فاعلموا أنّا نبغيكم ونطلبكم، فإن أصبنا أحداً منكم طلبتمونا به، فصار كلّ واحد منّا يبغي صاحبه، فنبقىٰ في شقاقٍ وعداوةٍ أبداً. راجع ديوان بشر الأسدي: ص ١٦٥ يهجو أوس بن حارثة وفيه «ماحيينا» بدل «مابقينا»، وشرح السيرافي: ج ٢ ص ١٤، وخزانة الأدب للبغدادي: ج ١٠ ص ٢٩٧.

(١) لضابىء بن حارث البرجمي. تقدّم ذكره وشرحه في ص ٤٤٨ فراجع.

حالٍ ماضيةٍ استحضاراً لتلك الحالِ الشنيعةِ ليُتَعجَّبَ منها. وقُرِئَ: ﴿أَلَّا تَكُونَ﴾ بالنصبِ والرفعِ[١]، والرفعُ علىٰ تقديرِ: وحَسِبوا أَنَّه لاتكونُ فِتْنَةٌ، فخُفِّفَت «أَنَّ» وحُذِفَ ضميرُ الشأنِ وجُعِلَ الحسبانُ بمنزلةِ العلمِ حيثُ أُدْخِلَ علىٰ «أَن» الَّتي هي للتحقيقِ لقوَّتِه في صدورِهم، والمعنىٰ: وحَسِبَ بنوإسرائِيلَ أَنَّهم[٢] لاتصيبهم من اللهِ ﴿فِتْنَةٌ﴾ أَي: بلاءٌ وعذابٌ في الدنيا والآخرةِ ﴿فَعَمُواْ﴾ عن الدينِ ﴿وَصَمُّواْ﴾ عن الحقِّ ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لمَّا تابوا ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ هو بدلٌ من واوِ الضميرِ، أَو هو على قولِهم: أَكَلُونِيَ البراغيثُ، أَو هو علىٰ «أُولئِكَ كَثِيرٌ مِنْهُم» والمعنىٰ: أَنَّ كثيراً منهم عادوا كما كانوا، وقيلَ: يعني بالكثيرِ منهم مَن كانَ في عصرِ نبيِّنا عليه السلام[٣] ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أَي: عالمٌ بأعمالِهم، وفيه وعيدٌ لهم.

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٧٤)

احْتَجَّ سبحانه على النصارىٰ بقولِ عيسىٰ عليه السلام: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ إِذ لم يُفَرِّقْ بينَه وبينَهم في أَنَّه عبدٌ مربوبٌ مثلهمُ ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ في عبادتِه أَو فيما يختصُّ به من صفاتِه أَو أَفعالِه ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ الَّتي هي دارُ

(١) وهي قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي. راجع التبيان: ج ٣ ص ٥٩٦، وإعراب القرآن للنحاس: ج ٢ ص ٣٢، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٤٧.

(٢) في بعض النسخ: أنّه.

(٣) قاله البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٥٣.

الموحِّدين، أي: حَرَّمَه دخولَها ومَنَعَه منه كما يُمْنَعُ المحرَّمُ من المحرَّمِ عليه ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ يُخَلِّصونهم من عذابِ اللهِ، وظلمُهم أَنـَّهم عَدَلُوا عن سبيلِ الحقِّ فيما تقوَّلوا على عيسىٰ، و ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [1] للاستغراقِ والعمومِ، وهي المقدَّرةُ مع «لا» الَّتي لنفيِ الجنسِ في قولِك: «لاإلـه إلَّا اللهُ» والتقديرُ: وما [2] إلـهٌ قطُّ في الوجودِ إلَّا إلـهٌ [3] موصوفٌ بالوحدانيَّةِ لاثانيَ له في القِدَمِ، وهو اللهُ وحدَه لاشَريكَ له ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ «من» للتبيينِ فكأنَّه قال: لَيَمَسَّنَّهم، ولكن أَقامَ الظاهرَ موقعَ المضمرِ لتَتَكَرَّرَ شهادتُه عليهم بالكفرِ، ويجوزُ أَن يكونَ «من» للتبعيضِ أيضاً علىٰ معنىٰ: لَيَمَسَّنَّ الَّذين بَقُوا على الكفرِ منهم [4] ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾ بعدَ هذا الوعيدِ الشديدِ ممَّا هم عليه، وفيه تعجيبٌ من إصرارِهم على الكفرِ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يَسْتُرُ الذنوبَ على العبادِ ويَرْحَمُهم.

﴿مَا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ

---

(١) قال الهمداني في الفريد في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٦٧ مالفظه: وقوله: ﴿إِلَّآ إِلَـٰهٌ﴾ بدل من موضع ﴿مِنْ إِلَـٰهٍ﴾، والمعنىٰ: ومَاإله لنا قط، أو في الوجود إلّا إله موصوف بالوحدانية لاثاني له، وهو الله لاشريك له، وأجاز الكسائي ﴿إِلَّآ إِلَـٰهٌ﴾ بالجرّ على البدل من اللفظ وليس بالمتين؛ لأَنَّ «من» لاتزاد في الواجب. ويجوز في الكلام «إلهاً» على الاستثناء، ولايجوز لأحد أن يقرأ به؛ لأَنّ القراءة سنّة متّبعة لايجوز فيها القياس.

(٢) في بعض النسخ زيادة: من.

(٣) في بعض النسخ: إلّا الله.

(٤) انظر تفصيل ذلك في الفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٦٨.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (٧٧)

أي: ﴿مَّا﴾ هو ﴿إِلَّا رَسُولٌ﴾ مِن جنسِ الرسلِ الّذين خَلَوْا[١] قبلَه، أتىٰ بمعجزاتٍ باهرةٍ من فعلِ اللهِ تعالىٰ كما أَتَوْا بأمثالِها ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ صَدَّقَتْ بكلماتِ ربِّها وكُتُبِه وماهي إلّاكبعضِ النساءِ المصدِّقاتِ ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ هذا تصريحٌ ببعدِهما عمَّا نُسِبَ إليهما؛ لأنَّ من احتاجَ إلى الغِذاءِ ومايَتْبَعُه من الهضمِ والنفض[٢] لم يكن إلّا جسماً مؤلَّفاً مُحْدَثاً[٣]، وقيل: إنّه كنايةٌ عن قضاءِ الحاجةِ فكَأَنّه ذَكَرَ الأَكلَ وقَصَدَ بذلك الإخبارَ عن عاقبتِه[٤] ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ﴾ الأَعلامَ من الأَدِلَّةِ الظّاهرةِ علىٰ بطلانِ قولِهم ﴿ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي:

---

(١) في نسخة زيادة: من.

(٢) استنفض بالحجر: استنجىٰ، وهو من نفض الثوب لأنّ المستنجي تنفّض عن نفسه الأذىٰ بالحجر. (القاموس المحيط: مادة نفض).

(٣) قال الشيخ الطوسي رحمه الله في التبيان: ج ٣ ص ٦٠٥: قوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ فيه احتجاج عَلى النصارىٰ؛ لأنّ من ولدته النساء، وكان يأكل الطعام لايكون إلهاً للعباد؛ لأنّ سبيله سبيلهم في الحاجة الى الصانع المدبّر، لأنّ من فيه علامة الحدث لايكون قديماً، ومن يحتاج إلى غيره لايكون قادراً لايعجزه شيء.

وقال العلّامة الطباطبائي رحمه الله الشريف: هو ردٌّ لقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ أو قولهم هذا وقولهم المحكي في الآية السابقة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ جميعاً، ومحصله اشتمال المسيح علىٰ جوهر الألوهية، بأنّ المسيح لايفارق سائر رسل الله الذين توفّاهم الله من قبله كانوا بشراً مرسلين من غير أن يكونوا أرباباً من دون الله سبحانه، وكذلك أمّه مريم كانت صدّيقة تصدّق بآيات الله تعالىٰ وهي بشر، وقد كان هو وأمّه جميعاً يأكلان الطعام، وأكل الطعام مع مايتعقّبه مبني علىٰ أساس الحاجة التي هو أول أمارة من أمارات الإمكان والمصنوعية، فقد كان المسيح عليه السلام ممكناً متولّداً من ممكن، وعبداً ورسولاً مخلوقاً من أمّه كانا يعبدان الله، ويجريان في سبيل الحاجة والافتقار من دون أن يكون ربّاً. فهذه الامور صرّحت به الأناجيل، وهي حجج علىٰ كونه عليه السلام عبداً رسولاً. انظر الميزان: ج ٦ ص ٧٣.

(٤) قاله الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٥٦.

كيف يُصْرَفون عن استماعِ الحقِّ وتَدَبُّرِه! والمعنيُّ في قولِه: ﴿ثُمَّ ٱنظُرْ﴾ تراخي مابينَ العجبين، بمعنىٰ: أَنَّه نُبَيِّنُ لهم الآياتِ بياناً عجباً، ثمَّ إِنَّ إِعراضَهم عنها أَعْجَبُ منه، والمرادُ بقولِه: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ﴾ عيسىٰ عليه السلام، أَي: شيئاً لايَستطيعُ أَن يَضُرَّكم بمثلِ مايَضُرُّكم اللهُ به من البلاءِ والنقصِ من الأَموالِ والأَنفُسِ، ولا أَن ينفعَكم بمثلِ ماينفعُكم اللهُ به من الصحَّةِ والسعَةِ والخِصبِ، وصفةُ المعبودِ أَن يكونَ قادراً علىٰ كلِّ شيءٍ ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يَقولون ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يَعتقدونَ.

﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ أَي: لاتتجاوَزُوا الحدَّ الَّذي حدَّه اللهُ لكم إِلى الازدياد ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ صفةٌ للمصدرِ، أَي: لاتَغْلوا غُلوّاً غيرَ الحقِّ، أَي: غُلوّاً باطلاً وهو أَن يتجاوزَ الحقَّ ويَتَخَطَّاهُ ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ هم أَئِمَّتُهم في النصرانيَّةِ كانوا على الضلالِ قبلَ مبعثِ النبيِّ صلى الله عليه وآله ﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ ممَّن تابَعَهم على التثليثِ ﴿وَضَلُّوا۟﴾ لمَّا بُعِثَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله ﴿عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ حينَ كَذَّبوه وبَغَوْا عليه.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ (٨٠)

لُعِنوا ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ لمَّا اعْتَدَوْا في سبتِهم، فقال: اللَّهُمَّ أَلْبِسْهم اللعنةَ مثلَ الرداءِ، فَمَسَخَهم اللهُ قِرَدَةً ﴿وَ﴾ علىٰ لسانِ ﴿عِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ لمَّا كَفَروا بعدَ نزولِ المائدةِ، فقال عيسىٰ: اللَّهُمَّ عذِّبْ مَن كفَرَ بعدَ ماأَكَلَ من المائدةِ عذاباً لاتُعَذِّبُه أَحداً من العالَمينَ والْعَنهم كما لَعَنْتَ أَصحاب السبتِ، فصاروا خنازيرَ، وكانوا

خمسةَ آلافِ رجلٍ ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا﴾ أي: ذلك اللعنُ الشنيعُ بمعصيتِهم واعتدائِهم، ثمَّ فسَّرَ المعصيةَ والاعتداءَ بقولِه: ﴿كَانُواْ لَايَتَنَاهَوْنَ﴾ أي: لاينهىٰ بعضُهُم بعضاً ﴿عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ ثمَّ قال: ﴿لَبِئْسَ مَاكَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ للتعجُّبِ من سوءِ فعلِهم مؤكِّداً لذلك بالقسمِ، ويجوز أن يكونَ المعنىٰ: كانوا لايتناهَوْنَ أي لاينتهون ولايمتنِعون عن مُنكَرٍ فعَلُوهُ بل يُصِرُّونَ عليه ويُداوِمون علىٰ فعلِه ﴿تَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: يُوالون المشركين ويُصادِقونهم ﴿لَبِئْسَ مَاقَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: لبِئْسَ زادُهم إلى الآخرةِ ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: سَخَطُ اللهِ عليهم وهو المخصوص بالذمِّ والمعنيُّ بذلك كعبُ بنُ الأَشرفِ وأَصحابُه حينَ استَجاشُوا[١] المشركين علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ وقالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً﴾[٢].

﴿وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ (٨١) لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لَايَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ(٨٣) وَمَالَنَا لَانُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَاجَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (٨٤)

وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ[٣] إيماناً حقيقيّاً مااتَّخذوا المشركين أولياءَ كما لم يُوالِهم المسلمون ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ﴾ مُتَمَرِّدُونَ في كُفرِهِمْ، ثمَّ ذكَرَ شدَّةَ عداوةِ اليهودِ

(١) استجاشه: أي طلب منه جيشاً. (الصحاح: مادة جيش).

(٢) النساء: ٥١.

(٣) في نسخة زيادة: بالله.

للمؤمنين ولينَ عَريكةِ النصارىٰ وميلَهم إلى الإسلامِ، وقَرَنَ اليهودَ بالمشركين في العَداوةِ، ونَبَّهَ علىٰ تَقَدُّمِ قَدَمِهم فيها بتقديمِ ذكرِهم، وعَلَّلَ سُهولةَ مأْخذِ النصارىٰ وقربَ مودَّتِهم للمؤمنين ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً﴾ أي: علماءَ وعُبّاداً ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ قومٌ فيهم تواضعٌ وإخباتٌ ولاكِبرَ فيهم، واليهودُ علىٰ خلافِ ذلك، وفيه دلالةٌ علىٰ أنَّ العلمَ يَهدي إلى الخيرِ وَيَنْفَعُ في أبوابِ البِرِّ، وكذلك التألُّهُ والتفكُّرُ في أمرِ[1] الآخرةِ والبراءَةُ من الكِبرِ، ثمَّ وَصَفَهم برِقَّةِ القلوبِ والبكاءِ عندَ استماعِ القرآنِ، وذلك نحوُ ماحُكِيَ عن النجاشي أنَّه قالَ لجعفرِ بنِ أبي طالبٍ حينَ اجْتَمَعَ في مجلسِه المهاجِرون إلى الحبشةِ وعمرُو بنُ العاصِ[2] مع من معه من المشركين وهم يُغْرونَه عليهم: هَلْ فِي كِتابِكُمْ ذكرُ مَرْيَمَ؟ فقال جعفرٌ: فيه سورةٌ تُنْسَبُ إليها، وقَرَأَها إلىٰ قولِه: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[3] وقَرَأَ سورةَ طه إلىٰ قولِه: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾[4] فَبَكَى النجاشي[5]، وكذلك فَعَلَ قومُه الّذين وَفَدُوا علىٰ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وهم سبعون رجلاً حين قَرَأَ عليهم رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله سورةَ يس فبَكَوا[6]. واللامُ في ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يَتَعَلَّقُ بـ﴿عَدَٰوَةً﴾ و ﴿مَّوَدَّةً﴾، ووصفُ

(١) في بعض النسخ: أمور.

(٢) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أحد عظماء العرب ودهاتهم، وأولي الرأي والحزم والمكيدة فيهم، كان في الجاهلية من الأشدّاء على الاسلام، أسلم في هدنة الحديبيّة، ولّاه النبي صلى الله عليه وآله إمْرة جيش ذات السلاسل، ثم استعمله علىٰ عمان، ولمّا كانت الفتنة بين أميرالمؤمنين عليه السلام ومعاوية كان مع معاوية حتّىٰ ولّاه معاوية علىٰ مصر سنة ٣٨ هـ، وأطلق له خراجها ستّ سنين فجمع أموالاً طائلة، مات بمصر سنة ٤٣ هـ. (الاستيعاب بهامش الاصابة: ج ٢ ص ٥٠١، الاعلام للزركلي: ج ٥ ص ٧٩).

(٣) مريم: ٣٤.

(٤) طه: ٩.

(٥) تفسير القمي: ج ١ ص ١٧٦ ـ ١٧٨.

(٦) أنظر تفسير الطبري: ج ٥ ص ٦ ح ١٢٣٢٨، وتفسير القمي: ج ١ ص ١٧٨ ـ ١٧٩ وفيه: «ثلاثين رجلاً».

اليهودِ بالعَداوةِ والنصارىٰ بالمودَّةِ ووصفُ العَداوةِ بالأَشدِّ والمودَّةِ بالأَقربِ يُؤْذِنُ بتفاوتِ مابينَ الفريقَيْنِ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ المرادُ به إنشاءُ[١] الإيمانِ والدخولُ فيه ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ مع أُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ الَّذين هم شهداءُ علىٰ سائرِ الأُممِ يومَ القيامةِ كما قال تعالىٰ: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[٢] وإنَّما قالوا ذلك لأَنَّهم وَجَدُوا ذكرَهم في الإنجيلِ كذلكَ ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ﴾ إنكارٌ واستبعادٌ لانتفاءِ الإيمانِ مع ثبوتِ موجِبِه وهو الطمعُ في أَن يُنْعِمَ اللهُ عليهم بصحبةِ الصالحين، ومحلُّ ﴿لَا نُؤْمِنُ﴾ النصبُ على الحالِ بمعنىٰ: غيرَ مؤْمنين، والواوُ في ﴿وَنَطْمَعُ﴾ واوُ الحالِ، والعاملُ في الأُولىٰ معنى الفعلِ في اللامِ، والمعنىٰ: وأَيُّ شيءٍ حَصَلَ لنا غيرَ مؤمنين، وفي الثانيةِ معنىٰ هذا الفعلِ مقيَّداً بالحالِ الأُولىٰ؛ لأَنَّك لوقلت: مالَنا ونَطمعُ لم يكن كلاماً[٣]، ويجوزُ أَن يكونَ ﴿وَنَطْمَعُ﴾ حالاً من ﴿لَا نُؤْمِنُ﴾[٤].

﴿فَأَثَـٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ (٨٦)

﴿بِمَا قَالُواْ﴾ أَي: بما تَكَلَّمُوا به عن اعتقادٍ وإِخلاصٍ، من قولِكَ: هذا قولُ فلانٍ أَي: مذهبُه واعتقادُه، وذَكَرَ مجرَّدَ القولِ هنا لأَنَّه قد سَبَقَ وصفُهم بما يدلُّ علىٰ معرفتِهم وإِخلاصِهم، وهو قولُه: ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[٥]، والقولُ إِذا

---

(١) في نسخة: إفشاء.
(٢) البقرة: ١٤٣.
(٣) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٦٧٠.
(٤) وهو اختيار النحاس. راجع إعراب القرآن: ج ٢ ص ٣٧.
(٥) الآية: ٨٣.

اقْتَرَنَ به المعرفةُ فذلكَ الإيمانُ الحقيقيُّ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨)

رُوِيَ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ذَكَّرَ أصحابَه يوماً ووَصَفَ القيامةَ لهم فبالَغَ في الإنذارِ، فَرَقُّوا، واجْتَمَعَ عَشَرَةٌ في بيتِ عثمان بنِ مظعونٍ[1] واتَّفقوا علىٰ أن يصومُوا النهارَ ويقومُوا الليلَ ولا يناموا على الفُرُشِ ولا يأْكُلُوا اللحمَ ولا الوَدَكَ[2] ولا يَقْرَبُوا النساءَ ويَلْبَسُوا المُسوحَ ويَرْفُضُوا الدنيا ويَسيحوا في الأَرضِ، فَبَلَغَ ذلك رسولَ اللهِ ﷺ فقالَ لهمْ: «إِنِّي لم أُؤْمَرْ بذلك، إِنَّ لأَنْفُسِكم عليكم حقّاً، فصُوموا وأَفطِروا، وقُوموا وناموا، فإِنِّي أَقومُ وأَنامُ، وأَصومُ وأُفطرُ، وآكُلُ اللحمَ والدسَمَ، وآتِي النساءَ، ومَن رَغِبَ عن سنَّتي فليسَ منِّي» ونَزلتْ[3] الآيةُ.

﴿لَا تُحَرِّمُوا۟﴾ أَي: لا تَمْنَعوا أَنفسَكم ماطابَ ولذَّ من الحلالِ، ولا تقولوا: حَرَّمْنا الحلالَ علىٰ أَنفُسِنا تَزَهُّداً ومبالَغَةً منكم في العزمِ علىٰ تركِه ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ أَي: لاتَتَعَدَّوْا حدودَ ماأُحِلَّ لكم إِلىٰ ماحُرِّمَ عليكم، أَو جُعِلَ تحريمُ الطيِّباتِ اعتداءً فنُهِيَ عن الاعتداءِ ليدخُلَ تحتَه النهيُ عن تحريمِها، أَو أَرادَ: ولاتُسْرِفُوا في تناولِ الطيِّباتِ ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أَي: من الوجوهِ الطيِّبةِ الَّتي تُسَمَّىٰ رزقاً، وقولُه: ﴿حَلَـٰلًا﴾ حالٌ من ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ تأْكيدٌ للوصيَّةِ بما أَمَرَ به،

(١) هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب القرشي الجمحي؛ أبو السائب، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً، وهو أوّل من مات في المدينة سنة اثنتين للهجرة، وأوّل من دُفن بالبقيع. (أُسد الغابة: ج ٣ ص ٣٨٥، حلية الأولياء: ج ١ ص ١٠٢).

(٢) الودك: دسم اللحم. (الصحاح: مادة ودك).

(٣) انظر تفسير البغوي: ج ٢ ص ٥٩، وأسباب النزول للواحدي: ص ١٦٩.

وقولُه: ﴿أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ استدعاءٌ إلى التقوىٰ بألْطَفِ الوجوهِ.

وتدلُّ الآيتان علىٰ كَراهيَّةِ التفرُّدِ والخروجِ ممّا عليه الناسُ في التأَهُّلِ وطلبِ الولدِ وعمارةِ الأَرضِ.

﴿لَايُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِاللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَاتُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٨٩)

اللغوُ في اليمينِ[١]: هو الساقطُ الّذي لايَتَعَلَّقُ به حكمٌ ويَقَعُ من غيرِ قصدٍ، مثلُ قولِ القائِلِ: «لاوَاللهِ» و «بَلى وَاللهِ» ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ﴾ أَي: بتعقيدِكم الأَيمانَ وهو توثيقُها بالقصدِ والنـيَّةِ، وقُـرِئَ: «عَـقَدْتُمْ» بـالتخفيفِ[٢] و «عـاقَدْتُمْ»[٣]، والمعنىٰ: ولكن يُؤَاخِذُكم بنكثِ ماعَقَّدْتُم فحُذِفَ المضافُ، أَو بما عَقَّدْتم إذا حَنَثْتُم فحُذِفَ وقتُ المؤاخَذَةِ لكونه معلوماً ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥ﴾ أَي: فكـفَّارةُ حِـنثِه ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ﴾ يُعْطَىٰ كلُّ واحدٍ منهم مُدَّيْن أَو مُدّاً، والمُدُّ: رَطلان وربعٌ ﴿مِـنْ أَوْسَطِ مَاتُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ أَي: من أَقْصَدِه؛ لأَنَّ من الناسِ مَنْ يُسْرِفُ في إطعامِ أَهلِه ومنهم مَن يُـقَتِّرُ، وأَفـضلُه الخـبزُ واللـحمُ وأَدْوَنُـه الخـبزُ والمِـلحُ، وعـن

---

(١) في نسخة: الأيمان.

(٢) وهي قراءة عاصم برواية أبي‌بكر وحمزة والكسائي. راجع التبيان: ج ٤ ص ١٠، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٦٠، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٤٧.

(٣) قرأه ابن عامر وحده علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ص ١٠، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٦٠، وابن غلبون في تذكرته: ج ٢ ص ٣٩٠، وابن مجاهد في كتاب السبعة في القراءات: ص ٢٤٧.

الصادقِ عليه السلام أَنّه قَرأَ: «أَهاليكم» بسكونِ الياءِ[١] وهو اسمُ جمعٍ لأَهلٍ كالليالي والأَراضي، وأَمّا تسكينُ الياءِ في حالِ النصبِ فللتخفيفِ كما قالوا: رَأَيْتُ مَعْدِي كَرَبَ تشبيهاً للياءِ بالأَلفِ ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿إِطْعَامُ﴾ والكسوةُ عندنا[٢] ثوبان: مِئْزَرٌ وقَميصٌ، وعند الضرورةِ قميصٌ ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ عبدٍ أَو أَمةٍ، وهذه الثلاثةُ واجبةٌ على التخييرِ[٣] ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ إِحْداها ﴿فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ متتابعاتٍ، وكذلك هو في قراءةِ أُبيٍّ وابنِ مسعودٍ[٤] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكورُ ﴿كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحَنِثْتُمْ، تَرَكَ ذكرَ الحِنثِ لحصولِ العلمِ بأَنَّ الكفَّارةَ إِنَّما تجب بالحِنثِ لابنفسِ الحلفِ ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ﴾ فبَرُّوا فيها ولاتَحْنَثوا، وقيل: احفَظوها بأَن تُكفِّروها[٥]، وقيل: احفظوا كيفَ حَلَفْتُم بها ولاتَنْسَوها تَهاوُناً بها[٦] [٧] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أَي: مثلُ ذلك البيانِ ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِ﴾ أَي: أَحكامَ شريعتِه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتَه فيما يُعَلِّمُكم ويُبَيِّنُه لكم.

---

(١) حكاه عنه عليه السلام القرطبي في تفسيره: ج ٦ ص ٢٧٩.

(٢) انظر التبيان: ج ٤ ص ١٣.

(٣) انظر فقه الرضا عليه السلام: ص ٢٧٠، والتبيان: ج ٤ ص ١٤.

(٤) حكاه السمرقندي في تفسيره ج ١ ص ٤٥٦ ونسبه الى أُبيّ، وفي تفسير القرطبي: ج ٦ ص ٢٨٣: قرأها ابن مسعود وبه قال أبو حنيفة والثوري، وهو أحد قوليّ الشافعي، واختاره المزني.

(٥) حكاه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٦٣.

(٦) قاله النحاس في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٣٨، واختاره الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٥، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٦٢.

(٧) قال البغوي: فالمراد منه حفظ اليمين عن الحنث، هذا إذا لم يكن يمينه علىٰ ترك مندوب أو فعل مكروه، فإنْ حلف على فعل مكروه أو ترك مندوب فالأفضل أن يحنث نفسه ويُكفِّر. (تفسيره: ج ٢ ص ٦٢).

قال الشيخ الطوسي رحمه الله: وهذا يدلّ علىٰ أنّ اليمين في المعصية منعقدة، وعندنا أنّ اليمين في المعصية غير منعقدة لأنّها لو انعقدت للزم حفظها. راجع تفصيل ذلك في التبيان: ج ٤ ص ١٤ ـ ١٥.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (٩١)

أَكَّدَ سبحانه تحريمَ الخمرِ والميسرِ بوجوهٍ من التأكيدِ: منها: أَنَّه قَرَنَهما بعبادةِ الأَنصابِ الَّتي هي الأَصنامُ، ومنه قولُه عليه السلام: «شارِبُ الْخَمْرِ كَعابِدِ الْوَثَنِ»(١)، ومنها: أَنَّه جَعَلَهما رِجْساً كما قال: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾(٢)، ومنها: أَنَّه جَعَلَهما من عملِ الشيْطانِ، ومنها: أَنَّه أَمَرَ بالاجتنابِ، ومنها: أَنَّه جَعَلَ الاجتنابَ من الفلاحِ، والهاءُ في ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ تعود إِلىٰ عملِ الشيطانِ أَو إِلىٰ مضافٍ محذوفٍ كأَنَّه قيل: إِنَّما شأْنُ الخمرِ والميسرِ أَو تعاطي الخمرِ والميسرِ ونحو ذلك، ومنها: أَنَّه ذَكَرَ نتائِجَهما من المفاسدِ الَّتي هي وقوعُ التعادي والتباغض بينَ أَصحابِ الخمرِ والقَمرِ(٣) ومايُؤَدِّيان إِليه من الصدِّ ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الَّتي هي عمادُ الدينِ، وقولُه: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ نهيٌ بليغٌ، أَي: فهل أَنتم مع ماتُلِيَ عليكم من هذِهِ الصوارفِ مُنْتَهُونَ؟

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ (٩٢) لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٣)

﴿وَٱحْذَرُواْ﴾ أَي: كونوا حَذِرين خائِفين، أَو واحذَروا ماعليكم في تركِ

---

(١) المطالب العالية لابن حجر: ج ٢ ح ١٧٧٧، اتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج ٩ ص ١٥٢.

(٢) الحج: ٣٠.

(٣) في بعض النسخ: القمار.

طاعةِ اللهِ والرسولِ ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ ولم تعْمَلُوا بما أَمَرْتُكُمْ به ﴿فَاعْلَمُوٓاْ﴾ أنَّكُمْ لَم [١] تَضُرُّوا الرسولَ بتولِّيكم عمَّا أَدَّاه إليكم؛ لأَنَّ الرسولَ لم يُكَلَّفْ إلَّا ﴿ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ وإنَّما أضرَرْتُم أنفسَكم، وهذا وعيدٌ ﴿لَيْسَ عَلَى﴾ المؤمنين الصالحين ﴿جُنَاحٌ﴾ في أيِّ شيءٍ طَعِمُوهُ من المطاعِم المُسْتَلَذَّةِ ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ﴾ ماحُرِّمَ عليهم منها، وثَبَتُوا على الإيمانِ والعملِ الصالحِ وازدادوه ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾ أي: ثمَّ ثَبَتُوا على التقوىٰ والإيمانِ ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ﴾ أي: ثمَّ ثَبَتوا علىٰ اتِّقاءِ المعاصي وأَحسَنوا أعمالهم، أَو أَحْسَنوا إلى الناسِ يُواسونهم بما رَزَقَهم اللهُ من الطيِّباتِ، وقيل: إنَّ الاتِّقاءَ الأَوَّلَ هو اتِّقاءُ المعاصي العقليَّةِ الَّتي تختصُّ المكلَّفَ ولاتَتَعدَّاه، والاتِّقاءَ الثانيَ هو اتِّقاءُ المعاصي السمعيَّةِ، والاتِّقاءَ الثالثَ اتِّقاءُ مَظالمِ العبادِ ومايَتَعدَّى إلى الغيرِ من الظلمِ والفَسادِ [٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٩٤)

نَزَلَتْ [٣] عامَ الحُدَيْبِيَّة، ابتلاهم الله بالصيدِ وهم مُحرِمون وكان قد كَثُرَ عندهم حتَّى أنَّه كان يغشاهم في رحالِهم فيَتَمكَّنون من صيدِه أَخذاً بأَيديهم وطعناً برماحِهم ﴿بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ أَي: بتحريم بعضِ الصيدِ؛ لأَنَّه عَنىٰ صيدَ البرِّ خاصَّةً [٤]، وأَنَّهم ابْتُلُوا بذلك كما ابْتُلِيَ أُمَّةُ موسىٰ عليه‌السلام بصيدِ البحرِ وهو السمكُ

---

(١) في بعض النسخ: لن.

(٢) حكاه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٠. وراجع الأقوال الأُخرى الواردة فيه في اعراب القرآن للنحاس: ج ٢ ص ٣٩ ـ ٤٠.

(٣) حكاه الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٦٧٧.

(٤) وهي إحدىٰ الأقوال الثلاثة التي ذكرها الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢١ ـ ٢٢ فراجع. وانظر اعراب القرآن للنحاس: ج ٢ ص ٤٠.

﴿لِيَعْلَمَ ٱللهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي: ليَتَمَيَّزَ من يخافُ عقابَ الآخرةِ وهو غائبٌ مُنْتَظَرٌ فيتَّقي الصيدَ ممَّن لايخافُه فيُقدِمُ عليه ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ فصادَ ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الابتلاءِ فالوعيدُ لاحقٌ به.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَاقَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا ٱللهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللهُ مِنْهُ وَٱللهُ عَزِيزٌ ذُوٱنتِقَامٍ (٩٥) أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَادُمْتُمْ حُرُماً وَٱتَّقُواْ ٱللهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٩٦)

﴿ٱلصَّيْدَ﴾ مايُصادُ من الوَحشِ، أُكِلَ أَمْ لَمْ يُؤْكَلْ ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أي: مُحرِمون بحجٍّ أو عمرةٍ، جمعُ حرامٍ ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّداً﴾ وهو أن يَقْتُلَه وهو ذاكرٌ لإحرامِه، أو عالمٌ بأنَّ مايَقْتُلُه ممَّا يَحْرُمُ عليه قتلُه، وعن الزهريِّ[1]: نَزَلَ الكتابُ بالعمدِ وجَرَتِ السنَّةُ في الْخَطَأ[2] ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَاقَتَلَ﴾ برفعِ ﴿جَزَآءٌ﴾ و ﴿مِّثْلُ﴾ معناه: فالواجبُ عليه جزاءٌ يُماثِلُ ماقَتَلَ من الصيدِ، وقُرِئَ: «فَجَزاءُ مثلِ ماقَتَلَ» على الإضافةِ[3]. والأَصلُ فيه: «فجزاءٌ مثلَ ماقَتَلَ» بنصبِ «مثل» ومعناه: فعليه

---

(١) هو أبو بكر، محمد بن مسلم بن عبيدالله الزُهري، عالم الحجاز والشام، روىٰ عن عبدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن جعفر، وغيرهما، وروىٰ عنه عطاء بن أبي رباح وأبو الزبير وعمر بن عبدالعزيز وعمر بن دينار وصالح بن كيسان وغيرهم، مات سنة ١٢٣ هـ. (تذكرة الحفّاظ: ج ١ ص ١٠٢، تهذيب التهذيب: ج ٩ ص ٤٤٥).

(٢) حكاه عنه القرطبي في تفسيره: ج ٦ ص ٣٠٨.

(٣) قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر. راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٤٧، والتبيان: ج ٤ ص ٢٣.

أن يُجزىٰ مثلَ ماقتَل، ثمَّ أُضيفَ المصدرُ إلى المفعولِ به ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ وهي الإبلُ والبقرُ والغَنمُ، ويقال للإبلِ أيضاً: نَعَمٌ وإن انفَرَدَ، وهذه المُماثَلَةُ عند أئمَّةِ الهدىٰ عليهم السلام إنَّما تعتبر في الخلقةِ، ففي النعامةِ بَدَنَةٌ، وفي حمارِ الوحشِ وبقرِ الوحشِ بقرةٌ، وفي الظبي والأَرْنَبِ ونحوِهما شاةٌ[1] ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ﴾ أي: بمثلِ ماقتَلَ ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أَي: حَكَمان عدلان من الفقهاءِ يَنظُران إلىٰ أَشبهِ الأَشياءِ به من النعَمِ فيحكمان به، وقِراءَةُ السيِّدَيْن: الباقرِ والصادقِ عليهما السلام: «ذو عَدلٍ مِّنْكُم»[2] المرادُ به الإمامُ ﴿هَدْياً﴾ حالٌ من ﴿جَزَآءٌ﴾ لأَنَّه تَخَصَّصَ بالصفةِ فأَشْبَهَ المعرفةَ، أَو حالٌ من الضميرِ في ﴿بِهِۦ﴾، أَو بدلٌ من محلِّ ﴿مِّثْلُ﴾ إذا جَرَرْتَه[3]، و ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ وصفٌ له، أَي: هدياً يَبْلُغُ الكعبةَ، ومعنىٰ بلوغِهِ الكعبةَ أَن يُذْبَحَ بالحَرَمِ، وقالَ أَصحابُنا: إذا كان مُحرِماً بالعمرةِ ذَبَحَ أَو نَحَرَ بمكَّةَ، وإن كانَ مُحْرِماً بالحجِّ فبمِنىٰ[4] ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ﴾ معناه: أَو الواجبُ عليه كَفَّارةٌ، وقُرِئَ: «أَو كفَّارةُ طعامِ مساكينَ» على الإضافةِ[5] وتقديرُه: أَو كفَّارةٌ من طعامِ مساكينَ، كقولِك: «خاتَمُ فضَّةٍ» والمعنىٰ: خاتمٌ من فضَّةٍ، وهو أَن يُقَوِّمَ الجزاءَ ويَفُضَّ ثمنَه على الحنطةِ ويَتَصَدَّقَ به علىٰ كلِّ مسكينٍ نصفَ صاعٍ ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَاماً﴾ وعدلُ الشيءِ ماعادَلَه من غيرِ جنسِه، وصِياماً تمييزٌ للعدلِ، و ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الطعامِ وهو أن

---

(١) انظر الفقه المنسوب للرضا عليه السلام: ص ٢٧٢، والنهاية للشيخ الطوسي: ص ٢٢٢ ومابعدها، والمبسوط: ج ١ ص ٣٣٩، والتبيان: ج ٤ ص ٢٥.

(٢) انظر شواذ القرآن لابن خالويه: ص ٤١، والكشّاف: ج ١ ص ٦٧٩ وفيه: محمّد بن جعفر والظاهر هو وَهمٌ منه.

(٣) راجع تفصيل ذلك في إعراب القرآن للنحاس: ج ٢ ص ٤٠ ـ ٤١.

(٤) ذهب إليه الشيخ في الخلاف: ج ٢ ص ٣٧٣ مسألة (٢١٦)، والنهاية ونكتها: ج ١ ص ٥٢٩، وابن البرّاج في المهذّب: ج ١ ص ٢٣٠، وأبو الصلاح في الكافي في الفقه: ص ٢٠٠، وسلّار في المراسم: ص ١٢١، وابن إدريس في السرائر: ج ١ ص ٥٩٤.

(٥) قرأه نافع وابن عامر. راجع التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٩٠.

يُصامَ عن كلِّ نصفِ صاعٍ يوماً.

والخيارُ في هذهِ الكفّاراتِ الثلاثِ إلىٰ قاتلِ الصيدِ[١]، وقيل: هي مُرَتَّبَةٌ[٢]، وكلا القولين رواه أَصحابُنا[٣] ﴿لِّيَذُوقَ﴾ متعلِّقٌ بـ ﴿جَزَآءٌ﴾ والمعنىٰ: فالواجبُ عليه أَن يُجازىٰ أَو يُكفِّرَ ليَذوقَ سوءَ عاقبةِ فعلِه ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ لكم من الصيدِ في حالِ الإحرامِ يعني الدفعةَ الأُولىٰ، ومن عادَ ثانيةً إلىٰ قتلِ الصيدِ مُحرِماً ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ تقديرُه: فهو يَنْتَقِمُ اللهُ منه ويعاقِبُه بما صَنَعَ ولاكفّارةَ عليه.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ أَي: مَصيداتُه ﴿وَطَعَامُهُ﴾ ومايُطْعَمُ من صيدِه، والمعنىٰ: أُحِلَّ لكم الانتفاعُ بجميعِ مايُصادُ في البحرِ وأُحِلَّ لكم أَكلُ المأْكولِ منه وهو السمَكُ وحدَه ﴿مَتَٰعاً لَّكُمْ﴾ مفعولٌ له، أَي: تمتيعاً[٤] لكم، والمعنىٰ: وأُحِلَّ لكم طعامُ البحرِ تَمتيعاً[٥] لتَنَّائِكم[٦] تأْكُلونه طَرِيّاً ولسيَّارتِكم يَتَزَوَّدونه قديداً، ص[٧]: «وطعامُه حلٌّ لكم وللسيارةِ».

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰماً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ

(١) وهو ماذهب إليه ابن عبّاس وعطاء والحسن وإبراهيم واختاره الجبّائي علىٰ ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٧، وبه قال الشافعي ومالك كما في الخلاف: ج ٢ ص ٣٩٨، وانظر الأمّ: ج ٢ ص ٢٠٧، والموطأ: ج ١ ص ٣٥٥، والمجموع: ج ٧ ص ٤٣٨، وعمدة القارئ: ج ١٠ ص ١٦١.

(٢) وهو قول ابن عبّاس في رواية أُخرىٰ والشعبي وإبراهيم والسدي علىٰ ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٧.

(٣) ذهب إلى الأول الشيخ في الخلاف: ج ٢ ص ٣٩٧ مسألة (٢٦٠)، والتبيان: ج ٤ ص ٢٥، وذهب الى الثاني العلّامة في مختلف الشيعة: ج ٤ ص ٨٩ وقال: وهو مذهب الشيخ المصنّف في النهاية وابن أبي عقيل وابن بابويه والسيد المرتضىٰ.

(٤) و (٣) في نسخة: تمتّعاً.

(٦) التانئ: أي المقيم، تنأ في المكان إذا أقام فيه. (القاموس المحيط: مادة تنأ).

(٧) كذا في جميع النسخ.

وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَافِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٩٧) ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٨) مَّاعَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَاتُبْدُونَ وَمَاتَكْتُمُونَ (٩٩) قُل لَّايَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٠٠)

﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ عطفُ بيانٍ لـ ﴿ٱلْكَعْبَةَ﴾[١]، ﴿قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ أي: لمعايشِ[٢] الناسِ ومكاسبِهم ليَستَقيمَ به أُمورُ دينِهم ودنياهم لِما يَتِمُّ به من أمرِ حجِّهم وعمرتِهم وتجارتِهم وأنواعِ منافعِهم، وجاءَ في الأَثرِ: أنَّه لو تُرِكَ عاماً واحداً لم يُحَجَّ إليه لم يُناظَروا ولم يؤَخَّروا[٣]، ومعناه: يُهلَكوا ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ أي: والشهرِ الَّذي يُؤَدَّىٰ فيه[٤] الحجُّ وهو ذو الحجَّةِ، وقيل: عُنِيَ به جنسُ الأَشْهُرِ الحُرُمِ الأَربعةِ، واحدٌ فردٌ وثلاثةٌ سَرْدٌ[٥]، وهو عطفٌ على ﴿ٱلْكَعْبَةَ﴾ كما تقول: ظَنَنْتُ زيْداً مُنْطَلَقاً وعمراً ﴿وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾ أي: والمقلَّدَ من الهديِ خصوصاً؛ لأَنَّ الثوابَ فيه أَكثرُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلىٰ جعلِ الكعبةِ قياماً لِلناسِ ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ كلَّ شيءٍ فيَعلَمُ مايُصْلِحُكم ممَّا أَمَرَكم به ﴿مَّاعَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ﴾ فيه تهديدٌ وإيذانٌ بأَنَّ الرسولَ قد بَلَّغَ ماوَجَبَ عليه

(١) قال الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣١: وقال أهل اللغة: وانّما قيل: كعبة البيت وأُضيف لأنّ كعبة تربع اعلاه، والكعوبة: النتوء، فقيل للتربيع: كعبة لنتوء زوايا المربع، ومنه كعب ثدي الجارية إذا نتأ، ومنه كعب الانسان لنتوئه. وسمّيت الكعبة حراماً لتحريم الله ايّاها أن يصاد صيدها أو يخلىٰ خلاءها أو يعضد شجرها.

(٢) في نسخة: لمعاش.

(٣) قاله عطاء بن أبي رباح. راجع الكشّاف: ج ١ ص ٦٨١.

(٤) في نسخة: به.

(٥) قاله الحسن علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣١.

تبليغُه وقامت عليكم الحجّةُ فلا عذرَ لكم في التقصيرِ، أَي: لا يستوي الحلالُ والحرامُ والصالحُ والطالحُ والصحيحُ من المذاهبِ[١] والفاسدُ، ولا تُعجَبوا بكثرةِ الخبيثِ حتّى تُؤْثِروه لكثرتِه على الطيِّبِ القليل ﴿فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ واختاروا الطيِّبَ وإنْ قَلَّ على الخبيثِ وإنْ كَثُرَ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَـٰفِرِينَ﴾ (١٠٢)

أَي: لا تُكثِرُوا مسألَةَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله حتّى تَسألوهُ عن تكاليفَ شاقّةٍ إِن أَفتاكم بها وكلَّفكم إيّاها وَجَبَت وربّما غمَّكم[٢] ذلك وشَقَّ عليكم، وذلك نحوُ ما رُوِيَ: أَنَّ سُراقَةَ بنَ مالكٍ أَو عُكاشَةَ بنَ مِحْصَنٍ قال: يا رسولَ اللهِ أَفي كلِّ عامٍ كُتِبَ الحجُّ علينا؟ فأَعْرَضَ عنه حتّى أَعادَ المسأَلَة ثلاثاً، فقال: وَيْحَكَ وما يُؤَمِّنُك أَن أَقولَ: نَعَمْ!! واللهِ لو قُلْتُ: نَعَمْ لوَجَبَتْ، ولو وَجَبَتْ مَا استَطَعْتُم، ولو تَرَكْتُم لكفَرْتُم، فاتْرُكوني ما تَرَكْتُكُمْ، فإِنَّما هَلَكَ من هَلَكَ قبلَكم بكَثرةِ سؤَالِهم واختلافِهم علىٰ أَنبيائِهم، فإِذا أَمَرْتُكُمْ بشيءٍ فَأْتُوا منه مَا استطَعْتُم، وإِذا نَهَيْتُكم عن شيءٍ فاجتَنِبُوه[٣].

﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ﴾ عَنْ هذهِ التكاليفِ الصعبةِ في زمانِ الوحي ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ تلك التكاليفُ الّتي ﴿تَسُؤْكُمْ﴾ وتُؤْمَرُوا بتحمُّلِها، وقيل: إِنَّ رجلاً يقال له: عبدُالله سَأَلَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله فقال: من أَبي؟ وكان يُطْعَنُ في نسبِه، فقال له عليه السلام: «حُذافةُ» فنَزَلَتْ[٤] ﴿عَفَا ٱللَّهُ﴾ عَمَّا سَلَفَ من مسأَلتِكم فلا تعودوا إِلىٰ مثلِها ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ

---

(١) في بعض النسخ: المذهب. (٢) في بعض النسخ: عنّكم.

(٣) رواه الطبري في تفسيره: ج ٥ ص ٨٤.

(٤) حكاه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٧٠ ـ ٧١، ورواه الطبري في تفسيره: ج ٥ ←

حَلِيمٌ﴾ لايُعاجِلُكم بعقوبتِه ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ أي: قد سأَل هذه المسأَلةَ قومٌ من الأوَّلين ﴿ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا﴾ أي: بمرجوعِها أَو بسببِها ﴿كَـٰفِرِينَ﴾ وذلك أَنَّ بني إِسرائِيلَ كانوا يَسأَلون أَنبياءَهم عن أَشياءَ فإِذا أَمَرُوها تَرَكُوها فَهَلكُوا.

﴿مَاجَعَلَ ٱللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَاسَآئِبَةٍ وَلَاوَصِيلَةٍ وَلَاحَامٍ وَلَـٰكِنَّ ٱلَّـذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَايَعْقِلُونَ (١٠٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآأَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَاوَجَدْنَا عَـلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَايَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَايَهْتَدُونَ﴾ (١٠٤)

البَحِيرَةُ: الناقةُ إِذا انْتَجَتْ خَمْسَةَ أَبطُنٍ، فإِن كان آخرُها ذكراً بَحَروا أُذُنَها أَي: شَقُّوها وحَرَّموا ركوبَها، ولاتُطْرَدُ عن ماءٍ ولامَرْعىً، ولو لَقِيَها المُعْيِىْ[١] لم يَرْكَبْها. والسائِبَةُ: ماكانوا يُسَيِّبونه، كانَ الرجلُ يقولُ: إِذا قَدِمْتُ من سفري أَو بَرِئْتُ مـن مَرَضي فناقتي سائِبَةٌ، فكانت كالبَحيرةِ في تحريمِ الانتفاعِ بها، وكانَ الرجـلُ إِذا أَعْتَقَ عبداً قال: هو سائِبَةٌ ولاعَقْلَ بينَهما ولاميراثَ، وكانوا يُسَيِّبونها لطَواغـيتِهم ولسَدَنَةِ الأَصنامِ. والْوَصيلةُ في الغنمِ: كانت الشاةُ إِذا وَلَدَتْ أُنثى فهي لهـم، وإِذا وَلَدَتْ ذكراً ذَبَحُوه لآلهتِهم، فإِن وَلَدَتْ ذكراً وأُنثىٰ قـالوا: وَصَـلَتْ أَخـاها فـلم يَذْبَحوا الذكرَ لأَجلِها. والحامي: هو الفحلُ إِذا نُتِجَتْ من صلبِه عَشَرَة أَبطُنٍ قالوا: قد حَمىٰ ظهرَه فلا يُرْكَبُ ولايُحْمَلُ عليه ولايُمْنَعُ من ماءٍ ولامرعىً[٢].

ومعنىٰ ﴿مَاجَعَلَ ٱللَّهُ﴾: ماشَرَعَ ذلك ولاأَمَرَ بالتبحيرِ ولابـالتسييبِ ولاغـيرِ ذلك، ولكنَّهم بتحريمِهم ماحَرَّمُوا ﴿يَفْتَرُونَ عَـلَى ٱللَّهِ ٱلْكَـذِبَ﴾ يـدَّعون أَنَّ اللهَ

← ص ٨١ـ ٨٣ مطولاً، واخرجه السيوطي في الدر المنثور: ج ٣ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٦ عن ابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.

(١) المُعْيِىْ: المتعب. (لسان العرب: مادة عيى).

(٢) راجع تفصيل ذلك في معاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٢١٣.

حرَّمَها ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَايَعْقِلُونَ﴾ أَنَّ ذلك افتراءٌ وكذبٌ، يعني الاتّباعَ للّذين يُقلِّدون في تحريمِها رؤَساءَهم[١]، والواوُ في قوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ واوُ الحالِ دَخَلَ عليه همزةُ الاستفهامِ الّتي للإنكارِ[٢]، والتقديرُ: أَحَسْبُهم ذلك ولو كان آباؤُهم ﴿لَايَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَايَهْتَدُونَ﴾ والاقتداءُ إِنّما يصحُّ بالعالمِ المُهتدي ولا يُعْرَفُ ذلك إلّا بالدليلِ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَايَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٥)

﴿عَلَيْكُمْ﴾ من أسماءِ الأفعالِ ومعناه: ٱلزمـوا إِصلاحَ أَنفسِكم، وقوله: ﴿لَايَضُرُّكُم﴾ جوابُ الأمرِ وهو مجزومٌ، وإِنّما ضُمَّت الراءُ إِتْباعاً لضمّةِ الضادِ، والأصلُ: «لَايَضْرُرْكُمْ»، وقُرِئَ: «لايَضِرْكم» بكسرِ الضادِ وضمِّها[٣] من ضارَه يَضِيره ويَضُوره، ويجوزُ أن يكونَ خبراً مرفوعاً[٤]، والمعنىٰ: لايَضُرُّكم ضلالُ ﴿مَّن ضَلَّ﴾ عن دينِكم ﴿إِذَا﴾ كُنتُم مُهتدِين، وهو مثلُ قولِه: ﴿فَلَاتَذْهَبْ نَفْسُكَ

---

(١) قال الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٧: هذه الآية من الأدلّة الواضحة علىٰ بطلان مذهب المجبّرة من قولهم: من أنّ الله تعالىٰ هو الخالق للكفر والمعاصي وعبادة الأصنام وغيرها من القبائح؛ لأنّه تعالىٰ نفىٰ أن يكون هو الذي جعل البحيرة أو السائبة أو الوصيلة أو الحام، وعندهم: أنّ الله هو الجاعل له والخالق؛ تكذيباً لله تعالىٰ وجرأةً عليه، ثمّ بيّن تعالىٰ أنّ هؤلاءِ بهذا القول قد كفروابالله وافتروا عليه بأن أضافوا إليه ماليس بفعلٍ له، وذلك واضح لاإشكال فيه.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ١ ص ٦٨٥، والفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٩١.

(٣) قرأ يحيىٰ وابراهيم بكسر الضاد، والحسن بضمّها علىٰ ماحكاه ابن خالويه في شواذ القرآن: ص ٤١.

(٤) وهو اختيار الأخفش وقال: لأنّه ليس بعلّة لقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ وإنّما أخبر انّه لايضرّهم. انظر معاني القرآن: ج ٢ ص ٤٧٨، وعنه التبيان: ج ٤ ص ٤١.

عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [١]، وكان المؤمنون يَتَأَسَّفون حسرةً علىٰ أَهلِ العنادِ من الكفّارِ يَتَمَنَّوْن دخولَهم في الإسلامِ فخوطِبوا بذلك.

وعن ابنِ مسعودٍ أنَّها قُرِئَتْ عندَه فقال: إنَّ هذا ليسَ بزمانِها [٢] إنَّها اليومَ مقبولةٌ ولكن يوشِكُ أَن يَأْتِيَ زمانٌ تأمرون فلا يُقْبَلَ منكم، فحينئذٍ عليكم أنفسَكم [٣]، فهو علىٰ هذا تَسْلِيَةٌ لمن يَأْمُرُ بالمعروفِ وَيَنْهَىٰ عن المنكرِ فلا يُقْبَلُ منه وبسطٌ لعذرِه [٤].

﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَانَشْتَرِى بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَانَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللهِ إِنَّآ إِذاً لَّمِنَ ٱلْآثِمِينَ﴾ (١٠٦)

﴿شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ مبتدأٌ و ﴿ٱثْنَانِ﴾ خبرُه، والتقديرُ: شهادةُ بينِكم شهادةُ اثنَيْن، وأُضيفَ المصدرُ الَّذي هو ﴿شَهَـٰدَةُ﴾ إلىٰ «بَيْنِ» فجُعِلَ الظرفُ اسماً اتِّساعاً، و ﴿إِذَا حَضَرَ﴾ ظرفٌ للشهادةِ و ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾ بدلٌ منه، وفي إبدالِه منه دَلالةٌ علىٰ وجوبِ الوصيَّةِ عندَ حضورِ الموتِ وظهورِ أَماراتِه؛ لأَنَّ زمانَ حضورِ أَسبابِ الموتِ جُعِلَ زمانَ الوصيَّةِ ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: إن وقَعَ

---

(١) فاطر: ٨.
(٢) في نسخة: بزماننا.
(٣) رواه عنه القرطبي في تفسيره: ج ٦ ص ٣٤٣.
(٤) قال الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٤١ مالفظه: وفي الآية دلالة علىٰ فساد مذهب المجبّرة في تعذيب الأطفال؛ لأنّه لو كان الأمر علىٰ ماقالوه لم يأمن المؤمنون أن يؤخذوا بذنوب آبائهم، وقد بيّن الله تعالىٰ أنّ الأمر بخلافه مؤكّداً لما في العقل.

الموتُ في السفرِ ولم يَكُنْ معكم رجلان عدلان ﴿مِّنكُمْ﴾ أي: من المسلمين فَاسْتَشْهِدُوا على الوصيَّةِ آخَرَيْن ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي: من أهلِ الذمَّةِ، ورُوِيَ: أنَّ ثلاثةَ نفرٍ خَرَجُوا تُجَّاراً من المدينةِ إلى الشامِ: تميمُ بنُ أَوْسٍ وعديٌّ[١] وهما نَصْرانيَّان وابنُ أَبي ماريةَ[٢] مولىٰ عمرو بنِ العاصِ، فَمرِضَ ابنُ أَبي ماريةَ وكَتَبَ كتابَ وصيَّةٍ[٣] فيه مامعه من المتاعِ ودَسَّ كتابَه في متاعِه لم يُخْبِرْ به صاحبَيْه، وأَمَرَهما أن يَدْفَعا متاعَه إلىٰ أَهلِه وماتَ، فَفَتَّشا متاعَه وأَخَذا إناءً من فضَّةٍ ثمَّ رَجَعا بالمالِ إلى الورثةِ، فَوَجَدُوا الكتابَ فطالَبُوهما بالإناءِ فجَحَدا، فرفَعوا أمرَهم[٤] إلى النبيِّ ﷺ فنَزَلَت[٥].

قولُه: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ معناه: تَقِفونهما ليَحلِفا ﴿مِن بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: من بعدِ صلاةِ العصرِ[٦] وقتَ اجتماعِ الناسِ، وقيل: أو الظهرِ[٧]، وقيل: من بعدِ صلاةِ أَهلِ دينِهما يعني: الذمِّيِّين[٨] ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ في شهادتِهما وشَكَكْتُمْ واتَّهَمْتُموهما، فقولُه: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ اعتراضٌ بينَ القسمِ والمُقْسَمِ عليه وهو قولُه: ﴿لَانَشْتَرِى بِهِ ثَمَناً﴾ أَي: لانَسْتَبْدِلُ بتحريفِ شهادتِنا ذا ثمنٍ، فحُذِفَ المضافُ في

---

(١) في الكشّاف: عدي بن زيد.
(٢) في الكشّاف: بديل بن أبي مريم.
(٣) في نسخة: وصيّته.
(٤) في نسخة: أمرهما، وكذا في الكشّاف.
(٥) سنن أبي داود: ج ٣ كتاب القضايا ص ٣٠٧ ح ٣٦٠٦، أسباب النزول للواحدي: ص ١٧٥، الكشّاف: ج ١ ص ٦٨٧، تفسير القرطبي: ج ٦ ص ٣٤٦.
(٦) وذهب إليه شريح وسعيد بن جبير وإبراهيم وقتادة، وهو قول أبي جعفر عليه السلام علىٰ ماحكاه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٤٥، واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢١٦، والنحاس في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٤٦.
(٧) وهو قول الحسن. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٧٦، والتبيان: ج ٤ ص ٤٥، والكشّاف: ج ١ ص ٦٨٧.
(٨) قاله ابن عبّاس والسدي علىٰ ماحكاه عنهما الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٧٦، والشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٤٥.

الموضعَيْن؛ لأنَّ من المعلومِ أنَّ المبيعَ يُشْتَرَىٰ دون ثمنِه، وقيل: إنَّ الضميرَ في ﴿بِهِۦ﴾ للقسمِ[١]، يعني: لانَسْتَبْدِلُ بالقسمِ باللهِ عِوَضاً[٢] من الدنيا، أي: لا نحلف باللهِ كاذبين لأجلِ المالِ ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ الضمير في ﴿كَانَ﴾ للمُقْسَمِ له، أي: ولو كان مَن نُقْسِمُ له قريباً منَّا، ولانُحابي في شهادتِنا أحداً ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ الَّتي أَمَرَنا اللهُ بحفظِها وأَلْزَمَنا أداءَها، ورَوَوْا عن عليٍّ عليه السلام والشعبيِّ الوقفَ علىٰ ﴿شَهَـٰدَةَ﴾ وابتداءَ «ءَالله» بالمدِّ علىٰ طرحِ حرفِ القسمِ وتعويضِ حرفِ الاستفهامِ منه[٣]، ورُوِيَ أيضاً بغيرِ مدٍّ[٤]، وذلك علىٰ ماذكَرَه سيبويه: أنَّ منهم مَن يَحْذِفُ حرفَ القسمِ ولايُعَوِّضُ منه همزةَ[٥] الاستفهامِ فيقول: اللهِ لَقَدْ كانَ كَذا[٦]، ﴿إِنَّآ إِذاً﴾ أي: إن فَعَلْنا ذلك ﴿لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ﴾.

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْماً فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذاً لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (١٠٧) ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنُۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ (١٠٨)

أي: ﴿فَإِنْ﴾ اطُّلِعَ ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْماً﴾ أي: فَعَلا ماأَوْجَبَ[٧] إثماً

---

(١) قاله النحاس في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٤٦، والزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٦٨٨.

(٢) في بعض النسخ: عرضاً، وكذا في الكشّاف.

(٣) رواه عنهما المصنّف في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٢٥٤ وزاد: ونعيم بن ميسرة وهو قراءة يعقوب برواية روح وزيد. وحكاه أبو حيان في البحر المحيط: ج ٤ ص ٤٤ عنهما.

(٤) قرأه الشعبي علىٰ ماحكاه عنه أبو حيان في البحر المحيط: ج ٤ ص ٤٤.

(٥) في نسخة: حرف.

(٦) انظر كتاب سيبويه: ج ٣ ص ٤٩٩.

(٧) في بعض النسخ: يوجب.

واسْتَوْجَبا أَن يُقالَ: إِنَّهما من ﴿ٱلْآثِمِينَ﴾ بخيانتِهما ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ أَي: فشاهدان آخَران ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ الإِثمُ، والمعنىٰ: من الَّـذين جُنِيَ عليهم وهم أَهلُ الميِّتِ وعشيرتُه، وفي الحديث: أَنَّه لمَّا عُثِرَ علىٰ خـيانةِ الرجلَيْن ووُجِدَ الإناءُ بمكَّةَ بعدَ أن اسْتَحْلَفَهما رسولُ‌الله ﷺ عند المـنْبَرِ حَـلَفَ رجلان من ورثتِه أَنَّه إِناءُ صاحبِهما وأَنَّهما خانا وكَذَبا فدُفِعَ الإِناءُ إِليـهما[١]، و ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ الأَحقَّان بالشهادةِ لقَرابتِهما، وارتفاعُها[٢] علىٰ أَنَّـها بـدلٌ مـن ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ أَو من الضميرِ في ﴿يَقُومَانِ﴾ أَو علىٰ «هُمَا الأَوْلَيانِ» كأَنَّه قـيل: ومَن هما؟ فقيل: ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾، وقُرِئَ: «الأَوَّلين»[٣] علىٰ أَنَّه وصفٌ لـ ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ ومعنى الأَوَّليَّةِ: التقدُّمُ على الأَجانبِ في الشهادةِ لكونِهم أَحقَّ بها، وفي هذا دَلالةٌ على جوازِ ردِّ اليمينِ على المـدَّعي، وقُـرِئَ: ﴿ٱسْـتَحَقَّ عَـلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ على البناءِ للفاعلِ[٤]، ومعناه: من الورثةِ الَّذين اسْتَحَقَّ عليهم الأَوليان من بينِهم بالشهادةِ أَن يُجَرِّدوهما عن القيام بالشهادةِ، ويُظْهِرُوا بهما كذبَ الكاذبين ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ أَي: يَحْلِفان ﴿بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ﴾ وقولُنا في وصيَّةِ صاحبِنا ﴿أَحَقُّ﴾ بالقبولِ ﴿مِن شَهَـٰدَتِهِمَا﴾ وقولِهما ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ وماجاوَزْنا الحقَّ فيما طَلَبناه من حقِّنا ﴿ذَٰلِكَ﴾ الَّذي تَقَدَّمَ من بيانِ الحكمِ ﴿أَدْنَىٰٓ﴾ أَي: أَقرب إِلىٰ أَن يأْتـيَ

---

(١) رواه الحسن البصري في تفسيره: ج ١ ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦، والقرطبي في تفسيره أيضاً: ج ٦ ص ٣٤٦.

(٢) في جميع النسخ: «ارتفاعهما» والصحيح المناسب لسياق العبارة ماأثبتناه.

(٣) قرأها يحيىٰ وحمزة ويعقوب علىٰ ماحكاها عنهم ابن غلبون في التذكرة: ج ٢ ص ٣٩١، ونسبها أبو حيان في البحر المحيط: ج ٤ ص ٤٦ الى ابن سيرين.

(٤) وهي قراءة حفص والأعشىٰ الّا النفار والكسائي عن أبي بكر. راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٧، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٤١٩.

الشُهداءُ علىٰ نحوِ تلك الحادثةِ ﴿بِالشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنُۢ﴾ أَي: أو أقربُ إلىٰ أن يخافوا أن تكرَّ[١] أيمانُ شهودٍ آخرين ﴿بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ فيفْتَضِحُوا بظهورِ كذبِهم كما جَرَىٰ في هذهِ القصَّةِ، فربَّما لايَحْلِفون كاذبين ويَتَحَفَّظونَ في الشهادةِ مخافةَ ردِّ اليمينِ إلى المستحقِّ عليهم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أَن تَخونوا وتَحلِفوا كاذبين ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ سمعَ إجابةٍ وقبولٍ.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ (١٠٩) إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (١١٠)

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ﴾ ظرفٌ[٢] لقولِه: ﴿لَا يَهْدِى﴾ أي: لايَهْديهم طريقَ الجنَّةِ يومئذٍ كما يَهْدي غيرَهم، أو يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرسُلَ يكون كذا وكذا، أو نصب[٣] بـ﴿ٱذْكُرْ﴾[٤]. ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ أي: أَيَّ إجابةٍ أُجِبْتُم؟ وهذا السؤالُ توبيخٌ لقومِهم، ولذلك ﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ وَكَلُوا الأمرَ إلىٰ علمِه بسوءِ إجابتِهم ولَجَأُوا إليه في الانتقامِ منهم، وقيل: معناه: أَنت أَعلمُ بحالِهم منَّا فعلمُنا مغمورٌ بعلمِك وساقطٌ معه

(١) في نسخة: تكرّر.
(٢) وهو ماذهب إليه النحاس. راجع اعراب القرآن: ج ٢ ص ٤٨.
(٣) ذهب إليه الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٦٨٩.
(٤) انظر تفصيل ذلك في الفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ١٠٢.

لأنّك ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [١]، وقيل: معناه: لا عِلمَ لنا بما كانَ منهم بعدَنا [٢] ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ بدلٌ من ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ﴾ والمعنىٰ: أنّه يُوَبِّخُ [٣] الكافرين يومئذٍ بسؤالِ الرسُلِ عن إجابتِهم وبتقريرِ ماأَظْهَرَ علىٰ أيديهم من الآياتِ والمُعجِزاتِ فَكَذَّبوهم أو [٤] اتَّخَذوهم آلهةً ﴿أَيَّدتُّكَ﴾ قوّيْتُكَ ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ بجبرئيلعليه‌السلام، وقيل: بالكلامِ الّذي يُحيا به الدين [٥] ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾ طِفلاً ﴿وَكَهْلًا﴾، و ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ في موضعِ الحالِ، والمعنىٰ: تُكَلِّمُهم في هاتَيْن الحالتَيْن من غيرِ أَن يَتَفاوَتَ كلامُك حينَ [٦] الطفولةِ وحينَ الكُهولةِ الّذي هو وقتُ بلوغِ الأَشُدِّ، والحدُّ الّذي يُسْتَنْبأُ فيه الأنبياءُ ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: الكتابةَ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ الكلامَ المحكَمَ، وقيل: المرادُ بهما جنسُ الكتابِ والحكمةِ ﴿وَ﴾ خَصَّ ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ مِمّا تَناولاه [٧] ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ﴾ أي: تُصَوِّرُ وتُقَدِّرُ ﴿مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ أي: هيئةً مثلَ هيئةِ الطيرِ الّذي تُريدُ ﴿بِإِذْنِى﴾ بأمري وتَسهيلي ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ الضميرُ للكافِ؛ لأنّها صفةُ الهَيئةِ الّتي كان يَخلُقُها عيسىٰ ويَنْفُخُ فيها، ولايَرْجِعُ إلى الهَيئةِ المضافِ إليها لأنّها ليست من خلقِه ونفخِه في شيءٍ، وكذلك الضميرُ في ﴿فَتَكُونُ﴾، ﴿وَ﴾ إذ ﴿تُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾ نُسِبَ ذلك إليه لِما كان بدعائِه وسؤالِه ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من القبورِ حتّىٰ يُشاهِدَهم الناسُ أَحياءً ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ يعني: اليهودَ حينَ هَمُّوا بقتلِه.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا

---

(١) قاله ابن عبّاس. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ٧٦، وتفسير الرازي: ج ١٢ ص ١٢٣.

(٢) قاله ابن جريج علىٰ ماحكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٧٨، والبغوي أيضاً في تفسيره: ج ٢ ص ٧٦.

(٣) في نسخة: توبيخ.

(٤) في بعض النسخ: و.

(٥) قاله الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٦٩١.

(٦) في نسخة: حال.

(٧) قاله الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٦٩١.

وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (١١١) إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ (١١٣)

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ أي: أَلْهَمْتُهم، وقيل: أَلْقيْتُ إليهم بالآياتِ الّتي أَرَيْتُهم إيّاها[١]، وقيل: أَمَرْتُهم على أَلْسِنَةِ الرسلِ[٢] ﴿مُسْلِمُونَ﴾ أي: مُخلِصون، من أَسْلَمَ وجهَه للهِ ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ﴾ معناه: هل يَفعَلُ ذلك ربُّك بمسألَتِك إيّاه ليكونَ عَلَماً علىٰ صدقِك[٣]، وقيل: معناه: هل يَقْدِرُ ربُّك[٤]، وإنّما قالوه قبلَ أن تَستَحْكِمَ معرفتُهم باللهِ وصفاتِه، ولذلك قال عيسىٰ عليه السلام لهم: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ولاتَشُكُّوا في اقتدارِه واستطاعتِه، ولاتَقْتَرِحوا عليه ماتَشتَهونَ[٥] من الآياتِ فتُهْلَكوا إذا عَصَيْتُمُوه بعدَها[٦]، وقَرَأَ الصادقُ عليه السلام: «هلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّك»[٧] أي: هل تستَطيعُ سؤالَ ربِّكَ، والمائِدةُ: الخِوانُ يكون عليه الطعامُ، وهي من مادَه أي: أَعطاه ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ نَشْهَدُ عليها عندَ الّذين لم يحضُروها من بني إسرائيلَ، أو من الشاهدين للهِ بالوَحدانيّةِ ولك بالنُّبوَّةِ عاكفين عليها، ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا﴾ في موضِعِ الحالِ.

---

(١) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٢٠.

(٢) قاله الزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٦٩٢.

(٣) اختار هذا القول الحسن علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥٩، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٢٠.

(٤) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٢٠.

(٥) في نسخة: تشبّهون.

(٦) راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ٧٨، والكشّاف: ج ١ ص ٦٩٣.

(٧) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٥٠، وأوردها المصنّف في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٢٦٤.

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (١١٤) قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَاباً لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَداً مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (١١٥)

ثمَّ سَأَلَ عيسىٰ عليه السلام وأُجيبَ إِلىٰ ذلك ليُلْزَمُوا الحُجَّةَ ويُرْسَلَ عليهم العذابُ إذا خالَفوا ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ أَصلُه ياأَللهُ[1] ﴿رَبَّنَآ﴾ نداءٌ ثانٍ ﴿تَكُونُ لَنَا عِيداً﴾ أَي: يكونُ يومُ نزولِها عيداً وهو يومُ الأَحدِ ومن ثَمَّ اتَّخَذَه النَّصارىٰ عيداً[2]، وقيل: العيدُ: السرورُ العائدُ ولذلك يُقالُ: يومُ عيدٍ، أَي: تكونُ لنا سُروراً وَفَرَحاً[3] ﴿لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ بدلٌ من ﴿لَنَا﴾ بتكريرِ العاملِ، أَي: لِمَن في زمانِنا من أَهلِ دينِنا ولمن يَأْتي بعدَنا، وقيل: معناه: يَأْكُلُ منها آخِرُ الناسِ كما يأْكُلُ أَوَّلُهم[4]، وقيل: للمتقدِّمين منّا والأَتباعِ[5] ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ أَي: ودَلالةً منك عظيمةَ الشأْنِ تدلُّ علىٰ توحيدِك وصحَّةِ نبوَّةِ نبيِّك ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ أَي: بعدَ إِنزالِها[6] عليكم ﴿فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَاباً﴾ أَي: تعذيباً ﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ﴾ الضميرُ للمصدرِ، ولو أُريدَ مايُعَذَّبُ به لم يكن[7] بدٌّ من الباءِ.

ورُوِيَ: أَنَّ عيسىٰ عليه السلام لَبِسَ صوفاً وقالَ: اللَّهمَّ أَنْزِلْ علينا مائِدةً، فنَزَلَت سُفرةٌ حمراءُ بينَ غَمامَتَيْنِ وهم يَنْظُرون إِليها، فبكىٰ عيسىٰ عليه السلام وقالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْني مِنَ

(١) تقدّم تفصيله في آل عمران: ٢٦ في ص ٢٢٩ فراجع.
(٢) وهو قول السدي وقتادة وابن جريج والجبائي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٦١.
(٣) قاله البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٧٨.
(٤) وهو قول ابن عبّاس. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٨٤، والبغوي: ج ٢ ص ٧٨.
(٥) قاله الزمخشري في الكشّاف: ج ١ ص ٦٩٣.
(٦) في نسخة: إنزال المائدة.
(٧) في نسخة زيادة: له.

الشاكِرِين، وكَشفَ المِنديلَ وقال: بِاسْمِ اللهِ خَيْرِ الرازِقِين، فإِذا سمكةٌ مشويَّةٌ بلا فلوسٍ ولاشَوكٍ وعندَ رأْسِها ملحٌ وعند ذَنَبِها خَلٌّ وحولَها من أَلوانِ[1] البُـقولِ ماعدا الكُرَّاثَ[2]، وقيل: نَزَلَت الملائِكةُ بها، عليها سبعةُ أَرْغِفَةٍ وسبعةُ أَحواتٍ فأَكَلَ منها آخِرُ الناسِ كما أَكَلَ أَوَّلُهم[3]، وعن الحسن: أَنَّ المائِدةَ مانَزَلَتْ، ولو نَزَلَتْ لكان عيداً إِلىٰ يومِ القيامةِ لقولِه: ﴿وَءَاخِرِنَا﴾[4].

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَايَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَالَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَافِى نَفْسِى وَلَآأَعْلَمُ مَافِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ (١١٦) مَاقُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآأَمَرْتَنِى بِهِ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (١١٨)

المعنىٰ: ﴿إِذْ﴾ يَقولُ ﴿ٱللَّهُ﴾ يومَ القيامةِ: ﴿يَـٰعِيسَى﴾ وهو استفهامٌ يُرادُ به التقريعُ لمن ادَّعىٰ ذلك عليه من النصارىٰ، واستعظامٌ لذلك القولِ ﴿قَالَ سُبْحَـٰنَكَ﴾ من أَن يكونَ لك شريكٌ ﴿مَايَكُونُ لِىٓ﴾ مايَنبغي لي ﴿أَنْ أَقُولَ﴾ قولاً لايَحِقُّ لي أَن أَقولَه وأَنا عبدٌ مثلُهم، وإِنَّما تحِقُّ العبادةُ لك وحدَك ﴿تَعْلَمُ مَافِى نَفْسِى﴾ أَي: في قلبي، والمعنىٰ: تَعلَمُ معلومي ولاأَعْلَمُ معلومَك، وإِنَّما قالَ: ﴿فِى نَفْسِكَ﴾

(١) في نسخة: أنواع.

(٢) رواها البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٧٩ عن سلمان الفارسي.

(٣) وهو قول ابن عبّاس علىٰ ماحكاه عنه القرطبي في تفسيره: ج ٦ ص ٣٦٩.

(٤) راجع تفسيرالحسن البصري: ج ١ ص٣٤٨، وحكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ٥ ص ١٣٥، والزمخشري في كشّافه: ج ١ ص ٦٩٤.

سلوكاً بالكلامِ طريقَ المُشاكَلَةِ ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ تقريرٌ للجملتَيْن معاً؛ لأَنَّ مَاانطَوَتْ عليه النُفوسُ من جملةِ الغيوبِ ولايَنْتَهي علمُ أَحـدٍ إِلىٰ مـايَعْلَمُهُ سبحانه ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ هي «أَن» المُفَسِّرَةُ، ومعناه: ماأَمَرْتُهم إِلَّا بِما أَمَرْتَني به ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ أَي: رقيباً كالشاهدِ علىٰ المشهودِ عليه أَمْـنَعُهم مـن أَن يَقولوا ذلك ويَعتقِدوه ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ تَمْنَعُهم من القولِ به بما نَصَبْتَ لهم من الأَدِلَّةِ، وأَرْسَلْتَ إِليهم من الرسلِ ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الَّذين عَرَفْتَهم عاصين مكذِّبين لرسلِك منكِرين بيِّناتِك ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القادرُ على العقابِ والثوابِ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الَّذي لايَفْعَلُهما إِلَّا عن حكمةٍ وصوابٍ، والمعنىٰ: إِن غَفَرْتَ لهم مع كفرِهم فالمغفرةُ حسنةٌ في العقلِ لكلِّ مُجرمٍ، وكلَّما كانَ الجرمُ أَعظمَ فالعفوُ عنه أَحسنُ.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَافِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٢٠)

قُرِئَ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ﴾ بالرفعِ والإِضافةِ، وبالنصبِ[١]: إِمَّـا عـلىٰ أَنَّـه ظـرفٌ لـ﴿قَالَ﴾ وإِمَّا علىٰ أَنَّ ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأٌ والظرفَ خبرٌ، والمعنىٰ: ﴿هَٰذَا﴾ أَي: الَّذي ذَكَرْناه من كلامِ عيسىٰ واقعٌ يومَ ﴿يَنفَعُ﴾، ولايجوزُ أَن يكونَ فتحاً كقولِه تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لَاتَمْلِكُ﴾[٢] لأَنَّه مضافٌ إِلىٰ متمكِّنٍ[٣]، والمعنىٰ: ﴿يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾

(١) وهي قراءة نافع. راجع التبيان: ج ٤ ص ٧٢، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٨٢، والتذكرة لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٦٤.

(٢) الانفطار: ١٩.

(٣) راجع تفصيل ذلك في اعراب القرآن للنحاس: ج ٢ ص ٥٣.

ماصَدَقوا فيه في دارِ التكليف، وقيل: تصديقُهم لأَنبياءِالله وَكُتُبِه [١]، وقيل: صدقُهم في الشهادةِ لأَنبيائِهم بالبلاغِ [٢].

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ نَزَّهَ سبحانه نفسَه عن قولِ النصارىٰ، وإِنَّما قالَ: ﴿وَمَافِيهِنَّ﴾ ولم يَقُلْ: «وَمَنْ فِيهنَّ» تغليباً للعقلاءِ؛ لأَنَّ «ما» يَتَناوَلُ الأَجناسَ كلَّها تناولاً عامّاً، فلو أَبْصَرْتَ شخصاً من بعيدٍ قُلْتَ: «ماهو؟» قبلَ أَن تَعرِفَ أَمِنَ العقلاءِ هو أَو من غيرِهم، فكان لفظَةُ «ما» بإِرادةِ العمومِ أَولىٰ.

❁ ❁ ❁

(١) حكاه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٩٠.

(٢) حكاه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٩٠، والقرطبي أيضاً في تفسيره: ج ٦ ص ٣٧٩، وأبو حيان في بحره: ج ٤ ص ٦٤.

سورة الأَنعام

مَكِّيَّةٌ غير ستٍّ آياتٍ، وهي مائةٌ وخمسٌ وستُّون آيةً كوفيٌّ، ستٌّ بصريٌّ، ﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾[1] كوفيٌّ، ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[2] و ﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3] غيرُهم.

وفي حديثِ أُبَيٍّ: «أُنْزِلَتْ عليَّ الأَنعامُ جملةً واحدةً يُشيِّعُها سبعون أَلفَ مَلَكٍ لهم زَجَلٌ[4] بالتسبيحِ والتحميدِ، فَمَن قَرأَها صلَّىٰ عليه أُولئك السبعون أَلفَ مَلَكٍ بعددِ كلِّ آيةٍ من الأَنعامِ يوماً وليلةً»[5].

ورَوَى الحسينُ بنُ خالدٍ عن الرضاعليه‌السلام مثلَ ذلكَ إلَّا أَنَّه قالَ: «سَبَّحوا له إِلىٰ يومِ القيامةِ»[6].

---

(١) الآية: ٦٦.

(٢) الآية: ٧٣.

(٣) الآية: ١٦١.

(٤) قال ابن الأثير: وفي حديث الملائكة: «لهم زجل بالتسبيح» أي: صوت رفيعٍ عالٍ. راجع النهاية: مادة (زجل).

(٥) المعجم الصغير للطبراني: ج ١ ص ٨١، الكشّاف: ج ٢ ص ٨٥، وأورده المصنّف في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٢٧١، وانظر نهاية ابن الأثير: مادة (زجل).

(٦) تفسير القمي: ج ١ ص ١٩٣.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ (٢)

﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ أي: أنشأهما وأحدثهما، والفرقُ بينَ الخلقِ والجعلِ: أنَّ الخلقَ فيه معنى التقديرِ، والجعلَ فيه معنى التصييرِ[1] كإنشاءِ شيءٍ من شيءٍ أو تصييرِ شيءٍ شيئاً أو نقلِه من مكانٍ إلىٰ مكانٍ، ومن ذلك: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[2] ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجاً﴾[3]، والمعنىٰ: أنَّه ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ومَااشْتَمَلا عليه من أجناسِ المخلوقاتِ، وأنشأَ الليلَ والنهارَ ومالا يَقْدِرُ عليه سِواه ﴿ثُمَّ﴾ إنَّهم ﴿يَعْدِلُونَ﴾ به مالا يَقْدِرُ علىٰ شيءٍ منه، وهذا استبعادٌ لفعلِهم، وكذلك ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ استبعادٌ لأن يَمْتَرُوا فيه بعدَ أن ثَبَتَ أنَّه مُحْييهم ومُميتُهم وباعثُهم، وقولُه: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ معناه: كَتَبَ وقَدَّرَ أجَلاً، يعني: أجلَ الموتِ ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ أَجلُ القيامةِ، وقيل: الأَجلُ الأَوَّلُ

---

(١) في نسخة: التضمين، وكذا في الكشّاف والبيضاوي.

(٢) الأعراف: ١٨٩.

(٣) النبأ: ٨. وفي جميع النسخ «جعلناكم» بدل «خلقناكم» وهو من سهو النسّاخ.

مابينَ أَن يُخلَقَ إِلىٰ أَن يَموتَ، والثاني مابينَ الموتِ والبعثِ[١].

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَاتَكْسِبُونَ (٣) وَمَاتَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَـٰٓؤُاْ مَاكَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٥)

﴿فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ متعلِّقٌ بمعنىٰ اسمِ اللهِ، كأَنَّه قيل: وهو المعبودُ فيهما، ومثلُه قولُه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ﴾[٢] أَو هو المعروفُ بالإِلٰهيَّةِ أَو المتوحِّدُ بالإِلٰهيَّةِ فيهما، وعلىٰ هذا فقولُه: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ تقريرٌ له؛ لأَنَّ مَن استوى في علمِه السرُّ والعلانيةُ هو الله وحده[٣]، ويجوزُ أَن يكونَ ﴿هُوَ﴾ ضميرَ الشأنِ و ﴿ٱللَّهُ ... يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ مبتدأً وخبراً و ﴿فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ يَتَعَلَّقُ بـ ﴿يَعْلَمُ﴾[٤]، ويجوزُ أَن يكونَ ﴿فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ خبراً بعدَ خبرٍ علىٰ معنىٰ أَنَّه اللهُ، وأَنَّه في السماواتِ والأَرضِ بمعنىٰ أَنَّه عالمٌ بما فيهما لايَخفىٰ عليه شيءٌ منه، فكأَنَّ ذاتَه فيهما، و ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾، خبرٌ ثالثٌ أو كلامٌ مبتدأٌ بمعنىٰ: هو يعلمُ سِرّكم وجهركم ﴿وَيَعْلَمُ مَاتَكْسِبُونَ﴾ من الخيرِ والشرِّ ويُثيبُ عليه ويُعاقِبُ، و ﴿مِّنْ﴾ في قولِه: ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ للاستغراقِ، و﴿مِّنْ﴾ في ﴿مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ للتبعيضِ، أَي: ومايَظْهَرُ لهم دليلٌ من الدلائلِ الَّتي يَجِبُ فيها

---

(١) قاله ابن عباس والضحّاك والحسن وقتادة علىٰ ماحكاه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٩٣، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٨٤. (٢) الزخرف: ٨٤.

(٣) وعليه المشهور من النحاة والمفسّرين. راجع معاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٢٢٨، واعراب القرآن للنحاس: ج ٢ ص ٥٦، وانظر التبيان: ج ٤ ص ٧٨.

(٤) ذهب إليه أبو علي علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٧٩.

النظرُ وبها يَحْصُلُ الاعتبارُ ﴿إِلَّا كَانُواْ﴾ عنه[1] ﴿مُعْرِضِينَ﴾ لايَلتفِتون إليه ولايَستدِلُّون به ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ﴾ الَّذي أَتاهم به محمَّدٌ ﷺ وهو القرآنُ الَّذي تُحُدُّوا به فعَجَزُوا عنه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ أَخبارُ الشيءِ الَّذي اسْتَهْزَأوا به وهو القرآنُ، أي: سَيَعْلَمُونَ بأَيِّ شيءٍ اسْتَهْزَأوا في الآخرةِ أَو في الدنيا.

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً ءَاخَرِينَ﴾ (٦)

مَكَّنَ له في الأَرضِ: جَعَلَ له مكاناً، ومَكَّنَه في الأَرضِ: أَثبتَه فيها، ومنه قولُه تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ﴾[2]، ولتقاربِ المعنَيَيْن جَمَعَ بينَهما في قولِه: ﴿مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ والمعنىٰ: ﴿أَلَمْ﴾ يَرَ كفَّارُ قريشٍ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن﴾ أُمَّةٍ، وكلُّ أُمَّةٍ مقترنةٍ في وقتٍ قَرنٌ، أَعْطَيْناهم من البسطةِ في الأَجسامِ والسعةِ في الأَموالِ مالم نُعْطِكم، عَدَلَ عن الغيبةِ إلى الخطابِ علىٰ طريقةِ الالتفاتِ ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ يعني: المطرَ هنا ﴿عَلَيْهِم مِّدْرَاراً﴾ مِغْزاراً، والمرادُ به: الغيثُ والبَرَكَةُ ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ وخَلَقْنا من بعدِ هلاكِهم أُمَّةً أُخرىٰ، وفيه دَلالةٌ علىٰ أَنَّه سبحانه لايَتعاظَمُه أَن يُفْنِيَ عالَماً ويُنْشِئَ عالَماً آخَرَ كقولِه: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا﴾[3].

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰباً فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧) وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا

(١) في نسخة: عنها. (٢) الأحقاف: ٢٦.
(٣) الشمس: ١٥.

مَلَكاً لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَايُنظَرُونَ (٨) وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَـلَكاً لَّـجَعَلْنَـٰهُ رَجُـلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّايَلْبِسُونَ (٩) وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِـرُسُلٍ مِّـن قَـبْلِكَ فَـحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّاكَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (١٠)

﴿كِتَـٰباً﴾ أي: مكتوباً ﴿فِى قِرْطَاسٍ﴾ في صحيفةٍ ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ ولم يَقْتَصِرْ بهم على الرؤْيةِ والمُعايَنَةِ لئَلّا يقولوا: ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا﴾[١]، لَقالوا: ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ﴾ لِعِظَمِ عنادِهم وقَسْوَةِ قلوبِهم ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ﴾ أَي: هلّا أُنْـزِلَ عـلىٰ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿مَلَكٌ﴾ نُشاهِدُه فنُصَدِّقه ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً﴾ علىٰ مااقْتَرَحُوا ﴿لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: لَقُضِيَ أمرُ[٢] إهلاكِهم ﴿ثُمَّ لَايُنظَرُونَ﴾ بعدَ نزولِه طَرْفَةَ عينٍ؛ لأَنَّـهم لايُؤْمِنون عندَ مشاهَدَةِ تلك الآيةِ الَّـتي لاشـيءَ أَبـينُ مـنها فـتَقْتَضِيْ الحكـمةُ استئصالَهم ﴿وَلَوْجَعَلْنَـٰهُ مَـلَكاً﴾ أَي: ولو جَـعلْنَا الرسـولَ مَـلَكاً كـما اقْـتَرَحُوه ﴿لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا﴾ لأَرسلناه في صـورةِ رجـلٍ كـما كـان يُـنْزَلُ جـبرئيلُ عـلىٰ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله في أَعمِّ الأَحوالِ في صورةِ دِحْيَةَ الكلبيِّ[٣] ﴿وَلَلَبَسْنَا﴾ ولخَلَطْنا ﴿عَلَيْهِم مَّا﴾ يَخْلِطُون علىٰ أَنفُسِهم حينئذٍ، فإِنَّهم يقولون إِذا رَأَوُا المَلَكَ في صورةِ رجلٍ: هذا إنسانٌ وليس بمَلَكٍ، وكَذَّبُوه كما كَذَّبُوا محمَّداً صلى الله عليه وآله، فـإِذا فَـعَلُوا ذلك

(١) الحجر: ١٥.

(٢) في معنىٰ «قضي» وضروبها راجع معاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٢٣٠ تجد تفصيل ذلك.

(٣) وهو دحية بن خليفة بن فروة بن فـضالة الكـلبي، صـاحب رسـول الله صلى الله عليه وآله، شـهد أُحداً ومابعدها، كان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل عليه السلام يأتي النـبي صلى الله عليه وآله فـي صورته أحياناً، بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله الىٰ قيصر رسولاً سنة ستٍّ في الهدنة فآمن به قيصر وامتنع عليه بطارقته، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فقال: ثبت الله ملكه. سكن المزة وعاش الىٰ خلافة معاوية. توفّي سنة ٤٥ هـ. (أُسدالغابة: ج ٢ ص ١٣٠، طبقات ابن سـعد: ج ٤ ص ١٨٤، الاعلام للزركلي: ج ٢ ص ٣٣٧).

خُذِلُوا كما أَنَّهم مَخذولون اليومَ، فهذا لَبسُ اللهِ عليهم ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾ تسلية للنبيِّ ﷺ عمَّا كان يَلْقاه من قومِه «فَحَاقَ بِهِم» فأَحاط بهم الشيءُ الَّذي ﴿كَانُوا... يَسْتَهْزِءُونَ﴾ بِهِ وهو الحقُّ حيث أُهْلِكوا من أَجلِ الاستهزاءِ به، وقيل: فأَحاطَ بهم العذابُ الَّذي يَسْخَرُون من وقوعِه[1].

﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (١١) قُل لِّمَن مَّافِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَارَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَايُؤْمِنُونَ (١٢) وَلَهُ مَاسَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (١٣)

﴿سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ سافِروا فيها ﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾[2] بأَبصارِكم وتَفكَّروا بقلوبِكم ﴿كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ المُستهزئين بالرُسلِ من الأُمَمِ السَالفةِ ﴿لِّمَن مَّافِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ سؤَالُ تبكيتٍ، و﴿قُل لِّلَّهِ﴾ تقريرٌ لهم، أَي: هو للهِ لاخلافَ بيني وبينَكم في ذلك، ولاتَقدِرون أَن تُضِيفوا شيئاً منه إِلىٰ غيرِه ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ أَي: أَوْجَبَها علىٰ ذاتِه في هدايتِكم إِلىٰ معرفتِه ونصبِ الأَدلَّةِ

---

(١) قاله السدي علىٰ ماحكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ٥ ص ١٥٤، ونسبه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٨٦ الى الضحّاك.

(٢) قال الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٨ مالفظه: فإن قلتَ: أيّ فرق بين قوله: ﴿فَانظُرُواْ﴾ وبين قوله: ﴿ثُمَّ انْظُرُواْ﴾؟ قلتُ: جعل النظر مسبباً عن السير في قوله: ﴿فَانظُرُواْ﴾ فكأنّه قيل: سيروا لأجل النظر ولاتسيروا سير الغافلين، وأمّا قوله: ﴿سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ﴾ فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع وإيجاب النظر في آثار الهالكين، ونبّه علىٰ ذلك بـ ﴿ثُمَّ﴾ لتباعد مابين الواجب والمباح، انتهىٰ. قال المحشّي: وأظهر من هذا التأويل أن يجعل الأمر بالسير في المكانين واحداً؛ ليكون ذلك سبباً في النظر، فحيث دخلت الفاء فلإظهار السببيّة، وحيث دخلت ﴿ثُمَّ﴾ فللتنبيه علىٰ أنّ النظر هو المقصود من السير، وأنّ السير وسيلة إليه لاغير، وشتّان بين المقصود والوسيلة.

لكم علىٰ توحيدِه بما أَنتم تَعْتَرِفون به من خلقِ السماوات وَالأَرضِ، وقيل: أَوْجَبَ الرحمةَ علىٰ نفسِه في إِمهالِ عبادِه ليَتَدارَكوا مافُرِّطَ منهم ويَتوبوا[١]، وقيل: كَتَبَ الرَحْمَةَ لأُمَّةِ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله بأَن لايُعَذِّبَهم في الدُنيا بعذابِ الاستئصالِ بل يُـؤَخِّرَهم إِلىٰ يومِ القيامةِ[٢]، ثمَّ فَسَّرَ الرَحمةَ بقولِه: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ علىٰ ماذكرنا أَنَّ المرادَ به إِمهالُ العاصي ليَتوبَ أَو تأْخيرُ عذابِهم، وقيل: إِنَّه وعيدٌ علىٰ كفرِهم وتركِهم النَظَر، ومعناه: لَيَجْمَعَنَّ آخِرَكم إِلىٰ أَوَّلِكُمْ قَرناً بعدَ قرنٍ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فيُجازيكم علىٰ شركِكم[٣] ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ قيل: هو بدلٌ من الكافِ والميمِ في ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ وعلىٰ هذا فلا يجوزُ الوقفُ علىٰ ﴿لَارَيْبَ فِيهِ﴾[٤]. والصَوابُ: الوقفُ والابتداءُ بـ ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ﴾ وخبرُه ﴿فَهُمْ لَايُؤْمِنُونَ﴾[٥] والمعنىٰ: الَّذين خَسِرُوا أَنفسَهم لاختيارِهم الكفرَ فهم لايُصَدِّقون بالحقِّ[٦]. ﴿وَلَهُۥ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿لِلَّهِ﴾، ﴿مَاسَكَنَ﴾ وتَمَكَّنَ ﴿فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ذَكَرَ في الأَوَّلِ السَماوات والأَرْضَ وذَكَرَ هنا الليلَ والنهارَ، فالأَوَّلُ يَجْمَعُ المكانَ والثاني يَجْمَعُ الزَمانَ، وهما ظَرفان لجميعِ الموجوداتِ من الأَجسامِ والأَعراضِ.

---

(١) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٣٢، وعنه القرطبي في تفسيره: ج ٦ ص ٣٩٥.

(٢) وهو قول ابن عبّاس. راجع تفسيره: ص ١٠٦.

(٣) قاله الزجّاج في معانيه: ج ٢ ص ٢٣٢، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٩٧، والزمخشري في كشّافه: ج ٢ ص ٩.

(٤) قاله الأخفش وفقاً لمذهبه الجواز في الابدال من ضمير الحاضر. راجع معاني القرآن: ج ٢ ص ٤٨٢، وحكاه عنه الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٣٢، والنحاس في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٥٨، والشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٨٦.

(٥) وهو اختيار الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٣٢.

(٦) قال الهَمداني: ويجوز عندي وجه آخر وهو أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: هم الذين خسروا أنفسهم. وهو أحسن من الوجه الأول ـ وهو مختار الزجّاج ـ لأَنّ في الوجه الأول تأخير السبب وتقديم المسبب فاعرفه. راجع الفريد في اعراب القرآن: ج ٢ ص ١٢٦.

والمرادُ بالسُّكونِ هنا الحلولُ والسُّكنىٰ.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٤) قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ (١٦)

الإنكارُ في اتِّخاذِ غيرِالله وليّاً لا في اتِّخاذِ الوليِّ، فلذلك أولاه همزةَ الاستفهامِ دونَ الفعلِ الَّذي هو ﴿أَتَّخِذُ﴾ ونحوه: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾[(١)]. ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: مُنْشِئِهما وخالقِهما من غيرِ احتذاءٍ علىٰ مثال ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ أَي: وهو يَرْزُقُ ولايُرْزَقُ، والمعنىٰ: أَنَّ المنافعَ كلَّها من عنِده، ولايجوزُ عليه الانتفاعُ ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ﴾ أَي: أَمَرَني ربِّي ﴿أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لأَنَّ النبيَّ سابقُ أُمَّته في الإسلامِ، كقولِه: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[(٢)]. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ أَي: وقيل لي: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أَي: أُمِرتُ بالإسلامِ ونُهِيتُ عن الشركِ ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ العذابُ ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ اللهُ الرحمةَ العُظمىٰ وهي النَجاةُ، كما تقول: مَن أَطْعَمْتَهُ مِن جوعٍ فقد أَحْسَنْتَ إِليه تُريدُ فقد أَتْمَمْتَ الإِحسانَ إِليه، أَو فقد أَثابَه وأَدْخَلَه الجنَّةَ؛ لأَنَّ من لم يُعَذَّبْ فلابدَّ أَن يُثابَ. وقُرِئَ: «مَن يَصْرِفْ عنه» على البناءِ للفاعلِ[(٣)]، والمعنىٰ: مَن يَصْرِفِ اللهُ عنهُ في ذلك اليومِ أي: مَن يَدْفَعِ اللهُ عنه ويَحفَظْه، وتَركَ ذكرَ المصروفِ وهو العذابُ؛ لكونِه معلوماً أَو مذكوراً قبلَه.

---

(١) الزمر: ٦٤. (٢) الأنعام: ١٦٣.

(٣) قرأها حمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٥٤، وحكاها الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٩٠ ونسبها إلى أهل الكوفة سوىٰ حفصٍ ويعقوب.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ (١٨) قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٩) ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠)

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ من مرضٍ أو فقرٍ أو مكروهٍ ﴿فَلَا﴾ قادرَ على كشفِه ﴿إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ من صحّةٍ أو غِنىً ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ يَقدِرُ على إدامتهِ وإزالتِه ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ هذا تصويرٌ للقهرِ والعلوِّ بالغلبةِ والقدرةِ، كقولِه: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ﴾[1] يُريدُ أنّهم تحتَ تَسخيرِه وتَذليلِه، و ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ العالمُ بكلِّ مايصحُّ أن يُخبَرَ به، والشَيءُ أعمُّ العامِّ لوقوعِه علىٰ كلِّ مايصحُّ أن يُعلَمَ ويُخبَرَ عنه ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ﴾ أعظم ﴿شَهَـٰدَةً﴾ وأَصْدَقُ ﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ يَشهدُ لي بالنبوّةِ وتبليغِ الرسالةِ إليكم وتكذيبِكم إيّاي ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ حجّةً ودَلالةً علىٰ صدقي ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ لأُخوِّفَكم به من عذابِ اللهِ ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ أي: ولأُنْذِرَ به من بَلَغَه إلىٰ يومِ القيامةِ.

ورُوِيَ عنهم عليهم السلام أنَّ المعنىٰ: ومَن بَلَغَ أن يكونَ إماماً من آلِ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله فهو يُنْذِرُ ـ أيضاً ـ بالقرآنِ[2].

(١) الأعراف: ١٢٧.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٥٦ ح ١٣ وفيه: عن أبي جعفر عليه السلام، وعنه البرهان: ج ١ ص ٥٢٠ ح ٣.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ استفهامٌ إنكاريٌّ، أي: كيف تَشْهَدون ﴿أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ بعدَ قيامِ الحجَّةِ بوحدانيَّةِ اللهِ تعالىٰ ﴿قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾ بإثباتِ الشريكِ له ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ به من الأَوثانِ وغيرِها، وهذه شهادةٌ بالوحدانيَّةِ وبراءَةٌ من كلِّ دينٍ يؤدِّي إلى الشركِ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢١) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ (٢٤)

وقُرِئَ: «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ثُمَّ يَقُولُ» بالياءِ[1] أَي: يَحشُرُهم اللهُ ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنَّها تنفعُكم، وأُضيفَ الشركاءُ إليهم لأَنَّهم اتَّخذُوها لأَنفسِهم ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ أَي: كفرُهم، أَي: لم تكن عاقبةُ كفرِهم وشركِهم إلَّا جحودَه والتبرُّؤَ منه والحلفَ على الانتفاءِ[2] منه، وقيل: معناه: لم تكُنْ معذرتُهم حينَ وُبِّخُوا بشركِهم، أَو لم يكُنْ جوابُهم حينَ سُئِلُوا واختُبِرَ ماعندَهم بالسُّؤَالِ إلَّا هذَا القولَ[3]. وقُرِئَ: «لم تكُنْ» بالتاءِ و«فِتْنَتَهم» بالنصبِ[4]، وإنَّما أُنِّثَ ﴿أَن قَالُوا۟﴾ لوقوعِ الخبرِ مؤنَّثاً كقولِهم: «مَنْ كانَتْ أُمَّك»، وقُرِئَ بالياءِ ونصبِ

(١) وهي قراءة يعقوب. راجع التبيان: ج ٤ ص ٩٧، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٩٥.
(٢) في نسخة: الانتقام.
(٣) قاله قتادة على ماحكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٠٢.
(٤) قرأه نافع وأبو عمرو وعاصم برواية أبي بكر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٥٤.

«الفتنةِ»[١]؛ وقُرِئَ بالتّاءِ والياءِ ورفع «الفتنةِ»[٢]، وقُرِئَ: «رَبَّنا» بالنصبِ[٣] على الدُعاءِ والنداءِ ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ أي: يفترون إلـهيّتَه وشفاعتَه، وإنَّما يصحُّ وقوعُ الكذبِ منهم مع اطّلاعِهم على حقائِقِ الأُمورِ ومعارِفِهم الضروريّةِ لِما يَلْحَقُهم من الدَهَشِ والحَيْرَةِ من أَهوالِ ذلك اليومِ وشدائِدِه، والمبتلَى قد يَنْطِقُ بما لاينْفعُه من غيرِ رويّةٍ وفكرٍ في عاقبتِه.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّايُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَـٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَـنْهَوْنَ عَـنْهُ وَيَنْـــَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَايَشْعُرُونَ﴾ (٢٦)

رُوِيَ أنّه اجْتَمَعَ الوليدُ بنُ الْمُغيْرَةِ[٤] وأبو جـهلٍ وأَبـو سُـفْيانَ والنَـضرُ[٥]

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي علىٰ ماحكاه ابن مجاهد في السبعة في القراءات: ص ٢٥٤، وابن غلبون في التذكرة في القراءات: ج ٢ ص ٣٩٥.

(٢) حكاها ابن غلبون في تذكرته: ج ٢ ص ٣٩٥ ونسبها الى المفضل عن عاصم وحمزة والكسائي.

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف علىٰ ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٩٧، وابن مجاهد في السبعة في القراءات: ص ٢٥٥، وابن غلبون في التذكرة في القراءات: ج ٢ ص ٣٩٦، وفي لفظ الطبري: ج ٥ ص ١٦٦: «عامة أهل الكوفة».

(٤) هو الوليد بن المغيرة بن مخزوم، والد خالد بن الوليد، وكان أحد المستهزئين ومن أشدهم عداوة وأذىً على النبي صلى الله عليه وآله ودعوته المباركة، مات بعد الهجرة بثلاثة أشهر ودفن بالحجون. (الاعلام للزركلي: ج ٨ ص ١٢٢).

(٥) هو النضر بن الحارث بن علقمة من بني عبدالدار، صاحب لواء المشركين ببدر، وهو ابن خالة النبي صلى الله عليه وآله ومن أشدّ المشركين أذىً عليه، فكان اذا جلس النبي صلى الله عليه وآله مجلساً للتذكير بالله والتحذير مما أصاب الأمم الخالية، جلس النضر بعده يحدّثهم بأخبار الملوك ونعمهم وموائدهم ويقول: أنا أحسن حديثاً منه، أُسر يوم بدر وقُتل كافراً. (الإصابة في تمييز الصحابة: ج ٣ ص ٥٥٥، الاعلام للزركلي: ج ٨ ص ٣٣).

وعُتْبَةُ[١] وشَيْبَةُ[٢] وأَضرابُهم[٣] يَسْتَمِعون تِلاوةَ رسولِ اللهِ ﷺ، فقالوا للنضرِ: ياأَبا قتيلة مايقولُ محمَّدٌ؟ فقال: والَّذي جَعَلَها بيتَه ـ يعني الكعبةَ ـ ماأَدري مايقولُ، إلَّا أنَّه يُحَرِّكُ لسانَه ويقولُ أَساطيرَ الأَوَّلينَ مثلَ ماحَدَّثْتُكم، وقالَ أَبو سفيان: إنّي لاأَراه حقّاً، فقالَ أَبو جهلٍ: كلَّا، فَنَزَلتْ[٤].

والأَكِنَّةُ على القلوبِ والوَقْرُ في الآذانِ، مثلٌ في نُبُوِّ[٥] قلوبِهم وأَسماعِهم عن قبولِه، وأَسْنَدَ الفعلَ إلىٰ نفسِه في قولِه: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ ليدلَّ علىٰ أَنَّه أَمرٌ ثابتٌ مستقِرٌ فيهم كأَنَّهم مجبولون عليه، أَو هي حكايةٌ لما كانوا يَنطِقون به من قولِهم: ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[٦]، و ﴿يُجَـٰدِلُونَكَ﴾ في موضعِ الحالِ، و ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ تفسيرٌ لجدالِهم، والمعنىٰ: أَنَّه بَلَغَ تكذيبُهم بالآياتِ إلىٰ أَنَّهم يُجادِلونَك ويُناكِرونَك ويَجعلونَ كلامَ اللهِ الَّذي هو أَصدقُ الحديثِ أَكاذيبَ وخرافاتٍ، وهي الغايةُ في التَكذيبِ ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾ النَاسَ عن القرآنِ وعن الرسولِ واتِّباعِه، ويُثَبِّطونَهم عن التصديقِ به ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ بأَنفسِهم فيُضِلُّون

---

(١) هو عتبة بن أبي سفيان، ولد علىٰ عهد رسول الله ﷺ، ولّاه عمر بن الخطاب الطائف، شهد مع عثمان يوم الدار، وشهد حرب الجمل مع عائشة وفُقِئت عينه بها، ولي إمارة مصر من قبل أخيه معاوية لمّا مات عمرو بن العاص سنة ٤٣ هـ، ثم خرج الى الاسكندرية مرابطاً، فابتنىٰ داراً في حصنها القديم، مات بمصر سنة ٤٤ هـ. (أُسد الغابة: ج ٣ ص ٣٦٠، السيرة الحلبية: ج ٢ ص ١٣٨).

(٢) هو شيبة بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس، خال معاوية بن أبي سفيان، من زعماء قريش في الجاهلية، أدرك الاسلام وقُتل على الوثنية يوم بدر، وهو أحد الذين نزلت فيهم الآية: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾. (أُسد الغابة: ج ٣ ص ٧، الاعلام للزركلي: ج ٣ ص ١٨١).

(٣) في نسخة: أحزابهم.

(٤) راجع أسباب النزول للواحدي: ص ١٧٦، والكشّاف: ج ٢ ص ١٣.

(٥) النبوّ بتشديد الواو وتخفيفها: الكَلّ والإعياء. (القاموس المحيط: مادة نبو).

(٦) فصّلت: ٥.

ويَضِلُّون ﴿وَ﴾ ما ﴿يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ﴾ ولايَتَعَدَّىٰ ضررُهم إِلىٰ غيرِهم وإن ظَنُّوا أَنَّهم يضرُّون رسولَ الله صلى الله عليه وآله[١].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَانُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّاكَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ (٢٨)

جوابُ ﴿لَوْ تَرَىٰٓ﴾ محذوفٌ، والتقديرُ: لَرأَيْتَ أَمراً فظيعاً[٢]، والمعنىٰ: ولو تَرَىٰ إِذْ أُطْلِعوا على النارِ حتَّىٰ يعايِنُوها، أَو أُدْخِلُوها فَعَرَفوا مقدارَ عذابِها، من قولِك: وَقَفْتُهُ علىٰ كَذا: إِذا عرَّفْتَه وفَهَّمْتَه[٣] ﴿فَقَالُواْ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ تمَّ هنا تمنِّيهم، ثمَّ ابْتَدأُوا ﴿وَلَانُكَذِّبَ﴾ أَي: ونحن لانُكَذِّبُ ﴿بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا﴾ ونُؤْمِنُ، ويجوز أن يكونَ معطوفاً علىٰ ﴿نُرَدُّ﴾ أَو حالاً علىٰ معنىٰ: ياليتَنا نُرَدُّ غيرَ مكذِّبين وكائِنين من المؤمنين، فيدخلُ تحتَ حكمِ التمنِّي[٤]. وقُرِئَ: ﴿وَلَانُكَذِّبَ﴾ و ﴿نَكُونَ﴾ بالنصبِ بإِضمارِ «أَن» علىٰ جوابِ التَمنِّي، ومعناه: إِن رُدِدْنا لم نُكَذِّبْ ونَكُنْ من

(١) قال الشيخ رحمه الله: وفي الآية ـ الأخيرة ـ دلالة علىٰ بطلان قول من قال: معرفة الله ضرورة وأنّ من لايعرف الله ولايعرف نبيّه لاحجة عليه، لأنّ الله بيّن أنّ هؤلاء الكفّار قد أهلكوا أنفسهم بنهيهم عن قبول القرآن وتباعدهم عنه وأنّهم لايشعرون ولايعلمون بإهلاكهم أنفسهم بذلك، فلو كان من لايعرف الله ولانبيّه ولادينه لاحجّة عليه لكانوا هؤلاء معذورين ولم يكونوا هالكين، وذلك خلاف مانطق به القرآن. (التبيان: ج ٤ ص ١٠٧).

(٢) راجع تفصيله في الفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ١٣٦.

(٣) قال الزجاج: ومعنىٰ «وقفوا» علىٰ النار يحتمل ثلاثة أوجه: جائز أن يكونوا عاينوها، وجائز أن يكونوا عليها وهي تحتهم، والأجود أن يكون معناها: دخلوها فعرفوا مقدار عذابها كما تقول في الكلام: قد وقفت علىٰ ماعند فلان، تريد قد فهمته وتبيّنته. (معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٣٩).

(٤) وهو اختيار البلخي والجبّائي والزجّاج علىٰ ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٠٨، راجع معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٣٩.

المؤمنين ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ﴾ من الناسِ من قبائِحِهم وفضائِحهم في صُحُفِهم وبشهادةِ جوارِحِهم عليهم، فلذلك تَمَنَّوا ماتَمَنَّوا ضجراً لا أَنَّهم عازمون علىٰ أَنَّهم لو رُدُّوا لآمَنوا ﴿وَلَوْ رُدُّواْ﴾ إلى الدنيا ﴿لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ من الكفرِ ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ فيما وَعدُوا من أَنفسِهم لايَفُون به.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَانَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣٠)

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ عطفٌ علىٰ قولِه: ﴿لَعَادُواْ﴾ أَي: ولو رُدُّوا لكفَرُوا وقالُوا: ما ﴿هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ كما كانوا يقولونه قبلَ مُعايَنَةِ القيامةِ، أَو عطفٌ علىٰ قولِهِ: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ أَي: وهم كاذبون في كلِّ شيءٍ، وهم الَّذين قالوا ذلك ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ للتوبيخِ والسُّؤالِ كما يوقَفُ العبدُ الجاني بينَ يَدَيْ مولاهُ[١]، وقيلَ: وُقِفُوا علىٰ جزاءِ ربِّهم[٢]، وقيل: عُرِّفوه حقَّ التعريفِ[٣] كما يُقالُ: وَقَفْتُه علىٰ كلامِ فلانٍ، أَي: عرَّفْتُه إِيَّاه ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِالْحَقِّ﴾ هذا تعييرٌ من اللهِ لهم علىٰ تكذيبِهم بالبعثِ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أَي: بكفرِكم.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَافَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَايَزِرُونَ (٣١) وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣٢)

---

(١) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٦.
(٢) قاله السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٤٨٠.
(٣) أجازه الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٤ ص ١١٤.

﴿كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ ببلوغِ الآخرةِ ومايَتَّصِلُ بها من الجزاءِ، و ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غايةٌ لـ ﴿كَذَّبُواْ﴾ أَي: دامَ تكذيبُهم إِلىٰ حسرتِهم وقتَ مجيءِ الساعةِ ﴿بَغْتَةً﴾ أَي: فَجْأَةً، وانتصابُها على الحالِ[١] بمعنىٰ: باغِتةً، وعلى المصدرِ[٢] بمعنىٰ: بَغَتَتْهم بغتةً ﴿فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ الضميرُ للحياةِ الدنيا وإِن لم يَجْرِ لها ذكرٌ للعلمِ بها، أَو للساعةِ على معنىٰ: قَصَّرْنا في شأْنِها، نحوُ قولِه: ﴿فَرَّطتُ فِى جَنبِ ٱللَّهِ﴾[٣]. ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ هو مثلُ قولِه: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[٤] لأَنَّ الأَثقالَ تُحْمَلُ على الظهورِ في العادةِ كما أَنَّ الكسبَ يكونُ بالأَيدي ﴿سَآءَ مَايَزِرُونَ﴾ أَي: بِئْسَ شيئاً يَزِرون وِزْرُهم، حُذِفَ المخصوصُ بالذمِّ، وجَعَلَ سبحانه أَعمالَ الدُنيا لَعِباً ولهواً؛ لأَنَّها لاتُجْدي[٥] ولاتُعَقِّبُ نفعاً كما تُعَقِّبُ أَعمالُ الآخرة المنافعَ العظيمةَ، وقُرِئَ: «وَلَدارُ الأَخِرَةِ»[٦] وتقديرُه: ولدارُ الساعةِ الآخرةِ؛ لأَنَّ الشيءَ لايُضافُ إِلىٰ نفسِه، وقولُه: ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ دليلٌ علىٰ أَنَّ ماسوىٰ أَعمالِ المتَّقين لعبٌ ولهوٌ.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَايُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَاكُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَـٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَامُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِىْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (٣٤)

(١) واختاره النحّاس في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٦٢ ـ ٦٣.
(٢) وهو اختيار سيبويه علىٰ ماحكاه عنه النحّاس في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٦٣.
(٣) الزمر: ٥٦.
(٤) الشورى: ٣٠.
(٥) في نسخة زيادة: شيئاً.
(٦) قرأه ابن عامر. راجع التبيان: ج ٤ ص ١١٦، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٩٧.

﴿قَدْ﴾ هاهنا بمنزلةِ «رُبَّما» الّذي يجيُ لزيادةِ الفعلِ وكثرتِه، والهاءُ في ﴿إِنَّهُ﴾ ضميرُ الشأنِ[١]، و ﴿لَيَحْزُنُكَ﴾ قُرِئَ بفتحِ الياءِ وضمِّ الزاي[٢]، وبضمِّ الياءِ وكسرِ الزاي[٣]، و ﴿ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ هو قولُهم: ﴿لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾[٤] و ﴿سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾[٥]، ﴿فَإِنَّهُمْ لَايُكَذِّبُونَكَ﴾ قُرِئَ بالتشديدِ والتخفيفِ[٦]، من كَذَّبَه: إذا جعَلَه كاذباً، وأَكْذَبَه: إذا وَجدَه كاذباً، والمعنىٰ: أَنـّهم لايُكَذِّبونك في الحقيقةِ وإنَّما يُكَذِّبون اللهَ لأنـّك رسولُه المصدَّقُ بالمُعجِزاتِ، فتكذيبُك راجعٌ إليه وإلىٰ جحودِ آياتِه، وهذا تسليةٌ لهعليه السلام، وقيلَ: معناه: فإنَّهم لايُكَذِّبونك بقلوبِهم ولكنَّهم يَجْحَدون بألسنتِهم[٧] كقوله تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[٨]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أَقامَ الظاهرَ مقامَ الضميرِ[٩] ليَدُلَّ علىٰ أنـّهم ظَلَموا في جحودِهم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، وعن عليٍّعليه السلام أَنـّه قُرِئَ عندَه: ﴿لَايُكَذِّبُونَكَ﴾ فقال: «بَلىٰ وَاللهِ فَقَدْ كَذَّبُوه، ولكن لايُكَذِّبونك: لايأْتون بحقٍّ أَحَقَّ منْ حَقِّكَ»[١٠]، ﴿وَلَقَدْ

---

(١) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٧ ـ ١٨.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وعاصم وأبي عمرو وحمزة والكسائي وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٥٧.

(٣) قرأه نافع وحده. راجع التبيان: ج ٤ ص ١١٩، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٥٧.

(٤) الصافات: ٣٦. (٥) صٓ: ٤.

(٦) وهي قراءة نافع والكسائي والأعشىٰ إلّا النفار، وهو المروي عن عليعليه السلام وعن أبي عبداللهعليه السلام. راجع التبيان: ج ٤ ص ١١٩، ومعاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٣٣١.

(٧) قاله الكلبي علىٰ ماحكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٠٧.

(٨) النمل: ١٤. (٩) في بعض النسخ: المضمر.

(١٠) رواها الكليني في الكافي: ج ٨ ص ٢٠٠ ح ٢٤١، والعياشي في تفسيره: ج ١ ص ٣٥٩ ح ٢٠، والبحراني في البرهان: ج ١ ص ٥٢٣ ح ٣، والفيض الكاشاني في الصافي: ج ١ ص ٥١٣ بلفظ: «لايأتونك بباطل يكذبون به حقّك»، وفي تفسير القمي: ج ١ ص ١٩٦ عن الصادقعليه السلام بلفظ: «لايأتون بحقّ يبطلون حقّك».

كُذِّبَتْ﴾ تسليةٌ أَيضاً ﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَاكُذِّبُواْ وَأُوذُواْ﴾ أَي: علىٰ تكذيبِهم وإيذائِهم ﴿حَتَّىٰٓ﴾ جآءَهُمْ﴿نَصْرُنَا﴾ إياهم على المكذّبين ﴿وَلَامُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ أَي: لمواعيدِه من قولِه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ [١] ، ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِىْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أَي: بعض أَنبائِهم وقِصَصِهم وما كابَدوا [٢] من قومِهم.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقاً فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَاتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ (٣٥) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦) وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَايَعْلَمُونَ﴾ (٣٧)

كان يَعْظُمُ على النبيِّ صلى الله عليه وآله إعراضُ قومِه عن الإِيمانِ [٣] وقبولِ دينِه فنزَلَتْ [٤] ، ونحوه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [٥] ، ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ﴾ أَي: إن قَدَرْتَ وتَهيَّأَ لك ﴿أَن﴾ تطلبَ ﴿نَفَقاً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أَي: سَرَباً ومَنْفَذاً تَنْفُذُ فيه إلىٰ ماتحتَها حتّىٰ تَطلعَ لهم آيةً يؤْمنون عندها ﴿أَوْ سُلَّماً فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم﴾ منها ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ فافْعَلْ، أَي: إنَّك لاتستطيعُ ذلك، وحُذِفَ جوابُ «إن» [٦] ، وقيلَ: فَتَأْتِيَهم بآيةٍ أَفضلَ ممّا آتَيْناهم به يُريدُ أَنّه لاآيةَ أَفضلُ منه [٧] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى

---

(١) الصافات: ١٧١ و ١٧٢.

(٢) كابَدَه: أَي قاساه. (القاموس المحيط: مادة كبد).

(٣) في نسخة زيادة: به.

(٤) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٩.

(٥) الكهف: ٦.

(٦) انظر الفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ١٤٣.

(٧) قاله ابن عبّاس. راجع تفسيره: ص١٠٨، وعنه الطبري في تفسيره: ج ٥ ص ١٨٣ ح ١٣٢٠٤.

﴿ٱلْهُدَىٰ﴾ بأَن يأْتِيَهم بآيةٍ مُلجِئَةٍ ولكنَّه لايَفعَلُ لخروجِه عن الحكمةِ ﴿فَلَاتَكُونَنَّ مِنَ﴾ الَّذين يَجهَلون ذلك ويَرومون ماهو خلافُه ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾، ﴿وَ﴾ الَّذين تَحرِصُ علىٰ إِيمانِهم بمنزلةِ ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الَّذين لايَسمَعون، ثمَّ وَصَفَ ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾ بأَنَّه ﴿يَبْعَثُهُمُ﴾ من القبور يوم القيامة ويَحكُمُ فيهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ فحينئذٍ يَسمَعُونَ، وأَمَّا قبلَ ذلك فلاسبيلَ إلىٰ إسماعِهم ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ تَرَكُوا الاعتدادَ بما نُزِّلَ عليه من آياتِ اللهِ والمُعجزاتِ مع كَثرتها، كأَنَّه لم يُنَزَّلْ عليه شيءٌ من الآياتِ عناداً منهم ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ تَضطَرُّهم إلى الإيمانِ كنتقِ الجبلِ علىٰ بني إسرائِيل ونحوِه أَو آيةً إِن جَحَدوها جاءَهم العذابُ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَايَعْلَمُونَ﴾ أَنَّه سبحانه يَقدِرُ عليه، وأَنَّ صارفاً من الحكمةِ يَصْرِفُ[1] عنه.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّافَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٣٩)

جمعَ بهذَيْن القولَيْن جميعَ الحيواناتِ؛ لأَنَّها لاتَخلو من[2] أَن تكونَ ممَّا يَدُبُّ على الأَرضِ أَو ممَّا يَطيرُ ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ مكتوبةٌ أَرزاقُها وآجالُها وأَعمالُها كما كُتِبَتْ أَرزاقُكم وآجالُكم وأَعمالُكم[3]، وقيلَ: أَشباهُكم في أَنَّ اللهَ أَبدَعَها، وفي دَلالتِها علىٰ وحدانيَّتِه[4]، وفي أَنَّهم يَموتون ويُحشَرون[5]

(١) في نسخة: يصرفه.

(٢) في نسخة: «إمّا» بدل «من».

(٣) وهو اختيارالنحاس في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٦٥، والزمخشري في كشّافه: ج ٢ ص ٢١.

(٤) قاله ابن عبّاس في تفسيره: ص ١٠٩، وحكاه القرطبي في تفسيره: ج ٦ ص ٤٢٠ عن سفيان بن عيينة.

(٥) ←

﴿مَّافَرَّطْنَا﴾ ماتَرَكنا ﴿فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أَي: في اللوحِ المحفوظِ ﴿مِن شَىْءٍ﴾ من ذلك لم نَكتُبْه ولم نُثبِتْ ماوَجَبَ إِثباتُه ممَّا يختصُّ به، وقيل: المرادُ بالكتابِ القرآنُ لأَنـّه تعالىٰ ذَكَرَ فيه جميعَ مايُحتاجُ إِليه من أُمورِ الدينِ والدنيا إِمَّا مجملاً وإِمّـا مفصَّلاً(١) ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٢) يعني الأُممَ كلَّها فيُعَوِّضُها ويَنْتَصِفُ لبعضِها من بعضٍ، وفيه دَلالةٌ علىٰ عِظَمِ قدرتِه ولطـفِ تـدبيرِه فـي الخـلائِقِ المـختلفةِ الأَجناس وحفظِه لما لَها وعليها، وأَنَّ المكلَّفين لم يَختصُّوا بذلك دونَ من سِواهم.

ولمَّا ذَكَرَ من خلائِقِه مايَشهَدُ لربوبيَّتِه قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ﴾ أَي: صُمٌّ لايَسمَعون كلامَ المنبِّهِ ﴿وَبُكْمٌ﴾ لايَنطِقون بالحقِّ، خابِطون في ظُلماتِ الكفرِ، فهُم غافلون عن تأَمُّلِ ذلك ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ أَي: يَخْذُلْه ولايَلْطُفْ به؛ لأَنـّه ليس من أَهله ﴿وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أَي: يَلْطُفْ به لأَنـّه من أَهلِه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ

← (٥) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٤٥، ونسـبه المـاوردي فـي تـفسيره: ج ٢ ص ١١٢ إلىٰ قول الجمهور.

(١) وهو قول النحاس في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٦٦، واختاره الجبائي كما حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٢٩.

(٢) قال شيخ الطائفةﷺ: واستدل قوم من التناسخية بهذه الآية علىٰ أَنّ البهائم والطيور مكلّفة لأنـّه قال: ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾، وهذا باطل؛ لأنّا قد بيّنا من أيّ وجه قال: إنّها ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾، ولو وجب حملها على العموم لوجب أن تكون أمثالنا في كونها نـاساً وفـي مـثل صـورنا واخلاقنا. فمتىٰ قالوا: لم يقل أمثالنا في كل شيء، قلنا: وكذلك الامتحان والتكليف، على أنـّهم مقرّون بأن الأطفال غير مكلّفين ولاممتحنين فما يحملون به امتحان الصبيان بعينه نحمل بمثله امتحان البهائم، وكيف يصحّ تكليف البهائم والطيور وهي غير عاقلة؟ والتكليف لايصحّ إلّا لعاقل، على أنّ الصبيان أعقل من البهائم ومع هذا فليسوا مكلّفين فكيف يصحّ تكليف البهائم ؟!

إن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَاتَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَاتُشْرِكُونَ﴾ (٤١)

﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ [1] معناه: أَخبِروني، و «كُمْ» لامحلَّ له من الإِعرابِ؛ لأَنَّك تقول: أَرأَيْتَكَ زَيْداً ماشأْنُه، فلو جعلتَ للكاف محلّاً لكنتَ كأَنَّك تقولُ: أَرأَيتَ نفسَك زيداً ماشأْنُه، وذلك فاسدٌ، والمعنى: أَخبِروني ﴿إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ﴾ القيامةُ مَنْ تَدْعُونَ؟ ثمَّ بَكَّتَهم بقولِه: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ أَي: أَتَخصُّون آلهتَكم بالدعوةِ كما هي عادتُكم إِذا أَصابكم ضُرٌّ أَم تَخُصُّونَ اللهَ دونَها؟ ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ بل تَخُصُّون اللهَ بالدعاءِ دونَ الآلهة ﴿فَيَكْشِفُ مَاتَدْعُونَ﴾ إلىٰ كشفِه ﴿إِن شَآءَ﴾ أَن يَتَفَضَّلَ عليكم بكشفِه ﴿وَتَنسَوْنَ مَاتُشْرِكُونَ﴾ أَي: وتترُكون آلهتَكم ولاتذكُرونها في ذلك الوقتِ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِالْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَاكَانُواْ يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُواْ مَاذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (٤٥)

«الْبَأْسَآءِ» من البأسِ أَو البُؤْسِ، و «الضرَّاء» من الضُرِّ، وقيل: البأْساءُ: القحطُ والجوعُ، والضرَّاءُ: المرضُ ونقصانُ الأَنفسِ والأَموالِ [2]، والمعنىٰ: ﴿وَلَقَدْ

---

(١) راجع تفصيلات إعرابها في الفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ١٤٦ تجد مايغنيك عن غيره.

(٢) قاله الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٤٨ وحكاه عنه السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٤٨٤.

أَرْسَلْنَآ﴾ إليهم الرُّسُلَ فكذَّبوهم ﴿فَأَخَذْنَـٰهُم﴾ بالبليَّاتِ في أَنفسِهم وأَموالِهم لكي يَتضرَّعوا ويَخْضَعوا ويَتذلَّلوا ويَتوبوا عن ذنوبِهم ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ معناه: نفيُ التضرُّعِ، كأَنَّه قيل: فلم يَتضرَّعوا إِذ جاءَهم بأْسُنا، ولكنَّه جاءَ بـ﴿لَوْلَآ﴾ ليدلَّ علىٰ أَنَّه لم يكن لهم عذرٌ في تركِ التضرُّعِ إِلَّا عنادُهم وقَسْوَةُ قلوبِهم ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَاذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ من البأساءِ والضرَّاءِ، أَي: تَركوا الاتِّعاظَ به ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الصحَّةِ والتوسعةِ في الرزقِ وأَصنافِ النِعَمِ[١] كما يَفْعَلُ الوالدُ البارُّ بولدِه العاقِّ يُخاشِنُه تارةً ويُلاطِفُه أُخرىٰ طلباً لصلاحِه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾ من الخيرِ والنِعَم ولم يزيدوا إِلَّا على البَطَرِ والأَشَرِ وماتَصدَّوْا لتوبةٍ ولااعتذارٍ ﴿أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً﴾ أَي: مُفاجَأَةً من حيثُ لايَشعُرُون ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ آيسون من النَجاةِ والرَحمةِ، وقيل: متحيِّرون منقطعو الحجَّةِ[٢] ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ﴾ أَي: آخِرُهم لم يُتْرَكْ منهم أَحدٌ، واستُؤْصِلَتْ شأْفتُهم[٣] بالعذابِ فلم يبقَ لهم عَقِبٌ ولانسلٌ ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ علىٰ إِهلاكِ أَعدائِه وإِعلاءِ كلمتِه، وهذا إِيذانٌ بوجوبِ الحمدِ للهِ عندَ هلاكِ الظَلَمَةِ وأَنَّه من أَجَلِّ النِعَمِ.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦) قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ

---

(١) في نسخة زيادة: إليهم.

(٢) وهو قول الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٣٥، وعنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٣٧.

(٣) أصل الشأفة: قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوىٰ فتذهب أو إذا قطعت مات صاحبها، واستأصل الله شأفته: أذهبه كما تذهب تلك القرحة، أو أزاله من أصله. (القاموس المحيط: مادة شأف).

ٱلظَّـٰلِمُونَ (٤٧) وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَـنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔـايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ (٤٩)

﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُـمْ﴾ بأَن يُصِمَّكم ويُعْمِيَكم ﴿وَخَـتَمَ عَـلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ بأَن يُغَطِّيَ عليها مايُذْهِبُ عقلَكم ويَسْلُبُ تمييزَكم ﴿مَّنْ إِلَـٰهٌ غَـيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم﴾ بما أَخَذَ منكم وخَتَمَ عليه، أَو أَراد يأْتيكم بذاك، فوُضِعَ الهاءُ موضِعَ اسم الإشارةِ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَـٰتِ﴾ أَي: نُوَجِّهُها في الجهاتِ الَّتي نُظْهِرها أَتمَّ الإظهارِ، مرَّةً في جهةِ النعمةِ ومرَّةً في جـهةِ الشـدَّةِ ﴿ثُـمَّ هُـمْ يَـصْدِفُونَ﴾ أَي: يُعْرِضون عنها بعدَ ظهورِها، وإِنَّما قابَلَ البَغْتَةَ بالجهرةِ لِما في البَغْتَةِ من معنى الخُفْيَةِ وهو وقوعُ الأَمرِ من غيرِ أَن يُشْعَرَ به وتَظْهَرَ أَماراتُه[1]، وعـن الحسـنِ: ليـلاً أَو نهاراً[2] ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾ أَي: مايُهْلَكُ هلاكَ تعذيبٍ وسَخَطٍ ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ الَّذين ظَلَموا بكفرِهم وفسادِهم ﴿إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ مَن آمَنَ بـهم وبـما جـاءُوا بـه ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مَن عصاهم وكَذَّبَهم ﴿يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ جَعَلَ العذابَ ماسّاً، كأَنَّه حيٌّ يَفْعَلُ بهم مايُريدُ من الآلامِ، ونحوهُ: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَـهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾[3].

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُـولُ لَكُـمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ قُلْ هَـلْ يَسْـتَوِى ٱلْأَعْـمَىٰ وَٱلْـبَصِيرُ أَفَلَاتَتَفَكَّرُونَ﴾ (٥٠)

---

(١) وهو اختيار الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٤٩.
(٢) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٤٠.
(٣) الفرقان: ١٢.

أي: ﴿لَآ﴾ أدَّعي ملكَ ﴿خَزَآئِنُ﴾ رحمةِ ﴿ٱللهِ وَلَآأَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ الّذي يختصُّ اللهُ تعالىٰ بعلمِه، وإنَّما أعْلَمُ منه مايُعَلِّمُني اللهُ ويَخُصُّني به ﴿وَلَآأَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ لأنّي إنسانٌ تَعرِفون نَسَبي، لاأقدِرُ علىٰ مايَقدِرُ عليه المَلَكُ ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّامَايُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ أي: ماأُنَبِّئُكُمْ بما كان فيما مَضىٰ ومايكونُ فيما يَستَقبِلُ إلّا بالوحي ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ أي: الضالُّ والمُهتدي ﴿أَفَلَاتَتَفَكَّرُونَ﴾ فلاتكونوا ضالّين أشباهَ العُميانِ وتُنصِفوا من أنفسِكم.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١) وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَاعَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (٥٢)

﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ الضميرُ يَرجِعُ إلىٰ ﴿مَايُوحَىٰٓ﴾،و ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ الّذين يَعترِفون بالبعثِ والحشرِ[١].

الصادقُ عليه السلام: «أَنْذِرْ بالقرآنِ الّذين يَرجون الوصولَ إلىٰ ربِّهم، تُرَغِّبُهمْ فيما عندَه، فإنَّ القرآنَ شافعٌ مشفَّع»[٢].

﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ﴾ أي: من دونِ اللهِ ﴿وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ فإنَّ شفاعةَ الشافِعينَ من الأنبياءِ والمؤْمنين تكونُ بإذنِ اللهِ تعالىٰ فهي راجعةٌ إليه سبحانه، علىٰ أنَّ هذه الجملةَ في مَوضعِ الحالِ من ﴿يُحْشَرُوٓاْ﴾ والمعنىٰ: يَخافون أن يُحْشَروا غيرَ منصورين ولامشفوعاً لهم، ولابدَّ من هذهِ الحالِ؛ لأنَّ كلَّ الناسِ مَحشورٌ، فالمَخوفُ إنَّما هو الحشرُ علىٰ هذه الحالِ.

---

(١) في نسخة: النشر.

(٢) أوردها المصنّف في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٣٠٤.

ثمَّ ذكَرَ سبحانه المتَّقين وأَمَرَ بتقديمِهم وتقريبِهم، فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ يعبُدونه ﴿بِالْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ يطلُبون ثوابَه ويَبتغون مَرضاتَه، والوجهُ يُعَبَّرُ به عن ذاتِ الشَيءِ وحَقيقَتِه.

رُوِيَ: أَنَّ رُؤَساءَ قريشٍ قالوا لرسولِ الله ﷺ: لو طَرَدْتَ هؤلاءِ الأَعْبُدَ ـ يَعْنون فقراءَ المؤْمنين ـ جلَسْنا إليك، فقال ﷺ: ما أَنَا بِطارِدِ المؤْمِنِينَ، قالوا: فَأَقِمْهُم عنَّا إذا جئْنا، قال: نَعَمْ، طمعاً في إيمانِهم فأنزلَ اللهُ عليه هذه الآية(١).

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ كقولِه: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى﴾(٢)، وذلك أَنَّهم طَعَنوا في دينِهم وإخلاصِهم، والمعنىٰ: ولو كانَ الأَمرُ كما يَقولون عندَالله فما عليك إِلّا اعتبارُ الظاهرِ، وإن كان باطنُهم غيرَ مَرْضيٍّ فحسابُهم عليهم لايَتَعَدَّاهم إليك كما أَنَّ حسابَك عليك لايَتَعَدَّاك إليهم، كقولِه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(٣)، وقيل: إنَّ الضميرَ للمشركين(٤) والمعنىٰ: لايُؤاخَذون بحسابِك ولا أَنت تُؤاخَذُ بحسابِهم حتّىٰ يَهُمَّك إيمانُهم ويَجُرَّك الحرصُ عليه إلىٰ أَن تَطْرُدَ المؤْمنين، وقوله: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جوابُ النفي و ﴿فَتَكُونَ﴾ جوابُ النهي، ويجوزُ أَن يكونَ عطفاً علىٰ ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ علىٰ وجهِ التسبيبِ؛ لأَنَّ كونَه ظالماً مسبَّبٌ عن طردِهم(٥)، وقُرِئَ: «بِالْغُدْوَةِ وَالْعَشِيِّ»(٦) (٧).

---

(١) رواها السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٤٨٧ عن سعد بن أبي وقّاص، والرازي في تفسيره: ج ١٢ ص ٢٣٤ عن ابن مسعود، وراجع أسباب النزول للواحدي: ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٢) الشعراء: ١١٣.

(٣) الأنعام: ١٦٤، الاسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧.

(٤) قاله الرازي في تفسيره: ج ١٢ ص ٢٣٦.

(٥) وهو اختيار الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٢٨.

(٦) قرأه ابن عامر. راجع التبيان: ج ٤ ص ١٤٤، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٤٨٧، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٥٨.

(٧) ←

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ (٥٣) وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٤) وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (٥٥)

أي: ومثلُ ذلك الفتنِ العظيمِ ﴿فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: ابتَلَيْناهم بهم، وذلك أنَّ المشركين قالوا: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعنون المُسلمين ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ أي: أَنْعَمَ الله عليهم بالتَوفيقِ لإصابةِ الحقِّ من دونِنا ونحن الرُؤَساءُ والأَشرافُ وهم العبيدُ والأَنذالُ[١] إنكاراً لأَن يكونَ أَمثالُهم على الحقِّ، ونحوهُ: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾[٢]، ومعنىٰ «فَتَنّاهُمْ»: خَذَلْناهم فَافْتَتَنوا حتّىٰ كان افتتانُهم سبباً لهذا القولِ؛ لأَنَّه لايقولُ مثلَ هذا القولِ إلّا مفتونٌ مخذولٌ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي: اللهُ أَعلمُ بمن يَقَعُ منه الإيمانُ والشُكرُ فيُوَفِّقُهُ للإيمانِ، ومن صَمَّمَ علىٰ كفرِه يَخذُلُه ويَمنَعُهُ التَوفيقَ ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ هو أَمرٌ بتبليغِ سلامِ اللهِ تعالىٰ إليهم، أَو أَمرٌ بأَن يَبْدَأَهم بالسلامِ تَبجيلاً لهم، وكذلك قولُه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ من جملةِ مايَقولُ لهم ليُسَرُّوا، وقُرِئَ: «إِنَّه»[٣] فإِنَّه بالكسرِ على

← (٧) قال البلخي: قراءة ابن عامر غلط؛ لأَنَّ العرب إذا أدخلت الألف واللام قالوا: الغداة، يقولون: رأيتك بالغداة، ولايقولون: بالغدوة، فإذا نزعوا الألف واللام قالوا: رأيتك غدوة، وإنّما كتبت الواو في المصحف كما كتبوا «الصلاة» و «الزكاة» و «الحياة» كذلك. وقال أبو علي الفارسي: الوجه «الغداة»؛ لأنّها تستعمل نكرة وتتعرف باللام، فأمّا «غدوة» فمعرفة أبداً، وهو علم صيغ له. وقال سيبويه: غدوة وبكرة جعل كل واحد منهما اسماً للجنس كما جعلوا «أم حنين» اسماً لدابة معروفة كذلك هذا. انظر التبيان: ج ٤ ص ١٤٥.

(١) النذل والنذيل: الخسيس من الناس والمحتقر في جميع أحواله. (القاموس المحيط: مادة نذل).

(٢) الأحقاف: ١١.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي. انظر كتاب السبعة في القراءات ←

الاستئنافِ كأنّه تفسيرٌ للرّحمةِ، وبالفتح على الإبدالِ من الرّحمةِ ﴿بِجَهَـٰلَةٍ﴾ في موضِعِ الحالِ، أي: عَمِلَه وهو جاهلٌ، بمعنىٰ: أنّه عَمِلَ عملَ الجاهلين؛ لأنَّ مَن عَمِلَ مايَسْتَوْبِلُ عاقبتَه عالماً بذلك فهو من أهل الجهلِ، ويجوزُ أن يُرادَ عَمِلَه جاهلاً بما يَتْبَعُه من الضَرر والمكروهِ[1]، ومَن كانَ حكيماً لم يُقْدِمْ علىٰ فعلِ شيءٍ حتّىٰ يَعْلَمَ حالَه، وقُرِئَ: ﴿لِتَسْتَبِينَ﴾ بالتاءِ والياءِ[2] مع رفعِ ﴿سَبِيلُ﴾ لأنّها تُذَكَّرُ وتُؤَنَّثُ، وبالتاءِ علىٰ خطابِ النبيِّ ﷺ ونصبِ الـ«سبيل»، يقال: «استبان الأَمرُ» و «تبيَّنَ» و «اسْتَبَنْتُه» و «تَبيَّنْتُه»، والمعنىٰ: ومثلُ ذٰلِكَ التفصيلِ البيِّنِ ﴿نُفَصِّلُ﴾ آياتِ القرآنِ في صفةِ أَحوالِ مَن لايُرجىٰ إسلامُه، ومَن يُرىٰ فيه أَماراتُ القبولِ وتباشيرُ الإيمانِ، وَلِتَسْتَوضِحَ سَبِيلَهم فتُعامِلَ كلّاً منهم بما يجبُ أَن يُعامَلَ به فَصَّلْنا ذلك التفصيلَ.

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ (٥٦) قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِ مَاعِندِى مَاتَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَـٰصِلِينَ (٥٧) قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَاتَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّـٰلِمِينَ﴾ (٥٨)

﴿نُهِيتُ﴾ عن عبادةِ ماتَعْبُدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ أي: لاأجري علىٰ طريقتِكم الّتي سَلَكْتُمُوها من اتّباعِ الهوىٰ دونَ اتّباعِ الدليلِ ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً﴾ أي: إن اتَّبَعْتُ أَهواءَكم فأَنا ضالٌّ ﴿وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ السالكينَ

← لابن مجاهد: ص ٢٥٨. (١) انظر التبيان: ج ٤ ص ١٥٠.

(٢) قرأه عاصم برواية أبي بكر وحمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٥٨، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٤٨٨.

طريقَ الهُدىٰ، يعني: أنتّكم كذلك ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ أَي: إِنِّي من معرفة من ربِّي، وأَنّه لامعبودَ سواه علىٰ حجةٍ واضحةٍ ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ أَنتم حيثُ أَشْرَكْتُمْ به غيرَه، وإِذا كان الشيءُ ثابتاً عندَك ببرهانٍ قاطعٍ قلتَ: أَنَا علىٰ يقينٍ منه وعلىٰ بيِّنةٍ منه، وقيل: معناه: علىٰ حجَّةٍ من جهةِ ربِّي وهو القرآنُ[١] ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ أَي: بالبيِّنةِ، وذُكِّرَ الضميرُ علىٰ تأويلِ القرآنِ، ﴿مَاعِندِى مَاتَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ يعني: العذابَ الَّذي استعْجَلوه في قولِهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[٢]، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ في تأْخيرِ عذابِكم، يَقْضِي ﴿ٱلْحَقَّ﴾ أَي: القضاءَ الحقَّ في كلِّ مايَقضي من التأْخيرِ والتعجيلِ ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ أَي: القاضين، وقُرِئَ: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ أَي: يَتبَعُ الحقَّ والحكمةَ فيما يَحكُمُ به ويُقَدِّرُه، من قولِهم: قَصَّ أَثَرَه ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى﴾ أَي: في قدرتي ﴿مَاتَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ من العذابِ ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ لأَهْلَكتُكم عاجلاً غضباً لربِّي.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَايَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَافِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَاحَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَارَطْبٍ وَلَايَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٥٩) وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَاجَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٦٠)

الـ ﴿مَفَاتِحُ﴾ جمعُ مِفْتَحٍ وهو المِفتاحُ، وجعل سبحانه للغيب مَفاتِح علىٰ طريقِ الاستعارةِ؛ لأَنَّ بالمفاتِحِ[٣] يُتَوَصَّلُ إِلىٰ مافي المَخازِنِ المُغْلَقَةِ، أَراد أَنّه هو المُتوصِّلُ إِلىٰ جميعِ المغيباتِ بذاتِه وحدَه، لايَتَوَصَّلُ إِليها سواه كما يَتَوَصَّلُ إِلىٰ

(١) حكاه الزمخشري في كشّافه: ج ٢ ص ٣٠.
(٢) الأنفال: ٣٢.
(٣) في نسخة: بالمفتاح.

مافي المخازنِ مَن عندَه مَفاتحُ أَقفالِه، ﴿وَلَا حَبَّةٍ﴾ ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿وَرَقَةٍ﴾ وداخلٌ في حكمِها، أَي: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ ولاشيءٍ من هذه الأَشياءِ إِلَّا يَعْلَمُهُ، وقولُه: ﴿إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ كالتكريرِ لقولِه: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ لأَنَّ معنىٰ ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ و ﴿إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ واحدٌ، والكتابُ المُبينُ: علمُ اللهِ، أَو اللوحِ المحفوظُ، أَو القرآنُ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّـٰكُم بِالَّيْلِ﴾ أَي: يَقْبِضُ أَرواحَكم عن التَصرُّفِ بالنَومِ كما يَقْبِضُها بالموتِ[1] ﴿وَيَعْلَمُ مَاجَرَحْتُم﴾ أَي: كَسَبْتُمْ من الأَعمالِ ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾ من القبورِ ﴿فِيهِ﴾ أَي: في شأْنِ ذلك الَّذي قَطَعْتُمْ به أَعمارَكم من النَومِ بالليلِ وكسبِ الأَعمالِ بالنهارِ[2] ومن أَجله ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ وهو الأَجلُ الَّذي سمَّاه وضَرَبَه لبعثِ الموتىٰ وجزائِهم علىٰ أَعمالِهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ وهو المرجعُ إِلىٰ موقفِ الحسابِ ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في ليلِكم ونهارِكم، وقيل: ثُمَّ يَبْعَثُكم من نومِكم أَي: يُنَبِّهُكم في النهارِ لتَسْتَوفوا آجالَكم[3]، جَعَلَ سبحانه انتباهَهم من النَومِ بَعْثاً.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (٦١)

أَي: ﴿وَهُوَ﴾ المُقتدِرُ المُسْتَعْلي علىٰ عبادِه ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ﴾ ملائكةً ﴿حَفَظَةً﴾ يَحْفَظون أَعمالَكم وهم الكِرامُ الكاتبون، والفائِدةُ في ذلك أَنَّ العبادَ إِذا عَلِمُوا أَنَّ الملائِكَةَ يَحْفَظُون أَعمالَهم في صحائِفَ تُعْرَضُ علىٰ رُؤوسِ الأَشهادِ يومَ

(١) وهو اختيار الجبائي والزجّاج علىٰ ماحكاه عنهما الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٥٦، وراجع معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٥٧.

(٢) وهو اختيار الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٣٢.

(٣) قاله ابن جريج علىٰ ماحكاه عنه القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٦، وهو اختيار الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٥٨.

القيامةِ كان ذلك أَزْجرَ لهم عن القبيحِ ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ اسْتَوْفَتْ روحَه، وهم[١] مَلَكُ الموتِ وأَعوانُه[٢]، و﴿حَتَّىٰٓ﴾ هذه هي الَّتي للاستئْنافِ ومابعدَها جملةٌ، وقُرِئَ: «تَوَفَّاه» بالإمالةِ[٣]، ويجوزُ أَن يكونَ ماضياً وأَن يكونَ مضارعاً بمعنىٰ «تَتَوَفَّاهُ»[٤] ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ أَي: لايَتوانَوْن ولايَنْقُصون ممَّا أُمِرُوا به ولايَزيدون فيه، والتفريطُ: التقصيرُ والتأْخيرُ عن الحدِّ، والإِفراطُ: مُجاوَزَةُ الحدِّ.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ (٦٢) قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (٦٣) قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ (٦٤)

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أَي: إِلىٰ حكمِه وجزائِه ﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾ أَي: مالكهم الَّذي يَلي عليهم أُمورَهم ﴿ٱلْحَقِّ﴾ العدلِ الَّذي لايَحْكُمُ إِلَّا بالحقِّ ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يومئذٍ لاحكمَ فيه لغيرِه ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ لايَشْغَلُه حسابٌ عن حسابٍ ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ مجازٌ عن مَخاوِفِهما وأَهوالِهما، يقالُ لليومِ الشديدِ: يومٌ مُظْلِمٌ ذو كواكبَ، أَي اشتدَّت ظلمتُه حتَّى صارَ كالليلِ ﴿تَدْعُونَهُۥ﴾ متضرِّعين بأَلسنتِكم ومُسِرِّين في أَنفسِكم «لَئِنْ أَنجَيتنا» علىٰ إِرادةِ القولِ، أَي قائلين: إِنْ أَنْجَيْتَنا من هذهِ الظُّلمةِ والشدَّةِ، وقُرِئَ: ﴿يُنَجِّيكُمْ﴾ بالتشديدِ

(١) في نسخة: هو.

(٢) وهو قول الحسن علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ١٥٨.

(٣) قرأه حمزة. راجع التبيان: ج ٢ ص ١٥٨، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٠٢، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٤٩٠، وحجة القراءات لابن زنجلة: ص ٢٥٤، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٠٠.

(٤) وهي قراءة الأعمش. انظر إعراب القرآن للنحاس: ج ٢ ص ٧١، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٧.

والتخفيفِ[١]، و ﴿لَئِنْ أنجَنَا﴾، و ﴿خُفْيَةً﴾ بالضمِّ والكسرِ[٢] ﴿قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُم﴾ يُخَلِّصُكم مِن هذه الشدَّةِ ﴿وَمِن كُلِّ﴾ غَمٍّ ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ باللهِ بعدَ قيامِ الحجَّةِ عليكم.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (٦٥)

أَي: ﴿هُوَ ٱلْقادِرُ عَلَىٰٓ أَن﴾ يُرْسِلَ ﴿عَلَيْكُمْ عَذاباً مِّن فَوْقِكُمْ﴾ كما أَمْطَرَ علىٰ قومِ لوطٍ، وعلىٰ أَصحابِ الفيلِ الحجارةَ، وعلىٰ قومِ نوحٍ الطُّوفانَ ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كما أَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وخَسَفَ بقارونَ[٣]، وقيل: ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ من قِبَلِ أَكابِركم وسلاطينِكم الظَلَمَةِ وَ ﴿مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ من قِبَلِ سِفْلَتِكم وعبيدِكم[٤]، وقيل: هو حبسُ المَطَرِ والنباتِ[٥] ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾ أَي: يَخْلِطَكم فِرَقاً مُختلِفِي الأَهواءِ، كلُّ فرقةٍ منكم مشايعةٌ لإمامٍ، ومعنىٰ خلطِهم: أَن يَختلِطوا ويَشْتَبِكُوا في ملاحِمِ القتالِ ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ أَي: يقتلَ بعضُكم

---

(١) قرأه يعقوب وعلي بن نصر. انظر التبيان: ج ٤ ص ١٦٠، وتفسيرالبغوي: ج ٢ ص ١٠٣، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ١٥٠.

(٢) وهي قراءة أبي بكر عن عاصم. راجع التبيان: ج ٤ ص ١٦٠، واعراب القرآن للنحاس: ج ٢ ص ٧٢، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٠٣، والتيسير في القراءات للداني: ص ١٠٣، والسبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٥٩.

(٣) وهو قول مجاهد وابن جبير. راجع تفسير القرطبي: ج ٧ ص ٩، وهو اختيار الزجّاج: ج ٢ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

(٤) قاله ابن عبّاس ومجاهد علىٰ ماحكاه عنهما البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٠٤، والقرطبي أيضاً في تفسيره: ج ٧ ص ٩، وحكاه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٦٣ روايةً عن أبي عبدالله عليه السلام.

(٥) حكاه الزمخشري في كشّافه: ج ٢ ص ٣٣.

بعضاً، ونحوه قولُه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضاً﴾ [١] قال الصادقُ عليه السلام: «هو سوءُ الجِوارِ» [٢]، والمعنىٰ في الآيةِ: الوعيدُ بأَحدِ أَصنافِ العذابِ المعدودةِ.

وفي الحديثِ: «إِذا وُضِعَ السيفُ في أُمَّتي لم يُرْفَعْ عنها إِلىٰ يومِ القيامةِ» [٣].

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (٦٦) لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧) وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَاتَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٦٨) وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَـٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٦٩)

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ الضميرُ للعذابِ [٤] ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أَي: لابدَّ أَن يَنْزِلَ بهم ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ بحفيظٍ، أَي: وُكِلَ إِليَّ أَمرُكم أَمْنَعُكم من التكذيبِ إِجباراً، إِنَّما أَنَا مُنذِرٌ ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أَي: لكلِّ شيءٍ يُنَبَّأُ به ويُخْبَرُ وقتُ استقرارٍ وحصولٍ لابدَّ منه، وقيل: الضميرُ في ﴿بِهِ﴾ للقرآنِ [٥] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ﴾ الاستهزاءِ بآياتِنا والطعنِ فيها ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فلاتُجالِسْهم [٦] وقُمْ عنهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ فلابأْسَ أَن تُجالِسَهم حينئذٍ ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ النهيَ عن مُجالَسَتِهم ﴿فَلَاتَقْعُدْ﴾ معهم ﴿بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾،

---

(١) الأنعام: ١٢٩. (٢) التبيان: ج ٤ ص ١٦٣.

(٣) تفسير الطبري: ج ٥ ص ٢٢١ قطعة ح ١٣٣٧١، سنن البيهقي: ج ٩ ص ١٨١، تفسير ابن كثير: ج ٢ ص ١٣٥، الدر المنثور: ج ٣ ص ٢٨٥.

(٤) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٢٦.

(٥) قاله الحسن والسدي. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٢٨، والفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ١٦٦، وحكى الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٦٣ هذا القول ونسبه الى الأزهري.

(٦) في بعض النسخ: فلا تجادلهم.

ويَجوزُ أَن يُرادَ: وإِن أَنساك الشيطانُ قبلَ النهي قبحَ مُجالَسَتِهم فلاتَقْعُدْ معهم بعدَ أَن ذَكَّرْناك قبحَها ونَبَّهْناك عليه[1] [2] ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أَي: ومايَلْزَمُ المتَّقين الَّذين يُجالِسونهم شيءٌ ممَّا يُحاسَبون عليه من ذنوبِهم ﴿وَلَـٰكِن﴾ عليهم أَن يُذَكِّروهم ﴿ذِكْرَىٰ﴾ إِذا سَمِعوهم يَخوضون فيها بأَن يَقوموا عنهم ويُظْهِروا الكَراهيةَ لهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يَجتنِبون الخوضَ كراهيةً لمساءَتِهم أَو حياءً، ويَجوزُ أَن يكونَ ﴿ذِكْرَىٰ﴾ رفعاً[3] علىٰ: ولكن عليهم ذِكْرىٰ.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَـوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللهِ وَلِيٌّ وَلَاشَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّايُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ (٧٠)

﴿ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ﴾ الَّذي كُلِّفُوه ودُعوا إِليه وهو دينُ الإِسلامِ ﴿لَعِباً وَلَهْواً﴾ حيثُ سَخِرُوا به واسْتَهْزَأوا منه، ومعنىٰ «ذَرْهم»: أَعْرِضْ عنهم ولاتُبالِ بتكذيبِهم واستهزائِهم ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ أَي: بالقرآنِ ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أَي: مخافةَ أَن تُسْلَمَ نفسٌ إِلى الهلاكِ والعذابِ، وتُرْتَهَنَ بسوءِ كسبِها ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ أَي:

---

(١) وهو قول القرطبي في تفسيره: ج ٧ص ١٤، والهمداني في الفريد: ج ٢ ص ١٦٧.

(٢) قال الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ١٦٥: واستدلّ الجبائي بالآية علىٰ أنّ الأنبياء يجوز عليهم السهو والنسيان قال بخلاف مايقوله الرافضة بزعمهم أنّه لايجوز عليهم شيء من ذلك. وهذا ليس بصحيح؛ لأنّا نقول: إنّما لايجوز عليهم السهو والنسيان فيما يؤدّونه عن الله، فأمّا غير ذلك فانّه يجوز أن ينسوه أو يسهو عنه ممّا لم يؤد ذلك الى الاخلال بكمال العقل، وكيف لايجوز عليهم ذلك وهم ينامون ويمرضون ويُغشىٰ عليهم، والنوم سهو، وينسون كثيراً من متصرفاتهم أيضاً وماجرىٰ لهم فيما مضىٰ من الزمان، والذي ظنّه فاسد.

(٣) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ٢ ص ٣٥، والفريد في اعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ١٦٧ ـ ١٦٨.

وَإِن تَفْدِ كلَّ فداءٍ ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً﴾، ﴿ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ﴾ أي: أُسْلِمُوا إلى الهلاكِ ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ بكسبِهم وعملِهم.

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٧١) وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٧٢)

أي: ﴿أَ﴾ نَعْبُدُ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا﴾ إن عَبَدْناه ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ إن تَرَكْنا عبادتَه ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ راجعين عن دينِنا الَّذي هو خيرُ الأَديانِ ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ له ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كالَّذي ذَهَبَتْ به مَرَدَةُ الجنِّ والغيلانُ في المَهامِهِ[1]، والاستهواءُ استفعالٌ من هَوَىٰ في الأَرْضِ: إذا ذَهَبَ، كأَنَّ المعنىٰ: طَلَبَتْ هُوِيَّه[2]، ومَوضِعُ الكافِ نصبٌ على الحالِ من الضميرِ في ﴿نُرَدُّ﴾، أَي: أَنَنْكُصُ مُشبِهين مَن ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾، ﴿حَيْرَانَ﴾ لا يَهتدِي إلىٰ طريقٍ، تائِهاً ضالّاً ﴿لَهُۥٓ﴾ أي: لهذا المستهوي ﴿أَصْحَـٰبٌ﴾ رِفْقَةٌ ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ أَي: إلى الطريقِ المُسْتَوِي، أَو إلىٰ أَن يَهْدوه الطريقَ[3] المستقيمَ، يَقولون له: ﴿ٱئْتِنَا﴾ وقد اعْتَسَفَ التيهَ تابعاً للجنِّ لا يُجيبُهم ولا يأْتيهم، وهذا مبنيٌّ علىٰ ما تَزْعُمُه العربُ أَنَّ الجنَّ تَسْتَهْوِي الإِنسانَ والغيلانَ كذلك، فشُبِّهَ به الضالُّ عن

(١) المهامه جمع المهمه والمهمهة: أي المفازة البعيدة والبلد المقفر. (القاموس المحيط: مادة مَهَّ).

(٢) الهوى مصدر هوى هوياً ـ لاهوي هوىً ـ ومعناه: ذهب في الأرض هوياً. (راجع القاموس المحيط: مادة هوى).

(٣) في بعض النسخ: الصراط.

الإسلامِ الَّذي لايَلْتَفِتُ إلىٰ دعاءِ المسلمين إيَّاه ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ وهو الإسلامُ ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وحدَه وماسواه ضلالٌ ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أَي: أُمِرْنا لأَن نُسْلِمَ ولأَن أَقيموا الصلاةَ، بمعنىٰ للإِسلامِ ولإِقامةِ الصلاةِ، ومعنى اللامِ التعليلُ للأَمرِ، وتقديرُه: أُمِرْنا، وقيلَ لنا: «أَسْلِموا» لأَجلِ أَن نُسْلِمَ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيُجازي كلَّ عاملٍ منكم بعملِه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (٧٣)

﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ مبتدأٌ و ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ خبرُه مقدَّماً عليه كما تقول: يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْقتالُ، واليومُ بمعنَى الحينِ، أَو يكونُ ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ مبتدأً وخبراً و ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ ظرفاً، والمعنىٰ: وهو الَّذي خَلَقَ السماواتِ وَالأَرْضَ قائِماً بالحقِّ والحكمةِ، وحينَ يقولُ لشيءٍ من الأَشياءِ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ ذلك الشيءُ ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ والحكمةُ، أَي: لايُكَوِّنُ شيئاً من السماواتِ والأَرضِ وسائِرِ المُكَوَّناتِ إلَّا عن حكمةٍ وصوابٍ، و ﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾ ظرفٌ لقولِه: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ كقولِه: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾[1]، ويجوزُ أَن يكونَ ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ فاعلَ «يَكُونُ» علىٰ معنىٰ: وحينَ يَقولُ لقولِه الحقِّ أَي: لقضائِه الحقِّ: ﴿كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾، ويَنْتَصِبُ[2] ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ بمحذوفٍ دلَّ عليه قولُه: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ كأَنَّه قيل: ويوم يُكَوِّنُ ويُجَدِّدُ الخلقَ يقومُ بالحقِّ، ﴿وَ﴾ وَجَبَ ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ في اليومِ الَّذي فيه ﴿يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ ولايَبْقىٰ

---

(١) غافر: ١٦.

(٢) في انتصاب «يوم» خمسة أوجه مذكورة بالتفصيل في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ١٧٢ فراجع.

لأحدٍ فيه ملكٌ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ بدلاً من ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ والصُّورُ: قَرنٌ يَنْفُخُ فيه إسرافيلُ نَفْخَتَيْن فيَفْنَى الخـلقُ بـالنفخةِ الأُولىٰ ويَـحْيَوْنَ بالثانيةِ[١]، وعن الحسنِ أنّه جمعُ صورةٍ[٢] ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ رفع على المدحِ.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ (٧٤) وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ (٧٥)

وَقُرِئَ: «آزَرُ» بالضمِّ[٣] على النداءِ، ولاخلافَ بينَ النَّسّابينَ أَنَّ اسمَ أَبـي إبراهيمَ تارَحُ[٤]، قال أَصحابُنا: إنّ آزرَ كان اسمَ جدِّ إبراهيمَ لأُمِّه[٥]؛ ورُوِيَ أيضاً أَنّه كان عمَّه[٦]؛ وقالوا: إنَّ آباءَ نبيِّناﷺ إلىٰ آدمَ كـانوا مـوحِّدين[٧]، ورَوَوْا

(١) وعليه أكثر المفسّرين، وهو الذي اختاره البلخي والجبائي والزجّاج والطبري علىٰ ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٧٤.

(٢) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٠٧، والقرطبي أيضاً: ج ٧ ص ٢٠ ـ ٢١، واختاره أبوعبيدة علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٧٤، وانظر مجاز القرآن: ج ١ ص ١٩٦.

(٣) وهي قراءة ابن عبّاس والحسن ومجاهد علىٰ ماحكاه عنهم أبو حيان في البحر المحيط: ج ٤ ص ١٦٤، وفي التبيان: ج ٤ ص ١٧٥: هي قراءة أبي بريد المدني والحسن البصري ويعقوب. وانظر التذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٠١.

(٤) قال النحاس في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٧٦ مالفظه: تكلّم العلماء في هذا فقال الحسن: كان اسم أبيه آزر، وقيل: كان له اسمان آزر وتارح، وروى المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: بلغني انّها أعوج قال: وهي أشدّ كلمة قالها إبراهيم لأبيه، وقال الضحّاك: معنى آزر: شيخ. انتهىٰ. وقال الزجّاج: وليس بين النسّابين خلاف أنّ اسم أبي إبراهيم «تارح» والذي في القرآن يدلّ علىٰ أنّ اسمه آذر، وقيل: آذر عندهم ذمّ في لغتهم. انظر معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٦٥.

(٥) التبيان: ج ٤ ص ١٧٥.

(٦) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٠٣، وعنه البحار: ج ١٢ ص ٤٢ ح ٣١.

(٧) التبيان: ج ٤ ص ١٧٥.

عنه عليه السلام أنَّه قالَ: «لم يَزَلْ يَنقُلُني اللهُ تعالىٰ من صُلبِ[1] الطاهرين إلىٰ أرحامِ المطهَّراتِ، لم يُدنِّسْني بدَنَسِ الجاهليَّةِ»[2]، وقد قيل: إنَّ آزرَ اسمُ صنمٍ[3] فيجوزُ أن يُنبَزَ[4] به للزومِه عبادتَه، والهمزةُ في ﴿أَتَتَّخِذُ﴾ للإنكارِ، وقولُه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ من بعدُ عطفٌ علىٰ ﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ وقولُه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ جملةٌ اعتراضيَّةٌ بينَ المعطوفِ والمعطوفِ عليه، والمعنىٰ: ومثلُ ذلك التعريفِ نُعَرِّفُ به إبراهيمَ ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني: الربوبيَّةَ والإلٰهيَّةَ ونُوَفِّقُه لمعرفتِها ونَهْديه لطريقِ النظرِ والاستدلالِ ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ فَعَلْنا ذلكَ، و ﴿نُرِىٓ﴾ حكايةُ حالٍ ماضيةٍ.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (٧٩)

كانَ القومُ يَعبُدونَ الأَصنامَ والشمسَ والقمرَ والكواكبَ، فأَرادَ أَن يُنبِّهَهم علىٰ خطائِهم ويُرْشِدَهم ويُبَصِّرَهم طريقَ النظرِ والاستدلالِ لِيَعْرِفوا أَنَّ شيئاً منها لايصحُّ أَن يكونَ إلٰهاً؛ لوضوحِ دَلالةِ الحدوثِ فيها[5] ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ قولُ من

(١) في نسخة: أصلاب.
(٢) الحاوي للفتاوى للسيوطي: ج ٢ ص ٣٦٨.
(٣) وهو قول مجاهد علىٰ ماحكاه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٣٤.
(٤) النبز ـ بالفتح ـ: اللمز. (القاموس المحيط: مادة نبز).
(٥) انظر تنزيه الأنبياء للشريف المرتضىٰ: ص ٢٠ ـ ٢٢.

يُنْصِفُ خصمَه مع علمِه أنّه مبطِلٌ فيَحْكي قولَه ـ كما هو ـ غيرَ مُتَعَصّبٍ لمذهبِه ليكونَ ذلك أدعى إلى الحقِّ وأرفع للشغْبِ، ثمَّ يُبْطِلُه بعدُ بالحجَّةِ في قولِه: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ﴾ أي: لا أُحِبُّ عبادةَ الأَربابِ المُحتَجِبين بحجابٍ، المتغيِّرين من حالٍ إلىٰ حالٍ، المنتقلين[١] من مكانٍ إلىٰ مكانٍ، فإنَّ ذلك من صفاتِ الأَجسامِ ودلائِلِ الحدوثِ، وقولُه: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى﴾ تنبيهٌ لقومِه علىٰ أَنَّ من اتَّخَذَ القمرَ إلـٰهاً وهو آفلٌ مثلُ الكواكبِ يكونُ ضالاًّ، وأَنَّ الهدايةَ إلى الحقِّ تكونُ بتوفيقِ اللهِ تعالىٰ ولطفِه، وقولُه: ﴿هَـٰذَآ أَكْبَرُ﴾ أَيضاً من بابِ استعمالِ الإِنصافِ مع الخصومِ، ثمَّ قال: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ من الأَجرامِ الَّتي تَجْعَلونها شركاءَ لخالِقِها، وأَمَّا وجهُ التذكيرِ في قولِه: ﴿هَـٰذَا رَبِّى﴾ مع أَنَّ الإِشارةَ للشمسِ فهو أَنَّه جُعِلَ المبتدأُ مثلَ الخبرِ لكونِهما عبارةً عن شيءٍ واحدٍ، كقولِهم: مَنْ كانَتْ أُمَّكَ، وليصونَ الربَّ عن شُبهةِ التأْنيثِ، أَلا تَراهُم لم يقولوا: اللهُ ـ سبحانه ـ علّامَةٌ وإِن كان «العلّامةُ» أَبلغَ من «علّام» لهذا المعنىٰ ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أَي: للَّذي دلَّت هذه المُحْدَثاتُ علىٰ أَنَّه صانعُها ومُبْدِعُها الَّذي دبَّرَ أَحوالَها: مسيرَها وانتقالَها وطلوعَها وأُفولَها[٢]، وقيل: إِنَّ هذا كان استدلالَه في نفسِه في زمانِ مهلةِ النظرِ وخطورِ الخاطرِ الموجِبِ عليه الفكرَ فحكاه اللهُ سبحانه[٣]، والأَوَّلُ أَظهرُ؛ لقولِه: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى﴾ وقولِه: ﴿يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

---

(١) في نسخة: المنقلبين.

(٢) وهو اختيار الجبّائي، لكنّه قال: انّما كان قبل بلوغه ـ إبراهيم عليه السلام ـ وقبل كمال عقله ولزوم التكليف له، غير أنّه لمقاربته كمال العقل خطرت له الخواطر وحرّكته الشبهات والدواعي على الفكر فيما يشاهده من هذه الحوادث. راجع التبيان: ج ٤ ص ١٨٢.

(٣) وهو قول البلخي علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ١٨٢ ـ ١٨٣.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢)

كان القومُ حاجُّوه وخاصَموه في الدينِ وفي التوحيدِ وتركِ عبادةِ آلِهَتِهِم مُنكِرين لذلك، فـ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ـي إلى التوحيدِ ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ لأنَّهم قد خوَّفوه أنَّ آلِهَتَهُم تُصيبُه بمكروهٍ ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ إلَّا وقتَ مشيئةِ ربِّي شيئاً يُخافُ فُحذِفَ الوقتُ، أَي: لاأخافُ معبوداتِكم في وقتٍ قطُّ[1] لأنَّها لاتَقْدِرُ علىٰ نفعٍ وضرٍّ إلَّا إذا شاءَ ربِّي أَن يُصيبنَي بمخوفٍ من جهتِها، مثلُ أَن يَرْجُمَني بكوكبٍ أَو يشاءُ الإِضرارَ بي ابتداءً ﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ فلايُسْتَبْعَدُ أَن يكونَ في علمِه إنزالُ مَخوفٍ بي ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتُميِّزُوا بينَ القادرِ والعاجزِ ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ﴾ لتخويفِكم شيئاً لايَتعَلَّقُ به ضررٌ ﴿وَ﴾ أنتم ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ مايَتعَلَّقُ به كلُّ خوفٍ وهو إشراكُكم ﴿بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ﴾ بإِشراكه ﴿سُلْطَٰنًا﴾ أَي: حجَّةً، إذ لايصحُّ أَن يكونَ عليه حجَّةٌ، فكأنَّه قالَ: ومالكم تُنْكِرون عليَّ الأَمنَ في موضِعِ الأَمنِ ولاتُنكِرون علىٰ أَنفسِكم الأَمنَ في موضِعِ الخوفِ ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ يعني: فريقَ المشركين وفريقَ المُوحِّدين ﴿أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ ثمَّ اسْتأْنَفَ الجوابَ عن السُّؤالِ بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟

(١) انظر تفصيل أوجه «قط» وحالات إعرابها في مغني اللبيب: ص ٢٣٣.

﴿إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي: بمعصيةٍ، وعن ابنِ عبّاسٍ هو الشركُ[١] لقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٢]، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ من اللهِ ﴿وَهُم﴾ محكومٌ لهم بالاهتداءِ.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ (٨٦) وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٨٧)

﴿وَتِلْكَ﴾ إشارةٌ إلىٰ جميعِ مااحْتَجَّ به إبراهيمُ عليه السلام علىٰ قومِه، من قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٣]، ﴿ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: أَرْشَدْناه إليها وأَخْطَرْناها ببالِه ﴿نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ في العلمِ والحكمةِ، وقُرِئَ بالتنوينِ[٤] أي: نَرْفَعُ مَن نشاءُ درجاتٍ، كقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ﴾[٥]، ﴿وَوَهَبْنَا﴾ لإبراهيمَ ﴿إِسْحَـٰقَ﴾ ابنَه ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ابنَ إسحاقَ ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ إلى النبوّةِ ونيلِ الكَراماتِ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ الضميرُ لنوحٍ[٦] أو لإبراهيمَ[٧]

(١) تفسير ابن عبّاس: ص ١١٤. (٢) لقمان: ١٣.
(٣) الآية: ٧٦ ـ ٨٢.
(٤) وهي قراءة أهل الكوفة ويعقوب. راجع التبيان: ج ٤ ص ١٩١، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١١٢، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٤٩٨.
(٥) البقرة: ٢٥٣.
(٦) وهو قول الفراء واختاره الطبري وغير واحد من المفسّرين كالقشيري وابن عطية وغيرهم علىٰ ماحكاه عنهم القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٣١.
(٧) وهو قول الضّحاك علىٰ ماحكاه عنه السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٤٩٩، واختاره ←

﴿دَاوُودَ﴾ أي: وهدَيْنا داوُدَ ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ في موضِعِ النصبِ عطفاً علىٰ ﴿كُلًّا﴾ بمعنىٰ: وفضَّلْنا بعضَ آبائِهم ﴿وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ﴾، ﴿وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ﴾ اصْطَفَيناهم[1].

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٨٨) أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ (٨٩) أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ (٩٠)

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلىٰ ماتَقَدَّمَ من التفضيلِ والاجتباءِ ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ ممَّن لم يُسَمِّهِم في هذِهِ الآياتِ ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ﴾ مع فَضلِهم وتَقدُّمِهم ومارُفِعَ لَهُم من الدرَجاتِ لَحَبِطَتْ أعمالُهم وكانُوا كغيرِهم في ذلك، ونحوُه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[2]. ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ﴾ أَعْطَيْناهم ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يُريدُ به الجنسَ ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ بينَ الناسِ، وقيل: الحكمةَ[3] ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ بالكتابِ والحكمِ وَالنُبوَّةِ أو بالنبوَّةِ ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: أَهلَ مكَّةَ ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً﴾ وهم الأنبياءُ الَّذين جرَىٰ ذكرُهم ومَن تابَعَهم آمَنوا بما أَتَىٰ به نبيُّناعليه السلام قبلَ

← الزجّاج علىٰ ماحكاه الشيخ في التبيان وقال: قال أبو علي الجبّائي: الهاء لايجوز أن تكون كناية عن إبراهيم؛ لأنّ في من عدّد من الأنبياء لوطاً وهو كان ابن اخته، وقيل: ابن أخيه، ولم يكن من ذرّيته. وهذا الذي قاله ليس بشيء؛ لأنّه لايمنع أن يكون غلب الأكثر، وجميع من ذكر من نسل إبراهيم، علىٰ أنّه قال فيما روىٰ عنه ابن مسعود: إنّ الياس: إدريس، وهو جدّ نوح، ولم يكن من ذرّيته، ومع هذا لم يطعن علىٰ قول من قال: إنّها كناية عن نوح. انظر التبيان: ج ٤ ص ١٩٤.

(١) قال الشيخ الطوسي رحمه الله: وفي الآية دلالة علىٰ أنّ الحسن والحسين من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ عيسىٰ جعله الله من ذرّية إبراهيم أو نوح، وإنّما كانت أمّه من ذرّيتهما. راجع التبيان: ج ٤ ص ١٩٥.

(٢) الزمر: ٦٥.

(٣) قاله الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٤٣.

وقتِ مبعثِه(١)، وقيل: هم كلُّ مَن آمَنَ بالنبيِّ عليه السلام(٢)، وقيل: هم الأنصارُ(٣).
ومعنىٰ تَوكيلِهم بها: أنَّهم وُفِّقُوا للإيمانِ بها كما يُوَكَّلُ الرجلُ بالشيءِ ليقومَ به ويَتعَهَّدَهُ، والباءُ في ﴿بِهَا﴾ صلةُ ﴿يَكْفُرْ﴾ وفي ﴿بِكَٰفِرِينَ﴾ لتأكيدِ النفي ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ أي: فاختصّ هُداهم بالاقتداءِ ولاتَقْتَدِ إلَّا بهم، ففي تقديمِ المفعولِ هذا المعنىٰ، ويُريدُ بهداهم طريقَتَهم في الإيمانِ باللهِ وتوحيدِه وعدلِه، وفي أُصولِ الدينِ دونَ الشرائعِ فإنَّها يَتطَرَّقُ إليها النَسخُ فهي هدىً مالم تُنْسَخْ، والهاءُ في ﴿ٱقْتَدِهْ﴾ للوقفِ(٤) ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: لاأَطْلُبُ منكم علىٰ تبليغِ الرسالةِ جُعْلاً كما لم تَسْأَله الأَنبياءُ قبلي فإنَّه يُنَفِّرُ عن القبولِ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ فيه دليلٌ علىٰ أَنَّ نبيناعليه السلام مبعوثٌ إلىٰ كافَّةِ العالَمين، وأَنَّ النُبوَّةَ مختومةٌ به.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ

(١) وهو قول الحسن وقتادة، واختاره الزجّاج والطبري والشوكاني والبيضاوي والزمخشري. راجع تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٥٨، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٤٠، ومعاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٢٧٠، وزاد المسير لابن الجوزي: ج ٣ ص ٨١، وتفسير البيضاوي: ج ٢ ص ١٨٣، والكشّاف: ج ٢ ص ٤٣.

(٢) قاله ابن زيد علىٰ ماحكاه عنه الرازي في تفسيره: ج ١٣ ص ٦٨.

(٣) قاله سعيد بن جبير علىٰ ماحكاه عنه السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٤٩٩، وحكاه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١١٤ ونسبه الى ابن عبّاس ومجاهد، واختاره القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٣٥.

(٤) وعليه الجمهور إلّا ابن عامر وابن ذكوان بكسر الهاء وصلتها. قال النحّاس: وهذا لحن؛ لأنّ الهاء لبيان الحركة في الوقف وليست بهاء اضمار ولابعدها واو ولاياء أيضاً. انظر إعراب القرآن: ج ٢ ص ٨١ ـ ٨٢، و التيسير في القراءات للداني: ص ١٠٥، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ١٧٦.

﴿قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَّالَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٩١)

أي: ماعَرَفُوه حقَّ معرفتِه، وماعَظَّمُوه حقَّ عَظَمَتِه، وماوَصَفُوه بما يـجبُ أَن يوصَفَ به من الرحمةِ علىٰ عبادِه واللطفِ بهم حينَ ﴿قَالُواْ مَآأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ فأَنكروا بعثةَ الرسلِ والوحي إِليهم، وذلك من أَعـظمِ رحـمتِه وأَجـلِّ أَلطافِه، وإِنَّما قالَه اليهودُ مبالغةً في إِنكارِ نزولِ القرآنِ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فأُلْزِمُوا مالابدَّ لهم من الإِقرارِ به من إِنزالِ التـوراةِ عـلىٰ مـوسىٰ، وأُدْرِجَ تـحتَ الإِلزامِ توبيخُهم وذمُّهم بتحريفِهم للتوراةِ وإِبداءِ بعضِها وإِخفاءِ بـعضٍ فـقيل: ﴿جَآءَ بِـهِ مُوسَىٰ نُوراً﴾ يُسْتَضاءُ به فِي الدينِ ﴿وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ يَـهتَدون بـه ﴿تَـجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾ وَرَقاتٍ مُتفرِّقَةً لِيَتَمكَّنوا ممَّا حاوَلوه من الإِبـداءِ والإِخـفاءِ، وقُـرِئَ: ﴿تَجْعَلُونَهُ﴾ بالتاءِ والياءِ، وكذلك ﴿تُـبْدُونَهَا﴾ و ﴿تُـخْفُونَ﴾[١]، و ﴿عُـلِّمْتُم﴾ خطابٌ لليهودِ[٢]، أَي: عُلِّمْتُمْ علىٰ لسانِ محمَّدٍ ﷺ ممَّا أُوحِيَ إِليه ﴿مَّالَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ﴾ مع أَنـَّكم حَمَلَةُ التوراةِ ﴿وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ أَي: ولم يَعْلَمْه آباؤُكم الَّذين كانوا قبلكم وهم أَعلمُ منكم، ونحوُه: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[٣]، ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أَنْزَلَه ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ﴾ أَي: في باطِلهم الَّذي يَخوضون فيه، و ﴿يَلْعَبُونَ﴾ حالٌ من ﴿ذَرْهُمْ﴾ أَو من ﴿خَوْضِهِمْ﴾، ويجوزُ أَن يكونَ ﴿فِي خَوْضِهِمْ﴾ حالاً من ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أَي: خائِضين في الباطِلِ،

---

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. انظر التبيان: ج ٤ ص١٩٨، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١١٤، وتفسير السمرقندي: ج١ ص ٥٠٠، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٠٤.

(٢) وهو اختيار الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٢ ص ١٩٩ وقال: وهـذا الذي اخـترناه قـول مجاهد والطبري والجبّائي.

(٣) النمل: ٧٦.

ويجوزُ أَن يكونَ صلةً لـ ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أَو لـ ﴿ذَرْهُمْ﴾ [١].

﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٩٢)

يعني: القرآن ﴿مُبَارَكٌ﴾ كثيرُ المنافعِ والفوائدِ، قِراءَتُه خيرٌ، والعملُ به خيرٌ، وفيه علمُ الأَوَّلينَ والآخِرينَ، وفيه الحلالُ والحرامُ، وهو باقٍ إِلىٰ آخِرِ التكليفِ لايَرِدُ عليه نسخٌ ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من التوراةِ والإِنجيل وغيرِهما ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ معطوفٌ علىٰ مادلَّ عليه صفةُ ﴿كِتَـٰبٌ﴾ كأَنّه قيل: للبَرَكاتِ ولتصديقِ ماتَقَدَّمَه من الكتبِ وللإِنذارِ [٢]، وقُرِئَ: ﴿لِتُنْذِرَ﴾ بالتاءِ والياءِ [٣]، وسُمِّيَت مكَّةُ أُمَّ القرىٰ لأَنَّها مكانُ ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [٤] ولأَنّها قبلةٌ لأَهلِ القرىٰ ومَحَجُّهم، ولأَنّها أَعْظَمُ القرىٰ شأْناً، ولأَنَّ الأَرضَ بأسرِها [٥] دُحِيتْ من تَحتِها فكأَنَّها تَوَلَّدَتْ منها [٦] ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ يُصَدِّقُونَ ﴿بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ ويخافونها ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أَي: بالقرآنِ [٧]، وذلك أَنَّ أَصلَ الدينِ خوفُ العاقبةِ فمَن خافَها يَحمِلُهُ الخوفُ علىٰ أَن يُؤْمِنَ. وخَصَّ الصلاةَ بالذكرِ من بينِ سائِرِ الفرائِضِ لأَنّها

---

(١) راجع تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ١٨٩.

(٢) وهو قول الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٧١.

(٣) قرأه أبو بكر عن عاصم. راجع التبيان: ج ٤ ص ٢٠١، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١١٥، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٥٠١، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦٣.

(٤) آل عمران: ٩٦.

(٥) في بعض النسخ: كلّها.

(٦) راجع وجوه تسميتها بذلك في تفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٤٢ تجد تفصيله.

(٧) قال الشيخ الطوسي ﷺ: ويحتمل أن يكون كناية عن محمّد ﷺ ـ كما عليه الفراء والقرطبي ـ لدلالة الكلام عليه، وهذا يقوي مذهبنا في أنّه لايجوز أن يكون مؤمناً ببعض ماأوجب الله عليه دون بعض. انظر التبيان: ج ٤ ص ٢٠١.

عمادُ الدينِ، ومَن حافَظَ عليها كانَتْ له لطفاً في المُحافَظَةِ علىٰ أخواتِها.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٩٣)

﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً﴾ فزَعَمَ أنَّ اللهَ بَعَثَه نبيّاً وهو مُسَيْلِمَةُ الكذّابُ[١].

ورُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «رَأَيْتُ فيما يَرَى النائِمُ كأَنَّ في يَدَيَّ سِوارَيْنِ من ذَهَبٍ فكَبُرا عَلَيَّ وَأَهَمَّاني، فأَوحَى اللهُ إِلَيَّ أن أنفُخَهما، فنَفَخْتُهما، فطارا عنِّي، فأَوَّلْتُهما الكذّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أنَا بينَهما: كذّابَ اليَمامةِ: مُسَيْلِمَةَ، وكذّابَ صنعاءَ: الأَسودَ العَنْسيَّ»[٢] [٣].

---

(١) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، ولد ونشأ باليمامة في القرية المسماة اليوم بالجبيلة بقرب العيينة بوادي حنيفة في نجد، قدم على النبيّ ﷺ مع وفد بني حنيفة، إلّا أنّه تخلّف مع الرحال خارج مكة، فأسلم الوفد وأسلم معهم، ولمّا عاد الى دياره ارتدّ، وأكثر من وضع أسجاع يضاهي بها القرآن، قتله خالد في عهد أبي‌بكر حينما هاجم ديار بني حنيفة سنة ١٢ هـ، وكان من المعمّرين. (شذرات الذهب ج ١: ص٢٣، الأعلام للزركلي: ج ٧ ص ٢٢٦.

(٢) هو عيهلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي، قيل: إنّه كان أسود الوجه فسمّي الأسود للونه، متنبئ مشعوذ، من أهل اليمن، أسلم لمّا أسلمت اليمن، وارتدّ في أيام النبيّ ﷺ فكان أول مرتدٍّ في الاسلام، وادّعى النبوة، وأرىٰ قومه أعاجيب استهواهم بها، فأتبعته مذحج، وتغلّب علىٰ نجران وصنعاء، واتّسع سلطانه حتىٰ غلب علىٰ مابين مفازة حضرموت الى الطائف الى البحرين والاحساء الىٰ عدن، قتل قبل وفاة النبي ﷺ بخمسة أيام، وكان ظهوره في سنة ١٠ هـ، فكانت مدّة أمره من أوله الىٰ مقتله سنة ١١ هـ ثلاثة أشهر فقط. (الأعلام للزركلي: ج ٥ ص ١١١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٣٦).

(٣) سنن الترمذي: ج ٤ ص٥٤٢ ح٢٢٩٢، مستدرك الحاكم: ج ٤ ص٣٩٨، تفسير البغوي: ←

﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ هو عبدُ اللهِ بنُ سعدِ ابنِ أَبي سَرْحٍ، وقيل: هو النضْرُ بنُ الحارثِ[١]، والمستهزئون قالوا: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ﴾[٢]، ﴿غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ شدائِدِه وسَكَراتِه، وأَصلُ الغَمْرَةِ مايَغْمِرُ من الماءِ فاستُعيرت للشدَّةِ الغالبةِ ﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ يَبْسُطُون إِليهم أَيديَهم يقولون: هاتوا أَرواحَكم أَخرِجوها إِلينا من أَجسادِكم، وهذه عبارةٌ عن العُنفِ في السياقِ[٣] والتغليظِ والإِرهاقِ[٤] في الإِزهاقِ[٥] فعلَ الغريمِ المُلِحِّ يَبْسُطُ يدَه إِلىٰ من عليه الحقُّ ويقولُ له: أَخْرِجْ إِليَّ مالي عليك، وقيل: معناه: باسِطُوا أَيديهم عليهم بالعذابِ[٦] ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ خلِّصوها من أَيدينا، أَي: لاتَقْدِرُون علىٰ الخلاصِ ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ يعني: وقتَ الإِماتةِ، أَو الوقتَ الَّذي يَلْحَقُهم فيه العذابُ في البَرْزَخِ والقيامةِ، و﴿ٱلْهُونِ﴾ الهَوانُ الشديدُ، وإِضافةُ العذابِ إِليه كقولِك: رجلُ سُوءٍ، تُريدُ التمكُّنَ في الهَوانِ وأَنَّه عريقٌ فيه ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ فلا تُؤْمِنون بها.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَانَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّـهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ

← ج ٢ ص ١١٥.

(١) وهو قول الحكم عن عكرمة. انظر تفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٤٤.

(٢) الأنفال: ٣١.

(٣) السياق: نزع الروح، يقال: رأيت فلاناً يَسُوقُ، أي يَنزِعُ عند الموت. (الصحاح: مادة سوق).

(٤) الارهاق: أن تحمل الإنسانَ علىٰ مالايطيقه. (القاموس المحيط: مادة رهق).

(٥) زهقت نفسه زُهُوقاً: أي خرجت. (القاموس المحيط والصحاح: مادة زهق).

(٦) قاله الحسن والضحاك. راجع تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٥٩، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٤٤، والتبيان: ج ٤ ص ٢٠٣، وزاد المسير لابن الجوزي: ج ٣ ص ٨٧، وأخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحّاك كما في الدر المنثور: ج ٣ ص ٣٢٢.

لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٩٤)

﴿فُرَادَىٰ﴾ مُنفرِدِين عن أَموالِكم وأَولادِكم وعن أَوثانِكم الَّتي زَعَمْتُم أَنَّها شُفَعاؤُكم وشُرَكاءُ للهِ ﴿كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ على الهيئَةِ الَّتي وُلِدْتم عليها في الانفرادِ، وفي الحديثِ: «تُحشَرون حُفاةً عُراةً غرْلاً»[١] أي: قُلفاً[٢] ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ﴾ أَي: ماملَّكْناكم في الدنيا فشُغِلْتُم به عن الآخرةِ ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ لم تَحمِلوا منه شيئاً واسْتَمْتَعَ به غيرُكم ﴿أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ أَي: في استعبادِكم ﴿شُرَكَـٰٓؤُاْ﴾ لأَنَّهم حينَ دَعَوْهم آلِهةً وعَبَدُوها فقد جَعَلوها للهِ شُرَكاءَ فيهم وفي استعبادِهم ﴿لَقَدْ تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ أَي: وَقَعَ التقطُّعُ بينَكم، كما تقولُ: جَمَعَ بينَ الشَيئَيْن تُريدُ أَوْقَعَ الجمعَ بينَهما علىٰ إسنادِ الفعلِ إلى مصدرِه بهذا التأْويلِ، وقُرِئَ: «بَيْنُكُمْ»[٣] علىٰ إِسنادِ الفعلِ إِلى الظرفِ كما تقولُ: قُوتِلَ خَلْفُكُم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ (٩٦)

﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾ بالنباتِ ﴿وَٱلنَّوَىٰ﴾ بالشجرِ[٤]، وقيل: أَرادَ الشقَّيْن اللذَيْن

---

(١) صحيح البخاري: ج ٤ ص ٢٠٤ و ج ٨ ص ١٣٦، مستدرك الحاكم: ج ٢ ص ٢٥١، زاد المسير لابن الجوزي: ج ٩ ص ٣٦، الدرالمنثور: ج ٣ ص ٣٢٣.

(٢) في نسخة: غلفاً. والقُلف ـ بضم القاف وسكون اللام ـ جمع أقلف كالغُلف جمع أغلف، وكلاهما بمعنىٰ مَن لم يُختَن. (انظر القاموس المحيط والصحاح: مادة قلف).

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم برواية أبي بكر وابن عامر وحمزة. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦٣.

(٤) وهو قول الحسن وقتادة والسدي وابن زيد، واختاره الزجّاج والقرطبي والزمخشري. انظر تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٥٩، ومعاني القرآن: ج ٢ ص ٢٧٣، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٤٤، والكشّاف: ج ٢ ص ٤٧، وزاد المسير للجوزي: ج ٣ ص ٩٠.

في النواةِ والحِنطةِ[١] ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ أَي: الحيوانَ والنامي من النُّطَفِ والبيضِ والْحَبِّ والنَوىٰ ﴿وَمُخْرِجُ﴾ هذه الأشياءِ الميِّتةِ من الحيوانِ والنامي ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ لاعلى الفعلِ، وموقِعُه موقِعُ الجملةِ المُبَيِّنَةِ[٢]؛ لأَنَّ فلقَ الحبِّ والنَوىٰ بالنباتِ والشجرِ الناميَيْنِ من جنسِ إِخراجِ الحيِّ من الميِّتِ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ أَي: ذلك المُحيي والمُميتُ هو اللهُ الَّذي تَحِقُّ له الربوبيَّةُ ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تُصْرَفون عنه وعن قولِه[٣] إِلىٰ غيرِه، و ﴿ٱلْإِصْبَاحِ﴾ مصدرٌ سُمِّيَ به الصُبحُ، والمعنىٰ: فالقُ ظلمةِ الإِصباحِ وهي الغَبَشُ[٤] في آخِرِ الليلِ، أَو فالقُ الإِصباحِ الَّذي هو عمودُ الفجرِ عن بياضِ النهارِ[٥]، لأَنَّ الظُلمةَ هي الَّتي تَنفَلِقُ عن الصُبحِ كما قال:

تَفَرِّيَ لَيْلٍ عَنْ بَياضِ نهار[٦]

وقُرِئَ: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ﴾ لأَنَّ اسمَ الفاعلِ الَّذي قبلَه بمعنى المضيِّ، ولذلك عُطِفَ عليه ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ أَي: وجَعَلَ الشمسَ والقمرَ ﴿حُسْبَانًا﴾، والسكَنُ مايَسْكُنُ إِليه الرجلُ ويَطْمَئِنُّ استرواحاً إِليه من زوجٍ أَو حبيبٍ، ومنه قيل للمرأَةِ: سَكَنٌ؛ لأَنَّه يَسْتَأْنِسُ بها، والليلُ يَطْمَئِنُّ إِليه التعَبُ بالنهارِ لاستراحتِه فيه، ويُمْكِنُ

(١) قاله مجاهد وأبو مالك. راجع تفسير مجاهد بن جبر: ص ٣٢٦، والتبيان: ج ٤ ص ٢٠٩، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٤٧، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١١٧، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٤٤، والكشّاف: ج ٢ ص ٤٧.

(٢) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٤٧.

(٣) في بعض النسخ: تولّيه.

(٤) الغَبَش ـ محرّكة ـ: بقية الليل أو ظُلمة آخره. (القاموس المحيط: مادة غبش).

(٥) في نسخة زيادة: وأسفاره.

(٦) قائله أبو نوّاس، وصدره: تَردَّتْ به ثُمّ ٱنفَرىٰ عَن أديمها. يصف فيه شراباً. راجع ديوانه: ص ٤٣٥، والكشّاف: ج ٢ ص ٤٩.

أَن يُرادَ: وَجَعَلَ الليلَ مسكوناً فيه[١] من قولِه: ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾[٢] والحُسبانُ ـ بالضمِّ ـ مصدرُ «حَسَبَ»، والمعنىٰ: وَجَعَلَ الشمسَ والقمرَ عَلَمَيْ حُسبانٍ؛ لأَنَّ حسابَ الأَوقاتِ يُعْلَمُ بدورِهما ومسيرِهما، أَو محسوبَيْن حُسباناً[٣]. ﴿ذَٰلِكَ﴾ التسييرُ بالحسابِ المعلومِ ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ الَّذي قَهَرَهما بتسخيرِهما ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بتدبيرِهما وتدويرِهما ومسيرِهما.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ (٩٨)

يعني: ﴿فِى ظُلُمَٰتِ﴾ الليلِ بـ﴿ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وأَضاف الظُلماتِ إلى البرِّ والبحرِ لمُلابَسَتِها إيَّاهما، أَو لتشبيهِ الطُرُقِ المشتبهةِ بالظُلماتِ، وقُرِئَ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ بفتحِ القافِ وكسرِها[٤]: فمَن فَتَحَ كان الـ﴿مُسْتَوْدَعٌ﴾ اسمَ مكانٍ مثلَه أَو مصدراً، ومَن كَسَرَ كان اسمَ فاعلٍ والـ﴿مُسْتَوْدَعٌ﴾ اسمَ مفعولٍ[٥]. والمعنىٰ: فَلَكُمْ مُستَقَرٌّ في الرَحِمِ ومُسْتَوْدَعٌ في الصُلبِ[٦]، أَو مُستَقَرٌّ فوقَ الأَرْضِ ومُسْتَوْدَعٌ

(١) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٤٩، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ١٩٧.
(٢) يونس: ٦٧، القصص: ٧٣، غافر: ٦١.
(٣) وهو اختيار الأخفش في معاني القرآن: ج ٢ ص ٤٩٨، وعنه النحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٨٤.
(٤) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وروح. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦٣، والتبيان: ج ٤ ص ٢١٣، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٥٠٣.
(٥) راجع تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ١٩٩.
(٦) وهو قول ابن عبّاس برواية عكرمة عنه وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة والنخعي، واختاره الفراء والزجاج والزمخشري والقرطبي وأكثر المفسّرين. انظر معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٣٤٧، ومعاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٢٧٤، والكشّاف: ج ٢ ص ٥٠، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٤٧، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٤٨، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١١٨.

تحتها[١]، أَو فمِنكم مُستَقِرٌّ في القبرِ ومِنكم مُستَوْدَعٌ في الدُّنيا[٢]، وعن الحسنِ: ياابنَ آدمَ أَنتَ وديعةٌ في أَهلِك ويوشِكُ أَن تَلْحَقَ بصاحبِك[٣]، وأَنْشَدَ قولَ لَبيدٍ:

وَمَا المالُ وَالأَهلونَ إِلَّا وَدِيعةٌ وَلابُدَّ يَوْماً أَنْ تُرَدَّ الْوَدائِعُ[٤]

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٩٩)

كلُّ ماعلاك فأَظَلَّكَ فهو سماءٌ، وهو هنا السحابُ ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ بالماءِ ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ نبتَ كلِّ صنفٍ من أَصنافِ الحبوبِ[٥] يعني: أَنَّ السببَ واحدٌ وهو الماءُ والمسبَّباتِ صنوفٌ، وهو كقولِه: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾[٦]، ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أَي: من النباتِ ﴿خَضِراً﴾ أي: شيئاً[٧] غضّاً[٨] أَخْضَرَ، وهو ماتَشعَّبَ من أَصلِ النباتِ الخارجِ من الحبَّةِ ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ من الخَضِرِ ﴿حَبّاً مُّتَرَاكِباً﴾ قد تَرَكَّبَ بعضُه علىٰ بعضٍ مثلُ سنبلةِ الحنطةِ والشعيرِ وغيرِهما، و ﴿قِنْوَانٌ﴾ رفع بالابتداءِ ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ﴾ خبرُه و ﴿مِن طَلْعِهَا﴾ بدلٌ

---

(١) وهو قول الحسن علىٰ ماحكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٤٩.

(٢) قاله الحسن. راجع تفسيره: ج ١ ص ٣٦١، والتبيان: ج ٤ ص ٢١٤، وإعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ٨٥، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١١٨.

(٣) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١١٨.

(٤) البيت من الطويل، قاله وهو يرثي أخاه أربد. ويروىٰ: «وما الناس والأموال»، ويروىٰ: «الاّ ودائع». انظر ديوان لبيد: ص ٨٩، وخزانة الأدب: ج ٥ ص ١١٧.

(٥) في بعض النسخ: الحيوان، وفي الكشّاف: النامي.

(٦) الرعد: ٤.

(٧) في بعض النسخ: نبتاً.

(٨) الغضّ: الطري. (القاموس المحيط والصحاح: مادة غضض).

منه، كأنَّه قيل: وكائِنَةٌ من طَلْعِ النخلِ قِنْوانٌ، ويجوزُ أَن يكـون الخـبرُ مـحذوفاً لدَلالةِ «أَخْرَجْنا» عليه، تقديرُه: ومُخْرَجَةٌ من طلعِ النخلِ قِنْوانٌ، والقِنوانُ: جـمعُ قنوٍ كصِنْوانٍ وصِنْوٍ ﴿دَانِيَةٌ﴾ سَهْلَةُ المُجتنىٰ قريبةُ التناولِ، وعن الحسـنِ: قـريبٌ بعضُها من بعضٍ[١] ﴿وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ بالنصبِ عطفٌ[٢] علىٰ ﴿نَـبَاتَ كُـلِّ شَىْءٍ﴾ أَي: وأَخْرَجنا به جنَّاتٍ من أَعنابٍ، وقُرِئَ: «وَجَنَّاتٌ» بـالرفعِ[٣] عـلىٰ معنىٰ: وحاصلةٌ أَو مُخْرَجَةٌ من النخلِ قِنْوانٌ وَجَنَّاتٌ من أَعنابٍ أَي: مـن نـباتِ أعنابٍ، أَو يرادَ: وثَمَّ جنَّاتٌ من أَعنابٍ أي: مع النخلِ ﴿وَٱلزَّيْتُونَ﴾ أَي: وأخْرَجْنا به الزيتونَ ﴿وَٱلرُّمَّانَ﴾، والأَحسنُ أَن يكونَ نصبُهما على الاختصاصِ[٤]، كقولِه: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٥] لفضلِ هـٰذَيْن الصنفَيْن ﴿مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ﴾ يقالُ: اشْتَبَهَ الشيئَان وتَشابَها، والافتعالُ والتفاعلُ يَشْتَرِكان كثيراً، وتقديرُه: والزيـتونَ مُتَشابِهاً وغيرَ مُتَشابِهٍ والرُّمَّانَ كذلك، والمعنىٰ: مُتشابِهاً بعضُه وغيرَ مُتشابِهٍ بعضُه في القَدرِ واللونِ والطعمِ ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ أَي: أَخْـرَجَ ثـمرَه كـيف

(١) حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٤٩، والزمخشري في كشّافه: ج ٢ ص ٥٢، والهمداني في فريده: ج ٢ ص ٢٠١. (٢) في نسخة: عطفاً.

(٣) وهي قراءة أبي بكر عن عاصم والأعشىٰ والبرجمي ومحمّد بن عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ. انظر التبيان: ج ٤ ص ٢١٥، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١١٨، وتـفسير السـمرقندي: ج ١ ص ٥٠٣، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٠٥، والحجة في القراءات لابـن زنجلة: ص ٢٦٤، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٤٩ وقال: وأنكر هذه القراءة أبو عـبيد وأبـو حاتم، حتىٰ قال أبو حاتم: هي محال؛ لأنّ الجنات لاتكون مـن النـخل، وقـال النـحّاس: والقراءة جائزة وليس التأويل علىٰ هذا ولكنّه رفع بالابتداء والخـبر مـحذوف، أي ولهـم جنات كما قرأ جماعة من القرّاء: «وحورٌ عينٌ»، واجاز مثل هذا سيبويه والكسائي والفراء، ومثله كثير.

(٤) وهو اختيار النحّاس في اعراب القرآن: ج ٢ ص ٨٦، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٥٢.

(٥) النساء: ١٦٢.

يُخرِجُه ضَئِيلاً صغيراً ﴿وَ﴾ أنظُروا إلىٰ حالِ ﴿يَنْعِهِ﴾ أي: نُضجِه كيف يكونُ جامعاً لمنافعَ وملاذَّ نظرَ اعتبارٍ واستبصارٍ واستدلالٍ علىٰ اقتدارِ مُقَدِّرِهِ وتدبيرِ مُدَبِّرِهِ يَنقُلُه من حالٍ إلىٰ حال، يُقالُ: يَنَعَتِ الثمرةُ يَنْعاً ويُنعاً.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ(١٠١) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (١٠٣)

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ فهما مفعولا «جَعَلَ»، و ﴿ٱلْجِنَّ﴾ بدلٌ من ﴿شُرَكَآءَ﴾[١]، ويجوزُ أن يكونَ ﴿شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ مفعولَيْن قُدِّمَ ثانيهما على الأوَّلِ، أي: جعلوا الجنَّ شركاءَ للهِ[٢]، وفائِدةُ تقديمِ ﴿لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ استعظامُ أن يُتَّخَذَ للهِ شريكاً[٣] من كانَ ملَكاً أو جِنِّيّاً أو إنسِيّاً، والمرادُ بالجنِّ: الملائكةُ جَعَلوهم للهِ أنداداً[٤]، ونحوُه: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَباً﴾[٥]، وقيل: هم الَّذين قالوا: إنَّ اللهَ خالِقُ الْخَيْرِ وَإِبْلِيسَ خالِقُ الشرِّ[٦]، ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ أي: وخَلَقَ

(١) وهو اختيار الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٧٧، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٥٣.

(٢) واختاره النحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٨٧، وحكاه عنه القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٥٢.

(٣) في نسخة: شريك.

(٤) وهو قول قتادة والسدي وابن زيد على ما حكاه عنهم الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٥٠، واختاره الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢١٩.

(٥) الصافات: ١٥٨.

(٦) قاله ابن عبّاس. انظر تفسيره: ص ١١٦، ونسبه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١١٩، والقرطبي أيضاً في تفسيره: ج ٧ ص ٥٣ الى الكلبي.

الجاعلين للهِ شركاءَ، معناه: وعَلِموا أنَّ اللهَ خالقُهم دونَ الجنِّ ولم يَمْنَعْهم علمُهم أن يَتَّخِذُوا مَن لايَخلُقُ شريكاً للخالقِ، وقيل: الضميرُ لـ ﴿ٱلْجِنَّ﴾[1] ﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ﴾ أَي: واختَلقُوا للهِ ﴿بَنِينَ وَبَنَٰتٍ﴾، فإنَّ المشركين قالوا: الْمَلائِكَةُ بَناتُ اللهِ، وقال أَهلُ الكتابَيْن: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[2] و﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[3]، يقال: خَلَقَ الإِفكَ واختَلَقَه وخَرَقَهُ واختَرَقَه بمعنىً واحد[4]، وقُرِئَ: «وَخرَّقُوا» بالتشديدِ[5] للتكثيرِ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ من غيرِ أَن يَعْلَموا حقيقةَ ماقالوه ولٰكن جهلاً منهم بعَظَمَةِ اللهِ تعالىٰ ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خبرُ مبتدأ محذوف، أَي: هو مُبْدِعُهما ومُنْشِئُهما ابتداءً لامن شيءٍ ولاعلىٰ مثالٍ سَبَق، ويجوزُ أَن يكون مبتدأً وخبرهُ ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾[6]، وقيلَ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من إِضافةِ الصفةِ المُشْبِهةِ إِلىٰ فاعِلِها كقولِك: فلانٌ بديعُ الشعرِ، أَي: بَديعٌ شعرهُ، أَو هو بَديعٌ في السماواتِ والأَرضِ كقولك: فلانٌ ثَبتُ الغَدْرِ، أَي: ثابتٌ فيه، والمعنىٰ: هو عديمُ النظيرِ والمثلِ فيهما[7] ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ أَي: من أَينَ يكونُ له ولدٌ ولايَستقيمُ أَن يُوصَفَ بالوِلادةِ؛

---

(١) حكاه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١١٩، والزمخشري في كشّافه: ج ٢ ص ٥٣، والرازي في تفسيره: ج ١٣ ص ١١٦. ٢ و٤) التوبة: ٣٠.

(٤) حكى الزمخشري أنّه سئل الحسن عنه فقال: كلمة عربية كانت العرب تقولها: كان الرجل إذا كذب كذبةً في نادي القوم يقول له بعضهم: قد خرقها والله. الكشّاف: ج ٢ ص ٥٣، وانظر تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٦٠.

(٥) وهي قراءة نافع. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ١١٩، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٥٠٤، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٠٦، والحجة في القراءات لابن زنجلة: ص ٢٦٤، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٥٣.

(٦) الجمهور علىٰ رفعه، إلّا الكسائي فقد أجاز خفضه على النعت لله عزّوجلّ ونصبه بمعنىٰ بديعاً السماوات والأرض، وهذا خطأ عند البصريين لأنّه لما مضىٰ. انظر اعراب القرآن للنحاس: ج ٢ ص ٨٧، و تفسير القرطبي: ج ٧ ص ٥٣.

(٧) قاله الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٥٣.

لأنَّ الوِلادةَ من صفاتِ الأَجسامِ وصانعُ الأجسامِ ليس بجسمٍ حتَّىٰ يكونَ والداً، ولأنَّ الوِلادةَ لاتكونُ إلّا بينَ زَوْجَيْنِ ولايصحُّ أَن يكـونَ له صـاحبةٌ تُـزاوِجُـه ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومَن كان بهذه الصفةِ فهو غنيٌّ عن كـلِّ شيءٍ ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ إشارةٌ إلى الموصوفِ بالصفاتِ المتقدِّمةِ، وهـو مـبتدأٌ ومـابعدَه أَخبارٌ مترادفةٌ له، وهي: ﴿ٱللَّهُ﴾، ﴿رَبُّكُمْ﴾، ﴿لَآإِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، ﴿خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أَي: ذلكم الجامعُ لهذِهِ الصفاتِ ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ لأَنَّ مَن استَجْمَعَتْ له هذه الصـفاتُ حَقَّتْ له العبادةُ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أَي: حفيظٌ مدبِّرٌ، ولكلِّ شيءٍ مـن الأَرزاقِ والآجالِ مالكٌ ﴿لَّاتُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ البصرُ: الجوهرُ اللـطيفُ الَّـذي بـه تُدرَكُ المُبصراتُ، والمعنىٰ: أَنّه مُتَعالٍ أَن يكـونَ مُـبْصَراً فـي ذاتِـه، فـالأَبصارُ لاتُدْرِكُهُ؛ لأَنَّها إِنَّما تُدرِكُ ماكان في جهةٍ أَصـلاً أَو تـابعاً كـالأجسامِ والأَلوانِ ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ وهو للطفِ إِدراكِه للمُدرَكاتِ يُدرِكُ تلك الجواهرَ اللطيفةَ الَّتي رَكَّبَها اللهُ في حاسَّةِ النظرِ وهي الأَبصارُ ولايُـدرِكُها مُـدرِكٌ سواه ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ يَلْطُفُ عن أَن تُدرِكَه الأَبصارُ ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بكلِّ لطيفٍ، فهو يُدرِكُ الأَبصارَ ولاتَلْطُفُ عن إِدراكِه، وهذا من بابِ اللفِّ والنشرِ، ورُوِيَ عن الرضاعليه السلام: أَنَّـها الأَبصارُ الَّتي في القلوبِ(١)، أَي: لايَقَعُ عليه الأَوهامُ ولايُدرَكُ كيف هو(٢).

(١) المنسوب الى الامام الرضاعليه السلام: ص ٣٨٤ تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٧٣ ح ٧٩.

(٢) قال الزجّاج: أَعلم عزَّوجلَّ أَنّه يُدرك الأبصار، وفي هذا الإعلام دليلٌ أَنّ خَلْقَه لايُدركون الأبصار، أي لايعرفون كيف حقيقةُ البَصَر، وماالشيء الَّذي صار به الانسان يُبصر بعينيه دون أن يُبصر من غيرهما من سائر أعضائه ... الى أن قال: فأمّا ماجاء من الأخبار في الرؤية وصحّ عن رسول‌الله فغير مدفوع. وليس في هذه الآية دليل علىٰ دفعه؛ لأَنّ معنىٰ هذه الآية معنىٰ إدراك الشيء والإحاطة بحقيقته، وهذا مذهب أهل السنّة والعلم والحديث.

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله: في هذه الآية دلالة واضحة علىٰ أنّه تعالىٰ لايُرىٰ بالأبصار؛ لأنّه تمدح بنفي الإدراك عن نفسه، وكلّما كان نفيه مدحاً غيرمتفضل به فاثباته لايكون ←

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤) وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١٠٥)

البصيرةُ: البيِّنةُ والدلالةُ التي يَستَبْصِرُ بها الشيءُ علىٰ ماهو به، وهي نورُ القلبِ كما أَنَّ البصرَ نورُ العينِ، أي: ﴿جَآءَكُمْ﴾ من الوحي والتنبيهِ علىٰ مايَجوزُ على اللهِ ومالايَجوزُ ماهو للقلوبِ كالبصائرِ ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ الحقَّ وآمَنَ ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ أَبْصَرَ ولها نَظَرَ ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عنه فعلىٰ نفسِه عَمِيَ وإِيَّاها ضَرَّ ﴿وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أَحْفَظُ أَعمالَكم وأُجازِيكم عليها، إِنَّما أَنا مُنذِرٌ واللهُ هو الحفيظُ عليكم ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ جوابُه محذوفٌ تقديرُه: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ نُصَرِّفُها، ومعنىٰ ﴿دَرَسْتَ﴾: قَرأْتَ وتَعَلَّمْتَ ذلك من اليهودِ، وقُرِئَ: «دارَسْتَ»[(١)] أي: دارَسْتَ أَهلَ الكتابِ وذاكَرْتَهم، و«دَرَسَتْ»[(٢)] أي: عَفَتْ هذه الآياتُ، وفي قراءةِ عبدِاللهِ: «دَرَسَ»[(٣)] أي: دَرَسَ محمَّدٌ صلى الله عليه وآله ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ الفرقُ بينَ هذا اللّامِ واللّامِ في

← إلّا نقصاً، والنقص لايليق به تعالىٰ ...الى آخر قوله الشريف وبحثه الغنيّ اللطيف. راجع معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩، والتبيان: ج ٤ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥.

(١) قرأه ابن كثير وأبو عمرو. راجع التبيان: ج ٤ ص ٢٢٨، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٢٠، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٥٠٥، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦٤، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٠٦، وفي تفسير القرطبي: ج ٧ ص ٥٨: وهي قراءة علي وابن عبّاس وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وأهل مكة.

(٢) وهي قراءة الحسن وابن عامر. راجع تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٦١، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٥٠٥، والتبيان: ج ٤ ص ٢٢٨، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٥٤، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٥٨، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦٤.

(٣) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٢٨، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٥٤، والسمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٥٠٥، والقرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٦٠ وزاد: أُبيّ وطلحة والأعمش.

﴿لِيَقُولُواْ﴾ أَنَّ هذا حقيقةٌ وذاك مجازٌ، وذلك لأَنَّ الآياتِ صُرِّفَت للتبيينِ ولم تُصَرَّفْ لِيَقولوا دارَسْتَ، ولكن لمَّا حَصَلَ هذا القولُ بتصريفِ الآياتِ كما حَصَلَ التبيينُ شُبِّهَ به، والضميرُ في ﴿لِنُبَيِّنَهُ﴾ للآياتِ لأَنَّها في معنى القرآنِ، أَو يعودُ إِلى القرآنِ وإِن لم يَجْرِ له ذكرٌ لكونه معلوماً، أَو إِلى الكتابِ المقدَّرِ في قوله: «دَرَسْتَ» و «دارَسْتَ».

﴿ٱتَّبِعْ مَآأُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآإِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ(١٠٦) وَلَوْ شَآءَٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَآأَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (١٠٧) وَلَاتَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (١٠٨)

﴿لَآإِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ اعتراضٌ أُكِّدَ به إِيجابُ اتِّباعِ الوحي ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أَي: لاتُخالِطْهم ولاتُلاطِفْهم ﴿وَلَوْ شَآءَٱللَّهُ﴾ لاضطرَّهم إِلى الإِيمانِ قَسْراً وإِجباراً ﴿وَلَاتَسُبُّواْ﴾ آلهةَ ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْواً﴾ أَي: ظلماً وعدواناً، كان المسلمون يسبُّون آلهتَهم فنُهوا لئَلَّا يكونَ سبُّهم سبباً لسبِّ الله. وفيه دَلالةٌ علىٰ أَنَّ النهيَ عن المُنكَرِ الَّذي هو من أَجلِّ الطاعاتِ إِذا عُلِمَ أَنَّه يُؤَدِّي إِلىٰ زيادةِ الشرِّ ينقلبُ معصيةً فصارَ النهيُ عن ذلك النهي[١] من جملةِ الواجباتِ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أَي: علىٰ جهالةٍ باللهِ ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا﴾ أَي: مثلُ ذلك التزيينِ زَيَّنَّا ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من أُمَمِ الكفَّارِ ﴿عَمَلَهُمْ﴾ أَي: خَلَّيْناهم وماعَمِلُوا ولم نَمْنَعْهم حتَّى حَسُنَ عندَهم عَمَلُهم السيِّءُ ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ فيُوَبِّخُهم عليه ويُعاتِبُهم ويُعاقِبُهم.

---

(١) في نسخة: المنهيّ.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَـٰتُ عِندَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١١٠)

أَي: حَلَفوا ﴿بِاللهِ﴾ مُجِدِّين مُجتهِدين ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ من الآياتِ الَّتي اقْتَرَحوها ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾، ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَـٰتُ عِندَ اللهِ﴾ وهو قادرٌ عليها ولكنَّه لايُنَزِّلُها إِلَّا علىٰ مقتضَى الحكمةِ، أَو إِنَّمَا الْأَيَاتُ عِنْدَاللهِ لاعندي فكيفَ آتيكم بها[1] ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أَي: ومايُدريكم أَنَّ الآيةَ الَّتي يَقْتَرِحونَها ﴿إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها، يعني: أَنَا أَعْلَمُ أَنَّها إِذا جاءَت لايُؤْمنون بها وأَنتم لاتَدرون بذلك، وذلك أَنَّ المؤمنين كانوا يَطْمَعُون في إِيمانِهم عندَ مجيءِ تلك الآيةِ ويَتَمَنَّوْن مجيئَها، فأَخْبَرَهم سبحانه أَنَّهم لايَدرون ماسَبَقَ علمُه به من أَنَّهم لايؤْمنون بها أَلا تَرَىٰ إِلىٰ قولِه: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وقيل: إِنَّ ﴿أَنَّهَآ﴾ بمعنىٰ «لَعَلَّها» من قولِ العربِ: إِئْتِ السُوقَ أَنَّكَ تَشْتَرِي لَحْماً، أَي: لَعَلَّك[2]، ويُقَوِّيها قِراءَةُ أُبَيٍّ: «لَعَلَّها إِذا جاءَتْهُم لايُؤْمِنُون»[3]، وقُرِئَ: «إِنَّها» بالكسرِ[4] علىٰ أَنَّ الكلامَ قد تَمَّ

---

(١) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٥٧.

(٢) وهو قول الخليل علىٰ ماحكاه عنه سيبويه. راجع كتاب سيبويه: ج ٣ ص ١٢٣، ومعاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٢٨٢، وإعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ٩٠، وتفسير الرازي: ج ١٣ ص ١٤٤.

(٣) حكاه عنه النحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٩٠، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٥٧، والرازي في تفسيره: ج ١٣ ص ١٤٥، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢١١، وأبو حيان الأندلسي في البحر المحيط: ج ٤ ص ٢٠٢.

(٤) قرأه ابن كثير والبصريان (أبو عمرو ويعقوب) والمفضّل والأعشىٰ ونصير وخلف وأبوبكر إِلَّا يحيىٰ. انظر التبيان: ج ٤ ص ٢٣٤، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٠٧، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦٥.

قبلَه، والمعنىٰ: ومايُشعِرُكم مايكونُ منهم، ثمَّ أَخبَرَهم بعلمِه فيهم فقالَ: إنَّها إذا جاءَت لايؤمنون بها البتَّةَ، ومنهم مَن جَعَلَ «لا» مزيدةً في قِراءَةِ الفتحِ (١) ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ ... وَنَذَرُهُمْ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿لَايُؤْمِنُونَ﴾ داخلٌ في حكمِ ﴿وَمَايُشْعِرُكُمْ﴾ بمعنىٰ: ومايُشعِرُكُمْ أنَّهم لايؤمنون ﴿وَ﴾ مايُشعِرُكُمْ أَنَّا ﴿نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ أي: نَطْبَعُ علىٰ قلوبِهم وأبصارِهم فلايَفقَهون ولايُبْصِرون الحقَّ كما كانوا عندَ نزولِ آياتِنا أَوّلاً لايؤمنون بها لكونِهم مطبوعاً علىٰ قلوبِهم ﴿وَ﴾ مايُشعِرُكم أنَّا ﴿نَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ﴾ أي: نُخلِّيهم وشأنَهم لانكُفُّهم عَن الطُغيانِ حتَّىٰ يعمَهوا فيه.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ (١١٣)

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾ يَشهَدون لنبيِّنا بالرسالةِ، وأَحيَينا ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾ حتَّىٰ شَهِدوا له، وهذا كقولِهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ (٢) ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ (٣) ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ كقولِهم: ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ

(١) وهو منسوب للكسائي، نسبها إليه النحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٩٠. قال الزجّاج: والذي ذكر أنّ «لا» لغو غالطٌ؛ لأنّ ماكان لغواً لايكون غير لغو. انظر معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٨٣.

(٢) الفرقان: ٢١.

(٣) الدخان: ٣٦.

وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾[١]، ومعنىٰ قولِه: ﴿قُبُلًا﴾ كُفَلاءَ[٢] بصحَّةِ مابَشَّرْنا به وأَنْذَرْنا، أَو جماعاتٍ[٣]، أَو مُقابَلَةً[٤]، وقُرِئَ: «قِبَلاً»[٥] أَي: عياناً[٦] ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ مشيَّةَ إِكراهٍ وقَسْرٍ ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ فيُقْسِمون باللهِ جَهْدَ أَيمانِهم علىٰ مالايَشْعُرون من حالِ قلوبِهم عندَ نزولِ الآياتِ، أَو ولكنَّ أَكثرَ المسلمين يَجْهَلُونَ أَنَّ هؤُلاءِ لايؤمنون طوعاً ولو أُتوا بكلِّ آيةٍ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا﴾ وكما خَلَّيْنا بينَك وبينَ أَعدائِك كذلك فَعَلْنا بمن قبلَك من الأَنبياءِ وأَعدائِهم لم نَمْنَعْهم عن العَداوةِ لما فيه من الامتحانِ الَّذي هو سببُ ظهورِ الثباتِ والصبرِ وكثرةِ الثوابِ والأَجرِ، و ﴿شَيَـٰطِينَ﴾ بدلٌ من ﴿عَدُوًّا﴾، أَو هما مفعولا ﴿جَعَلْنَا﴾[٧]، و ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يُوَسْوِسُ شياطينُ الجنِّ إِلىٰ شياطينِ الإِنس، وبعضُ الجنِّ إِلىٰ بعضٍ، وبعضُ الإِنسِ إِلىٰ بعضٍ ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ مايُزَيِّنُه من القولِ والإِغراءِ على المعاصي ويُمَوِّهُه ﴿غُرُورًا﴾ أَخذاً علىٰ غِرَّةٍ وخَدعاً ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَافَعَلُوهُ﴾ أَي: ماعادُوكَ أَو ماأَوْحىٰ بعضُهم إِلىٰ بعضٍ زُخْرُفَ القولِ بأَن

---

(١) الاسراء: ٩٢.

(٢) وهو قول الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٥٠، والزجّاج أيضاً في معاني القرآن: ج٢ ص ٢٨٣، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٥٨.

(٣) وهو قول مجاهد وابن زيد. انظر التبيان: ج ٤ ص ٢٣٩، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٥٧، واختاره الأخفش في معاني القرآن: ج ٢ ص ٥٠١.

(٤) وهو قول ابن عبّاس وقتادة وابن زيد وابن إسحاق ومحمّد بن يزيد. انظر التبيان: ج ٤ ص ٢٣٩، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٥٧، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٦٦.

(٥) قرأه ابن عامر ونافع وأبو جعفر. راجع التبيان: ج ٤ ص ٢٣٨، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٠٨، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٢٠٥. وانظر وجوه قراءاتها في القرطبي: ج ٧ ص ٦٦.

(٦) وهو قول هارون القارئ علىٰ ماحكاه عنه النحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٩١.

(٧) انظر تفصيل ذلك في إعراب القرآن للنحاس: ج ٢ ص ٩١، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢١٥.

يَكُفَّهم عنه اضطراراً ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾ جوابُه محذوفٌ تقديرهُ: وليكونَ ذلك الإِصغاءُ ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً﴾ علىٰ أَنَّ اللامَ لامُ الصيرورةِ، والضميرُ في ﴿إِلَيْهِ﴾ وفي ﴿فَعَلُوهُ﴾ واحدٌ، أي: وليَميلَ إِلىٰ ماذُكِرَ من عَداوةِ الأَنبياءِ ووَسْوَسَةِ الشياطينِ ﴿أَفْـِٔدَةُ﴾ الكفّارِ ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ لأَنفسِهم ﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ مَاهُمْ مُّقْتَرِفُونَ﴾ من الآثامِ.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَماً وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَاتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ (١١٤) وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلًا لَّامُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (١١٥)

أَي: أَأَطْلُبُ غيرَاللهِ حاكماً يَحْكُمُ بيني وبينَكم، ويُمَيِّزُ المُحِقَّ منّا من المُبْطِلِ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ المُعْجِزَ ﴿مُفَصَّلًا﴾ مبيَّناً فيه الحلالُ والحرامُ والكفرُ والإِيمانُ، والشهادةُ لي بالصدقِ وعليكم بالافتراءِ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يعني: التوراةَ والإِنجيلَ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ القرآنَ ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَاتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ هو من بابِ التهييجِ والإِلهابِ كقولِه: ﴿وَلَاتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[١]، أَو فلاتشُكَّنَّ في أَنَّ أَهلَ الكتابِ يَعْلَمون أَنّه منزَّلٌ بالحقِّ وإِن جَحَدَه أَكثرُهُم، ويجوز أَن يكونَ ﴿فَلَاتَكُونَنَّ﴾ خطاباً لكلِّ أَحدٍ[٢]، علىٰ معنىٰ أَنّه إِذا تظاهرت الحُجَجُ على صحَّتِه فلايَنبغي أَن يَمْتَرِيَ فيه أَحدٌ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أَي: حجَّةُ ربِّك وأَمرُه ونهيُه ووعدُه ووعيدُه ﴿صِدْقاً وَعَدْلًا﴾، وقيل: هي القرآن[٣] ﴿لَّامُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِ﴾ أَي: لاأَحدَ يُبَدِّلُ شيئاً من ذلك بما هو أَصْدَقُ

---

(١) الأنعام: ١٤، يونس: ١٠٥، القصص: ٨٧.

(٢) وهو قول الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٤٦ قال: الخطاب للنبيِّ ﷺ والمراد به الأُمة.

(٣) قاله الطبري في تفسيره: ج ٥ ص ٣١٨، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٦٠، واختاره الهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢١٩.

وأَعْدَلُ ﴿صِدْقاً وَعَدْلًا﴾ نصب على الحالِ، وقُرِئَ: «كلماتُ ربِّكَ»[١].

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (١١٧)

أَي: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ﴾ الناسِ أَضَلُّوك؛ لأَنَّ الأَكثرَ في الغالبِ يَتَّبِعُون الأَهواءَ، ثمَّ قال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ وهو ظنُّهم أَنَّ آباءَهم كانوا مُحِقِّين فهم يُقَلِّدونهم، وفيه: أَنَّه لاعبرةَ في معرفةِ الحقِّ بالكثرةِ وإنَّما الاعتبارُ بالحجّةِ[٢]، و ﴿يَخْرُصُونَ﴾ يُقَدِّرون أَنَّهم علىٰ شيءٍ أَو يَكذِبونَ ﴿مَن يَضِلُّ﴾ يجوزُ أَن يكونَ استفهاماً فيكونَ تعليقاً[٣]، ويجوزُ أَن يكونَ منصوباً بفعلٍ مضمرٍ يدلُّ عليه قولُه: ﴿أَعْلَمُ﴾ لأَنَّ «أَفْعَل من كذا» لايَتَعَدّىٰ إلى المفعولِ به[٤]، ويجوزُ أَن يكونَ علىٰ حذفِ الباءِ ليُقابِلَ قولَه: ﴿وهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[٥].

﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ (١١٨)

---

(١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦٦.

(٢) قال الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٤٩: وفي الآية دلالة علىٰ بطلان قول أصحاب المعارف، وبطلان قولهم: إنّ الله تعالىٰ لايتوعد من لايعلم الحقّ؛ لأنّ الله بيّن في هذه الآية أنّهم يتبعون الظنّ ولايعرفونه، وتوعدهم علىٰ ذلك، وذلك بخلاف مذهبهم.

(٣) وهو قول الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٥٢، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٨٦. قال الرماني: هذا لايجوز؛ لأنّه لايطابق قوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ فمعنى الآية: أنّ الله تعالىٰ أعلم بمن يسلك سبيل الضلال المؤدّي إلىٰ الهلاك بالعقاب، ومن سلك سبيل الهدى المفضي به إلىٰ النجاة والثواب. انظر التبيان: ج ٤ ص ٢٥١.

(٤) احتمله الهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢٢٠.

(٥) حكاه القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٧٢ ونسبه إلىٰ بعض البصريّين.

وَمَالَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّامَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾ (١٢٠)

﴿فَكُلُواْ﴾ مسبَّبٌ عن إنكارِ اتّباعِ المُضلّين الّذين يُحِلُّونَ الحرامَ ويُحَرِّمون الحلالَ، وذلك أنَّهم قالوا للمسلمين: أتأكُلون ماقَتَلْتُمْ أنتم ولاتأكُلون ماقَتَلَ ربُّكم؟! فقيل: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ خاصَّةً دونَ ماذُكِرَ عليه اسمُ غيرِه أو ماتَ حَتْفَ أنفِه، وماذُكِرَ اسمُ اللهِ عليه هو المُذكّىٰ ببسمِ اللهِ ﴿وَمَالَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ﴾ وأَيُّ شيءٍ عَرَض لكم في أن لاتَأْكُلوا ﴿وَقَدْ فُصِّلَ لَكُمْ مَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ ممّا لم يُحَرَّمْ علىٰ لسانِ الرسولِ، وقُرِئَ: ﴿فَصَّلَ لَكُمْ مَّاحَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ على البناءِ للفاعلِ وهو اللهُ عَزَّوجلَّ ﴿إِلَّامَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ ممّا حُرِّمَ عليكم فإنَّه يَحِلُّ لكم في حالِ الضرورةِ ﴿وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ﴾ فيُحَرِّمون ويُحَلِّلون ﴿بِأَهْوَآئِهِم﴾ وشَهَواتِهم، ومن قرأَ بالضمِّ أراد يُضِلُّون أشياعَهم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بغيرِ تَعَلُّقٍ بشرعٍ ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ أي: ماأَعْلَنتُمْ منه وماأَسْرَرْتُم[١]، وقيل: ماعَمِلْتُم بجوارحِكم ومانَوَيْتُمْ بقلوبِكم[٢]، وقيل: الظاهرُ الزنا والباطنُ اتّخاذُ الأَخدانِ[٣]، و

---

(١) وهو قول قتادة والربيع بن أنس ومجاهد علىٰ ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٥٥، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٦١، واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٨٧، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٦١.

(٢) قاله الجبّائي على ماحكاه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٥٥، واختاره القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٧٤.

(٣) قاله السدي والضحّاك. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٦١، والتبيان: ج ٤ ص ٢٥٥، واختاره الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٥٢ وفيه: «المخالّة» بدل «الأخدان» قال: المخالّة: أن تتّخذ المرأة الخليل وأن يتّخذها.

﴿يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ﴾ يَرْتَكِبون القبيحَ، والاقترافُ: الاكتسابُ.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١) أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُوراً يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٢)

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ الضميرُ يَرْجِعُ إِلىٰ مصدرِ الفعلِ، أَي: وإِنَّ الأَكلَ منه لَفسقٌ[١]، أَو إِلىٰ ﴿مالَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ علىٰ: وإِنَّ أَكلَه لفسقٌ[٢] وفيه دَلالةٌ علىٰ تحريمِ ذبائحِ أَهل الكتابِ أيضاً؛ لأَنَّه لايَصِحُّ منهم القصدُ إِلىٰ ذكرِ اسمِ اللهِ تعالىٰ[٣]، وأَمَّا المسلمُ فإِذا لم يُسَمِّ اللهَ تعالىٰ متعمِّداً لم تَحِلَّ ذبيحتُه، وإِذا كان ناسياً حلَّ أَكلُها[٤] ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾ أَي: يُوَسْوِسُونَ ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾

---

(١) وهو اختيارالنحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٩٤، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٦١.

(٢) وهو اختيار الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٥٢، والشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٥٧.

(٣) قال الشيخ في الخلاف: ج ٦ كتاب الصيد والذبائح مسألة (٢٣): لاتجوز ذبائح أهل الكتاب اليهود والنصارىٰ عند المحصّلين من أصحابنا، وقال شذاذ منهم: إنّه يجوز أكله، انتهى. وأراد بالشذاذ ابن أبي عقيل وابن الجنيد علىٰ ماحكاه عنهما العلّامة في المختلف: ج ٢ ص ٦٧٩ ط قديم، وقال: المشهور عند علمائنا تحريم ذبائح الكفّار مطلقاً سواء كانوا أهل ملّة كاليهود والنصارىٰ والمجوس أو لا كعبّاد الأوثان والنيران وغيرهما، ذهب إليه الشيخان والسيد المرتضىٰ وسلّار وابن البرّاج وأبو الصلاح وابن حمزة وابن إدريس.

(٤) قال الشيخ في الخلاف: ج ٦ كتاب الصيد والذبائح مسألة (٦): التسمية واجبة عند إرسال السهم وإرسال الكلب وعند الذبيحة، فمتىٰ لم يسمِّ مع الذكر لم يحلّ أكله، وإنْ نسيه لم يكن به بأس، وبه قال الثوري وأبو حنيفة وأصحابه. انظر احكام القرآن للجصّاص: ج ٢ ص ٣١٠ و ٣١٨، والمبسوط للسرخسي: ج ١١ ص ٢٣٦، واللباب: ج ٣ ص ١١٦، وعمدة القارئ: ج ٢١ ص ٩٣، وفتح الباري: ج ٩ ص ٦٠١، وبدائع الصنائع: ج ٥ ص ٤٦، والحاوي الكبير: ج ١٥ ص ١١، والبحر الزخّار: ج ٥ ص ٢٩٦.

من المشركين ﴿لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾ بقولِهم: ولاتأكلون ممّا قَتَلَهُ اللهُ ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ لأنَّ من اتَّبَعَ غيرَ اللهِ في دينِه فقد أَشْرَكَ به، ثمّ مَثَّلَ سبحانه مَن هَداه بعدَ الضلالةِ بـ ﴿مَن كَانَ مَيْتاً﴾ فأَحياه وَجَعَلَ ﴿ لَهُ نُوراً﴾ يستضيءُ به بينَ ﴿ٱلنَّاسِ﴾، ومَن بَقِيَ على الضلالةِ بالخابطِ في الظُّلماتِ لايَخْرُجُ منها، وقولُه: ﴿كَمَن مَّثَلُهُ﴾ معناه: كمن صفتُه هذِهِ وهي قولُه: ﴿فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ بمعنىٰ: هو في الظُّلماتِ ليسَ بخارجٍ، كقولِه: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ﴾ [١] أَي: صفتُها هذِهِ وهي قولُه: ﴿فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ﴾، ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ عن الحسن: زَيَّنَه ـ وَاللهِ ـ لهم الشيطانُ وأَنْفُسُهم [٢].

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَايَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَايَشْعُرُونَ (١٢٣) وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآأُوتِىَ رُسُلُ ٱللهِ ٱللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٤)

المعنىٰ: خَلَّيْناهم وشأنَهم ﴿لِيَمْكُرُواْ فِيهَا﴾ ولم نَكُفَّهم عن المَكْرِ، وخَصَّ الأَكابرَ لأَنَّهم الحاملون على الضلالِ والماكِرون بالناسِ، وهو كقولِه: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [٣] تقول: هو أَكْبَرُ قومِه، وهم أَكابِرُ قومِهم ﴿وَمَايَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لأَنَّ مكرَهم يَحيقُ بهم [٤]، رُوِيَ: أَنَّ أباجَهلٍ قال: زاحَمْنا بَني عبدِ منافٍ في

---

(١) محمد: ١٥.

(٢) حكاه عنه الرازي في تفسيره: ج ١٣ ص ١٧١.

(٣) الاسراء: ١٦.

(٤) حاق بهم الأمر: لزمهم ووجب عليهم ونزل. (القاموس المحيط: مادة حاق).

الشرَفِ، حتَّىٰ إذا صِرْنا كَفَرَسَيْ رهانٍ قالوا: مِنَّا نبيٌّ يوحىٰ إليه، وَاللهِ لانَرْضىٰ به ولانَتَّبِعُه أبداً إلَّا أن يَأْتِيَنا وحيٌ كما يأتيه فَنَزَلَتْ[١]. ونحوُها قولُه: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفاً مُّنَشَّرَةً﴾[٢]. ﴿ٱللهُ أَعْلَمُ﴾ كلامٌ مُستأنَفٌ للإنكارِ عليهم، أي: إنَّ اللهَ لايَصْطَفي للرسالةِ إلَّا مَن عَلِمَ أنَّه يَصْلُحُ لها وهو أَعْلَمُ بموضِعِها ﴿سَيُصِيبُ﴾ أكابرَ الَّذين أجْرَموا ﴿صَغَارٌ﴾ وقَمْأَةٌ[٣] بعدَ كِبَرِهم وعِظَمِهم ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الدارَيْن.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَـٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٢٥)

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللهُ أَن يَهْدِيَهُ﴾ أي: يَلْطُفَ به ويُوَفِّقَه، ولايَفعَلُ ذلك إلَّا بمن يَعْلَمُ أنَّ له لطفاً ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَـٰمِ﴾ بأن يُثَبِّتَ عزمَه عليه ويُقَوِّيَ دواعيَه على التمسُّكِ به؛ لطفاً له بذلك ومَنّاً عليه حتَّىٰ يُحِبَّ الدُخولَ فيه وتَسْكُنَ نفسُه إليه ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ﴾ أي: يَخذُلَه ويُخلِّيَه وشأنَه وهو الَّذي لالطفَ له ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ بأن يمنعَه أَلطافَه حتَّىٰ يَقْسُوَ قلبُه ويَنْبُوَ من قبولِ الحقِّ، ويَنْسَدَّ فلا يَدْخُلَه الإيمانُ، وقُرِئَ: ﴿حَرِجاً﴾ بفتحِ الراءِ وكسرِها[٤]. فالفتحُ على

(١) رواها الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٦٣، والرازي في تفسيره: ج ١٣ ص ١٧٣ عن مقاتل، وأشار إليها الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٨٨.

(٢) المدثّر: ٥٢.

(٣) قَمَأَ قَمأَةً وقَماءَةً وقُمْأَةً: ذلَّ وصَغُر. (القاموس المحيط: مادة قمأ).

(٤) وهي قراءة نافع وعاصم برواية أبي بكر. انظر التبيان: ج ٤ ص ٢٦٣، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦٨، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٠. وحكاها الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٥٣ ونسبها إلىٰ ابن عبّاس وعمر.

الوصفِ بالمصدرِ ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: يَتَصَعَّدُ في السماءِ، أي: كأنَّما يُزاوِلُ أمراً غيرَ ممكنٍ؛ لأنَّ صعودَ السماءِ مَثَلٌ فيما يَبْعُدُ من الاستطاعةِ وتَضيقُ عنه المَقْدُرَةُ، وقُرِئَ: «يَصَّاعَدُ»[١] أي: يَتَصاعَدُ ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ أي:الخِذلانَ ومنعَ التوفيقِ[٢]، وَصَفَه بنقيضِ مايوصَفُ به التوفيقُ من الطيبِ، أو أرادَ الفعلَ الَّذي يُؤَدِّي إلى الرجسِ وهو العذابُ[٣].

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٢٧) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (١٢٨)

﴿وَهَٰذَا﴾ طريقُ ﴿رَبِّكَ﴾ وعادتُه في التوفيقِ والخِذلانِ ﴿مُسْتَقِيماً﴾ عادلاً مُطَّرِداً لااعوجاجَ فيه، وانتَصَبَ علىٰ أنَّه حالٌ مُؤَكِّدَةٌ نحوُ قولِه: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقاً﴾[٤]، ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ﴾ أي: للَّذين تَذَكَّرُوا وعَرَفُوا الحقَّ دارُ اللهِ يعني الجنَّةَ[٥]، أَضافَها إلىٰ نفسِه تعظيماً لها، أو دارُ السلامةِ من كلِّ آفةٍ وبليّةٍ[٦] ﴿عِندَ

---

(١) قرأه أبو بكر عن عاصم والنخعي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٢٦٣، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦٩، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٨٣.

(٢) وهواختيار أبي‌عبيدة في مجازالقرآن:ج ١ ص٢٠٦،والزمخشري في‌الكشّاف:ج٢ص ٦٤.

(٣) وهو قول ابن زيد علىٰ ماحكاه عنه القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٨٣.

(٤) البقرة: ٩١.

(٥) وهو قول الحسن والسدي. انظر تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٦٤، و التبيان: ج ٤ ص ٢٧١، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٦٧، واختاره البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٣٠، والقرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٨٣.

(٦) وهو قول الزجّاج والجبائي علىٰ ماحكاه عنهما الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٧١، ←

رَبِّهِمْ﴾ أَي: هي مضمونةٌ لهم عند ربِّهم يوصِلُهم إليها لامَحالةَ، كما تقول: لفلانٍ عندي حقٌّ لايُنسَىٰ ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ مُواليهم ومُحِبُّهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أَي: بسببِ أعمالِهم، أو متولِّيهم بجزاءِ ماكانوا يَعْمَلُون، «وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ»[1] منصوبٌ بمحذوفٍ، أَي: واذكُرْ يومَ نَحشُرُهم، أو يومَ نَحشُرُهم ﴿جَمِيعاً﴾ قُلنا: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾، أو يومَ نَحشُرُهم وقُلنا: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ كانَ مالايوصَفُ لفَظاعتِه، والجنُّ هم الشياطينُ ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ أَضْلَلْتُمْ منهم كثيراً كما يُقالُ: ٱسْتَكْثَرَ فلانٌ من الأَشياعِ ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ الّذين اتَّبَعُوهم وأَطاعوهم: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أَي: انتَفَعَ الإِنسُ بالشياطينِ حيثُ دَلُّوهم على الشهَواتِ ومايوصِلُ إليها، وانتَفَعَ الجنُّ بالإِنسِ حيثُ أَطاعوهم ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ يَعْنُونَ يومَ البعثِ ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالىٰ لهم: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ أَي: مُقامُكم ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ مُؤَبَّدين ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من أَوقاتِ حشرِهم من قبورِهم ومقدارِ مدَّتِهم في مُحاسَبَتِهم[2]، وقيل: إِنَّ الاستثناءَ لغيرِ الكفَّارِ من عُصاةِ المسلمين فإِنَّهم في مشيَّةِ اللهِ إِن شاءَ سبحانه عَذَّبَهم وإِن شاءَ عفا عنهم، أَو لمن آمَنَ من الكفَّارِ[3].

← والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٦٧ عن الزجّاج، وانظر معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٩٠ ـ ٢٩١.

(١) وهي قراءة الجمهور غير عاصم برواية حفص ويعقوب برواية روح. انظر التبيان: ج ٤ ص ٢٧٢، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٦٩، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٠، والتيسير للداني: ص ١٠٧، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٤٥١ ـ ٤٥٢.

(٢) وهو اختيار الرماني والبلخي والطبري والزجّاج والجبّائي علىٰ ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٧٤.

(٣) قاله ابن عباس على ماحكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٣١، والقرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٨٤.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (١٢٩) يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ (١٣٠)

أَي: ﴿وَ﴾ مثلُ ذلكَ ﴿نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ نُخلِّيهم حتَّىٰ يَتولّىٰ بعضُهم بعضاً كما فَعَلَ الشياطينُ وغُواةُ الإنسِ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ أَي: بسببِ ماكَسَبُوا من الكفرِ والمعاصي ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ ٱختُلِفَ في أَنَّ الجنَّ هل بُعِثَ إليهم رُسُلٌ منهم؟ فقالَ بعضُهم: بُعِثَ إليهم رسولٌ من جنسِهم[١]، وتَعلَّقَ بظاهرِ هذه الآيةِ، وقال الآخرون: الرُسلُ من الإنسِ خاصَّةً[٢]، وإنَّما قيلَ: ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ لأَنَّه لمَّا جُمِعَ الثَقَلانِ في الخطابِ صَحَّ ذلك وإن كانَ من أَحدِهما، كقولِه: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[٣] وإن كانَ اللُؤْلُؤُ يَخرُجُ من المِلحِ دونَ العَذبِ، وعن ابنِ عبَّاس: إِنَّما بُعِثَ الرسولُ من الإنسِ، ثمَّ كان هو يُرْسِلُ إلى الجنِّ رسولاً منهم[٤] ﴿يَقُصُّونَ﴾ أَي: يَتْلُونَ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ حُجَجي ودلائِلي ويُخَوِّفونَكم ﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ هذا حكايةٌ لتصديقِهم وإيجابِهم

---

(١) وهو قول الضحّاك علىٰ ماحكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٧٠، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٣١، والشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٧٧ وقال: وبه قال الطبري واختاره البلخي أيضاً وهو الأقوىٰ. وفي تفسير القرطبي: ج ٧ ص ٨٦: قاله الضحّاك ومقاتل.

(٢) وهو قول ابن جريج والفراء والزجّاج والرماني والبلخي والطبري علىٰ ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٧٠. وحكاه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٣١، والقرطبي أيضاً: ج ٧ ص ٨٦ ونسباه إلىٰ مجاهد والكلبي وابن عبّاس علىٰ رواية.

(٣) الرحمن: ٢٢.

(٤) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٧٧، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٧٠، والقرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٨٦، وانظر تفسير الطبري: ج ٥ ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

قولَه، وإقرارِهم بأَنَّ حجَّةَ اللهِ لازمةٌ لهم.

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ (١٣١) وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢) وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ (١٣٣) إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (١٣٤) قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(١٣٥)

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إِلىٰ ماتَقَدَّمَ من بعثِهِ الرُسلَ إِليهم، وتقديرُه: الأَمرُ ذلك ﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ﴾ تعليلٌ، أَي: الأَمرُ ماقَصَصْنا عليك لانتفاءِ كونِ ربِّك ﴿مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ أَي: بسببِ ظلمٍ أَقدَموا عليه[1]، أَو ظالماً علىٰ معنىٰ: أَنّه لو أَهْلَكَهم من غيرِ تنبيهٍ برسولٍ وكتابٍ لكان ظالماً وهو مُتَعالٍ عن الظُلمِ[2] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من المكلَّفين ﴿دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ أَي: مراتبُ من أَعمالِهم علىٰ حسبِ مايَسْتحِقُّونه، وقيل: أَراد دَرَجاتٌ وَدَرَكاتٌ مِنْ جَزاءِ أَعْمالِهم فَغَلَّبَ منازلَ أَهلِ الجنَّةِ[3] ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ﴾ أَي: بساهٍ ﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ فلا يخفىٰ عليه مقاديرُه ومايُسْتَحَقُّ عليه ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن عبادِه وعن عبادتِهم ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ يَتَرَحَّمُ عليهم بالتكليفِ لِيُعَرِّضَهم للمنافعِ العظيمةِ الَّتي لايَحْسُنُ إِيصالُهم إِليها إِلَّا بالاستحقاقِ لاقترانِها بالتعظيمِ والإِجلالِ ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أَيُّها العُصاةُ

(١) وهو قول مقاتل علىٰ ماحكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٧٢.

(٢) وهو قول مجاهد والفراء والجبائي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٢٧٨، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٧٢، ومعاني القرآن: ج ١ ص ٣٥٥.

(٣) قاله الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٦٧، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢٣٠.

﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ أي: ويُنشِئْ من بعدِ إهلاكِكم وإذهابِكم خَلْقاً غيرَكم يُطيعونه يَكونون خَلَفاً لكم ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ تَقَدَّموكم ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من الحشرِ والثوابِ والعقابِ وتفاوتِ أَهلِ الجنَّةِ والنارِ في الدَرَجاتِ والدَرَكاتِ ﴿لَأَتٍ﴾ لامَحالةَ ﴿وَمَآ أَنتُم﴾ بخارجين من ملكِه ﴿ٱعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ المَكانَةُ تَكونُ مصدراً لـ«مَكُنَ»: إذا تَمَكَّنَ أَبْلَغَ التَمَكُّنِ، ويكونُ بمعنى المكانِ يقال: مكانٌ ومكانةٌ ومقامٌ ومقامةٌ، أَي: اعمَلوا علىٰ تمكُّنِكم من أَمرِكم وأَقصىٰ استطاعتِكم وإمكانِكم[١]، أَو اعمَلوا علىٰ حالِكم التي أَنتم عليها[٢] ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ علىٰ مكانَتِي الَّتي أَنا عليها، والمعنىٰ: اثبُتُوا علىٰ كفرِكم وعَداوتِكم فإِنِّي ثابتٌ على الإِسلامِ وعلىٰ مُصابَرَتِكم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أَيُّنا تكونُ له العاقبةُ المحمودةُ، وهذا نحوُ قولِه: ﴿ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[٣] في أَنَّه علىٰ طريقِ التهديدِ والتسجيلِ على المأمورِ بأَنَّه لايَأْتي منه إِلَّا الشرُّ، فكأَنَّه واجبٌ عليه وهو مأمورٌ به ليس له أَن يَعْمَلَ بخلافِه ﴿مَن تَكُونُ لَهُ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ إن كان بمعنىٰ «أَيٌّ» فمحلُّه الرفعُ ويكونُ تعليقاً، وإِن كانَ بمعنىٰ «الَّذي» فمحلُّه النصبُ[٤]، و ﴿عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ العاقبةُ: الحُسنَى الَّتي خَلَقَ اللهُ هذِهِ الدارَ لها، وهو وَعيدٌ.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيباً فَقَالُوا هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ

---

(١) وهو قول أبو زيد علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٨٣، واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٩٣، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢٣١.

(٢) وهو اختيار النحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٩٧.

(٣) فصّلت: ٤٠.

(٤) انظر تفصيل ذلك في معاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٣٥٥، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٣١.

فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (١٣٦)

يعني: كفَّارَ مكَّةَ وأسلافَهم، كانوا يُعَيِّنون أشياءَ ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ للهِ وأشياءَ منهما لآلهتِهم، فإذا رَأَوْا ماجَعَلوه للهِ نامياً زاكياً رَجَعُوا فجَعَلُوه للآلهةِ، وإذا زَكا ماجَعَلُوه للآلهةِ تَرَكوه لها، واعتلُّوا لذلك بأَنَّ الله غنيٌّ[١]، وقولُه: ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ فيه أنَّ اللهَ هو الَّذي ذَرَأَه وزَكَّاه، فكان أولىٰ بأَن يُجْعَلَ له الزاكي، وقُرِئَ: «بِزُعْمِهِم» بضمِّ الزاي[٢] وفتحِها، أي: زَعَمُوا أنَّه للهِ واللهُ لم يَأْمُرْهم بذلك، وسُمِّيَ الأَوثانُ شركاءَهم لأَنَّهم أَشْرَكوهم في أموالِهم وفي أَنعامِهم ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ في إيثارِ آلهتِهم على اللهِ سبحانه، وعملِهم علىٰ مالم يُشَرَّعْ لهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَافَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١٣٧) وَقَالُواْ هَـٰذِهِ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ (١٣٨)

أَي: ومثلُ ذلك التزيينِ الَّذي هو تزيينُ الشركِ في قسمةِ القُرُباتِ بينَ اللهِ وآلهتِهم ﴿زَيَّنَ﴾ لهم ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ من الشياطينِ[٣]، أَو من سَدَنَةِ الأَصنامِ[٤]

---

(١) انظر تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٣٣.

(٢) وهي قراءة يحيىٰ بن وثاب والسُلَمي والأعمش والكسائي. راجع تفسير القرطبي: ج ٧ ص ٩٠، والتبيان: ج ٤ ص ٢٨٤، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٣٣، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٧٠.

(٣) وهو قول الحسن ومجاهد والسدي. راجع تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٦٥، والتبيان: ج ٤ ص ٢٨٧.

(٤) وهو قول الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٥٧، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٩٤، وحكاه عنهما الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٨٧، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٧٤.

﴿قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ﴾ بالوَأْدِ خيفةَ العَيْلةِ أَو العارِ، وقُرِئَ: «زُيِّنَ» على البناءِ للمفعولِ الَّذي هو قتلُ «أَوْلادَهُمْ» بالنصبِ «شُرَكآئِهِمْ» بـالجر عـلىٰ إضـافةِ «قَـتْلُ» إلىٰ «شُرَكائِهِمْ»(١) والفصلِ بينَهما بغيرِ الظرفِ كما جاءَ في الشعرِ:

فَـــــزَجَجْتُها بِـــــمِزَجَّةٍ زَجَّ القَلُوصَ أَبي مَـزادَهْ(٢)

والتقديرُ: زُيِّنَ لهم أَن قَتَلَ شُرَكاؤُهم أَولادَهم ﴿لِـيُرْدُوهُمْ﴾ أَي: ليُـهلِكوهم بالإِغواءِ ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ وليَخْلِطوه عليهم ويُشَبِّهوه، ودِينُهم هو ماكانوا عليه من دين إسماعيل، وقيل: دينُهم الَّذي كان يَجِبُ أَن يَكونوا عليه(٣) ﴿وَلَـوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مشيَّةَ قسر ﴿مَافَعَلُوهُ﴾ أَي: مافَعَلَ المشركون مازُيِّنَ لهـم مـن القـتلِ ﴿فَذَرْهُمْ وَمَايَفْتَرُونَ﴾ أَي: وافتراءَهم أَو مايَفْتَرونَه من الإِفكِ ﴿حِجْرٌ﴾ فِعْلٌ بمعنىٰ مفعولٍ كالذبحِ والطحنِ بمعنى المذبوحِ والمطحونِ، ويستوي فيه الواحدُ والجمعُ والمذكَّرُ والمؤَنَّثُ لأَنَّ حكمَه حكمُ الأَسماءِ غيرِ الصفاتِ(٤)، وعن ابـنِ مسـعودٍ وأُبَيٍّ: «حِرْجٌ»(٥) وهو من التضييقِ، وكانوا إذا عَيَّنُوا شيئاً من حَرثِهم وأَنـعامِهم

---

(١) قرأه ابن عامر. راجع التبيان: ج ٤ ص ٢٨٦، وكتاب السبعة في القراءات لابـن مـجاهد: ص ٢٧٠، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١١.

(٢) البيت من الكامل، ولم نقف علىٰ قائله فيما توفّرت لدينا من مـصادر، قـال الشـيخ فـي التبيان: أنشده بعض الحجازيّين ذكره أبو الحسن. وفي خزانة الأدب: قال ابن خلف: هذا البيت يروىٰ لبعض المدنيّين المولّدين. والمزجّة: الرمح القصير، وأبو مزادة: كنية رجل، أراد أنّه طعن الناقة أو الجماعة، وقيل: امرأته كطعن أبي مزادة القلوص في السير. انظر التبيان: ج ٤ ص ٢٨٦، وخزانة الأدب: ج ٤ ص ٤١٥، وكتاب سيبويه: ج ١ ص ٨٨، والخصائص: ج ٢ ص ٤٠٦، والقاموس المحيط: مادة (زج).

(٣) حكاه الزمخشري في كشّافه: ج ٢ ص ٧٠.

(٤) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ٧١.

(٥) حكاه عنهما ابن خالويه في شواذ القرآن: ص ٤٦، والقرطبي في تـفسيره: ج ٧ ص ٩٤، وأبو حيان الأندلسي في بحره: ج ٤ ص ٢٣١. وانظر إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ٩٩.

لآلهتِهم قالوا: ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ يعنون خَدَمَ الأَصنامِ والرجالَ دونَ النساءِ ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ من غيرِ حجَّةٍ لهم فيه ﴿وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ هي البحائِرُ والسوائِبُ والحَوامي ﴿وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ في الذبحِ والنحرِ وإنَّما يَذْكُرُون عليها أَسماءَ الأَصنامِ، وقيل: لا يَحِجُّون عليها ولا يُلَبُّونَ علىٰ ظهورِها[1]، والمعنىٰ: أَنَّهم قَسَّموا أنعامَهم فقالوا: هذِهِ أنعامٌ حِجْرٌ وهذِهِ أَنعامٌ محرَّمةُ الظُّهورِ وهذِهِ أَنعامٌ لا يُذْكَرُ عليها اسْمُ اللهِ، فجَعَلوها أجناساً بِدَعواهم الباطلةِ، ونَسَبوا ذلك التَّقسيمَ إِلى اللهِ ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ أَي: فَعَلُوا ذلك كلَّه علىٰ جهةِ الافتراءِ، فهو مفعولٌ له أَو حالٌ[2].

﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩) قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ (١٤٠)

كانوا يقولون في أَجِنَّةِ البَحائِرِ والسوائِبِ: إِنَّ ما وُلِدَ منها حيّاً فهو خالصٌ للذُكورِ وما وُلِدَ منها ميّتاً اشْتَرَكَ فيه الذُكورُ والإِناثُ، وأُنِّثَ ﴿خَالِصَةٌ﴾ للحملِ على المعنىٰ؛ لأَنَّ ﴿مَا﴾ في معنى الأَجِنَّةِ، وذُكِّرَ ﴿مُحَرَّمٌ﴾ للحملِ على اللفظِ[3]، ويجوزُ أَن يكونَ التاءُ للمُبالَغَةِ كالتاءِ في «راويةِ الشِعرِ»[4]، وأَن يكونَ مصدراً

---

(١) قاله أبو وائل علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٨٩، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٧٦، والقرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٩٥.

(٢) راجع تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٣٦.

(٣) وهو اختيار الفراء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٥٨، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٩٥، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢٣٧.

(٤) وهو اختيار الكسائي والأخفش علىٰ ماحكاه عنهما القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٩٥، ←

وَقَعَ موقعَ الخالصِ كالعافيةِ أَي: ذو خالصةٍ، ويَدُلُّ عليه قِراءَةُ من قَرَأَ: «خالِصَةً» بالنَصبِ[١] علىٰ أَنَّ قولَه: ﴿لِّذُكُورِنَا﴾ هو الخبرُ و«خالصةً» مصدر مؤكِّدٌ ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾ وإن يَكُنْ مافي بطونِها ميتةً، وقُرِئَ: «وَإِنْ تَكُن»[٢] علىٰ: وإن تكن الأَجِنَّةُ ميتةً، وقُرِئَ: «وَإِنْ تَكُنْ» بالتأنيثِ «مَيْتَةٌ» بالرفعِ[٣] علىٰ «كان» التامَّةِ، وذُكِّرَ الضميرُ في قولِه: ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ لأَنَّ المَيْتَةَ لكلِّ ميِّتٍ ذكراً أَو أُنثىٰ، فكأَنَّه قيل: وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتٌ فَهُمْ فِيهِ شُرَكـاءُ ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ أَي: جزاءَ وصفِهم الكَذِبَ على اللهِ في التحليلِ والتحريمِ من قولِه: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾[٤] ﴿هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ﴾[٥]، ﴿سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أَي: جهلاً وخفَّةَ حلمٍ وذهاباً عن الصوابِ، جَهِلُوا أَنَّ اللهَ هو رازقُ أَولادِهم لاهم، وقُرِئَ: «قَتَّلُوا» بالتَشديدِ[٦] ﴿وَحَرَّمُواْ مَارَزَقَهُمُ﴾ من البحائرِ والسوائِبِ وغيرِهما.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَاتُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَايُحِبُّ

← وراجع معاني القرآن: ج ٢ ص ٥٠٦.

(١) وهي قراءة ابن عبّاس وقتادة وابن جبير والأعرج. راجع البحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٢٣١، وإعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ٩٩، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٩٦.

(٢) قرأه ابن عامر إلّا الداحوني عن هشام وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر. راجع التبيان: ج ٤ ص ٢٩٠، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٣٥، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٧١، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٢.

(٣) وهي قراءة ابن عامر. انظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٧٠، والتبيان: ج ٤ ص ٣٠٣.

(٤) النحل: ٦٢.

(٥) النحل: ١١٦.

(٦) قرأه ابن كثير وابن عامر. راجع التبيان: ج ٤ ص ٢٩٢، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٣٥، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٧١.

ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (١٤١)

ثمَّ ذكَرَ سبحانه إنشاءَه الأشياءَ فقالَ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ﴾ من الكرومِ ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ مَسموكاتٍ مَرفوعاتٍ بالدعائِمِ ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ متروكاتٍ علىٰ وجهِ الأَرضِ لم تُعرَشْ ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ﴾ أَي: وأَنشأَ النخلَ والزرعَ ﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ في اللونِ والطعمِ والحجمِ والرائِحةِ وهو ثمرُهُ الَّذي يُؤكَلُ، والضميرُ للنخلِ، والزرعُ داخلٌ في حكمِه لكونِه معطوفاً عليه ،و ﴿مُخْتَلِفًا﴾ حالٌ مقدَّرةٌ؛ لأَنَّه لم يكن وقتَ الإنشاءِ كذلك ﴿وَ﴾ أَنشأَ ﴿ٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾ في الطعمِ واللونِ والحجمِ ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ فيها، وإِنَّما قالَ: ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ ليُعلَمَ أَنَّ وقتَ إباحةِ الأَكلِ ﴿مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾ وقتُ الإِطْلاعِ[١]، ولايُتَوَهَّمَ أَنَّه غيرُ مباحٍ أَكلُه قبلَ وقتِ الإيناعِ ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ وهو ماتَيَسَّرَ إعطاؤه المساكينَ من الضغثِ[٢] بعدَ الضغثِ والحُفْنَةِ[٣] بعدَ الحُفْنَةِ وهو المرويُّ عنهم عليهم السلام[٤]، وقيل: إِنَّه الزكاةُ: العُشرُ أَو نصفُ العُشرِ[٥]، أَي: لاتُؤَخِّروه عن أَوَّلِ وقتٍ يُمْكِنُ فيه الإيتاءُ ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ بأَن تَتَصدَّقُوا بالجميع ولاتُبْقُوا للعيالِ شيئاً.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٤٢) ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ

(١) طلع النخل: خرج طلعه، والطلعُ مايبدو من الثمرة في أول ظهورها. (القاموس المحيط: مادة طلع).

(٢) الضغث: قبضة حشيش. (القاموس المحيط: مادة ضغث).

(٣) الحُفنة: ملء الكفّ. (القاموس المحيط: مادة حفن).

(٤) انظر التبيان: ج ٤ ص ٢٩٥.

(٥) وهو قول ابن عبّاس ومحمّد بن الحنفية وزيد بن أسلم والحسن وسعيد بن المسيّب وطاووس وجابر بن عبدالله وبريد وقتادة والضحّاك. راجع التبيان: ج ٤ ص ٢٩٥، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٩٩.

ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّـٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (١٤٤)

عَطَفَ ﴿حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾ علىٰ ﴿جَنَّـٰتٍ﴾ أي: ﴿وَ﴾ أنشأ ﴿مِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ ماتُحْمَلُ عليه الأَثقالُ ومايُفْرَشُ للذبحِ، أو يُنْسَجُ من وَبَرِه وصوفِه وشَعرِه الفَرْشُ[١]، وقيل: الحمولةُ: الكبارُ الَّتي تَصْلُحُ للحملِ، والفرشُ: الصغارُ لدنوِّها من الأَرضِ فهي كالفرش المفروش عليها[٢] ﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ بدلٌ من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾، ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ أَي: زوجَيْن اثنَيْن، يُريدُ الذكرَ والأُنثىٰ كالكَبْشِ والنَعْجَةِ[٣] والتَيسِ[٤] والعَنْزِ[٥] والجَمَلِ والناقةِ والثورِ والبقرةِ، فإِنَّ الواحدَ يُسَمَّىٰ فرداً إِذا كانَ وحدَه وإِذا كان معه غيرُه من جنسِه فهما زوجان، يدلُّ عليه قولُه: ﴿خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾[٦] وقولُه: ﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ ثمَّ فَسَّرَها بقوله: ﴿مِّنَ

---

(١) وهو اختيار النحّاس في إعراب القرآن: ج ص ١٠١، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٧٣.

(٢) قاله ابن مسعود وابن عبّاس علىٰ روايةٍ والحسن ومجاهد علىٰ ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٢٩٧، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٧٩. وهو اختيار أبي عبيدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٠٧، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٩٨.

(٣) النعجة: الأُنثىٰ من الضأن. (القاموس المحيط: مادة نعج).

(٤) التيس: الذكر من الظباء والمعز والوعول، أو إذا أتىٰ عليه سنة. (القاموس المحيط: مادة تيس).

(٥) العنز: الأُنثىٰ من المعز. (القاموس المحيط: مادة عنز).

(٦) النجم: ٤٥.

﴿ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ و ﴿مِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾، والضأْنُ والمَعْزُ جمع ضائِنٍ وماعزٍ، والهمزةُ في ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ للإنكارِ، والمرادُ بـ «الذكَرَيْن» الذكرُ من الضَّأْنِ ومن المعزِ و بـ ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ الأنثىٰ من الضأْنِ ومن المعزِ، والمعنىٰ: إنكارُ أَن يُحَرِّمَ اللهُ من جنسَي الغنمِ: ضأْنِها ومعزِها شيئاً من نوعَيْ ذكورِها وإناثِها، ولا ممَّا تَحْمِلُ إناثُ الجنسَيْن، وكذلك القولُ في ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ من جنسَي الإبلِ والبقرِ و ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ منهما وما تَحْمِلُ إناثُهما، وذلك أَنَّهم كانوا يُحَرِّمون ذكورَ الأَنعامِ تارةً، وإناثَها تارةً، وأَولادَها كيفما كانت ذكراً[1] أَو إناثاً أَو مختلطةً تارةً، وكانوا يقولون: قد حَرَّمَها اللهُ، فأَنْكَرَ ذلك عليهم ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ أَخبِروني بأَمرٍ معلومٍ من جهةِ اللهِ يدلُّ علىٰ تحريمِ ماحَرَّمْتُمْ ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في أَنَّ اللهَ حرَّمه ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ بل أَكنتم شهداءَ حين أَمركم ربُّكم بهذا التحريم؟! ومعناه: أَعَرَفْتُمْ توصيةَ اللهِ به مُشاهِدِين، لأَنَّكم لاتؤْمنون بالرُّسُلِ وتقولون: إِنَّ اللهَ حَرَّمَ هذا الَّذي تُحَرِّمونه ؟! ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً﴾ فَنسبَ إِليه تحريمَ مالم يُحَرِّمْ ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ﴾ وهو عمرُو بنُ لُحَيٍّ بنِ قَمَعَةَ الَّذي بَحَرَ البحائِرَ وسَيَّبَ السوائِبَ. فقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ﴾ تمامُه عندَ قولِه: ﴿وَصَّـٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا﴾، وقولُه: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ إِلىٰ قولِه: ﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ اعتراضٌ، وكذلك قولُه: ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ و﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ إِلىٰ تمامِ الآيَتَيْن، والاعتراضاتُ لتأْكيدِ التحليلِ والاحتجاجِ علىٰ مَن ذَهَبَ إِلى التحريم.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّماً عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ

(١) كذا في جميع النسخ، والأصحّ والأنسب «ذكوراً».

فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَاعَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٤٥)

ثمَّ أَخَذَ في بيانِ المُحَرَّماتِ، وقولُه: ﴿فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ إِيذانٌ بأَنَّ التحريمَ إِنَّما يَثبُتُ بوحيٍ من اللهِ لابما تَهْواه النُفوسُ ﴿مُحَرَّماً﴾ أَي: طعاماً مُحَرَّماً من المطاعمِ الَّتي حَرَّمْتُمُوها ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ أَي: إِلَّا أَن يكون الشيءُ المُحَرَّمُ ميتةً ﴿أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً﴾ مصبوباً سائِلاً كالدمِ في العُروقِ لاكالكَبدِ أَو المختلطِ باللحمِ لايُمكنُ تخليصُه منه ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ أَي: نجسٌ ﴿أَوْ فِسْقاً﴾ عطفٌ على المنصوبِ قبلَه و ﴿أُهِلَّ﴾ صفةٌ له ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ فمن دَعَتْه الضرورةُ إِلىٰ أَكلِ شيءٍ من هذه المحرَّماتِ ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ علىٰ مضطرٍّ مثلِه ﴿وَلَاعَادٍ﴾ أَي: متجاوزٍ قدرَ حاجتِه من تَناوُلِه.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّامَاحَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ (١٤٦) فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَايُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (١٤٧)

ذو الظُفُرِ: كلُّ ماله إِصبعٌ من دابَّةٍ أَو طائرٍ ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ هو كقولِك: مِنْ زَيْدٍ أَخَذْتُ مالَه، تريدُ بالإِضافةِ زيادةَ الرَبطِ، والمعنىٰ: أَنّه حُرِّمَ عليهم لحمُ كلِّ ذي ظُفُرٍ وشحمُه وكلُّ شيءٍ منه، ولم يُحَرَّمْ عليهم من البقرِ والغنمِ إِلَّا الشُحومُ الخاصَّةُ وهي التُروبُ[1] وشُحُومُ الكُلىٰ، وقولُه: ﴿إِلَّامَاحَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ معناه: إِلَّا ما اشْتَمَلَ على الظُهورِ والجُنوبِ ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ أَو ما اشْتَمَلَ على الأَمعاءِ ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ وهو شحمُ الأَليةِ

(١) التربُ: شحم رقيق يُغَشّي الكَرِشَ والأمعاء. (القاموس المحيط: مادة ثرب).

﴿ذَالِكَ﴾ الجزاءَ ﴿جَزَيْنَـٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ بسببِ ظلمِهم ﴿وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾ فيما أوعدنا به العُصاةَ، وفي الإخبارِ عن بغيِهم ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فيما تقولُ ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ لايُعَجِّلُ بالعقوبةِ، ولايُدْفَعُ عذابُه إذا جاءَ وقتُه.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَالِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩) قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَـٰذَا فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١٥٠)

هذا إخبارٌ بماسوف يَقولونه، ثمَّ لمَّا قالوه قالَ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم﴾[1] زَعَمُوا أَنَّ شركَهم وشركَ آبائِهم وتحريمَهم ماحَرَّمُوه بمشيئَةِ اللهِ تعالىٰ وإرادتِه، ولولا أنَّه شاءَ ذلك لم يكن شيءٌ منه، وهذا مذهبُ المُجبِّرَةِ بعينِه ﴿كَذَالِكَ﴾ جاءَ[2] ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ بالتكذيبِ المطلقِ؛ لأَنَّ اللهَ سبحانه رَكَّبَ في العقولِ مادلَّ علىٰ علمِه بالقبائحِ، وبِغِناه عنها وبراءَتِه عن مشيئَةِ القبائحِ وإرادتِها، وأَخْبَرَ أنبياءَه بذلك، فمن عَلَّقَ وجودَ الكفرِ بمشيئَتِه فقد كَذَّبَ التكذيبَ كلَّه وهو تكذيبُ اللهِ وكتبِه ورسلِه، ونَبَذَ أدلَّةَ العقلِ والسَّمعِ وراءَ ظهرِه ﴿كَذَالِكَ﴾ أي: مثلُ ذلك التكذيبِ الَّذي صَدَرَ من هـٰؤُلاءِ ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟

(١) الزخرف: ٢٠.
(٢) في بعض النسخ: حال.

بَأْسَنَا﴾ حتَّىٰ أَنْزَلْنا عليهم العذابَ بتكذيبِهم ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ من أَمرٍ معلومٍ يصحُّ الاحتجاجُ به فيما قُلتم ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ وهذا من التهكُّمِ والشهادةِ بأَنَّ مثلَ قولِهم محالٌ أَن يكونَ له حجَّةٌ ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ أَي: ماتتَّبعون في قولِكم هذا ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ تُقَدِّرونَ أَنَّ الأَمر كما تَزعُمون، أَو تكذِبون ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ﴾ أَي: فإِن كان الأَمرُ كما زَعَمْتُم أَنَّ ماأَنتم عليه بمشيئَةِ اللهِ فَلِلّهِ الحجَّةُ الْبالِغَةُ عليكم علىٰ قودِ مذهبِكم، فإِنَّه يقتضي أَن تُعلِّقوا دينَ من يُخالِفُكم أَيضاً بمشيئَةِ اللهِ ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ منكم ومن مُخالِفيكم[١] في الدينِ، فينبغي أَن تُوالوهم ولاتُعادوهم لأَنَّ المشيئَةَ تَجْمَعُ بينَ ماأَنتم عليه وماهم عليه ﴿هَلُمَّ﴾ يستوي فيه الواحدُ والجمعُ والمذكَّرُ والمؤنَّثُ، وبنو تميمٍ تُؤنِّثُ وتَجْمَعُ[٢]، والمعنىٰ: هاتوا ﴿شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾ بصحَّةِ ماتَدَّعونه من ﴿أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَـٰذَا فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أَي: لاتُسَلِّمْ لهم ماشَهِدُوا به ولاتُصدِّقْهم؛ لأَنَّه إِذا سَلَّمَ لهم فكأَنَّه شَهِدَ مثلَ شهادتِهم وكان واحداً منهم.

﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّاتُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَلَاتَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَاتَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَابَطَنَ وَلَاتَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّابِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّـٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١٥١)

﴿مَاحَرَّمَ﴾ منصوبٌ بـ ﴿أَتْلُ﴾ بمعنىٰ: أَتْلُ الّذي حرَّمه ربُّكم، أَو بـ ﴿حَرَّمَ﴾ بمعنىٰ: أَتْلُ أَيَّ شيءٍ حَرَّمَ ربُّكم لأَنَّ التلاوةَ من القولِ[٣]، و «أَنْ» في «أَنْ

---

(١) في نسخة: مخالفتكم.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٤٦.

(٣) قال الهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢٤٨: و «ما» علىٰ هذا تكون ←

لَّاتُشْرِكُوا» مفسِّرةٌ و «لا» للنهي[١]، وإن جُعِلَتْ «أَن» الناصبة للفعلِ كانَ ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ بدلاً من ﴿مَاحَرَّمَ﴾، إِلَّا أَنَّ القولَ الأَوَّلَ أَوجَهُ ليَكونَ «لاتُشْرِكُوا»، ﴿وَلَاتَقْرَبُوا﴾، ﴿وَلَاتَقْتُلُوا﴾، ﴿وَلَاتَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ﴾ نواهيَ وتَنعطِفَ الأَوامرُ عليها وهي قولُه: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ فإنَّ التَقديرَ: وَأَحْسِنُوا بالوالدَيْن إِحساناً ﴿وَأَوْفُوا﴾، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾، ويجوزُ أَن تقفَ على قولِه: ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ ثمَّ تبتدئَ فتقولَ: ﴿عَلَيْكُمْ أَلَّاتُشْرِكُوا﴾ أَي: عليكم تركُ الإِشراكِ، على أَن يكونَ «أَن» الناصبةَ للفعلِ ﴿وَلَاتَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ أَي: من أَجلِ إِملاقٍ وخَشيتِه، وهو الفقرُ[٢] ﴿ٱلْفَوَاحِشَ﴾ المعاصيَ والقبائحَ ﴿مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَابَطَنَ﴾ مثلُ قولِه: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾[٣]، وعن الباقرعليه السلام: «ماظَهَرَ هو الزنا، ومَابَطَنَ هو المُخالَّةُ»[٤]، وأَعادَ ذكرَ النهي عن القتلِ وإن كانَ داخلاً في الفواحشِ تعظيماً لأَمرِه ﴿إِلَّابِالْحَقِّ﴾ كالقصاصِ والقتلِ على الردَّةِ والرجمِ، و﴿ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ هي نفسُ المسلمِ والمُعاهِدِ.

﴿وَلَاتَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَانُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّـٰكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَاتَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن

← استفهامية، و «عليكم» يحتمل أن يكون من صلة التلاوة، وأن يكون من صلة التحريم.

(١) وهو اختيار الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٦٤، وحكاه عنه النحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ١٠٦، واختاره الزمخشري أيضاً في الكشاف: ج ٢ ص ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) وهو قول ابن عبّاس وقتادة والسدي وابن جريج والضحّاك على ماحكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣١٥، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٨٦.

(٣) الأنعام: ١٢٠.

(٤) التبيان: ج ٤ ص ٣١٦.

سَبِيلِهِ ذَٰلِكُم وَصَّىٰكُم بِهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣)

المرادُ بالقربِ التصرُّفُ فيه ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بالخَصْلَةِ الَّتي هي أَحسنُ مايُفعَلُ بمالِ اليتيمِ، وهي حفظُه وتثميرُه، والمعنى: احفظوه عليه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو بلوغُ الحُلُمِ وكمالُ العقلِ، ثمَّ ادفَعوه إليه ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالتسويةِ[١] والعدلِ ﴿لَانُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وهو مايَسَعُها ولاتَعجِزُ عنه، وإِنَّما أَتْبَعَ الأَمرَ بإِيفاءِ الكيلِ والوزنِ ذلك؛ لأَنَّ مراعاةَ التعديلِ فيهما على الحدِّ الَّذي لازيادةَ فيه ولانقصانَ ممَّا يَتعَذَّرُ، فأَمَرَ ببلوغِ الوُسعِ وأَنَّ ماوراءَه معفوٌّ عنه ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ﴾ أَي: فَقُولُوا الحقَّ ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقولُ له أَو عليه في شهادةٍ أَو غيرِها ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ من القائِلِ، أَي: من أَهلِ قَرابتِه ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾ قُرِئَ بالفتحِ علىٰ تقديرِ: ولأَنَّ هذا صراطي مستقيماً ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾، وهذا علىٰ قياسِ قولِ سيبَوَيْهِ في نحوِ قولِه: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَاتَدْعُواْ﴾[٢] و ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ... فَلْيَعْبُدُواْ﴾[٣] فيكونُ ـ علىٰ هذا ـ قولُه: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾ علَّةً للاتِّباعِ[٤]، وقُرِئَ: «وَأَنْ هـٰذا» بالتخفيفِ[٥] علىٰ: وأَنَّه هـٰذا صِراطِي علىٰ أَنَّ الهاءَ ضميرُ الشَأْنِ، وقُرِئَ: «وَإِنَّ» بالكسرِ[٦] فيكونُ كأَنَّه قيل: وَاتَّبِعُوا صِراطِي إِنَّه مُسْتَقِيمٌ ﴿وَلَاتَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ الطُرُقَ المختلفةَ في الدينِ من اليهوديَّةِ والنصرانيَّةِ

---

(١) في نسخة: بالسوية. (٢) الجنّ: ١٨.

(٣) قريش: ١ ـ ٣.

(٤) كتاب سيبويه: ج ١ ص ٤٦٤، وحكاه عنه النحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ١٠٧.

(٥) وهي قراءة ابن عامر ويعقوب. راجع التبيان: ج ٤ ص ٣١٩، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٤٢، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٧٣، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٣، والتيسير للداني: ص ١٠٨.

(٦) قرأه حمزة والكسائي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٣١٩، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٤٢، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٧٣، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٣.

والمجوسيَّةِ وسائِرِ البِدَعِ والشُّبُهاتِ ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ أَصلُه تَتَفرَّقَ، أَي: فتُفرِّقَكُم أَيادِيَ سَبأ[1] ﴿عَن سَبِيلِهِ﴾ عن صِراطِ اللهِ المُستقيمِ وهو دينُ الإسلامِ، وقُرِئَ: «فتَّفَرَّقَ» بإدغامِ التاءِ في التاءِ[2].

ورُوِيَ: أَنَّ النبيَّ ﷺ خَطَّ خطّاً ثمَّ قالَ: هذا سَبِيلُ الرُّشدِ، ثمَّ خطَّ عن يمينِه وعن شمالِه خطوطاً ثمَّ قالَ: هذِهِ سُبُلٌ عَلىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنها شَيطانٌ يَدعو إِلَيْه، ثمَّ تَلا هذِهِ الآيةَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيماً﴾[3].

وعن ابنِ عبَّاس: هذه الآياتُ محكماتٌ لم يَنْسَخْهنَّ شيءٌ من جميعِ الكتبِ[4].

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَاماً عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤) وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن

---

(١) ذهبوا أيدي سبأ، وتفرّقوا أيدي سبأ. مثلٌ يضرب في من تفرّقوا تفرقاً لااجتماع معه، وسبأ هو رجل من العرب ولد عشرة، تيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة، فأمّا الذين تيامنوا: فالأزد وكندة ومذحج والأشعرون وإنما رمنهم بجيلة، وأمّا الذين تشاءموا فعاملة وغسان ولخم وجذام وهم الذين أرسل عليهم سيل العرم بفعل جرذٍ بعثه الله سبحانه فنقبت ردمهم الذي ابتنوه بعدما كذبوا رسولهم، فانتقض الردم فدخل الماء جنتيهم فغرقهما ودفن السيل بيوتهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾. انظر مجمع الأمثال للميداني: ج ١ ص ٢٨٧.

(٢) قرأه ابن فليح والبزي إلّا القواس. انظر التبيان: ج ٤ ص ٣١٩، وكتاب العنوان في القراءات لابن خلف الأندلسي: ص ٩٣.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: ج ٢ ص ٣١٨ باسناده عن عبدالله، وليس فيه لفظ «الرشد»، والتلخيص للذهبي المطبوع بهامش المستدرك.

(٤) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٨٠، والهمداني في الفريد: ج ٢ ص ٢٥٢.

رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ (١٥٧)

عُطِفَ ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا﴾ علىٰ ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ والمعنىٰ: ذٰلكم وَصَّاكم به يابَني آدمَ قديماً وحديثاً ثُمَّ إِنَّا آتَيْنا ﴿مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾، وقيل: هو عطفٌ علىٰ ماتَقَدَّمَ من قولِه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [(١)] [(٢)]، ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ أي: تماماً للكَرامةِ والنعمةِ علىٰ مَن كانَ مُحسِناً صالحاً يريدُ جنسَ المُحسِنين [(٣)]، أو أَراد به موسىٰ عليه السلام أَي: تتمَّةً للكَرامةِ على العبدِ الَّذي أَحْسَنَ الطَّاعةَ في التبليغِ وفي كلِّ ماأُمِرَ به [(٤)]، أو تماماً على الَّذي أَحْسَنَ موسىٰ من العلمِ والشرائِعِ [(٥)]، مِن أَحْسَنَ الشيءَ: إِذا أَجادَ معرفتَه، أَي: زيادةً علىٰ علمِه علىٰ وجهِ التتميمِ ﴿أَن تَقُولُوٓا۟﴾ كَراهةَ أَن تقولوا: ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَـٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ﴾ يُريدون اليهودَ والنصارىٰ ﴿وَإِن كُنَّا﴾ هي المُخَفَّفةُ من المُثَقَّلَةِ، واللامُ هي الفارقةُ بينَها وبينَ النافيةِ، أَي: وإِنَّه ﴿كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَـٰفِلِينَ﴾ والهاءُ ضميرُ الشأنِ [(٦)]، والدراسةُ: القِراءَةُ، أَي: لم نَعرِفْ مثلَ دِراستِهم ﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ

---

(١) الأنعام: ٨٤.

(٢) حكاه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٢١ ونسبه الى أبي مسلم وقال: واستحسنه المغربي.

(٣) وهو قول مجاهد كما في التبيان: ج ٤ ص ٣٢١، واختاره الزمخشري في الكشّاف: ج٢ ص ٨٠.

(٤) وهو قول الربيع، واختاره الفراء والزجاج. انظر التبيان: ج ٤ ص ٣٢١، ومعاني القرآن للفراء: ج ١ ص ٣٦٥، ومعاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٣٠٦.

(٥) وهو اختيار أبي علي الجبائي علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٢١.

(٦) وهو مذهب البصريّين، وعند الكوفيّين «إن» النافية بمعنىٰ «ما»، واللام بمعنىٰ «إلّا». انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٥٥.

﴿أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ في المبادَرَةِ إلىٰ قبولِه والتمسُّكِ به لجَودةِ أذهانِنا وثَقابةِ[١] أفهامِنا، فإنَّ العربَ كانوا يَدُلُّون بحدَّةِ الذهنِ وذَكاءِ[٢] الحدس وحفظِ أيَّامِهم ووقائِعِهم وخُطَبِهم وأشعارِهم ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تبكيتٌ لهم، وهو علىٰ قِراءَةِ من قَرَأَ: «يَقُولُوا» بالياءِ[٣] علىٰ لفظِ الغَيْبةِ أحسنُ لِما فيه من الالتفاتِ، والمعنىٰ: إن صَدَقْتُمْ فيما كنتم تَعُدُّونه من أنفسِكم ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فحُذِفَ الشرطُ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ بعدَ ماعَرَفَ صحَّتَها وصدقَها، أو تَمَكَّنَ من معرفةِ ذلك ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ النّاسَ فضَلَّ وأَضَلَّ.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ (١٥٨)

أي: ماينتظِرُ هؤُلاءِ ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ ملائكةُ الموتِ أو العذابِ ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ أي: كُلُّ آياتِ ربِّك بدَلالةِ قولِه: ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ يُريدُ آياتِ القيامةِ والهلاكِ الكلِّي، وبعضُ الآياتِ[٤]: أَشراطُ الساعةِ كطلوعِ الشمسِ من مغربِها وغيرِ ذلك ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ الَّتي يَزولُ التكليفُ عندَها ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ﴾ أي: لايَنفعُ الإيمانُ حينَئِذٍ نفساً غيرَ مقدِّمةٍ إيمانَها ﴿مِن قَبْلُ﴾ ظهورِ الآياتِ، ولايَنْفَعُ الكسبُ للخيراتِ في الإيمانِ حينَئِذٍ

(١) ثقب رأيه: نفذ، وهو مِثْقَبٌ أي نافذ الرأي. (القاموس المحيط: مادة ثقب).
(٢) الذكاء: سرعة الفطنة. (القاموس المحيط: مادة ذكى).
(٣) وهي قراءة ابن محيصن. راجع شواذ القرآن لابن خالويه: ص ٤٧.
(٤) انظر الأقوال الواردة فيها في التبيان: ج ٤ ص ٣٢٧.

نفساً غير كاسبةٍ لها ﴿فِيٓ إِيمَٰنِهَا﴾ مِن قبلِ ظهورِها، وفي هذا دَلالةٌ علىٰ أنَّ كسبَ الخيرِ الَّذي هو عملُ الجوارحِ غيرُ الإيمانِ الَّذي هو عملُ القلبِ، ألا ترىٰ أنَّه عَطَفَ هذا علىٰ ذاك، والشيءُ لايُعْطَفُ علىٰ نفسِه وإنَّما يُعْطَفُ علىٰ غيرِه ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ وعيدٌ وتهديدٌ، وقُرِئَ: ﴿تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالتاءِ والياءِ(١).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (١٥٩) مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَايُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ﴾ (١٦٠)

﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ بأن جعَلوه أدياناً ﴿وَكَانُواْ شِيَعاً﴾ أي: أحزاباً وفِرَقاً يُكفِّرُ بعضُهم بعضاً كلُّ فِرقةٍ تُشيِّعُ إماماً لها.

وفي الحديث: «افْتَرَقَتِ اليهودُ علىٰ إحدىٰ وسبعين فِرْقَةً كلُّها في الهاوية إلَّا واحدةً وهي الناجيةُ، وافْتَرَقَتِ النصارىٰ على اثنتين وسَبعين فِرْقَةً كلُّها في الهاويةِ إلَّا واحدةً وهي الناجيةُ، وتَفْتَرِقُ أُمَّتي عَلىٰ ثَلاثٍ وَسَبْعينَ فِرْقَةً كلُّها في الهاويةِ إلَّا واحدة»(٢).

وقُرِئَ: «فارَقُوا دينَهُم»(٣) أي: تَرَكُوه ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ أي: من السُّؤالِ عنهم وعن تَفرُّقِهم(٤)، وقيل: معناه: أنَّك على المُباعَدَةِ التَامَّةِ من

(١) قرأه حمزة والكسائي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٣٢٦، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٤٤، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٧٣، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٣.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج ٢ ص ٣٣٢، المعجم الكبير للطبراني: ج ١٨ ص ٧٠، سنن البيهقي: ج ١٠ ص ٢٠٨.

(٣) قرأه حمزة والكسائي والأعشىٰ، وهو المروي عن علي عليه السلام علىٰ ماحكاه عنه عليه السلام الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٢٨، وراجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٤٥، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٧٤، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٣.

(٤) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٨٢.

الاجتماعِ معهم فِي شَيْءٍ من مذاهبِهم الفاسدةِ[١] ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ﴾ والحكمُ بينَهم في اختلافِهم ﴿إِلَى ٱللهِ﴾، ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أُقيمَتِ الصفةُ مقامَ الموصوفِ، تقديرُه: عشرُ حسناتٍ أَمثالِها، وقُرِئَ: «عشرٌ أمثالُها» برفعِهما[٢] جميعاً على الوصفِ، وهذا أَقلُّ ماوُعِدَ من الأَضعافِ، فقد وُعِدَ بالواحدِ سبعُمِائَةٍ، ووُعِدَ أَضعافاً مضاعفةً بغيرِ حسابٍ، ومُضاعَفَةُ الحَسَناتِ فضلٌ ومُكافَأَةُ السيِّئَاتِ عدلٌ ﴿وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ﴾ لايَنْقُصُ من ثوابِهم ولايُزادُ علىٰ عقابِهم.

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦٢) لَاشَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (١٦٣)

﴿دِيناً﴾ بدلٌ من موضعِ قولِه: ﴿إِلَى صِرَٰطٍ﴾ فإنَّ المعنىٰ: هداني صراطاً، والْقَيِّمُ فَيْعِلٌ من «قامَ» كالسيِّدِ والْهَيِّن، وقُرِئَ: ﴿قِيَماً﴾ وهو مصدرٌ بمعنى القيامِ وُصِفَ به، و ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ عطفُ بيانٍ و ﴿حَنِيفاً﴾ حالٌ من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ أَي: هداني وعَرَّفَني ملَّةَ إبراهيمَ في حالِ حَنيفيَّتِه[٣] ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ أَي: عبادتي وتَقَرُّبي كلَّه[٤]، وقيل: وذَبحي فجُمِعَ بينَ الصلاةِ والذبحِ[٥]، ونحوُه:

(١) وهو قول الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٢٩.

(٢) قرأه الحسن ويعقوب وسعيد بن جبير والأعمش وعيسىٰ بن عمر. راجع التبيان: ج ٤ ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٤، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ١٥١، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٥ ص ٢٨٤.

(٣) راجع تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٥٨.

(٤) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٨٤، وحكاه الماوردي في تفسيره: ج ١ ص ١٩٥ ونسبه الى الزجّاج.

(٥) قاله سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي والضحّاك. انظر التبيان: ج ٤ ص ٣٣٥، ←

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾[1]، وقيل: ومناسك حجّي[2] ﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى﴾ وما آتيه في حال حياتي وأَموتُ عليه من الإيمانِ والعملِ الصالحِ ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ خالصةً لوجهِه ﴿وَبِذَٰلِكَ﴾ الإخلاصِ ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ لأَنَّ إسلامَ كلِّ نبيٍّ مُتقدِّمٌ لإسلامِ أُمَّتِه.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤) وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٦٥)

هذا جوابٌ عن دعائِهم إيَّاه إلىٰ عبادةِ آلِهَتِهم، والهمزةُ للإنكارِ، أَي: مُنكَرٌ أَن ﴿أَبْغِى رَبًّا﴾ غيرَه وهو ربُّ كلِّ شيءٍ، فكلٌّ من دونَه مربوبٌ، ليسَ في الوجودِ من له الرُّبوبيَّةُ غيرَه، ونحوُه: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ﴾[3]. ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ جوابٌ عن قولِهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾[4]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ معناه: لاتُؤخَذُ نفسٌ آثمةٌ بإثمِ نفسٍ أُخرىٰ ﴿جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ يَخلُفُ أَهلُ كلِّ عصرٍ أَهلَ العصرِ الَّذي قبلَه، كلَّما مَضىٰ قرنٌ خَلَفَهم قرنٌ، يجري ذلك على انتظامٍ واتِّساقٍ إلىٰ يومِ القيامةِ[5]، وقيل: المرادُ بذلك أُمَّةُ نبيِّنا

← وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٩٥، واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣١١.

(١) الكوثر: ٢.

(٢) وهو قول مقاتل على ماحكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٤٦.

(٣) الزمر: ٦٤.

(٤) العنكبوت: ١٢.

(٥) وهو قول الحسن والسدي علىٰ ماحكاه عنهما الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٣٨.

محمّدٍ صلى الله عليه وآله لأنّه خاتمُ النبيّين فخلَفَتْ أُمَّتُه سائِرَ الأُمَمِ[١] ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ في الشرفِ والرزقِ[٢]، وقيل: في الصُورةِ والعقلِ والمالِ والعمرِ[٣] ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ كيفَ تشكُرون نِعَمَه، وكيف يَصْنَعُ الشريفُ بالوَضيعِ والغنيُّ بالفقيرِ ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ بمَن كَفَرَ نِعْمَتَه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمَن قامَ بشكرها، ووَصَفَ العقابَ بالسُرعةِ لأَنَّ كلَّ ماهو آتٍ قريبٌ.

۞ ۞ ۞

---

(١) قاله الطبري في تفسيره: ج ٥ ص ٤٢٢، والزمخشري في كشّافه: ج ٢ ص ٨٤، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٤٧، وبه أكثر المفسّرين.

(٢) وهو اختيار الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٣٨، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٨٤، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢٦٠.

(٣) قاله السدي على ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٣٨، واختاره الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ١٩٧.

سوره الأعراف

مكيَّةٌ[1]، مائَتان وستُ آياتٍ كوفيٌّ، خمسٌ بصريٌّ، عَدَّ الكوفيُّ ﴿الٓمٓصٓ﴾[2] و ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[3]، وعَدَّ البصريُّ ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[4].

في حديثِ أُبَيٍّ: «مَن قَرَأَ سورةَ الأَعرافِ جَعَلَ اللهُ بينَه وبينَ إبليسَ ستراً وكان آدمُ له شفيعاً يومَ القيامةِ»[5].

الصادقُ عليه السلام: «مَن قَرَأَها في كلِّ شهرٍ كانَ يومَ القيامةِ من الَّذِينَ لاخوفٌ عَلَيْهِمْ ولاهُمْ يَحْزَنُونَ، فإن قَرَأَها في كلِّ جمعةٍ كانَ ممَّن لايُحاسَبُ يومَ القيامةِ»[6].

---

(١) قال الماوردي: هي مكيّة كلّها في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر، وقال ابن عبّاس وقتادة: مكيّة إلّا خمس آيات وهي قوله: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ الىٰ آخر الخمس.
وقال الشيخ الطوسي رحمه الله: قال قوم: هي محكمة كلّها، وقال آخرون: حرفان منها منسوخان: أحدهما: قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ يريد من أموالهم وذلك قبل الزكاة، والآخر: قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ نسخ بآية السيف، وقال قوم: ليس واحد منهما منسوخاً بل لكلٍّ منهما موضع والسيف له موضع، وهو الأقوىٰ لأنّ النسخ يحتاج الى دليل. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ١٩٨، والتبيان: ج ٤ ص ٣٤٠، والناسخ والمنسوخ لابن الجوزي: ص ٣٣، والناسخ والمنسوخ لابن البارزي: ص ٣٣، والناسخ والمنسوخ في القرآن لابن حزم: ص ٣٨، والناسخ والمنسوخ لابن العربي: ج ٢ ص ٢٢١.

(٢) الآية: ١. (٣ و ٤) الآية: ٢٩.

(٥) مصباح الكفعمي: ص ٤٣٩، الكشّاف: ج ٢ ص ١٩٣، وأورده المصنّف في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٣٩٣.

(٦) ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٣٢ ح ١، تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢ ح ١.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓصٓ (١) كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (٣)

أَي: هو ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ بأَمرِ اللهِ تعالىٰ ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ أَي: من تبليغِه، والحرجُ: الضِيقُ، لأَنّه عليه السلام كانَ يَخافُ تكذيبَ قومِه له وإِعراضَهم عن قبولِ قولِه وأَذاهم له، فكانَ يَضيقُ صدرُه من الأَذاءِ[1] ولا يَنْبَسِطُ له، فَأَمَّنَهُ اللهُ سبحانَه وأَمَرَه بتركِ المُبالاةِ بهم ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ تَعَلَّقَ بـ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أَي: أُنزِلَ إِلَيْكَ لإِنذارِك به ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ يَحْتَمِلُ النصبَ علىٰ معنىٰ: لِتُنْذِرَ بِهِ وتُذَكِّرَ تَذكيراً فإِنَّ الذكرىٰ في معنَى التذكيرِ، والرفعَ علىٰ أَنّه خبرُ مبتدأ محذوف، أَو عطفٌ علىٰ ﴿كِتَٰبٌ﴾، والجرَّ للعطفِ علىٰ محلِّ «أَن تُنْذِرَ» أَي: للإِنذارِ والذكرىٰ[2] ﴿ٱتَّبِعُوا۟

---

(١) كذا في النسخ، والصحيح «الايذاء» إذ لم يرد في لسان العرب الأذاء مصدراً لأذىٰ. قال ابن منظور: آذاه يؤذيه أذىً وأذاةً وأذيّةً وتأذّيت به، قال ابن البري: صوابه آذاني إيذاءً فأمّا أذىً فمصدر أذِيَ أذىً وكذلك أذاه وأذِيّة يقال: أذِيْت بالشيءِ آذَى أذىً وأذاةً وأذيّةً فأنا أذٍ... الى أن قال: والاسم الأذِيّة والأذاة. انظر لسان العرب: مادة (أذي).

(٢) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٦٦.

مَآأُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ من القرآنِ والوحي ﴿وَلَاتَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ﴾ الضميرُ لـ ﴿مَآأُنزِلَ﴾ أَي: ولاتَتَّبِعُوا من دونِ دينِ اللهِ دينَ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾كم، أو لـ ﴿رَّبِّكُمْ﴾ أَي: ولاتَتَّبِعُوا من دونِاللهِ أولياءَ، أَي: ولاتَتَوَلَّواْ من دونِه من شياطينِ الإنسِ والجنِّ فيحْمِلوكم على الأَهواءِ والبِدَعِ ويُضِلُّوكم عن دينِ اللهِ وعمَّا أَمَرَكم باتّباعِه، وعن الحسن: يابنَ آدمَ أُمِرْتَ باتِّباعِ كتابِ اللهِ وسنَّةِ نبيِّه، والله ماأُنْزِلَتْ آيةٌ إلَّا ويَجِبُ أَن تَعْلَمَ فيما أُنْزِلَتْ ومامعناها[١]، ﴿قَلِيلًا مَّاتَذَكَّرُونَ﴾ أَي: «تَتَذَكَّرُونَ» فأُدْغِمَ[٢]، وقُرِئَ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ خفيفةَ الذالِ بحذفِ التاءِ، وقُرِئَ: «يَتَذَكَّرُون» بياءٍ وتاءٍ[٣] أَي: يَتَذَكَّرون تذكُّراً قليلاً حيثُ يَتْرُكُونَ دينَ اللهِ ويَتَّبِعون غيرَه.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَـٰتاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ (٤) فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾ (٥)

﴿فَجَآءَهَا﴾ أَي: فجاءَ أَهلَها ﴿بَأْسُنَا﴾ أَي: عذابُنا ﴿بَيَـٰتاً﴾ مصدرٌ وُضِعَ موضِعَ الحالِ أَي: بائتينَ أَو قائلينَ، ويجوزُ أَن لايُقَدَّرَ حذفُ المضافِ في القريةِ ويكونَ الضميرُ في ﴿أَهْلَكْنَـٰهَا﴾ للقرية؛ لأَنَّ القريةَ تَهْلِكُ كما يَهْلِكُ أَهلُها، فلاحاجةَ بنا إِلى الإضمارِ[٤]، وقولُه: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ لم يُحْتَجْ فيه إِلى الواوِ؛ لأَنَّ

---

(١) حكاه عنه الزمخشري في كشّافه: ج ٢ ص ٨٦.

(٢) لايخفىٰ أنّ المصنّف ﷺ قد اعتمد في تفسيره هذا علىٰ نسخة مصحف ليست علىٰ «قراءة عاصم برواية حفص» وهي القراءة المشهورة في بلاد الشام والعراق وبعض الجزيرة العربية، وهنا في نسخة مصحفه «ماتذَّكَّرون» فقال بعدها: أي تتذكّرون فأُدغم. وتجدر الاشارة الى أنّ «ماتذّكّرون» بتشديد الذال هي قراءة عاصم برواية أبي بكر.

(٣) وهي قراءة ابن عامر. راجع التبيان: ج ٤ ص ٣٤٣، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٤٨، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص٢٧٨، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٧.

(٤) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ٢ ص ٨٧، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

الضميرَ العائِدَ قد أغنىٰ عنه، ولأنَّها إذا عُطِفَتْ علىٰ حالٍ قبلَها يُحذَفُ الواو استثقالاً لاجتماعِ حرفَيْ عطفٍ؛ لأنَّ واوَ الحالِ هي واوُ العطفِ اسْتُعيرَتْ للوصلِ[1]، والمعنىٰ: وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَرَدْنا إهلاكَها فجاءَها عَذابُنا في هذَيْنِ الوقتَيْنِ: وقتِ البياتِ ووقتِ القيلولةِ؛ لأنَّهما وقتا الغفلةِ والدعَةِ فيكونُ نزولُ العذابِ فيهما أشَدَّ ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ ماكانوا يَدَّعُونَ من دينِهم إلَّا اعْترافُهم ببطلانه وقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾ فيما كُنَّا عليه، أو فما كان دعاءَهم ربَّهم إلَّا اعترافهم بظُلْمِهم وتَحَسُّرُهم علىٰ ماكان منهم[2]، و ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ خبرُ ﴿كَانَ﴾، و ﴿أَن قَالُوٓاْ﴾ رفع لأنَّه اسمُه، ويجوزُ العكسُ[3].

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ (٧) وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (٩)

أي: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ﴾ المُرْسَلَ ﴿إِلَيْهِمْ﴾ وهم الأُمَمُ، نَسألُهم عمَّا أجابوا به رُسُلَهم ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عمَّا أُجيبوا به وعمَّا عَمِلَتْ أُمَمُهم فيما جاءُوا به ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾ على الرُسُلِ والمُرْسَلِ إليهم ماكانَ منهم ﴿بِعِلْمٍ﴾ أي: عالمين بأحوالِهم الظاهرةِ والباطنةِ ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ عنهم وعمَّا وُجِدَ منهم، وأمَّا المعنيُّ في سُؤَالِهم مع علمِهِ بأحوالِهم فالتوبيخُ والتقريرُ عليهم وازديادُ سرورِ المُثابين بالثَناءِ عليهم وغمِّ المعاقَبين بإظهارِ قبائِحِهم[4] ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ يعني:

---

(١) وهو ماذهب إليه الفرّاء في معاني القرآن: ج١ ص ٣٧٢، والزجّاج في معاني القرآن: ج٢ ص ٣١٧.
(٢) وهو اختيار الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٤٦، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣١٨.
(٣) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٧٠.
(٤) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٨٨، وانظر تفصيل ذلك في التبيان: ج ٤ ←

وزنُ الأَعمالِ والتَّمييزُ بينَ خفيفِها وراجِحِها، ورفعُه على الابتداءِ و ﴿ٱلْحَقُّ﴾ صفتُه و ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ خبرُ المبتدأ(١)، أَي: والوزنُ الحقُّ يومَ يَسْأَلُ اللهُ الأُمَمَ ورُسُلَهم الوزنُ الحقُّ أَي: العدلُ.

واختُلِفَ في كَيْفِيَّةِ الوزنِ: فقيلَ: إِنَّه عبارةٌ عن القضاءِ الحقِّ والحكم بِالعدلِ(٢)، وقيلَ: توزَنُ صُحُفُ الأَعمالِ بميزانٍ له كفَّتانِ تأْكيداً للحجَّةِ وإِظهاراً للنَّصَفَةِ(٣) ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ جمعُ ميزانٍ أَو موزونٍ، فَمَنْ رَجَحَتْ أَعمالُه المَوزونةُ الَّتي لها قدرٌ ووزنٌ وهي الحَسَناتُ، أَو ماتوزَنُ به حَسَناتُهم ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ أَي: يُكَذِّبُونَ بها ظلماً كقولِه: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾(٤).

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (١٠) وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ (١٢)

﴿مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جَعَلْنا لكم فيها مكاناً، أَو ملَّكناكم فيها وأَقْدَرْناكم

← ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(١) وهو اختيار الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٧٣، وانظر تفصيله في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢٧٢.

(٢) حكاه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٠١ عن مجاهد، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣١٩ عن جرير عن الضحّاك. واختاره الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٥٢ ونسبه الى مجاهد والبلخي والجبائي.

(٣) قاله ابن عمر، وذهب إليه أبو علي وعبيد بن عمير. راجع التبيان: ج ٤ ص ٣٥٢. واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣١٩.

(٤) الأعراف: ١٠٣.

على التَصرُّفِ فيها ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ﴾ جمع معيشةٍ، وهي مايُعاشُ به من أنواعِ الرزقِ ووجوهِ النِعَم والمنافعِ، أَو مايُتَوَصَّلُ به إِلىٰ ذلك[١]، والوجهُ التَصريحُ بالياءِ[٢]، وقَرَأَ بعضُهم بالهمزةِ[٣] على التَشبيهِ بـ«صَحائِف»، ﴿وَلَقَدْ﴾ خَلَقْنَا أَباكُم آدمَ طيناً غيرَ مُصَوَّرٍ ﴿ثُمَّ﴾ صَوَّرْناهُ بعدَ ذلك ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِآدَمَ﴾، و«لا» في قوله: ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ صلةٌ بدليلِ قولِه: ﴿مَامَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾[٤]، والفائِدةُ في زيادتِها توكيدُ معنَى الفعلِ الّذي تَدخُلُ عليه وتحقيقُه[٥]، كأَنَّه قيلَ: مامَنَعَكَ أَن تُحقِّقَ السُجودَ وتُلْزِمَه نفسَكَ ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، لأَنَّ أَمري لك بالسُجودِ قد أَوجَبْتُهُ عليك لابُدَّ لك منه، قالَ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾ وعن ابنِ عبَّاسٍ: قاسَ إِبليسُ فأَخْطَأَ القياسَ، وهو أَوَّلُ مَن قاسَ[٦].

وإِنَّما دَخَلَتِ الشُبهةُ عليه من حيثُ ظَنَّ أَنَّ النارَ أَشْرفُ من الطينِ ومن حقِّ الأَشرفِ أَن لايُؤْمَرَ بالسُجودِ للأَدْوَنِ، فكأَنَّه قالَ: مَن كان علىٰ مثلِ صفتي يُسْتَبْعَدُ

(١) قاله الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٨٩.

(٢) قال أبو جعفر النحّاس: والهمز لحن لايجوز؛ لأنّ الواحد معيشة فزدتَ ألف الجمع وهي ساكنة والياء ساكنة فلابدّ من تحريك، إذ لاسبيل الى الحذف والألف لاتحرَّك فحُرّكت الياء بما كان يجب لها في الواحد، ونظيره من الواو منارة ومناور ومقامة ومقاوم. راجع إعراب القرآن: ج ٢ ص ١١٥، واختاره الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٧٣، وقال الزجّاج: وأكثر القرّاء علىٰ ترك الهمز... وجميع البصريّين يزعمون أنّ همزها خطأ وذكروا أنّ الهمز إنّما يكون في هذه الياء إذا كانت زائدة نحو صحيفة وصحائف، فأمّا معايش فمن العيش الياء أصلية. انظر معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٢٠.

(٣) وهي قراءة خارجة عن نافع والأعرج والأعمش. راجع معاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٣٢٠، وشواذ القرآن لابن خالويه: ص ٤٨، والتبيان: ج ٤ ص ٣٥٣.

(٤) صٓ: ٧٥.

(٥) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٨٩.

(٦) حكاه عنه الرازي في تفسيره: ج ١٤ ص ٣٤، ونقل الطبري في تفسيره: ج ٥ ص ٤٤١ هذا القول ونسبه الى الحسن وابن سيرين.

أن يُؤمَرَ بما أُمِرْتُ به.

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَاتَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ (١٧) قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَّدْحُوراً لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٨)

﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أَي: من الجَنَّةِ[١]، أَو من السَماءِ[٢]، أَو من الدَرَجَةِ أَو المنزلةِ الَّتي أَنت عليها[٣] ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ﴾ عن أَمرِ اللهِ ﴿فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ﴾ أَي: من أَهلِ الصَغارِ والهَوانِ على اللهِ وعلى أَوليائِه لِتكبُّرِك، وذلك أَنّه لما أَظْهَرَ الاستكبارَ أُلْبِسَ لباس الصَغار.

وفي الحديثِ: «مَن تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللهُ، وَمَن تَواضَعَ رَفَعَهُ اللهُ»[٤].

﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ﴾ أَي: أَمْهِلْني وأَخِّرْني في الأَجلِ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أَي: يُبْعَثُ الخلقُ من قبورِهم ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ أَي: بسببِ إِغوائِك إِيّاي وهو تكليفُه إِيّاهُ ماوَقَعَ به في الغَيِّ ولم يَثْبُتْ كما ثَبَتَتِ[٥] الملائِكةُ، وعن بعضِهم:

---

(١) وهو اختيار أبي علي على ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٦٠.

(٢) وهو قول الحسن. راجع تفسيره: ج ١ ص ٣٧١، وعنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٦٠، واختاره الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٩٠، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٢٧٦.

(٣) وهو قول ابن بحر على ماحكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٠٤.

(٤) اتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج ١ ص ٢٩٥.

(٥) في نسخة: ثبت.

أَمَرْتَني بالسُجودِ فَحَمَلَتْنِي الأَنَفَةُ علىٰ معصيتِك[١]، فبسببِ وقوعي في الغَيِّ لأَجْتَهِدَنَّ في إغوائِهم حتّىٰ يَفسُدوا بسببي كما فَسَدْتُ بسببِهم، والباءُ يَتَعَلَّقُ بفعلِ القسمِ المحذوفِ[٢] أي: فبسببِ إغوائِكَ إيّاي أُقسِمُ ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: لأَعْتَرِضَنَّ لهم علىٰ طريقِ الإسلامِ كما يَعْتَرِضُ العدوُّ على الطَريقِ ليَقْطَعَه على المارَّةِ، وانْتَصَبَ ﴿صِرَٰطَكَ﴾ على الظَرفِ ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم﴾ من الجهاتِ الأَربعِ الَّتي يَأْتي منها العَدُوُّ في الغالبِ، وهذا مَثَلٌ لوَسْوَسَتِه إليهم علىٰ كلِّ وجهٍ يَقْدِرُ عليه، وعن الباقرِعليه السلام: ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أُهَوِّنُ عَليهِم أَمرَ الآخرةِ ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ آمُرُهُم بجمعِ الأَموالِ ومَنْعِها عن الحقوقِ لتَبْقىٰ لوَرَثَتِهِم ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أُفْسِدُ عليهم أَمرَ دينِهم بتزيينِ الضلالةِ وتَحسينِ الشُبهةِ ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ بتحبيبِ اللذّاتِ إليهم وتغليبِ الشهواتِ على قلوبِهم[٣] ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ قاله تَظَنِّياً بدليلِ قولِه: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾[٤] [٥]، وقيل: سَمِعَه من الملائكةِ بإخبارِ اللهِ لهم[٦] ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ من ذَأَمَه: إذا ذَمَّه ﴿مَّدْحُورًا﴾ مطروداً ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ اللامُ فيه مُوطِّئَةٌ للقسمِ، و ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ جوابُ القسمِ وقد سَدَّ مسدَّ جوابِ الشرطِ[٧] ﴿مِنكُمْ﴾ أي: منك ومنهم فغَلَّبَ

---

(١) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٩١ ونسبه الى الأصمّ.
(٢) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٧٧.
(٣) التبيان: ج ٤ ص ٣٦٥، وفي تفسير القمي: ج ١ ص ٢٢٤ مايقرب منه.
(٤) سبأ: ٢٠.
(٥) وهو قول الحسن كما حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٦٥، واختاره الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٩٣.
(٦) قاله أبو علي كما حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٦٥.
(٧) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٧٩.

ضميرُ المخاطبِ كما في قوله: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[١].

﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَاتَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَاوُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَانَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ (٢١) فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٢٢)

أَي: ﴿وَ﴾ قُلنا: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ﴾، ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ أَي: تَكَلَّمَ كلاماً خفيّاً يُكرِّرُه ومنه «وَسْوَسَ الحَلْيُ»، وهو فعلٌ غيرُ مُتَعَدٍّ، ورجلٌ مُوَسْوِسٌ بكسرِ الواوِ ولايُقالُ: مُوَسْوَسٌ بالفتحِ ولكن مُوَسْوَسٌ له أَو إِليه، ومعنىٰ «وَسْوَسَ لَه» فَعَلَ الوَسْوَسَةَ لأَجلِه، و «وَسْوَسَ إِلَيْه» أَلقاها إِليه ﴿لِيُبْدِىَ لَهُمَا﴾ جَعَلَ ذلك غرضاً له ليَسُوءَهما إِذا رَأَيا ما يُؤْثِرانِ سِتْرَه مكشوفاً، وفيه دليلٌ على أَنَّ كشفَ العَورةِ لم يَزَلْ مُسْتَقْبَحاً في العقولِ، والمُواراةُ: جعلُ الشَيءِ وراءَ ما يَسْتُرُه، ولم يُهْمَزِ الواوُ المَضمومةُ في «وورِيَ» كما هُمِزَ واوُ «أُوَيْصِلٍ» لأَنَّ الواوَ الثَانيةَ مدةٌ[٢] ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا﴾ إِلَّا كَراهةَ أَن تكونا ﴿مَلَكَيْنِ﴾ أَوْهَمَهما أَنَّهما إِذا أَكَلا من هـذِهِ الشـجرةِ تَغَيَّرَتْ صورتُهما إِلىٰ صورةِ المَلَكِ[٣] ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ﴾ من الَّذين لا

---

(١) الأعراف: ١٣٨.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٨١.

(٣) قال الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٧٠: واستدلّ جماعة من المعتزلة بهذه الآية على أنّ ←

يَمُوتُون ويَبْقَوْن في الجَنَّةِ ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ وأَقْسَمَ لهما: ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ أي: المخلِصين النصيحةَ في دعائِكما إلى التناوُلِ من هذِهِ الشجرةِ، ولذلك تَأَكَّدَتْ شبهتُهما إذ ظَنَّا أَنَّ أحداً لا يُقْسِمُ باللهِ كاذباً ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ من تدليةِ الدَلوِ وهو إرسالُها في البِئرِ، أَي: نَزَّلَهما إلى الأَكلِ من الشَجرةِ بما غَرَّهما به من القسمِ باللهِ عَزَّوجَلَّ، وعن قَتادةَ: وإِنَّما يُخْدَعُ المؤمنُ باللهِ[1]، وعن ابنِ عُمَرَ: أَنَّه كان إذا رَأَى من عبدِه حُسْنَ صَلاةٍ أَعْتَقَه، فقيل له: إِنَّهم يَخْدَعونَك، فقال: من خَدَعَنا باللهِ انْخَدَعْنا له[2] ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ وَجَدا طعمَها آخِذِيْن في الأَكلِ منها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ ظَهَرَت لهما عَوراتُهما ﴿وَطَفِقَا﴾ يُقالُ: طَفِقَ يَفْعَلُ كذا بمعنىٰ جَعَلَ يَفْعَلُ ﴿يَخْصِفَانِ﴾ وَرَقَةً فوقَ وَرَقَةٍ علىٰ عَوراتِهما[3] كما يُخْصَفُ النعلُ ﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ قيل: كانَ ورقَ التينِ[4] ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ عتابٌ من اللهِ وتنبيهٌ على الخطأ حيثُ لم يَحْذَرا ما حَذَّرَهما اللهُ مِنْ عَداوةِ إبليسَ ومكرِه.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٢٣) قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ

← الملائكة أفضل من البشر، والانبياء منهم. وهذا ليس بشيء؛ لأنّه لم يجر هاهنا ذكر لكثرة الثواب وأنّ الملائكة اكثر ثواباً من البشر بل كان قصد إبليس أن يقول لآدم: ما نهاك الله عن أكل الشجرة الّا أن تكونا ملكين، فإنْ كنتما ملكين فقد نهاكما، وحيث لستما من الملائكة فما نهاكما الله عن أكلها، فتلخيص الكلام أنّ المنهي من اكل الشجرة هم الملائكة فقط، ومن ليس منهم فليس بمنهي، ولا تعلّق لذلك بكثرة الثواب ولا بقلّته.

(١) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٩٥، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٥٣.

(٢) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٩٥.

(٣) وفيه دلالة على أنّ ستر العورة كان واجباً في ذلك الزمان.

(٤) قاله ابن عبّاس. راجع تفسيره: ص ١٢٥، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ٢١١، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ١٨١.

مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَـحْيَوْنَ وَفِـيهَا تَـمُوتُونَ وَمِـنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ (٢٥)

سَمَّيَا خطأهما ظلماً لأَنفُسِهما وقالا: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْـخَـٰسِرِينَ﴾ وإن كـانَ ذلكَ تركاً للمندوبِ عندَنا؛ لأَنَّ الأَنبياءَ مَعصومون مُنَزَّهون عن ارتكابِ القبـائِح علىٰ عادةِ أَولياءِ اللهِ في استعظامِ الصَغيرِ مـن الزَلّاتِ واسـتصغارِ العـظيمِ مـن الحَسَناتِ[1] ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ الخطابُ لآدمَ وحوّاءَ وإِبْليسَ[2]، و ﴿بَـعْضُكُمْ لِـبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ في محلِّ النَصبِ على الحالِ، أَي: مُتَعَادِين[3] يُعاديهما إِبْليسُ ويُعاديانِه ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أَي: مَوضِعُ استقرارٍ، أَو اسـتقرارٌ[4] ﴿وَمَـتَـٰعٌ إِلَـىٰ حِينٍ﴾ وانتفاعٌ بعيشٍ إِلى انقضاءِ آجالِكم ﴿قَالَ﴾ اللهُ سبحانَه ﴿فِيهَا﴾ في الأَرضِ ﴿تَحْيَوْنَ﴾ تَعيشون ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ عندَ البعثِ.

﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَايَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَـنْهُمَا لِـبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَاتَـرَوْنَهُمْ إِنَّـا جَـعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ﴾ (٢٧)

جُعِلَ مافي الأَرضِ مُنْزَلاً من السَماءِ لأَنَّه ثَمَّ قُضِيَ وكُتِبَ، ومنه[5]: ﴿وَأَنزَلَ

(١) انظر تنزيه الأنبياء للسيد المرتضىٰ: ص ٣ ـ ٩، وقصص الأنبياء للجزائري: في بيان عصمة الأنبياء ص ١٣ ـ ٢٥.

(٢) وهو قول السدي والجبائي وابن الأخشيد كـما حكـاه عـنهم الشـيخ فـي التـبيان: ج ٤ ص ٣٧٥.

(٣) في نسخة: متعادَيْن.

(٤) وهو اختيار الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٩٧، والهمداني فـي الفـريد فـي إعـراب القرآن: ج ٢ ص ٢٨٥.

(٥) في نسخة: مثله.

لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾[١]، والريشُ: لباسُ الزينةِ اسْتُعيرَ من ريشِ الطيرِ لأنّه لباسُه وزينتُه، والمعنىٰ: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ لباسَيْن: ﴿لِبَاساً يُوَٰرِى﴾ عَوراتِكم، ولباساً يُزَيِّنُكُم ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ وهو الوَرَعُ والخَشْيَةُ من اللهِ، وهو مبتدأٌ وخبرُه الجملةُ الّتي هي ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[٢]، كأنّه قيل: هُوَ خيْرٌ، لأنَّ أَسماءَ الإشارةِ تَقْرُبُ من الضمائرِ فيما يَرْجِعُ إلىٰ عودِ الذِكرِ، وقيل: لباسُ التَقوىٰ خبرُ مبتدأ محذوفٍ أَي: وهو لباسُ التَقوىٰ، ثمَّ قيل: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[٣]، وقيل: المرادُ بـلباسِ التَـقوىٰ مايُلْبَسُ من الدُروعِ والمغافِرِ وغيرِهما ممّا يُـتَّقىٰ بـه فـي الحـربِ[٤]، وقُـرِئَ: «ولباسَ التَّقوىٰ» بالنصبِ[٥] عطفاً علىٰ ﴿لِبَاساً﴾ و ﴿رِيشاً﴾، ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللهِ﴾ الدالَّةِ علىٰ فضلِه ورحمتِه علىٰ عبادِه، يعني: إنزالَ اللِباسِ عـليهم ﴿لَـعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيَعرِفوا عظيمَ النِعمةِ فيه، وهذه الآيةُ واردةٌ علىٰ سبيلِ الاستطرادِ عقيبَ ذكرِ بُدُوِّ السَوْآتِ إظهاراً لنعمتِه فيما خَلَقَ من اللِباسِ ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ أَي: لايُضِلَّنَّكم عن الدينِ ولايَصْرِفَنَّكم عن الحقِّ بأَن يدعُوَكم إلى المعاصي الَّتي تَميل إليها نفوسُكم، ولايَمْحَنَنَّكم بأَن لاتَدخُلوا الجنَّةَ كما مَحَنَ أَبَوَيْكم بأَن أَخْـرَجَهما منها ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ في موضعِ نصبٍ على الحالِ، أَي: أَخْرَجَهما نازِعاً

---

(١) الزمر: ٦.

(٢) وهو اختيار الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٧٥، والنحّاس فـي إعـراب القـرآن: ج ٢ ص ١٢٠، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ٩٧.

(٣) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٨٦.

(٤) قاله زيد بن علي عليه السلام كما حكاه عنه البغوي في تـفسيره: ج ٢ ص ١٥٥، والقـرطبي فـي تفسيره: ج ٧ ص ١٨٥ واستحسنه.

(٥) وهي قراءة نافع وأهل المدينة وابن عامر والكسائي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٣٧٧، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٥٥، وكتاب السبعة في القـراءات لابـن مـجاهد: ص ٢٨٠، وتـفسير القرطبي: ج ٧ ص ١٨٥.

لباسَهما عنهما بأَن كان السببَ في نزعِ لباسِهما عنهما ﴿إِنَّهُ يَرَىٰكُمْ هُوَ﴾ تعليلٌ للنَهي والتَحذيرِ من فتنةِ الشَيطانِ بأَنَّه بمنزلةِ العدوِّ المُداجي [١] الَّذي يَكيدُكم من حيثُ لاتَشعُرون ﴿وَقَبِيلُهُ﴾ وجنودُه من الشَياطينِ ﴿مِنْ حَيْثُ لَاتَرَوْنَهُمْ﴾ عن ابنِ عبَّاسٍ: إِنَّ اللهَ تعالىٰ جَعَلَهم يَجْرونَ من بني آدمَ مَجْرَى الدَمِ، وصدورُ بني آدمَ مساكنُ لهم [٢]، وعن قَتادةَ: واللهِ إِنَّ عدوّاً يَراك ولاتَراه لَشديدُ المؤُونةِ إلّا من عَصَمَهُ اللهُ [٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ﴾ أي: خَلَّيْنا بينَهم وبينَهم، لم نَكُفَّهم عنهم حتَّى تَوَلَّوْهم وأَطاعوهم فيما سوَّلوا لهم من مُخالَفَةِ اللهِ.

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللهَ لَايَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ مَالَاتَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقاً هَدَىٰ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (٣٠)

أَي: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ﴾ معصيةً كبيرةً اعْتَذَرُوا بأَنَّ آباءَهم كانوا يَفْعَلُونَها، وبأَنَّ اللهَ أَمَرَهم بأَن يَفْعَلُوها، وكلاهما عذرٌ باطلٌ؛ لأَنَّ أَحدَهما تقليدٌ والآخَرَ كَذِبٌ وافتراءٌ على اللهِ ﴿قُلْ إِنَّ ٱللهَ لَايَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ﴾ لأَنَّه لايَفعَلُ القبيحَ فكيفَ يَأْمُرُ بفعلِه ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ مَالَاتَعْلَمُونَ﴾ إنكارٌ لإضافتِهم القبيحَ إِليه وشهادةٌ عليهم بالجهلِ ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ﴾ أَي: بالعدلِ [٤] وبما يَشْهَدُ العقلُ أَنَّه مُستقيمٌ حقٌّ

---

(١) المداجاة: المداراة، يقال: داجيته إذا داريته، كأنّك ساترته العداوة. (الصحاح: مادة دجا).

(٢) انظر تفسير ابن عباس: ص ١٢٥.

(٣) أورده المصنّف في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٤٠٩، وفي معظم التفاسير أنّ القائل مالك بن دينار. راجع علىٰ سبيل المثال تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٥٥، والكشّاف: ج ٢ ص ٩٨.

(٤) وهو قول مجاهد والسدي وأكثر المفسّرين كما حكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٣٨٣، ←

حَسَنٌ، وقيل بالتَوحيدِ[١]، ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ أي وقل: أَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ، أي: اقصُدوا عبادتَه مستقيمين إليها غيرَ عادلين إلىٰ غيرِها ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ في كلِّ وقتِ سجودٍ[٢]، أو في كلِّ مكانِ سجودٍ وهو الصَلاة[٣] ﴿وَٱدْعُوهُ﴾ واعبُدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: الطَاعةَ مُبْتَغِين بها وجهَه خالصاً ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ كما أَنشأَكم ابتداءً يُعيدُكم فيُجازيكم علىٰ أعمالِكم فأَخلِصوا له العبادةَ ﴿فَرِيقاً هَدَىٰ﴾ وهم المؤمنون وَفَّقَهم للإيمانِ ﴿وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾ أي: الخِذلانُ إذ لم يَقبَلُوا الهُدىٰ ولم يكُن لهم لطفٌ فهم يَضِلُّون ولايَهتدون، وانْتَصَبَ قولُه: ﴿وفَرِيقاً﴾ بفعلٍ مضمرٍ يُفَسِّرُه مابعدَه، والتَقديرُ: وخَذَلَ فريقاً[٤] ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ إِنَّهُمُ﴾ إنَّ الفريقَ الَّذين حقَّ عليهم الضلالةُ ﴿ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ أَطاعوهم فيما أَمَرُوهم به.

﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٣)

أي: ﴿خُذُواْ﴾ ثيابَكم الَّتي تتزَيَّنونَ بها ﴿عِندَ كُلِّ﴾ صَلاةٍ.

← والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص١٥٦، واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٣٠.

(١) قاله الضحّاك. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٥٦.

(٢) وهو اختيار الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٣٠.

(٣) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٠٠.

(٤) راجع تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

ورُوِيَ: أَنَّ الحسنَ بنَ عليٍّ عليه‌السلام كان إذا قامَ إلى الصَلاةِ لَبِسَ أَجْوَدَ ثيابِه، فقيلَ له في ذلك، فقالَ: إنَّ اللهَ جميلٌ يُحِبُّ الجمالَ فَأَتَجَمَّلُ لربّي، وقَرَأَ الآية[1].

وقيل: هو أمرٌ بلُبسِ الثيابِ في الصَلاةِ والطَوافِ، وكانوا يَطوفون عُراةً وقالوا: لانَعْبُدُ اللهَ في ثيابٍ أَذْنَبْنا فيها[2]، وقيلَ: أَخذُ الزينةِ هو التَمشُّطُ عندَ كلِّ صلاةٍ[3] ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ عن ابنِ عبَّاسٍ: كُلْ ماشِئْتَ والْبَسْ ماشِئْتَ ماأَخْطَأَتْكَ خَصلتانِ: سَرَفٌ ومَخيلةٌ[4][5]، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: من حرَّمَ الثيابَ الَّتي يَتزَيَّنُ بها الناسُ وكلَّ مايُتَجَمَّلُ به ممَّا أَخرجه اللهُ من الأَرضِ ﴿لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ المُسْتَلَذّاتِ من المآكلِ والمشاربِ، ومعنَى الاستفهامِ إنكارُ تحريمِ هذِهِ الأَشياءِ ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ غيرَ خالصةٍ لهم لأَنَّ المشركين يَشْرَكونَهم فيها ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لهم لايَشْرَكُهم فيها أَحدٌ، ولم يَقُلْ: هي للَّذينَ آمَنوا ولغيرِهم فِي الحَياةِ الدُنْيا؛ ليُنَبِّهَ على أَنَّها خُلِقَتْ للَّذين آمَنوا وأَنَّ الكافرين تَبَعٌ لهم، وقُرِئَ: ﴿خَالِصَةً﴾ بالنصبِ على الحالِ وبالرَفعِ[6] على أَنَّها خبرٌ بعدَ خبرٍ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ أَي: لم يُحَرِّمْ ربِّي

(١) تفسير العياشي: ج ٢ ص ١٤ ح ٢٩.

(٢) وهو قول ابن عبّاس وعطاء وإبراهيم والحسن وقتادة وسعيد بن جبير وطاووس. راجع التبيان: ج ٤ ص ٣٨٦، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ٢١٨، والكشّاف: ج ٢ ص ١٠٠، واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٣٢.

(٣) وهو القول المنسوب الى الصادق عليه‌السلام. راجع تفسير العياشي: ج ٢ ص ١٣ ح ٢٥، وعنه تفسير البرهان: ج ٢ ص ١٠ ح ١١، والبحار: ج ١٨ ص ٣١٧.

(٤) المخيلة: الكبر. (القاموس المحيط: مادة خيل).

(٥) حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٥٧، والقرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ١٩١.

(٦) قرأه ابن عبّاس ونافع. راجع التبيان: ج ٤ ص ٣٨٧، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٥٧، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٨، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ١٩٩.

إلَّا الفواحشَ، والفاحشةُ: ماتَزَايَدَ قبحُه ﴿مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَابَطَنَ﴾ ماعَلَنَ منها وماخَفِيَ ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ عامٌّ في كلِّ ذنبٍ، وقيل: شربُ الخمرِ[1] ﴿وَٱلْبَغْىَ﴾ الظُّلمُ والكبرُ ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ تأكيدٌ ﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَـٰناً﴾ فيه تَهَكُّمٌ؛ لأنَّه لايجوزُ أن يُنَزِّلَ سلطاناً وبرهاناً بأَن يُشْرَكَ به غيرُه ﴿وَأَن تَقُولُواْ﴾ أي: تَتَقَوَّلوا على اللهِ وَتَفْتَرُوا الْكَذِبَ من التحريمِ وغيرِه.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَايَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَايَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ (٣٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَاكُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ﴾ (٣٧)

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ وعيدٌ لكفَّارِ قُرَيْشٍ بالعذابِ النَازِلِ في أَجلٍ معلوم عندَ اللهِ كما نَزَلَ بالأُمَمِ قبلَهم ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ خطابٌ لجميعِ المكلَّفين من بني آدمَ ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ إن يَأْتِكم ﴿رُسُلٌ﴾ مِنْ جنسِكم، وإنَّما ضُمَّت «ما» إلىٰ «إن» الشَرطيَّةِ توكيداً لمعنى الشَرطِ، ولذلك لَزِمَتْ فعلَها النُونُ الثقيلةُ أَو الخفيفةُ، وجزاءُ الشَرطِ الفاءُ ومابعدَه من الشَرطِ والجزاءِ[2]، والمعنىٰ: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ منكم، ﴿وَٱلَّذِينَ

---

(١) وهو قول الحسن وعطاء. راجع تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٧٦، وزاد المسير لابن الجوزي: ج ٣ ص ١٩١.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ٤ ص ١٠٢، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ←

كَذَّبُواْ﴾ منكم ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: فمن أشنعُ ظلماً ﴿مِمَّنِ﴾ قالَ ﴿عَلَى ٱللهِ﴾ مالم يَقُلْه ﴿أَوْ كَذَّبَ﴾ ماقالَه ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي: ممَّا كُتِبَ لهم من الأَعمارِ[1] والأَرزاقِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾: ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غايةٌ لنيلِهم نصيبهم واستيفائِهم إِيَّاه، أي: إِلىٰ وقتِ وفاتِهم وهي الَّتي يُبْتَدَأُ بعدَها الكلامُ، والمستأنَفُ هنا الجملةُ الشَرطيَّةُ، و ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ حالٌ من الرُسلِ، والمرادُ بالرُسلِ هنا: مَلَكُ الموتِ وأَعوانُه ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: الرُسلُ ﴿أَيْنَ﴾ الآلِهةُ اللَّاتي كُنتم تَدْعونَها ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ أَي: غابوا عنَّا فلانَراهم ولانَنْتَفِعُ بهم؛ اعترافاً منهم بأَنَّهم لم يكونوا علىٰ شيءٍ فيما كانوا عليه.

﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٣٩)

أَي: يقولُ اللهُ جلَّ جلالُه للكفَّارِ يومَ القيامةِ: ﴿ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ﴾ أي: كائنين في جملةِ ﴿أُمَمٍ﴾ وفي غُمارِهم[2] مُصاحِبين لهم، والمعنىٰ: ادخُلوا في النَارِ مع أُمَمٍ ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم﴾ وتَقَدَّمَ زمانُهم زمانَكم ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ من هذه الأُمَمِ النَّارَ ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ الَّتي ضَلَّتْ بالاقتداءِ بها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ﴾ أي: تَدارَكوا ﴿فِيهَا﴾ بمعنىٰ: تَلاحقوا واجْتَمَعوا في النَارِ ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾ منزلةً وهي

← ج ٢ ص ٢٩٤.

(١) في نسخة: الأعمال.

(٢) بضم الغين وفتحها: جماعتهم. (القاموس المحيط: مادة غمر).

الأَتباعُ والسَّفلةُ ﴿لِأُولَـٰهُمْ﴾ منزلةً وهي القادَةُ والرُؤَساءُ، ومعنىٰ ﴿لِأُولَـٰهُمْ﴾ لأَجلِ أُولاهم؛ لأَنَّ خطابَهم مع اللهِ لامعهم ﴿رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ أَي: دَعَوْنا إِلى الضَلالِ وحَمَلونا عليه ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً﴾ أَي: مضاعفاً ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ أَي: لكلٍّ من رؤَساءِ الضَلالةِ وأَتباعِهم عذابٌ مضاعَفٌ؛ لأَنَّ جميعَهم كانوا ضالِّين مُضِلِّين ﴿وَلَـٰكِن لَّاتَعْلَمُونَ﴾ قُرِئَ بالتاءِ والياءِ[1] ﴿وَقَالَتْ أُولَـٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ﴾ أَي: وقالَ الرُؤَساءُ للأَتباعِ: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ عطفوا هذا الكلام علىٰ قول اللهِ سبحانه للأَتباع: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ أَي: فقد ثَبَتَ أَن لافضلَ ﴿لَكُمْ عَلَيْنَا﴾ فإِنَّا قد اسْتَوَيْنا في استحقاقِ الضِعْفِ ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ من قولِ الرُؤَساءِ أَو من قولِ اللهِ لكلا الفريقَيْن جميعاً ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ـه باختيارِكم لا باختيارِنا لكم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَاتُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَايَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ (٤٠) لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ (٤١) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَانُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّاوُسْعَهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ (٤٢) وَنَزَعْنَا مَافِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَاكُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِـٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٣)

﴿لَاتُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ أَي: لايَصْعَدُ لهم عملٌ صالحٌ، ونحوُه ﴿إِلَيْهِ

---

(١) وهي قراءة أبي بكر عن عاصم. راجع التبيان: ج ٤ ص٣٩٨، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٥٩، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص٤١٨، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٢٩٦.

يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [١]، وقيل: لاتَصْعَدُ أَرواحُهم إذا ماتوا كما تَصْعَدُ أَرواحُ المؤمنين [٢]، وقيل: لاتَنْزِلُ عليهم البَرَكَةُ ولايُغاثون [٣] كما قال: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَابَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [٤]؛ وقُرِئَ: ﴿لَاتُفَتَّحُ﴾ بالتَشديدِ والتَخفيفِ والتاءِ والياءِ [٥]، [﴿وَلَايَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾] [٦] أَي: لايَدْخُلون الجنَّةَ حتَّىٰ يكونَ مالا يكونُ أبداً من ولوجِ الجملِ الَّذي لايَلِجُ إلَّا في بابٍ واسعٍ في ثَقْبِ الإبرةِ، والخِياطُ والمِخْيَطُ: مايُخاطُ به وهو الإبرةُ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أَي: ومثلُ ذلك الجزاءِ الفظيعِ ﴿نَجْزِى﴾ سائِرَ ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وقد كرَّره فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ عن ابنِ عبَّاسٍ: يُريدُ الَّذين أَشركوا به واتَّخذوا من دونه إلٰهاً [٧]، والمِهادُ: الفِراشُ، والغَواشي: الأَغطِيَةُ ﴿لَانُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّاوُسْعَهَآ﴾ جملةٌ معترضةٌ بين المبتدأ والخبرِ للتَرغيبِ في اكتسابِ مالايبلُغُهُ وصفُ الوَصَّافِ من النَعيمِ الدائِمِ [٨] مع الإجلالِ والتَعظيمِ بما هو في الوُسعِ وهو الإمكانُ الواسعُ غيرُ الضَيِّقِ من الإيمانِ والعملِ الصَالحِ ﴿وَنَزَعْنَا مَافِى صُدُورِهِم﴾ قلوبِهم ﴿مِّنْ غِلٍّ﴾ علىٰ إِخوانِهم في الدُنيا، فسَلِمَتْ قلوبُهم وطَهُرتْ من الحِقدِ والحَسَدِ والشَحناءِ ولم يكن

(١) فاطر: ١٠.

(٢) قاله ابن عبّاس والسدي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٠٠، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ٢٢٢، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٦٠، واختاره الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٧٩، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٣٧.

(٣) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٠٣، والرازي في تفسيره: ج ١٤ ص ٧٦.

(٤) القمر: ١١.

(٥) قرأ أبو عمرو بالتاء والتخفيف، وحمزة والكسائي وخلف بالياء والتخفيف. انظرالتبيان: ج ٤ ص ٣٩٩، وتفسيرالبغوي: ج ٢ ص ١٦٠، وكتابالسبعة فيالقراءات لابنمجاهد: ص ٢٨٠.

(٦) مابين المعقوفتين ليس في النسخ، أضفناها لضرورة إتمام سياق الجملة.

(٧) راجع تفسير ابن عباس: ص ١٢٧.

(٨) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٠١ ـ ٣٠٢.

بينَهم إِلَّا التعاطفُ والتَراحمُ والتَوادُّ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا﴾ أي: وَفَّقَنا لموجِبِ هذَا الفوزِ العظيمِ والذُخرِ الجسيمِ ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ﴾ اللامُ لتأْكيدِ النَفي، أَي: وماكان يَصِحُّ لنا أَن نَهتَدِيَ ﴿لَوْلَآ﴾ هدايةُ اللهِ وتوفيقُه، وقُرِئَ: «ماكُنَّا لِنَهتَدِيَ» بغيرِ واوٍ[1] علىٰ أَنَّها جملةٌ موضِحةٌ للأُولى ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ من جهةِ اللهِ تعالىٰ ونبَّهونا على الاهتداءِ فاهْتَدَيْنا باتِّباعِ قولِهم، يقولون ذلك سروراً واغتباطاً بما نالوا وتلذُّذاً بالتكلُّمِ به لاتَعبُّداً ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾: ﴿أَن﴾ مُخفَّفَةٌ من الثقيلةِ، تقديرُه: ﴿وَنُودُوٓا۟﴾ بأَنَّه تلكم الْجَنَّةُ، والضميرُ ضميرُ الشَأْنِ، ويجوز أَن يكونَ بمعنى «أَيْ» لأَنَّ المُناداةَ من القولِ كأَنَّه قيل: وقيل لهم: أَي تِلكُمُ الجنَّةُ[2] ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ بِسببِ أَعمالِكم.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ (٤٤) ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ كَـٰفِرُونَ﴾ (٤٥)

﴿أَن﴾ في قولِه: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾ يحتملُ أَن تكونَ مُخَفَّفَةً من الثَقيلةِ وأَن تكونَ مُفسِّرَةً كالَّتي ذُكِرَتْ قبلُ[3]، وكذلك ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، وإِنَّما قالوا لهم ذلك ابتهاجاً واغتباطاً بحالِهم وشَماتةً بأَصحابِ النَارِ، ولتكونَ هذه الحكايةُ لطفاً لمن سَمِعَها، وكذلك قولُ المُؤَذِّنِ بينَهم: ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى

---

(١) قرأه ابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٠، والتذكرة لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٩، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٦١، والتبيان: ج ٤ ص ٤٠٣ وقال: وكذلك هي في مصاحف أهل الشام.

(٢) انظر إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٢٦، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣.

(٣) وهي الآية: ٤٣ فراجع.

ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، وقيل: هو مالكٌ خازنُ النارِ يَأْمُرُه اللهُ تعالىٰ بذلك فيُنادي نداءً يَسْمَعُ أَهلُ الجنَّةِ وأَهلُ النارِ[1].

ورُوِيَ عن عليٍّ عليه السلام أنَّه قال: «أَنَا ذلِكَ الْمُؤَذِّنُ»[2].

وقُرِئَ: «أَنَّ» بالتَّشديدِ «لَعْنَةَ اللهِ» بالنَّصبِ[3]، وقُرِئَ: «نَعِمْ» بكسرِ العينِ كلَّ القرآنِ[4]، ولم يُقَلْ: «وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ» كما قيل: ﴿وَعَدَنَا﴾ وأُطْلِقَ ليتناولَ كلَّ ماوَعَدَ اللهُ من البعثِ والحسابِ والثّوابِ والعقابِ؛ لأَنَّهم كانوا مكذِّبين بذلك أجمع ﴿يَصُدُّونَ﴾ أَي: يُعرِضون عن دينِ اللهِ وشريعتِه أَوْ يَصرِفونَ غيرَهم عنها ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ أَي: يَطلُبون لها الاعوجاجَ بالشُّبَهِ الَّتي يَتَوَهَّمون أَنَّها قادحةٌ فيها ﴿وَهُم بِـ﴾ الدارِ ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ وهي القيامةُ جاحدونَ.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (٤٧)

«وَبَيْنَ» الجنَّةِ والنَّارِ أَو بينَ أَهلَيْهما ﴿حِجَابٌ﴾ أَي: سِترٌ، ونحوُه: ﴿فَضُرِبَ

---

(١) قاله الزمخشري في كشافه: ج ٢ ص ١٠٦.

(٢) معاني الأخبار للصدوق: ص ٥٩ ح ٩، ورواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ج ١ ص ٢٠٢ باسناده عن محمد بن الحنفية عنه عليه السلام.

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن عامر وابن كثير برواية شبل والبزّي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٠٦، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨١، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٩، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٢١٠.

(٤) وهي قراءة الأعمش والكسائي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٠٦، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٦١، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨١، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤١٩، وإعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٢٧، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٢٠٩.

بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾[١]. ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ أي: وعلى أعرافِ الحجابِ وهو السُورُ المضروبُ بينَ الجنَّةِ والنَارِ وهي أعاليه، جمع عُرْفٍ مستعارٌ من عُرفِ الفرسِ[٢] والديكِ ﴿رِجَالٌ﴾ الصادقُ عليه السلام: الأَعرافُ: كُثْبانٌ[٣] بينَ الجنَّةِ والنَارِ يوقَفُ عليها كلُّ نبيٍّ وكلُّ خليفةِ نبيٍّ مع المُذنِبين من أَهلِ زمانِه كما يَقِفُ صاحبُ الجيشِ مع الضُعفاءِ من جُندِه وقد سيقَ[٤] المُحسِنون إلى الجنَّةِ، فيقول ذلك الخليفةُ للمُذنِبين الواقفين معه: ٱنظُروا إِلىٰ إخوانِكم المُحسِنين قد سيقوا[٥] إلى الجنَّةِ، فيُسلِّمُ عليهم المذنبون، وذلك قولُه: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أَن يُدخِلَهم اللهُ إيَّاها بشفاعةِ النبيِّ والإمامِ، ويَنظُرُ هؤُلاءِ المُذنِبون إلىٰ أَهلِ النَارِ فيقولون: ﴿رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا﴾ إلىٰ آخِرِه[٦]، وقيل: إنَّهم قومٌ اسْتَوَتْ حَسَناتُهم وسَيِّئَاتُهم فجُعِلوا هنالك حتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ فيهم ماشاءَ ويُدْخِلَهم الجنَّةَ[٧] ﴿يَعرِفُونَ كُلًّا﴾ من زُمَرِ السُعداءِ والأَشقياءِ ﴿بِسِيمَـٰهُمْ﴾ بعلامتِهم الَّتي أَعْلَمَهم اللهُ بِها ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾ ورَأَوْا ماهم فيه من العذابِ استَعاذوا باللهِ و ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا﴾ معهم[٨]، وفي هذا أَنَّ صارفاً يَصْرِفُ أَبصارَهم لينظُروا فيستعيذوا[٩]. الصادقُ عليه السلام: وإذا قُلِبَتْ أَبصارُهم تِلْقاءَ أَصحابِ النارِ قالوا: عائِذاً

(١) الحديد: ١٣.

(٢) عرف الفرس: شعر عنقه. (القاموس المحيط: مادة عرف).

(٣) جمع كثيب وهو تلّ من الرمل. (القاموس المحيط: مادة كثب).

(٤) في بعض النسخ: سبق.

(٥) في بعض النسخ: سبقوا.

(٦) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(٧) وهو قول ابن مسعود. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٢٢٦.

(٨) في نسخة: منهم.

(٩) وهو قول الزمخشري أيضاً في الكشّاف: ج ٢ ص ١٠٧.

بك أَن تَجْعَلَنا مع القومِ الظالمين[١]، وكذلك هو في مُصْحَفِ عبدِاللهِ بنِ مسعودٍ[٢].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَـٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (٤٩)

الصادقُ عليه السلام: ويُنادي أَصحابُ الأَعرافِ وهم الأَنبياءُ والخلفاءُ ﴿رِجَالًا﴾ من أَهلِ النَارِ ورُؤَساءِ الكفَّارِ يقولون لهم مُقرِّعين: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ واستكبارُكم ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ إِشارةٌ لهم إِلىٰ أَهلِ الجنَّةِ الَّذين كان الرُؤَساءُ يَسْتَضْعِفونهم ويَحْتَقِرُونهم لفقرِهم، ويَسْتَطيلون عليهم بدنياهم، ويُقْسِمون أَنَّ اللهَ لا يُدْخِلُهم الجنَّةَ ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ يقول أَصحابُ الأَعرافِ لهؤلاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ عن أَمرٍ من اللهِ عَزَّوَجَلَّ لهم بذلك: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ أَي: لا خائفين ولا مَحزونين[٣].

ورَوَى الأَصبغُ بنُ نُباتَةَ عن أَميرِ المؤْمنين عليه السلام قال: «نحنُ نوقَفُ يومَ القيامةِ بينَ الجنَّةِ والنارِ، فمن نَصَرَنا عَرَفْناه بسيماه فأَدْخَلْناهُ الجنَّةَ، ومن أَبْغَضَنا عَرَفْناه بسيماه فأَدْخَلْناهُ النَّارَ»[٤].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ (٥٠) ٱلَّذِينَ

---

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(٢) أوردها المصنّف في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٤٢٤.

(٣) أُنظر تفسير القمي: ج ١ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(٤) تفسير فرات: ص ٤٩، شواهد التنزيل: ج ١ ص ١٩٨ ح ٢٥٦، وعنه إحقاق الحق: ج ١٤ ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧.

ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (٥١)

﴿أَفِيضُواْ عَلَيْنَا﴾ فيه دليلٌ على أَنَّ الجنَّةَ فوقَ النارِ[١] ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من الأَطعِمَةِ والفواكهِ[٢] ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ حرَّم شرابَ الجنَّةِ وطعامَها ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ﴾ الَّذي كانَ يَلزَمُهم التَديُّنُ به ﴿لَهْواً وَلَعِباً﴾ فحرَّموا ماشاءُوا واستَحلُّوا ماشاءُوا ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَٰهُمْ﴾ أي: نُعامِلُهم مُعامَلَةَ المنسيِّ في النَّارِ فلانُجيبُ لهم دَعْوَةً ولانَرْحَمُ لهم عَبْرَةً ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ فلم يُخطِروه ببالِهم ولم يهتمُّوا به، و ﴿مَا﴾ في الموضعَيْن مصدريَّةٌ، والتقديرُ: كنسيانِهم وكونِهم جاحدين ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ (٥٣)

﴿بِكِتَٰبٍ﴾ يعني: القرآن ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: عالمين، كيفَ نُفصِّلُ أَحكامَه ومواعظَه وجميعَ معانيه حتَّى جاءَ قَيِّماً غيرَ ذي عِوجٍ، و ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ حالٌ من الهاءِ في ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ كما أَنَّ ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حالٌ من «نا» في ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾[٣].

---

(١) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٠٨.

(٢) قال الزجّاج: فأعلم الله عزّوجلّ أنّ ابن آدم غير مستغنٍ عن الطعام والشراب وإن كان معذّباً. معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٤٤.

(٣) انظر إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ٤١٧، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٠٨.

﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ إلّاَ عاقبةَ أَمرِه، وما يَؤُولُ إِليه من تبيُّنِ صدقِه وظهورِ صحَّةِ مانَطَقَ به من الوعدِ والوعيدِ ﴿يَوْمَ يَأْتِي﴾ عاقبةُ ماوُعِدُوا به ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾ أَي تَرَكُوا العملَ به تركَ النّاسي له ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ اعترفوا بأَنّهم جاءُوا بالحقِّ ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾ في إِزالةِ العقابِ[1] ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ أَو هل نُرَدُّ إِلى الدُنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا﴾ نَعْمَلُه، وارتفع ﴿نُرَدُّ﴾ لوقوعِه موقعاً يصلُحُ للاسمِ كما تقولُ ابتداءً: هَلْ يَضْرِبُ زيْدٌ.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثاً وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٥٤) ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦)

﴿إِنَّ﴾ سيِّدَكم ومالككم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى﴾ أَنشأَ ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وأَوْجَدَهما ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ في مقدارِ ستَّةِ أَيّامٍ من أَيّامِ الدُنيا؛ لأَنَّ إِنشاءَ الشيءِ بعدَ الشيءِ على ترتيبٍ أَدلُّ علىٰ كونِ فاعِله عليماً حكيماً يُدبِّرُه علىٰ مُقتضىٰ حكمته، أَو لأَنّه أَراد تعليمَ خلقِه التَثبُّتَ والتأَنّي في الأُمورِ ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ وقُرِئَ بالتخفيفِ، أَي: يُلْحِقُ اللَيْلَ بالنَهارِ والنَهارَ باللَيل بأَن يَأْتِيَ أَحدُهما عقيبَ الآخَرِ ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثاً﴾ بأَن يأْتِيَ في أَثَرِه كما يأْتي الشَيءُ في أَثَرِ الشَيءِ طالباً له، و ﴿حَثِيثاً﴾ حالٌ من الفاعلِ أَو المفعولِ أَو منهما جميعاً[2]، ومثلُه ﴿تَحْمِلُهُ﴾ في

(١) في بعض النسخ: العذاب.
(٢) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣١٢ ـ ٣١٣.

قوله: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾[١]، ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾ قُرِئَ الجميعُ بالنّصبِ حملاً على ﴿خَلَقَ﴾ أي: خَلقَهُنَّ جاريات على حسبِ تدبيرِه، وقُرِئَ ـ أيضاً ـ جميعاً بالرّفعِ[٢] على الابتداءِ والخبرِ ﴿بِأَمْرِهِ﴾ أي: بِمَشيئَتِه وتصريفِه، وسُمِّيَ ذلك أَمراً على التّشبيهِ كأنّهنَّ مأموراتٌ بذلك ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ أي: هو الّذي خَلَقَ الأَشياءَ وهو الّذي صَرَّفَها على حسبِ إرادتِه ﴿تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ نصب على الحالِ أي: ذوي تضرُّعٍ وخُفْيةٍ، وكذا قولُه: ﴿خَوْفاً وَطَمَعاً﴾، والتّضرُّعُ من الضّراعةِ وهي الذُّلُّ أي: تَذَلُّلاً وتَملُّقاً، وقُرِئَ: «خِفْيَةً» بكسرِ الخاءِ[٣] وهما لغتان[٤] ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ أي: المُجاوِزين الحدَّ المرسومَ في جميعِ العباداتِ والدعَواتِ، وقيل: التضرُّعُ: رفعُ الصَّوتِ والخُفْيَةُ: السرُّ أي: أدعوه علانيةً وسرّاً[٥]، وقيل: معناهما تخشُّعاً وسرّاً[٦] ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالعملِ بالمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ بعدَ أَن أَصْلَحَها اللهُ بالكتبِ والرُّسُلِ ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ إِنّما ذُكِّرَ ﴿قَرِيبٌ﴾ على معنى التَرَحُّمِ[٧]،

---

(١) مريم: ٢٧.

(٢) وهي قراءة ابن عامر. راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٢١، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٦٥، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٢، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٢٢١.

(٣) قرأه أبو بكر عن عاصم. راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٢٤، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٣.

(٤) حكاهما الأخفش كما في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٣١٤، وانظر معاني القرآن: ج ٢ ص ٤٩١.

(٥) قاله ابن عبّاس والحسن وابن جريج. راجع تفسير ابن عبّاس: ص ١٢٩، وتفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٨٠، والتبيان: ج ٤ ص ٤٢٤، والكشّاف: ج ٢ ص ١١١.

(٦) حكاه ابن كثير في تفسيره: ج ٢ ص ٢١٢ ونسبه الى ابن جرير، وراجع تفسير الطبري: ج ٥ ص ٥١٤.

(٧) واختاره الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٨٠، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١١١.

أَو لأَنَّه صفةُ موصوفٍ محذوفٍ أَي: شيءٌ قريبٌ[١]، أَو لأَنَّ تأْنيثَ الرَّحمةِ غيرُ حقيقيٍّ[٢]، والمُحْسِنُ: فاعلُ الإِحسانِ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧) وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَايَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾(٥٨)

قُرِئَ: «نَشْراً»[٣] مصدرُ «نَشَرَ»؛ لأَنَّ «أَرْسَلَ» و «نَشَرَ» متقاربان فكأَنَّه قال: يَنْشُرُ الرياحَ نَشْراً، ويجوز أَن يكونَ واقعاً موقع الحالِ بمعنى «منتشراتٍ»[٤]، و«نُشُراً»[٥] جمعُ نَشورٍ، و«نُشْراً» بتخفيفِه[٦] كرُسُلٍ ورُسْلٍ، وقُرِئَ: «بُشُراً»[٧] جمعُ بَشيرةٍ و﴿بُشْراً﴾ بتخفيفِه ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ﴾ أَمامَ نعمتِه وهي الغَيثُ الَّذي هو من أَحسنِ النِعَمِ أَثَراً وأَجَلِّها قَدراً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾ أَي: حَمَلَتْ ورَفَعَتْ ﴿سَحَاباً ثِقَالاً﴾ بالماءِ جمعُ سَحابةٍ ﴿سُقْنَـٰهُ﴾ الضميرُ للسحابِ على اللَفظِ ﴿لِبَلَدٍ

---

(١) وهو مذهب أبي عبيدة. راجع مجاز القرآن: ج ١ ص ٢١٦.

(٢) ذهب إليه الأخفش في معاني القرآن: ج ٢ ص ٥١٩، والزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٤٤.

(٣) قرأه حمزة والكسائي والأعمش. راجع إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٣٣، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٣، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٠.

(٤) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣١٥.

(٥) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع. راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٢٧، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٣، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٢٢٩.

(٦) وهي قراءة الحسن وقتادة وابن عامر. راجع إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٣٣، وكتاب السبعة في القراءات: ص ٢٨٣.

(٧) وهي قراءة ابن عبّاس والسلمي وعاصم بخلاف. راجع المحتسب لابن جني: ج ١ ص ٢٥٥، وانظر إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٣٣.

مَّيِّتٍ﴾ لأَجلِ بلدٍ ليس فيه حياً[1] ولسقيه ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ بالبلدِ أَو بالسحابِ ﴿ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بهذا الماءِ ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: مثلُ ذلك الإخراجِ وهو إخراجُ الثمراتِ نُحْيِي الأَمواتَ بعدَ موتِها ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فيُؤَدِّيكم التذكُّرُ إلىٰ أنّه لافرقَ بينَ الإخراجَيْن، إذ كلٌّ واحدٍ منهما إعادةٌ للشيءِ بعدَ إنشائِه ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ الأَرضُ العَذاةُ[2] الكريمةُ التُربةِ ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ﴾ زرعُه خروجاً زاكياً نامياً بأَمرِ ﴿رَبِّهِ وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ وهو السَبَخَةُ الَّتي لاتُنْبِتُ مايُنْتَفَعُ به ﴿لَايَخْرُجُ﴾ نَباتُه ﴿إِلَّا نَكِداً﴾ فحُذِفَ المضافُ الَّذي هو النَباتُ وأُقيمَ المضافُ إليه مقامَه فَاسْتَكَنَّ في الفعلِ، أَو يكون التَقديرُ: ونباتُ الَّذي خَبُثَ[3]، والنَكِدُ: العَسِرُ الممتنعُ من الخروجِ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أَي: مثلُ ذلك التصريفِ[4] ﴿نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ نُرَدِّدُها ونُكَرِّرُها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعمةَ اللهِ تَعالىٰ.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَالَاتَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً عَمِينَ﴾ (٦٤)

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ جوابُ قسمٍ محذوفٍ، هو نوحُ بنُ لمك بنِ متوشلخَ بنِ اخنوخَ

---

(١) الحيا ـ بالقصر ـ: الخصب. (القاموس المحيط: مادة حيا)، وفي بعض النسخ: حياة.

(٢) الأرض الطيبة البعيدة عن الماء والوَخَم. (القاموس المحيط: مادة عذا).

(٣) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣١٩.

(٤) في بعض النسخ: التصرّف.

وهو إدريسُ النبيُّ عليه السلام، وقُرِئَ: «غَيْرِه» بالجرِّ[١] على اللَفظِ وبالرَفعِ على محلِّ ﴿مِّنْ إِلَـٰهٍ﴾، وقولُه: ﴿مَالَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ﴾ بيانٌ لوجهِ اختصاصِه بالعبادةِ، وقولُه: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ بيانٌ للدَاعي إلىٰ عبادتِه بأنَّه هو الَّذي يُحْذَرُ عقابُه دونَ مَن كانوا يَعْبُدُونَه من دونِه، واليومُ العظيمُ: هو يومُ القيامةِ أو يومُ نزولِ العذابِ عليهم[٢]، و﴿ٱلْمَلَأُ﴾: السَادةُ والأشرافُ ﴿فِى ضَلَـٰلٍ﴾ أي: ذَهابٍ عن الحقِّ والصَوابِ، والمرادُ بالرُؤْيةِ رُؤْيةُ القلبِ الَّذي هو العلمُ، وقيل: رُؤْيةُ البَصَرِ أي: نَراكَ بأَبصارِنا على هذِهِ الحالِ[٣] ﴿لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ﴾ أي: ليس بي شيءٌ من الضَلالِ ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بيانٌ لكونِه رَسُولَ رَبِّ الْعالَمِينَ، وهي جملةٌ مستأنَفةٌ ﴿رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى﴾ ماأُوحِيَ إِلَيَّ في الأَوقاتِ المُتطاوِلةِ، وفي المعانِي المختلفةِ من الأَوامرِ والنَواهي ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ في زيادةِ اللامِ دلالةٌ علىٰ إمحاضِ النصيحةِ للمنصوحِ له ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أَي: من صفاتِه وأَحوالِه وشدَّةِ بطشِه علىٰ أَعدائِه ﴿مَالَاتَعْلَمُونَ﴾، ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ الهمزةُ للإنكارِ والواوُ للعطفِ والمعطوفُ عليه محذوفٌ[٤]، كأنَّه قال: أَكَذَّبْتُمْ وعَجِبْتُم من ﴿أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ أَي: موعظةٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ علىٰ لسانِ رجلٍ ﴿مِّنكُمْ﴾ مثلُ قولِه: ﴿مَاوَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾[٥] وذلك أَنَّهم تَعَجَّبوا من نُبُوَّةِ نوحٍ وقالوا: ﴿مَاهَـٰذَآ إِلَّابَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[٦]، ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ لِيُحَذِّرَكم عاقبةَ الكفرِ ﴿وَلِتَتَّقُواْ﴾ ولتوجَدَ منكم التَقوىٰ وهي

(١) وهي قراءة أبي جعفر والكسائي والأعمش وابن وثاب. راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٣٤، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٦٨، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٣٢٠.

(٢) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١١٣، والرازي في تفسيره: ج ١٤ ص ١٤٩.

(٣) انظر التبيان: ج ٤ ص ٤٣٦، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٢١.

(٤) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٢٢، وإعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٣٥.

(٥) آل عمران: ١٩٤. (٦) المؤمنون: ٢٤ و ٣٣.

خشيةُ اللهِ بسببِ الإنذار ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ولتُرْحَموا بالتَقوىٰ إن وُجِدَت مِنكم ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ﴾ وكانوا أَربعين رجلاً وأَربعين امرأةً، وقيل: كانوا عَشَرَةً[1]: بنوه: سامٌ وحامٌ ويافثٌ وستَّةٌ ممَّن آمَنَ به[2]، وتَعلَّقَ قولُه ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ بـ ﴿مَعَهُ﴾ كأنَّه قالَ: والَّذين استقرُّوا مَعَه في الفلكِ أَو صَحِبُوه فيه، أَو بـ «أَنجَيْناهُ» أَي: أَنجَيْناهم في السَفينةِ من الطُوفانِ ﴿قَوْماً عَمِينَ﴾ أَي: عَمِي القلوبِ غيرَ مُستَبْصِرِينَ.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَاتَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٦٩)

﴿أَخَاهُمْ﴾ في النسبِ يعني واحداً منهم من قولِك: «ياأَخَا العربِ» للواحدِ منهم، وإِنَّما جُعِلَ واحداً منهم ليكونوا به أَسْكَنَ وبحالِه أَعْرَفَ في صدقِه وأَمانتِه، وهو هودُ بنُ شالَخَ بنِ أَرْفَخْشَذَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ، وعُطِفَ ﴿أَخَاهُمْ﴾ علىٰ ﴿نُوحاً﴾[3]، و ﴿هُوداً﴾[4] عطفُ بيانٍ له، وحُذِفَ العاطفُ من قولِه: ﴿قَالَ

---

(١) في نسخة: تسعة، وكذا في الكشّاف.

(٢) قالهابن إسحاق على ماحكاه عنهالطبري في تفسيره: ج ٥ ص ٥٢٢،وراجعالكشّاف: ج ٢ص ١١٥.

(٣) الآية: ٥٩.

(٤) قال الهمداني: فإن قلت: «هود» أعجمي أو عربي؟ قلتُ: قد جوّز أن يكون أعجمياً وأن ←

﴿يَـٰقَوْمِ﴾ لأنّه علىٰ تقديرِ سؤالِ سائلٍ سألَ فقالَ: ماقالَ لهم هودٌ؟ فقيلَ: ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، وكذلِكَ قولُه: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، والسَفاهَةُ: خِفَّةُ الحِلمِ وسَخافَةُ العقلِ، وَصَفوه بالسَفَهِ حيثُ هَجَرَ دينَهم إلىٰ دينِ اللهِ، وقالوا: ﴿فِى سَفَاهَةٍ﴾ وجعلوا السَفاهةَ ظرفاً علىٰ طريقِ المجازِ، يُريدون أنّه متمكّنٌ فيها غيرُ خالٍ عنها، وفي إجابةِ نوحٍ وهودٍ وغيرِهما من الأنبياءِ عليهم السلام مَن نَسَبُوهم إلى الضَلالَةِ والسَفاهةِ بالكلامِ الصادرِ عن الإغضاءِ والمُجامَلَةِ ـ مع علمِهم بأنَّ خصومَهم أَضَلُّ الخلقِ وأَسفَهُهم ـ أدبٌ حَسَنٌ، وحكايةُ اللهِ ذلك تعليمٌ لعبادِه كيفَ يُخاطِبونَ السُفهاءَ ويُدارونَهم ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ﴾ فيما أَدْعوكُمْ إليه من توحيدِ اللهِ وطاعتِه ﴿أَمِينٌ﴾ ثِقَةٌ مأمونٌ في تأديةِ الرسالةِ فلا أَكْذِبُ ولاأُغَيِّرُ ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ﴾ أي: وقتَ جَعلِكم ﴿خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي: خَلَفْتُمُوهم في الأَرضِ من بَعْدِ هلاكِ قومِ نوحٍ بالعِصيانِ ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ فيما خَلَقَ من أَجرامِكم ذَهاباً في الطُولِ والبَدانةِ، قال الباقرُ عليه السلام: «كانوا كالنَخلِ الطُوّالِ، وكانَ الرَجلُ منهم يَنْحُو الجبلَ بيدِه فيَهُدُّ[١] منه قطعةً»[٢] ﴿فَاذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ في استخلافِكم وبسطَةِ أجسامِكم وماسواهما من نِعَمِه، وواحدُ الآلاءِ إِلْيٌ[٣] ونحوُه: إِنْيٌ وآناءٌ[٤].

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا

⟵ يكون عربياً من هادَ يهود. فإن قلت: إذا جعل أعجمياً فلم صرف وفيه العجمة والتعريف؟ قلت: لخفّته كنوح ولوط. الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٣٢٤، وراجع إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٣٦.

(١) الهدّ: الهدم الشديد والكسر. (القاموس المحيط: مادة هدّ).

(٢) التبيان: ج ٤ ص ٤٣٦.

(٣) الآلاء: النِعَم، واحدها إِلْيٌ وأَلْوٌ وأَلْيٌ وأَلىً وإِلىً. (القاموس المحيط: مادة ألى).

(٤) الأنيُ ويكسر والأناء والإِنْوُ بالكسر: الوهن والساعة من الليل أو ساعة ما منه، والإني كإلي وعلي: كل النهار جمع آنار. (القاموس المحيط: مادة أنى).

تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (٧١) فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٧٢)

أَنْكَروا اختصاصَه للهِ بالعبادةِ وتركَه دينَ آبائِهم في تركِ عبادةِ الأَصنامِ إلفاً منهم بما نَشَأوا عليه ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ استعجالٌ منهم بالعذابِ ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾ أَي: وَجَبَ عليكم أَو نَـزَلَ عـليكم، فـجُعِلَ المُـتَوَقَّعُ بـمنزلةِ الواقـعِ[1] ﴿رِجْسٌ﴾ أَي: عذابٌ، من الارتجاسِ وهو الاضطرابُ ﴿أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أَي: في أَشـياءَ مـاهي إِلَّا أَسـماءٌ ليس تـحتَها مسمَّياتٌ؛ لأَنَّكـم سَمَّيْتُمُوها آلهةً ومعنى الإلهيَّةِ فيها معدومٌ، ونحوه قولُه: ﴿مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾[2]. ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ عذابَ اللهِ فإِنَّه نازلٌ بكم ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ لنزولِه بكم ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ أَي: دمَّرْناهم واستأْصَلْناهم عن آخِرِهم.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحاً قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتاً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٧٤)

---

(١) قال الهمداني: والوقوع والسقوط والنزول نظائر في اللغة. الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٣٢٥.
(٢) العنكبوت: ٤٢.

أَي: ﴿وَ﴾ أَرْسَلْنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ﴾ قُرِئَ بمنعِ الصَرفِ على تأَويلِ القبيلةِ[١]، وهو ثمودُ بنُ عابَرَ بنِ إِرَمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ، وصالحٌ من وُلدِ ثمودَ ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ أَي: دَلالةٌ مُعجِزةٌ وآيةٌ ظاهرةٌ شاهدةٌ علىٰ صحَّةِ نبوَّتي ﴿هَـٰذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ كأَنَّه قيل: ماهٰذِهِ الْبَيِّنَةُ؟ فقال: ﴿هَـٰذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ أَضافَها إِلى ﴿ٱللَّهِ﴾ لأَنَّه خلَقَها بلاواسطةٍ، وخَرَجَتْ من صخرةٍ مَلْساءَ تَمَخَّضَتْ بها تَمَخُّضَ النَتُوجِ[٢] بولدِها، ثمَّ انْصَدَعَت عن ناقةٍ عُشَراءَ جوفاءَ وَبْراءَ[٣] لايَعْلَمُ مابينَ جنبَيْها إِلَّا اللهُ عِظَماً وهم يَنْظُرُون، ثمَّ نُتِجَتْ ولداً مثلَها فِي العِظَمِ، وكان لها شِربُ يومٍ تَشْرَبُ فيه ماءَ الوادي كلَّه، وتَسقيهم اللَبَنَ بدلَه، وَلَهُمْ شِرْبُ يَوْمٍ يَخُصُّهم لاتَقْرَبُ فيه ماءَهم، و ﴿ءَايَةً﴾ نصبٌ على الحالِ، والعاملُ فيها مادلَّتْ عليه اسمُ الإِشارةِ الَّتي هي ﴿هَـٰذِهِ﴾ من معنى الفعلِ، كأَنَّه قيل: أُشير إِليها آيةً، و ﴿لَكُمْ﴾ بيانٌ لمن هي له آيةٌ موجبةٌ عليه الإِيمانَ خاصَّةً وهُم ثمودُ؛ لأَنَّهم عايَنوها وسَمِعَ غيرُهم خبرَها وليسَ الخبرُ كالمُعايَنَةِ، فكأَنَّه قالَ: لَكُمْ خُصُوصاً ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ أَي: الأَرْضُ أَرضُ اللهِ والنَاقَةُ ناقةُ اللهِ فذَروها تَأْكُلْ في أَرضِ ربِّها، فليستِ الأَرضُ لكم ولامافيها من النَباتِ من إِنباتِكم ﴿وَلَاتَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ أَي: بعقرٍ أَو نحرٍ أَو شيءٍ من الأَذىٰ إِكراماً لآيةِ اللهِ ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ ... فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بأَن مَكَّنَكُمْ فيها ﴿مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ ونَزَّلَكم وجَعَلَ لكم فيها مساكنَ تأْوون إِليها

---

(١) وثمود اسم قبيلة، وقد جاء مصروفاً وغير مصروف، فمن صرفه فعلىٰ أنّه اسم لحيّ مذكّر، ومن ترك الصرف فعلىٰ أنّه اسم قبيلة كما في قوله تعالى: ﴿أَلَاإِنَّ ثَمودَاْ كفروا رَبّهم أَلَا بُعداً لِّثَمودَ﴾ فصرف الأول ولم يصرف الثاني. انظر إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٣٦.

(٢) نتجت الناقة: حان نتاجها فهي نَتوجٌ. (القاموس المحيط: مادة نتج).

(٣) العُشراء من النوق: التي مضىٰ لحملها عشرة أشهر أو ثمانية أو هي كالنفساء من النساء، وجوفاء: ذو الجوف الواسع مؤنث أجوف، ووَبْراء مؤنث أوبر: ماله وَبَر أي صوف. (القاموس المحيط: مادة عشر وجوف ووبر).

﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً﴾ أي: تبنونها من سُهولةِ الأرضِ بما تعمَلُون منها من اللَبِنِ والآجُر ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتاً﴾ تسكُنونها في الشتاءِ، و ﴿بُيُوتاً﴾ نصبٌ على الحالِ كما يُقالُ: خِطْ هذا الثوبَ قَميصاً، وهي من الحالِ المقدَّرةِ[1] لأنَّ الجَبَلَ لايكونُ بيتاً في حالِ النحتِ، ولا الثوبَ قميصاً في حالِ الخياطةِ[2] ﴿فَاذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللهِ﴾ أي: نِعَمَه عليكم بما أعطاكم من القوَّةِ والتمكُّنِ في الأرضِ ﴿وَلَاتَعْثَوْاْ﴾ أي: ولاتُبالِغُوا في الفَسادِ.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِ كَٰفِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّاتُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ (٧٩)

قَرَأَ ابنُ عامرٍ[3] «وَقَالَ ٱلْمَلَأُ» بإثباتِ الواوِ[4]، و ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ أي:

---

(١) الحال المقدّرة: حال لم يكن صاحبه متلبِّساً به في حال الإخبار، بل يُقدَّر وقوعه نحو «صائداً» في مثل «جاء زيدٌ معه صقرٌ صائداً به غداً»، ومنه ﴿فَادْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ و﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللهُ ءَامِنِينَ﴾. انظر مغني اللبيب: ص ٦٠٥ ـ ٦٠٦.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٢٧.

(٣) هو عبدالله بن عامر اليحصبي، إليه انتهت مشيخة الإقراء بالشام، وأحد القرّاء السبعة، كان عالماً متقناً، روىٰ عنه القراءة عرضاً يحيىٰ بن الحارث الزماري، وأخوه عبدالرحمن بن عامر وخلّاد بن يزيد وغيرهم، تولّىٰ إمامة الجامع بدمشق وائتمّ به الخليفة عمر بن عبد العزيز، توفّي سنة ١١٨ هـ.(تاريخ الاسلام للذهبي: ج ٢ ص ٢٦٦، الاعلام للزركلي: ج ٤ ص ٩٥).

(٤) راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٥١ وقال: وكذلك في مصاحف أهل الشام، وتفسير البغوي: ←

تَعَظَّمُوا وأَنِفوا(١) من اتِّباعِ الرَسولِ الدَاعي إلى اللهِ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾ للّذين اسْتَضْعَفُوهُم واسْتَذَلّوهم، و ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بدلٌ من ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾، والضَميرُ في ﴿مِنْهُمْ﴾ يعودُ إلىٰ ﴿قَوْمِهِ﴾(٢) أو إلىٰ «الّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ»(٣). ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ إنّما قالوه علىٰ سبيلِ السُخريَّةِ ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ أُسْنِدَ العَقرُ إلىٰ جميعِهم لأنّه كان برضاهم وإن لم يَعقِرْها إلّا بعضُهم وهو قُدارُ بنُ سالفٍ مع أصحابِه، وكان أَحْمَرَ أَزْرَقَ قصيراً، وكانوا تسعةَ رهطٍ.

قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: ياعليُّ من أشقى الأوَّلين؟ قال: اللهُ وَرسُولُهُ أَعْلَمُ، قال عليه السلام: عاقِرُ النَاقَةِ، أتدري مَن أشقى الآخِرين؟ قال: اللهُ وَرسُولُه أَعْلَمُ، قال: الّذي يَخْضِبُ هٰذِهِ من هٰذا، وأشارَ إلىٰ لحيتِه ورأْسِه(٤).

﴿وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ تَوَلَّوْا عنه واسْتَكْبَرُوا عن امتثالِه عاتين، وأَمرُ ربِّهم هو ماأَمَرَ به علىٰ لسانِ صالحٍ من قولِه: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾(٥) أو شأنُ ربِّهم وهو دينُه(٦) ﴿ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ أي: من العذابِ، وإنّما اسْتَعْجَلُوه لتكذيبِهم به، ولذلك عَلَّقوه بما كانوا به كافرين وهو كونُه ﴿مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ أَي: الصَيحةُ الّتي زُلْزِلَتْ لها الأَرضُ واضْطَرَبُوا لها ﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ﴾(٧) أَي: في بلادِهم ومساكنِهم ﴿جَٰثِمِينَ﴾ أَي: مَيِّتين

← ج ٢ ص ١٧٤، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٤، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢١.

(١) في بعض النسخ: اتّقوا.

(٢) وهو مذهب الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٢٣.

(٣) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٢٨.

(٤) كنز العمّال: ج ١٣ ص ١٩٦ ح ٣٦٥٨٧، الطبقات الكبرىٰ لابن سعد: ج ٣ ص ٣٥.

(٥) وهو اختيار الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٢٣. والآية: ٧٣.

(٦) وهو قول الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٥١.

(٧) قال الماوردي: قال محمّد بن مروان السدي: كلّ مافي القرآن من «دارهم» فالمراد به ←

هامدين[١] لايتحرَّكون، يقال: النَّاسُ جُثَّمٌ، أي: قعودٌ لاحَراكَ بهم ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ تَوَلِّيَ مُتحسِّرٍ علىٰ مافاتَه من إيمانِهم مُتحزِّنٍ لهم ﴿وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ﴾ بَذلْتُ فيكم وُسْعي ولم آل جُهداً في النَّصيحةِ لكم، والظَّاهرُ يَدُلُّ علىٰ أنَّه كان مُشاهِداً لماجَرىٰ عليهم، وأنَّه تَوَلَّىٰ عنهم بعدَ ماأَبْصَرَهم مَوْتىٰ صَرْعىٰ.

﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَاسَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (٨٤)

أَي: ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿لُوطاً﴾[٢]، و ﴿إِذْ﴾ ظرفٌ لـ«أَرْسَلْنا»، ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ﴾ أتفعلون السَّيِّئَةَ المُتَمادِيةَ في القبحِ وهي إتيانُ الرجالِ في أدبارِهم ﴿مَاسَبَقَكُم بِهَا﴾ أي: ماعَمِلَها قبلَكم أحدٌ، والباءُ للتَعديةِ ومنه قولُه ﷺ: «سَبَقَكَ بها عُكاشَةُ»[٣]، و ﴿مِنْ﴾ في ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ مزيدةٌ لتوكيدِ النَّفي وإفادة معنى الاستغراقِ، و ﴿مِّنَ﴾ الثانيةِ للتبعيضِ[٤] أ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ مِن أَتَى ٱلْمَرْأَةَ: إذا غَشِيَها ﴿شَهْوَةً﴾ مفعولٌ له أي: للاشتهاءِ لاحاملَ لكم عليه إلَّا مجرَّدُ الشَهوةِ من

← مدينتهم، وكلّ مافيه من «ديارهم» فالمراد به مساكنهم. انظر تفسيره: ج ٢ ص ٢٣٦.

(١) في نسخة: خامدين.

(٢) زعم بعض أهل اللغة: لوط مشتقّ من لطتُ الحوضَ إذا ملّسته بالطين. قال الزجّاج: وهذا غلط؛ لأنّ لوطاً من الأسماء الأعجمية ليس من العربية، والعجمي لايشتقّ من العربي. انظر معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٥١.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي: ج ١٠ ص ٤٠٧.

(٤) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٢٩.

غيرِ داعٍ آخرَ، ويَجوزُ أَن يكونَ حالاً أَي: مُشْتَهين تابعين للشَهوةِ[١] ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ في موضعِ الحالِ أَيضاً، أَي: تاركين إِتيانَ النساءِ اللّاتي أَباحَ اللهُ إِتيانَهنَّ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ متجاوزون الحدَّ في الفسادِ حتَّى تَجاوَزْتم المعتادَ إِلىٰ غيرِ المعتادِ ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ يعني: ماأَجابوا لوطاً عمَّا كلَّمَهم به بِما يكونُ جواباً ولٰكنَّهم جاءُوا بما لايَـتَعلَّقُ بكـلامِه ونـصيحتِه مـن الأَمـرِ بإِخراجِه ومَن مَعَه من المؤمنين من قريتهم ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ من الفواحشِ والخبائثِ ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ﴾ أَي: فخَلَّصْنا لوطاً ﴿وَأَهْلَهُ﴾ المختصِّين به من الهلاكِ ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ الَّذِين غَبَروا في ديارِهِم أَي: بَقوا فيها فـهَلَكوا[٢]، أَو[٣] كانت كافرةً مُوالِيةً لأَهلِ سَدومَ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً﴾ أَي: أَرسلنا عليهم الحجارةَ إِرسالَ المطرِ نحوُ قولِه: ﴿وَأَمْـطَرْنَا عَـلَيْهَا حِـجَارَةً مِّـن سِـجِّيلٍ﴾[٤]، والمعنىٰ: وأَمْطَرْنا عليهم نوعاً مـن المَـطَرِ عـجيباً، ونـحوُه قـولُه: ﴿فَسَآءَ مَـطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾[٥].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَـا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْـمِيزَانَ وَلَاتَـبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَاتُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨٥) وَلَاتَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُواْ

(١) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٢٥.
(٢) وهو اختيار الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٢٦، والهمداني في الفـريد فـي إعـراب القرآن: ج ٢ ص ٣٣٠.
(٣) كذا في النسخ، والظاهر أنّ الانسب «و» لسياق الجملة.
(٤) هود: ٨٢.
(٥) الشعراء: ١٧٣، والنمل: ٥٨.

كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ (٨٦) وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ (٨٧)

﴿وَ﴾ أَرْسَلْنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾ وكانَ يقالُ لشُعَيبٍ: «خطيبُ الأَنبياءِ» لحسنِ مراجعتِه قومَه[١]، وكانوا أَهلَ بخسٍ للمِكيالِ والميزانِ ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أَي: معجزةٌ شاهدةٌ بصحَّةِ نبوَّتي أَوْجَبَتْ عليكم الإِيمانَ بي[٢] ﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ أُريدَ بالكيلِ آلةُ الكيلِ وهو المِكْيالُ، أَوسُمِّيَ مايُكالُ به بالكيلِ كما قيل: العَيْشُ لما يُعاشُ به، أَو أُريدَ أَوْفُوا الْكَيْلَ ووزنَ الميزانِ، أَو يكونُ الميزانُ بمعنى المصدرِ كالمِيعادِ والمِيلادِ[٣] ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ﴾ ولاتَنْقُصُوا، وإِنَّما قيل: ﴿أَشْيَآءَهُمْ﴾ لأَنَّهم كانوا يَبْخَسون النَّاسَ كلَّ شيءٍ في مبايَعاتِهم ﴿بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ بعدَ الإِصلاحِ فيها، أَي: ﴿لَاتُفْسِدُواْ﴾ فِيها ﴿بَعْدَ﴾ ماأَصْلَحَ فيها الصَّالحون من الأَنبياءِ وأَتباعِهم، فيكونُ هذه الإِضافةُ[٤] كما في

(١) روى الطبري بإسناده قال: قال ابن إسحاق: فكان رسول الله ﷺ فيما ذكر لي يعقوب بن أبي سلمة إذا ذكره قال: ذاك خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه. راجع تاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٢٩.

(٢) زعم الفرّاء في معانيه: ج ١ ص ٣٨٥ أن لم يكن لشعيب آية إلّا النبوة. قال الزجّاج: وهذا غلط فاحش، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَبِّكُمْ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ﴾ فجاء بالفاء جواباً للجزاء، فكيف يقول: قد جاءتكم بيّنة من ربكم ولم يكن له آية إلّا النبوة؟! فإن كان مع النبوة آية فقد جاءهم بها، وقد أخطأ القائل بقوله: لم تكن له آية، ولو ادّعىٰ مدّعٍ النبوة بغير آية لم تُقبل منه، ولكن القول في شعيب أنّ آيته كما قال بيّنة، إلّا أنّ الله جلّ ثناؤه ذكر بعض آيات الأنبياء في القرآن وبعضهم لم يذكر آيته، فمن لم تذكر آيته لايقال: لا آية له، وآيات محمّد النبي ﷺ لم تذكر كلّها في القرآن ولا أكثرها وإن كانت له آيات كثيرة، ولم يوجب ذلك نفيها. أُنظر معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤، والتبيان: ج ٤ ص ٤٦٢.

(٣) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ٢ ص ١٢٧.

(٤) وهو اختيار الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٥٤، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٢٧.

قوله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [(١)] أي: مكرُكم في اللَيلِ والنَهارِ، أَو بعدَ إِصلاحِ أَهلِها علىٰ حذفِ المضافِ[(٢)] ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارةٌ إِلىٰ ماذُكِرَ من الوفاءِ بالكيلِ والميزانِ وتركِ البَخْسِ والإِفسادِ في الأَرضِ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في الإِنسانيَّةِ وحسنِ الأُحدوثةِ وماتَطلُبونه من الربحِ؛ لأَنَّ النَاسَ إِذا عَرَفُوا منكم النَصفَةَ والأَمانةَ رَغِبُوا في مُتاجَرَتِكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ مُصدِّقين لي في قولِي ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ﴾ منهجٍ من مناهجِ الدينِ مُقتدين بالشيطانِ في قولِه: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [(٣)] تتوعَّدون من آمَنَ باللهِ ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وكانوا يَجْلِسون على الطُرُقِ فيقولون لمن يَمُرُّ بها: إِنَّ شُعَيْباً كذَّابٌ فلايَفْتِنَنَّكم عن دينِكم، كما كان يَفْعَلُ قُرَيْشٌ بمكَّةَ ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ أَي: وتَطْلُبون لسبيلِ اللهِ عِوَجاً، والمعنىٰ: تَصِفونها للنَاسِ بأَنَّها سبيلٌ مُعْوَجَّةٌ غيرُ مستقيمةٍ لتَصُدُّوهم عن سلوكِها والدُخولِ فيها ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾: ﴿إِذْ﴾ مفعولٌ به غيرُ ظرفٍ، أَي: وٱذكُروا علىٰ وجهِ الشُكرِ وقتَ كونِكم قليلاً عددُكم، قالوا: إِنَّ مَدْيَنَ بنَ إِبراهيمَ الخليلِ تَزَوَّجَ بنتَ لوطٍ فوَلَدَت له فرَمَى اللهُ في نسلِها بالبَرَكَةِ والنَماءِ فكَثُرُوا[(٤)]،ويجوزُ: إِذ كُنْتُم فقراءَ مُقِلِّين فَجَعَلَكُمْ أَغْنِياءَ مُكْثِرين[(٥)] ﴿وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ﴾ من أَفْسَدَ قبلَكم كقوم نوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ وكانوا قريبي العهدِ بهم ﴿وَإِن كَانَ﴾ جماعةٌ ﴿مِّنكُمْ ءَامَنُواْ﴾ وصَدَّقُوا ﴿بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ وقَبِلوا قولي وجماعةٌ لم يُصَدِّقوني ﴿فَٱصْبِرُواْ﴾ فتَرَبَّصوا وٱنْتَظِرُوا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ بينَ الفريقَيْن بأَن يَنْصُرَ المُحِقَّ على المُبطِلِ، وهذا وعيدٌ للكافرين.

---

(١) سبأ: ٣٣. (٢) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٢٧.

(٣) الأعراف: ١٦.

(٤) حكاه القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٢٤٧ ونسب هذا القول الى مكّي.

(٥) وهو قول الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٥٥.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ (٨٨) قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ﴾ (٨٩)

أَي: ﴿قَالَ﴾ الّذين رَفَعُوا أَنفسَهم فوقَ مقدارِها من قومِ شُعَيْبٍ: لَيَكونَنَّ أَحدُ الأَمرَيْن: إِمَّا إِخراجُكم من بلدتِنا أَو عودُكم في الكفرِ، وقد يكونُ العـودُ بـمعنى الصَيرورةِ[1] كما في قولِ الشّاعرِ:

تِلْكَ المَكارِمُ لاقَعْبانِ من لَبَنٍ ... شيبا بماءٍ فَعادا بعدُ أَبـوالاً[2]

﴿قَالَ﴾ شُعَيْبُ: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ﴾ الواوُ واوُ الحالِ والهمزةُ للاستفهامِ[3]، أَي: أَتُعيدوننا في ملَّتِكم وتَرُدُّونَنا إِليها في حالِ كونِنا كارِهين للدُّخولِ فيها؟ يُريدُ أَنَّا مع كراهتِنا لذلك لِما عَرَفْناه من بطلانِه لانَرجِعُ[4]، أَو أَنَّكم لاتَقْدِرون عـلىٰ ردِّنا إِلىٰ دينِكم علىٰ كُرهٍ منَّا، فيكون ﴿كَـٰرِهِينَ﴾ علىٰ هذا بمعنىٰ: مُكرَهين ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾ معناه: إِن عُدنا في ملَّتِكم ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ بأَن أَقامَ لنا الدَلائِلَ على بطلانِها وأَوضَحَ الحقَّ لنا فقد افْتَرَيْنا على اللهِ كَذِباً فيما دَعَوْناكم إِليه[5] ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ﴾ أَي: ومايَنبغي لنا ومايصحُّ لنا ﴿أَن

---

(١) انظر معاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٣٥٥، والكشّاف: ج ٢ ص ١٢٩.

(٢) البيت لأُميّة بن أبي الصلت الثقفي، أراد أنَّ لقومه مآثر ومكارم ليست عند غيرهم ثم قال: هذه هي المكارم لا مايفتخر به غيرهم من السماحة والضيافة بلبن ممزوج بالماء الذي يصير بعد ذلك أبوالاً. انظر دلائل النبوة للبيهقي: ج ١ ص ٢٩٦.

(٣) وهو اختيار الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٠.

(٤) وهو قول الشيخ الطوسي في التبيان: ج ٤ ص ٤٦٦.

(٥) وهو قول القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٢٥٠.

نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ خِذلانَنا ومَنْعَنا الأَلطافَ بأَن يَعْلَمَ أَنَّها لاتَنفَعُ فينا فيكون فعلُها بنا عَبَثاً وَاللهُ عَزَّاسمُه مُتَعالٍ عن فعلِ العَبَثِ، ويَدُلُّ على هذا قولُه: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ أَي: هو عالمٌ لذاتِه، يَعْلَمُ كلَّ شيءٍ ممَّا كانَ ويكونُ، فهو يَعْلَمُ أَحوالَ عبادِه كيف تَتَحَوَّلُ وقلوبَهم كيف تَتَقَلَّبُ ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في أَن يُثَبِّتَنا على الإيمانِ ويُوَفِّقَنا لازديادِ الإِيقانِ[١]، ويجوزُ أَن يكونَ قولُه: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ تعليقاً لما لايكونُ بما عَلِمَ أَنَّه لايكونُ على وجهِ التَبعيدِ؛ لأَنَّ مشيئةَ اللهِ لعودِهم في الكفرِ مُحالٌ خارجٌ عن الحكمةِ[٢] ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ أَي: احكُمْ بينَنا ﴿وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ والفِتاحةُ: الحكومةُ[٣]، أَو أَظْهِرْ أَمرَنا حتَّى يَنفَتِحَ مابينَنا وبينَ قومِنا ويَنْكَشِفَ بأَن تُنَزِّلَ عليهم عذاباً يَتَبَيَّنُ معه أَنَّا على الحقِّ وأَنَّهُمْ عَلَى الباطِلِ[٤] ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ﴾ الحاكمين.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَـٰسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ (٩١) ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَانُواْ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ (٩٢) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ (٩٣) وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا

---

(١) وإليه ذهب الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٥٦، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٠.

(٢) انظر التبيان: ج ٤ ص ٤٦٧.

(٣) وهو قول ابن عبّاس والحسن وقتادة والسدي كما حكاه عنهم الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٤٦٨، وهو اختيار أبي عبيدة والفرّاء. انظر تفسير ابن عبّاس: ص ١٣٣، وتفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٨٢، ومجاز القرآن: ج ١ ص ٢٢٠، ومعاني القرآن: ج ١ ص ٣٨٤.

(٤) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٠.

مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٩٥)

أَي: ﴿قَالَ﴾ أَشرافُ ﴿ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ﴾ للَّذين دونَهم يُثَبِّطونهم عن الإيمانِ: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَـٰسِرُونَ﴾ لاستبدالِكم الضَلالةَ بالهدىٰ، وقيل: تَخسَرُونَ باتِّباعِه فوائِدَ البَخسِ والتَطفيفِ؛ لأَنَّه يَنهاكم عنهما ويَـحمِلُكم على الإيفاءِ والتسويةِ[1]. واللامُ في ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ﴾ مُوَطِّئَةٌ للقسمِ، وجوابُ القسمِ ﴿إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَـٰسِرُونَ﴾ وقد سَدَّ مَسَدّ جواب الشرطِ[2] ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً﴾ مبتدأٌ وخبرُه ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾ وكذلك ﴿كَانُواْ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾، وفي هـذا الابتداء معنى الاختصاصِ، كأَنَّه قيل: الَّذين كَـذَّبُوا شُـعَيْباً هـم المـخصوصون بالهلاكِ والاستئصالِ كَأَنْ لَّمْ يُقِيموا في دارِهم؛ لأَنَّ الَّذين اتَّبَعُوا شُعَيْباً أَنجاهم اللهُ ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً﴾ هم المخصوصون بالخُسرانِ العظيمِ دونَ أَتـباعِه لأَنَّـهم الرَابحون، وفي هذا الابتداءِ والتَكريرِ تَسفيهٌ لرأْيِ المَلأَ وردٌّ لمقالتِهم ومُبالَغَةٌ في ذلك ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ شُعَيْبٌ لمَّا رأَى إِقبالَ العذابِ عليهم ﴿وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ﴾ أَعْذَرْتُ إِليكم في النَصيحةِ وإِبلاغِ الرسالةِ والتَحذيرِ ممَّا حلَّ بكم فلم تُصدِّقوني ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ أَي: فكيف أَحْزَنُ ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ ليسوا بأَهلٍ للحَزَنِ عليهم لكفرِهم واستحقاقِهم العذابَ النَازلَ بهم، والبأْساءُ: البؤْسُ والفقرُ، والضَرَّاءُ: الضُرُّ والمرضُ ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ أَي: ليتَضرَّعوا ويتوبوا ويَتَذلَّلوا ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾ أَي: رَفَعْنَا السيِّئَةَ يعني: ماكانوا فيه من البلاءِ والمِحنةِ، ووَضَعْنا الحَسَنَةَ مكانَها يعني: الرَخاءَ والسَعَةَ والصحَّةَ ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ أَي: كَثُرُوا ونَمَوا في أَنفسِهم

(١) وهو قول الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٤٦٩ ـ ٤٧٠، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٨٢.

(٢) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٣٣.

وأموالِهم من قولِهم: عَفَا النباتُ وعَفَا الشحمُ والوَبَرُ: إذا كَثُرَتْ، ومنه قـولُه ﷺ: «وَٱعفُوا اللّحىٰ»(١) ﴿وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ يُريدُ أَبْطَرَتْهم النعمةُ وأَشِرُوا فقالوا: هذه عادةُ الدهرِ يُعاقِبُ في النّاسِ بينَ الضرّاءِ والسَرّاءِ وقد مَسَّ آباءَنا نحوُ ذلك فلم ينتقلوا عمّا كانوا عليه، فكونوا علىٰ ماأَنتم عليه كما كانَ آباؤُكم كذلك ﴿فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً﴾ فُجاءَةً عبرةً لمن بعدَهم ﴿وَهُمْ لَايَشْعُرُونَ﴾ أَنَّ العذابَ نازلٌ بهم إلَّا بعدَ حلولِه.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ (٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللهِ فَلَايَأْمَنُ مَكْرَ ٱللهِ إِلَّاٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ (٩٩)

اللّامُ في ﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾ إشارةٌ إلى القُرَى الّتي دلَّ عليها قولُه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾(٢) فكأَنّه قالَ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ﴾ تلك ﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾ الّذين كذّبوا وأُهْلِكوا ﴿ءَامَنُواْ﴾ بدلَ كفرِهم ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ الشركَ والمعاصيَ ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ﴾ أَي: خيراتٍ ناميةٍ ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بإنزالِ المطرِ وإخراجِ النَباتِ، والمعنىٰ: لآتَيْناهم بالخيرِ من كلِّ وجهٍ ﴿وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُم﴾ بسوءِ كسبِهم، ومعنى «فتحِ البَرَكاتِ»: تيسيرُها عليهم كما يُيَسَّرُ أَمرُ الأَبوابِ المُغْلَقةِ

---

(١) مسند أحمد: ج ٢ ص ٣٦٦ و٣٧٨، مسند أبي عوانة: ج ١ ص ١٨٨، سنن البيهقي: ج ١ ص ١٤٩، الترغيب والترهيب للمنذري: ج ٣ ص ٤٣٥، الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٢، قال في النهاية: مادة عفا: هو أن يوفِّر شعرها ولايقصّ كالشوارب.

(٢) الأعراف: ٩٤.

بفتحِها، ومنه قولُهم: فَتَحْتُ عَلَى الْقارِئ: إذا تَعَذَّرَت عليه القِراءَةُ فيَسَّرْتَها عليه بالتَلقينِ ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المُكَذِّبون لنبيِّنا ﴿أَن يَأْتِيَهُم﴾ عذابُنا ﴿بَيَـٰتاً﴾ أي: بائِتينَ أَو وقتَ بياتٍ، ويجوزُ أَن يكونَ البياتُ بمعنى التَبييتِ كالسَلامِ بمعنى التَسليمِ فيكون ـ أَيضاً ـ حالاً أَو ظرفاً[١]، و ﴿ضُحًى﴾ نصب على الظَرفِ وهو في الأَصلِ اسمٌ لضَوءِ الشمسِ إِذا أَشْرَقَتْ وارْتَفَعَت، والفاءُ والواوُ في ﴿أَفَأَمِنَ﴾ و ﴿أَوَ أَمِنَ﴾ حرفا عطفٍ دَخَلَتْ عليهما همزةُ الإِنكارِ، والمعطوفُ عليه قولُه: ﴿فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً﴾[٢] وما بينَهما اعتراضٌ أَي: ﴿أَ﴾ بعدَ ذلك ﴿أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَـٰتاً﴾ وأَمِنُوا ﴿أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾[٣]، وقُرِئَ: «أَوْأَمِنَ» بسكونِ الواوِ[٤] على العطفِ بـ«أَوْ»، ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ أَي: يَشتغِلون بما لايَنْفَعُهم كأَنَّهم يَلْعَبون، وقولُه: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ تكريرٌ لقولِه: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾، و﴿مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ استعارةٌ لأَخذِه العبدَ من حيثُ لايَشْعُرُ ولاستدراجِه إِيّاه بالصحَّةِ والسَلامةِ وظاهرِ النعمةِ، وعن الربيعِ بنِ خَيْثَمٍ[٥] أَنَّ ابنتَه قالَتْ له: مالي أَرَى

---

(١) انظر تفصيل ذلك في الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٣.

(٢) الأعراف: ٩٥. (٣) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٤.

(٤) وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٧، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢١، وفي تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٨٤: هي قراءة أهل الحجاز والشام.

(٥) هو الربيع بن خيثم بن عبدالله بن موهب بن منقذ الثوري؛ أبو يزيد الكوفي، روىٰ عن النبي ﷺ مرسلاً وعن ابن مسعود وأبي أيوب وغيرهم، وعنه ابنه عبدالله ومنذر الثوري والشعبي وابراهيم النخعي وغيرهم، وقال منذر الثوري: شهد مع الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام صفين، وعن غير واحد أنه تخلّف عن قتال علي عليه السلام مع معاوية وشكّ في جواز ذلك، فاسترخصه فرخّص عليه السلام له. مات بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام سنة ٦٣ هـ. (تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ٣ ص ٢٤٢، كتاب الجرح والتعديل: ج ٣ ص ٤٥٩، معجم رجال الحديث: ج ٧ ص ١٦٨).

النَاسَ يَنامون ولاأَراكَ تَنامُ؟ قال: يابنتاه إِنَّ أَباكِ يَخافُ البيات[١] ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ فيه تنبيهٌ علىٰ مايَجِبُ أَن يكونَ عليه المكلَّفُ من الخوفِ لعقابِ اللهِ، فيكون كالمُحارِبِ الَّذي يَخافُ من أَعدائِه البياتَ والغِيلةَ، ليُسارِعَ إِلى الطَاعةِ واجتنابِ المعصيةِ، ولايستشعرَ الأَمنَ من ذلك فيكونَ قد خَسِرَ دنياه وآخرتَه بالوقوعِ في المعاصي.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ (١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ﴾ (١٠٢)

المعنى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ﴾ يَخْلُفونَ مَن خلا قبلَهم في ديارهم ويَرِثُونَهم أَرضَهم هذا الشَأْنُ وهو أَنّـا ﴿لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما أَصَبْنا مَن قبلَهم وأَهلَكْناهم كما أَهلَكْنا أُولئِكَ، وقد قُرِئَ: «أَولَمْ نَهْدِ» بالنُونِ[٢]، وعلىٰ ذلك فيكونُ ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُم﴾ منصوبَ الموضِعِ، بمعنىٰ: أَوَلم نُبَيِّنْ لهم هذا الشأْنَ، ولذلك عُدِّيَ الهدايةُ باللامِ لأَنَّه بمعنى التبيينِ ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ معطوفٌ علىٰ مادلَّ عليه معنى ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ فكأَنَّه قيل: يَغْفُلون عن الهدايةِ ونَطْبَعُ علىٰ قلوبِهم ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ مبتدأٌ وخبرٌ و ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ حالٌ، ويجوزُ أَن يكونَ ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ صفةً لـ ﴿تِلْكَ﴾ و ﴿نَقُصُّ﴾ خبراً[٣]، أَي: تلك القُرى المذكورةُ

---

(١) الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٤.

(٢) وهي قراءة ابن عبّاس وقتادة ويعقوب والسلمي. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٨٤، وشواذ القرآن لابن خالويه: ص ٥٠، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٣٥٠.

(٣) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧.

نَقُصُّ عليك من أَنبائِها لِتُخبِرَ قومَكَ بها فيَعتبِروا ويَحذَروا عن الإصرارِ على مثل حالهم ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾ عند مجيءِ الرُسلِ بالبيِّناتِ ﴿بِمَا كَذَّبُواْ﴾ به من قبلِ مجيئِهم[1]، أَو فما كانوا لِيُؤمِنوا إِلى آخرِ أَعمارِهم بما كَذَّبوا به أَوّلاً حينَ جاءَتْهم الرُسلُ، أَي: استمرُّوا على التكذيبِ إِلى أَن ماتوا مُصِرّين[2]، ومعنى اللامِ تأكيدُ النَفي وأَنَّ الإيمانَ كان منافياً لحالِهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أَي: مثلُ ذلك الطَبعِ الشديدِ ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ الضميرُ للناسِ على الإطلاقِ، أَي: وما وَجَدْنا لأكثرِ النَاسِ من عهدٍ فإِنَّ الأَكثرَ يَنقُضُ عهدَ اللهِ في الإيمانِ والتقوى ﴿وَإِن وَجَدْنَآ﴾ وإِنَّ الشأنَ والحديثَ وَجَدْنا ﴿أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ﴾ خارجين عن الطَاعةِ، والآيةُ اعتراضٌ، ويجوزُ أَن يرجعَ الضميرُ إِلى الأُمَمِ[3] المذكورين وأَنَّهم كانوا إِذا عاهَدُوا اللهَ في ضُرٍّ: لَئِنْ أَنجَيْتَنا لَنُؤمِنَنَّ، ثمَّ لمَّا نجَّاهم نَكَثُوا، والوجودُ بمعنى العلمِ من قولِكَ: وَجَدْتُ زَيْداً ذا الحِفاظِ.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٠٥) قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ (١٠٨)

---

(١) وهو اختيار الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٥.

(٢) وهو قول الحسن والجبائي على ماحكاه عنهما الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٤٨٥، واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٦١.

(٣) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٦.

﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ معناه: فكفروا ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾، أَجرى الظُّلمَ مَجرى الكفرِ[١] كما قال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٢]، أو فَظَلَمُوا النَاسَ بسببِها حينَ صَدُّوهم عـنها وآذَوُا الَّذين آمَنوا بها[٣] ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ﴾ جائزٌ أَن يكونَ ضُمِّنَ ﴿حَقِيقٌ﴾ معنى «حَرِيصٌ»[٤] كما ضُمِّنَ «هَيَّجَني» معنى «ذَكَّرَني» في بيتِ النَابغةِ:

إِذا تَغَنَّى الحَمامُ الوُرْقُ هَيَّجَني وَلَوْ تَعَزَّيْتُ عـنها أُمَّ عَـمَّارِ[٥]

ويجوزُ أَن يكونَ موسىعليه السلام أَغْرَقَ في وصفِ نفسِه بالصدقِ في ذلك المقامِ فقال: أَنَا حقيقٌ على قولِ الحقِّ[٦]، أَي: واجبٌ علىٰ قولِ الحقِّ أَن أَكونَ أَنَا قائِلَه، ولايَرضىٰ إِلَّا مثلي ناطقاً به، وقَرَأَ نافعٌ: «حَقِيقٌ عَـلَيَّ أَنْ لَّآأَقُـولَ»[٧] ومـعناه: واجبٌ عليَّ ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أَي: خَلِّهم حتَّى يَذهَبوا معي راجعين إِلى الأَرضِ المقدَّسةِ الَّتي هي وطنُهم، وذلك أَنَّ فرعونَ والقِبْطَ كانوا قد اسْتَعْبَدوا بني إِسرائيلَ واسْتَخْدَموهم في الأَعمالِ الشَاقَّةِ، فأَنْقَذَهم اللهُ بموسىٰ، وكانَ بـينَ اليومِ الَّذي دَخَلَ يوسُفُ مصرَ واليومَ الَّذي دَخَلَه موسىٰ أَربعُمائَةِ عامٍ ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ﴾ من عندِ من أَرْسَلَك ﴿بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ﴾ لتصحّ دعواك ويثبتَ صدقُك ﴿فَأَلْقَىٰ﴾ موسىٰ ﴿عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهرٌ أَمرُه لايُشَكُّ في أَنَّـه ثُعبانٌ،

---

(١) وهواختيارالزجّاج في معانيالقرآن:ج ٢ص ٣٦٢،والزمخشري فيالكشّاف:ج ٢ ص ١٣٦.

(٢) لقمان: ١٣.

(٣) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٦.

(٤) وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٢٤، وحكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٨٥.

(٥) راجع ديوان النابغة الذبياني: ص ٣٦، وفيه: «تغرّبت».

(٦) وهو اختيار الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٣٧.

(٧) راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٨٨، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٨٥، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٧، والكشّاف: ج ٢ ص ١٣٦.

ورُوِيَ: أنَّه كان ثُعباناً ذكَراً أَشْعَرَ[١] فاغراً فاه[٢] بين لَحْيَيْه كذا ذِراعاً، وَضَعَ لَحْيَه الأسفلَ في الأَرضِ وَلحْيَه الأعلىٰ علىٰ سورِ القصرِ، فوَثَبَ فرعونُ من سريره وهَرَبَ وأَحْدَثَ[٣] وصاحَ: ياموسىٰ خُذْه وأَنا أُومِنُ بك وأُرْسِلُ معك بني إِسرائِيلَ فأَخَذَه موسىٰ فعادَ عصاً[٤] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ بياضاً نورانيّاً غلَبَ شعاعُها شعاعَ الشمسِ، وكان موسىٰ عليه السلام آدَمَ فيما يُرْوَىٰ[٥] ﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ أي: للنظارةِ هناك.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ (١١٦)

في سورةِ الشعراءِ ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾[٦] وهنا ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ ويُمكِنُ أَن يكونَ قالَه هو وقالوه هم فحُكِيَ قولُه هنالك وقولُهم هنا، أَو قالوه عنه للنّاسِ علىٰ طريقِ التبليغِ كما يَفعَلُهُ الملوكُ يُبَلِّغُ خواصُّهم مايَرَوْنَه من الرَّأْيِ إِلى العامَّةِ، ويَدُلُّ

(١) أي كثير الشعر طويله. (القاموس المحيط: مادة شعر).
(٢) أي فاتحاً فمه. (القاموس المحيط: مادة فغر).
(٣) أراد أنـّه تغوّط من شدة ذعره وفزعه.
(٤) انظر تاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٨٦، والكشاف: ج ٢ ص ١٣٨.
(٥) وهو مايرويه مجاهد. راجع تفسير الطبري: ج ٦ ص ١٧ ح ١٤٩٣١.
(٦) آية: ٣٤.

عليه أنَّهم أجابوه في قولِهم: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾، وقولُه: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ من آمَرْتُهُ فَأَمَرَني بكذا: إذا شاوَرْتَه فأَشارَ عليك برأيٍ ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ﴾ أَي: أَخِّرْه ﴿وَأَخَاهُ﴾ وأَصْدِرْهما عنك حتَّىٰ ترى رأيَكَ فيهما وتُدبِّرَ أمرَهما، وقُرِئَ: «أَرْجِئْهُ» بالهمزةِ(١)، وأَرجَأَه وأَرْجاه لغتان(٢) ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ أَي: جُعلاً على الغلبةِ، وقُرِئَ: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ على الإخبارِ(٣) وإثباتِ الأَجرِ العظيمِ وإيجابِه كأنَّهم قالوا: لابدَّ لنا من أَجرٍ، والتَّنكيرُ للتَّعظيمِ، قالت العربُ: إنَّ لَهُ لَإِبِلاً، يَقصُدون الكثرةَ، وقولُه: ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ معطوفٌ على محذوفٍ سدَّ مسدَّه حرفُ الإيجابِ، أَي: نَعَمْ إِنَّ لكم لأَجراً وإنَّكم لمن المقرَّبين، يعني لاأَقتصِرُ بكم على الأَجرِ وحدَه وإنَّ لكم مع الأَجرِ مايَقِلُّ عندَه الأَجرُ وهو التَّبجيلُ والتَّقريبُ، ورُوِيَ أنَّه قالَ لهم: تكونون أَوَّلَ مَن يَدخُلُ وآخِرَ مَن يَخرُجُ(٤).

وتخييرُ السَّحَرَةِ موسىٰ عليه السلام مراعاةٌ منهم لأَدبٍ حسنٍ معه كما يَفعَلُ أَهلُ الصِّناعاتِ إِذَا ٱلتَقَوْا، وقولُهم: ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ فيه مايَدلُّ علىٰ

---

(١) قرأه ابن كثير والداحوني عن هشام ويحيىٰ وابن عامر وأهل البصرة. راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٩٤ ـ ٤٩٥، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٨٦، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٥٥٩، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٧، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢١. ونسب النحّاس في إعراب القرآن: ج ٢ ص ١٤٢ هذه القراءة الىٰ عيسىٰ بن عمر وأبي عمرو بن العلاء.

(٢) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٤٠.

(٣) قرأ أهل الحجاز (ابن كثير ونافع) وعاصم برواية حفص بهمزة واحدة على الخبر، وقرأ بهمزتين مخفّفتين ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم برواية أبي بكر، إلّا أنّ الحلواني عن هشام يفصل بينهما بألف، وأبو عمرو ورويس بالمدّ ولايفصل. راجع التبيان: ج ٤ ص ٤٩٨، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٨٧، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٨٩، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٤٧٢.

(٤) انظر تاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٨٧، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٨٧.

رغبتِهم في أَن يُلقوا قبلَه، وهو تأْكيدُ الضَميرِ المُسْتَكِنِّ بالمنفصلِ وتعريفُ الخبرِ، وقد سَوَّغَ لهم موسىٰ مارَغِبُوا فيه قلَّةَ مبالاةٍ بهم وثِقَةً بما كان بصددِه من المُعْجِزِ الإلهيِّ والتَأْييدِ السَماويِّ ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ بما أَرَوْهم من الحِيَلِ والشَعْوَذَةِ[1]، فقد رُوِيَ أَنَّهم أَلْقَوْا حِبالاً غِلاظاً وخُشُباً طِوالاً فإذا هـي أَمـثالُ الحيَّاتِ قد مَلأَتِ الأَرضَ ورَكِبَ بعضُها بعضاً[2] ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ وأَرْهَـبُوهم إرهاباً شديداً كأَنَّهم استدعَوا رَهبتَهم ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ أَي: عظيمٍ في بابِ السحر، وذلك أَنَّهم جعَلُوا في حِبالِهم وخُشُبِهم مايوهِمُ الحركةَ وخُيِّلَ إِلى النَاسِ أَنَّها تَسْعَىٰ.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَايَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَاكَانُواْ يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنْقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ (١٢٠) قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (١٢٦)

معناه: فأَلقاها فصارت حيَّةً عظيمةً ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَايَأْفِكُونَ﴾ : ﴿مَا﴾ مصدريَّةٌ أَو موصولةٌ[3]، أَي: تَلْقَفُ إِفكَهم تسميةً للمأْفُوكِ بالإِفكِ، أَو مايَأْفِكونه

(١) الشعوذة أو الشعبذة: وهي الحركة السريعة بحيث يوجب على الحسّ الانتقال من الشيء الىٰ شبهه كما تُري النار المتحركة على الاستدارة دائرة متصلة. انظر المكاسب للشيخ الأعظم: ج ٣ ص ١١٧.

(٢) راجع تاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٣) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٤٢.

أي: يَقْلِبونه عن الحقِّ إلى الباطلِ ويُزَوِّرونه. رُوِيَ أنَّها لمَّا تلقَّفتْ مِلْءَ الوادي من الخُشُبِ والحِبالِ ورَفَعَها موسىٰ فعادت عصاً كما كانت[١]، وأَعْدَمَ اللهُ بقدرتِه تلك الأَجرامَ العظيمةَ أو فرَّقَها أجزاءً لطيفةً، وكِلَا الأَمرَيْن يَعْلَمُ كلُّ عاقلٍ أنَّه لا يَدخُلُ تحتَ مقدورِ البشرِ ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾ فحَصَلَ وثَبَتَ ﴿وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ﴾ أي: صاروا أَذِلَّاءَ مبهوتين ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ أي: وخرّوا سُجَّداً كأنَّما أَلقاهم مُلقٍ لشدَّةِ خُرورِهم، وقيل: إنَّهم لم يَتمالَكوا ممَّا رَأَوْا فكأنَّهم أُلْقُوا[٢] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ على الإِخبارِ، أي: فَعَلْتُم هذا الفعلَ، وقُرِئَ: «أآمَنْتُمْ» بحرفِ الاستفهامِ[٣] ومعناه الإنكارُ ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ قبلَ أن آمُرَكم بالإيمانِ به وآذَنَ لكم فيه ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ إنَّ صُنعَكم هذا لَحيلةٌ احْتَلْتُموها أنتم وموسىٰ في مصرَ قبلَ أن تَخرُجوا منها إلىٰ هذه الصَحراءِ، وتَواطَأْتُم علىٰ ذلك لغرضٍ لكم وهو أن تُخرِجوا منها القِبطَ وتُسْكِنوها بني إسرائيلَ، وكان ذلك الكلامُ من فرعونَ تمويهاً على النّاسِ لئَلَّا يَتَّبِعُوا السَحَرَةَ في الإيمانِ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وعيدٌ مجملٌ وقد فَصَّلَ الإجمالَ بقولِه: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أَي: من كلِّ شِقٍّ طَرَفاً، وعن الحسن: هو أن يُقْطَعَ اليدُ اليُمنىٰ مع الرجلِ اليُسرىٰ[٤]، وقيل: إنَّ أوَّلَ من قَطَعَ من خلافٍ وصَلَبَ: فرعونُ[٥] ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ أَي: لانُبالي بالموتِ لانقلابِنا إلىٰ لقاءِ ربِّنا ورحمتِه، أَو إِنَّا جميعاً نَنْقَلِبُ

---

(١) انظر تاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٨٨، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٨٨.

(٢) حكاه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٨٨ عن الأخفش، وقاله الهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٣٤٣.

(٣) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٠، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٣٦٥.

(٤) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥١٠، والقرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٢٦١.

(٥) وهو قول ابن عبّاس. راجع تفسير الطبري: ج ٦ ص ٢٤، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٢٦١.

إلى اللهِ فيحكمُ بيْننا[١] ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾ أي: وما تعيبُ منّا إلّا الإيمانَ ﴿بِـَٔايَـٰتِ﴾ اللهِ وهو أصلُ كلِّ منقبةٍ[٢] وخيرٍ، ومثلُه قولُ الشّاعرِ:

وَلاعَيْبَ فيهم غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلولٌ من قِراعِ الكَتائِبِ[٣]

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أَفِضْ علينا صبراً واسعاً كثيراً حتَّىٰ يَغْمرَنا كما يُفْرَغُ الماءُ إفراغاً ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ثابتين على الإسلامِ.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ (١٢٧) قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (١٢٩)

لَمَّا أَسْلَمَ السَحَرَةُ قالَ المَلأُ ذلك تحريضاً لفرعونَ علىٰ موسىٰ ﴿وَيَذَرَكَ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿لِيُفْسِدُوا۟﴾ لأنَّه إذا تَرَكَهم ولم يَمْنَعْهم وكان ذلك مؤدِّياً إلىٰ تركِه وتركِ آلهتِه، فكأنَّه تَرَكَهم لذلك.

ورُوِيَ عن عليٍّ عليه السلام أنَّه قرأ: «وَيَذَرَكَ وَإِلَٰهَتَكَ»[٤] أي: عبادتَك.

---

(١) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٤١. (٢) في بعض النسخ: منفعة.

(٣) البيت من قصيدة للنابغة الذبياني، مدح بها عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك الشام الغسّانيّين وذلك لمّا هرب من النعمان بن المنذر ملك الحيرة. وهذا البيت مشهور تداوله علماء البديع شاهداً لتأكيد المدح بما يشبه الذم، إذ يصف فرساناً وشجاعتهم ثم يقول: إن كانت فلول السيف من ذلك عيباً فأثبته ولاأنكر، لكنّها ليست عيباً فتثلّم السيوف انّما هو من شدة مضاربة الجيوش، وهو مبالغة في المدح. انظر خزانة الأدب للبغدادي: ج ٣ ص ٣٢٧، والكامل لابن المبرّد: ج ١ ص ٧١ و ٤٤٦، وديوان النابغة: ص ٥١.

(٤) ذكرها ابن خالويه في شواذه: ص ٥٠، والقرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٢٦٢، والبحر ←

وعن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه لمَّا آمَنَ السَحَرَةُ أَسْلَمَ من بني إسرائِيلَ ستُّمائَةِ ألفِ نفسٍ فأرادوا بالفَسادِ في الأَرضِ ذلك، وخافُوا أَن يَغْلِبوا علىٰ المُلك[1]، وقيل: إنَّ فرعونَ صَنَعَ لقومِه أَصناماً وأَمَرَهم أَن يَعْبُدُوها تَقَرُّباً إِليه، ولذلك قالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[2] [3]، ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ أَي: سَنُعيدُ عليهم ماكُنَّا نَفْعَلُه بهم من قتلِ الأَبناءِ لِيَعلَموا أَنَّا علىٰ ماكُنَّا عليه من الغَلَبَةِ والقهرِ، وأَنَّهم مَقهورون تحتَ أَيْدينا كما كانوا، وأَنَّ غَلَبَةَ موسىٰ لاأَثَرَ لها في مُلكِنا ﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾ عندَ ذلك ﴿لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ﴾ يُسَكِّنُهم ويسلِّيهم ويَعِدُهم النَصرَ من اللهِ، وقولُه: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ﴾ يجوزُ أَن يكونَ اللامُ للعهدِ ويَعني: أَرضَ مصرَ خاصَّةً، ويجوز أَن يكونَ للجنسِ فَيَتَناوَلَ أَرضَ مصرَ أيضاً[4] ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بشارةٌ بأَنَّ الخاتمةَ المحمودةَ للمتمسِّكين بالتقوىٰ، وأَنَّ المشيئَةَ مُتناوِلةٌ لهم ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ يَعنون قتلَ أبنائِهم قبلَ مَوْلِدِ موسىٰ وإِعادتَه عليهم من بعدِ نبوَّتِه وتأْييدِه بالمُعجزاتِ، وقولُه: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ تصريحٌ بما أَشارَ إليه من البشارةِ ورَمَزَ به قبلُ، وهو إِهلاكُ فرعونَ واستخلافُهم بعدَه في أَرضِ مصرَ ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيرى الكائِنَ منكم من العملِ حَسَنَه وقَبيحَه ليُجازِيَكم علىٰ حسبِ مايُوجَدُ منكم.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ

← المحيط: ج ٤ ص ٣٦٧.

(١) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥١٤، والطبري في تفسيره: ج ٦ ص ٢٨.

(٢) النازعات: ٢٤.

(٣) قاله السدي راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٨٩.

(٤) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٤٣.

يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣١)

أَي: عاقَبْنا قومَ ﴿فِرْعَوْنَ﴾ الّذين يَؤُولُ أمرُهم إليه ﴿بِالسِّنِينَ﴾ بسِني القحطِ، والسنةُ من الأَسماءِ الغالبةِ كالدابَّةِ والنَجمِ، وقالوا: أَسْنَتَ القومُ: أَقْحَطُوا، وعن ابنِ عبَّاسٍ: إنَّ السنين كانت لباديتِهم وأَهلِ مَواشيهم، وكانَ نقصُ الثَمراتِ في أمصارِهم[1] ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيَتنَبَّهوا أَنَّ ذلك لإصرارِهم على الكفرِ ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ من الخِصبِ والرَخاءِ ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أَي: هذه مختصَّةٌ بنا ونحن مستحقُّوها، واللامُ مثلُها في قولِك: الجُلُّ لِلْفَرَسِ ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ من جَدْبٍ وضيقةٍ ﴿يَطَّيَّرُواْ﴾ أَي: يَتطَيَّروا ﴿بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ ويَتشاءموا بهم ويقولوا: لولا مكانُهم لما أَصابَتْنا، كما قالَ الكفَّارُ لرسولِ الله ﷺ: ﴿هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾[2]، ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أَي: سببُ خيرِهم وشرِّهم عندَاللهِ وهو حكمُه ومشيئَتُه، واللهُ هو الّذي يَشاءُ مايُصيبُهم وليس شُؤْمُ أَحدٍ ولايُمنُه بسببٍ فيه، كقولِه: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[3].

﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (١٣٥) فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ

(١) حكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٤٤.
(٢ و ٣) النساء: ٧٨.

﴿فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّـهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ﴾ (١٣٦)

﴿مَهْمَا﴾ هي «ما» المتضمّنة معنَى الجزاءِ ضُمَّت إليها «ما» المزيدةُ المُؤَكِّدَةُ للجزاءِ في نحوِ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ﴾[١] و ﴿إِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾[٢] إلَّا أنَّ الألفَ قُلِبَتْ هاءً استثقالاً لتكريرِ المُتجانِسَيْن[٣] ومحلُّ ﴿مَهْمَا﴾ الرَفعُ بمعنىٰ: أيُّما شيءٍ تأتِنا بِهِ، أو النَصبُ بمعنىٰ: أيَّما شيءٍ تُحضِرْنا تأْتِنا بِهِ[٤]، و ﴿مِنْ ءَايَةٍ﴾ تبيينٌ لـ ﴿مَهْمَا﴾ وذُكِّرَ الضَميرُ في ﴿بِهِ﴾ على اللفظِ وفي ﴿بِهَا﴾ على المعنىٰ، وقد رَجَعَ كلاهما إلىٰ ﴿مَهْمَا﴾ وهو في معنى الآيةِ، ونحوُه قولُ زُهَيْرٍ[٥]:

وَمَهْما يَكُنْ عِنْدَ امْرِىءٍ مِـن خَـليقةٍ   وإن خالَها تُخفىٰ على النّاسِ تُعْلَمِ[٦]

والمعنىٰ: أنّـهم قالوا لموسىٰ: أيُّ شيءٍ ﴿تَأْتِنَا بِهِ مِنْ﴾ الآياتِ ﴿لِّتَسْحَرَنَا﴾ لتُمَوِّهَ علينا ﴿بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ﴾ بمُصدِّقين، أرادوا أنّـهم مُصِرُّون علىٰ تكذيبِه وإن أتىٰ بجميعِ الآياتِ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ وهو ماطافَ بهم وغَلَبَهم من مَـطَرٍ أو سيلٍ، قيل: إنّه أرْسَلَ عليهم السَماءَ حتَّىٰ كادوا يَهلِكون، إذ امْتَلَأَتْ بيوتُهم ماءً حتّىٰ قاموا في الماءِ إلىٰ تَراقيهم فمَن جَلَسَ غَرِقَ ولم يَـدخُلْ بـيوتَ بـني إسرائـيلَ قطرةٌ[٧]، وقيل: الطُوفانُ: الجُدَريُّ[٨]، وهم أوّلُ مَن عُذِّبوا بذلك فبَقِيَ في الأَرضِ،

---

(١) النساء: ٧٨. (٢) يونس: ٤٦، غافر: ٧٧.

(٣) انظر تفصيل ذلك في معاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٣٦٩، وإعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٤٦، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٤٧.

(٤) راجع تفصيله في الكشّاف: ج ٢ ص ١٤٦.

(٥) زهير بن أبي سُلمىٰ ربيعة بن رياح المزني، من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية، ولد في بلاد «مزينة» بنواحي المدينة وكان يقيم في الحاجر من بلاد نجد، توفّي بحدود ١٣ قبل الهجرة. (الأغاني: ج ١٠ ص ٢٨٨ ـ ٣٢٤، جمهرة الأنساب: ص ٢٥ ـ ٤٧).

(٦) راجع ديوان زهير بن أبي سلمىٰ: ص ٨٨، وهو من الأبيات المشهورة التي لاتحتاج الىٰ توضيح.

(٧) قاله ابن عبّاس وسعيد بن جبير ومحمّد بن إسحاق. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٩١.

(٨) قاله أبو قلابة. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٩١، والكشّاف: ج ٢ ص ١٤٧.

وقيل: هو الموتُ الذَريعُ[١]، فـ﴿قَالُواْ﴾ لـ﴿مُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يَكْشِفْ عنَّا ونحنُ نُؤْمِنُ بك، فَدَعا فرُفِعَ، فلم يُؤْمِنوا، فَبعثَ اللهُ عَلَيْهِمُ ﴿ٱلْجَرَادَ﴾ فأَكَلَتْ عامَّةَ زُروعِهم[٢] وثِمارِهم، ثمَّ أَكَلَتْ كلَّ شيءٍ حتَّى الأَبوابَ وسقوفَ البيوتِ، ولم يَدْخُلْ بيوتَ بني إسرائِيلَ منها شيءٌ، ففَزِعوا إلىٰ موسىٰ فَدَعا فكُشِفَ عنهم، فما آمنوا، فسَلَّطَ اللهُ عليهم ﴿ٱلْقُمَّلَ﴾ وهو الحَمْنانُ كِبارُ القِردانِ، وقيل: الدَّبىٰ وهو أَولادُ الجَرادِ[٣]، وقيل: البراغيثُ[٤]، وكان يَدخُلُ بينَ ثوبِ أَحدِهم وبينَ جلدِه فيَمَصُّه، ففَزِعوا إلىٰ موسى، فرُفِعَ عنهم العذاب، فقالوا: قد تَحَقَّقْنا الآنَ أَنَّك ساحرٌ، فأَرْسَلَ اللهُ عليهم ﴿ٱلضَّفَادِعَ﴾ فامْتَلأَت منها آنِيَتُهم[٥] وأَطْعِمَتُهم، وكان الرَجلُ منهم إذا أَراد أَن يَتكَلَّمَ وَثَبَ الضفدِعُ إلىٰ فيه، فضَجُّوا وفَزِعوا إلىٰ موسىٰ وقالوا: ٱرْحَمْنا هذه المرَّةَ ونَتوبُ ولانَعودُ، فدَعا فكُشِفَ عنهم، ولم يُؤْمِنوا، فأَرْسَلَ اللهُ عليهم ﴿ٱلدَّمَ﴾ فصارت مياهُهم دماً، وإذا شَرِبَه الإسرائِيليُّ كان ماءً، وكان القِبطيُّ يقول للإسرائيليِّ: خذِ الماءَ في فيك وصُبَّه في فيَّ فكان إذا صَبَّه في فمِ القِبطيِّ تَحَوَّلَ دماً، وعَطِشَ فرعونُ حتَّى أَشْفى على الهلاكِ فكان يَمَصُّ الأَشجارَ الرَطْبَةَ فإذا مَضَغَها صارَ ماؤها الطَيِّبُ ملحاً أُجاجاً[٦]، ورُوِيَ: أَنَّ موسىٰ عليه السلام مَكَثَ فيهم بعدَما غَلَبَ السَحَرَةَ عشرين سنةً يُريهم هذه الآياتِ[٧] ﴿ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ﴾

---

(١) وهوقول مجاهدوعطاء. راجع تفسيرالماوردي: ج٢ص٢٥١، وتفسيرالبغوي:ج٢ص١٩١.

(٢) في بعض النسخ: زرعهم.

(٣) قاله ابن عبّاس والسدي وقتادة ومجاهد وعكرمة والكلبي. راجع تفسير الطبري: ج ٦ ص ٣٣ ـ ٣٤، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٩٢.

(٤) قاله ابن زيد. راجع تفسير الطبري: ج ٦ ص ٣٤، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ٢٥٢.

(٥) في بعض النسخ: أبنيتهم.

(٦) انظر تاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٨٩، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٩١ ـ ١٩٣.

(٧) رواه القرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٢٦٧ عن محمّد بن عثمان بن أبي شيبة عن منجاب.

مُبيَّناتٍ ظاهراتٍ[١]، أَو فُصِّلَ بينَ بعضِها وبعضٍ بزمانٍ تُمْتَحَنُ فيه أَحوالُهم ويُنْظَرُ أَيوفون بما وَعَدُوا من أنفسِهم أَم ينكثُون؛ إلزاماً للحجَّةِ عليهم[٢] ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ «ما» مصدريَّةٌ أَي: بعهدِه عندَك وهو النُبوَّةُ، والباءُ: إمَّا أَن يَتعَلَّقَ بقولِه: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ علىٰ وجهين: أَحدُهما: أَسْعِفْنا إِلىٰ مانَطْلُبُ إِليك من الدُعاءِ لنا بحقٍّ ماعندَك من عهدِ اللهِ، أَو ٱدْعُ اللهَ مُتوَسِّلاً إِليه بعهدِهِ عندك، وإمَّا أَن يكونَ قَسَماً أَي: أَقْسَمْنا بعهدِ اللهِ عندَك[٣] ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾، وقولُه: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾ إِلىٰ حدٍّ من الزَمانِ ﴿هُم بَٰلِغُوهُ﴾ لامَحالةَ فيُعَذَّبون فيه ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ جوابُ «لَمَّا» يعني: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ﴾ فاجَأوا النَكثَ وبادَروه ولم يُؤَخِّروه ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ فَأَرَدْنا الانتقامَ منهم ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ أَي: البحرِ الَّذي لايُدْرَكُ قعرُهُ[٤]، وقيل: هو لُجَّةُ البَحرِ[٥] ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟﴾ أَي: كان إغراقُهم بسببِ تكذيبِهم ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وغفلتِهم عنها.

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَدَمَّرْنَا مَاكَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَاكَانُوا۟ يَعْرِشُونَ (١٣٧)

---

(١) وهو قول مجاهد كما حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥٢٢، واختاره الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٤٨.

(٢) وهو قول الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٩٣، والزجّاج في معاني القرآن وإعرابه: ج ٢ ص ٣٧٠، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٩٣.

(٣) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٤٩.

(٤) وهو قول الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٧١ وقال: وكذلك هو في الكتب الأوَل، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٤٨.

(٥) حكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٤٨، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٣٥٠، والرازي في تفسيره: ج ١٤ ص ٢٢٠.

﴿وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهاً كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (١٤٠).

﴿ٱلْقَوْمَ﴾ هم بنو إسرائيلَ كان يَسْتَضْعِفُهم فرعونُ وقومُه، و ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ أرضُ مصرَ والشَامِ مَلَكَها بنو إسرائِيلَ بعدَ العَمالقةِ والفراعنةِ فتصرَّفوا في نَواحيها الشَرقيَّةِ والغَربيَّةِ كيف شاءُوا ﴿ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بأَنواعِ الخِصبِ من الزُروعِ والثمارِ والعيونِ والأَنهار ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهو قولُه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾ إلى قولِه: ﴿مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾[1]، و ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ تأنيثُ «الأَحسنِ» صفةٌ للكلمةِ ﴿وَ﴾ معنىٰ ﴿تَمَّتْ ... عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ مَضَتْ عليهم، من قولِك: تَمَّ على الأَمرِ: إذا مَضَىٰ عليه واستمرَّ ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ بسببِ صبرِهم ﴿وَدَمَّرْنَا مَاكَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ ماكانوا يَعْمَلُونه من العماراتِ وبناءِ القُصورِ ﴿وَمَاكَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ من الجنَّاتِ، وقُرِئَ: ﴿يَعْرُشُونَ﴾ بضمِّ الرَاءِ[2] وكسرِها، وهذا آخِرُ ما اقْتَصَّ اللهُ سبحانه من نَبَأ فرعونَ والقِبطِ وتكذيبِهم بآياتِ اللهِ.

ثمَّ اقْتَصَّ سبحانَه نَبَأَ بني إسرائيلَ وما أَحْدَثوه بعدَ إنقاذِهم من فرعونَ ومُعايَنَتِهم الآياتِ العِظامَ ﴿وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ يعني: النيلَ[3] نهرَ

---

(١) القصص: ٥ ـ ٦.

(٢) وهي قراءة ابن عامر وأبي بكر عن عاصم. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٢٥، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٩٤، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٤.

(٣) النيل: نيل مصر، قيل: هو تعريب نيلوس، وهو أهم نهر في أفريقيا، وثاني أطول نهر في العالم، يبلغ طوله: ٦٥٠٠ كم، ومساحة حوضه ٢٩٠٠٠٠٠ كم٢، يتألّف من رافدين كبيرين: النيل الأبيض الذي ينبع من بحيرة فكتوريا في وسط أفريقيا، والنيل الأزرق الذي ينبع ←

مصرَ ﴿فَأَتَوْاْ﴾ فمرُّوا ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ قُرِئَ بضمِّ الكافِ وكسرِها[١]، يُواظِبون على عبادَتِها، وقيل: كانت تَماثيلَ بقرٍ[٢]، وذلك أَوّلُ شأنِ العِجلِ ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهاً﴾ صنماً نَعْكُفُ عليه ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ أَصنامٌ يَعْكُفُونَ عليها، و «مَا» كافَّةٌ للكافِ ولذلك وَقَعَت الجملةُ بعدَها ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ فوَصَفَهم بالجهلِ المطلقِ لتعجُّبِه من قولِهم عقيبَ مارَأَوْا من الآياتِ الباهرةِ ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: عَبَدَةَ التَماثيلِ ﴿مُتَبَّرٌ مَّاهُمْ فِيهِ﴾ أَي: مُدمَّرٌ مُكسَّرٌ ماهُمْ فِيهِ من عبادةِ الأَصنامِ، أَي: يُتَبِّرُ اللهُ دينَهم ويَهْدِمُه على يدي ويَحْطِمُ أَصنامَهم هذه ويَجْعَلُها رُضاضاً ﴿وَبَـٰطِلٌ مَّاكَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أَي: ماعَمِلُوا شيئاً من عبادتِها فيما سَلَفَ إِلا وهو باطلٌ مُضْمَحِلٌّ لايَنْتَفِعون به ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهاً﴾ أَغيرَ اللهِ المُسْتَحِقِّ للعبادةِ أَطْلُبُ لكم معبوداً وهو فَعَلَ بكم مافَعَلَ من الاختصاصِ بالنعمةِ الَّتي لم يُعْطِها أَحداً غيرَكم لتخصُّوه بالعبادةِ ولاتُشْرِكوا به غيره؟ ومعنى الهمزةِ الإِنكارُ والتَعجُّبُ من طلبِهم عبادةَ غيرِاللهِ مع كونهم مغمورين في نعمةِ اللهِ.

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١)

← من بحيرة تانا في الحبشة، ويلتقي هذان الرافدان عند مدينة الخرطوم في السودان. يجري النيل في بلاد النوبة ومصر، ويصبّ في البحر المتوسط. (معجم البلدان: ج ٤ ص ٨٦٢، مراصد الاطلاع: ج ٣ ص ١٤١٣، المنجد في الاعلام: ص ٧٢١).

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٢٧، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٩٤، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٢، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٤.

(٢) قاله ابن جريج على ماحكاه عنه الطبري في تفسيره: ج ٦ ص ٤٦، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٥٠.

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٤٢)

وقُرِئَ: «أَنْجاكُمْ»[١]. ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: يَبغونكم شدَّةَ العذابِ، مِن سامَ السِلْعَةَ: إذا طَلَبَها، وهي جملةٌ في موضِعِ الحالِ من المخاطبين أو من آلِ فرعونَ، أَو جملةٌ مُستأْنَفَةٌ لامحلَّ لها[٢] ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ إشارةٌ إِلى الإنجاءِ أَو العذابِ[٣]، والبلاءُ: النِعمةُ أَو المِحنةُ، وقُرِئَ: «يَقْتُلُونَ» بالتَخفيفِ[٤] كان موسىٰ عليه السلام وَعَدَ بني إِسرائِيلَ بمصرَ إِن أَهْلَكَ اللهُ عدوَّهم أَتاهم بكتابٍ من عندِاللهِ فيه بيانُ مايأْتونَ ومايَذَرُونَ، فلمَّا هَلَكَ فرعونُ سَأَلَ موسىٰ رَبَّه الكتابَ، فأَمَرَه بصومِ ثَلاثينَ وهو شهرُ ذِي القِعدةِ، ثمَّ أَنْزَلَ عليه التَوراةَ في العَشْرِ وكَلَّمَه فيها[٥]، وعن الحسنِ: كانَ الموعدُ أَربعين ليلةً فأُجْمِلَ في سورةِ البَقَرَةِ وفُصِّلَ هاهنا[٦]، و ﴿مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ ماوَقَّتَ له من الوقتِ[٧] وضَرَبَه له، و ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نصبٌ على

---

(١) قرأه ابن عامر. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٣٠، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٩٥، وقال: وكذلك هو في مصاحف أهل الشام، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٣٧٩.

(٢) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٥١.

(٣) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٥١، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٥٥.

(٤) وهي قراءة نافع. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٣٠، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٩٥، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٥.

(٥) انظر تفسير القمي: ج ١ ص ٢٣٩.

(٦) راجع تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٨٨، وعنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥٣٢.

(٧) ولايخفىٰ بأنّ بين «الميقات» و «الوقت» فرقاً واختلافاً، إذ انّ الميقات ماقدر ليعمل فيه عمل من الأعمال، بينما الوقت: وقت الشيء وقدره مقدّر أو لم يقدّر، ولذلك قيل: مواقيت الحجّ وهي المواضع التي قدرت للإحرام فيها. ولتفصيل ذلك انظر معجم الفروق اللغوية ص ٥٢٥ ـ ٥٢٦ برقم ٢١١٦ و ٢١١٧ ط جامعة المدرسين.

الحالِ، أَي: تَمَّ الميقاتُ بالغاً هـذا العـددَ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ وقتَ خروجِه إِلى الميقاتِ، و ﴿هَـٰرُونَ﴾ جرٌّ عطفُ بيانٍ لـ ﴿لِأَخِيهِ﴾، ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ كُنْ خليفتي فيهم ﴿وَأَصْلِحْ﴾ وكُنْ مُصلِحاً أَو أَصْلِحْ مايَجِبُ أَن يُصْلَحَ من أُمورِ بني إِسرائيلَ في حالِ غَيْبَتي، ومَن دَعاك منهم إِلى الإِفسادِ فلاتُطِعْه ولاتَتَّبِعْه.

وفي هذا دَلالةٌ علىٰ أَنَّ منزلةَ الإِمامةِ غيرُ داخلةٍ في النُبوَّةِ، إِذ لو كانت داخلةً فيها لَمَا احْتاجَ هارونُ إِلى استخلافِ موسىٰ إِيَّاه في القيامِ بأَمرِ أُمَّتِه مع كونِه نبيّاً.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٤٣)

﴿لِمِيقَـٰتِنَا﴾ أَي: لوقتِنا الَّذي وَقَّتْنا له وحَدَّدْناه، ومعنى اللامِ الاختصاصُ، فكأَنَّه قال: واختَصَّ مجيئُه لميقاتِنا، كما تقول: أَتيتُهُ لخمسٍ خَلَوْنَ من الشهرِ ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ من غيرِ واسطةٍ كما يُكَلِّمُ المَلَكُ، وتكليمُه أَن يُنْشِئَ الكلامَ منطوقاً به في بعضِ الأَجرامِ كما خَلَقَه مخطوطاً في اللوحِ؛ لأَنَّ الكلامَ عَرَضٌ لابدَّ له من محلٍّ يقومُ به، ورُوِيَ: أَنَّه عليه السلام كان يَسمَعُ ذلك الكلامَ من كلِّ جهةٍ[(١)] ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ المفعولُ الثاني محذوفٌ، يعني: أَرِني نفسَك أَنْظُرْ إِليك، أَي: اجْعَلْني متمكِّناً من رؤيتِكَ بأَن تتجلّىٰ لي فأَنْظُرَ إِليك وأَراكَ[(٢)]، وإِنَّما طَلَبَ الرُؤْيةَ

---

(١) الكشّاف: ج ٢ ص ١٥٢.

(٢) قال الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥٣٤ ـ ٥٣٥: فإن قيل: على هذا ينبغي أن يجوّزوا أن يسأل الله تعالى هل هو جسم أم لا ... وغير ذلك ممّا لايجوز عليه؟! قلنا عنه جوابان: أحدهما: أنّه يجوز ذلك إذا علم أنّ في ورودالجواب من جهةالله مصلحة وأنّه أقرب الى زوال الشبهة ←

لقومِه حينَ قالوا له: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [١] ولذلك دَعاهم سُفَهاءَ وضُلّالاً، وقال لمّا أَخَذَتْهُمُ الرجفَةُ: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ [٢]، ولم يَسْأَلْ ذلك إلّا بعدَ أَن أَنْكَرَ عليهم ونَبَّهَهم على الحقِّ فلَجُّوا وتمادَوا في لجاجِهم، فأَرادَ أَن يَسْمَعُوا النصَّ من عندِاللهِ باستحالةِ الرُّؤْيةِ عليه وهو قولُه: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ ليَتَيقَّنوا وتزولَ شبهتُهم، ومعنىٰ ﴿لَن﴾: تأكيدُ النفي الَّذي يعطيه «لا»، وذلك أَنَّ «لا» لنفي المستقبلِ، تقولُ: لا أفْعَلُ غداً، فإذا أَكَّدْتَ النفيَ قلتَ: لَنْ أَفْعَلَ غداً [٣]، والمعنىٰ: أَنَّ فعلَه يُنافي حالي، كقولِه سبحانه: ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ [٤]، فقولُه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [٥] نفيٌ للرؤيةِ فيما يَستَقْبِلُ، وقولُه: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ تأكيدٌ وبيانُ أَنَّ الرُّؤْيَةَ مُنافيةٌ لصفاتِه ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ معناه: أَنَّ النَظرَ إليَّ مُحالٌ فلاتَطْلُبْه ولكن عليك بنظرٍ آخَرَ وهو أَن تَنْظُرَ إلى الجَبَلِ الَّذي يرجُفُ بك وبمَن طَلَبْتَ الرُّؤْيةَ لأَجلِهم كيفَ أَفْعَلُ به، وكيفَ أَجْعَلُه دكّاً بسببِ طلبِك الرُّؤْيةَ لتَسْتَعْظِمَ ماأَقْدَمْتَ عليه بما أُريكَ من عِظَمِ أَثرِه، كأَنَّه جَلَّ جلالُه حَقَّقَ عندَ طلبِ الرُّؤْيةِ مامَثَّلَه عندَ نسبةِ الولدِ إليه في قولِه: ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدّاً أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَداً﴾ [٦]، ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ كما كانَ مُستَقِرّاً ثابتاً ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ تعليقٌ لوجودِ الرُّؤْيةِ بوجودِ مالايكونُ من استقرارِ الجَبَلِ مكانَه حينَ يَدُكُّه دكّاً ويُسَوِّيه

← عن القوم بأنّ ذلك لايجوز عليه تعالىٰ كما جاز ذلك في مسألة الرؤية ... والثاني: انّه انّما يجوز أن يسأل الله مايمكن أن يعلم صحّته بالسمع، وما يكون الشك فيه لايمنع من العلم بصحة السمع، وانّما يمنع من ذلك سؤال الرؤية التي تقتضي الجسمية والتشبيه ... الىٰ آخر قوله الشريف.

(١) البقرة: ٥٥.

(٢) الأعراف: ١٥٥.

(٣) انظر تفصيل ذلك في الكشاف: ج ٢ ص ١٥٣ ـ ١٥٤.

(٤) الحج: ٧٣.

(٥) الانعام: ١٠٣.

(٦) مريم: ٩٠ ـ ٩١.

بالأَرضِ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ أَي: ظَهَرَ له اقتدارُه وتَصَدَّىٰ له أَمرُه وإِرادتُه ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ أَي: مدكوكاً، مصدرٌ بمعنىٰ مفعولٍ، والدكُّ والدقُّ مِثلان، وقُرِئَ: «دَكَّآءَ»[١]، والدَكَّاءُ: الرُبوةُ النَاشزةُ من الأَرضِ لاتَبلُغُ أَن تَكونَ جبَلاً، أَو يُريدُ أَرضاً دَكَّاءَ: مُسْتَوِيَةً، من قولِهم: ناقَةٌ دَكَّاءُ: مُسْتَوِيَةُ السَنامِ[٢] ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ من هولِ مارَأَىٰ، وصَعِقَ من بابِ فَعَلته ففَعِلَ، تقولُ: صَعَقَتْه فَصَعِقَ وأَصلُه من الصَاعقةِ، ومعناه: خَرَّ مَغْشِيّاً عليه غَشْيَةً كالموتِ ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ من صَعقتِه ﴿قَالَ سُبْحَـٰنَكَ﴾ أُنَزِّهُكَ ممَّا لايجوزُ عليك ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من طلبِ الرُؤْيةِ ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بأَنَّكَ لاتُرىٰ.

وقيل[٣]: في الآيةِ وجهٌ آخَرُ وهو أَن يكونَ المرادُ بقولِه: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ عرِّفني نفسَك تعريفاً واضحاً جليّاً بإِظهارِ بعضِ آياتِ الآخرةِ الَّتي تَضْطَرُّ الخلقَ إِلىٰ معرفتِك ﴿أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ أَعْرِفْكَ معرفةً ضروريَّةً كأَنِّي أَنْظُرُ إِليك، كما جاءَ في الحديثِ: «سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَما تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»[٤] بمعنىٰ: سَتَعْرِفونه معرفةً جَلِيَّةً هي في الجلاءِ مثلُ إِبصارِكم القمرَ إِذا امْتَلأَ واستوى بدراً، قال: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ لن تُطيقَ معرفتي علىٰ هذهِ الطَريقةِ ولن تَحْتَمِلَ قوَّتُكَ تلك الآيةَ ﴿وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ فإِنِّي أُورد عليه آيةً من تلك الآياتِ ﴿فَإِنِ﴾ ثَبَتَ لتجلِّيها و ﴿ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ﴾ تَثبُتُ لها وتُطيقُها ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾ فلمَّا ظَهَرَتْ للجبلِ آيةٌ من آياتِ رَبِّهِ ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ لعِظَمِ مارَأَىٰ ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ

---

(١) قرأه حمزة والكسائي. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ١٩٧، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٣، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٥، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٣٨٤، وفي التبيان: ج ٤ ص ٥٣٣: هي قراءة أهل الحجاز إلّا عاصماً.

(٢) انظر لسان العرب: مادة «دكك»، ومفردات الراغب الاصفهاني: ص ١٧١.

(٣) نسب هذا القول في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٤٧٥ الى أبي القاسم البلخي.

(٤) مسند أبي عوانة: ج ١ ص ٣٧٦، مسند أبي حنيفة: ص ١٩

تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ ممَّا اقترحتُ ﴿وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بعظمتِك وجلالِك.

﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ (١٤٥)

﴿قَالَ﴾ الله سبحانه ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى﴾ اتَّخذْتُك صَفْوَةً وفَضَّلْتُكَ ﴿عَلَى﴾ أهلِ زمانِك من ﴿ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى﴾ وهي أسفارُ التوراةِ، وقُرِئَ: «بِرِسالَتِي» على التوحيدِ[١]، ﴿وَبِكَلَـٰمِى﴾ وبتكليمي إِيَّاك ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ أي: أَعْطَيْتُكَ من شرفِ النُبوَّةِ والحكمةِ ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ على النِعمةِ في ذلك فهي من أَجلِّ النِعَمِ، وقيلَ: خرَّ موسىٰ صَعِقاً يومَ عَرَفَةَ، وأُعْطِيَ التوراةَ يومَ النحرِ[٢] ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ يُريدُ أَلواحَ التوراةِ، واخْتُلِفَ في عددِها وفي جوهرِها: فقيل: كانت سبعةَ أَلواحٍ[٣]، وقيلَ: عشرةً[٤]، وقيل: لوحَيْن[٥]، وأَنَّها كانت من زُمُرُّدٍ[٦]،

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٣٨، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ١٩٨، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٣، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٢٨٠.

(٢) قاله ابن عبّاس علىٰ ماحكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٥٩، والكلبي علىٰ ماحكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٩٨.

(٣) قاله سعيد بن جبير عن ابن عبّاس كما في تفسير السمرقندي: ج ١ ص ٥٦٩، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ج ٣ ص ٥٤٩ عنه وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) رواه جابر عن النبيﷺ على ماذكره السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٥٦٩، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور: ج ٣ ص ٥٥١ وعزاه لابن مردويه وأبي نعيم في الحلية وابن لال في مكارم الأخلاق.

(٥) وهو قول الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٧٥ وقال: ويجوز في اللغة أن يقال للوحين: ألواح. وحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥٣٩.

(٦) قاله مجاهد وابن جريج. راجع تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٢٦٠، وتفسير البغوي: ج ٢ ←

وقيلَ: من زَبَرْجَدَةٍ خضراءَ[١] أَو ياقوتَةٍ حمراءَ[٢]، وقيل: كانت من خَشَبٍ نَزَلَ من السماءِ[٣] ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ في محلِّ النَصبِ مفعولُ ﴿كَتَبْنَا﴾، و ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ بدلٌ منه[٤]، والمعنىٰ: كَتَبْنا له فيها كلَّ شيءٍ احتاجَتْ إِليه بنو إِسرائِيلَ في دينِهم من المواعظِ وتفصيلِ الأَحكامِ والحلالِ والحرامِ وذكرِ الجنَّةِ والنَارِ وغيرِ ذلك من العِبَرِ والأَخبارِ ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ أَي: بجدٍّ واجتهادٍ وإِقبالٍ وعزيمةٍ، فِعْلَ أُولي العزمِ من الرُسُلِ، وهو عطفٌ علىٰ ﴿كَتَبْنَا لَهُ﴾ والتَقديرُ: فقُلنا له: خُذْها، ويجوزُ أَن يكونَ بدلاً من قولِه: ﴿فَخُذْ مَآءَاتَيْتُكَ﴾، والضميرُ في ﴿فَخُذْهَا﴾ لـ ﴿ٱلْأَلْوَاحِ﴾ أَو لـ ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ لأَنَّه في معنَى الأَشياءِ أَو لـ «الرِّسالاتِ»[٥]، ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ أَي: فيها ماهو حسنٌ وأَحسنُ كالاقتصاصِ والعفوِ والانتصارِ والصبرِ، فمُرْهم أَن يأْخُذوا بما هو أَدخَلُ في الحسنِ وأَكثرُ للثَوابِ[٦]، كقولِه: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾[٧]، وقيلَ: يأْخذوا بما هو واجبٌ أَو ندبٌ؛ لأَنَّه أَحسنُ من المباحِ[٨] ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ أَي: منازلَ القرونِ الماضيةِ المخالفةِ لأَمرِ اللهِ لتَعْتَبِروا بِها[٩]، وقيل: دارُ الفاسقين نارُ

← ص ١٩٩، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٢٨١.

(١) قاله أبوالعالية والكلبي. راجع تفسيرالماوردي: ج ٢ ص ٢٦٠، وتفسيرالبغوي: ج ٢ ص ١٩٩.

(٢) وهو قول سعيد بن جبير على مانسبه إليه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٦٠، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٩٩، والقرطبي أيضاً في تفسيره: ج ٧ ص ٢٨١.

(٣) قاله الحسن. راجع تفسيره: ج ١ ص ٣٨٧، وعنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٦٠، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ١٩٩، وابن الجوزي في زاد المسير: ج ٣ ص ٢٥٨.

(٤) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٥٨.

(٥) انظر تفصيله في الكشّاف: ج ٢ ص ١٥٨.

(٦) وهو قول الزجّاج: ج ٢ ص ٣٧٥، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٥٨.

(٧) الزمر: ٥٥.

(٨) قاله الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥٤٠.

(٩) وهو قول قتادة كما حكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٠٠، والقرطبي في تفسيره: ←

جَهَنَّم (١)، فَلْتَكُنْ منكم علىٰ ذكرٍ لتَحْذَروا أَن تكونوا منهم.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّايُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَايَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ (١٤٦) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّامَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (١٤٧)

﴿سَأَصْرِفُ﴾ المتكبِّرين ﴿عَنْ ءَايَـٰتِيَ﴾ بالطَّبعِ علىٰ قلوبِهِم وخذلانِهم فلا يَتَفكَّرون فيها ولا يَعْتَبِرون بها.

وفي الحديثِ: «إذا عَظَّمَتْ أُمَّتي الدُّنيا نُزِعَتْ عنها هيبةُ الإسلامِ، وإذا تَرَكُوا الأَمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المنكرِ حُرِمَتْ بَرَكَةَ الوحي» (٢).

وقيل: معناه: سأَصْرِفُهم عن إبطالِها وإنِ اجْتَهَدُوا كما اجْتَهَدَ فرعونُ في إبطالِ آيةِ موسىٰ فأَبَى اللهُ إلّا علوَّ أمرِه (٣) ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ فيه وجهان: أَحدُهما: أَن يكونَ حالاً أي: يَتَكَبَّرون غيرَ مُحِقِّين؛ لأَنَّ التَكبُّرَ بالحقِّ للهِ وحدَه، والآخَرُ: أَن يكونَ صلةً للتَكبُّرِ أَي: يَتَكَبَّرون بما ليس بحقٍّ (٤) ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ﴾ من الآياتِ المُنْزَلَةِ عليهم ﴿لَّايُؤْمِنُواْ بِهَا﴾، ﴿ذَٰلِكَ﴾ رفعٌ أَو نصبٌ (٥)، أَي: ذلك الصرفُ بسببِ

← ج ٧ص ٢٨٢، واختاره الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٥٨.

(١) قاله الحسن ومجاهد. راجع تفسير الحسن البصري: ج ١ ص ٣٨٨، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ٢٦١، وزاد المسير لابن الجوزي: ج ٣ ص ٢٦٠، وفتح القدير للشوكاني: ج ٢ ص ٢٤٧، والدر المنثور للسيوطي: ج ٣ ص ٥٦٢.

(٢) الكشّاف: ج ٢ ص ١٥٨، الدر المنثور: ج ٣ ص ١٢٧، اتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج٤ ص ٥١٥.

(٣) قاله البلخي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٤٣.

(٤) انظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٥٩.

(٥) لمزيد من التفصيل راجع الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٦٠.

تكذيبِهم، أو صَرَفَهم اللهُ ذلك الصَرفَ بسببِهِ ﴿وَلِقَآءِ ٱلْآخِرَةِ﴾ من إضافةِ المصدرِ إلى المفعولِ به، أي: ولقائِهم الآخرةَ وماوَعَدَ اللهُ فيها.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَـٰلِمِينَ (١٤٨) وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ (١٤٩)

﴿مِن بَعْدِهِ﴾ أي: من بعدِ خروجِه إلى الطُورِ ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ الَّتي استَعاروها من قومِ فرعونَ وبَقِيَتْ في أيديهم بعدَ هلاكِ فرعونَ وقومِهِ، فاتَّخَذَ السَامريُّ منها ﴿عِجْلًا جَسَداً﴾ لاروحَ فيه، وهو بدلٌ من ﴿عِجْلًا﴾، ﴿لَّهُ خُوَارٌ﴾ أي: صوتٌ، والحُلِيُّ جمعُ حَلْيٍ[١]، وقُرِئَ: «حِلِيِّهِمْ» بكسرِ الحاءِ[٢] على الإتباعِ، و «مِنْ حَلْيِهم» على التَوحيدِ[٣]، وهو اسمُ مايُتَحَسَّنُ به من الذَهبِ والفضّةِ[٤]، وقيل: كان جسداً ذالحمٍ ودمٍ كسائِرِ الأَجسادِ[٥]، وعن الحسن: أَنَّ السَامريَّ قَبَضَ قبضةً من ترابِ أَثرِ حافرِ فرسِ جبرئيلَ يومَ قَطَعَ البحرَ فَقَذَفَه في فِي[٦] العِجْلِ فكانَ عِجلاً

---

(١) انظر معاني القرآن للأخفش: ج ٢ ص ٥٣٣، ولسان العرب لابن منظور: مادة (حلا).

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٤٤، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٠١، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٤، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٥، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٤٧٧، والتيسير للداني: ص ١١٣.

(٣) وهي قراءة يعقوب. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٤٤، وإعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٥٠، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٣٩٢.

(٤) انظر معاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٣٧٧.

(٥) قاله ابن عبّاس والحسن وقتادة كما في تفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٠١، واختاره الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٥٩ ـ ١٦٠، والهمداني في الفريد في إعراب القرآن: ج ٢ ص ٣٦١.

(٦) في نسخة: فم.

له خُوارٌ[١] ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ﴾ حينَ اتَّخَذوهُ إلهاً ﴿أَنَّهُۥ لَا﴾ يَقدِرُ علىٰ كلام ولا علىٰ هدايةِ سبيلٍ حتَّى لايَتَّخِذُوه معبوداً، ثمَّ ابْتَدأَ فقالَ: ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ أي: أَقْدَمُوا علىٰ ماأَقْدَمُوا عليه من الأَمرِ المنكَرِ ﴿وَكَانُواْ ظَـٰلِمِينَ﴾ في كلِّ شيءٍ، فلم تَكُنْ عبادةُ العِجلِ أَمراً بديعاً منهم ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ ولمَّا اشْتَدَّ نَدَمُهم علىٰ عبادةِ العِجلِ، لأَنَّ من شأنِ مَن اشتدَّت حسرتُه أَن يَعَضَّ علىٰ يَدَيْه غمّاً فتصير يدُه مسقوطاً فيها، لأَنَّ فاه قد وَقَعَ فيها[٢] ﴿وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ﴾ وتَبَيَّنوا ضلالَهم بعبادةِ العِجلِ حينَ رَجَعَ إليهم موسىٰ ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ وقُرِئَ: «لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنا» بالتاءِ «رَبَّنا» بالنَصبِ على النداءِ «وَتَغْفِرْ لَنا» بالتَاءِ[٣] أَيضاً.

وعن الحسن: كلُّهم عَبَدُوا العِجلَ إلَّا هارونَ بدَلالةِ قولِ موسىٰ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى﴾[٤]، وقال غيرهُ: لَم يَعْبُدْهُ الكلُّ[٥].

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِن بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلَاتُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَاتَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا

---

(١) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٢ ص ٥٤٥.

(٢) وهو من باب الكناية علىٰ شدة الندم، فيقال للرجل النادم على مافعل الخسر علىٰ مافرط منه: قد سُقِطَ في يده وأُسقط.

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٤، والتيسير للداني: ص ١١٣، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٠١، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٢٨٦، وفي التبيان: ج ٤ ص ٥٤٥: هي قراءة أهل الكوفة إلّا عاصماً.

(٤) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥٤٦.

(٥) قال الجبائي: إنّما عَبَد بعضهم بدلالة ماورد من الأخبار عن النبيﷺ فيما روي عنه في هذا المعنىٰ. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٤٦.

فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (١٥١)

الأَسِفُ: الشَدِيدُ الغَضَبِ(١)، وقيلَ: الحَزِينُ(٢) ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى﴾ أَي: قُمْتُمْ مَقامي وكُنْتُمْ خُلَفائِي ﴿مِن بَعْدِىٓ﴾ حيثُ عَبَدْتُمُ العِجْلَ مكانَ عبادةِ اللهِ، وفاعلُ «بِئْسَ» مضمرٌ يُفَسِّرُهُ «ماخَلَفْتُمُونِي»، والمخصوصُ بالذَّمِّ محذوفٌ تقديره: بئس خلافةٌ خَلَفْتُمُونيها مِنْ بَعْدِي خِلافَتُكم(٣) ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ تقول: عَجِلْتُ عن الأمرِ: إذا تَرَكْتَهُ غيرَ تامٍّ، وأَعْجَلَني عنه غيري، ويُضَمَّنُ معنىٰ سَبَقَ فيقال: عَجِلْتُ الأمرَ، فالمعنىٰ: أَعَجِلْتُمْ عن أمرِ ربِّكم وهو انتظارُ موسىٰ حافظين لعهدِه فَبَنَيْتُمُ الأمرَ علىٰ أَنَّ الميعادَ قد بَلَغَ آخِرَه وحَدَّثْتُمْ أنفسَكم بموتي ففَعَلْتُمْ مافَعَلْتُمْ، رُوِيَ: أَنَّ السَامريَّ قالَ لهم: إِنَّ موسىٰ لن يَرْجِعَ وأَنَّه قد مات(٤) ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ أَي: طَرَحَها لما لَحِقَه من الضَجَرِ غَضَباً للهِ وحَمِيَّةً لدينِه ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أَي: بشعرِ رأسِه ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ لشدَّةِ ماوَرَدَ عليه من الأمرِ ﴿قَالَ﴾ هارونُ ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ قُرِئَ بالفتحِ تشبيهاً بـ«خَمْسَةَ عَشَرَ» وبالكسرِ(٥) علىٰ طرحِ ياءِ الإضافةِ(٦)، وعن الحسنِ: وَاللهِ لقد كان أَخاه لأَبيه وأُمِّه، وإِنَّما نَسَبه إلى الأُمِّ

---

(١) وهو قول أبي الدرداء فيما حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥٤٧، وقول الأخفش كما في تفسير الماوردي: ج ٢ ص ٢٦٢، وأبي عبيدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٢٨، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٦٠.

(٢) قاله ابن عبّاس في تفسيره: ص ١٣٨، وحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥٤٧، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٦٢. وهو قول الحسن علىٰ مافي تفسيره: ج ١ ص ٣٨٨.

(٣) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٦٣.

(٤) حول السامري ونسبه وقصته انظر تاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٥) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن عامر وعاصم برواية أبي بكر. راجع التبيان: ج ٤ ص ٥٤٧، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٥، وفي تفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٠٢ : هي قراءة أهل الكوفة والشام.

(٦) قال الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٩٤: وذلك أنّه كثر في الكلام فحذفت العرب منه ←

لأنَّ ذكرَ الأُمِّ أَبلغُ وأنسب في الاستعطافِ[١] ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ﴾ الّذين تركْتني بينَ أظْهرِهم ﴿ٱسْتَضْعَفُونِى﴾ قَهَروني واتَّخذوني ضعيفاً، ولم آلُ جُهداً في كفِّهم بالإنذارِ والوعظِ ﴿وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى﴾ أَي: همُّوا بقتلي لشدَّةِ إِنكاري عليهم ﴿فَلَاتُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ فلا تفعَلْ بي ماهو أُمْنِيَّتُهم من الإساءَة بي ﴿وَلَاتَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: قريناً لهم في إظهارِ المَوجِدَةِ عليَّ ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى﴾ بيَّنَ بهذا الدُّعاءِ أنَّه لم يَجُرَّ رأسه إليه لعِصيانٍ وَجَدَ منه، وإنَّما فعَلَه كما يَفْعَلُ الإنسانُ بنفسِه عندَ شدَّةِ الغضبِ علىٰ غيرِه[٢] ﴿وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ﴾ أي: نِعْمَتِكَ وجنَّتِك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ (١٥٢) وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٥٣) وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (١٥٤)

﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ الغضبُ: ماأُمِرُوا به مِن قتلِ أَنفسِهم، والذِّلَّةُ: خروجُهم مِن ديارِهم؛ لأنَّ الغُربةَ ذِلَّةٌ[٣]، وقيل: هي الجزيةُ المضروبةُ عليهم[٤]

← الياء، ولايكادون يحذفون الياء إلّا من الاسم المنادىٰ يضيفه المنادي الىٰ نفسه، إلّا قولهم: يابن عمٍّ ويابن أُمٍّ وذلك انّه يكثر استعمالهما في كلامهم، فاذا جاء مالايستعمل أثبتوا الياء فقالوا: يابن أبي ويابن أخي ويابن خالتي فأثبتوا الياء.

(١) حكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٤ ص ٥٤٩.

(٢) وهو اختيار أبي علي الجبائي كما في التبيان: ج ٤ ص ٥٥٠.

(٣) وهو قول الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٦٢.

(٤) قاله ابن عبّاس. راجع تفسيره: ص ١٣٨، وحكاه عنه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٠٢.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾ على اللهِ، ولافرية أعظمُ من قولِ السّامريِّ: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾[1]. ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ من الكفرِ والمَعاصي ﴿ثُمَّ تَابُواْ﴾ رَجَعُوا ﴿مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ إلى اللهِ وأَخْلَصوا الإيمانَ ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ﴾ بَعْدِ تلك العظائِمِ ﴿لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾ هذا مَثَلٌ، كَأَنَّ الغضبَ كان يُغْريه علىٰ مافَعَلَ ويقولُ له: أَلْقِ الألواحَ وجُرَّ برأسِ أخيك إليك فَتَرَكَ النُّطقَ بذلك، والمعنىٰ: ولمَّا طَفِئَ غضبُه ﴿أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَ﴾ الَّتي أَلقاها ﴿وَفِي نُسۡخَتِهَا﴾ وفيما نُسِخَ فيها وكُتِبَ، والنُسخةُ فُعْلَةٌ بمعنىٰ مفعولٍ كالخُطْبَةِ ﴿هُدٗى﴾ دَلالةٌ وبيانٌ لما يُحتاجُ إليها[2] من أُمورِ الدينِ ﴿وَرَحۡمَةٞ﴾ ونعمةٌ ومنفعةٌ ﴿لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾ دَخَلَت اللامُ لتقدُّمِ المفعولِ[3]، تقول: لَكَ ضَرَبْتُ، ونحوُه: ﴿لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾[4].

﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ (١٥٥)

تقديرُهُ: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ﴾ من ﴿قَوۡمَهُۥ﴾ فحُذِفَ الجارُّ ﴿سَبۡعِينَ رَجُلٗا﴾ خَرَجَ بهم إلىٰ طورِ سَيْناءَ[5] لِميقاتِ رَبِّهِ، فلمَّا دنا موسىٰ من الجَبَلِ وَقَعَ عليه عمودُ

---

(١) طـه: ٨٨. (٢) في بعض النسخ: اليه.

(٣) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٦٧.

(٤) يوسف: ٤٣.

(٥) الطور في كلام العرب: الجبل، وقال بعض أهل اللغة: لا يُسمّىٰ طوراً حتّىٰ يكون ذا شجر. وقيل: سمّي طور ببطور بن إسماعيل عليه السلام أُسقطت باؤه للاستثقال. ويقال لجميع بلاد الشام: الطور، وذكر بعض العلماء: إنّ الطور هذا الجبل المشرف علىٰ نابلس؛ ولهذا يحجّه السامرة، ←

الغَمامِ حتَّى تَغَشَّى الجبلُ كلَّه، ودَنا موسىٰ ودَخَلَ فيه ودَخَلُوا وسَجَدوا فسَمِعُوا كلامَ اللهِ، ثمَّ انْكَشَفَ الغَمامُ فطَلَبُوا الرُّؤْيَةَ فأَنْكَرَ عليهم، فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [١]، فـ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ فأُجيبَ بـ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [٢]، ورَجَفَ بهم الجَبَلُ فصَعِقوا ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ﴾ موسىٰ ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ﴾ وهذا تَمَنٍّ منه للإهلاكِ قبلَ أن يَرَىٰ مارأىٰ من تَبِعَةِ طلبِ الرُّؤْيةِ ﴿أَتُهْلِكُنَا﴾ يعني: نفسَه وإيَّاهم ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ لأَنَّه إنَّما طَلَبَ الرُّؤْيَةَ زجراً للسُّفهاءِ وهم طَلَبوه سَفَهاً وجهلاً ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي: مِحنتُك وابتلاؤُك حينَ كَلَّمْتَني وسَمِعُوا كلامَك فاسْتَدَلُّوا بالكلامِ على الرُّؤْيةِ استدلالاً فاسداً حتَّى افْتَتَنوا وضَلُّوا ﴿تُضِلُّ بِهَا﴾ بالمِحنةِ الجاهلين أي: غيرَ الثَّابتين في معرفتِك ﴿وَتَهْدِى﴾ العالِمين بك، وجُعِلَ ذلك إضلالاً وهدىً من اللهِ؛ لأَنَّ مِحنتَه لمَّا كانت سبباً لأَن ضَلُّوا واهْتَدَواْ فكأَنَّه أَضَلَّهم بها وهَداهم ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ مولانا والقائِمُ بأُمورِنا [٣].

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ

← وقيل: هو مايطلّ علىٰ طبرية الأردن بينهما أربعة فراسخ، علىٰ رأسه بيعة واسعة محكمة البناء موثقة الأرجاء، وقد بُني عليها قلعة حصينة ومحكمة، وقد خرّبها الافرنج سنة ٦١٥م عند طلبهم بيت المقدس. (معجم البلدان: ج ٣ ص ٥٥٦).

(١) البقرة: ٥٥. (٢) الأعراف: ١٤٣.

(٣) انظر تفصيل ذلك في تاريخ الطبري: ج ١ ص ٣٠٠ ـ ٣٠١.

وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (١٥٧)

أي: ﴿وَ﴾ أثبِتْ ﴿لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي: عافيةً وحياةً طيِّبةً ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ الجنَّةَ ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: تُبنا إليك، من هادَ إليه: إذا رَجَعَ وتابَ، والهودُ جمعُ هائدٍ وهو التائبُ ﴿قَالَ عَذَابِىٓ﴾ من صفتِه أنّي ﴿أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ ممَّن عَصاني واستحَقَّه بعِصياني ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ فما من مسلمٍ ولاكافرٍ ولامُطيعٍ ولاعاصٍ إلّا وهو متقلِّبٌ في نعمتي، فَسَأَكْتُبُ هذه الرَّحمةَ كِتْبَةً خاصَّةً منكم يابني إسرائيلَ ﴿لِلَّذِينَ﴾ يكونون في آخرِ الزَّمانِ من أُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـ﴾ جميعِ ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ وكتبِنا ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ لايكفُرون بشيءٍ منها ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ الّذي نوحي إليه كتاباً مختصّاً به وهو القرآنُ ﴿ٱلنَّبِىَّ﴾ المؤيَّدَ بالمُعجزاتِ ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ﴾ أي: يَجِدون نعتَه أُولئك الّذينَ يتَّبِعونه من بني إسرائيلَ ﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾، ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ﴾ ماحُرِّمَ عليهم من الأَشياءِ الطَّيِّبةِ كالشُّحومِ وغيرِها أو ماطابَ في الشَّريعةِ ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ مايُستَخبَثُ نحوُ المَيتةِ والدَّمِ ولحمِ الخِنزيرِ، أَو ماخَبُثَ في الحكمِ من المكاسبِ الخبيثةِ ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ والإِصرُ: الثِقلُ الّذي يَأصِرُ صاحبَه أي: يَحبِسُه من الحَراكِ لثقلِه، وهو مَثَلٌ لثقلِ تكليفِهم نحوُ قتلِ الأَنفسِ في التَوبةِ ﴿وَ﴾ كذلك ﴿ٱلْأَغْلَٰلَ﴾ مَثَلٌ لِما كان في شرائِعِهم من التَكاليفِ الشَاقَّةِ نحوُ قَرْضِ موضِعِ النجاسةِ من الجلدِ والثَوبِ وإِحراقِ الغنائِمِ وتحريمِ السَبتِ[١] ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ ومَنَعوه حتّىٰ لايَقوىٰ عليه عدوٌّ، أَصلُ العَزْرِ: المنعُ، ومنه

(١) انظر معاني القرآن للزجّاج: ج ٢ ص ٣٨١، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٠٦.

التعزيرُ للضَربِ دونَ الحدِّ لأنَّه يَمنَعُ من مُعاوَدةِ القبيحِ، وَ ﴿ٱلنُّورَ﴾ القرآنُ ﴿أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ أي: مع نبوَّتِه، أَو تَعلَّقَ ﴿مَعَهُۥٓ﴾ بـ ﴿ٱتَّبَعُوا۟﴾ أي: واتَّبَعُوا القرآنَ الَّذي أُنزِلَ مع اتِّباعِ النَبيِّ والعملِ بسنَّتِه، أَو: واتَّبَعُوا القرآنَ كما اتَّبَعَه النَبيُّ يُصاحِبونَه في اتِّباعِه[1].

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ (١٥٩) وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١٦٠)

﴿جَمِيعًا﴾ نصبٌ على الحالِ من ﴿إِلَيْكُمْ﴾[2]. ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في موضِعِ الجرِّ على الوصفِ للهِ، أَو النَصبِ على المدحِ بإِضمارِ «أَعني»[3]. و ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بدلٌ من الصلةِ الَّتي هي ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وكذلك ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾، وفي ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بيانٌ للجملةِ قبلَها؛ لأَنَّ مَن مَلَكَ العالَمَ كان هو الإِلـٰهَ على الحقيقةِ، وفي ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ بيانٌ لاختصاصِه بالإِلـٰهيَّةِ؛ لأَنَّه لايَقدِرُ على الإِحياءِ والإِماتةِ غيرُه ﴿وَكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ يُريدُ

---

(١) راجع تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٧١.

(٢) انظر التبيان: ج ٥ ص ٥، والكشّاف: ج ٢ ص ١٦٦.

(٣) راجع تفصيله في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٧٢.

بها ماأُنزِلَ عليه وعلىٰ من تَقدَّمَه من الرُسُلِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إرادةَ أَن تـهتدوا ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ هم المُؤمِنون التّائِبون[١] من بني إسرائِيلَ ﴿يَـهْدُونَ﴾ النّاسَ ﴿بِـ﴾ كلمةِ ﴿ٱلْحَقِّ﴾ وَيَدُلُّونهم على الاستقامةِ ويُرشِدونهم ﴿وَ﴾ بِالْحَقِّ ﴿يَعْدِلُونَ﴾ بينَهم فـي الحكـمِ لايَـجورون، أَو أَراد الَّـذين وَصَـفَهم مـمَّن أَدْرَكَ النّبيَّ عَلَيْهِ‌السَلَامُ وآمَنَ به من أَعقابِهم[٢]، وقيل: إِنَّهم قومٌ من بني إسرائِيلَ فَتَحَ اللهُ لهم نَفَقاً في الأَرضِ حتَّىٰ خَرَجُوا من وراءِ الصينِ، وهـم هـنالك حُـنَفاءُ مُسـلِمون يَسْتَقبِلون قبلتَنا[٣] ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمُ﴾ وصَيَّرْناهم قِطَعاً أَي: فِرَقاً، ومَيَّزْنا بعضَهم مـن بعضٍ، والأَسباطُ: أَولادُ الولدِ جمعُ سِبْطٍ، والأَسباطُ في وُلدِ يعقوبَ بن[٤] إِسْحاقَ بمنزلةِ القبائِلِ في وُلدِ إسماعِيلَ، وكانوا اثْنَيْ عَشَرَ سِبطاً، وقولُه: ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدلٌ من ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾ والمميِّزُ محذوفٌ والتَقديرُ: اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فِرقةً[٥]، و ﴿أُمَمًا﴾ نصبٌ على الحالِ، يعني: أَنَّ كلَّ سبطٍ من الأَسباطِ كانت أُمَّةً عظيمةً وجماعةً كثيرةً ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ فانْفَجَرَتْ وهو الانفتاحُ بسَعَةٍ وكَثرةٍ، قال العَجّاجُ:

وَكَيْفَ غَرْبَىْ دالِجٍ تَبَجَّسا[٦]

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ أَي: كلُّ أُمَّةٍ من تلك الأُمَمِ ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾، والأُناسُ اسمٌ

---

(١) في نسخة: الثابتون.
(٢) وهو قول الكلبي كما حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٧٠.
(٣) قاله ابن عبّاس والسدي كما حكاه عنهما الماوردي في تـفسيره: ج ٢ ص ٢٧٠، ونسـبه البغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٠٦ الى الكلبي والضحّاك والربيع، واختاره القـرطبي فـي تفسيره: ج ٧ ص ٣٠٢.
(٤) في بعض النسخ: من.
(٥) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٧٣.
(٦) وصدره: وانحلبت عيناه من فرط الأسىٰ. يقول: انصبت دموع عـينيه مـن شـدة الحـزن كانصباب دلوي رجل مفرغ لهما في الحوض تفجر السعة. انظر ديوان العجاج: ص ١٢٣، والعين للفراهيدي: ج ٥ ص ٤١٣ مادة «ولف».

جمعٍ غيرُ تكسيرٍ نحوُ: رُخالٍ[١] وتُناءٍ[٢] وتُؤَامٍ وأَخواتٍ لها.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّداً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيـٓئَـٰتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٦١) فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ (١٦٢) وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١٦٤)

﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيتَ المَقْدِسِ[٣]، وقُرِئَ: «تُغْفَرْ لَكُمْ خَطِيَّاتُكُمْ»[٤] و«خَطِيئَتُكم»[٥] أيضاً، وقُرِئَ: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾ بالنونِ ﴿خَطِيـٓئَـٰتِكُمْ﴾ و«خَطايَاكُمْ»[٦]، «وَسَلْهُمْ» وسَلِ اليهودَ، وقُرِئَ: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ وهو سؤالُ تقريرٍ وتقريعٍ بقديمِ كفرِهم وتجاوزِهم لحدودِ اللهِ ﴿حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ قريبةً منه ﴿إِذْ

(١) جمع رِخل بالكسر: الأنثىٰ من أولاد الضأن. (القاموس المحيط: مادة رخل).

(٢) تَنَأ تنوءاً: أقام. (القاموس المحيط: مادة تنأ).

(٣) أنظر معجم البلدان: ج ٤ ص ٥٩٠ ـ ٥٩٤ ففيه كلامٌ مفصَّلٌ حول بيت المقدس والمسجد الأقصىٰ ممّا لاغنىٰ عن مراجعته.

(٤) وهي قراءة نافع وابن عامر ويعقوب والمفضّل عن عاصم. راجع التبيان: ج ٥ ص ٩، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٥، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٦، والتيسير في القراءات للداني: ص ١١٤.

(٥) قرأه ابن عامر. راجع التبيان: ج ٥ ص ٩، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٧، والعنوان في القراءات السبع لابن خلف الأندلسي: ص ٩٨.

(٦) وهي قراءة أبي عمرو. راجع التبيان: ج ٥ ص ٩، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٥، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٧.

﴿يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ إذ يَتجاوَزون حدَّ[١] اللهِ فيه وهو اصطيادُهم في يومِ السَبتِ وقد نُهُوا عنه، والسَبتُ مصدرُ سَبَتَتِ اليهودُ: إذا عَظَّمَتْ سَبتَها بتركِ الصيدِ والاشتغال بالتَعبُّدِ، وكذلك قولُه: ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ معناه: يومَ تعظيمِهم أمرَ السَبتِ، و ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ محلُّه جرٌّ[٢] بدلٌ من ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾ والمرادُ بالقريةِ أهلُها، والتقديرُ: واسأَلْهم عن أَهلِ القريةِ وقتَ عُدوانِهم في السَبتِ وهو بدلُ الاشتمالِ، ويجوزُ أن يكونَ منصوبَ المحلِّ بـ ﴿كَانَتْ﴾ أو بـ ﴿حَاضِرَةَ﴾، و ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ﴾ منصوبٌ بـ﴿يَعْدُونَ﴾، ويجوزُ أَن يكونَ بدلاً بعدَ بدلٍ[٣] ﴿شُرَّعاً﴾ ظاهرةً علىٰ وجهِ الماءِ، وعن الحسنِ: تَشْرَعُ الحيتانُ علىٰ أبوابِهم كأَنَّها الكِباشُ البيضُ[٤] يقالُ: شَرَعَ علينا فلانٌ: إذا دنا منَّا وأَشْرَفَ علينا ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أَي: مثلُ ذلك البلاءِ نَبلوهم بسببِ فسقِهم ﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾ معطوفٌ على ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ وإعرابُه إعرابُه ﴿أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ أَي: جماعةٌ من أَهلِ القريةِ من صُلَحائِهم[٥] يَئِسُوا من قبولِهم وعظَهم لآخَرين كانوا يَنْهَوْنَهم ويَعِظُونَهم ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ أَي: مُختَرِمُهم في الدُنيا بسببِ معصيتِهم ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾ في الآخرةِ، قال الواعظون: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أَي: موعظتُنا[٦] مَعْذِرَةٌ إِلَى اللهِ وتأْديةٌ لفرضِه في النَهي عن المنكَرِ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ولطمعِنا أَن يَتَّقُوا ويَرجِعوا، وقُرِئَ: ﴿مَعْذِرَةً﴾ بالنَصبِ[٧]، أَي: وَعَظْناهم مَعْذِرَةً، أَو اعْتَذَرْنا مَعْذِرَةً.

---

(١) في نسخة: حدود.
(٢) في بعض النسخ: مجرور.
(٣) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٧٤.
(٤) حكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٧٢، والزمخشري في كشافه: ج ٢ ص ١٧١.
(٥) في بعض النسخ: علمائهم.
(٦) في نسخة: معذرتنا.
(٧) وهي قراءة حفص وحده عن عاصم. راجع التبيان: ج ٥ ص ١٣، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٦.

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَاذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّانُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ (١٦٦)

﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾ يعني: أهلَ القريةِ، أي تَرَكُوا ماذَكَّرَهم به الصَالحون تركَ الناسي لما يَنْساه ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ أَي: شديدٍ، ولم يَذْكُرِ الفِرقةَ الثَالثةَ الَّتي قالت: ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾ أَهي من النَاجيةِ أَم من الهالكةِ، واخْتُلِفَ في ذلك: فقيل: هَلَكَتِ الفِرقتانِ ونَجَتِ الفـرقةُ النَـاهيةُ، ورُوِيَ ذلك عن الصَادقِ عليه السلام [١]، وقيل: نَجَتِ الفِرقتان وَهَلَكَتِ الواحدةُ وهي الآخـذةُ للحِيتانِ [٢]؛ لأَنَّ النَاهيَ إِذا عَلِمَ أَنَّ النَهيَ لايُؤَثِّرُ في المنهيِّ سَقَطَ عنه النَهيُ، وقُرِئَ: «بِعَذابٍ بيسٍ» [٣] علىٰ تخفيفِ العينِ من «بَئسٍ» ونقلِ حركتِها إِلى الفاءِ وقـلبِ الهـمزةِ يـاءً كـذيبٍ فـي «ذِئبٍ»، وقُـرِئَ ـ أَيـضاً ـ بـالهمزةِ [٤]، وقُـرِئَ: «بَيْئَسٍ» [٥] علىٰ وزن فَيْعَلٍ فيكون وصفاً كضَيْغَم [٦] ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّانُهُواْ عَنْهُ﴾

---

(١) أُنظر الكافي: ج ٨ ص ١٥٨ ح ١٥١.

(٢) وهو قول ابن عبّاس والسدي. راجع تفسير ابن عباس: ص ١٤٠، والتبيان: ج ٥ ص ١٤، وحكاه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٧٢ ونسبه الى الحسن.

(٣) قرأه نافع وأبو جعفر. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٦، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٧، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٠٩، وفي التـبيان: ج ٥ ص ١٤: هي قراءة أهل المدينة والداحوني عن هشام.

(٤) قرأه ابن عامر. راجع التبيان: ج ٥ ص ١٤، وكتاب السبعة فـي القـراءات لابـن مـجاهد: ص ٢٩٦، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٤١٢.

(٥) وهي قراءة ابن عبّاس والأعمش وعاصم برواية أبي بكـر. راجـع التـبيان: ج ٥ ص ١٤، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٠٩، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٧، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٤١٢.

(٦) وفي هذا إحدىٰ عشرة قراءة، ذكر المصنّف رحمه الله ثلاثاً منها، ولمزيد التفصيل انظر إعراب ←

أي: تكبَّروا عن تركِ مانُهوا عنه ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً﴾ عبارةٌ عن مسخِهم قِرَدَةً ﴿خَٰسِئِينَ﴾ مَطرودين مُبَعَّدين، وقيل: إنَّهم بَقُوا كذلك ثلاثةَ أيّامٍ يَنظُرُ إليهم النّاسُ ثمَّ هَلَكوا ولم يَتناسَلوا[١].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧) وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١٦٨)

هو تفعُّلٌ من الإيذانِ وهو الإعلامُ، ومعناه: ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذْ﴾ عَزَمَ ﴿رَبُّكَ﴾ لأنَّ العازمَ على الأمرِ يُحدِّثُ به نفسَه ويُؤْذِنُها بفعلِه، وأُجْرِيَ مَجرىٰ فعلِ القسمِ كـ«عَلِمَ اللهُ» و «شَهِدَ اللهُ»، ولذلك أُجيبَ بما يُجابُ به القسمُ وهو قولُه: ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾، فكأنَّه قال: ﴿وَإِذْ﴾ كَتَبَ ﴿رَبُّكَ﴾ علىٰ نفسِه وأوجَبَ ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾ على اليهودِ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ فكانوا يُؤَدُّون الجزيةَ إلى المجوسِ إلىٰ أن بَعَثَ اللهُ محمَّداً صلى الله عليه وآله ثمَّ ضَرَبَها عليهم فلاتَزالُ مضروبةً عليهم إلىٰ آخِرِ الدَهرِ، ومعنىٰ ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾: لَيُسَلِّطَنَّ عليهم كقولِه: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾[٢]، ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ أي: فَرَّقْناهم في البلادِ فِرَقاً وجماعاتٍ شتّىٰ، فلايكادُ يَخْلو بلدٌ من فِرقةٍ منهم ﴿مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ﴾ وهم الّذين آمَنوا بالله ورسولِه[٣] ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: ومنهم ناسٌ دونَ ذلك الوصفِ أي: منحطّون عنه، فقولُه: ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ في محلِّ الرَفعِ لأنَّه صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ، ونحوُه

← القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٥٨ ـ ١٥٩، والتيسير في القراءات للداني: ص ١١٤.

(١) قاله ابن عبّاس كما في تفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٠٩.

(٢) الاسراء: ٥. (٣) في نسخة: ورسله.

قولُه: ﴿وَمَامِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ (١) أَي: ومامنَّا أَحدٌ إِلَّا له مقامٌ ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بالنِعَمِ والنِقَمِ والْمِنَحِ والمِحَنِ ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ يَنْتَهون فَيُنيبُونَ (٢).

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ (١٦٩) وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ (١٧٠)

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ أَي: من بعدِ المذكورين ﴿خَلۡفٞ﴾ وهم الَّذين كانوا في زمنِ رسولِ اللهِ ﷺ. قالَ الفرَّاءُ: يُقالُ: «خَلَفُ صِدْقٍ» و «خَلْفُ سَوْءٍ» بالسُكونِ (٣)، قال لبيدٌ:

وبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ (٤)

﴿وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ بَقِيَتِ التَوراةُ في أَيديهم بعدَ سلفِهم يَقْرَؤونها ويَدْرُسونها ولا يَعْمَلون بها ﴿يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ أَي: متاعَ هذا الشَيءِ الأَدنىٰ، يُريدُ الدُنيا وما يُتَمَتَّع به منها، وفي قولِه: ﴿هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ تحقيرٌ وتخْسيسٌ، وهو: إِمَّا من الدُنوِّ بمعنى القربِ، وإِمَّا من الدناءَةِ وسقوطِ الحالِ، والمرادُ: ما كانوا يَأْخُذونه من

---

(١) الصافات: ١٦٤. (٢) في نسخة: يتنبّهون فينتهون.

(٣) انظر معاني القرآن للفرّاء: ج ١ ص ٣٩٩.

(٤) وصدره: ذَهَبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم. والبيت من الكامل، والمعنىٰ: ذهب الكرام الذين يُنتفع بهم، وبقيتُ في قومٍ لاخير فيهم كجلد الأجرب، وجلد الأجرب من الجِمَال لاينتفع به. انظر ديوان لبيد: ص ٥٥، وخزانة الأدب: ج ٢ ص ٢٤٩، والكامل للمبرد: ج ٣ ص ١٣٩٤، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٣١٠، ولسان العرب: مادة «خلف».

الرُشىٰ في الأَحكامِ وعلىٰ تحريفِ الكَلِمِ للتَسهيلِ على العامَّةِ ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ أَي: لايُؤاخِذُنا اللهُ بما أَخَذْنا ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ الواوُ للحالِ، أَي: يَرْجُونَ المغفرةَ وهم مصرُّون عائِدون إِلىٰ مثلِ فعلِهم ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أَلَمْ يُؤْخَذْ علىٰ هٰؤُلاءِ المُرتَشين الميثاقُ في التَوراةِ أَن لايَكْذِبوا عَلَى اللهِ ولايُضيفوا[١] إِليه إِلَّا ماأَنزَلَه، كأَنَّه قيل: أَلم يقُلْ لهم: ﴿أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾ وقَرَأُوا مافيه فهم ذاكرون لذلك ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ من ذلك العَرَضِ الحقيرِ ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ محارمَ اللهِ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قُرِئَ بالياءِ[٢] والتَاءِ ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ مرفوعٌ بالابتداءِ وخبرُه: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾[٣]، والمعنىٰ: لانُضيعُ أَجرَهم، وُضِعَ الظَاهرُ موضِعَ المضمرِ؛ لأَنَّ المُصلِحين في معنىٰ ﴿ٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾، ويجوزُ أَن يكونَ مجروراً عطفاً علىٰ «الَّذينَ يتَّقون» ويكونَ قولُه: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ اعتراضاً[٤].

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧١)

﴿نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ قَلَعْناه ورفَعْناه كقولِه: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾[٥]، والظُلَّةُ: كلُّ ماأَظَلَّكَ من سقيفةٍ أَو سَحابٍ ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ وعَلِمُوا أَنَّه ساقطٌ عليهم، وذلك أَنَّهم أَبَوْا أَن يَقْبَلوا أَحكامَ التَوراةِ، فَرَفَعَ اللهُ الطُورَ علىٰ

(١) في بعض النسخ: ينسبوا.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي. انظر الكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٤٢٩، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٣٩٧ و ٤٢٨.

(٣) وهو مذهب المشهور. انظر علىٰ سبيل المثال إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٦٠، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٨٢.

(٤) راجع الكشّاف: ج ٢ ص ١٧٥.

(٥) النساء: ١٥٤.

رُؤُوسِهم مقدارَ عسكرِهم، وكان فرسخاً في فرسخ، وقيل لهم: إن قَبِلْتُموها بما فيها وإلَّا لَيَقَعَنَّ عليكم، فلمَّا نَظَرُوا إلى الجَبَلِ خرُّوا سُجَّداً علىٰ أَحدِ شِقَّيْ وجوهِهم يَنْظُرُون إلى الجَبَل فَرَقاً[١] من سقوطِه[٢] ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ علىٰ إرادةِ القولِ، أي: وقُلنا: خُذُوا، أَو قائلين: خُذُوا ماآتيْناكم من الكتابِ بقوّةٍ أي: بجدٍّ وعزمٍ على احتمالِ تكاليفِهِ ﴿وَٱذْكُرُواْ مَافِيهِ﴾ من الأَوامرِ والنَواهي ولاتَنْسَوْه.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١٧٤)

وقُرِئَ: «ذُرِّيَّاتِهِمْ»[٣]، ومن أَفْرَدَ فللاستغناء عن جمعِه لوقوعِه على الجمعِ، أَلا تَرَىٰ إلىٰ قولِه تعالىٰ: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾، ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدلٌ من ﴿بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ بدلُ البعضِ من الكلِّ، ومعنى أَخْذِ ذرِّيَّاتِهم من ظهورِهم: إخراجُهم من أَصلابِهم، وقولُه: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وقولُه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ من بابِ التَمثيلِ، والمعنيُّ في ذلك أَنَّه نَصَبَ لهم الأَدِلَّةَ علىٰ ربوبيَّتِه، وشَهِدَتْ بها عقولُهم الَّتي رَكَّبها فيهم وجَعَلَها مُمَيِّزَةً بينَ الضَلالةِ والهدايةِ، فكأَنَّه ﴿أَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وقرَّرَهم وقالَ لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وكأَنَّهم ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أَنْتَ رَبُّنا ﴿شَهِدْنَآ﴾ علىٰ أَنْفُسِنا وَأَقْرَرْنا بِرُبوبِيَّتِك ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ مفعولٌ له،

---

(١) فَرِق: فزع. (لسان العرب: مادة فرق).

(٢) راجع قصة موسىٰ عليه السلام وقومه في تاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٧٠ ـ ٣٠٣.

(٣) وهي قراءة نافع وابن عامر والبصريان (أبو عمرو ويعقوب). راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٨، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٢٨.

أي: نَصَبْنَا الأَدلَّةَ الَّتي تَشهَدُ العقولُ علىٰ صحَّتِها كراهةَ أن تَقُولُوا ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ لم نُنَبَّهْ عليه ﴿أَوْ﴾ كَراهةَ أن ﴿تَقُولُوٓاْ﴾: ﴿إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ﴾ فاقْتَدَيْنا بهم؛ لأَنَّ نصبَ الأَدلَّةِ على التَوحيدِ قائمٌ معهم، فلاعذرَ لهم في الإِعراضِ عنه والإِقبالِ علىٰ تقليدِ الآباءِ والاقتداءِ بهم، كما لاعذرَ لآبائِهم في الشِركِ وقد نُصِبَتِ الأَدلَّةُ لهم على التَوحيدِ ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أَي: كانوا السَببَ في شركِنا لتأْسيسِهم الشِركَ لنا وتَقَدُّمِهم فيه[١] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومثلُ ذلك التَفصيلِ البليغِ ﴿نُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ﴾ لهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وإِرادةَ أَن يَرْجِعُوا عن شركِهم نُفَصِّلُها، وقُرِئَ: «أَن يَقُولُوا» بالياءِ[٢].

---

(١) قال في تفسير القرطبي: ج ٧ ص ٣١٤: قلت: وفي الحديث عن النبي ﷺ أنّه تعالىٰ أخرج الأشباح فيها الأرواح من ظهر آدم ؏، وروىٰ مالك في موطّئه أنّ عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِىٓ ءَادَمَ ... غَـٰفِلِينَ﴾ فقال عمر: سمعتُ رسول الله ﷺ يُسأل عنها فقال: إنّ الله تعالىٰ خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرّية فقال: خلقت هؤلاء للجنّة وبعمل أهل الجنّة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرّية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ... الى أن قال: قال أبوعمر: هذا حديث منقطع الاسناد لأنّ مسلم‌بن يسار لم يلْقَ عمر، وقال فيه يحيىٰ بن معين: مسلم بن يسار لايُعرف، بينه وبين عمر نعيم بن ربيعة، ذكره النسائي، ونعيم هذا غير معروف بحمل العلم. انتهىٰ قوله.

قال الشيخ الطوسي ؒ: فأمّا ماروي أنّ الله تعالى أخرج ذرّية آدم من ظهره وأشهدهم علىٰ أنفسهم وهم كالذّر فانّ ذلك غير جائز؛ لأنّ الأطفال فضلاً عمن هو كالذرّ لاحجة عليهم ولايحسن خطابهم بما يتعلّق بالتكليف، ثم إنّ الآية تدلّ على خلاف ماقالوه لأنّ الله تعالىٰ قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ وقال: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل: من ظهره، وقال: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ولم يقل: ذرّيته، ثم قال: ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ فأخبر أنّ هذه الذرّية قد كان قبلهم آباء مبطلون وكانوا هم بعدهم. على أنّ راوي هذا الخبر سليمان بن بشار الجهني، وقيل: مسلم بن بشار عن عمر بن الخطاب، وقال يحيىٰ بن معين: سليمان هذا لايدري أين هو. راجع التبيان: ج ٥ ص ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو وحده. راجع التبيان: ج ٥ ص ٢٦، وكتاب السبعة في القراءات ←

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ (١٧٧) مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ (١٧٨)

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ على اليهودِ خبرَ ﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ هو عالمٌ من علماءِ بني إسرائيلَ أُوتِيَ علمَ بعضِ كُتُبِ اللهِ[1]، وقيل: هو من الكنعانيِّين[2]، واسمُه بَلْعَمُ بنُ باعورَا[3] ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ من الآياتِ بأَن كَفَرَ بها ونَبَذَها وراءَ ظهرِه ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ فلَحِقَه الشيطانُ وأَدْرَكَه وصارَ قريناً له، أَو فأَتْبَعَه خُطُواتِه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ أَي: من الضالِّين الكافرين.

← لابن مجاهد: ص ٢٩٨، والبحر المحيط لأبي حيان: ج ٤ ص ٤٢١.

(١) وعليه مذهب الجمهور. انظر التبيان: ج ٥ ص ٣١.

(٢) قاله علي بن أبي طلحة ومقاتل قال: هو من مدينة بلقاء. راجع تفسير البغوي: ج ٢ ص ٢١٣. وقال ابن كثير في تفسيره: ج ٢ ص ٢٥٤: قال قتادة عن كعب: كان رجلاً من أهل البلقاء يعلم الاسم الاكبر وكان مقيماً ببيت المقدس مع الجبّارين.

(٣) وهو قول ابن عبّاس وابن مسعود ومجاهد. راجع تفسير ابن عباس: ص ١٤١، وتفسير مجاهد: ص ٣٤٧، وتفسير الماوردي: ج ٢ ص ٢٧٩، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢١٣. وفي تفسير القمي: ج ١ ص ٢٤٨: أنّها نزلت في بلعم بن باعورا وكان من بني إسرائيل، وحدثني أبي عن الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام: أنّه أُعطي الاسم الأعظم، فكان يدعو به فيستجاب له، فمال الى فرعون، فلمّا مرّ فرعون في طلب موسى وأصحابه قال فرعون لبلعم: ادعو الله على موسىٰ وأصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته ليمرّ في طلب موسىٰ وأصحابه، فامتنعت عليه حمارته، فأقبل يضربها فأنطقها الله عزّوجلّ فقالت: ويلك على ماتضربني؟ أتريد أجيء معك لتدعو على موسىٰ نبي الله وقوم مؤمنين؟ فلم يزل يضربها حتىٰ قتلها وانسلخ الاسم الأعظم من لسانه.

قالَ الباقرُ عليه السلام: «الأَصلُ فيه بَلْعَمُ ثمَّ ضَرَبَه اللهُ مثلاً لكلِّ مُؤْثِرٍ هواه علىٰ هُدى اللهِ من أَهلِ القبلةِ»(١).

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا﴾ أَي: لعَظَّمْناه ورَفَعْناه إِلىٰ منازل الأَبرارِ من العلماءِ بتلك الآياتِ ﴿وَلَـٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ مالَ إِلى الدُنيا ورَغِبَ فيها، وإِنَّما عَلَّقَ رفعَه بمشيئَةِ اللهِ تعالىٰ ولم يُعَلِّقْه بفعلِه الَّذي يَسْتَحِقُّ بِه الرَفعَ؛ لأَنَّ مشيئَةَ اللهِ رفعَه تابعةٌ للزومِه الآياتِ فذُكِرَت المشيئَةُ والمرادُ ماهي تابعةٌ له، فكأَنَّه قيلَ: ولو لَزِمَها لَرَفَعْناه بها، أَلا تَرىٰ إِلىٰ قولِه: ﴿وَلَـٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ فَاسْتَدْرَكَ المشيئَةَ بإِخلادِه الَّذي هو فعلُه، فَوَجَبَ أَن يكونَ ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ في معنى ماهو فعلُه ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ أَي: فصفتُه كصفةِ الكلبِ في أَخَسِّ أَحوالِه، وهي حالُ دوامِ اللَهثِ به واتِّصالِه، سَواءٌ حُمِلَ عليه أَي: شُدَّ عليه وهُيِّجَ فطُرِدَ أَو تُرِكَ غيرَ محمولٍ عليه، وذلك أَنَّ سائِرَ الحَيَوانِ لايكونُ منه اللَهثُ إِلَّا إِذا هُيِّجَ وحُرِّكَ وإِلَّا لَمْ يَلْهَثْ، والكلبُ يَتَّصِلُ لهثُه في الحالَتَيْن جميعاً، فكان حقُّ الكلامِ أَن يُقالَ: وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلـٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلى الأَرضِ فحَطَطْناهُ، ولكن تمثيلُه بالكلبِ في أَخَسِّ أَحوالِه في معنىٰ ذلك، ومحلُّ الجملةِ الشَرطيَّةِ النَصبُ على الحالِ، كأَنَّه قيل: كمثل الكلبِ ذليلاً دائِمَ الذلَّةِ لاهثاً في الحالَيْن.

وقيل: إِنّ بَلْعَمَ طَلَبَ منه قومُه أَن يَدْعُوَ علىٰ موسىٰ ومن معه، فأَبى وقال: كيف أَدْعوا علىٰ من معه الملائِكَةُ! فأَلَحُّوا عليه حتَّى فَعَلَ، فَخَرَجَ لسانُه فوَقَعَ علىٰ صدرِه وجَعَلَ يَلْهَثُ كما يَلْهَثُ الكلبُ(٢) ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا

(١) التبيان: ج ٥ ص ٣٢.

(٢) وهو ماقاله ابن عبّاس وابن إسحاق والسدي في رواياتهم عنه. انظر تفسير البغوي: ج ٢ ص ٢١٣ ـ ٢١٤، وتفسير ابن كثير: ج ٢ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ من اليهودِ بعدَ ماقَرَأوا نعتَ رسولِ الله ﷺ في التَوراةِ، وبَشَّرُوا النَاسَ بقربِ مبعثِه وَكانُوا يَسْتَفْتِحون به ﴿فَٱقْصُصِ﴾ قَصَصَ بَلْعَمَ الَّذي هو نحوُ قَصَصِهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيحذَرون مثلَ عاقبتِه إذا ساروا بسيرتِه وزاغوا شبهَ زَيْغِه، ويَعْلَمُونَ أَنَّكَ عَلِمْتَه من جهةِ الوحي فتَزْدادُ الحجَّةُ لزوماً لهم ﴿سَآءَ مَثَلاً ٱلْقَوْمُ﴾ أَي: مثلُ القومِ ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ تقديمُ المفعولِ به للاختصاصِ، فكأنَّه قيل: وخَصُّوا أَنْفُسَهم بالظُلمِ لم يَتَعَدَّها إِلىٰ غيرِها ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ فهو محمولٌ على اللفظِ ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ محمولٌ على المعنىٰ.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ (١٧٩) وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٨٠) وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٨١)

أَي: خَلَقْنا ﴿كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنسِ﴾ علىٰ أَنَّ مصيرَهم إِلىٰ جهنَّمَ بسوءِ اختيارِهم، وهم الَّذين عَلِمَ اللهُ أَنَّه لالطفَ لهم، جَعَلَهم سبحانه في أَنَّهم لايَتَدَبَّرون أَدلَّةَ اللهِ وبيِّناتِه بعقولِهم، ولايَنْظُرون إِلىٰ مخلوقاتِه نظرَ اعتبارٍ، ولايَسْمَعون مايُتْلَىٰ عليهم من المَواعظِ والأَذكارِ، ولايأْتي منهم إِلَّا أَفعالُ أَهلِ النارِ مَخلوقينَ للنَارِ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ في عدمِ التَدبُّرِ والتفكُّرِ والنَظرِ للاعتبارِ ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ فإِنَّ البهائِمَ إِذا زُجِرَتْ انْزَجَرَتْ وإِذا أُرْشِدَت إِلى طريقٍ اهْتَدَتْ، وهؤلاءِ لايَهْتَدون إِلىٰ شيءٍ من أُمورِ الدياناتِ مع مارُكِّبَ فيهم من العقولِ الدَالَّةِ على الرَشادِ الصَارفةِ عن العنادِ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾ الكاملون في الغفلةِ

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الَّتي هي أَحسنُ الأَسماءِ؛ لأَنَّها تَتَضَمَّنُ معانيَ حَسَنَةً، بعضُها يَرْجِعُ إِلىٰ صفاتِ ذاتِه كالعالمِ والقادرِ والحيِّ والإلٰهِ، وبعضُها يَرْجِعُ إِلىٰ صفاتِ فعلِه كالخالقِ والرّازقِ والبارئ والمُصَوِّرِ، وبعضُها تُفيدُ التَمجيدَ والتَقديسَ كالقُدُّوسِ والغنيِّ والواحدِ[١] ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ فَسَمُّوه بتلك الأَسماءِ ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ أَي: واَتْرُكوا الَّذين يَعْدِلون بأَسمائِه عمَّا هي عليه فيُسَمُّون بها أَصنامَهم، أَو يَصِفونَه بمالايَليقُ به ويُسَمُّونه بمالايَجوزُ تَسْمِيَتُه به[٢] ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ عن النبيِّ ﷺ أَنَّه كان يَقولُ إِذا قَرَأَها: «هـٰذِهِ لَكُمْ وَقَدْ أُعْطِيَ الْقَوْمُ بَيْنَ أَيْدِيكم مثلَها ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ الآية»[٣].

وعن عليٍّ عليه السلام قال: «والَّذي نفسي بيدِه، لتَفْتَرِقَنَّ هـٰذِهِ الأُمَّةُ علىٰ ثلاثٍ وسَبْعِينَ فِرْقَةً، كلُّها في النّارِ إِلَّا فرقةً ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ الآية،

---

(١) قال العلّامة الطباطبائي رحمه الله: تنقسم الصفات الواجبية بالقسمة الأولية الى ماتكفي في ثبوته الذات المتعالية من غير حاجة إلىٰ فرض أمر خارج كحياته تعالى وعلمه بنفسه وتسمى الصفة الذاتية، ومالايتمّ الاتصاف به إلّا مع فرض أمر خارج من الذات كالخلق والرزق والاحياء وتسمّى الصفة الفعلية، والصفات الفعلية كثيرة وهي على كثرتها منتزعة من مقام الفعل ... الى أن قال: فلننظر في أقسام الصفات ونحو اتصافه فنقول: تنقسم الصفة الى ثبوتية كالعالم والقادر وسلبية تفيد معنى سلبياً ... الى أن قال: ثم الصفات الثبوتية تنقسم الى حقيقية كالعالم وإضافية كالقادرية والعالمية، وتنقسم الحقيقية الى محضة كالحيّ وحقيقية ذات إضافة كالعالم بالغير ... الى آخر قوله الشريف. راجع بداية الحكمة: المرحلة الثانية عشر الفصل الرابع في صفات الواجب الوجود تعالىٰ ومعنى اتّصافه بها.

(٢) انظر مبحث: هل أسماء الله توقيفية؟ ضمن مباحث الإلهيات التي بحثها الأُستاذ السبحاني وتعرّض لها وفصّل، تجد تفصيل أقوال المتكلمين المسلمين فيها، وأشبع الردّ عليها وبيان الحقّ منها.

(٣) رواها الطبري باسناده: ج ٦ ص ١٣٤ ح ١٥٤٧١، وابن الجوزي في زاد المسير: ج ٣ ص ٢٩٤. والآية: ١٥٩ من سورة الأعراف.

فهذه الّتي تنْجو»[١].

وعن الباقرِ والصّادقِ عليهما السلام أنّهما قالا: «نحنُ هُمْ»[٢].

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ (١٨٣) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١٨٤) أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ (١٨٥) مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٨٦)

الاستدراجُ من الدَّرَجةِ بمنزلةِ الاستصعادِ والاستنزالِ درجةً بعدَ درجةٍ، والمعنىٰ: سَنَسْتَدْنيهم قليلاً قليلاً إلى الهلاكِ حتّى يَقَعوا فيه بغتةً ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يُرادُ بهم ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ وهو داخلٌ في حكمِ السينِ ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ سمّاه كَيْداً لأنّه شبيهٌ بالكيدِ؛ لأنّه في الظّاهرِ إحسانٌ وفي الحقيقةِ خِذلانٌ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾ هؤلاءِ الكفّارُ فيَعْلَموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾ بمحمّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ أي: جنونٍ، وكانوا يقولون: شاعِرٌ مَجْنونٌ، وعن قَتادةَ: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله علا الصَّفا فدعاهم فَخْذاً فَخْذاً يُحذِّرُهم بأْسَ اللهِ، فقال قائِلُهم: إنَّ صاحبَكم هذا لَمَجنونٌ بات يُهَوِّتُ[٣] إلى الصباحِ[٤] ﴿أَوَلَمْ

---

(١) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٤٣ ح ١٢٢، وعنه تفسير البرهان: ج ٢ ص ٥٢ ـ ٥٣، والبحار: ج ٨ ص ٢.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤١٤ ب ١٠٨ ح ١٣، تفسير العياشي: ج ٢ ص ٤٢ ح ١٢٠ و ١٢١، وعنه تفسير البرهان: ج ٢ ص ٥٢، والبحار: ج ٧ ص ١٢٠، وإثبات الهداة: ج ٣ ص ٥٠.

(٣) هوَّت به تهويتاً: أي صاح. (القاموس المحيط: مادة هوت).

(٤) أُنظر تفسير الطبري: ج ٦ ص ١٣٤ ـ ١٣٥ ح ١٥٤٧٢، والكشّاف: ج ٢ ص ١٨٢.

يَنظُرُواْ﴾ نَظَرَ استدلالٍ ﴿فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيما يَدُلَّان عليه من عِظَمِ المُلكِ ﴿وَمَاخَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ وفيما خَلَقَ اللهُ مِمَّا يَقَعُ عليه اسمُ الشَيءِ من أَجناسِ خلقِه الَّتي لايَحْصُرُها العَدَدُ، ﴿وَ﴾ في ﴿أَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ ولعلَّهم يَموتون عن قريبٍ فيُسارِعُوا إلى النَظرِ فيما يُنجِيهم قبلَ مُغافَصَةِ[١] الأجلِ، و ﴿أَنْ﴾ هذه مخففةٌ من الثقيلةِ، وأَصلُه: وأَنَّه عسىٰ، علىٰ أنَّ الضَميرَ ضميرُ الشَأنِ[٢] ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ﴾ أَي: بعدَ القرآنِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ والمعنىٰ: لعلَّ أَجلَهم قد اقْتَرَبَ فمالَهم لايُبادِرون إلى الإيمانِ بالقرآنِ قبلَ الفوتِ؟! وَبِأَيِّ حَدِيثٍ أَحقَّ منه يُريدون أَن يُؤْمِنوا؟! وقُرِئَ: ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ بالياءِ والنُونِ وبالرَفعِ[٣] والجزمِ[٤]، والرَفعُ على الاستئنافِ، والجزمُ عطفٌ علىٰ محلِّ ﴿فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ كأَنَّه قيلَ: مَنْ يُضْلِلِ اللهُ لايَهْدِه أَحدٌ ويَذَرْهم.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَايُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَاتَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَايَعْلَمُونَ (١٨٧) قُل لَّآأَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعاً وَلَاضَرّاً إِلَّامَاشَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ

(١) في نسخة: مفاوضة. والمغافصة: المفاجأة والأخذ على غِرّة. (القاموس المحيط: مادة غفص).

(٢) انظر الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٨٩.

(٣) قرأ ابن كثير ونافع (الحرميان) وابن عامر بالنون والرفع. راجع كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٨، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٤٨٥، والعنوان في القراءات السبع لابن خلف: ص ٩٨.

(٤) وقرأ حمزة والكسائي وخلف وعاصم بروايةٍ بالياء والجزم. راجع التبيان: ج ٥ ص ٤٥، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢١٩، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٨، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي: ج ١ ص ٤٨٥.

أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَاسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ (١٨٨)

الساعةُ: من الأَسماءِ الغالبةِ كالنَجمِ للثُريَّا، وسُمِّيَت القيامةُ بالسَاعةِ لوقوعِها بغتةً، أَو لأَنَّها علىٰ طولِها عندالله كساعةٍ من ساعاتِ الخلقِ[١]، و ﴿أَيَّانَ﴾ بمعنى متى، وقيل: اشتقاقُه من أَيٍّ؛ لأَنَّ معناه أَيُّ وقتٍ[٢]، و ﴿مُرۡسَىٰهَا﴾ إرساؤُها أَو وقتَ إِرسائِها أَي: إِثباتِها، ورُسُوُّ كلِّ شيءٍ ثَباتُه واستقرارُه، والمعنىٰ: متى يُرْسِيها اللهُ؟ ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا﴾ أَي: علمُ وقتِ إِرسائِها عندَه قد اسْتَأْثَرَ به لم يُخبِرْ أَحداً من خلقِهِ ليكونَ العبادُ علىٰ حَذَرٍ منه، وذلك أَدْعَىٰ لهم إلى الطَاعةِ وأَزْجَرُ عن المعصيةِ، كما أَخْفىٰ سبحانَه وقتَ الموتِ لذلك ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ أَي: لاتزال خفيَّةً لايَكْشِفُ خفاءَ علمِها إِلَّا هو وحدَه إِذا جاءَ بها في وقتِها ﴿ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أَي: أَهَمَّ شَأْنُ السَاعةِ أَهلَ السماواتِ والأَرضِ من الملائِكةِ والجنِّ والإِنسِ، فكلٌّ منهم يَوَدُّ أَن يَتَجَلّىٰ له علمُها وشَقَّ عليه خَفاؤُها وثَقُلَ عليه[٣]، أَو ثَقُلَتْ فيهما لأَنَّ أَهلَيْهما يَتَوَقَّعُونها ويَخافون شدائِدَها وأَهوالَها[٤] ﴿لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗ﴾ أَي: فُجاءَةً علىٰ غفلةٍ منكم.

وفي الحديثِ: «إِنَّ السَاعةَ تَهيجُ بالنَاسِ والرَجلُ يُصْلِحُ حوضَه، والرَجلُ

---

(١) انظر تفصيله في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٩٠.

(٢) قاله ابن جنّي على ماحكاه عنه الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٨٣، والرازي في تفسيره: ج ١٥ ص ٨٠.

(٣) وهو قول السدي على ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٥ ص ٤٧، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٨٥، واختاره الفرّاء في معاني القرآن: ج ١ ص ٣٩٩، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٨٥.

(٤) وهو قول ابن جريج علىٰ ماحكاه عنه الشيخ في التبيان: ج ٥ ص ٤٧، والماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٨٥، واختاره الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٩٣.

يَسْقي ماشيتَه، والرَجلُ يُقَوِّمُ سِلعتَه في سوقِه، والرَجلُ يَخْفَضُ ميزانَه ويَرْفَعُه»(١).

﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ أَي: كأَنّكَ عالمٌ بها، وأَصلُه: كأَنّك أَحْفَيْتَ في السُؤَالِ عنها حتّىٰ عَلِمْتَها، أَي: اسْتَقْصَيْتَ وأَلْحفْتَ، وقيل: إِنَّ ﴿عَنْهَا﴾ يَتَعَلَّقُ بـ ﴿يَسْئَلُونَكَ﴾ أَي: يَسأَلونك عنها كأَنّكَ حَفِيٌّ أَي: عالمٌ بها(٢)، وقيل: كأَنّكَ حَفِيٌّ بالسُؤَالِ عنها تُحِبُّه وتُؤْثِرُه(٣)، يعني: أَنّك تَكْرَهُ السُؤَالَ عنها لأَنّه من علمِ الغيبِ ٱلَّذي اسْتَأْثَرَ اللهُ به ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنّه المختصُّ بالعلمِ بها(٤) ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى﴾ هو إِظهارُ العبوديّةِ، أَي: أَنَا عبدٌ ضعيفٌ لاأَمْلِكُ لِنَفْسِي اجتلابَ نفعٍ ولادفعَ ضررٍ ﴿إِلَّا مَا شَآءَ﴾ رَبِّي ومالكي من النَفعِ لي والدفعِ عنّي ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ لكانت حالي علىٰ خلافِ ماهي عليه، فَكُنْتُ أَسْتَكْثِرُ

---

(١) الكشّاف: ج ٢ ص ١٨٤، الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشّاف لابن حجر: ص ٦٦.

(٢) قاله ابن‌عبّاس. راجع تفسيره: ص ١٤٣، وحكاه عنه الماوردي في تفسيره: ج ٢ ص ٢٨٥.

(٣) نسب السمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٥٨٧ هذا القول الى مقاتل، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ج ٣ ص ٦٢١ عن مجاهد وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) قال الجبائي: وفي الآية دليل على بطلان قول الرافضة من أنّ الأئمة معصومون منصوص عليهم واحداً بعد الآخر الى يوم القيامة؛ لأنّ علىٰ هذا لابد أن يعلم آخر الأئمة انّ القيامة تقوم بعده ويزول التكليف عن الخلق، وذلك خلاف قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

قال الشيخ الطوسي ﷺ: وهذا الذي ذكره باطل؛ لأنّه لايمتنع أن يكون آخر الأئمة يعلم انّه لاإمام بعده وإن لم يعلم متى تقوم الساعة، لأنّه لايعلم متىٰ يموت، فهو يجوّز أن يكون موته عند قيام الساعة إذا أردنا بذلك أنّه وقت فناء الخلق، وإن قلنا: إنّ الساعة عبارة عن وقت قيام الناس في الحشر فقد زالت الشبهة؛ لأنّه إذا علم أنّه يغني الخلق بعده لايعلم متىٰ يحشر الخلق، على أنّه قد روي أنّ بعد موت آخر الأئمة يزول التكليف لظهور أشراط الساعة وتواتر أماراتها نحو طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك ومع ذلك فلا يعلم وقت قيام الساعة، ولهذا قال الحسن وجماعة من المفسّرين: بادروا بالتوبة قبل ظهور الست: طلوع الشمس من مغربها والدجال والدابة ....، وغير ذلك ممّا قدّمناه، فعلىٰ هذا سقط السؤال. انظر التبيان: ج ٥ ص ٤٩.

المنافعَ وأَجْتَنِبُ المضارَّ ولم أكنْ غالباً مَرَّةً ومغلوباً أُخرىٰ فيالحروبِ ورابحاً وخاسراً في المتاجرِ ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا﴾ عَبْدٌ أُرْسِلْتُ بشيراً ونَذيراً،وما من شأني علمُ الغيبِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠) أَيُشْرِكُونَ مَالَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ (١٩٣)

﴿خَلَقَكُم﴾ خطابٌ لبني آدمَ ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ وهي نفسُ آدمَ عليه السلام ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وهي حوَّاءُ خَلَقَها من جسدِ آدمَ من ضلعٍ من أَضلاعِه أَو من جنسِها كقولِه: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجاً﴾ (١)، ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ لِيَطْمَئِنَّ إِلَيْها ويأْنَسَ بها؛ لأَنَّ الجنسَ إِلى الجنسِ أَميلُ وبه آنسُ، وذُكِّرَ ﴿لِيَسْكُنَ﴾ ذهاباً إِلىٰ معنى النَّفسِ ليَتَبَيَّنَ أَنَّ المرادَ بها آدمُ، ولأَنَّ الذكَرَ هو الَّذي يَسْكُنُ إِلى الأُنثىٰ ويَتَغَشَّاها، والتَّغَشِّي كنايةٌ عن الجماعِ، وكذلك الغِشيانُ والإِتيانُ ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفاً﴾ وهو الماءُ الَّذي حَصَلَ في رَحِمِها خَفَّ عليها ولم تَسْتَثْقِلْه ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ أَي: استمرَّت بالحملِ على الخفَّةِ وقامَتْ بِه وقَعَدتْ كما كانَتْ قبلَ ذلك، لم يَمْنَعْها الحملُ عن شيءٍ من التَّصرُّفِ ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ أَي: حانَ وقتُ ثقلِ حملِها كما يقال: أَقْرَبَتْ (٢)

---

(١) النحل: ٧٢.

(٢) أقربت الحامل: قرب ولادها فهي مُقرِب. (أقرب الموارد: مادة قرب).

﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ﴾ أَي: دعا آدمُ وحوَّاءُ ربَّهما ومَالِكَ أَمرِهما الَّذي هو الحقيقُ بأَن يُلْتَجَأَ إِليه فقالا: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَـٰلِحاً﴾ لئِن وَهَبْتَ لنا ولداً سويّاً قد صَلُحَ بدنُه وبَـرِئَ، وقيل: ولداً ذكراً[١] لأَنَّ الذُكورةَ من الصَلاحِ والجَودةِ، والضميرُ في ﴿ءَاتَيْتَنَا﴾ و ﴿لَنَكُونَنَّ﴾ لهما ولكلِّ من يَتَناسَلُ من ذرِّيَّتِهما ﴿فَلَمَّآ ءَاتَـٰهُمَا﴾ ماطَلَباه من الولدِ الصَالحِ السَويِّ ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَآءَ﴾ أَي: جَعَلَ أَولادُهما له شركاءَ، عـلى حـذفِ المضافِ وإِقامةِ المـضافِ إِليـه مـقامَه، وكـذلك ﴿فِـيمَآ ءَاتَـٰـهُمَا﴾ أَي: آتـىٰ أَولادَهما[٢]، وقد دَلَّ علىٰ ذلك قولُه: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ حيثُ جَـمَعَ الضَميرَ، ومعنىٰ إِشراكِهم فيما آتاهم اللهُ: تَسْمِيَتُهم أَولادَهم بعبدِ العُزَّى وعبدِ مناة وعبدِ يَغُوثَ وما أَشْبَهَ ذلك مكانَ عبدِاللهِ وعبدِالرَحمن، وقُرِئَ: «جَعَلا لَهُ شِرْكاً»[٣] أَي: ذوي شركٍ وهم الشُركاء.

وفي الآيةِ وجهٌ آخرُ: وهو أَن يكونَ الخطابُ لقريشٍ وهـم آلُ قُـصَيٍّ، أَي: خَلَقَكم من نفسِ قُصَيٍّ وجَعَلَ من جنسِها زوجَها عربيَّةً قرشيَّةً، فلمَّا آتاهما ماطَلَبا من الولدِ الصَالحِ السَويِّ جَعَلا له شركاءَ فيما آتاهما حيثُ سَمَّيا أَولادَهما الأَربعةَ بعبدِ منافٍ وعبدِ العُزَّىٰ وعبدِ قُصَيٍّ وعبدِ الدَارِ[٤].

﴿أَيُشْرِكُونَ مَالَا﴾ يَقْدِرُ علىٰ خَـلقِ شَـيْءٍ ﴿وَهُـمْ يُـخْلَقُونَ﴾ لأَنَّ عَـبَدَتَهم يَخْلُقُونَهم فهم أَعجزُ من عَبَدَتِهم ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لَعَبَدتِهم ﴿نَصْراً وَلَآ أَنـفُسَهُمْ

---

(١) وهو قول الحسن. راجع تفسيره: ج ١ ص ٣٩٥، وحكاه عنه ابن كثير في تفسيره: ج ٢ ص ٢٦٣.

(٢) وهو مذهب الزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٨٧.

(٣) وهي قراءة نافع وعاصم برواية أبي بكر وعكرمة والأعرج. راجع التبيان: ج ٥ ص ٥١، وإعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٦٧، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٢١، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٢٩٩.

(٤) قال هذا الوجه سعيد بن جبير والحسن وعكرمة. راجع تـفسير الحسـن البـصري: ج ١ ص ٣٩٦، والتبيان: ج ٥ ص ٥٥، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٢١، والدرالمنثور: ج ٣ ص ٦٢٦.

يَنصُرُونَ﴾ فيدفعون عنها مايَعْتَريها من الحوادثِ ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: إلىٰ ماهو هدىً، أو إلىٰ أن يَهْدوكم[1] ﴿لَايَتَّبِعُوكُمْ﴾ إلىٰ مرادِكم وطَلِبَتِكم، ولايُجيبوكم كما يُجِيبُكم اللهُ ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ﴾ صَمَتُّمْ عن دعائِهم في أنَّه لافلاحَ معهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَاتُنظِرُونِ﴾ (١٩٥)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ تَعْبُدُونَهم وتُسَمُّونَهم آلهةً ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ استهزاءٌ بهم، أي: نهايةُ أَمرِهم أَن يكونوا أَحياءً عقلاءَ، فإن ثَبَتَ ذلك فهم عبادٌ أَمثالُكم لاتَفاضُلَ بينَكم ﴿فَادْعُوهُمْ﴾ في مُهِمَّاتِكم ولصرفِ الأَسواءِ عنكم، ثمَّ أَبْطَلَ أَن يكونوا عباداً أَمثالَهم بقولِه: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ ثمَّ قال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾ واستَعينوا بهم في عَداوتي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ـي جميعاً أَنتم وشركاؤُكم ﴿فَلَاتُنظِرُونِ﴾ـي فإِنِّي لاأُبالي بكم، وهذا لايَقولُه إِلَّا مَن هو واثقٌ بعصمةِ اللهِ، وكانوا قد خَوَّفُوه بآلهتِهم فأُمِرَ أَن يُجيبَهم بذلك.

﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ (١٩٦) وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَايَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآأَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٧) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَايَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَايُبْصِرُونَ (١٩٨) خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

(١) أُنظر الكشّاف: ج ٢ ص ١٨٨.

ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ (١٩٩)

﴿إِنَّ﴾ ناصِري وحافِظي ودافعَ شرِّكم عنّي ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ﴾ القرآنَ وأَعزَّني برسالتِه ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ ومن عاداتِه أن يَنْصُرَ المُطيعين له الصالِحينَ من عبادِه ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يُشبِهون النَاظِرين إليك لأنَّهم صَوَّرُوا أصنامَهم بصُورةِ مَن يُقلِّبُ حَدَقَتَه إلى الشيءِ ليَراه ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ وهم لايُدرِكون المَرئيَّ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي: خُذْ ماعَفاك من أفعالِ النَاسِ وأخلاقِهم ومايأتي منهم من غيرِ كلفةٍ، ولاتُداقِّهم، واقْبَل الميسورَ منهم [١]، ونحوُه قولُه عليه السلام: «يَسِّروا وَلاتُعَسِّروا» [٢]، أَمَرَ سبحانَه بالتَسامحِ وتركِ الاستقصاءِ في القضاءِ والاقتضاءِ ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ بالمعروفِ والجَميلِ من الأَفعالِ والحَميدِ من الخِصالِ ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ ولا تُكافِئِ السُفَهاءَ بمثلِ سَفَهِهم، وأَعْرِضْ عمَّا يَسوؤُك منهم.

وقيل: إنّه لمّا نَزَلَت الآيةُ سَأَلَ جَبْرئيلَ، فقال: «لاأدري حتّى أسْأَلَ»، ثمَّ أَتاه فقال: «يا محمَّدُ إنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أن تَصِلَ من قَطَعَكَ، وتُعْطِيَ مَن حَرَمَكَ، وتَعْفُوَ عمَّن ظَلَمَكَ» [٣].

وعن الصادقِ عليه السلام: «أَمَرَ اللهُ نَبيَّه بمَكارِمِ الأَخْلاقِ، وَلَيْسَ فِي القُرآنِ آيةٌ أَجْمَعُ لِمَكارِمِ الأَخْلاقِ مِنْها» [٤].

---

(١) وهو اختيار الزجّاج في معاني القرآن: ج ٢ ص ٣٩٦، وأبي عبيدة في مجاز القرآن: ج ١ ص ٢٣٦، والزمخشري في الكشّاف: ج ٢ ص ١٨٩.

(٢) مسند أحمد: ج ٤ ص ٤١٧، السنن الكبرىٰ للبيهقي: ج ٨ ص ١٥٥.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره: ج ٦ ص ١٥٤ من طريق سفيان بن عيينة عن أُمَيّ، والسيوطي في الدر المنثور: ج ٣ ص ٦٢٨ وعزاه الى ابن مردويه عن جابر وقيس بن سعد بن عبادة، والسمرقندي في تفسيره: ج ١ ص ٥٩٠ باسناده عن سفيان عن أبي هريرة.

(٤) رواه الزمخشري في كشّافه: ج ٢ ص ١٩٠، والقرطبي في تفسيره: ج ٧ ص ٣٤٥.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢) وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى هَـٰذَا بَصَآئِرُ من رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠٣)

﴿وَإِمَّا﴾ يَنْخَسَنَّكَ ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ نخسٌ في القلبِ يُوَسْوِسُكَ على خلافِ ماأُمِرْتَ به ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ ولاتُطِعْه، وجُعِلَ النزغُ نازغاً مثلُ قولِهم: جَدَّ جدُّه، والنَزغُ والنَسغُ والنَخسُ بمعنىً، كأنَّه يَنْخَسُ الإنسانَ حينَ يُغرِيه على المَعاصي، وقُرِئَ: «طَيْفٌ»[1] و ﴿طَـٰٓئِفٌ﴾ وهو مصدرُ قولِهم: طافَ به الخيالُ يَطيفُ طَيْفاً، أَو هو تخفيفُ طَيِّفٍ فَيْعِلٌ من طافَ يَطيفُ كَلَيِّنٍ، أَو من طافَ يطوفُ كهَيِّنٍ[2]، وهذا تأكيدٌ وتقريرٌ لما تَقَدَّمَ من وجوبِ الاستعاذةِ باللهِ عند نزغِ الشَيطانِ، وأَنَّ المتَّقين هذه عادتُهم ﴿إِذَا﴾ أَصابَهم أدنى لَمَّةٍ[3] ﴿مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ ماأَمَرَ اللهُ به ونَهىٰ عنه فأَبْصَرُوا الرُشْدَ ودَفَعوا الوَسْوَسَةَ ﴿وَ﴾ أَمَّا إِخْوانُ الشياطينِ الَّذين ليسوا بمتَّقين فإِنَّ الشَياطينَ ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ أَي: يكونون مَدَداً لهم ويزيدونهم فيه، وقُرِئَ: «يُمِدُّونهم»[4] من

(١) وهي قراءة ابن كثير والبصريّين (أبي عمرو ويعقوب) والكسائي. راجع التبيان: ج ٥ ص ٦٤، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٥٩٠، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٢٤، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٣٠١، والتذكرة في القراءات لابن غلبون: ج ٢ ص ٤٣٠، وفي تفسير القرطبي: ج ٧ ص ٣٤٩: هذه قراءة أهل البصرة وأهل مكّة.

(٢) راجع تفصيل ذلك في إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٧١، والفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٩٨.

(٣) يقال: أصابته من الجنّ لَمّة أي مسٌّ. (القاموس المحيط: مادة لمم).

(٤) قرأه نافع وحده. راجع التبيان: ج ٥ ص ٦٥، وتفسير السمرقندي: ج ١ ص ٥٩٠، وكتاب ←

الإمدادِ(١)، وفي الشَواذّ: «يُمادُّونَهم»(٢) والمعنىٰ: يُعاوِنونهم ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ أَي: لايُمْسِكُونَ عن إغوائِهم حتّىٰ يُصِرُّوا ولايَرْجِعُوا، وقولُه: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾ كقولِ الشاعرِ:

قَوْمٌ إذا الْخَيْلُ جالُوا فِي كَواثِبِها(٣)

في أَنَّ الخبرَ جَرَىٰ علىٰ غيرِ مَن هو له، ويجوزُ أَن يُرادَ بالإخوانِ: الشَياطينُ ويَرْجِعَ الضَميرُ إلىٰ ﴿ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ فيكونَ الخبرُ جارياً علىٰ من هو له(٤)، والأَوَّلُ أَوْجَهُ؛ لأَنَّ ﴿إِخْوَانُهُمْ﴾ في مقابلةِ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾، وجازَ جمعُ الضَميرِ في ﴿إِخْوَانُهُمْ﴾ والشيطانُ مفردٌ لأَنَّ المرادَ به الجنسُ، فهو كقولِه: ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾(٥)، ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ﴾ مُقْتَرَحةٍ ﴿قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾ اجْتَبَى الشَيءَ: إذا جَباه لِنَفسِه بمعنىٰ جَمَعَه، كقولِه: «اجْتَمَعْتَه»: أَوجَبَى إليه فاجْتَباه أَي: أَخَذه، والمعنىٰ: هلَّا اجْتَمَعْتَها افتعالاً من عندِ نفسِك لأَنَّهم كانوا يَقُولُون: «إنْ هٰذا إلَّا إِفْكٌ مُفْتَرىً» ، أَو هلَّا أَخَذْتَها مُنْزَلَةً عليك مُقْتَرَحَةً ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّى﴾ ولستُ بمفتعلٍ للآيات، أَولستُ بمقترحٍ لها ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ﴾ أَي: هٰذا

← السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص ٣٠١، وفي إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٧٢، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٢٥: هي قراءة أهل المدينة.

(١) قال النحّاس: وجماعة من أهل اللغة ينكرون هذه القراءة منهم أبو حاتم وأبو عبيد، قال أبو حاتم: لاأعرف لها وجهاً إلاّ أن يكون المعنىٰ: يزيدونهم من الغيّ، وهذا غير مايَسبق الى القلوب. انظر إعراب القرآن: ج ٢ ص ١٧٢.

(٢) وهي قراءة عاصم والجحدري. راجع إعراب القرآن للنحّاس: ج ٢ ص ١٧٢، ومختصر شواذ القرآن لابن خالويه: ص ٥٣.

(٣) وعجزه: فوارس الخيل لاميل ولاقدم. لم نعثر علىٰ قائله فيما توفّرت لدينا من مصادر، وأنشده الزمخشري في الكشاف: ج ٢ ص ١٩١.

(٤) انظر تفصيل ذلك في الفريد في إعراب القرآن للهمداني: ج ٢ ص ٣٩٩.

(٥) البقرة: ٢٥٧.

القرآنُ حُجَجٌ بَيِّنَةٌ ودلائِلُ واضحةٌ يَعودُ النَّاسُ بها بُصَراءَ بعدَ العمىٰ، أَو هو بمنزلةِ بصائرِ القلوبِ.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا۟ لَهُ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤) وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (٢٠٦)

هذا بظاهره يوجِبُ استماعَ القرآنِ والإنصاتِ له وقتَ قِراءَتِه في الصلاةِ وغيرِ الصلاةِ، وقيل: إنَّه في الصلاةِ خاصَّةً خلفَ الإمامِ الَّذي يُؤْتَمُّ به إذا سُمِعَتْ قِراءَتُه، وكانَ المُسلمون يَتكَلَّمون في الصَّلاةِ فَنَزَلَتْ[(١)]، ثُمَّ صارَ سنَّةً في غيرِ الصلاةِ أَن يُنْصِتَ القومُ في المجلسِ الَّذي يُقْرَأُ فيه القرآنُ[(٢)]، وقيل: معناه: إذا تَلَىٰ عليكم الرَّسولُ القرآنَ عندَ نزولِه ﴿فَاسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾[(٣)].

قال الصادقُ عليه السلام: «إذا قُرِئَ عندَكَ القرآنُ وَجَبَ عليكَ الإنصاتُ والاستماعُ»[(٤)].

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لِتُرْحَموا بذلك ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ هو عامٌّ في الأَذكارِ من قِراءَةِ القرآنِ والدُّعاءِ والتَّسبيحِ والتَّهليلِ والتَّحميدِ ﴿تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾ أَي:

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي: ص ١٨٨ ـ ١٨٩، وتفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٢٦، وتفسير القرطبي: ج ٧ ص ٣٥٣.

(٢) وهو قول ابن مسعود وأبي هريرة والزهري وعطاء وعبيدالله بن أبي عمير ومجاهد وقتادة وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحّاك وإبراهيم والشعبي وابن عبّاس وابن زيد، واختاره الجبائي. راجع التبيان: ج ٥ ص ٦٧، وزاد في تفسير القرطبي: ج ٧ ص ٣٥٣: عمرو بن دينار وزيد بن أسلم والقاسم بن مخيمرة ومسلم بن يسار وشهر بن حوشب وعبدالله بن المبارك.

(٣) قاله الجبائي. راجع التبيان: ج ٥ ص ٦٨.

(٤) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٤٤ ح ١٣٢، وعنه البرهان: ج ٢ ص ٥٧، والبحار: ج ١٨ ص ٦١٥ ـ ٦١٦.

متضرِّعاً وخائِفاً ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾ ومتكلِّماً كلاماً دونَ الجهرِ؛ لأَنَّ الإخفاءَ أَدْخَلُ في الإخلاصِ وأَبْعَدُ من الرياءِ وأَقْرَبُ إلى القبولِ ﴿بِالْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ بالغَدَواتِ والعَشِيَّاتِ لفضلِ هـٰذَيْن الوقتَيْن، وقيل: المرادُ به دوامُ الذِكرِ واتّصالُه[١] ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾ عن ذكرِ اللهِ اللاهين عنه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ وهم الملائِكةُ، والمعنيُّ في ﴿عِندَ﴾: دُنُوُّ المنزلةِ والزُلفةُ والقربُ من فضلِ اللهِ ورحمته؛ لتَوَفُّرِهم علىٰ طاعتِه ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ مع جلالةِ قدرِهم وعلوِّ أمرِهم ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ يُنَزِّهونَه عمّا لايَليقُ به ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ ويَختَصُّونه بالسُجودِ والعبادةِ، وهذا أَوَّلُ سَجَداتِ القرآنِ[٢].

❁ ❁ ❁

(١) قاله ابن عباس علىٰ ماحكاه عنه الرازي في تفسيره: ج ١٥ ص ١٠٩.

(٢) قال الشيخ الطوسي: وهذه أول سجدات القرآن، وهي عندنا مستحبة غير واجبة، وفي ذلك خلاف بين الفقهاء. انظر التبيان: ج ٥ ص ٧٠.